الجلد الأول من تفسير اللباب لابن الخازن

قد وقف هذه النسخة الجليلة السلطان الأعظم والخاقان المعظم مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا لمن طالع وتدبر واعتبر علي أكرمه الله تعالى بالزلفى والحسنى حرره الفقير أحمد شيخ زاده المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين عفي عنهما

٢٦٦

بسم الله الرحمن الرحيم وبه الاعانة

الحمد لله الذي خلق الاشيا فقدرها تقديرا وصور شكل الانسان فاحسنه تصويرا
ومنحه بالعقل وجعله سميعا بصيرا وشرفه بما عرفه من العلم ونور قلبه تنويرا
وهداه الى معرفته فيا لها معرفة وفضلا كبيرا واطلق لسانه فاذعن بشكره تحميدا
وتهليلا وتكبيرا وارسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق بشيرا ونذيرا وانزل
عليه كتابا مبينا واودعه حكمة وحكما وترغيبا وتحذيرا والهم حفاظه تلاوة له
وتحبيرا وعلم عباده علومه تفهيما وتبصيرا وضرب فيه الامثال ليتدبروها له وتخبيرا
وجعله برهانا واضحا وصوابا لائحا ووفر فضاله توفيرا في الصدور محفوظا وبالالسنة
متلوا وفي الصحف مسطورا يهدي للتي هي اقوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات
ان لهم اجرا كبيرا وجعل كل بليغ عن الاتيان بسورة مثله حسيرا قل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا احمده
على تواتر انعامه حمدا كثيرا واتوكل عليه مفوضا امري اليه ومستخيرا واشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له شهادة تبعد قائلها مطيئنا مستنيرا واشهد ان محمدا عبده ورسوله
الذي كساه من فضله عزا ومهابة وتوقيرا صلى الله عليه وعلى اله واصحابه كما اذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا وبعد فان الله جل ذكره وتقدست اسماؤه ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله رحمة للعالمين وبشيرا للمومنين ونذيرا للمخالفين اكمل به
بنيان النبوة وختم به ديوان الرسالة واتم به مكارم الاخلاق ونشر فضله في الافاق وانزل

عليه

عليه نورا واهدى به من الضلالة وانقذ به من الجهالة وحكم بالفوز والفلاح لمن اتبعه وبالخسران
لمن اعرض عنه بعد ما سمعه واعجز الخلائق عن معارضته حين تحداهم على ان ياتوا بسورة من
مثله في مقابلته ثم سهل على عباده المومنين مع اعجازه تلاوته ويسر على الالسن قرائته
امر فيه وزجر وبشر وانذر وذكر المواعظ ليتذكر وضرب فيه الامثال ليتدبر وقص
فيه من اخبار الماضين ليعتبر ودل فيه على ايات التوحيد ليتفكر ثم لم يرض منا
بسرد حروفه دون حفظ حدوده ولا باقامة كلماته دون العمل بمحكماته ولا بتلاوته
دون تدبر اياته في قراءته ولا بدراسته دون تعلم حقايقه وتفهم دقايقه ولا حصول
لهذه المقاصد الا بدراية تفسيره واحكامه ومعرفة حلاله وحرامه واسباب نزوله
واقسامه والوقوف على ناسخه ومنسوخه في خاصه وعامه فانه ارسخ العلوم اصلا
واسبقها فرعا واصلا واكرمها نتاجا وانورها سراجا فلا شرف الا وهو السبيل اليه
ولا خير الا وهو الدال عليه وقد قيض الله تعالى له رجالا موفقين وبالحق ناطقين
حتى صنفوا في ساير علومه المصنفات وجمعوا ساير فنونه المتفرقات كل على قدر فهمه
ومبلغ علمه نظرا للخلق فشكر الله سعيهم ورحم كافتهم ولما كان كتاب معالم التنزيل
الذي صنفه الشيخ الجليل والحبر النبيل الامام العالم العامل محيي السنة قدوة
الامة وامام الايمة مفتي الفرق ناصر الحديث ظهير الدين ابو محمد الحسين بن مسعود
البغوي قدس الله روحه ونور ضريحه من اجل المصنفات في علم التفسير واعلاها وانبلها
واسناها جامعا للصحيح من الاقاويل عاريا عن الشبه والتصحيف والتبديل محلى
بالاحاديث النبوية مطرزا بالاحكام الشرعية موشى بالقصص الغريبة واخبار
الماضين العجيبة مرصعا باحسن الاشارات مخرجا باوضح العبارات مفرغا في قالب الجمال
بافصح مقال فرحم الله تعالى مصنفه واجزل ثوابه وجعل الجنة منقلبه وماواه
ولما كان هذا الكتاب كما وصفت احببت ان انتخب من غرر فوايده ودرر فرايده
وجواهر فصوصه مختصرا جامعا لمعاني التفسير ولباب التنزيل والتعبير حاويا
لخلاصة منقوله متضمنا لنكته واصوله مع فوايد نقلتها وفرايد لخصتها من كتب
التفاسير المصنفة في ساير علومه المولفة ولم اجعل لنفسي تصرفا سوى النقل
والانتخاب مجتنبا حد التطويل والاسهاب وحذفت منه الاسناد لانه اقرب الى
تحصيل المراد فما اوردت فيه من الاحاديث النبوية والاخبار المصطفوية على
تفسير اية او بيان حكم فان الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليهما مدار الشرع
واحكام الدين عزوته الى مخرجه وبينت اسم ناقله وجعلت عوض كل اسم حرفا يعرف
به ليهون على الطالب طلبه فما كان من صحيح ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري فعلامته
قبل ذكر اسم الصحابي الراوي للحديث خ وما كان من صحيح ابي الحسين مسلم بن الحجاج
النيسابوري فعلامته م وما كان مما اتفقا عليه فعلامته ق وما كان من كتب
السنن كسنن ابي داود والترمذي والنسائي فاني اذكر اسمه بغير علامة وما لم اجده
في هذه الكتب ووجدت البغوي قد اسنده بسند له انفرد به قلت روى

البغوي بسنده وما رواه البغوي باسناد الثعلبي **قلت** روى البغوي باسناد الثعلبي
وما كان فيه من احاديث زايدة والفاظ معتبرة فاعتمده فاني اجتهدت في تصحيح ما اخرجته
من الكتب المعتبرة عند العلما كالجمع بين الصحيحين للحميدي وكتاب جامع الاصول لابن الاثير
الجوزي **ثم** اني عوضت عن حذف الاسناد شرح غريب الحديث وما يتعلق به ليكون
الحمل فايدة في هذا الكتاب واسهل على الطلاب وسلكت بابلغ ما قدرت عليه من الايجاز
وحسن الترتيب مع التسهيل والتقريب وينبغي لكل مولف كتابا ان ياتي فيه بما لم يسبق اليه
ان لا يخلو كتابه من خمس فوايد استنباط كل شي كان مفصلا او جمعه ان كان متفرقا
او شرحه ان كان غامضا او حسن نظم وتاليف او اسقاط حشو وتطويل وارجو ان لا
يخلو هذا الكتاب عن هذه الخصال التي ذكرت **وسميته** لباب التاويل في معاني التنزيل
والله تعالى اسال التوفيق لاتمام ما قصدت واليه ارغب في تيسير ما اردت وان يجعله خالصا
لوجهه الكريم وان يتقبله مني انه هو السميع العليم وهو حسبي ونعم الوكيل عليه توكلت
واليه انيب وقبل ان اشرع في الكلام على التفسير اقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول

**الفصل الاول** في فضل القران وتلاوته وتعليمه **م** عن زيد بن ارقم قال قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بما يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله
واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد الا ايها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول
ربي فاجيب وانا تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله
واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي
اذكركم الله في اهل بيتي زاد في رواية كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به
واخذ به كان على الهدى ومن اخطاه ضل وفي رواية كتاب الله هو حبل الله من اتبعه
كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة وفي رواية الترمذي عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي احدهما اعظم من الاخر
وهو كتاب الله حبل ممدود من السما الى الارض وعترتي اهل بيتي لن يتفرقا حتى يردا علي
الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما **م** عن عمر بن الخطاب قال اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم
قال ان الله تعالى يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به اخرين **م** عن الحارث الاعور قال
مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث فدخلت على علي فقلت يا امير المومنين
الا ترى الناس قد خاضوا في الاحاديث قال اوقد فعلوها قلت نعم قال اما اني سمعت رسول
الله يقول الا انها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول قال كتاب الله فيه
نبا ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله
ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم
وهو الذي لا تزيغ به الاهوا ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلما ولا يخلق عن كثرة
الرد ولا تنقضي عجايبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرانا عجبا
يهدي الى الرشد فامنا به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعى اليه
هدي الى صراط مستقيم خذها اليك يا اعور اخرجه الترمذي وقال الحديث غريب واسناده





مجهول وفي الحارث مقال **قوله** هو الفصل اي الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل اي هو
جد كله ليس فيه شي من الهزل والجبار في صفة الادمي هو المسلط العالي المتكبر على الناس
قصمه الله اي اهلكه **قوله** هو حبل الله المتين الحبل يرد على وجوه منها العهد ومنها الامان
فاذا اعتصم به الانسان اداه الله تعالى الى جواره والذكر المشرف الحكيم المحكم العاري
من الاختلاف والاضطراب والصراط المستقيم الطريق الواضح ومعنى لا تزيغ به الاهوا
اي لا يميل عن الحق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل
الذي ليس في جوفه شي من القران كالبيت الخرب اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن
صحيح **خ** عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القران وعلمه **ق**
عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقران مع السفرة الكرام
البررة والذي يقرا القران ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران **قوله** الماهر يعني
الحاذق الكامل الحفظ الجيد التلاوة وقوله مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من
الملايكة سمي بذلك لانه يسفر برسالات الله الى انبيايه وقيل السفرة الكتبة من الملايكة
والبررة المطيعون لله تعالى فيما يامرهم ومعنى كونه مع الملايكة ان له منازل في الجنة
يكون فيها رفيقا لهم **وقوله** يتتعتع اي يتردد في تلاوته لضعف حفظه له اجران يعني
اجر بسبب القراءة واجر بسبب تعبه فيها والمشقة التي تحصل له فيها وليس معناه
ان له اجرا اكثر من الماهر بل الماهر افضل منه واكثر اجرا **ق** عن ابي موسى الاشعري ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال مثل المومن الذي يقرا القران كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها
طيب ومثل المومن الذي لا يقرا القران كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر
الذي يقرا القران كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل الفاجر الذي لا يقرا
القران كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها فيه دليل على فضيلة حفاظ القران واستحباب
ضرب الامثال لايضاح المقاصد عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف ولكن
الف حرف ولام حرف وميم حرف اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن صحيح غريب وقد
رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله
اي الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب
من اول القران الى اخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القران اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل
في الدنيا فان منزلك عند الله اخر اية تقراها اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن صحيح
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجي القران يوم القيامة فيقول يا رب
حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يا رب
ارض عنه فيرضى عنه فيقال اقرا وارق ويزداد بكل اية حسنة اخرجه الترمذي
وقال الحديث حسن عن سهل بن معاذ الجهني عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من قرا القران وعمل به البس والداه يوم القيامة تاجا ضووه احسن من ضوء الشمس

في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا أخرجه أبو داود عن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره
فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم
قد وجبت لهم النار أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وليس له إسناد صحيح **ق**
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي
يتغنى بالقرآن يجهر به معنى أذن في اللغة استمع ولأنه محال على الإصغاء فإنه يستحيل
على الله تعالى بل هو كناية عن تقريبه قارئ القرآن وإجزال ثوابه وذلك لأن سماع
الله لا يختلف فوجب تأويل الحديث **وقوله** يتغنى بالقرآن أي يحسن صوته به ويكون
ذلك مع تحزن وترقيق في القراءة وقيل معناه يستغني به عن الناس والقول الأول
أولى ويدل عليه سياق الحديث وهو قوله يجهر به عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن **الفصل الثاني**
في وعيد من قال في القرآن برأيه من غير علم ووعيد من أوتي القرآن فنسيه ولم
يتعاهده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال
في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وفي رواية من قال في القرآن برأيه
أخرجه الترمذي وقال حديث حسن **قوله** فليتبوأ معناه فليتخذ له مباءة
أي منزلا من النار عن جندب بن عبد الملك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قال في كتاب الله عز وجل برأيه فأصاب فقد أخطأ أخرجه أبو داود والترمذي
وقال حديث غريب وسئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة
وأبا فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله بغير علم قال العلماء
النهي عن القول في القرآن بالرأي إنما ورد في حق من يتأول القرآن على مراد نفسه
وهو تابع لهواه وهذا لا يخلو إما أن يكون عن علم أو لا فإن كان عن علم كمن يحتج
ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أن المراد من الآية غير ذلك لكن
غرضه أن يلبس على خصمه بما يقوي حجته على بدعته كما يستعمله الباطنية والخوارج
وغيرهم من أهل البدع في المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس وإن كان القول
في القرآن بغير علم لكن عن جهل وذلك أن تكون الآية محتملة لوجه فيفسرها بغير ما
تحتمله من المعاني والوجوه فهذان التفسيران مذمومان وكلاهما داخل في النهي والوعيد
الوارد في ذلك فأما التأويل وهو صرف الآية على طريق الاستنباط إلى معنى يليق بها محتمل
لما قبلها وما بعدها وغير مخالف للكتاب والسنة فقد رخص فيه أهل العلم فإن الصحابة
رضي الله عنهم قد فسروا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه
من النبي صلى الله عليه وسلم ولكن على قدر ما فهموا من القرآن تكلموا في معانيه وقد دعا النبي
صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فكان أكثر
ما نقل عنه التفسير والله أعلم **ق** عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد

تنفلتا



تنفلتا من الإبل في عقلها **ق** عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقلة إن تعاهد عليها أمسكها وإن أطلقها
ذهبت الإبل المعقلة التي حبست بالعقال وهذا مثل ضربه لصاحب القرآن فيحثه
على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار لئلا ينسى **ق** عن عبد الله بن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي
استذكروا القرآن فإنه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها وفي رواية
لا يقول أحدكم نسيت آية كذا وكذا بل هو نسي قوله بئس ما لأحدهم أي بئست
الحالة حالة من حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسيه **قوله** لا يقول أحدكم نسيت
آية كذا وكذا معناه إنما كره نسبة النسيان إلى النفس لأجل أن الله تعالى هو المقدر
للأشياء كلها وهو الذي أنساه إياه وقيل النسيان الترك فكره أن يقول تركت القرآن
وقصدت إلى نسيانه **وقوله** بل نسي هو بضم النون وتشديد السين وفتح الياء أي
عوقب بالنسيان على ذنب صدر منه أو لسوء تعهده القرآن **وقوله** أشد تفصيا
أي خروجا من صدور الرجال وفي معناه تفلتا من الإبل في عقلها أي تخلصا من العقال
وهو الحبل الذي يربط به عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من امرئ يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي الله يوم القيامة أجذم أخرجه
أبو داود الأجذم قيل هو مقطوع اليد وقيل هو مقطوع الحجة وقيل هو الذي به جذام
عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي أجور
أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم
من سورة في القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث
غريب **ق** عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو أراد بالقرآن المصحف
ولا يجوز حمله إلى أرض العدو وهي بلاد الكفار للنهي الوارد ولو كتب إليهم كتابا فيه
آية من القرآن فلا بأس بذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى هرقل ملك الروم
قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم عن عمران بن حصين أنه مر على رجل
يقرأ ثم سأل فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ
القرآن فليسأل الله به فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون به الناس أخرجه
الترمذي عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما آمن بالقرآن من استحل
محارمه أخرجه الترمذي وقال ليس إسناده بالقوي عن عقبة بن عامر قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن
كالمسر بالصدقة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب **الفصل الثالث**
في جمع القرآن وترتيب نزوله وفي كون نزوله على سبعة أحرف **خ** عن زيد بن ثابت
قال بعث إلي أبو بكر لمقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر إن عمر جاءني فقال إن
القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن

فيذهب من القران كثير واني ارى ان تامر بجمع القران قال قلت لعمر كيف افعل شيئا لم
يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعني في ذلك
حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ورايت في ذلك الذي راي عمر فقال
ابو بكر انك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فتتبع القران فاجمعه قال زيد فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال كان اثقل علي مما امرني
به من جمع القران فقلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ابو بكر هو والله خير فلم يزل ابو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر
ابي بكر وعمر ورايت في ذلك رايا قال فتتبعت القران اجمعه من الرقاع والعسب واللخاف
وصدور الرجال حتى وجدت اخر سورة التوبة مع خزيمة او مع ابي خزيمة الانصاري
فلم اجدها مع احد غيره لقد جاءكم رسول من انفسكم خاتمة سورة براءة فالحقتها في
سورتها قال فكانت الصحف عند ابي بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى
توفاه ثم عند حفصة بنت عمر قال بعض الرواة اللخاف يعني الخزف **خ** عن انس ان
حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي اهل الشام في فتح ارمينية واذربيجان
مع اهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال لعثمان يا امير المومنين
ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فارسل
عثمان الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت
بها اليه فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الله بن الحارث
ابن هشام رضي الله عنهم فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين
اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القران فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل
بلسانهم ففعلوا حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وارسل
الى كل افق بمصحف مما نسخوا وامر بما سوى ذلك من القران في كل صحيفة او مصحف ان
يحرق قال ابن شهاب واخبرني خارجة بن زيد انه سمع من زيد بن ثابت يقول فقدت
اية من سورة الاحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقراها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المومنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقناها في سورتها في المصحف قال في رواية اليمان
مع خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين
زاد في رواية قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ في التابوت فقال زيد التابوه وقال
عبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم الى عثمان فقال اكتبوه
التابوت فانه بلسان قريش **شرح** غريب الفاظ الاحاديث وما يتعلق بها **قوله**
بعث الي ابو بكر لمقتل اهل اليمامة اي لاوان قتلهم واراد بها الواقعة التي كانت باليمامة
في زمن ابي بكر الصديق وهي واقعة الردة مع اصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قراء
القران واليمامة مدينة باليمن على يومين من الطايف وهي على اربعة ايام من مكة
ولها عمائر وهي في مقدار ارض نجد **قوله** استحر القتل اي كثر ويذهب المكروه الى





الحر والمحبوب الى البرد وشرح الصدر اي سعته وقبوله الخير **قوله** فتتبعت القران
اجمعه من الرقاع جمع رقعة وهي ما يكتب فيها والعسب بضم العين والسين المهملتين
جمع عسيب وهو جريد النخل وسعفه واللخاف حجارة بيض رقاق واحدتها لخفة **قوله**
يغازي اهل الشام اي مع اهل الشام في فتح ارمينية بكسر الهمزة وتخفيف اليا الاخير
سميت بارمين ابن لنطي بن لومن بن يافث بن نوح وهو اول من نزلها سميت باسمه واذربيجان
بفتح الهمزة وسكون الذال وغير ذلك في ضبطها وقال ابن جني فيها خمس موانع من الصرف
التعريف والتانيث والعجمة والتركيب والالف والنون وهو موضع من بلاد العجم
يشتمل على بلاد كثيرة **قوله** حتى وجدت اخر سورة التوبة مع خزيمة او ابي خزيمة
ابن ثابت الانصاري وفي الحديث الاخر فقدت اخر سورة الاحزاب الى قوله فوجدنا
مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية
فاعلم ان المذكور في الحديث الاول غير المذكور في الحديث الثاني واما قضيتان فاما
المذكور في الحديث الاول فهو ابو خزيمة بن اوس بن زيد بن اصرم بن ثعلبة بن عمرو
ابن مالك بن النجار الانصاري شهد بدرا وما بعدها وتوفي في خلافة عثمان وهو
الذي وجدت عنده اخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبد البر واما المذكور في
الحديث الثاني فهو ابو عمارة خزيمة بن ثابت بن فاكه بن ثعلبة بن ساعدة الخطمي
الاوسي الانصاري يعرف بذي الشهادتين شهد بدرا وما بعدها وقتل يوم صفين
مع علي بن ابي طالب **قوله** فقدت اية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها
مع خزيمة معناه انه كان يتطلب نسخ القران من الاصل الذي كتب بامر النبي
صلى الله عليه وسلم وبين يديه فلم يجد تلك الاية الا مع خزيمة وليس فيها اثبات
القران بقول الواحد لان زيدا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلم موضعها من سورة الاحزاب بتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
صرح به الحديث قد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقراها وتتبعه
الرجال كان للاستظهار لا لاستحداث علم بان القران العظيم كان محفوظا عند
زيد وغيره من الصحابة فقد ثبت في الصحيح عن انس قال جمع القران على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وابو زيد وزيد
يعني ابن ثابت قلت لانس من ابو زيد قال احد عمومتي اخرجاه في الصحيحين اسم ابي زيد
سعد بن عبيد واخرج الترمذي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خذوا القران من اربعة من ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل
وسالم مولى ابي حذيفة قال حديث حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه
انه استحر القتل بقراء القران فثبت بمجموع هذه الاحاديث ان القران كان على هذا
التاليف والجمع في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما ترك جمعه في مصحف واحد
لان النسخ كان يرد على بعضه ويرفع الشيء بعد الشيء من التلاوة كما كان ينسخ بعض
احكامه فلم يجمع في مصحف واحد ثم لو رفع بعض تلاوته ادى ذلك الى الاختلاف واختلاط

بيجان

امرا لدين فحفظ الله كتابه في القلوب الى انقضا زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفا الراشدون
رضي الله عنهم وثبت بالدليل الصحيح ان الصحابة انما جمعوا القران بين الدفتين كما
انزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من غير ان زادوا فيه او نقصوا منه
شيا والذي حملهم على جمعه ما جا مبينا في الحديث وهو انه كان مفرقا في العسب
واللخاف وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته ففزعوا فيه الى خليفة
رب العالمين صلى الله عليه وسلم الى ابي بكر فدعوه الى جمعه فراى في ذلك رايهم فامر
بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
من غير ان قدموا او اخروا شيا او وضعوا له ترتيبا لم ياخذوه من رسول الله صلى الله
عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن اصحابه ويعلمهم ما ينزل عليه من القران
على الترتيب الذي هو الان في مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام اياه على ذلك
واعلامه عند نزول كل اية ان هذه الاية تكتب عقيب اية كذا في سورة كذا فثبت
ان سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه وان القران مكتوب في
اللوح المحفوظ على النحو الذي هو في مصاحفنا الان وقد صح في حديث ابن عباس ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض القران على جبريل في كل عام مرة في رمضان
وانه عرضه في العام الذي توفي فيه مرتين ويقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة
الاخيرة التي عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل وهي العرضة التي نسخ
فيها ما نسخ وبقي ما بقي ولهذا قدم ابو بكر زيد بن ثابت في كتابة المصحف والزمه
بها لانه قرا على النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفي فيه مرتين فكان جمع
القران سببا لبقايه في الامة رحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقا لوعده
في حفظه على ما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون واعلم ان الله تعالى
انزل القران المجيد من اللوح المحفوظ جملة واحدة الى سما الدنيا في شهر رمضان في
ليلة القدر ثم كان ينزله مفرقا على لسان جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه
وسلم مدة رسالته نجوما عند الحاجة وحدوث ما يحدث على ما يشا الله تعالى وترتيب
نزول القران غير ترتيبه في القراءة والمصحف فاما ترتيب نزوله على رسول الله صلى الله
فاول ما نزل من القران بمكة اقرا باسم ربك الذي خلق ثم نون والقلم ثم يا ايها المزمل
ثم المدثر ثم تبت يدا ابي لهب ثم اذا الشمس كورت ثم سبح اسم ربك الاعلى ثم
والليل اذا يغشى ثم والفجر ثم والضحى ثم الم نشرح ثم والعصر ثم والعاديات
ثم انا اعطيناك الكوثر ثم الهاكم التكاثر ثم ارايت ثم قل يا ايها الكافرون ثم الفيل
ثم قل هو الله احد ثم والنجم ثم عبس ثم سورة القدر ثم سورة البروج ثم التين
ثم لايلاف قريش ثم القارعة ثم القيامة ثم الهمزة ثم المرسلات ثم ق ثم سورة
البلد ثم الطارق ثم اقتربت الساعة ثم ص ثم الاعراف ثم الجن ثم يس ثم الفرقان
ثم فاطر ثم مريم ثم طه ثم الواقعة ثم الشعرا ثم النمل ثم القصص ثم بني اسرائيل
ثم يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم والصافات ثم لقمان ثم سبا

ثم الزمر



ثم الزمر ثم المومن ثم السجدة ثم حم عسق ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم الاحقاف
ثم الذاريات ثم الغاشية ثم الكهف ثم النحل ثم نوح ثم ابراهيم ثم الانبيا ثم المومنون
ثم تنزيل السجدة ثم الطور ثم الملك ثم الحاقة ثم سال سايل ثم عم يتساءلون ثم النازعات
ثم اذا السما انفطرت ثم اذا السما انشقت ثم الروم ثم العنكبوت واختلفوا
في اخر ما نزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال الضحاك وعطا المومنون وقال
مجاهد ويل للمطففين فهذا ترتيب ما نزل من القران بمكة فذلك ثمانية وثمانون
سورة على ما استقرت عليه روايات الثقات واما ما نزل بالمدينة فاحد وثلاثون
سورة فاول ما نزل بالمدينة سورة البقرة ثم الانفال ثم ال عمران ثم الاحزاب
ثم الممتحنة ثم النسا ثم اذا زلزلت الارض ثم الحديد ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم
ثم الرعد ثم سورة الرحمن ثم هل اتى على الانسان ثم الطلاق ثم لم يكن ثم لم يكن
ثم الحشر ثم الفلق ثم الناس ثم اذا جا نصر الله والفتح ثم النور ثم الحج ثم المنافقون
ثم المجادلة ثم الحجرات ثم التحريم ثم الصف ثم الجمعة ثم التغابن ثم الفتح ثم التوبة
ثم المايدة ومنهم من يقدم المايدة على التوبة فهذا ترتيب ما نزل من القران بالمدينة
واختلفوا في سور فقيل نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة وسنذكر ذلك في مواضعها
ان شا الله تعالى في كون القران نزل على سبعة احرف وما قيل في ذلك **ق** عن عمر بن
الخطاب رضي الله تعالى عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرا سورة الفرقان
في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرا على حروف
كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت اساوره في الصلاة فتصبرت
حتى سلم فلببته بردايه فقلت من اقراك هذه السورة التي سمعتك تقراها قال
اقرانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد اقرانيها على غير ما قرات فانطلقت به اقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله اني سمعت هذا يقرا سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا يا هشام فقرا عليه القراءة التي سمعته
يقراها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا انزلت ثم قال النبي صلى الله
عليه وسلم اقرا يا عمر فقرات القراءة التي اقرانيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هكذا انزلت ان هذا القران انزل على سبعة احرف فاقروا ما تيسر منه **قوله**
فكدت اساوره في الصلاة اي اواثبه واقاتله وهو في الصلاة والتربص التثبت **قوله**
فلببته بردايه هو بتشديد البا الاولى ومعناه اخذت بمجامع ردايه في عنقه وجررته
به ماخوذ من اللبة وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتنا بالقران والذب عنه والمحافظة
على لفظه كما سمعوه من غير عدول الى ما تجوزه العربية **واما** امر النبي صلى الله عليه وسلم
عمر بارساله فلانه لم يثبت عنده ما يقتضي تعزيره ولان عمر انما نسبه الى مخالفة
في القراءة والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم من جواز القراءة ووجوهها ما لا يعلمه عمر
ولانه اذا قرا وهو ملبب لا يتمكن من حضور القلب وتحقيق القراءة تمكن المطلق **قوله**

ان هذا القران انزل على سبعة احرف فاقرؤوا ما تيسر منه قال العلماء سبب انزاله على سبعة
احرف التخفيف والتسهيل واختلفوا في المراد بسبعة احرف فقيل هو توسعة وتسهيل
ولم يقصد به الحصر وقال الاكثرون هو حصر العدد في سبعة احرف ثم قيل هي في سبعة
من المعاني كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والامثال
والامر والنهي وقيل هي في صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القران من ادغام
واظهار وتفخيم وترقيق ومد وقصر وامالة لان العرب كانت مختلفة اللغات في
هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرا كل انسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه
وقال ابو عبيد هي سبع لغات من لغات العرب يمنها ومعدها وهي افصح لغات العرب
واعلاها وقيل هي لغة قريش وهوازن وهذيل واهل اليمن وقيل السبعة كلها
لمضر وحدها وهي متفرقة في القران العزيز غير مجتمعة في كلمة واحدة وقيل بل
هي مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت ونرتع ونلعب وباعد
بين اسفارنا وبعذاب بئيس وقيل سبع قراءات وهو الصحيح الموافق للحديث
لان هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه
الصحابة واثبتها عثمان والجماعة في المصاحف واخبروا بصحتها وحذفوا منها ما لم
يثبت متواترا وان هذه الاحرف تختلف معانيها تارة والفاظها اخرى وليست
متضادة ولا متباينة فاما من قال ان المراد بالاحرف السبعة معان مختلفة
كالاحكام والامثال والقصص فخطا محض لان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى
جواز القراءة بكل واحد من الحروف وابدال حرف بحرف وقد تقرر اجماع المسلمين
انه يحرم ابدال اية امثال باية احكام وقول من قال المراد خواتيم الاي فيجعل
مكان غفور رحيم سميع عليم فاسد ايضا وخطا للاجماع على انه لا يجوز تغيير
نظم القران والله اعلم (م) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اقراني جبريل على حرف فراجعته فزادني فلم ازل استزيده
ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف معنى الحديث لم ازل اطلب من جبريل ان يطلب
من الله عز وجل الزيادة في الاحرف للتوسعة والتخفيف ويسال جبريل ربه
عز وجل فيزيده حتى انتهى الى السبعة (م) عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال كنت
في المسجد فدخل رجل يصلي فقرا قراءة انكرتها عليه ثم دخل اخر فقرا قراءة سوى
قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت ان هذا قرا قراءة انكرتها عليه ودخل اخر فقرا قراءة سوى قراءة صاحبه
فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا فحسن النبي صلى الله عليه وسلم شانهما
فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية فلما راى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما غشيني ضرب على صدري ففضت عرقا وكانما انظر الى الله عز وجل فرقا
فقال لي يا ابي ارسل الي ان اقرا على حرف واحد فرددت عليه ان هون على امتي فرد
الي الثانية ان اقرؤه على حرفين فرددت اليه ان هون على امتي فرد الي الثالثة ان

اقرؤه



اقرؤه على سبعة احرف ولك بكل ردة رددتكها مسالة تسالنيها فقلت اللهم اغفر لامتي
اللهم اغفر لامتي واخرت الثالثة ليوم يرغب الي الناس كلهم حتى ابراهيم **قوله**
فسقط في نفسي من التكذيب ولا اذ كنت في الجاهلية معناه وسوس لي الشيطان
تكذيبا للنبوة اشد مما كنت عليه في الجاهلية لانه كان في الجاهلية غافلا ومشككا
فوسوس اليه الشيطان الجزم بالتكذيب وقيل معناه انه اعترته حيرة ودهشة ونزغ
الشيطان في قلبه تكذيبا لم يعتقده وهذه الخواطر اذا لم يستمر عليها الانسان
لا يؤاخذ بها **قوله** ضرب في صدري ففضت عرقا قال القاضي عياض ضربه صلى الله
عليه وسلم تثبيتا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم **قوله** وكانما انظر الى
الله فرقا الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى انه غشيه من الهيبة والخوف
والعظمة حين ضرب ما زال عنه ذلك الخاطر قوله ولك بكل ردة رددتكها مسالة
تسالنيها معناه مسالة مجابة قطعا واما باقي الدعوات فمرجوة الاجابة وليست
قطعية الاجابة والله اعلم روى البغوي بسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ان القران نزل على سبعة احرف لكل اية منه ويروى لكل حرف منه
ظهر وبطن ولكل حد ومطلع وقيل معناه الظهر لفظ القران والبطن تاويله وقيل
الظهر ما حدث عن اقوام انهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وفي الباطن عظة
وقيل الظهر التلاوة باللسان كما انزل والبطن التدبر والتفهيم والتفكر بالقلب
فالتلاوة باللسان تكون بالتعليم والتلقين والتدبر والتفهم يكون بصدق النية
وتعظيم الحرمة واخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال المحض **قوله** ولكل مطلع معناه
مصعد يصعد اليه من معرفة علمه وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر
والمتفكر في القران العزيز من التاويل والمعاني ما لا يفتحه على غيره وفوق كل ذي علم
عليم والله اعلم **فصل** في معنى التفسير والتاويل فاما التفسير فاصله
في اللغة من الفسر وهو كشف ما غطي وهو بيان المعاني المعقولة فكل ما يعرف به الشيء
ومعناه فهو تفسير وقد يقال فيما يختص بمفردات الالفاظ وغريبها تفسير وقيل هو
من التفسرة وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض فكذلك
المفسر يكشف عن معنى الاية وشانها وقصصها واما التاويل فاشتقاقه من الاول
وهو الرجوع الى الاصل يقال اولته اي صرفته فانصرف وهو رد الشيء الى الغاية والمراد
منه بيان غايته المقصودة منه فالتاويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة
للفظ الاية والفرق بين التفسير والتاويل ان التفسير يتوقف على النقل المسموع
والتاويل يتوقف على الفهم الصحيح والله اعلم **القول** في الاستعاذة ولفظها
المختار اعوذ بالله من الشيطان الرجيم لموافقة قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم ومعنى اعوذ بالله التجئ اليه وامتنع به مما اخشاه من عاذ
يعوذ والشيطان اصله من شطن اي تباعد من الرحمة وقيل من شاط يشيط اذا هلك
واحترق غضبا والشيطان اسم لكل عات متمرد من الجن والانس وشيطان الجن مخلوق

من قوة النار فلذلك فيه القوة الغضبية الرجيم وقيل بمعنى فاعل اي يرجم بالوسوسة
والشر وقيل بمعنى مفعول اي مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم بمعنى مطرود عن الرحمة
وعن الخيرات وعن منازل الملا الاعلى واما حكم الاستعاذة ففيه مسايل **المسئلة**
**الاولى** اتفق الجمهور ان الاستعاذة سنة في الصلوات فلو تركها لم تبطل صلاته سوا
تركها عمدا او سهوا ويستحب لقاري القران خارج الصلاة ان يتعوذ ايضا وحكي عن
عطا وجوبها سوا كانت في الصلاة او غيرها وقال ابن سيرين ان تعوذ الرجل في عمره مرة
واحدة كفي في اسقاط الوجوب دليل الوجوب ظاهر قوله تعالى فاستعذ والامر للوجوب
وان النبي صلى الله عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون واجبا ودليل الجمهور ان النبي
صلى الله عليه وسلم لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة اعمال الصلاة وتاخير البيان
عن وقته غير جايز **واجيب** عن قوله تعالى فاستعذ بالله بان معناه عند جماهير
العلما اذا اردت القراة فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا معناه اذا اردتم
القيام الى الصلاة **واجيب** عن مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم بانه صلى الله
عليه وسلم واظب على اشيا كثيرة من افعال الصلاة ليست بواجبة كتكبيرات الانتقال
والتسبيحات في الصلاة فكان التعوذ مثلها **المسئلة الثانية** ووقت الاستعاذة
قبل القراة عند الجمهور سوا في الصلاة او خارجها **وحكي** عن النخعي انه بعد القراة
وهو قول داود واحدى الروايتين عن ابن عباس حجة الجمهور ما روي عن ابي سعيد الخدري
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول الله اكبر كبيرا ثم يقول
اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه اخرجه الترمذي
وقال هذا الحديث اشهر حديث في الباب وقد تكلم في بعض رجاله وقال احمد لا يصح واخرجه ابو
داود والنساي عن ابي سعيد نحوه وعن جبير بن مطعم انه راي النبي صلى الله عليه وسلم
يصلي صلاة قال عمر ولا ادري اي صلاة هي قال الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا والحمد لله
كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه
ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود وقال
الموتة الجنون لان من جن فقد مات عقله وقيل همزه هو الذي يوسوسه في الصلاة
ونفخه هو الذي يلقيه من الشبه في الصلاة ليقطع عليه صلاته واحتج مخالف الجمهور
بظاهر قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ **واجيب** عنه بما تقدم وقال
مالك لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ في قيام رمضان بعد القراة على ما تقدم من الدليل
**المسئلة الثالثة** المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعي اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم وبه قال ابو حنيفة لموافقته قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولحديث
جبير بن مطعم وقال احمد الاولى ان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
جمعا بين هذه الاية وبين قوله تعالى فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وقال الثوري
والاوزاعي الاولى ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم





وبالجملة فالاستعاذة تطهر القلب عن كل شي يشغله عن الله تعالى ومن لطايف الاستعاذة
ان قوله اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالعجز والضعف واعتراف من
العبد بقدرة الباري عز وجل وانه الغني القادر على دفع جميع المضرات والافات واعتراف
من العبد ايضا بان الشيطان عدو مبين ففي الاستعاذة التجا الى الله تعالى القادر على
دفع وسوسة الشيطان الغوي الفاجر وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله تعالى
والله اعلم **تفسير سورة الفاتحة** وهي سبع ايات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة
وماية واربعون حرفا واختلف العلما في نزولها فقيل نزلت بمكة وهو قول اكثر العلما
وقيل نزلت بالمدينة وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وسبب
ذلك التنبيه على شرفها وفضلها ولها عدة اسما وكثرة الاسما تدل على شرف المسمى وفضله
**فاول ذلك** فاتحة الكتاب سميت بذلك لانه بها افتتح القران وبها تفتتح كتابة
المصاحف وبها تفتتح الصلاة **الثاني** سورة الحمد سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله
**الثالث** ام القران وام الكتاب سميت بذلك لانها اصل القران وام كل شي اصله
وقيل هي امام لما يتلوها من السور **الرابع** السبع المثاني سميت بذلك لانها تثنى في
الصلاة فتقرا في كل ركعة وقيل ان الله تعالى استثناها لهذه الامة وذخرها لهم لم
ينزلها على غيرهم وقيل لانها نزلت مرتين **الخامس** الوافية سميت بذلك لانها لا
تنقسم في القراة في الصلاة كما ينقسم غيرها من السور **السادس** الكافية سميت بذلك
لانها تكفي عن غيرها في الصلاة ولا يكفي عنها غيرها **فصل** في ذكر فضلها خ عن ابي سعيد
ابن المعلا قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم
اتيته فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم ثم قال لي الا اعلمك سورة هي اعظم السور في القران قبل ان تخرج من المسجد
ثم اخذ بيدي فلما اراد ان يخرج فقلت له الم تقل لاعلمنك سورة هي اعظم سورة
في القران قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته
ورواه مالك في الموطا عنه وقيل فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نادى ابي بن كعب
وهو يصلي وذكر نحوه وفيه حتى تعلم سورة ما انزلت في التوراة ولا في الانجيل ولا في
الزبور مثلها ورواه الترمذي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على ابي وهو
يصلي وذكر نحوه رواية الموطا وقال فيه حديث حسن صحيح عن ابي بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل ام القران
وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال اخرجه الترمذي
والنساي عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ام القران
وام الكتاب والسبع المثاني اخرجه ابو داود وقال الترمذي وقال حديث حسن صحيح م
عن ابن عباس قال بينا جبريل قاعد عند رسول الله سمع نقيضا من فوقه فرفع راسه
فقال هذا باب من السما فتح اليوم ولم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا
ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما

نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف الا اعطيته **قوله** سمع
نقيضا هو بالقاف والضاد المعجمة اي صوتا كصوت فتح الباب م عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بام القرآن فهي خداج
هي خداج هي خداج غير تمام قال فقلت يا ابا هريرة انا احيانا نكون وراء الامام فغمز
ذراعي وقال اقرأها في نفسك يا فارسي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها
لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل
**قوله** فهي خداج اي ناقصة فغمز ذراعي اي لمس ساعدي بيده **قوله** قسمت
الصلاة اي اراد بالصلاة هنا القراءة لانه فسرها بها ولان القراءة ركن من اركانها
وجزء من اجزائها **قوله** نصفين حقيقة هذه القسمة التي جعلها بينه وبين عبده
راجعة الى المعنى لا الى اللفظ لان هذه السورة من جهة المعنى نصفها ثنا ونصفها
مسئلة ودعا وقسم الثنا انتهى عند قوله تعالى اياك نعبد وقوله واياك نستعين
من قسم الدعا ولهذا قال هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل قوله تعالى حمدني
عبدي ومجدني اي اثنى علي لان الحمد هو الثنا بجميل الفعال والتمجيد الثنا بصفات
الجلال وقيل التمجيد التعظيم قوله وربما قال فوض الي عبدي وجه مطابقته هذا
لقوله مالك يوم الدين يقال فلان فوض امره الى فلان اذا رده اليه وعول فيه عليه وفي
الحديث دليل على وجوب قراءة الفاتحة وانها متعينة وهو مذهب الشافعي وجماعة
وسنأتي هذه المسئلة ان شا الله تعالى بعد ذكر تفسير الفاتحة والله اعلم

## بسم الله الرحمن الرحيم

البا في بسم الله حرف خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به مضمر محذوف
لدلالة الكلام عليه تقديره ابدأ بسم الله او بسم الله ابدا او اقرأ وانما طولت
البا في بسم واسقطت الالف طلبا للخفة وقيل لما اسقطوا الالف ردوا طوله
على البا ليدل طولها على الالف المحذوفة واثبت الالف في قوله تعالى فسبح باسم
ربك العظيم لقلة استعماله وقيل انما طولوا البا لانهم ارادوا ان يستفتحوا
كتاب الله بحرف معظم وقيل البا حرف منخفض الصورة فلما اتصلت بسم الله
ارتفعت واستعملت وقيل ان عمر بن عبد العزيز كان يقول لكتابه طولوا البا
من بسم الله واظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله عز وجل والاسم
هو المسمى عينه وذاته قال الله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى ثم نادى الاسم
فقال يا يحيى وقال سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك وهذا القول ليس بقوي والصحيح
المختار ان الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم ما تعرف به ذات الشي وذلك
لان الاسم هو الاصوات المقطعة والحروف المؤلفة الدالة على ذات الشي المسمى به
فثبت بهذا ان الاسم غير المسمى وايضا فقد تكون الاسما كثيرة والمسمى واحد كقوله





تعالى ولله الاسما الحسنى وقد يكون الاسم واحدا والمسميات به كثيرة كالاسما المشتركة
وذلك يوجب المغايرة وايضا فقوله فادعوه بها امر ان يدعا الله تعالى باسمائه فالاسم
آلة الدعا والمدعو هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات المدعو وبين اللفظ المدعو
به **واجيب** عن قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى بان المراد ذات الشخص
المعبر عنه بيحيى لا نفس الاسم **واجيب** عن قوله تعالى فسبح باسم ربك وتبارك
اسم ربك بان معنى هذه الالفاظ الاسم الى الله تعالى واضافة الشي الى نفسه محال
وقيل كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى عن النقص فكذلك يجب تنزيه اسمائه وكون
الاسم غير التسمية هو ان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشي
فالاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر واختلفوا في اشتقاق الاسم
فقال البصريون من السمو وهو العلو فاسم الشي ما علاه حتى ظهر به وعلا عليه فكانه
علا على معناه وصار علما وقال الكوفيون من السمة وهي العلامة فكان علامة لمسماه
وحجة البصريين لو كان اشتقاقه من السمة لكان تصغيره وسيم وجمعه اوسام واجمعوا
على ان تصغيره سمي وجمعه اسما واسامي **الله** هو اسم علم خاص لله تعالى تفرد
به الباري سبحانه وتعالى ليس بمشتق ولا يشركه فيه احد وهو الصحيح المختار دليله
قوله تعالى هل تعلم له سميا يعني لا يقال لغير الله وقيل هو مشتق من اله يأله الاهة
مثل عبد الرجل يعبد عبادة دليله ويذرك والهتك اي وعبادتك وقيل معناه
المستحق للعبادة دون غيره وقيل من الوله اي الفزع لان الخلائق يولهون اليه اي
يفزعون اليه في حوائجهم قال بعضهم

ولهت اليكم في بلايا تنوبني • فالفيتكم فيها كرايم محتدا •

وقيل اصله اله يقال الهت الى فلان اي سكنت اليه فكان الخلق يسكنون اليه ويطمئنون
بذكره وقيل اصله ولاه فابدلت الواو همزة سمي بذلك لان كل مخلوق واله نحوه اما
بالتسخير واما بالارادة ومن هذا قيل الله محبوب كل الاشيا يدل عليه وان من شي الا يسبح
بحمده ومن خصائص هذا الاسم انك اذا حذفت منه شيا بقي الباقي يدل عليه فان حذفت
الالف بقي لله وان حذفت اللام واثبت الالف بقي اله وان حذفتهما بقي له وان حذفت
الالف واللامين معا بقي هو والواو عوض عن الضمة وذهب بعضهم الى ان هذا الاسم
هو الاسم الاعظم لانه يدل على الذات وباقي الاسما تدل على الصفات **الرحمن الرحيم**
قال ابن عباس هما اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر قيل هما بمعنى مثل ندمان
ونديم ومعناهما ذو الرحمة وانما جمع بينهما للتاكيد وقيل ذكر احدهما بعد الاخر
تطميعا لقلوب الراغبين اليه وقيل الرحمن فيه معنى العموم والرحيم فيه الخصوص
فالرحمن بمعنى الرازق في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق المؤمن والكافر والرحيم
بمعنى العفو الكافي للمومنين في الاخرة فهو على الخصوص ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم
الاخرة ورحمة الله اي ارادة الخير والاحسان لاهله وقيل هو ترك عقوبة من يستحق
العقاب واسدا الخير والاحسان الى من لا يستحق فهو على الاول صفة ذات وعلى الثاني

صفة فعل وقيل الرحمن يكشف الكروب والرحيم يغفر الذنوب وقيل الرحمن بتبيين
الطريق والرحيم بالعصمة والتوفيق **فصل** في حكم البسملة وفيه
مسائل المسألة الاولى في كون البسملة من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة
اختلف العلماء في ذلك فذهب الشافعي وجماعة من العلماء الى انها اية من الفاتحة ومن
كل سورة ذكرت في اولها سوى سورة براءة وهو قول ابن عباس وابن عمر وابي هريرة
وسعيد بن جبير وعطا وابن المبارك واحمد في احدى الروايتين عنه واسحاق ونقل
البيهقي هذا القول عن علي بن ابي طالب والزهري والثوري ومحمد بن كعب وذهب الاوزاعي
ومالك وابو حنيفة الى ان البسملة ليست اية من الفاتحة زاد ابو داود ولا من غيرها
من السور وانما هي بعض اية في سورة النمل وانما كتبت للفصل والتبرك قال مالك
ولا يستفتح بها في الصلاة المفروضة وللشافعي قول انها ليست من اوايل السور
مع القطع بانها من الفاتحة **فاما** حجة من منع كون البسملة اية من الفاتحة ومن غيرها
حديث انس المشهور المخرج في الصحيحين وحديث عايشة قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين قالوا
ولان اول ما نزل به جبريل اقرا باسم ربك الذي خلق ولم يذكر البسملة في اولها
فدل على انها ليست منها قالوا ولان محل القران لا يثبت الا بالتواتر والاستفاضة
ولان الصحابة اجمعوا على عدد كثير من السور منها سورة الملك ثلاثون اية وسورة
الكوثر ثلث ايات وسورة الاخلاص اربع ايات فلو كانت البسملة منها لكانت
خمسا **واما** حجة من ذهب الى اثباتها في اوايل السور من جهة النقل فقد صح عن
ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا البسملة في اول الفاتحة في الصلاة
وعدها اية منها وعن ابن عباس في قوله ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران
العظيم قال هي فاتحة الكتاب قال فاين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم
اخرجهما ابن خزيمة وغيره وروي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم
فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم اخرجه ابو داود والحاكم ابو عبد الله
في مستدركه وقال فيه انه صحيح على شرط الشيخين وروى الدارقطني عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قراتم الحمد لله فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم
فانها ام القران وام الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى اياتها قال
الدارقطني في رجال اسناده كلهم ثقات وروي موقوفا وروى الدارقطني عن ام سلمة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرا بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب
العالمين الى اخرها قطعها اية وعدها اية عد الاعراب وعد بسم الله الرحمن الرحيم
اية ولم يعد عليهم واخرج مسلم في افراده عن انس قال بينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك
يا رسول الله قال انزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك
الكوثر الحديث قال البيهقي احسن ما احتج به اصحابنا في ان بسم الله الرحمن الرحيم

من





من القران وانها من فواتح السور سوى سورة براءة ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز
وجل في المصاحف وانهم كتبوا فيها بسم الله الرحمن الرحيم على راس كل سورة سوى سورة
براءة فكيف يتوهم متوهم انهم كتبوا فيها ماية وثلاثة عشر اية ليست من القران قال
وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس انه كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم اية
من الفاتحة وروى الشافعي بسنده عن ابن عمر انه كان لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم
لام القران والسورة التي بعدها زاد غيره عنه كان يقول لما كتبت في المصحف لم تقرا
وروى الشافعي عن ابن عباس انه كان يفعله ويقول انتزع الشيطان منهم خير اية
في القران وفي افراد البخاري من حديث انس انه سيل كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد الرحمن ويمد الرحيم
فقد ثبت بهذه الادلة الصحيحة الواضحة ان البسملة من الفاتحة ومن كل موضع
ذكرت فيه وايضا فاجمعوا الصحابة على اثباتها في المصاحف وانهم طلبوا بكتابة
المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرانا وتدوينه
من ان يزيدوا فيه او ينقصوا منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة امين وان كان قد ورد انه
كان يقولها بعد الفاتحة فلو لم تكن البسملة من القران في اوايل السور لما كتبوها
وكان حكمها حكم امين **المسئلة الثانية** في حكم الجهر بالبسملة والاسرار اذا
ثبت بما تقدم من الادلة ان البسملة اية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث
كتبت كان حكمها في الجهر والاسرار حكم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة في الصلاة
الجهرية ويسر بها مع الفاتحة في الصلاة السرية وممن قال بالجهر من الصحابة ابو
هريرة وابن عباس وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير وابو
قلابة والزهري وعكرمة وعطا وطاوس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن عبد الله
ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد بن اسلم
ومكحول وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن دينار ومسلم بن خالد واليه ذهب الشافعي
واحد قولي ابن وهب صاحب مالك ويحكى ايضا عن ابن المبارك وابو ثور وممن ذهب
الى الاسرار بها من الصحابة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعمار بن ياسر
وابن معقل وغيرهم ومن التابعين فمن بعدهم الحسن والشعبي وابراهيم النخعي
وقتادة والاعمش والثوري واليه ذهب مالك وابو حنيفة واحمد وغيرهم **اما**
حجة من قال بالجهر فقد روى جماعة من الصحابة منهم ابو هريرة وابن عباس وانس
وعلي بن ابي طالب وسمرة بن جندب وام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم جهر
بالبسملة فمنهم من صرح بذلك ومنهم من فهم ذلك من عبارته ولم يرد في صريح الاسرار
بها عن النبي صلى الله عليه وسلم الا روايتان احداهما ضعيفة وهي رواية عبد الله
ابن معقل والاخرى عن انس وهي في الصحيح وهي معللة بما اوجب سقوط الاحتجاج
بها وروى نعيم بن عبد الله المجمر قال صليت وراء ابي هريرة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم
ثم قرا بام القران وذكر الحديث وفيه ثم يقول اذا سلم اني لاشبهكم صلاة برسول الله

صلى الله عليه وسلم اخرجه النسائي وابن خزيمة في صحيحه وقال اما الجهر ببسم الله
الرحمن الرحيم فقد ثبت وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى الدارقطني عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم
وذكر الحديث قال الدارقطني اسناده كلهم ثقات وعن ابن عباس قال كان النبي صلى الله
عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني وقال ليس في روايته
مجروح واخرجه الحاكم ابو عبد الله وقال اسناده صحيح وليس له علة وفي رواية عن
ابن عباس قال كان رسول الله يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه
الدارقطني وقال صحيح ليس في اسناده مجروح واخرجه الترمذي وقال ليس اسناده
بذاك قال الشيخ ابو اسامة اي لا يماثل اسناده ما في الصحيح ولكن اذا انضم اليها
تقدم من الادلة رجح على ما في الصحيح وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يجهر بالقراءة ببسم الله الرحمن الرحيم اخرجه الدارقطني وقال اسناده
صالح وفيه عن محمد بن ابي السري العسقلاني قال صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا
احصي صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب
وبعدها وسمعت المعتمر يقول ما الوا ان اقتدي بصلاة انس بن مالك وقال انس
ابن مالك ما الوا ان اقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الدارقطني
وقال كلهم ثقات واخرجه الحاكم ابو عبد الله وقال رواة هذا الحديث عن اخرهم كلهم
ثقات قلت وفي الباب احاديث وادلة وايرادات واجوبة من الجانبين يطول ذكرها
وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق والله اعلم قوله عز وجل **الحمد لله**
لفظه خبر كانه سبحانه وتعالى يخبر ان المستحق للحمد هو الله تعالى ومعناه الامر
اي قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه والحمد والمدح اخوان وقيل بينهما
فرق وهو ان المدح قد يكون للاحسان وبعده والحمد لا يكون الا بعد الاحسان وقيل
ان المدح قد يكون منهيا عنه واما الحمد فمامور به والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة
ويكون بمعنى الثنا بجميل الافعال تقول حمدت الرجل على علمه وكرمه والشكر لا يكون
الا على النعمة فالحمد اعم من الشكر اذ لا تقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر وليس
كل شاكر حامدا وقيل الحمد باللسان قولا والشكر بالاركان فعلا والحمد ضد الذم
واللام في لله لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعني انه المستحق للحمد لانه
المحسن المتفضل على كافة الخلق على الاطلاق **رب العالمين** بمعنى المالك كما يقال
رب الدار ورب الشيء اي مالكه ويكون بمعنى التربية والاصلاح يقال رب فلان
الضيعة يربها اذا اصلحها فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم ولا يقال
الرب للمخلوق معرفا بل يقال رب الشيء مضافا والعالمين جمع عالم ولا واحد له من
لفظه وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق وقال ابن عباس
هم الجن والانس لانهم المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم لذوي العلم من الملائكة
والجن والانس ولا يقال للبهائم عالم لانها لا تعقل واختلف في مبلغ عددهم فقيل



لله الف عالم ستمائة عالم في البحر واربعمائة في البر وقيل ثمانون الف عالم اربعون
الفا في البر ومثلهم في البحر وقيل ثمانية عشر الف عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران
في الخراب الا كفسطاط في صحرا الفسطاط الخيمة واشتقاق العالم من العلم وقيل من العلامة
وانما سمي بذلك لانه دال على الخالق سبحانه وتعالى **الرحمن الرحيم** فالرحمن هو المنعم
بما لا يتصور صدور جنسه من العباد والرحيم هو المنعم بما يتصور صدور جنس تلك
النعمة من العباد فلا يقال لغير الله رحمن ويقال لغيره من العباد رحيم فان قلت قد
سمي مسيلمة الكذاب برحمن اليمامة وهو قول شاعرهم فيه • وانت غيث الورى لا زلت
رحمانا • قلت هو من باب تعنتهم في كفرهم ومبالغتهم في مدح صاحبهم فلا يلتفت الى قولهم
هذا فان قلت قد ذكر الرحمن الرحيم في البسملة فما فائدة تكريرهما هنا مرة ثانية
قلت ليعلم ان العناية بالرحمة اكثر من غيرها من الامور وان الحاجة اليها اكثر فنبه
سبحانه وتعالى بتكرير ذكر الرحمة على كثرتها وانه هو المتفضل على خلقه قوله تعالى
**مالك يوم الدين** يعني انه تعالى صاحب ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزا والملك هو
المتصرف بالامر والنهي وقيل هو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا
يقدر على ذلك الا الله تعالى وقيل ملك اوسع من مالك لانه يقال مالك العبيد والدابة
ولا يقال ملك هذه الاشيا وانه لا يكون ملكا لشيء الا وهو يملكه وقيل ملك اولى لان كل
ملك مالك وليس كل مالك ملك وقيل هما بمعنى واحد مثل فرهين وفارهين قال ابن عباس
مالك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقيل الدين الجزا يقع على الخير والشر يقال كما تدين
تدان وقيل هو يوم لا ينفع فيه الا الدين وقيل الدين القهر يقال دنته فدان اي قهرته
فذل فان قلت لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها قلت لان الملاك
الاملاك يومئذ زايلة فلا ملك ولا امر يومئذ الا لله تعالى كما قال تعالى الملك يومئذ
الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقد يسمى في دار الدنيا احاد الناس
بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة قوله تعالى **اياك نعبد** رجع من الخبر الى الخطاب
وفائدة ذلك ان من اول السورة الى ههنا ثنا والثنا في الغيبة اولى ومن قوله اياك نعبد
دعا والخطاب في الدعا اولى وقيل فيه ضمير اي قولوا اياك نعبد والمعنى اياك نخص
بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل
وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذي يؤدي به الفرض
لتعظيم الله تعالى فقول العبد اياك نعبد معناه لا اعبد احدا سواك والعبادة غاية
التذلل من العبد وغاية التعظيم للرب سبحانه لانه العظيم المستحق للعبادة ولا
تستعمل العبادة الا في الخضوع لله تعالى لانه مولي اعظم النعم وهي ايجاد العبد من
العدم الى الوجود ثم هداه الى دينه فكان العبد حقيقا بالخضوع والتذلل له **واياك
نستعين** اي منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع امورنا فان قلت الاستعانة
على العمل انما تكون قبل الشروع فيه فلم اخر الاستعانة على العبادة وما الحكمة
فيه قلت ذكروا فيه وجوها احدها ان هذا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل

ونحن نحمد الله بجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتاخير
الثاني ان الاستعانة نوع تعبد فكانه ذكر جملة العبادة اولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها
ثانيا الثالث كان العبد يقول شرعت في العبادة فانا استعين بك على تمامها فلا يمنعني
من اتمامها مانع الرابع ان العبد اذا قال اياك نعبد حصل له العجز وذلك منزلة عظيمة
فيحصل بسبب ذلك العجب فاردف ذلك بقوله واياك نستعين ليزول ذلك العجب
الحاصل بسبب تلك العبادة **اهدنا الصراط المستقيم** اي ارشدنا وقيل ثبتنا وهو
كما تقول للقايم قم حتى اعود اليك ومعناه دم على ما انت عليه وهذا الدعا من المومنين
مع كونهم على الهداية بمعنى سوال التثبيت وطلب مزيد الهداية لان الالطاف والهدايات
من الله لا تتناهى من الله وهذا مذهب اهل السنة والصراط الطريق قال جرير امير المومنين
على صراط اذا اعوج الموارد مستقيم اي على طريقة حسنة قال ابن عباس
هو دين الاسلام وقيل هو القران وروي ذلك مرفوعا وقيل السنة والجماعة وقيل
معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة **صراط الذين انعمت عليهم** هذا بدل من الاول
اي الذي مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الانبيا والمؤمنون الذين ذكرهم الله
في قوله اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين
وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم واهل بيته **غير المغضوب عليهم** يعني غير صراط الذين غضبت عليهم
والغضب في الاصل هو ثوران دم القلب ارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
اتقوا الغضب فانه جمرة تتوقد في قلب ابن ادم الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه
واذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة
وغضب الله لا يلحق عصاة المومنين وانما يلحق الكافرين **ولا الضالين** اي وغير الضالين
عن الهدى واصل الضلال الغيبوبة والهلاك يقال ضل الما في اللبن اذا غاب فيه وهلك
وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى عن عدي بن حاتم عن النبي
صلى الله عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال اخرجه الترمذي وذلك
لان الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى
بالضلال فقال ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من قبل وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة
ولا الضالين عن السنة **فصل** في امين وحكم الفاتحة وفيه مسيلتان الاولى
السنة للقاري بعد فراغه من الفاتحة ان يقول امين مفصولا عنها بسكتة وهو مخفف
وفيه لغتان المد والقصر قال في المد ويرحم الله عبدا قال امين وقال في القصر امين
وزاد الله ما بيننا بعدا ومعنى امين اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس معناه كذلك
يكون وقيل هو اسم من اسما الله تعالى وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به عنهم الافات
**ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا امن الامام فامنوا فانه من
وافق تامينه تامين الملايكة غفر له ما تقدم من ذنبه قال ابن شهاب كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول امين وفي رواية للبخاري اذا الامام اذا قرا غير المغضوب عليهم





ولا الضالين فقولوا امين فان الملايكة تقول امين فمن وافق تامينه تامين الملايكة
غفر له ما تقدم من ذنبه قوله فمن وافق تامينه تامين الملايكة معناه وافقهم
في وقت التامين فامن مع تامينهم وقيل وافقهم في الصفة والخشوع والاخلاص
والقول الاول هو الصحيح واختلفوا في هولا الملايكة فقيل هم الحفظة وقيل غيرهم
من الملايكة وقوله غفر له ما تقدم من ذنبه يعني تغفر له الذنوب الصغاير دون
الكباير وقول ابن شهاب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول امين معناه ان
هذه صفة تامينه صلى الله عليه وسلم **المسيلة الثانية** في حكم الفاتحة
اختلف العلما في وجوب قراة الفاتحة فذهب مالك والشافعي واحمد وجمهور العلما
الى وجوب الفاتحة وانها متعينة في الصلاة ولا تجزي الا بها واحتجوا بما روي عن
عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرا فيها
بفاتحة الكتاب اخرجاه في الصحيحين وبحديث ابي هريرة من صلى صلاة لم يقرا
فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج ثلثا غير تمام الحديث وقد تقدم في فضل سورة
الفاتحة وذهب ابو حنيفة الى ان الفاتحة لا تتعين على المصلي بل الواجب عليه قراة
اية من القران طويلة او ثلاث ايات قصار واحتج بقوله تعالى فاقرووا ما تيسر منه وبقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي المسي صلاته ثم اقرا بما تيسر معك من القران
اخرجاه في الصحيحين دليل الجمهور ما تقدم من الاحاديث فان قيل المراد من الحديث
لا صلاة كاملة قلت هذا خلاف ظاهر لفظ الحديث ومما يدل عليه حديث ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزي صلاة لمن لا يقرا فيها بفاتحة الكتاب
اخرجه الدارقطني وقال اسناده صحيح وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره
ان يخرج فينادي لا صلاة الا بفاتحة الكتاب فما زاد اخرجه ابو داود **واجيب**
عن حديث الاعرابي بانه محمول على الفاتحة فانها متيسرة او على ما زاد على الفاتحة
او على العاجز عن قراة الفاتحة والله اعلم **تفسير سورة البقرة** قال ابن عباس
هي اول ما نزل بالمدينة قيل سوى اية وهي قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
فانها نزلت يوم النحر بمكة في حجة الوداع وهي مايتان وست وقيل سبع وثمانون اية
وستة الاف ومائة واحدى وعشرون كلمة وخمسة وعشرون الف حرف وخمسمائة حرف
**فصل** في فضلها **م** عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اقرووا القران فانه ياتي يوم القيامة شفيعا لاصحابه اقرووا الزهراوين
البقرة وال عمران فانهما ياتيان يوم القيامة كانهما غمامتان او غيايتان او كانهما فرقان
من طير صواف يحاجان عن صاحبهما اقرووا البقرة فان اخذها بركة وتركها حسرة ولا
تستطيعها البطلة قال معاوية بن سلام بلغني ان البطلة السحرة قوله اقرووا الزهراوين
سميتا بذلك لنورهما يقال لكل مستنير زاهر وقوله كانهما غمامتان او غيايتان
قال اهل اللغة الغمامة والغياية كل شي اظل الانسان فوق راسه من سحابة
وغيرها والمعنى ان ثوابهما ياتي كغمامتين قوله فرقان من طير صواف الفرق الجماعة

من الطير والصواف جمع صافة وهي التي تصف اجنحتها عند الطيران المحاجة المجادلة
والمخاصمة واظهار الحجة والبطلة السحرة كما جا في الحديث مبينا يقال ابطل اذا جا بالباطل
وفي الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة ال عمران وكذلك باقي السور
ولانه لا كراهة في ذلك وكرهه بعض المتقدمين وقال انما يقال السورة التي يذكر
فيها البقرة وكذا باقي السور والصواب هو الاول وبه قال الجمهور لورود النص به
م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم
مقابر ان الشيطان يفر من البيت الذي تقرا فيه سورة البقرة وعنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شي سنام وان سنام القران سورة البقرة
وفيها اية هي سيدة اي القران اية الكرسي اخرجه الترمذي وقال حديث غريب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الم قيل ان حروف الهجا في اوايل السور من المتشابه الذي استاثر الله
بعلمه وهي سر الله في القران فنحن نومن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى وفايدة
ذكرها طلب الايمان بها قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في كل كتاب سر وسر الله
في القران اوايل السور وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة
هذا الكتاب حروف التهجي واورد على هذا القول بانه لا يجوز ان يخاطب الله عباده بما
لا يعلمون **واجيب** عنه بانه يجوز ان يكلف عباده بما لا يعقل معناه كرمي الجمار
فانه مما لا يعقل معناه والحكمة فيه كمال الانقياد والطاعة فكذلك هذه الحروف
يجب الايمان بها ولا يلزم البحث عنها وقال الاخرون من اهل العلم هي معروفة المعاني
ثم اختلفوا فيها فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من اسما الله تعالى فالالف مفتاح
اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الالف الا الله
واللام لطفه والميم ملكه ويويد هذا ان العرب تذكر حرفا من كلمة تريد كلها قال
الراجز • قلت لها قفي فقالت قاف • لا تحسبي انا نسينا الايجاف • قولها قاف
اي وقفت فاكتفت بجزء الكلمة عن كلها والايجاف الاسراع في السير قال ابن عباس
الم انا الله اعلم وقيل هي اسما الله مقطعة لو علم الناس تاليفها لعلموا اسم الله
الاعظم الا ترى انك تقول الر وحم ون فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سايرها
وكذلك من يتهيا تاليفها جميعا وقيل اسما السور وبه قال جماعة من المحققين وقال
ابن عباس هي اقسام قيل اقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها لانها مباني كتبه
المنزلة واسمايه الحسنى وصفاته العليا وانما اقتصر على بعضها وان كان المراد كلها
فهو كما تقول قرات الحمد لله وتريد انك قرات السورة بكمالها فانه تعالى اقسم بهذه
الحروف ان هذا الكتاب هو الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ وقيل ان الله تعالى لما
تحداهم بقوله فاتوا بسورة من مثله او بعشر سور مثله فعجزوا عنه انزل هذه
الاحرف ومعناه ان القران ليس الا من هذه الاحرف وانتم قادرون عليها فكان
يجب ان تاتوا بسورة مثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله لا من

عند



عند البشر وقيل انهم اعرضوا عن سماع القران فاراد الله صلاح بعضهم انزل هذه
الاحرف فكانوا اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا الى ما يجي به محمد صلى الله عليه وسلم
فاذا اصغوا اليه وسمعوه رسخ في قلوبهم فكان ذلك سببا لايمانهم وقيل ان الله
تعالى احير عقول الخلق في ابتدا خطابه ليعلموا ان لا سبيل لاحد الى معرفة خطابه الا
باعترافهم بالعجز عن معرفة كنه حقيقة خطابه واعلم ان مجموع هذه الحروف المنزلة
في اوايل السور اربعة عشر حرفا في تسع وعشرين سورة وهي الالف واللام والميم
والصاد والكاف والها واليا والعين والطا والسين والحا والقاف والنون وهي نصف
حروف المعجم وسياتي الكلام على باقيها في مواضعها ان شا الله تعالى وقوله تعالى
**ذلك الكتاب** اي هذا الكتاب هو القران وقيل فيه اضمار والمعنى هذا الكتاب الذي
وعدتك به وكان الله قد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم ينزل عليه كتابا لا يمحوه
الما ولا يخلق على كثرة الرد فلما انزل القران قال هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك
به وقيل ان الله وعد بني اسرايل ان ينزل كتابا ويرسل رسولا من بني اسماعيل فلما
هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وبها من اليهود خلق كثير انزل الله
هذه الاية • الم ذلك الكتاب اي هذا الكتاب الذي وعدت به على لسان موسى ان انزله
على النبي الذي من ولد اسماعيل والكتاب مصدر بمعنى المكتوب واصله الضم والجمع
ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها فسمي الكتاب كتابا لانه يجمع الحروف بعضها
الى بعض والكتاب اسم من اسما القران **لا ريب فيه** اي لا شك فيه انه من عند الله
وانه الحق والصدق وقيل هو خبر بمعنى النهي اي لا ترتابوا فيه فان قلت قد ارتاب
به قوم فما معنى لا ريب فيه قلت معناه انه في نفسه حق وصدق فمن حقق النظر
عرف حقيقة ذلك **هدى للمتقين** الهدى عبارة عن الدلالة وقيل هي دلالة تلطف
وقيل الهداية الارشاد والمعنى هو هدى للمتقين وقيل هو هاد لا ريب في هدايته
والمتقي اسم فاعل من وقاه فاتقى والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف وقيل
التقوى في عرف الشرع حفظ النفس مما يوثم وذلك بترك المحظور وبعض المباحات
قال ابن عباس المتقي من يتقي الشرك والكباير والفواحش وهو ماخوذ من الاتقا واصله
الحجز بين الشيين يقال اتقى بترسه اذا جعله حاجزا بينه وبين ما يقصده وفي
الحديث كنا اذا اشتد الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم معناه انا كنا
اذا اشتد الحرب جعلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجزا بيننا وبين العدو
فكان المتقي هو من لا يرى نفسه خيرا من احد وقيل التقوى ترك ما حرم الله وادا
ما افترض وقيل التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وقيل
التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك وقيل التقوى الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه وفي الحديث جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان
الاية وقيل المتقي هو الذي يترك ما لا باس به حذرا مما به باس وخص المتقين بالذكر تشريفا لهم
لان مقام التقوى مقام شريف عزيز لانهم هم المنتفعون بالهداية ولو لم يكن للمتقين

فضل الا فقوله هدى للمتقين يكفا بهم فان قلت كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم
المهتدون قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة
له الى ما هو ثابت فيه كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم **الذين يؤمنون بالغيب**
اي يصدقون بالغيب واصل الايمان في اللغة التصديق قال تعالى وما انت بمؤمن
لنا اي بمصدق فاذا فسر الايمان بهذا فانه لا يزيد ولا ينقص لان التصديق لا يتجزى
حتى يتصور كماله مرة ونقصانه اخرى والايمان في لسان الشرع عبارة عن التصديق
بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالاركان واذا فسر بهذا فانه يزيد وينقص
وهو مذهب اهل السنة من اهل الحديث وغيرهم وفايدة هذا الخلاف تظهر في مسيلة
وهي ان المصدق بقلبه اذا لم يجمع الى تصديقه العمل بموجب الايمان من الصلاة والزكاة
والصوم والحج ونحو ذلك من اركان الدين هل يسمى مومنا ام لا فيه خلاف والمختار
عند اهل السنة انه لا يسمى مومنا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني
وهو مومن فنفى عنه اسم الايمان وكمال الايمان وانكر اكثر المتكلمين زيادة الايمان
ونقصانه وقال ومتى قبل الزيادة والنقص كان ذلك شكا وكفرا وقال المحققون
من متكلمي اهل السنة ان نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعي يزيد
وينقص بزيادة الايمان ونقصانها وبهذا امكن الجمع بين ظواهر نصوص الكتاب والسنة
التي جاءت بزيادة الايمان ونقصانه واصله من اللغة وقال بعض المحققين ان نفس
التصديق قد يزيد وينقص بكثرة النظر في الادلة والبراهين وقلة امعان النظر
في ذلك ولهذا يكون ايمان الصديقين اقوى واثبت من ايمان غيرهم لانهم لا تعتريهم
شبهة في ايمانهم ولا تزلزل واما غيرهم من احاد الناس فليس كذلك اذ لا يشك عاقل
ان نفس تصديق ابي بكر رضي الله عنه لا يساويه تصديق غيره من احاد الامة وقيل
انما يسمى الاقرار والعمل ايمانا لوجه المناسبة لانه من شرايعه وللدليل على ان
الاعمال من الايمان ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الايمان بضع وسبعون شعبة افضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى
عن الطريق والحيا شعبة من الايمان اخرجاه في الصحيحين البضع بكسر البا ما بين
الثلاثة الى العشرة والشعبة القطعة من الشيء واماطة الاذى عن الطريق
هو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك عنه والحيا بالمد هو انقباض النفس عن فعل القبيح
وانما جعل من الايمان وهو اكتساب لان المستحي ينزجر باستحيايه عن المعاصي فصار
من الايمان وقيل الايمان ماخوذ من الامن فسمي المومن مومنا لانه يومن نفسه من
عذاب الله والاسلام هو الانقياد والخضوع فكل ايمان اسلام وليس كل اسلام
ايمانا اذا لم يكن معه تصديق وذلك ان الرجل قد يكون مستسلما في الظاهر غير
مصدق في الباطن (ق) عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا
للناس فاتاه رجل فقال يا رسول الله ما الايمان قال ان تومن بالله وملايكته
وكتابه ولقايه ورسله وتومن بالبعث الاخر قال يا رسول الله ما الاسلام قال

ان تعبد



ان تعبد الله ولا تشرك به شيا وتقيم الصلاة المكتوبة وتودي الزكاة المفروضة
وتصوم رمضان قال يا رسول الله ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك قالوا يا رسول الله متى الساعة قال ما المسئول عنها
باعلم من السايل ولكن ساحدثك عن اشراطها اذا ولدت الامة ربتها فذاك من
اشراطها واذا كانت العراة الحفاة روس الناس فذاك من اشراطها واذا تطاول
رعاة البهم في البنيان فذاك من اشراطها في خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الى
قوله عليم خبير قال ثم ادبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا علي
هذا الرجل فاخذوا ليردوه فلم يروا شيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم وفي افراد مسلم من حديث عمر بن الخطاب نحوه بنا
الحديث وبمعناه وقد تقدم الكلام على معنى الايمان والاسلام وبقي اشيا تتعلق
بمعنى الحديث فقوله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا اي ظاهرا
وقوله وتومن بالله ولقايه وتومن بالبعث الاخر هو بكسر الخا وقيل في الجمع بين
قوله وتومن بلقا الله وبالبعث فان اللقا يحصل بمجرد الانتقال الى الدار الاخرة
وهو الموت والبعث هو بعده عند قيام الساعة وفي تقييده بالاخر وجه اخر وهو
ان خروجه الى الدنيا بعث من الارحام وخروجه من القبر الى الاخرة بعث اخر قوله
ما الاحسان هو هنا الاخلاص في العمل وهو شرط في صحة الايمان والاسلام لان
من اتى بلفظ الشهادة واتى بالعمل من غير اخلاص لم يكن محسنا وقيل اراد بالاحسان
المراقبة وحسن الطاعة فان من راقب الله حسن عمله وهو المراد بقوله فان لم
تكن تراه فانه يراك واشراط الساعة علاماتها التي تظهر قبلها قوله اذا ولدت
الامة ربتها يعني سيدها والمعنى ان الرجل تكون له الامة فتلد له ولدا فيكون
ذلك الولد ابنها وسيدها ورعاة البهم بكسر الرا وفتح البا واسكان الها من البهيم
وهي الصغار من اولاد الضان والمعنى انه يبسط المال على اهل البادية واشباههم
حتى يتباهون في البنا ويسودون الناس فذلك من اشراط الساعة والله اعلم قوله
تعالى بالغيب الغيب مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغايب غيب وهو ما كان
مغيبا عن العيون قال ابن عباس الغيب هنا كل ما امرت بالايمان به مما غاب عن بصرك
من الملايكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان وقيل الغيب هنا هو الله تعالى
وقيل القران وقيل بالاخرة وقيل بالوحي وقيل بالقدر وقال عبد الرحمن بن يزيد
كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا اصحاب محمد وما سبقونا به فقال عبد الله
ابن مسعود ان امر محمد صلى الله عليه وسلم كان بينا لمن راه والذي لا اله غيره ما امن
احد افضل من ايمان بغيب ثم قرا الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الى قوله واوليك هم
المفلحون **ويقيمون الصلاة** اي يديمونها ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها واتمام اركانها
وحفظها من ان يقع فيها خلل في فرايضها وسننها واداابها يقال قام بالامر واقام

الامر اذا اتى به معطى حقوقه والمراد به الصلوات الخمس والصلاة في اللغة الدعا والرحمة ومنه وصل عليهم اي ادع لهم واصله من صليت العود اذا لينته فكان المصلي يلين ويخشع وفي الشرع اسم لافعال مخصوصة من قيام وركوع وسجود وقعود ودعا مع النية **ومما رزقناهم** اي اعطيناهم من الرزق وهو اسم لما ينتفع به من مال وولد واصله الحظ والنصيب **ينفقون** اي يخرجون ويتصدقون في طاعة الله وسبيله ويدخل فيه انفاق الواجب كالزكاة والنذر والانفاق على النفس وعلى من يجب نفقته عليه والانفاق في الجهاد اذا وجب عليه الانفاق وفي المندوب وهو صدقة التطوع ومواساة الاخوان وهذه كلها مما يمدح بها ويدخل من التي هي للمتبعيض صيانة لهم وكفا عن السرف والتبذير المنهي عنهما في الانفاق **والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك** اي يصدقون بالقرآن المنزل عليك وبالكتب المنزلة على الانبيا من قبل كالتوراة والانجيل والزبور وصحف الانبيا كلها فيجب الايمان بذلك كله **وبالاخرة** يعني وبالدار الاخرة سميت اخرة لتاخرها عن الدنيا وكونها بعدها **هم يوقنون** من الايقان وهو العلم والمعنى يستيقنون ويعلمون انها كاينة **اوليك** اي الذين هذه صفتهم **على هدى من ربهم** اي على رشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة **واوليك هم المفلحون** اي الناجون الفايزون بنجواهم من النار وفازوا بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب اي الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه ويكون الفلاح بمعنى البقا قال الشاعر •

لو كان حي مدرك الفلاح • ادركه ملاعب الرماح •

يريد البقا فيكون المعنى اوليك الباقون في النعيم المقيم والفلاح والظفر وادراك البغية من السعادة والفوز والبقا والفنا واصل الفلح الشق كما قيل ان الحديد بالحديد يفلح اي يقطع فعلى هذا يكون المعنى اوليك هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والاخرة واعلم ان الله عز وجل صدر هذه السورة باربع ايات انزلها في المومنين وبايتين انزلهما في الكافرين وبثلث عشر اية انزلها في المنافقين فاما التي في الكفار فقوله تعالى **ان الذين كفروا** اي جحدوا وانكروا واصل الكفر في اللغة الستر والتغطية ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشيا بظلمته قال الشاعر •

في ليلة كفر النجوم غمامها • اي سترها والكفر على اربعة اضرب كفر انكار وهو ان لا يعرف الله اصلا ككفر فرعون وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري وكفر جحود وهو ان يعرف الله بقلبه ولا يعرفه بلسانه ككفر ابليس وكفر عناد وهو ان يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين ككفر امية بن ابي الصلت وابي طالب حيث يقول في شعره •

• ولقد علمت بان دين محمد • من خير اديان البرية دينا •

• لولا الملامة اوحذار مسبة • لوجدتني سمحا بذاك امينا •

وكفر نفاق وهو ان يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه فجميع هذه الانواع كفر وحاصله ان من جحد الله وانكر وحدانيته او انكر شيا مما انزله على رسوله

اوانكر



اوانكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم او احد من الرسل فهو كافر فان مات على ذلك فهو في النار خالدا فيها ولا يغفر الله له نزلت في مشركي العرب وقيل في اليهود **سوا عليهم** اي متساو لديهم **ءانذرتهم** اي خوفتهم وحذرتهم والانذار اعلام من تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا **ام لم تنذرهم لا يومنون** اي لا يصدقون وهذه الاية في اقوام حقت عليهم كلمة العذاب في سابق علم الله الازلي انهم لا يومنون ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى **ختم الله على قلوبهم** اي طبع عليها فلا تعي خيرا ولا تفهمه واصل الختم التغطية وحقيقته الاستيثاق من الشي لكيلا يخرج منه ما حصل فيه ولا يدخل ما خرج منه ومنه ختم الكتاب قال اهل السنة ختم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق في علمه الازلي فيهم وانما حص القلب بالختم لانه محل الفهم والعلم **وعلى سمعهم** اي وختم على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لانها تمجه وتنبو عن الاصغا اليه كانها مستوثق بالختم ايضا وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع قيل انما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع **وعلى ابصارهم غشاوة** هذا ابتدا كلام والغشاوة الغطا ومنه غاشية السرج اي وجعل على ابصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهي غطا التعامي عن ايات الله ودلايل توحيده **ولهم عذاب عظيم** يعني في الاخرة وقيل الاسر والقتل في الدنيا والعذاب الدايم في العقبى وحقيقة العذاب هو كل ما يولم الانسان ويعيبه ويشق عليه وقيل هو الايجاع الشديد وقيل هو ما يمنع الانسان من مراده ومنه الما العذب لانه يمنع العطش والعظيم ضد الحقير قوله عز وجل **ومن الناس من يقول امنا بالله** نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس واصحابهم وذلك انهم اظهروا كلمة الاسلام ليسلموا بها من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه واسروا الكفر واعتقدوه واكثرهم من اليهود وصفة المنافق ان يعترف بلسانه بالايمان ويقربه وينكره بقلبه ويصبح على حال ويمسي على غيرها والناس جمع اناس سمي به لانه عهد اليه فنسي قال الشاعر •

وسميت انسانا لانك ناسي • وقيل سمي انسانا لانه يستانس بمثله **وباليوم الاخر** اي وامنا باليوم الاخر وهو يوم القيامة سمي بذلك لانه ياتي بعد الدنيا وهو اخر الايام المحدودة المعدودة وما بعده فلا حد له ولا اخر قال الله تعالى ردا على المنافقين **وما هم بمومنين** نفى عنهم الايمان بالكلية **يخادعون الله والذين امنوا** اي يخالفون الله والخديعة الحيلة والمكر واصله في الاخفا والمخادع يظهر ضد ما يضمر فهو بمنزلة النفاق وهو خداعهم اي يظهر لهم نعيم الدنيا ويعجل لهم بخلاف ما يغيب لهم من عذاب الاخرة فان قلت المخادعة مفاعلة وانما تجي في الفعل المشترك والله تعالى منزه عن المشاركة قلنا المفاعلة قد ترد لا على وجه المشاركة تقول عافاك الله وطارقت النعل وعاقبت اللص والمخادعة هنا عبارة عن فعل الواحد والله تعالى عن ان يكون منه خداع فان قلت كيف يخادع الله والله تعالى يعلم الضماير

والاسرار فمخادعة الله ممتنعة فكيف يقال يخادعون الله قلت ان الله تعالى ذكر نفسه
واراد به رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك تفخيم لامره وتعظيم لشانه وقيل اراد به
المنافقين اذ خادعوا المؤمنين فكانهم خادعوا الله تعالى وذلك انهم ظنوا ان النبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين لم يعلموا احوالهم ولتجري عليهم احكام الاسلام في الظاهر وهم على خلافه
في الباطن **وما يخادعون الا انفسهم** اي ان الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم عليه
فلا يكونون في الحقيقة الا خادعين انفسهم وقيل ان وبال ذلك الخداع راجع اليهم لان
الله يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون
العقاب في العقبى والنفس ذات الشيء وحقيقته وقيل للدم نفس لانه قوة البدن
**وما يشعرون** اي لا يعلمون ان وبال خداعهم راجع عليهم **في قلوبهم مرض** اي شك
ونفاق واصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال الخاص بالانسان وسمي الشك
في الدين والنفاق مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن **فزادهم الله مرضا**
يعني انه لما كانت تنزل تترى اية بعد اية فكلما كفروا باية ازدادوا بذلك كفرا
ونفاقا **ولهم عذاب اليم** اي مؤلم يخلص وجعه الى قلوبهم **بما كانوا يكذبون** اي بتكذيبهم
الله ورسوله في السر وقرئ بالتخفيف اي بكذبهم اذ قالوا امنا وهم غير مؤمنين **واذا
قيل لهم** يعني المنافقين وقيل اليهود والمعنى اذا قال لهم المؤمنون **لا تفسدوا
في الارض** اي بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران **قالوا
انما نحن مصلحون** يعني يقولونه كذبا **الا** كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب **انهم هم المفسدون**
يعني في الارض بالكفر وهو اشد الفساد **ولكن لا يشعرون** وذلك لانهم يظنون
ان ما هم عليه من النفاق وابطان الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون
ما اعد الله لهم من العذاب **واذا قيل لهم** يعني المنافقين وقيل اليهود **امنوا كما امن
الناس** يعني المهاجرين والانصار وقيل عبد الله بن سلام واصحابه من مؤمني اهل
الكتاب والمعنى اخلصوا في ايمانكم كما اخلص هؤلاء في ايمانهم لان المنافقين كانوا يظهرون
الايمان **قالوا انؤمن كما امن السفهاء** اي الجهال فان قلت كيف يصح النفاق مع المجاهرة
بقولهم انؤمن كما امن السفهاء قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين
فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله
**الا انهم هم السفهاء** يعني الجهال واصل السفه خفة العقل ورقة العلم وانما سمى الله
المنافقين سفهاء لانهم كانوا عند انفسهم عقلاء رؤساء فقلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء
**ولكن لا يعلمون** يعني انهم كذلك قوله تعالى **واذا لقوا الذين امنوا** يعني هؤلاء المنافقين
اذا لقوا المهاجرين والانصار **قالوا امنا** كايمانكم **واذا خلوا** اي رجعوا وقيل هو من الخلوة
**الى** قيل بمعنى الباء بشياطينهم وقيل بمعنى مع **شياطينهم** والمراد بشياطينهم رؤساهم
وكهنتهم قال ابن عباس وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف من اليهود بالمدينة وابو بردة
في بني اسلم وعبد الدار في جهينة وعوف بن عامر في بني اسد وعبد الله بن السوداء
بالشام ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان تابع له وقيل هم رؤساهم الذين شابهوا

الشياطين



الشياطين في تمردهم **قالوا انا معكم** اي على دينكم **انما نحن مستهزءون** اي بمحمد واصحابه
بما نظهر لهم من الاسلام لنامن من شرهم ونقف على سرهم وناخذ من غنايمهم وصدقاتهم
قال ابن عباس نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات
يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن ابي لاصحابه
انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد ابي بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق
سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه
وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي بن
كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني
هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي اتق الله يا عبد الله ولا
تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال مهلا يا ابا الحسن اني لا اقول هذا
والله ايمانا كايمانكم وتصديقا كتصديقكم ثم تفرقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف
رايتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا **الله يستهزئ بهم** اي يجازيهم جزاء استهزائهم
بالمؤمنين فسمي الجزاء باسمه لانه في مقابلته قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا
انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى النار **ويمدهم** اي يتركهم ويمهلهم والمد والامداد
واحد واصله الزيادة واكثر ما ياتي المد في الشر والامداد في الخير **في طغيانهم**
اي في ضلالتهم واصل الطغيان مجاوزة الحد **يعمهون** اي يترددون في الضلالة متحيرون
**اولئك** يعني المنافقين **الذين اشتروا الضلالة بالهدى** اي استبدلوا الكفر بالايمان
بالايمان انما اخرجه بلفظ الشرا والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشرا
فيه اعطاء بدل واخذ اخر فان قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على الهدى
قلت جعلوا لتمكنهم منه كانه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوا
به والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء **فما ربحت تجارتهم** اي ما ربحوا في تجارتهم
والربح الفضل عن راس المال واضاف الربح الى التجارة لان الربح فيها يكون **وما كانوا
مهتدين** اي مصيبين في تجارتهم لان راس المال هو الايمان فلما اضاعوه واعتقدوا
الضلالة فقد ضلوا عن الهدى وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم قوله عز وجل
**مثلهم كمثل الذي استوقد نارا** المثل عبارة عن قول يشبه ذلك القول في قول
اخر بينهما مشابهة ليبين احدهما الاخر ويصوره ولهذا ضرب الله تعالى الامثال
في كتابه وهو احد اقسام القران السبعة ولما ذكر الله تعالى حقيقة وصف المنافقين
عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لانه يؤثر في القلوب ما لا يؤثره
وصف الشيء في نفسه ولان المثل تشبيه الشيء الخفي بالجلي فيتاكد الوقوف على
ماهيته وذلك هو النهاية في الايضاح وشرطه ان يكون قولا فيه غرابة من بعض
الوجوه كمثل الذي استوقد نارا اي لينتفع بها **فلما اضاءت** يعني النار **ما حوله** يعني
حول المستوقد **ذهب الله بنورهم** فان قلت كيف وحد اولا ثم جمع ثانيا قلت يجوز

وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا وقيل انما شبه قصتهم بقصة المستوقد وقيل معناه ومثل واحد منهم كمثل الذي استوقد نارا **وتركهم في ظلمات لا يبصرون**
قال ابن عباس نزلت في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل اوقد نارا في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفى ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف فبينما هو كذلك اذ طفيت ناره فبقي في ظلمة حائرا متخوفا فكذلك حال المنافقين اظهروا كلمة الايمان فامنوا بها على انفسهم واموالهم واولادهم وناكحوا المسلمين وقاسموهم في الغنائم فكذلك نورهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم ظهور عقيدتهم للمومنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ذهاب نورهم في القبر وعلى الصراط فان قلت ما وجه تشبيه الايمان بالنور والكفر بالظلمة قلت وجه تشبيه الايمان بالنور ان النور يبلغ في الهداية الى الجنة المقصود والى الطريق المستقيم وازالة الحيرة وكذلك الايمان هو الطريق الواضح الى الله تعالى والى جنابه وشبه الكفر بالظلمة لان الضال عن الطريق المستقيم المسلوكة في الظلمة لا يزداد الا حيرة وكذلك الكفر لا يزداد صاحبه في الاخرة الا حيرة وفي ضرب المثل للمنافقين بالنار ثلاث حكم احدها ان المستضي بالنار مستضي بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقي هو في ظلمة فكانهم لما اقروا بالايمان من غير اعتقاد قلوبهم فكان ايمانهم كالمستعار الثانية ان النار تحتاج في دوامها الى مادة الحطب لتدوم فكذلك الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد ليدوم الثالثة ان الظلمة الحادثة بعد الضوء اشد على الانسان من ظلمة لم يجد قبلها ضياء فشبه حالهم بذلك ثم وصفهم الله تعالى فقال **صم** اي عن سماع الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه فكانهم لم يسمعوه **بكم** اي خرس عن النطق بالحق فهم لا يقولونه **عمي** اي لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو اعمى كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن سماع الحق اذانهم وابوا ان تنطق به السنتهم وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت حواسه وذهب ادراكه قال الشاعر

صموا اذا سمعوا خيرا ذكرت به • وان ذكرت بسوء كلهم اذن •

**فهم لا يرجعون** اي عن ضلالتهم ونفاقهم قوله تعالى **او كصيب** اي كاصحاب صيب وهو المطر وكلما نزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب **من السماء** اي من السما لان كلما علاك فاظلك فهو سما ومنه قيل لسقف البيت سما وقيل من السما بعينها وانما ذكر الله تعالى السما وان كان المطر لا ينزل الا منها ليرد على من زعم ان المطر ينعقد من بخرة الارض وابطل مذهب الحكما بقوله من السما ليعلم ان المطر ليس من بخرة الارض كما زعم الحكما **فيه** اي الصيب **ظلمات** جمع ظلمة **ورعد** هو الصوت الذي يسمع من السحاب **وبرق** يعني النار التي تخرج منه قال ابن عباس الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان صوت من نور يزجر به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب اذا تبدد فجمعها وضمها فاذا اشتد غضبه





يخرج من فيه النار وهي البرق والصواعق وقيل الرعد تسبيح الملك وقيل انه
**يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق** جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت كل من سمعها او يغشى عليه وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله على من يشا عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب **حذر الموت** اي مخافة الهلاك **والله محيط بالكافرين** اي عالم بحالهم وقيل يجمعهم ويعذبهم **يكاد البرق** اي يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل **يخطف ابصارهم** اي يختلسها والخلس استلاب الشي بسرعة **كلما** اي متى ما جا **اضاء لهم** يعني البرق **مشوا فيه** اي في اضائته ونوره **واذا اظلم عليهم قاموا** اي وقفوا متحيرين وهذا مثل ضربه الله تعالى للمنافقين ووجه التمثيل ان الله عز وجل شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة اصابهم مطر فيه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة المطر وظلمة السحاب من صفة تلك الظلمات ان الساري لا يمكنه المشي فيها ورعد من صفته ان يضم السامعون اصابعهم الى اذانهم من هوله وبرق من صفته ان يخطف ابصارهم ويعميها من شدته فهذا مثل ضربه الله تعالى للقران وصنيع الكافرين والمنافقين معهم فالمطر هو القران لانه حياة القلوب كما ان المطر حياة الارض والظلمات ما في القران من ذكر الكفر والشرك والنفاق والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة والنار فالكافرون والمنافقون يسدون اذانهم عند قراءة القران وسماعه مخافة ان تميل قلوبهم اليه لان الايمان به عندهم كفر والكفر موت وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للاسلام فالمطر هو الاسلام والظلمات ما فيه من البلا والمحن والرعد ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف في الاخرة والبرق ما فيه من الوعد يجعلون اصابعهم في اذانهم يعني المنافقين اذا راوا في الاسلام بلية وشدة هربوا حذرا من الهلاك والله محيط بالكافرين لا ينفعهم الهرب لان الله تعالى من ورائهم يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق يعني دلايل الاسلام تزعجهم الى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلما اضاء لهم يعني المنافقين واضاءته لهم هو تركهم بلا ابتلا ولا امتحان مشوا فيه يعني على المسالمة باظهار كلمة الايمان وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة في الاسلام ثبتوا وقالوا انا معكم واذا اظلم عليهم قاموا يعني اذا راوا شدة وبلا تاخروا **ولو شا الله لذهب بسمعهم** اي بصوت الرعد **وابصارهم** بوميض البرق وقيل لذهب بسمعهم وابصارهم الظاهرة كما اذهب اسماعهم وابصارهم الباطنة **ان الله على كل شي قدير** اي هو الفاعل لما يشا لا منازع له فيه قوله عز وجل **يا ايها الناس** قال ابن عباس يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ويا ايها الذين امنوا خطاب لاهل المدينة وهو هنا خطاب عام لساير المكلفين **اعبدوا ربكم** قال ابن عباس وحدوا ربكم وكلما ورد في القران من العبادة فمعناه التوحيد واصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل ولا يستحقها الا من له غاية الافضال والاعظام

وهو الله تعالى الذي خلقكم اي ابتدع خلقكم من غير مثال سبق والذين من قبلكم اي
وخلق الذين من قبلكم لعلكم لعل وعسى حرفا ترج وهما اي كل منهما من الله واجب تتقون
اي لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه تكونوا على رجا التقوى بان تصيروا في ستر ووقاية
من عذاب الله وحكم الله من ورايكم يفعل ما يشا ويحكم ما يريد الذي جعل لكم الارض
فراشا اي خلق لكم الارض بساطا ووطاء مذللة ولم يجعلها حزنة لا يمكن القرار عليها
والحزن ما غلظ من الارض والسما بنا اي سقفا مرفوعا قيل اذا تامل الانسان المتفكر
في العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج اليه فالسما مرفوعة كالسقف والارض
مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والانسان كمالك البيت وفيه ضروب النبات
المهيئة لمنافعه واصناف الحيوان مصروفة في مصالحه فيجب على الانسان المسخر له هذه
الاشيا شكر الله تعالى عليها وانزل من السما يعني السحاب ما يعني المطر فاخرج به اي
بذلك الما من الثمرات يعني من الوان الثمرات واصناف النبات رزقا لكم اي وعلفا
لدوابكم فلا تجعلوا لله اندادا يعني امثالا تعبدونهم كعبادته والند المثل وانتم تعلمون
يعني انكم بعقولكم تعلمون ان هذه الاشيا والامثال لا يصح جعلها اندادا لله وانه
الواحد الخالق لجميع الاشيا وانه لا مثل له ولا ضد له قوله تعالى وان كنتم في ريب اي
ان كنتم في شك لان الله علم انهم شاكون مما نزلنا على عبدنا اي محمد صلى الله عليه وسلم
لما تقرر اثبات الربوبية لله سبحانه وتعالى وانه الواحد الخالق وانه لا ضد له ولا
ند اتبعه باقامة الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة
في كون القراءة معجزة وانه من عند الله تعالى لا من عند نفسه كما يدعون فيه وقوله
على عبدنا اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القران منزل عليه من عند
الله سبحانه وتعالى فاتوا اي امر تعجيز بسورة والسورة قطعة من القران معلومة
الاول والاخر وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه سميت
سورة لان القاري ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القران
من مثله اي مثل هذا القران وقيل الضمير في مثله راجع الى عبدنا يعني من مثل محمد
صلى الله عليه وسلم امي لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلما ولم ياخذ العلم من احد
ورد الضمير الى القران اوجه واولى ويدل عليه ان ذلك مطابق لسائر الايات الواردة
في التحدي وانما وقع الكلام في المنزل الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القران منزل
من عند الله فاتوا انتم بسورة مما يماثله ويجانسه ولو كان الضمير مردودا الى محمد
صلى الله عليه وسلم لقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرانا من مثل محمد صلى الله
عليه وسلم ويدل على كون القران معجزا ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة في طرفي
الايجاز والاطالة فتارة ياتي بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز
ولا يخل بالمقصود الاول وانه فارق اساليبه اساليب الكلام واوزانه اوزان
الاشعار والخطب والرسايل ولهذا تحدى العرب به فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا
بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان الفصاحة ولهم النظم والنثر من الاشعار والخطب

والرسايل



والرسايل حتى قال الوليد بن المغيرة في وصف القران والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة
وان اصله لمغدق وان اعلاه لمثمر وادعوا شهداكم من دون الله اي استعينوا بالهتكم
التي تعبدونها من دون الله والمعنى ان كان الامر كما تقولون انها تستحق العبادة فاجعلوا
الاستعانة بها في دفع ما نزل بكم من امر محمد صلى الله عليه وسلم والا فاعلموا انكم مبطلون
في دعواكم انها الهة وقيل معناه وادعوا اناسا يشهدون لكم ان كنتم صادقين ان محمدا
صلى الله عليه وسلم يقوله من تلقا نفسه فان لم تفعلوا اي فيما مضى ولن تفعلوا فيما بقي
وهذه الاية دلت على عجزهم وانهم لم ياتوا بمثله ولا بمثل شي منه وذلك لان النفوس الابية
اذا قرعت بمثل هذا التقريع استفرغت الوسع بالاتيان بمثل هذا القران وبمثل سورة
منه ولو قدروا على مثل لاتوا به وحيث لم ياتوا بشي ظهرت المعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم
وبان عجزهم وهم امرا الفصاحة والبلاغة والقران من جنس كلامهم وكانوا حراصا على اطفا
نوره وابطال امره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من احدهم ورضوا بسبي
الذراري واخذ الاموال والقتل واذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك وجب ترك العناد وهو قوله فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة قال ابن عباس يعني حجارة الكبريت لانها اكثر التهابا وقيل جميع الحجارة
وفيه دليل على عظم تلك النار وقوتها وقيل اراد بها الاصنام لان اكثر اصنامهم كانت من
حجارة وانما قرن الناس مع الحجارة لانهم كانوا يعبدونها معتقدين فيها انها تنفعهم وتشفع
لهم فجعلها الله عذابهم في نار جهنم اعدت اي هيئت للكافرين قوله عز وجل وبشر الذين
امنوا اي اخبر المومنين وهذا امر للنبي صلى الله عليه وسلم والبشارة هي ايراد الخبر السار على
سامع يستبشر به ويظهر السرور في بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخير والشر
ومنه قوله فبشرهم بعذاب اليم ولكن هو في السرور والخير اغلب وعملوا الصالحات اي الفعلات
الصالحات وهي الطاعات قيل العمل الصالح ما كان فيه اربع اشيا العلم والنية والصبر
والاخلاص وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات اي اخلصوا الاعمال يعني عن الريا ان لهم
جنات جمع جنة وهي البستان الذي فيه اشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها وتسترها
بالاشجار والاوراق وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس ما فيه كرم تجري من تحتها
اي من تحت اشجارها ومساكنها الانهار اي تجري المياه في الانهار لان الانهار لا تجري وقيل
معناه تجري بامرهم وفي الحديث ان انهار الجنة تجري في غير اخدود اي في غير شق والخد
الشق كلما رزقوا اي اطعموا منها اي من الجنة من ثمرة رزقا اي طعاما قالوا هذا الذي رزقنا
من قبل اي في الدنيا وقيل ثمار الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم فاذا رزقوا
ثمرة بعد اخرى ظنوا انها الاولى واتوا به اي بالرزق متشابها قال ابن عباس مختلفا
في المطعوم وقيل يشبه بعضه بعضا في الجودة لا رداءة فيها وقيل يشبه ثمار الدنيا
في الاسم لا في الطعم م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة ياكلون
ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد والتسبيح
كما يلهمون النفس طعامهم جشا ورشح كرشح المسك وفي رواية ورشحهم المسك قوله يلهمون

التسبيح اي يجري على السنتهم كما يجري النفس فلا يشغلهم عن شيء كما ان النفس لا
يشغل عن شيء فو لطعامهم جشا يعني ان فضول طعامهم يخرج في الجشا وهو تنفس
المعدة والرشح العرق وقوله تعالى ولهم فيها اي في الجنان ازواج من الحور العين مطهرة
يعني من البول والغايط والحيض والولد وساير الاقذار وقيل من مجاهد كالمخاط العمش
طهرن من قذرات الدنيا وقيل طهرن من مساوي الاخلاق قيل في الجنة جماع ما شيت
ولا ولد وهم فيها خالدون اي لا يخرجون منها ولا يموتون والخلد البقا الدايم الذي
لا انقطاع له ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اشد كوكب
دري في السما اضاءة لا يبزقون ولا يمتخطون ولا يبولون امشاطهم الذهب ورشحهم
المسك ومجامرهم الالوة الالنجوج عود الطيب ازواجهم الحور العين على خلق واحد
وعلى صورة ابيهم ادم ستون ذراعا في السما وفي رواية لكل واحد منهم زوجتان يرى
مخ ساقهما من ورا اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب رجل واحد
يسبحون الله بكرة وعشيا ق عن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان للمومن في الجنة من لولوة واحدة مجوفة طولها في السما ستون ميلا للمومن فيها
اهلون يطوف عليهم المومن فلا يري بعضهم بعضا عن ابي هريرة قال قلت يا رسول الله
مم خلق الله الخلق قال من الما قلت الجنة ما بناوها قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب
وبلاطها المسك الاذفر وحصباوها اللولو والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها
ينعم ولا يباس ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن ليس اسناده بذلك القوي عن عبادة بن الصامت ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة ماية درجة ما بين كل درجتين كما بين السما والارض
والفردوس اعلاها درجة ومنها تفجر انهار الجنة الاربعة ومن فوقها يكون العرش
فاذا سالتموا الله فاسالوه الفردوس اخرجه الترمذي م عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لسوقا ياتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو
في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى اهليهم وقد ازدادوا
حسنا وجمالا فيقول لهم اهليهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا فيقولون
انتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا عن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن باصوات لم تسمع الخلايق مثلها يقلن نحن
الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نباس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان
لنا وكنا له اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب
مثلا ما بعوضة فما فوقها سبب نزول هذه الاية ان الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب
والعنكبوت وذكر النحل والنمل قالت اليهود ماذا اراد الله بذكر هذه الاشيا
الخسيسة وقيل قال المشركون انا لا نعبد الها يذكر هذه الاشيا وذلك لان
الكفار واليهود كانوا متفقين على ايذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذلك





فانزل الله تعالى ان الله لا يستحيي والحيا تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما
يعاب به ويذم عليه وقيل هو انقباض النفس عن القبايح هذا اصله في وصف الانسان
والله تعالى منزه عن ذلك كله فاذا وصف الله تعالى به يكون معناه الترك وذلك
لان لكل فعل بداية ونهاية فبداية الحيا هو التغير الذي يلحق الانسان من خوف ان
ينسب اليه ذلك الفعل القبيح ونهايته ترك ذلك الفعل القبيح فاذا ورد وصف الحيا
في حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته وهو التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل
الذي هو نهاية الحيا وغايته فيكون معنى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا اي لا يترك
المثل لقول الكفار واليهود ما قيل ما صلة فيكون المعنى ان يضرب مثلا بعوضة وقيل
ليس هي صلة بل هي للابهام والنكرة والبعوض صغار البق وهو من عجيب خلق الله تعالى
فانه في غاية الصغر وله خرطوم مجوف وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد الفيل
والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى ان الجمل يموت من قرصته فما فوقها يعني الذباب
والعنكبوت وما هو اعظم منهما في الجثة وقيل معناه فما دونها واصغر منها وهذا القول
اشبه بالاية لان الغرض بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشي الصغير الحقير
وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو اصغر منها وقد
ضربت العرب المثل بالمحقرات فقيل هو احقر من ذرة واجمع من نملة واطيش من ذبابة
والح من ذبابة فاما الذين امنوا يعني محمدا والقران فيعلمون يعني ضرب المثل انه الحق
يعني الصدق من ربهم الثابت الذي لا يجوز انكاره لان ضرب المثل من الامور المستحسنة
في العقل وعند العرب واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا اي بهذا
المثل يضل به كثيرا اي من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا ويهدي
به كثيرا يعني المومنين يصدقونه ويعلمون انه حق وما يضل به الا الفاسقين يعني
الكافرين وقيل المنافقين وقيل اليهود والفسق الخروج عن طاعة الله تعالى وطاعة
رسوله ثم وصفهم فقال تعالى الذين ينقضون اي يخالفون ويتركون واصل النقض
الفسخ وفك المركب عهد الله اي امر الله واصل العهد حفظ الشي ومراعاته حالا بعد
حال من بعد ميثاقه اي من بعد عقده وتوكيده وفي معنى هذا العهد اقوال احدها انه
الذي اخذه عليهم يوم الميثاق وهو قوله الست بربكم قالوا بلى الثاني المراد به الذي اخذه على
احبار اليهود في التوراة ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته وصفته الثالث المراد
به الكفار والمنافقين فيكون الذين نقضوا عهده الذي ابرمه الله تعالى والحكمة بما انزله في كتابه
من الايات الدالة على توحيده ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يعني الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم وجميع الرسل فامنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود وقيل اراد به قطع الارحام
التي امر الله بوصلها ويفسدون في الارض يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران اولئك هم الخاسرون اي المغبونون واصل الخسار
النقص ثم قال تعالى لمشركي العرب على وجه التعجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم كيف
تكفرون بالله يعني بعد نصب الدلايل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته ثم ذكر

الدليل فقال تعالى **وكنتم امواتا** يعني نطفا في اصلاب ابايكم **فاحياكم** يعني في الارحام والدنيا
**ثم يميتكم** اي عند انقضا اجالكم **ثم يحييكم** يعني بعد الموت للبعث **ثم اليه ترجعون** اي
تردون في الاخرة فيجزيكم باعمالكم قوله عز وجل **هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا**
يعني من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق
لكم ما في الارض جميعا لتنتفعوا به في مصالح الدين والدنيا اما مصالح الدين فهو الاعتبار
والتفكر في عجايب مخلوقات الله تعالى الدالة على وحدانيته واما مصالح الدنيا فهو
الانتفاع بما خلق فيها **ثم استوى الى السما** اي تصد واقبل على خلقها وقيل عمد وا
قال ابن عباس ارتفع وفي رواية عنه صعد قال الازهري معناه صعد امره وكذا
ذكره صاحب المحكم وذلك ان الله تعالى خلق الارض اولا ثم عمد الى خلق السما فان
قلت كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها قلت الدحو البسط
فيحتمل ان الله خلق الارض ولم يبسطها ثم خلق السما وبسط جرم الارض بعد
ذلك فان قلت هذا مشكل ايضا لان قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا يقتضي
ان ذلك لا يكون الا بعد الدحو قلت يحتمل انه ليس هنا ترتيب وانما هو على سبيل
تعديد النعم كقول الرجل لمن يذكره ما انعم الله عليه الم اعطك الم ارفع قدرك
الم ادفع عنك ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض والله اعلم **فسواهن
سبع سموات** خلقهن سبع سموات مستويات لا صدع فيها ولا فطور وسياتي ذكر
خلق الارض والسما عند قوله قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين
في سورة حم السجدة ان شا الله تعالى **وهو بكل شي عليم** يعني يعلم الجزئيات
كما يعلم الكليات قوله تعالى **واذ قال ربك** اي واذكر يا محمد اذ قال ربك وكل ما ورد
في القران من هذا النحو فهذا سبيله وقيل اذ زايدة والاول اوجه **للملايكة** جمع
ملك واصله مالك وهي الرسالة واراد بالملايكة الذين كانوا في الارض وذلك ان الله
تعالى خلق الارض والسما وخلق الملايكة والجن فاسكن الملايكة السما واسكن الجن
الارض فعبدوا دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فافسدوا واقتتلوا فبعث
الله جندا من الملايكة يقال لهم الجان ورايسهم ابليس وهم خزان الجنان فهبطوا الى
الارض وطردوا الجن الى جزاير البحور وشعوب الجبال وسكنوا الارض وخفف الله
عنهم العبادة واعطى الله ابليس ملك الارض وملك سما الدنيا وخزانة الجنة وكان
ابليس رييسهم ومرشدهم واكثرهم علما وكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في
السما وتارة في الجنة فدخله العجب وقال في نفسه ما اعطاني الله هذا الملك الا
لاني اكرم الملايكة عليه فقال له ولجنده **اني جاعل في الارض خليفة** اي خالقا خليفة
يعني بدلا منكم ورافعكم الي فكرهوا ذلك لانهم كانوا اهون عبادة والمراد بالخليفة
هنا ادم عليه السلام لانه خلف الجن وجا بعدهم وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح
انه انما سمي خليفة لانه خليفة الله في ارضه لاقامة حدوده وتنفيذ قضاياه
**قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها** اي بالمعاصي **ويسفك الدما** اي بغير حق كما





فعل بنو الجان فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى قالوا هذا القول قلت يحتمل ان يكون
عرفوا ذلك باخبار الله اياهم وقاسوا الشاهد على الغايب وقيل انهم لما راوا ان
ادم خلق من اخلاط مركبة علموا انه يكون فيه الحقد والغضب ومنهما يتولد الفساد
وسفك الدما فلهذا قالوا ذلك وقيل لما خلق الله النار خافت الملايكة وقالوا لمن
خلقت هذه النار قال لمن عصاني فلما قال اني جاعل في الارض خليفة قالوا هو ذلك
فان قلت الملايكة معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض قلت ذهب بعضهم الى
انهم غير معصومين واستدلوا على ذلك بوجوه منها قوله اتجعل فيها من يفسد فيها ومن
ذهب الى عصمتهم اجاب عنه بان هذا السوال انما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل
الانكار والاعتراض فانهم تعجبوا من كمال حكم الله تعالى واحاطة علمه بما خفي عليهم
ولهذا اجابهم بقوله اني اعلم ما لا تعلمون وقيل ان العبد المخلص في حب سيده يكره
ان يكون له عبد اخر يعصيه فكان سوالهم على وجه المبالغة في اعظام الله عز وجل
**ونحن نسبح بحمدك** اي نقول سبحان الله وبحمده وهي صلاة الخلق وعليها يرزقون
م عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل اي الكلام افضل قال ما اصطفى
الله لملايكته او لعباده سبحان الله وبحمده قال ابن عباس كلما جا في القران من التسبيح
فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلي لك وقيل اصل التسبيح تنزيه الله عما
لا يليق بجلاله فيكون المعنى ونحن ننزهك عن كل سوء ونقيصة ومعناه نحمدك حامدين
لك ومتلبسين بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن من ذلك
**ونقدس لك** واصل التقديس التطهير اي نطهرك عن النقايص وكل سوء ونصفك
بما يليق بعزك وجلالك من العلو والعظمة واللام صلة وقيل معناه نطهر انفسنا
لطاعتك وعبادتك **قال اني اعلم ما لا تعلمون** قيل انه جواب لقول الملايكة اتجعل
فيها فقال الله تعالى اعلم من وجوه المصلحة والحكمة ما لا تعلمون وقيل اعلم ان فيهم
من يعبدني ويطيعني وهم الانبيا والاوليا والصالحون ومن يعصيني منكم وهو ابليس
وقيل اعلم انهم يذنبون ويستغفرون فاغفر لهم **فصل** في ماهية الملايكة
وقصة خلق ادم عليه السلام قيل ان الملايكة اجسام لطيفة هوايية خلقوا من النور
تقدر ان تتشكل باشكال مختلفة مسكنهم السموات عن ابي ذر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السما وحق لها ان
تيط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجد اخرجه الترمذي
بزيادة وقال حديث حسن غريب واما صفة خلق ادم عليه الصلاة والسلام فقال
وهب بن منبه لما اراد الله تعالى ان يخلق ادم اوحى الله تعالى الى الارض اني جاعل
منك خليفة منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن اطاعني ادخلته الجنة ومن عصاني
ادخلته النار فقالت الارض اتخلق مني خلقا يكون للنار قال نعم فبكت الارض
فانفجرت منها العيون الى يوم القيامة فبعث الله اليها جبريل لياتيه بقبضة منها
من احمرها واسودها وطيبها وخبيثها فلما اتاها ليقبض منها قالت اعوذ بعزة الله الذي

ارسلك ان لا تاخذ مني شيا فرجع جبريل الى مكانه وقال يا رب استعاذت بك مني فكرهت ان اقدم عليها فقال الله تعالى لميكائيل انطلق فاتني بقبضة منها فلما اتاها ليقبض منها قالت له مثل ما قالت لجبريل فرجع الى ربه فقال له ما قالت فقال لعزرائيل انطلق فاتني بقبضة من الارض فلما اتاها قالت له الارض اعوذ بعزة الله الذي ارسلك ان لا تاخذ مني شيا فقال وانا اعوذ بعزة الله ان لا اعصي له امرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها وخبيثها وصعد بها الى السما فسأله ربه عز وجل وهو اعلم بما صنع فاخبره بما قالت له الارض وبما رد عليها فقال الله وعزتي وجلالي لاخلقن مما جيت به خلقا ولاسلطنك على قبض ارواحهم لقلة رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة نصفها في الجنة ونصفها في النار ثم تركها ما شا الله ثم اخرجها فعجنها طينا لازبا مدة ثم حما مسنونا مدة ثم صلصالا ثم جعلها جسدا والقاه على باب الجنة فكانت الملايكة يتعجبون من صفة صورته لانهم لم يكونوا راوا امثاله وكان ابليس يمر عليه ويقول لامر ما خلق هذا ونظر اليه فاذا هو اجوف فقال هذا خلق لا يتمالك وقال يوما للملايكة ان فضل هذا عليكم ما تصنعون قالوا نطيع ربنا ولا نعصيه فقال ابليس في نفسه لان فضل علي لاعصينه ولان فضلت عليه لاهلكنه فلما اراد الله ان ينفخ فيه الروح امرها ان تدخل في جسد ادم فنظرت فرات مدخلا ضيقا فقال يا رب كيف ادخل هذا الجسد قال الله عز وجل لها ادخليه كرها وستخرجين منها كرها فدخلت في نافوخه فوصلت الى عينيه فجعل ينظر الى ساير جسده طينا فسارت الى ان وصلت منخريه فعطس فلما بلغت لسانه فقال الحمد لله رب العالمين وهي اول كلمة قالها فناداه الله تعالى يرحمك يا ابا محمد ولهذا خلقتك ولما بلغت الروح الى الركبتين هم ليقوم فلم يقدر قال الله تعالى خلق الانسان من عجل فلما بلغت الى الساقين والقدمين استوى قايما بشرا سويا لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا واحشا وكسي لباسا من ظفر يزداد جسده جمالا وحسنا كل يوم وجعل في جسده تسعة ابواب سبعة في راسه وهي الاذنان يسمع بهما والعينان يبصر بهما والمنخران يشم بهما والفم فيه اللسان يتكلم به والاسنان يطحن بهما ما ياكله ويجد لذة المطعومات بها وبابين من اسفل جسده وهما القبل والدبر يخرج منهما ثقل طعامه وشرابه وجعل عقله في دماغه وفكره وصرامته في قلبه وشهوته في كليته وغضبه في كبده ورغبته في ريته وضحكه في طحاله وفرحه وحزنه في وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم وركب فيه الشهوة وحجزه بالحيا ق عن ابي هريرة قال خلق الله ادم عليه الصلاة والسلام وطوله ستون ذراعا ثم قال له اذهب فسلم على اوليك نفر من الملايكة فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة ادم فلم يزل الخلق ينقص حتى الان م عن انس

قال



قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله ادم تركه ما شا الله ان يتركه فجعل ابليس يطيف به ينظر ما هو فلما راه اجوف علم انه لا يتمالك عن ابي موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجا بنو ادم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب اخرجه الترمذي وابو داود قوله عز وجل **وعلم ادم الاسما كلها** سمي ادم لانه خلق من اديم الارض وقيل لانه كان ادم اللون وكنيته ابو محمد وقيل ابو البشر ولما خلق الله تعالى ادم ونفخ فيه الروح علمه اسما الاشيا كلها وذلك ان الملايكة قالوا ليخلق ربنا ما شا فلن يخلق خلقا اكرم عليه منا وان كان فنحن اعلم منه لانا خلقنا قبله وراينا ما لم يره فاظهر الله فضل ادم عليهم بالعلم وفيه دليل لمذهب اهل السنة ان الانبيا افضل من الملايكة وان كانوا رسلا قال ابن عباس علمه اسم كل شي حتى القصعة والقصيعة وقيل علمه اسما كل شي من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم ادم اسما ما كلها فقال يا ادم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى اتى على اخرها وقيل علم ادم اسما الملايكة وقيل اسما ذريته وقيل علمه الكتب كلها **ثم عرضهم** يعني تلك الاشخاص وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات اذا جمعت من يعقل ومن لا يعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلا عليهم كما يعبر عن الذكور والاناث بلفظ الذكور **على الملايكة فقال** بغير تعجيز لهم **انبيوني** اي اخبروني **باسما هولا** يعني تلك الاشخاص **ان كنتم صادقين** اي اني لم اخلق خلقا الا كنتم افضل منهم واعلم **قالوا** يعني الملايكة **سبحانك** تنزيها لك **لا علم لنا الا ما علمتنا** اي انك اجل من ان نحيط بشي من علمك الا ما علمتنا **انك انت العليم** اي بخلقك وهو من اسما الصفات التامة وهو المحيط بكل المعلومات **الحكيم** في امرك وله معنيان احدهما انه القاضي العدل والثاني المحكم للامور كي لا يتطرق اليها الفساد **قال** يعني الله تعالى **يا ادم انبيهم باسمايهم** وذلك لما ظهر عجز الملايكة فسمى كل شي باسمه وذكر وجه الحكمة التي خلق لها **فلما انباهم باسمايهم قال** يعني الله تعالى **الم اقل لكم** يعني يا ملايكتي **اني اعلم غيب السموات والارض** يعني ما يكون وما سيكون وذلك انه سبحانه وتعالى علم احوال ادم قبل ان يخلقه فلهذا قال **واعلم ما تبدون** يعني قول الملايكة اتجعل فيها **وما كنتم تكتمون** يعني قولكم لن يخلق الله خلقا اكرم عليه منا وقال ابن عباس اعلم ما تبدون من الطاعة وما كنتم تكتمون يعني ابليس من المعصية قوله عز وجل **واذ قلنا للملايكة اسجدوا لادم** قيل هذا الخطاب مع الملايكة الذين كانوا سكان الارض والاصح انه خطاب مع جميع الملايكة بدليل قوله فسجد الملايكة كلهم اجمعون الا ابليس **فسجدوا** يعني الملايكة وفي هذا السجود قولان اصحهما انه كان لادم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجبهة على الارض وانما هو الانحنا وكان سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له في قوله وخروا له سجدا فلما جا الاسلام بطل ذلك بالسلام وفي سجود الملايكة لادم معنى الطاعة لله تعالى والامتثال امره والقول

الثاني ان آدم كان كالقبلة وكان السجود لله تعالى كما جعلت القبلة قبلة للصلاة
والصلاة لله تعالى وفي هذه الآية دليل لمذهب اهل السنة في تفضيل الانبياء على الملائكة
**الا ابليس** سمي به لانه ابلس من رحمة الله اي يئس وكان اسمه عزازيل بالسريانية
وبالعربية الحارث فلما عصى غير اسمه فسمي ابليس وغيرت صورته قال ابن عباس
كان ابليس من الملائكة بدليل انه استثناه منهم وقيل انه من الجن لانه خلق من النار
والملائكة خلقوا من النور ولانه اصل الجن كما ان آدم اصل الانس والاول اصح لان
الخطاب كان مع الملائكة فهو داخل فيهم ثم استثناه منهم **ابى** اي امتنع من السجود فلم
يسجد **واستكبر** اي تكبر وتعظم عن السجود لآدم **وكان من الكافرين** اي في علم الله
تعالى وانه وجبت له النار لسابق علم الله تعالى بشقاوته م عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي
يقول يا ويله وفي رواية يا ويلتاه امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت
بالسجود فعصيت فلي النار قوله عز وجل **وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة**
اي اتخذاها مأوى ومنزلا وليس معناه الاستقرار لانه لم يقل اسكنتك الجنة خلق
لعمارة الارض ولما اسكن الله آدم في الجنة بقي وحده ليس معه من يستأنس به ويجالسه
القى الله عليه النوم ثم اخذ ضلعا من اضلاع جنبه الايسر وهو الاقصر فخلق منه زوجته
حواء ووضع مكان الضلع لحما من غير ان يحس بذلك آدم ولم يجد الما ولو وجد الما
ما عطف رجل على امرأة قط وسميت حواء لانها خلقت من حي فلما استيقظ آدم من
نومه ورآها جالسة كأحسن ما خلق تعالى فقال لها من انت قالت انا زوجتك حواء
قال ولماذا خلقت قال لتسكن الي واسكن اليك واختلفوا في الجنة التي امر الله
آدم بسكناها فقيل انها جنة كانت في الارض بدليل انه لو كانت الجنة التي هي دار
الجزاء والثواب لما اخرج منها واجاب صاحب هذا القول عن قوله تعالى اهبطا بان
المراد من الهبوط التحول والانتقال فهو كقوله تعالى اهبطوا مصرا والقول الصحيح
انها الجنة التي هي دار الجزاء والثواب لان الالف واللام للعهد والجنة بين المسلمين
وفي عرفهم التي هي دار الجزاء والثواب وقيل كلا القولين ممكن فلا وجه للقطع
**وكلا منها رغدا** اي واسعا كثيرا **حيث شئتما** اي كيف شئتما ومتى شئتما واين شئتما
والمقصود منه الاطلاق في الاكل من الجنة بلا مانع الا ما نهى عنه وهو قوله عز وجل
**ولا تقربا هذه الشجرة** يعني بالاكل وقيل انما وقع هذا النهي عن جنس من الشجر وقيل
على شجرة مخصوصة قال ابن عباس هي السنبلة وقيل الكرمة وقيل هي شجرة التين وقيل
هي شجرة العلم وقيل الكافور وقيل ليس في ظاهر الكلام ما يدل على التعيين اذ لا حاجة
اليه لانه ليس المقصود تعرف عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصودا لا يجب بيانه
**فتكونا من الظالمين** يعني ان اكلتما من هذه الشجرة ظلمتما انفسكما فمن جوز ارتكاب
الذنوب على الانبياء قال ظلم نفسه بالمعصية واصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه
ومن لم يجوز ذلك على الانبياء حمل الظلم على انه فعل ما كان الاولى ان لا يفعله

وقيل



وقيل يحمل على انه فعل هذا قبل النبوة فان قلت هل يجوز وصف الانبياء بالظلم او ظلم
انفسهم قلت لا يجوز ان يطلق عليهم ذلك لما فيه من الذم قوله عز وجل **فازلهما**
**الشيطان عنها** اي استزل آدم وحواء ودعاهما الى الزلة وهي الخطيئة وسيأتي
الكلام ان شاء الله تعالى على عصمة الانبياء والجواب عما صدر منهم عند قوله عز وجل
وعصى آدم ربه فغوى في سورة طه **فاخرجهما مما كانا فيه** يعني من النعيم
وذلك ان ابليس اراد ان يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة فاتى
الحية وكانت صديقة لابليس وكانت من احسن الدواب لها اربع قوائم كقوائم
البعير وكانت من خزان الجنة فسألها ان تدخله الجنة في فيها فادخلته ومرت به
على الخزنة وهم لا يعلمون وقيل انما اراهما على باب الجنة لانهما كانا يخرجان منها
وكان ابليس يقرب الى الباب فوسوس وذلك ان آدم لما دخل الجنة ورأى ما فيها من
النعيم قال لو ان خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه واتاه من قبل الخلد وقيل لما
دخل الجنة وقف على آدم وحواء وهما لا يعلمان انه ابليس فبكى وناح نياحة احزنتهما
وهو اول من ناح فقالا له ما يبكيك قال ابكي عليكما لانكما تموتان فتفارقان ما انتما
فيه من النعمة فوقع ذلك في انفسهما واغتما ومضى ابليس ثم اتاهما بعد ذلك وقال
يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد فابى ان يقبل منه فقاسمهما بالله انه لهما لمن
الناصحين فاغترا وما ظنا ان احدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى اكل الشجرة
ثم ناولت آدم فاكل منها قال ابراهيم بن ادهم اورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا
قال ابن عباس قال الله يا آدم الم يكن فيما ابحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة
قال بلى يا رب وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي
لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش فيها الا نكدا فاهبط من الجنة وعلم صنعة
الحديد وامر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى اذا بلغ واشتد حصده ثم درسه
ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه وخبزه ثم اكله فلم يبلغه حتى بلغ منه بالجهد وفي
رواية عن ابن عباس ان آدم لما اكل من الشجرة التي نهي عنها قال الله تعالى يا آدم
ما حملك على ما صنعت قال يا رب زينته لي حواء قال فاني اعقبتها ان لا تحمل الا كرها
ولا تضع الا كرها وادميتها في الشهر مرتين فرنت حواء عند ذلك فقيل عليك الرنة
وعلى بناتك والرنة الصوت فلما اكلا من الشجرة تهافتت عنهما ثيابهما وبدت
سوآتهما واخرجا من الجنة فذلك قوله عز وجل **وقلنا اهبطوا** اي انزلوا الى
الارض يعني آدم وحواء وابليس والحية فهبط آدم بسرنديب من ارض الهند على
جبل يقال له نود واهبطت حواء بجدة وابليس بالايلة من اعمال البصرة والحية
باصبهان **بعضكم لبعض عدو** يعني العداوة التي بين المؤمنين من ذرية آدم وبين
ابليس واليه الاشارة بقوله عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا
والعداوة التي بين ذرية آدم والحية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ترك الحيات مخافة طلبهن فليس منا ما سالمناهن منذ حاربناهن

اخرجه ابو داود وله عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا
الحيات كلهن فمن خاف من ثارهن فليس مني وفي رواية اقتلوا الكبار كلها الا الجان
الابيض الذي كانه قضيب فضة عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رايتم منهم شيئا فاذنوه ثلاثة ايام
فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان وفي رواية ان لهذه البيوت عوامر
فاذا رايتم منها شيئا فحرجوا عليها ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر **ولكم**
**في الارض مستقر** اي موضع قرار **ومتاع** وبلغة ومستمتع **الى حين** اي وقت
انقضاء اجالكم قوله عز وجل **فتلقى ادم** اي فتلقن والتلقي هو قبوله عن فطنة
وفهم وقيل هو التعليم **من ربه كلمات** اي كانت سبب توبته وقيل ان تلك الكلمات
هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل قال لا اله الا انت سبحانك وبحمدك
رب عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم لا اله الا انت سبحانك
وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني انك انت ارحم الراحمين وقيل قال ادم
يا رب ارايت ما اتيت اشيء ابتدعته من تلقاء نفسي ام شيء قدرته علي قبل ان تخلقني
قال بل شيء قدرته عليك قبل ان اخلقك قال يا رب فكما قدرته علي فاغفر لي وقيل
ان الله تعالى امر ادم بالحج وعلمه اركانه فطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمراء ثم
صلى ركعتين ثم استقبل البيت وقال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي
وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي فاوحى الله اليه
يا ادم قد غفرت لك ذنوبك وقيل ان ادم لما اهبط الى الارض مكث ثلاثمائة سنة
لا يرفع راسه الى السماء حياء من الله تعالى وقيل هي ثلاثة اشياء الحياء والدعاء والبكاء
قال ابن عباس بكى ادم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم ياكلا ولم
يشربا اربعين يوما وقيل لو ان دموع اهل الارض جمعت لكانت دموع داود اكثر
منها حيث اصاب الخطيئة ولو ان دموع داود ودموع اهل الارض جمعت لكانت دموع
ادم اكثر حيث اخرجه من الجنة **فتاب عليه** اي فتجاوز عنه وغفر له واصل التوبة
من تاب يتوب اذا رجع فكان التائب رجع عن ذلك الذنب الذي كان عليه ولا تتحقق
التوبة منه الا بثلاثة امور علم وحال وعمل اما العلم فهو ان يعلم العبد ضرر الذنب
وانه حجاب عن الله تعالى فاذا حصل هذا العلم تالم القلب فعند ذلك يحصل الندم
وهو الحال فيترك العبد الذنب ويعزم في المستقبل ان لا يعود اليه وهو العمل فاذا
تحققت هذه الثلاثة امور حصلت التوبة وسياتي بسط هذا عند قوله توبوا
الى الله توبة نصوحا في سورة التحريم ان شاء الله تعالى **انه هو التواب**
اي الرجاع على عباده بقبول التوبة والتواب في وصف الله سبحانه وتعالى المبالغة
في قبول توبة عباده **الرحيم** اي بخلقه وصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا بانه
رحيم **قلنا اهبطوا منها جميعا** يعني هؤلاء الاربعة وقيل ان الهبوط الاول من الجنة
الى سماء الدنيا والهبوط الثاني من سماء الدنيا الى الارض وفيه ضعف لانه قال في



الهبوط الاول ولكم في الارض مستقر فدل على انه كان من الجنة الى الارض والاصح
انه للتاكيد **فاما ياتينكم مني هدى** فيه تنبيه على عظم نعم الله على ادم وحواء
كانه قال وان اهبطتكم من الجنة الى الارض فقد انعمت عليكم بهداية التي تؤديكم الى
الجنة مرة اخرى على الدوام الذي لا ينقطع وقيل المخاطب هم ذرية ادم يعني يا ذرية
ادم اما ياتينكم مني رشد وبيان وشريعة وقيل كتاب ورسول **فمن تبع هداي**
**فلا خوف عليهم** يعني فيما يستقبلهم **ولا هم يحزنون** اي على ما خلفوا وقيل
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الاخرة **والذين كفروا** اي جحدوا **وكذبوا باياتنا**
اي بالقران **اولئك اصحاب النار** اي يوم القيامة **هم فيها خالدون** اي لا يخرجون
منها ولا يموتون فيها قوله عز وجل **يا بني اسرائيل** اتفق المفسرون على ان اسرائيل
هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم اجمعين ومعنى اسرائيل عبد الله
وقيل صفوة الله والمعني بهم اولاد يعقوب **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** اي
اشكروا نعمتي وانما عبر عنه بالذكر لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدها
فقد كفرها وقيل الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان ووحد النعمة لانها المنفعة
المفعولة على جهة الاحسان الى الغير ومعناه ان المضرة المحضة لا تكون نعمة ولو
فعل الانسان منفعة وقصد نفسه بها لا تسمى نعمة اذا لم يقصد بها الغير ثم ان
النعم ثلاثة نعمة تفرد بها الله تعالى وهي ايجاد الانسان ورزقه ونعمة وصلت
الى الانسان بواسطة الغير لكن الله مكنه من ذلك فالمنعم بها في الحقيقة هو
الله تعالى ونعمة حصلت للانسان بسبب الطاعة وهي ايضا من الله تعالى فالله
هو المنعم المطلق في الحقيقة لان اصول النعم كلها منه واما النعم المختصة ببني
اسرائيل فكثيرة لان قوله اذكروا نعمتي لفظها واحد ومعناها الجمع فمن النعم ان الله
انقذهم من فرعون وفلق لهم البحر واغرق فرعون وتظليل الغمام وانزال المن
والسلوى في التيه عليهم وانزال التوراة في نعم غير هذا كثيرة فان قلت اذا فسرت
النعمة بهذا فما كانت على المخاطبين بها بل كانت على ابائهم فكيف تكون نعمة عليهم حتى
يذكروها قلت انما ذكر المخاطبين بها لان فخر الاباء فخر للابناء ولان الابناء اذا تيقنوا
ان الله انعم على ابائهم بهذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها وقيل ان هذه
النعمة هي ادراك المخاطبين بها زمن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان به **واوفوا**
**بعهدي** اي امتثلوا امري **اوف بعهدكم** اي بالقبول والثواب واصل العهد حفظ
الشيء ومراعاته حالا بعد حال ومنه سمي الموثق الذي يلزم مراعاته عهدا وقيل
اراد بالعهد جميع ما امر الله به من غير تخصيص ببعض التكاليف دون بعض وقيل
اراد به ما ذكر في سورة المائدة وهو قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل
وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله لاكفرن عنكم سيئاتكم فهذا قوله اوف بعهدكم
وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة
يعني شريعة التوراة وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله

وقيل اراد بهذا العهد ما اثبته في كتب الانبياء المتقدمة من وصف محمد صلى الله
عليه وسلم وانه مبعوث في اخر الزمان وذلك ان الله عهد الى بني اسرائيل على لسان
موسى عليه السلام اني باعث من بني اسماعيل نبيا اميا فمن تبعه وصدق النور الذي
ياتي به غفرت له ذنوبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اثنين وهو قوله واذ اخذ
الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعني امر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته
**وإياي فارهبون** اي خافون في نقضكم العهد **وآمنوا بما انزلت** يعني القرآن **مصدقا
لما معكم** يعني ان القرآن موافق لما في التوراة من التوحيد والنبوة والاخبار ونعت
النبي صلى الله عليه وسلم فالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن تصديقا للتوراة
لان التوراة فيها الاشارة الى نعت النبي صلى الله عليه وسلم وانه نبي مبعوث فمن
امن به فقد امن بما في التوراة ومن كذبه وكفر به فقد كذب التوراة وكفر بها
**ولا تكونوا اول كافر به** الخطاب لليهود نزلت في كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود
والمعنى فلا تكونوا يا معشر اليهود اول من كفر فان قلت كيف جعلوا اول من كفر به
وقد سبقهم الى الكفر به مشركوا العرب من اهل مكة وغيرهم قلت هذا تعريض
بهم والمعنى كان يجب ان تكونوا اول من امن به لانكم تعرفون صفته ونعته
بخلاف غيركم وكنتم تستفتحون به على الكفار فلما بعث كان امر اليهود بالعكس
وقيل معناه ولا تكونوا اول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك فتبوؤا
باثمكم واثم غيركم ممن تبعكم على ذلك **ولا تشتروا** اي ولا تستبدلوا **بآياتي**
اي ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي في التوراة **ثمنا قليلا** اي عوضا
يسيرا من الدنيا لان الدنيا بالنسبة الى الاخرة كالشيء اليسير الحقير الذي لا
قيمة له والذي كانوا ياخذونه من الدنيا كالشيء اليسير بالنسبة الى جميعها
فهو قليل القليل فلهذا قال الله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وذلك
ان كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود وعلماءهم كانوا يصيبون الماكل من سفلتهم
وجهالهم وكانوا ياخذون منهم في كل سنة شيئا معلوما من زروعهم وثمارهم ونقودهم
وضروعهم فخافوا ان يبينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ويتبعوه ان تفوتهم تلك الماكل
فغيروا نعته وكتموا اسمه واختاروا الدنيا على الاخرة واصروا الكفر **وإياي
فاتقون** اي خافون في امر محمد صلى الله عليه وسلم والتقوى قريب من معنى الرهبة
والفرق بينهما ان الرهبة خوف مع حزن واضطراب والتقوى جعل النفس في وقاية
مما يخاف قوله عز وجل **ولا تلبسوا الحق بالباطل** اي ولا تكتبوا في التوراة ما ليس
فيها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم وقيل معناه ولا تخلطوا الحق الذي
انزل عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة بالباطل الذي تكتبونه بايديكم
من تغيير صفته وقيل لا تخلطوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي الحق بالباطل اي
بصفة الدجال وذلك لانه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود
وقالوا ليس هو الذي ننتظره وانما هو المسيح بن داود يعني الدجال وكذبوا فيما





قالوا **وتكتموا الحق وانتم تعلمون** يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم لغيره وانتم تعلمون يعني
ان محمدا نبي مرسل وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير من مثله فصار بهذا الخطاب وان كان
خاصا في الصورة لكنه عام في المعنى فعلى كل احد ان لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق
لما فيه من الضرر والفساد وفيه دلالة ايضا على ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم
عليه كتمانه **واقيموا الصلاة** يعني الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها وجميع اركانها **واتوا
الزكاة** اي ادوا الزكاة المفروضة عليكم في اموالكم **واركعوا مع الراكعين** اي صلوا
مع المصلين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وعبر عن الصلاة بالركوع لانه ركن من اركانها
وهذا خطاب لليهود لان صلاتهم ليس فيها ركوع فكانه قال صلوا صلاة ذات ركوع فلهذا
المعنى اعاده بقوله واقيموا الصلاة لان الاول خطاب الكافة والثاني خطاب قوم مخصوصين
وهم اليهود وفيه حث على اقامة الصلاة في الجماعة فكانه قال صلوا مع المصلين في الجماعة
قوله عز وجل **اتامرون الناس بالبر** الاستفهام فيه للتقرير مع التقريع والتعجيب
من حالهم والبر اسم جامع لجميع اعمال الخير والطاعات نزلت هذه الاية في علماء اليهود
وذلك ان الرجل منهم كان يقول لقريبه وحليفه من المسلمين اذا ساله عن امر محمد صلى الله
عليه وسلم اثبت على دينه فان امره حق وقوله صدق وقيل ان جماعة من اليهود قالوا
لمشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعوكم الى الحق وكانوا يرغبونهم في اتباعه
فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه وكفروا به فبكتهم الله ووبخهم بذلك
حيث انهم كانوا يامرون الناس باتباعه قبل ظهوره فلما ظهر تركوه واعرضوا عنه وقيل
كانوا يامرون الناس بالطاعة والصلاة والزكاة وانواع البر ولا يفعلونه فوبخهم الله
بذلك **وتنسون انفسكم** اي وتغفلون عما لها فيه نفع والنسيان عبارة عن السهو
الحادث بعد حصول العلم والمعنى تتركون انفسكم ولا تتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم
**وانتم تتلون الكتاب** يعني تقرؤون التوراة وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى الله
عليه وسلم وصفته وفيها ايضا الحث على الافعال الحسنة والاعراض عن الافعال
القبيحة والاثم **افلا تعقلون** يعني انه حق فتتبعونه والعقل قوة تهيئ قبول العلم
ويقال العلم الذي يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ومنه قول علي بن ابي
طالب العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع اذا لم يك مسموع كما لا ينفع
الشمس وضوء العين ممنوع واصل العقل الامساك لانه ماخوذ من عقال الدابة
كعقل البعير بالعقال ليمنعه من الشرود فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود
والافعال القبيحة ومعنى الاية ان المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
هو ارشاد الغير الى تحصيل المصلحة وتحذيره عما يوقعه في المفسدة والاحسان
الى النفس اولى من الاحسان الى الغير وذلك لان الانسان اذا وعظ غيره ولم يتعظ
هو فكانه اتى بفعل متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال افلا تعقلون وقيل ان من وعظ
الناس يجتهد ان تنفذ موعظته الى القلوب فاذا خالف قوله فعله فان ذلك سبب
تغير القلوب عن قبول موعظته **ق** عن اسامة بن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول يوتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يا فلان ما لك الم تكن تامر الناس بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت امر بالمعروف ولا اتيه وانهى عن المنكر واتيه قوله فتندلق اي تخرج اقتاب بطنه اي امعا بطنه واحدها قتب وروى البغوي بسنده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هولا يا جبريل قال هولا خطبا من امتك يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب افلا يعقلون وقيل مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقال بعضهم

ابدا بنفسك فانهها عن غيها • فاذا انتهت عنه فانت حكيم

فهناك يسمع ما تقول ويقتدى • بالقول منك وينفع التعليم

قوله عز وجل **واستعينوا بالصبر والصلاة** قيل ان المخاطبين بهذا هم المومنون لان من ينكر الصلاة والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلاة فلاجرم وجب صرفه الى من صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وامن به وقيل يحتمل ان يكون الخطاب لبني اسرايل لان صرف الخطاب الى غيرهم يوجب تفكيك نظم القران ولان اليهود لم ينكروا اصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة المومنين فعلى هذا القول ان الله تعالى لما امرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شريعته وترك الرياسة والجاه والمال فقال لهم استعينوا بالصبر اي بحبس النفس عن اللذات وان ضممتم الى ذلك الصلاة هان عليكم ترك ما انتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال وعلى القول الاول يكون معنى الاية واستعينوا على حوايجكم الى الله وقيل على ما يشغلكم من انواع البلاد وقيل على طلب الاخرة بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات وترك المعاصي وقيل بالصبر على ادا الفرايض وقيل الصبر هو الصوم لان فيه حبس النفس عن المفطرات وعن ساير اللذات وفيه انكسار النفس والصلاة اي اجمعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه واستعينوا بالصبر على الصلاة وعلى ما يجب فيها من تصحيح النية واحضار القلب ومراعاة الاركان والاداب مع الخشوع والخشية فان من اشتغل بالصلاة ترك ما سواها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزنه امر فزع الى الصلاة اي اذا اهمه امر لجا الى الصلاة عن ابن عباس انه نعي له اخوه قثم وهو في سفره فاسترجع ثم تنحى الى الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما السجود ثم قام الى راحلته وهو يقول استعينوا بالصبر والصلاة **وانها** يعني الصلاة وقيل الاستعانة **لكبيرة** اي ثقيلة **الا على الخاشعين** يعني المومنين وقيل الخايفين وقيل المطيعين المتواضعين لله واصل الخشوع السكون فالخاشع ساكن الى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة واكثر ما يستعمل في الجوارح وانما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لان من لم يرجو لها ثوابا ولا يخاف على تركها عقابا فهي ثقيلة عليه والخاشع الذي يرجو لها ثوابا ويخاف على تركها عقابا فهي سهلة





عليه **الذين يظنون** اي يتيقنون وقيل يعلمون **انهم ملاقوا ربهم** يعني في الاخرة وفيه دليل على ثبوت روية الله تعالى في الاخرة **وانهم اليه راجعون** يعني بعد الموت فيجزيهم باعمالهم قوله عز وجل **يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** انما اعاد هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم **واني فضلتكم على العالمين** يعني عالمي زمانكم وهذا التفضيل وان كان في حق الابا ولكن يحصل به الشرف للابنا **واتقوا يوما** اي واخشوا عذاب يوم **لا تجزي** اي لا تقضي **نفس عن نفس شيا** يعني حقا لزمها وقيل معناه لا تنوب نفس عن نفس يوم القيامة ولا تدفع عنها شيا مما اصابها بل يفر المرء من اخيه وامه وابيه **ولا يقبل منها شفاعة** اي في ذلك اليوم والمعنى لا تقبل الشفاعة اذا كانت النفس كافرة وذلك ان اليهود قالوا يشفع لنا اباونا فرد الله عليهم ذلك بقوله ولا يقبل منها شفاعة وقيل ان طاعة المطيع لا تقضي عن العاصي ما كان واجبا عليه وقيل معناه ان النفس الكافرة لو جات بشفيع لا يقبل منها **ولا يوخذ منها عدل** اي فدية وهي مماثلة الشي بالشي **ولا هم ينصرون** اي لا يمنعون من العذاب قوله عز وجل **واذ نجيناكم** اي اذكروا اذ خلصنا اسلافكم واجدادكم فاعدها نعمة ومنة عليهم لانهم نجوا بنجاة اسلافهم **من ال فرعون** اي من اتباعه واهل دينه وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط ومن العماليق وكان اسمه الوليد بن مصعب بن الريان وعمر اكثر من اربعماية سنة **يسومونكم** اي يكلفونكم ويذيقونكم **سوء العذاب** اي اشد العذاب واسواه وقيل يصرفونكم في العذاب مرة كذا ومرة كذا وذلك ان فرعون جعل بني اسرايل خدما وخولا وصنفهم في الاعمال اصنافا فاصنف يبنون ويزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية وقال ابن وهب كانوا اصنافا في اعمال فرعون فذوو القوة ينحتون السواري من الجبال حتى قرحت ايديهم واعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وصنف ينقلون الحجارة والطين يبنون له القصور وطايفة يضربون اللبن ويطبخون الاجر وطايفة نجارون وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج يعني الجزية ضريبة يودونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل ان يودي ضريبته غلت يمينه الى عنقه شهرا والنسا يغزلون الكتان وينسجونه وقيل تفسير يسومونكم سوء العذاب ما بعده وهو قوله عز وجل **يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم** اي يتركونهن احيا وذلك ان فرعون راى في منامه كان نارا اقبلت من بيت المقدس واحاطت بمصر واحرقت كل قبطي ولم تتعرض لبني اسرايل وهاله ذلك وسال الكهنة عن روياه فقالوا يولد غلام يكون على يديه هلاكك وزوال ملكك فامر فرعون بقتل كل غلام ولد في بني اسرايل وبالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قتل في طلب موسى اثنا عشر الفا وقيل سبعين الفا واسرع الموت في مشيخة بني اسرايل فدخل روسا القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع ببني اسرايل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر

فرعون أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبح فيها وولد
موسى في السنة التي يذبح فيها **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** أي اختبار وامتحان والبلا
يطلق على النعمة العظيمة وعلى المحنة الشديدة ليختبر الله العبد على النعمة بالشكر
وعلى الشدة بالصبر فإن حمل قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم على صنع فرعون كان
من البلاء والمحنة وإن حمل على الإنجاء كان من النعمة قوله عز وجل **وإذ فرقنا بكم البحر**
أي فصلنا بعضه من بعض وجعلنا فيه مسالك بسبب دخولكم البحر وسمي بحرا لاتساعه
ذكر سياق القصة وذلك لما دنا هلاك فرعون أمر الله عز وجل موسى أن يسري ببني إسرائيل
من مصر بالليل فأمر موسى قومه أن يسرجوا في بيوتهم السرج إلى الصبح وأن يستعيروا
حلي القبط لتبقى لهم ولتبعوهم لأجل المال وأخرج الله كل ولد زنا كان في القبط من بني
إسرائيل إلى بني إسرائيل وكل ولد زنا كان في بني إسرائيل من القبط إلى القبط حتى يرجع كل ولد
إلى أبيه وألقى الله الموت على القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم وقيل بلغ ذلك
فرعون فقال لا تخرج في طلبهم حتى يصيح الديك فما صاح تلك الليلة ديك وخرج موسى
في بني إسرائيل وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يعد ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن
ستين سنة لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنان وسبعون إنسانا ما بين رجل
وامرأة فلما أرادوا السير ضرب عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى مشيخة
بني إسرائيل وسألهم عن ذلك فقالوا إن يوسف لما حضره الموت أخذ على إخوته عهدا أن لا
يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك انسد علينا الطريق فسألهم عن موضع قبره
فلم يعلموه فقام موسى ينادي أنشد الله كل من يعلم أين قبر يوسف إلا أخبرني به ومن لم يعلم
صمت أذناه عن سماع قولي فكان يمر بين الرجلين وهو ينادي فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز منهم
فقالت له أرأيتك إن دللتك على قبره أتعطيني كل ما أسألك فأبى عليها وقال حتى أسأل ربي فأمره
أن يعطيها سؤلها فقالت إني عجوز لا أستطيع المشي فاحملني معك وأخرجني من مصر هذا
في الدنيا وأما في الآخرة فأسألك أن لا تنزل غرفة من غرف الجنة إلا نزلتها معك قال نعم قالت
إنه في النيل في جوف الماء فادعوا الله أن يحسر عنه الماء فدعا الله أن يحسر عنه ودعا الله أن
يؤخر عنه طلوع الفجر حتى يفرغ من أمر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه
وهو في صندوق من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار
موسى ببني إسرائيل هو في ساقتهم وهارون في مقدمتهم ثم خرج فرعون في طلبهم
في ألف ألف وسبعمائة ألف وكان فيهم سبعون ألفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات
وقيل كان معهم مائة ألف حصان أدهم وكان فرعون في الدهم وكان على مقدمة عسكره هامان
وكان فرعون في سبعة آلاف ألف وكان بين يديه مائة ألف ناشب ومائة ألف حراب
ومائة ألف معهم الأعمدة وسار بنو إسرائيل حتى وصلوا البحر والماء في غاية الزيادة ونظروا
حين أشرقت الشمس فإذا هم بفرعون في جنوده فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى أين ما
وعدتنا به فكيف نصنع هذا فرعون خلفنا إن أدركنا قتلنا والبحر أمامنا إن دخلناه
غرقنا فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فأوحى الله إليه

أذكته



أن كنه فضربه وقال انفلق يا أبا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا
عشر طريقا لكل سبط منهم طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل وأرسل الله الريح
والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا وخاضت بنو إسرائيل البحر كل سبط في طريق وعن
جوانبهم الماء كالجبال الضخم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط منهم قد هلك إخواننا
فأوحى الله إلى جبال الماء أن تشبكي فصار الماء كالشبابيك يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم
كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى وإذ فرقنا بكم البحر **فأنجيناكم** يعني
من فرعون **وأغرقنا آل فرعون** وذلك أن فرعون لما وصل إلى البحر فرآه منفلقا قال
لقومه انظروا إلى البحر كيف انفلق من هيبتي حتى أدرك عبيدي الذين أبقوا مني ادخلوا
البحر فهاب قومه أن يدخلوه وقيل قالوا له إن كنت ربا فادخل البحر كما دخل موسى وكان
فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيل فرعون فرس أنثى فجاء جبريل عليه السلام على فرس
أنثى وديق فتقدمه وخاض البحر فلما شم أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر في أثرها ولم
يملك فرعون من أمره شيئا واقتحمت الخيول خلفه في البحر وجاء ميكائيل خلفهم يسوقهم وهو
على فرس ويقول الحقوا بأصحابكم حتى صاروا كلهم في البحر وخرج جبريل من البحر وهم أولهم
بالخروج أمر الله البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم وغرقهم أجمعين فكان بين طرفي البحر أربع
فراسخ وهو بحر القلزم وهو على طرف من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له
إساف وكان إغراق فرعون بمرأى من بني إسرائيل فذلك قوله **وأنتم تنظرون**
يعني إلى هلاكهم وقيل إلى مصارعهم وقيل إن البحر قذفهم حتى نظروا إليهم ووافق ذلك
يوم عاشوراء فصام موسى ذلك اليوم شكرا لله تعالى قوله عز وجل **وإذ وعدنا** من المواعدة
وهو من الله تعالى الأمر ومن موسى القبول وذلك أن الله وعده لمجيء الميقات **موسى**
اسم عبري معرب فموسى بالعربية الماء وسى وهو الشجر سمي موسى لأنه أخذ من الماء
والشجر ثم قلبت الشين سينا فسمي موسى **أربعين ليلة** أي انقضاء أربعين ليلة ثلاثين
من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة وقرن التاريخ بالليل دون النهار لأن الشهور العربية
وضعت على سير القمر وقيل لأن الظلمة أقدم من الضوء ذكر القصة في ذلك قال العلماء
لما أنجى الله بني إسرائيل من البحر وأغرق عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون
إليها وعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه إني ذاهب إلى الميقات في
لآتيكم منه بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون ووعدهم أربعين ليلة واستخلف
عليهم أخاه هارون فلما جاء الموعد أتاه جبريل عليه السلام على فرس يقال له فرس الحياة
لا يصيب شيئا إلا حيي ليذهب بموسى إلى ميقات ربه فرآه السامري وكان صائغا
اسمه ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من أهل باجرما وقيل كرمان
وقيل من بني إسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وكان منافقا يظهر الإسلام وكان
من قوم يعبدون البقر فلما رأى جبريل على ذلك الفرس ورأى موضع قدم الفرس يخضر في
الحال فقال في نفسه إن لهذا شأنا وقيل رأى جبريل حين دخل البحر قدام فرعون فقبض
قبضة من تراب فرسه وألقي في روعه أنه إذا ألقي في شيء حي فلما ذهب موسى إلى الميقات

ومكث علي الطور اربعين ليلة وانزل الله عليه التوراة في الالواح وكانت الالواح من برجد
وقربه نجيا واسمعه صرير الاقلام وقيل انه بقي اربعين ليلة لم يحدث فيها حدثا حتى هبط
من الطور وكانت بنوا اسرايل قد استعاروا حليا كثيرا من القبط حين ارادوا الخروج من
مصر لعلة عرس لهم فلما هلك فرعون وقومه بقي ذلك الحلي الذي استعيروه وهو هالك القبط
غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفيرة وادفنوها فيها حتى يرجع موسى ويرى فيها رايه وقيل
ان هارون امرهم بذلك فلما اجتمعت الحلي اخذها السامري وصاغها عجلا في ثلاثة ايام
ثم القى فيها القبضة التي اخذها من تراب فرس جبريل عليه السلام فصار عجلا من ذهب
مرصعا بالجواهر وخار خورة وقيل كان يخور ويمشي فقال لهم السامري هذا الهكم واله
موسى فنسي اي فتركه ههنا وخرج يطلبه وكان بنوا اسرايل قد اخلفوا الوعد فعدوا اليوم
مع الليلة يومين فلما مضي عشرون يوما ولم يرجع موسى وقعوا في الفتنة وقيل كان موسى
وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة فكانت فتنتهم في ذلك العشرة فلما مضت الثلاثون
ولم يرجع موسى ظنوا انه قد مات وراوا العجل وسمعوا قول السامري عكف عليه ثمانية
الاف رجل يعبدونه وقيل عبده كلهم الا هارون مع اثني عشر الف رجل وهذا اصح قال
قوله عز وجل **ثم اتخذتم العجل** يعني الها **من بعده** اي من بعد موسى **وانتم ظالمون**
اي وانتم ضارون لانفسكم بالمعصية حين وضعتم العبادة في غير موضعها **ثم عفونا**
**عنكم** اي محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم **من بعد ذلك** اي من بعد عبادتكم العجل **لعلكم**
**تشكرون** اي لكي تشكروا عفوي عنكم وحسن صنيعي اليكم واصل الشكر هو تصور
النعمة واظهارها وضده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها والشكر على ثلاثة
اضرب شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الثناء على النعمة وشكر سائر
الجوارح وهو مكافاة النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح
في السر والعلانية وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر وحكي ان موسى عليه الصلاة
والسلام قال الهي انعمت علي النعم السوابغ وامرتني بالشكر وانما شكري اياك
نعمة منك فاوحي الله تعالى اليه يا موسى تعلمت العلم الذي لا فوقه علم حسبي من عبدي ان
يعلم ان ما به من نعمة فهي مني وقال داود عليه الصلاة والسلام سبحان من جعل اعتراف
العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة وقال الفضيل
شكر كل نعمة ان لا يعصي الله بعدها بتلك النعمة وقيل شكر النعمة ذكرها وقيل شكر
النعمة ان لا يراها البتة ويرى المنعم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثناء ولنظيرك
بالمكافاة ولمن دونك بالاحسان والافضال قوله عز وجل **واذ اتينا موسى الكتاب**
يعني التوراة **والفرقان** يعني هو نعت الكتاب والواو زايدة والمعنى الكتاب الفرق
بين الحلال والحرام والكفر والايمان وقيل الفرقان هو النصر على الاعداء وقيل هو الاية
**لعلكم تهتدون** يعني بالتوراة **واذ قال موسى لقومه** يعني الذين عبدوا العجل
**يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل** يعني الها تعبدونه فكانهم قالوا اي شي نصنع
قال **فتوبوا الى باريكم** اي ارجعوا الى خالقكم بالتوبة قالوا كيف نتوب قال **فاقتلوا**

انفسكم

**انفسكم** يعني ليقتل البريء منكم المجرم فان قلت التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح
والعزم ان لا يعود اليه وهذا مغاير للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل قلت ليس
المراد تفسير التوبة بالقتل بل بيان ان توبتهم لا تتم الا بالقتل وانما كان ذلك لان الله
اوحي الي موسى عليه السلام ان توبة المرتد لا تتم الا بالقتل فان قلت التايب من الردة
لا يقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من الردة قلت ذلك مما يختلف فيه الشرايع
فلعل شرع موسى كان يقتضي ان يقتل التايب من الردة اما عاما في حق الكل او خاصا في
حق الذين عبدوا العجل **ذلكم خير لكم عند باريكم** يعني القتل وتحمل هذه الشدة
لان الموت لا بد منه فلما امرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله تعالى فجلسوا
محتبين من الحبوة وهو ضم الساق الى البطن بثوب وقيل لهم من حل حبوته او مد طرفه
الى قاتله او اتقاه بيد او رجل فهو ملعون مردودة توبته واصلت القوم الخناجر
والسيوف واقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه واباه واخاه وقريبه وصديقه وجاره
فلم يمكنه المضي لامر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نفعل فارسل الله تعالى عليهم
سحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا يقتتلون الى المساء فلما كثر القتل دعا موسى
وهارون ربهما وبكيا وتضرعا اليه وقالا يا رب هلكت بنوا اسرايل البقية البقية
فكشف الله السحابة عنهم وامرهم ان يكفوا عن القتل فتكشفت عن الوف من القتلى قال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان عدد القتلى سبعين الفا فاشتد ذلك على موسى فاوحي
الله اليه اما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي مكفر
عنه ذنوبه فذلك قوله عز وجل **فتاب عليكم** اي فعلتم ما امرتم به فتجاوز عنكم **انه**
**هو التواب** اي الرجاع بالمغفرة القابل للتوبة **الرحيم** بخلقه قوله عز وجل **واذ قلتم**
**يا موسى لن نؤمن لك** اي لن نصدقك **حتى نرى الله جهرة** اي عيانا وذلك
ان الله عز وجل امر موسى ان ياتيه في ناس من بني اسرايل يعتذرون اليه من عبادة العجل
فاختار موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم
ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور سينا لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا ان نسمع كلام
ربنا قال افعل فلما دنى من الجبل وقع عليه عمود الغمام وتغشى الجبل كله فدخل موسى في الغمام
وقال للقوم ادنوا حتى دخلوا تحت الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على
وجهه نور ساطع لا يستطيع احد ان ينظر اليه فضرب دونهم الحجاب وسمعوه يكلم موسى
يامره وينهاه واسمعهم الله تعالى اني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض مصر
بيد شديدة فاعبدوني ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى وانكشف الغمام اقبل اليهم
فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وانما قالوا جهرة توكيدا لها ولئلا يتوهم
متوهم ان المراد بالرؤية العلم **فاخذتكم الصاعقة** قيل هي الموت وقيل ضعف لان قوله
وانتم تنظرون يرده اذ لو كان المراد منها الموت لامتنع كونهم ناظرين اليها وقيل ان الصاعقة
هي سبب الموت واختلفوا في ذلك السبب فقيل ان نارا نزلت من السما فاحرقتهم وقيل
جاءت صيحة من السما وقيل ارسل جنودا من الملايكة فسمعوا بحسهم فخروا صاعقين **وانتم**

**تنظرون** اي تنظروا بعضكم الى بعض كيف ياخذه الموت فلما هلكوا وجعل موسى يبكي
ويتضرع ويقول الهي ماذا اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم وقد هلك خيارهم لو شيت اهلكتهم
من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفها فلم يزل يناشد ربه حتى احياهم الله رجلا بعد رجل
بعدما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى **ثم بعثناكم**
اي احييناكم **من بعد موتكم** اي لتستوفوا بقية اجالكم وارزاقكم ولو انهم قد ماتوا
لانقضا اجالهم لم يبعثوا الى يوم القيامة **لعلكم تشكرون** قوله عز وجل **وظللنا
عليكم الغمام** يعني في التيه يقيكم حر الشمس وذلك انه لم يكن لهم في التيه شي يستترون
ولا يستظلون به فشكوا الى موسى فارسل الله غماما ابيض رقيقا يسترهم من الشمس
وجعل لهم عمودا من نور يضي لهم بالليل اذا لم يكن قمر **وانزلنا عليكم المن والسلوى** في
التيه والاكثرون على ان المن هو الترنجبين وقيل هو شي كالصمغ يقع على الشجر طعمه
كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق واصل المن هو ما يمن الله به من غير تعب عن
سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكماة من المن وماؤها شفا
للعين ومعنى الحديث ان الكماة شي ينبته الله من غير سعي احد ولا مؤنة وهو بمنزلة المن
الذي كان ينزل على بني اسرائيل وقوله وماؤها شفا للعين معناه ان يخلط مع الادوية ويفتتح
به لا انه يقطر ماؤها بحتا في العين وقيل ان تقطيره في العين ينفع ولكن لوجع مخصوص
وليس يوافق كل وجع وكان هذا المن ينزل على اشجارهم في التيه في كل ليلة من وقت السحر
الى طلوع الشمس كالثلج لكل انسان صاع فقالوا يا موسى قد قتلنا هذا المن بحلاوته فادع
الله لنا ربك يطعمنا اللحم فارسل الله عليهم السلوى وهو طاير يشبه السماني وقيل هو
السماني بعينه فكان الرجل ياخذ ما يكفيه يوما وليلة فاذا كان يوم الجمعة اخذ ما
يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت شي **كلوا** اي وقلنا لهم كلوا **من طيبات**
اي حلالات **ما رزقناكم** ولا تدخروا لغد فخالفوا وادخروا فدود وفسد فقطع الله
عنهم ذلك ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو
اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حوا لم تخن انثى زوجها الدهر قوله
لم يخنز اللحم لم ينتن ولم يتغير **وما ظلمونا** اي وما بخسوا حقنا **ولكن كانوا انفسهم
يظلمون** يعني باخذهم اكثر مما حد لهم فاستحقوا بذلك عذابي وقطع مادة الرزق
الذي كان ينزل عليهم بلا مونة ولا تعب في الدنيا ولا حساب في العقبى قوله عز وجل
**واذ قلنا ادخلوا هذه القرية** سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس هي اريحا
قرية الجبارين وقيل كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة وراسهم عوج
ابن عنق وعلى هذا يكون القايل يوشع بن نون لانه هو الذي فتح اريحا بعد موت موسى
لان موسى مات في التيه وقيل هي بيت المقدس وعلى هذا فيكون القايل موسى والمعنى
اذا خرجتم من التيه بعد مضي الاربعين سنة ادخلوا بيت المقدس **فكلوا منها حيث
شئتم رغدا** اي موسعا عليكم **وادخلوا الباب** فمن قال انها القرية اريحا قال ادخلوا
من اي باب كان من ابوابها وكان لها سبعة ابواب ومن قال انها القرية بيت المقدس





قال هو باب حطة **سجدا** منحنين خضعا متواضعين كالراكع ولم يرد به نفس السجود
**وقولوا حطة** اي حط عنا خطايانا امروا بالاستغفار وقال ابن عباس قولوا
لا اله الا الله لانها تحط الذنوب والخطايا وهي على تقدير مسالتنا حطة **نغفر لكم خطاياكم**
اي نسترها عليكم من الغفر وهو الستر لان المغفرة تستر الذنوب **وسنزيد المحسنين**
يعني ثوابا **فبدل** اي فغير **الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم** اي قالوا قولا
غير ما قيل لهم وذلك انهم بدلوا قول الحطة بالحنطة فقالوا بلسانهم هطانا حمرانا
اي حنطة حمرا وذلك استخفافا منهم بامر الله تعالى وقيل طوطي لهم الباب ليخفضوا
روسهم فابوا ذلك ودخلوا زحفا على استاههم فخالفوا في الفعل كما خالفوا في القول
وبدلوه **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبني اسرائيل
ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاههم وقالوا حبة
في شعيرة **فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السما** يعني عذابا من السما قيل ارسل
عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون الفا **بما كانوا يفسقون** اي يعصون
ويخرجون عن امر الله تعالى قوله عز وجل **واذ استسقى موسى لقومه** اي طلب السقيا
لقومه وذلك انهم عطشوا في التيه فسالوا موسى ان يستسقي لهم ففعل فاوحى
الله اليه كما قال مبينا **فقلنا اضرب بعصاك** وكان العصا من اس الجنة طولها عشرة
اذرع على طول موسى عليه السلام ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها عليق
وقيل نبعه حملها ادم معه من الجنة فتوارثوا الانبيا حتى وصلت الى شعيب فاعطاها
موسى **الحجر** قال وهب لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب اي حجر كان فينفجر عيونا
لكل سبط عين فكانوا اثني عشر سبطا وقيل كان حجرا معينا بدليل انه عرفه بالالف
واللام قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا قدر راس الرجل وكان موسى عليه السلام
يضعه في مخلاة فاذا احتاجوا الى الما وضعه وضربه بعصاه وقيل كان الحجر اربعة وجوه
في كل وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل كان من الكذان وهي
الحجارة اللينة وقيل هو الحجر الذي وضع عليه موسى ثوبه ليغتسل ففر به فاتاه جبريل
وقال ان الله يامرك ان ترفع هذا الحجر فلي فيه قدرة ولك فيه معجزة فوضعه في مخلاة
فلما سالوا السقيا قيل اضرب بعصاك الحجر فكان اذا احتاجوا للما وضعه وضربه بعصاه
فتنفجر منه عيون لكل سبط عين تسيل اليهم في جدول وكان اذا اراد حمله ضربه بعصاه
فيذهب الما وييبس الحجر فذلك قوله تعالى **فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا** يعني
على عدد الاسباط بني اسرائيل والمعنى فضربه فانفجرت قال المفسرون انفجرت وانبجست
بمعنى واحد وقيل انبجست اي عرقت وانفجرت سالت **قد علم كل اناس مشربهم** اي موضع
شربهم لا يدخل سبط على غيره **كلوا واشربوا** اي وقلنا لهم كلوا واشربوا **من رزق الله**
يعني المن والسلوى والما فهذا كله من رزق الله كان ياتيهم بلا مشقة ولا كلفة **ولا
تعثوا في الارض مفسدين** العيث اشد الفساد في هذه الاية معجزة عظيمة
لموسى عليه الصلاة والسلام حيث انفجر من الحجر الصغير ما روي عنه الجمع الكثير ومعجزة

نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اعظم لانه انفجر الما من بين اصبعيه فروى منه الجم الغفير
لان انفجار الما من الدم واللحم اعظم من انفجاره من الحجر قوله عز وجل **واذ قلتم يا موسى**
**لن نصبر على طعام واحد** وذلك انهم سيموا من المن والسلوى وملوه فاشتهوا غيره
لان المواظبة على الطعام الواحد تكون سببا لنقصان الشهوة فان قلت هما طعامان
فما لهم قالوا على طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان
على مايدة الرجل عدة الوان يداوم عليها في كل يوم لا يبدلها كانت بمنزلة الطعام
الواحد **فادع لنا ربك** اي فسئل لنا ربك **يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها**
**وفومها** قال ابن عباس الفوم الخبز وقيل هو الحنطة وقيل هو الثوم **وعدسها**
**وبصلها** انما طلبوا هذه الانواع لانها تبعث على قوة الشهوة او لانهم ملوا من البقا
في التيه فسالوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد وكان غرضهم الوصول
الى البلاد لا لتلك الاطعمة **قال** يعني موسى **اتستبدلون الذي هو ادنى** اي الذي
هو اخس وارذي وهو الذي طلبوه **بالذي هو خير** يعني بالذي هو اشرف وافضل
وهو ما هم فيه **اهبطوا مصرا** يعني فان ابيتم الا ذلك فانزلوا مصرا من الامصار وقيل
بل هو مصر البلد الذي كانوا فيه ودخول التنوين عليه كدخوله على نوح ولوط
والقول هو الاول **فان لكم ما سالتم** يعني من نبات الارض **وضربت عليهم الذلة**
اي جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم والزموا الذل والهوان وقيل الذلة
الجزية وزي اليهودية وفيه بعد لانه لم يكن ضربت عليهم الجزية بعد **والمسكنة**
اي الفقر والفاقة وسمي الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده عن الحركة
فترى اليهود وان كانوا اغنيا مياسير كانهم فقرا فلا ترى احدا من اهل الملل
اذل ولا احرص على المال من اليهود **وباءوا** اي رجعوا ولا يقال باء الا بشر **بغضب**
**من الله** وغضب الله ارادة الانتقام ممن عصاه **ذلك** اي الغضب **بانهم كانوا**
**يكفرون بايات الله** اي بصفة محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم التي في التوراة
ويكفرون بالانجيل والقران **ويقتلون النبيين** النبي معناه المخبر من انبا ينبي وقيل
هو بمعنى الرفيع ماخوذ من النبوة وهو المكان المرتفع **بغير الحق** اي بغير جرم فان قلت
قتل الانبيا لا يكون الا بغير حق فما فايدة ذكره قلت ذكره وصفا للقتل والقتل يوصف
تارة بالحق وهو ما امر الله به وتارة بغير الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله قل رب
احكم بالحق فالحق وصف للحكم لا ان حكمه ينقسم الى حق وجور يروى ان اليهود قتلت
سبعين نبيا في اول النهار وقامت الى سوق بقلها في اخره وقتلوا زكريا ويحيى وشعيا
وغيرهم من الانبيا **ذلك بما عصوا** اي ذلك القتل والكفر بما عصوا امري **وكانوا**
**يعتدون** اي يتجاوزون امري ويرتكبون محارمي قوله عز وجل **ان الذين امنوا**
**والذين هادوا** يعني اليهود سموا بذلك لقولهم انا هدنا اليك اي ملنا اليك وقيل
هادوا اي تابوا عن عبادة العجل وقيل انهم مالوا عن دين الاسلام ودين موسى عليه
السلام **والنصارى** سموا بذلك لقول الحواريين نحن انصار الله وقيل لاعتزائهم





الى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح ينزلها **والصابئين** اصله من صبا اذا خرج
من دين الى دين اخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال عمر وابن عباس هم قوم من
اهل الكتاب قال عمر ذبايحهم ذبايح اهل الكتاب وقال ابن عباس لا تحل ذبايحهم
ولا مناكحتهم وقيل هم قوم بين اليهود والمجوس لا تحل ذبايحهم ومناكحتهم وقيل هم
بين اليهود والنصارى يحلقون اوساط روسهم وقيل هم قوم يقرون بالله ويقرون
الزبور ويعبدون الملايكة ويصلون الى الكعبة اخذوا من كل دين شيا والاقرب انهم
يعبدون الكواكب وذلك انهم يعتقدون ان الله تعالى خلق هذا العالم وجعل الكواكب
مدبرة له فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها وانها هي التي تقرب الى الله تعالى
ولما ذكر هذه الطوايف قال **من امن بالله واليوم الاخر** فان قلت كيف قال في اول
الاية ان الذين امنوا وقال في اخرها من امن بالله فما فايدة التكرار ولا بد من التخصيص
اخرا قلت اختلف العلما في حكم الاية فلهم فيه طريقان احدهما انه اراد ان الذين امنوا
على التحقيق ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين امنوا في زمن الفترة وهم طلاب الدين
مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرا الراهب وابو ذر الغفاري
وسلمان الفارسي فمنهم من ادرك النبي صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين
الباطل المبدل من اليهود والنصارى والصابيين من امن بالله واليوم الاخر وبمحمد
صلى الله عليه وسلم فلهم اجرهم عند ربهم وقيل هم المومنون من الامم الماضية وقيل
هم المومنون من هذه الامة والذين هادوا يعني الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا
والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابيين يعني في زمن استقامة
امرهم من امن منهم ومات وهو مومن لان حقيقة الايمان تكون بالوفاة واما
الطريقة الثانية فقالوا ان المذكورين بالايمان في اول الاية انما هو على طريق
المجاز دون الحقيقة وهم الذين امنوا بالانبيا الماضين ولم يومنوا بك وقيل هم المنافقون
الذين امنوا بالسنتهم ولم يومنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابيين فكانه
تعالى قال لهولا المطلوبون كل من امن منهم الايمان الحقيقي صار مومنا عند الله وقيل
ان المراد من قوله ان الذين امنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة حين الماضي
وثبتوا على ذلك في المستقبل وهو المراد من قوله تعالى من امن بالله واليوم الاخر
**وعمل صالحا** اي في ايمانه **فلهم اجرهم عند ربهم** اي جزا اعمالهم **ولا خوف**
**عليهم ولا هم يحزنون** اي في الاخرة قوله عز وجل **واذ اخذنا ميثاقكم** اي عهدكم
يا معشر اليهود **ورفعنا فوقكم الطور** يعني الجبل العظيم قال ابن عباس امر الله جبلا
من جبال فلسطين فانقلع من اصله حتى قام على روسهم وسبب ذلك ان الله تعالى
لما انزل التوراة على موسى وامرهم ان يعملوا باحكامها فابوا ان يقبلوها لما فيها من الاصار
يعني الاثقال والتكاليف الشاقة امر الله تعالى جبريل عليه السلام ان يقلع جبلا
على قدر عسكرهم وكان قدره فرسخا في فرسخ فرفعه فوق روسهم قدر قامة كالظلة
وقيل لهم ان لم تقبلوا ما في التوراة والا ارسلت هذا الجبل عليكم **خذوا** اي وقلنا

لهم خذوا **ما آتيناكم** اي ما اعطيناكم **بقوة** اي بجد واجتهاد **واذكروا ما فيه** اي ادرسوا ما فيه **لعلكم تتقون** اي لكي تتقوا من الهلاك في الدنيا والعقاب في العقبى والا رضخت رؤسكم بهذا الجبل فلما راوا ذلك نازلا بهم قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة في سجود اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب **ثم توليتم** اي اعرضتم **من بعد ذلك** اي من بعد ما قبلتم التوراة **فلولا فضل الله عليكم ورحمته** اي بالامهال **لكنتم من الخاسرين** اي المغبونين بذهاب الدنيا والعذاب في العقبى قوله عز وجل **ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم** اي جاوزوا الحد **في السبت** يقال سبتت اليهود لانهم يعظمونه ويقطعون فيه اعمالهم واصل السبت القطع ذكر الاشارة الى القصة قال العلماء بالاخبار انهم كانوا في زمن داود عليه السلام بقرية بارض ايلة وحرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك حتى لا يرى الماء من كثرتها فاذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزمن قعر البحر فذلك قوله تعالى اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت ولم تنهوا عن اخذها في غيره فعمد رجال منهم فحفروا حياضا كبارا حول البحر وشرعوا منها اليها انهارا فاذا كان عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان الى تلك الحياض فيقعن فيها ولا يقدرون على الخروج منها لعمقها فاذا كان يوم الاحد اخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون الشخوص والحبايل يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل بهم عقوبة فتجرؤا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا فاخذوا وملحوا واكلوا وباعوا واثروا فلما فعلوا ذلك صار اهل القرية ثلاثة اصناف فكانوا نحو سبعين الفا صنف امسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد وصنف امسك ولم ينه وصنف انتهكوا في الذنب وانتهكوا الحرمة وكان الصنف الناهون اثنى عشر الفا فلما ابى المجرمون قبول نصحهم قالوا والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار فعبروا على ذلك سنين ثم لعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين احد ولم يفتحوا الباب فلما ابطاوا تسوروا عليهم الجدار فاذا هم جميعا قردة لهم اذناب وهم يتعاوون وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاث ولم يتوالدوا قال الله عز وجل **فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** امر تحويل وتكوين ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين وقيل فيه تقديم وتاخير معناه كونوا خاسئين قردة ولم يقل خاسئات **فجعلناها** يعني عقوبتهم بالمسخ **نكالا** اي عقوبة وعبرة **لما بين يديها وما خلفها** قيل معناه عقوبة لما مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم وقيل جعلنا عقوبة قرية اصحاب السبت عبرة لما بين يديها من القرى التي كانت عامرة في الحال







وما خلفها اي ما يحدث بعدها من القرى ليتعظوا بذلك وهو قوله عز وجل **وموعظة للمتقين** اي المؤمنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم لئلا يفعلوا مثل فعلهم قوله عز وجل **واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة** البقرة واحدة البقر وهي الانثى واصلها البقر وهو الشق سميت بذلك لانها تشق الارض للحراثة ذكر الاشارة الى القصة في ذلك قال علماء التفسير والاخبار انه كان في زمن بني اسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية اخرى والقاه على بابها ثم اصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعي عليهم بالقتل فجحدوا واشتبه امر القتيل على موسى صلى الله عليه وسلم فسالوا موسى ان يدعو الله ليبين لهم ما اشكل عليهم فسال موسى ربه في ذلك فامره بذبح بقرة وامره ان يضربه ببعضها فقال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة **قالوا اتتخذنا هزوا** اي نحن نسالك امر القتيل وانت تستهزئ بنا وتامرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين في الظاهر ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه **قال** يعني موسى **اعوذ بالله** اي امتنع بالله **ان اكون من الجاهلين** اي المستهزئين بالمؤمنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال فلما علموا ان ذبح البقرة عزم من الله استوصفوه اياها ولو انهم عمدوا الى اي بقرة كانت فذبحوها لاجزات عنهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم وكان في ذلك حكمة لله عز وجل وذلك انه كان رجل صالح في بني اسرائيل وله ابن طفل وله عجالة فاتى بها غيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه العجالة لابني حتى يكبر ومات ذلك الرجل وصارت العجالة في الغيضة عوانا وكانت تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بامه وكان يقسم ليله ثلاثة اجزاء يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا اصبح انطلق فيحتطب وياتي به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه وياكل ثلثه ويعطي امه ثلثه فقالت له امه يوما يا بني ان اباك ورثك عجالة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق وادع اله ابراهيم واسماعيل ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصورتها فاتى الفتى الغيضة فراها ترعى فصاح بها فقال اعزم عليك باله ابراهيم واسماعيل واسحاق فاقبلت البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت ايها الفتى البار بامه اركبني فانه اهون عليك فقال الفتى ان امي لم تامرني بذلك فقالت البقرة والله لو ركبتني لم كنت تقدر علي ابدا فانطلق فانك لو امرت الجبل ان ينقلع من اصله لانقلع لبرك امك فسار الفتى بها الى امه فقالت له امه انك رجل فقير ولا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة فقال بكم ابيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق الفتى بها الى السوق وبعث الله ملكا ليري خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بامه وهو اعلم فقال له الملك بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط

عليك رضا امي فقال له الملك بستة دنانير ولا تستامر امك فقال له الفتى لو اعطيتني
وزنها ذهبا لم اخذه الا برضا امي ورجع الفتى الى امه فاخبرها بالثمن فقالت
له ارجع فبعها بستة دنانير ولا تبعها الا برضاي فرجع بها الى السوق واتى الملك
فقال له الملك استامرت امك فقال له الفتى نعم انها امرتني ان لا انقصها عن ستة على
رضاها فقال الملك اني اعطيك اثني عشر دينارا ولا تستامرها فابى الفتى ورجع
الى امه فاخبرها بذلك فقالت له امه ان الذي ياتيك ملك في صورة ادمي ليجربك
فاذا اتاك فقل له اتامرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا فقال فقال له الملك اذهب الى
امك فقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل
في بني اسرائيل فلا تبيعوها الا بملء مسكها ذهبا والمسك الجلد فامسكها وقدر
الله على بني اسرائيل ذبح البقرة بعينها فما زالوا يستوصفون البقرة حتى وصفت لهم
تلك البقرة بعينها مكافاة لذلك الفتى على بره بامه فضلا من الله تعالى ورحمة
فذلك قوله تعالى **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي** اي ما سنها **قال** يعني موسى
**انه يقول** يعني الله عز وجل **انها بقرة لا فارض ولا بكر** اي لا كبيرة ولا صغيرة
والفارض المسنة التي لم تلد والبكر الفتية التي لم تلد **عوان** اي نصف **بين
ذلك** اي بين السنين **فافعلوا ما تؤمرون** اي من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال
**قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها** قال
ابن عباس شديدة الصفرة وقيل لونها صاف وقيل الصفراء السوداء والاول اصح
لانه يقال اصفر فاقع واسود حالك **تسر الناظرين** اي يعجبهم حسنها وصفاء لونها
**قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي** اي سائمة او عاملة **ان البقر تشابه علينا** اي التبس
واشتبه امرها علينا **وانا ان شاء الله لمهتدون** اي الى وصفها قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الدهر **قال انه يقول
انها بقرة لا ذلول** اي ليست مذللة بالعمل **تثير الارض** اي تقلبها
للزراعة **ولا تسقي الحرث** اي ليست ثانية والثانية هي التي تستسقي الماء
من البير لسقي الارض **مسلمة** اي بريئة من العيوب **لا شية فيها** اي لا لون فيها غير
لونها **قالوا الان جئت بالحق** اي بالبيان التام الذي لا اشكال فيه فطلبوها
فلم يجدوا بقرة بكمال وصفها الا بقرة ذلك الفتى فاشتروها منه بملء مسكها
ذهبا **فذبحوها وما كادوا يفعلون** اي وما قاربوا ان يفعلوا ما امروا به قيل لغلاء
ثمنها وقيل لخوف الفضيحة وقيل لعزة وجودها بهذه الاوصاف جميعا قوله عز
وجل **واذ قتلتم نفسا** اي خوطبت الجماعة بذلك لوجود القتل فيهم **فادارأتم
فيها** قال ابن عباس اي اختلفتم واختصمتم من الدرء وهو الدفع لان المتخاصمين
يدفع بعضهم بعضا **والله مخرج ما كنتم تكتمون** اي مظهر ما كتمتم من امر القتيل لا محالة
ولا يتركه مكتوما **فقلنا اضربوه** يعني القتيل **ببعضها** اي ببعض البقرة قال ابن
عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل ضربوه بلسانها

وقيل يعجب



وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها اليمنى والاقرب انهم كانوا مخيرين في ذلك البعض وانهم
اذا ضربوه باي جزء منها اجزا وحصل المقصود وانه ليس في القران ما يدل على ذلك
البعض ما هو وذلك يقتضي التخيير وفي الاية اضمار تقديره فضربوه فحيي وقام باذن
الله تعالى واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان يعني ابن عمه ثم سقط ميتا مكانه
فحرم قاتله الميراث وفي الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة **كذلك** اي كما احيى الله
عامل صاحب البقرة **يحيي الله الموتى** يعني يوم القيامة **ويريكم اياته لعلكم تعقلون**
اي تمنعون انفسكم عن المعاصي فان قلت كان حق هذه القصة ان يقدم ذكر القتيل
اولا ثم ذكر ذبح البقرة بعد ذلك فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب
قلت وجهه ان الله تعالى لما ذكر من قصص بني اسرائيل وما وجد من خبايا تقريعا
لهم على ذلك وما وجد فيهم من الايات العظيمة وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة
بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين في نفس الامر فالاولى لتقريعهم
على ترك المسارعة الى امتثال الامر وما يتبعه والثانية لتقريعهم على قتل النفس
المحرمة فلو قدم قصة القتيل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض
من تثنية التقريع فلهذا قدم ذكر الذبح اولا ثم عقبه بذكر القتل فان قلت ما فائدة
ضرب القتيل ببعض البقرة والله تعالى قادر على ان يحييه ابتداء من غير ضرب بشيء قلت
الفائدة فيه ان تكون الحجة اوكد وعن الحيلة ابعد لاحتمال ان يتوهم متوهم ان موسى انما
احياه بضرب من السحر والحيلة فاذا احيي القتيل عند ما ضرب ببعض البقرة ولما فعلوه هم
انتفت الشبهة وعلم ان ذلك من عند الله تعالى وبامره كان ذلك فان قلت هل لا امروا
بذبح غير البقرة قلت الكلام في غير البقرة لو امروا به كالكلام في البقرة ثم في ذبح البقرة
فوايد منها التقرب بالقربان على ما كانت العادة جارية عندهم ومنها ان هذا القربان
كان عندهم من اعظم القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة في تحصيلها بتلك الصفة
ومنها حصول ذلك المال العظيم الذي اخذ صاحبها من ثمنها **فصل** في حكم
هذه المسالة في شريعة الاسلام اذا وقعت وذلك انه اذا وجد قتيل في موضع ولا يعرف
قاتله فان كان ثم لوث على انسان ادعي به وللوارث ان يغلب على الظن صدق المدعي
بان اجتمع جماعة في بيت او صحراء ثم تفرقوا عن قتيل فيغلب على الظن ان القاتل فيهم
او وجد قتيل في محلة او قرية وكلهم اعداء القتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على الظن
انهم قتلوه فان ادعى الولي على بعضهم حلف خمسين يمينا على من يدعي عليه وان كان الاولياء
جماعة توزع الايمان عليهم فاذا حلفوا اخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه ان ادعوا
قتل خطا وان ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولا قود عليه في قول الاكثرين وذهب
عمر بن عبد العزيز الى وجوب القود وبه قال مالك واحمد فان لم يكن ثم لوث فالقول قول
المدعى عليه لان الاصل براءة ذمته من القتل وهل يحلف يمينا واحدة ام خمسين يمينا
فيه قولان احدهما انه يحلف يمينا واحدة كما في ساير الدعاوي والثاني يحلف خمسين
يمينا تغليظا لامر القتيل وعند ابي حنيفة لا حكم للوث ولا يبدا بيمين المدعي بل اذا وجد

قتيل في محلة يختار الامام خمسين رجلا من صلحاء اهلها فيحلفهم انهم ما قتلوه ولا يعرفوا له قاتلا فان حلفوا ولا اخذ الدية من سكانها والدليل على ان البداية بيمين المدعي عند وجود اللوث ما روي عن سهل بن ابي خثمة قال انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة ابن مسعود الى خيبر وهي يومئذ صلح فتفرقا فاتى محيصة الى عبد الله بن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر كبر وهو احدث القوم سنا فسكت فتكلما فقال اتحلفون وتستحقون قاتلكم او قال صاحبكم فقالوا كيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال فتبرئكم يهود بايمان خمسين منهم قالوا كيف ناخذ بايمان قوم كفار فعقله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وفي رواية يقسم خمسين منكم على رجل منهم فيدفع برمته وذكر نحوه وزاد في رواية فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبطل دمه فوداه بمائة من ابل الصدقة اخرجاه في الصحيحين ووجه الدليل من هذا الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدا بايمان المدعين ليقوي جانبهم باللوث لان اليمين ابدا تكون لمن يقوي جانبه وعند عدم اللوث تكون من جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل براءة ذمته فكان القول قوله مع يمينه والله اعلم قوله عز وجل **ثم قست قلوبكم** اي يبست وجفت وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه وقيل معناه غلظت واسودت **من بعد ذلك** اي من بعد ظهور الدلالات التي جاء بها موسى وقيل هي اشارة الى احياء القتيل بعد ضربه ببعض البقرة **فهي** يعني القلوب في الغلظ والشدة **كالحجارة** اي كالشيء الصلب الذي لا تخلل فيه **او اشد قسوة** وقيل او بمعنى بل وقيل بمعنى الواو اي واشد قسوة فان قلت لم شبه قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها بالحديد وهو اشد من الحجارة واصلب قلت لان الحديد قابل للين بالنار وقد لان لداود عليه السلام والحجارة ليست قابلة للين فلا تلين قط ثم فضل الحجارة على القلب القاسي فقال **وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار** قيل اراد به جميع الحجارة وقيل اراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى ليسقي الاسباط والتفجر التفتح بالسعة والكثرة **وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء** يعني العيون الصغار التي هي دون الانهار **وان منها لما يهبط من خشية الله** اي ينزل من اعلى الجبل الى اسفله وخشيتها عبارة عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع عما يريد منها وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع فان قلت الحجر جماد لا يعقل ولا يفهم فكيف يخشى قلت ان الله تعالى قادر على افهام الحجر والجماد فتعقل وتخشى بالهامه لها ومذهب اهل السنة ان الله تعالى اودع في الجمادات والحيوانات علما وحكمة لا يقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية يدل عليه قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الايمان به ويكل علمه الى الله تعالى م عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث واني لاعرفه الان عن علي قال كنت مع رسول صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا الى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو

يقول



يقول السلام عليك يا رسول الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب خ عن جابر ابن عبد الله قال كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع في قبلته يقوم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته فلما وضع المنبر سمعنا للجذع مثل اصوات العشار حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وفي رواية صاحت النخلة صياح الصبي فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اخذها فضمها اليه فجعلت تان انين الصبي الذي يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر قال مجاهد ما ينزل حجر من اعلى الى اسفل الا من خشية الله وذلك يشهد لما قلنا **وما الله بغافل عما تعملون** فيه وعيد وتهديد والمعنى ان الله بالمرصاد لهؤلاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم حتى يجازيهم بها في الاخرة قوله عز وجل **افتطمعون** خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لانه هو الداعي الى الايمان وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لانهم كانوا يدعونهم الى الايمان ايضا ومعنى افتطمعون افترجون **ان يؤمنوا لكم** اي يصدقكم اليهود بما تخبرونهم وقيل معناه افتطمعون ان يؤمنوا لكم مع انهم لم يؤمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام وكان هو السبب في خلاصهم من الذل وظهور المعجزات على يده **وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله** قيل المراد بالفريق هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل المراد بهم الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاقرب لان الضمير راجع اليهم في افتطمعون ان يؤمنوا لكم فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام الله يعني التوراة لانه يصح ان يقال لمن يسمع التوراة يسمع كلام الله **ثم يحرفونه** اي يغيرون كلام الله ويبدلونه فمن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله بالفريق الذين كانوا مع موسى صلى الله عليه وسلم استدل بقول ابن عباس انها نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك لانهم لما رجعوا الى قومهم بعد ما سمعوا كلام الله اما الصادقون منهم فادوا لما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول في اخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فكان هذا تحريفهم ومن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله بالذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان تحريفهم وتبديلهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم واية الرجم في التوراة **من بعد ما عقلوه** اي علموا صحة كلام الله ومراده فيه ثم مع ذلك خالفوه **وهم يعلمون** اي فساد مخالفتهم ويعلمون ايضا انهم كاذبون قوله عز وجل **واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا** نزلت هذه الاية في اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس ان منافقي اليهود كانوا اذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم امنا بالذي امنتم به وان صاحبكم صادق وقوله حق وانا نجد نعته وصفته في كتابنا **واذا خلا بعضهم الى بعض** يعني كعب بن الاشرف وكعب بن اسد ووهب بن يهوذا ورؤساء اليهود لاموا منافقي اليهود على ذلك **قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم** يعني قضى الله عليكم في كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وقوله صدق **ليحاجوكم به** اي ليخاصموكم اصحاب

محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجون عليكم بقولكم فيقولون لكم قد اقررتم انه نبي حق في كتابكم
ثم لا تتبعونه وذلك ان اليهود قالوا لاهل المدينة حين شاورهم في اتباع محمد صلى الله
عليه وسلم امنوا به فانه نبي حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم
لتكون لهم الحجة عليكم عند ربكم اي في الدنيا والاخرة وقيل هو قول يهود بني قريظة
بعضهم لبعض حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا اخوان القردة والخنازير فقالوا من
اخبر محمدا بهذا ما خرج هذا الا منكم وقيل ان اليهود اخبروا بما عذبهم الله به من الجنايات
فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لانفسهم
عليكم عند الله افلا تعقلون اي ان ذلك لا يليق بما انتم عليه اولا يعلمون يعني اليهود
ان الله يعلم ما يسرون اي ما يخفون وما يعلنون اي ما يبدون وما يظهرون قوله
عز وجل ومنهم اي من اليهود اميون اي لا يحسنون الكتابة ولا القراءة جمع امي
وهو المنسوب الى امه كانه باق على ما انفصل من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة لا يعلمون
الكتاب الا اماني جمع امنية وهي التلاوة ومنه قول الشاعر

تمنى كتاب الله اول ليلة ‌‌ تمني داود الزبور على رسل

اي تلا كتاب الله وقال ابن عباس معناه غير عارفين بمعاني كتاب الله تعالى وقيل الاماني
الاحاديث الكاذبة المختلقة وهي الاشياء التي كتبها علماؤهم من عند انفسهم واضافوها
الى الله تعالى من تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وغير ذلك وقيل هو من التمني
وهو قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه فعلى هذا يكون
المعنى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اشياء لا تحصل لهم وان هم الا يظنون اي ليسوا
على يقين فويل الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة واصلها في اللغة العذاب
والهلاك وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب الخريف سنة للذين يكتبون الكتاب بايديهم
تاكيد للكتابة لانه يحتمل ان يامر غيره بان يكتب فقال بايديهم لنفي هذه الشبهة
والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود خافوا ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم
النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق سفلتهم عن الايمان به فعمدوا الى صفته
في التوراة فغيروها وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العين ربعة
فغيروا ذلك وكتبوا مكانه طوالا ازرق العين سبط الشعر فكان اذا سالهم سفلتهم
عن ذلك قرؤوا عليهم ما كتبوا ثم يقولون هذا من عند الله يعني هذه الصفة التي
كتبوها فاذا نظروا الى النبي صلى الله عليه وسلم والى تلك الصفة يجدونه مخالفا لها
فيكذبونه ويقولون انه ليس به ليشتروا به اي بما كتبوا ثمنا قليلا المآكل
والرشى التي كانوا ياخذونها من سفلتهم قال الله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم
وويل لهم مما يكسبون قوله عز وجل وقالوا اي اليهود لن تمسنا لن تصيبنا
النار الا اياما معدودة اي قدرا مقدرا ثم يزول عنا العذاب قال ابن عباس

قالت



قالت اليهود مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما ثم ينقطع
عنا العذاب بعد سبعة ايام وقيل انهم عنوا بالايام الاربعين يوما التي عبدوا فيها العجل
وقيل ان اليهود زعموا ان الله تعالى عتب عليهم في امر فاقسم ليعذبنا اربعين يوما تحلة
القسم فقال الله لهم ردا عليهم وتكذيبا لهم قل اي يا محمد لليهود اتخذتم عند الله
عهدا اي موثقا الا يعذبكم الا هذه المدة فلن يخلف الله عهده اي وعده ام تقولون
على الله ما لا تعلمون بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار والمعنى
بل تمسكم النار ابدا من كسب سيئة السيئة اسم يتناول جميع المعاصي كبيرة
كان او صغيرة والسيئة هنا الشرك في قول ابن عباس واحاطت به خطيئته اي احدقت
به من جميع جوانبه قال ابن عباس هي الشرك يموت عليه صاحبه وقيل احاطت به اي
اهلكته خطيئته واحبط ثواب طاعته وعلى مذهب اهل السنة يتعين تفسير السيئة
والخطيئة في هذه الاية بالكفر والشرك لقوله تعالى فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون فان الخلود في النار هو للكفار والمشركين والذين امنوا وعملوا الصالحات
فان قلت العمل الصالح خارج عن اسم الايمان لانه تعالى قال والذين امنوا وعملوا
الصالحات فهو دال الايمان على العمل الصالح لكان ذكر العمل الصالح بعد الايمان تكريرا
قلت اجاب بعضهم بان الايمان وان كان يدخل فيه جميع الاعمال الصالحة الا ان قوله
امنوا لا يفيد الا انه فعل فعلا واحدا من فعل الايمان فلهذا حسن ان يقول والذين امنوا
وعملوا الصالحات وقيل ان قوله امنوا يفيد الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل
فكانه تعالى قال امنوا اولا ثم داوموا عليه اخرا ويدخل فيه جميع الاعمال الصالحة
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل
يعني في التوراة والميثاق العهد الشديد لا تعبدون الا الله امر الله تعالى بعبادته
ويدخل تحته النهي عن عبادة غيره لان الله تعالى هو المستحق للعبادة لا غيره وبالوالدين
احسانا اي برا بهما ورحمة لهما ونزولا عند امرهما فيما لا يخالف امر الله تعالى ويوصل
اليهما ما يحتاجان اليه ولا يؤذيهما البتة وان كانا كافرين بل يجب عليه الاحسان
اليهما ان يدعوهما الى الايمان بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف بر الوالدين
على الامر بعبادته لان شكر المنعم واجب ولله على عبده اعظم النعم لانه هو الذي
خلقه واوجده بعد العدم فيجب تقديم شكره على شكر غيره ثم قال ان للوالدين
على الولد نعمة عظيمة لانهما السبب في كون الولد ووجوده ثم ان لهما عليه حق التربية
ايضا فيجب شكرهما ثانيا وذي القربى اي القرابة لان حق القرابة تابع لحق الوالدين
والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين فلهذا احسن عطف القرابة على الوالدين
واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه وهو طفل صغير فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتم
ويجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة امور لصغره ويتمه وخلوه عمن يقوم بمصالحه اذ
لا يقدر هو ان ينتفع بنفسه ولا يقوم بحوائجه والمساكين جمع مسكين وسياتي بيانه
ان شاء الله تعالى وانما تاخرت درجة المساكين عن اليتامى لانه قد يمكن ان ينتفع

بنفسه وينتفع غيره بالخدمة **وقولوا للناس حسنا** فيه وجهان احدهما انه خطاب للحاضرين من اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فلهذا عدل من الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا في شان محمد صلى الله عليه وسلم فمن سالكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموه قاله ابن عباس الوجه الثاني ان المخاطبين به هم الذين كانوا في زمن موسى واخذ عليهم الميثاق وانما عدل من الغيبة الى الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقيل فيه حذف تقديره وقلنا لهم في الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقيل هو اللين في القول والعشرة وحسن الخلق **واقيموا الصلاة واتوا الزكاة** ولما امرهم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية لتكون لهم المنزلة عنده بما التزموا به اخبر عنهم انهم ما وفوا بذلك بقوله تعالى **ثم توليتم** اي اعرضتم عن العهد **الا قليلا منكم** يعني من الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام واصحابه فانهم وفوا بالعهد **وانتم معرضون** اي كاعراض ابائكم قوله عز وجل **واذ اخذنا ميثاقكم** هو خطاب لمن كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل هو خطاب لابائهم وفيه تقريع لهم **لا تسفكون** اي لا تريقون **دماءكم** اي لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا دماء غيركم فيسفك دماءكم فكانكم انتم سفكتم دماء انفسكم **ولا تخرجون انفسكم من دياركم** اي لا يخرج بعضكم بعضا من داره وقيل لا تفعلوا شيئا فتخرجوا بسببه من دياركم **ثم اقررتم** اي بهذا العهد انه حق **وانتم تشهدون** يعني انتم يا معشر اليهود اليوم تشهدون على ذلك **ثم انتم هؤلاء** يعني يا هؤلاء اليهود **تقتلون انفسكم** اي يقتل بعضكم بعضا **وتخرجون فريقا منكم من ديارهم** اي يخرج بعضكم بعضا من ديارهم **تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان** اي تتعاونون عليهم بالاثم والمعصية والظلم **وان ياتوكم اسارى** جمع اسير **تفدوهم** اي بالمال وهو استنقاذهم بالشرا وقرئ تفادوهم اي تبادلوهم وهو مفاداة الاسير بالاسير ومعنى الاية ان الله تعالى اخذ على بني اسرائيل في التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد او امة من بني اسرائيل وجدتموه فاشتروه بما قام من ثمنه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكان بين الاوس والخزرج حروب فكانت بنو النضير تقاتل مع حلفائهم وبنو قريظة تقاتل مع حلفائهم فاذا غلب احد الفريقين اخرجوهم من ديارهم واخربوها وكان اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له ما لا يفدونه به فعيرتهم العرب فقالوا كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فقالوا انا امرنا ان نفديهم فقالوا كيف تقاتلونهم فقالوا انا نستحي ان تذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وفي الاية تقديم وتاخير تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وهو محرم عليكم اخراجهم وان ياتوكم اسارى تفدوهم فكانه تعالى اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة مع اعدائهم وفداء اسرائهم فاعرضوا عن الكل الا الفداء قال الله عز وجل **افتؤمنون**

ببعض



**ببعض الكتاب وتكفرون ببعض** معناه ان وجدتموهم في يد غيركم فديتموهم وانتم تقتلونهم بايديكم فكان ايمانهم الفداء وكفرهم قتل بعضهم بعضا فذمهم على مناقضة افعالهم لاجل الفدا لانهم اتوا ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض **فما جزاء من يفعل ذلك منكم** يعني يا معشر اليهود **الا خزي في الحياة الدنيا** اي عذاب وهوان فكان خزي بني قريظة القتل والسبي وخزي بني النضير الاجلاء والنفي من منازلهم الى اريحا واذرعات من ارض الشام **ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب** يعني عذاب النار **وما الله بغافل عما تعملون** فيه وعيد وتهديد عظيم **اولئك الذين اشتروا** اي استبدلوا **الحياة الدنيا بالاخرة** لان الجمع بين لذات الدنيا والاخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا فاتته لذات الاخرة **فلا يخفف عنهم العذاب** اي فلا يهون عليهم **ولا هم ينصرون** اي ولا يمنعون من عذاب الله تعالى قوله عز وجل **ولقد اتينا** اي اعطينا **موسى الكتاب** يعني التوراة جملة واحدة **وقفينا** اي واتبعنا من التقفية وهو ان يقفو اثر الاخر **من بعده** اي من بعد موسى **بالرسل** يعني رسولا بعد رسول وكانت الرسل من بعد موسى الى زمن عيسى عليهما السلام متواترة يظهر بعضهم في اثر بعض والشريعة واحدة قيل ان الرسل بعد موسى يوشع ابن نون واشمويل وداود وسليمان وارميا وحزقيل والياس ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وكانوا يحكمون بشريعة موسى الى ان بعث الله عيسى عليه السلام فجاءهم بشريعة جديدة وغير بعض احكام التوراة فذلك قوله تعالى **واتينا عيسى ابن مريم البينات** اي الدلالات الواضحات وهي المعجزات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وقيل هي الانجيل واسم عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل هو اسم علم لها كزيد من الرجال **وايدناه** اي وقويناه **بروح القدس** قيل اراد بالروح الذي نفخ فيه والقدس هو الله تعالى واضاف روح عيسى اليه تشريفا وتكريما وتخصيصا له كما تقول عبد الله وامة الله وبيت الله وناقة الله وقال ابن عباس هو اسم الله الاعظم الذي كان عيسى يحيي به الموتى وقيل هو الانجيل لانه حياة القلوب سماه روحا كما سمى القران روحا وقيل هو جبريل ووصف بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترف ذنبا قط وقيل القدس هو الله تعالى والروح جبريل كما تقول عبد الله سمي جبريل روحا للطافته لانه روحاني خلق من النور وقيل سمي روحا لمكانه من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا على جبريل اولى لانه تعالى قال وايدناه اي قويناه بجبريل وذلك انه امر ان يكون مع عيسى ويسير معه حيث سار فلم يفارقه حتى صعد به الى السماء فلما سمعت اليهود بذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما تقص علينا من اخبار الانبياء فعلت فاتنا بما اتى به عيسى ان كنت صادقا قال الله تعالى **افكلما جاءكم** يعني يا معشر اليهود **رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم** اي تعظمتم عن الايمان به **ففريقا كذبتم** يعني مثل عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم **وفريقا تقتلون** يعني مثل زكريا ويحيى وسائر

من قبل وذلك ان اليهود كانوا اذا جاءهم رسول بما لا يهوون كذبوه فان تهيا لهم
قتله قتلوه وانما كانوا كذلك لارادتهم الدنيا وطلب الرياسة وقالوا يعني اليهود
قلوبنا غلف جمع اغلف وهو الذي عليه غشاوة فلا يعي ولا يفقه قال ابن عباس
غلف بضم اللام جمع غلاف والمعنى ان قلوبنا اوعية للعلم فلا يحتاج الى علمك وقيل اوعية
من الوعي لا تسمع حديثا الا وعته الا حديثك فانها لا تعيه ولا تعقله ولو كان خيرا لفهمته
ووعته قال الله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم اي طردهم وابعدهم من كل خير وسبب
كفرهم انهم اعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم انكروه وجحدوه فلهذا لعنهم الله
تعالى فقليلا ما يؤمنون اي لم يؤمن منهم الا قليل لان من امن من المشركين كان اكثر
منهم قوله عز وجل ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم
يعني التوراة وهذا التصديق في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته
ثابتة في التوراة وكانوا يعني اليهود من قبل اي من قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
يستفتحون اي يستنصرون به على الذين كفروا يعني مشركي العرب وذلك
انهم كانوا اذا احزنهم امر ودهمهم عدو يقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر
الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون وكانوا يقولون لاعدائهم من
المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم
فلما جاءهم ما عرفوا اي الذي عرفوه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا نعته وصفته
وانه من غير بني اسرائيل كفروا به اي جحدوه وانكروه بغيا وحسدا فلعنة الله
على الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم الذي بئس شيئا الذي اختاروا لانفسهم
حين اشتروا به انفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق واشتروا بمعنى باعوا والمعنى
بئس ما باعوا به حظ انفسهم ان يكفروا بما انزل الله يعني القرآن بغيا اي حسدا
ان ينزل الله من فضله يعني الكتاب والنبوة على من يشاء من عباده يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم فباؤوا اي فرجعوا بغضب على غضب اي مع غضب قال ابن عباس الغضب الاول
بتضييعهم التوراة وتبديلها والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاول بعبادة
العجل والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وللكافرين يعني الجاحدين بنبوة محمد صلى الله
عليه وسلم من الناس كلهم عذاب مهين اي يهانون فيه واذا قيل لهم امنوا بما انزل
الله يعني بالقرآن وقيل بكل ما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا يعني التوراة
وما انزل على انبيائهم ويكفرون بما وراءه اي بما سواه من الكتب وقيل بما بعده يعني
الانجيل والقرآن وهو الحق يعني القرآن مصدقا لما معهم يعني التوراة قل يا
محمد فلم تقتلون انبياء الله من قبل اضاف القتل للمخاطبين من اليهود وان كان
سلفهم قتلوا لانهم رضوا بفعلهم فقد اذا عملت المعصية في الارض فمن كرهها وانكرها
بري منها ومن رضيها كان من اهلها ان كنتم مؤمنين اي بالتوراة وقد نهيتم فيها عن
قتل الانبياء قوله عز وجل ولقد جاءكم موسى بالبينات اي بالدلالات الواضحة والمعجزات
الباهرة ثم اتخذتم العجل من بعده اي من بعد موسى لما ذهب الى الميقات وانتم





ظالمون انما كرره تبكيتا لهم وتاكيدا للحجة عليهم واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا اي استجيبوا واطيعوا اي فيما امرتم به قالوا سمعنا
يعني قولك وعصينا يعني امرك وقيل انهم لم يقولوا بالسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه
تلقوه بالعصيان فنسب ذلك اليهم واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم اي تداخل حبه في
قلوبهم والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ في الثوب وقيل ان موسى امر ان يبرد
العجل ويذريه في النهر وامرهم ان يشربوا منه فمن بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت سحالة
الذهب على شاربه قل بئسما يامركم به ايمانكم اي ان تعبدوا العجل والمعنى بئس الايمان
ايمان يامر بعبادة العجل ان كنتم مؤمنين اي بزعمكم وذلك انهم قالوا نؤمن بما انزل
علينا فكذبهم الله تعالى بذلك في قوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله
خالصة من دون الناس وذلك ان اليهود ادعوا دعاوي باطلة منها قولهم لن يدخل الجنة
الا من كان هودا وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه فكذبهم الله والزمهم الحجة فقال قل يا
محمد لليهود ان كانت لكم الدار الاخرة يعني الجنة خالصة لكم دون الناس فتمنوا الموت
اي فاطلبوه واسالوه لان من علم ان الجنة ماواه وانها له حن اليها ولا سبيل الى دخولها
الا بعد الموت فاستعجلوا بالتمني ان كنتم صادقين اي في قولكم ودعواكم روى ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه وما بقي على
وجه الارض يهودي الا مات قال الله تعالى ولن يتمنوه ابدا اي لعلمهم انهم في
دعواهم كاذبون بما قدمت ايديهم يعني من الاعمال السيئة وانما اضاف العمل الى اليد
لان اكثر جنايات الانسان تكون من يده والله عليم بالظالمين فيه تخويف وتهديد
لهم وانما خصهم بالظلم لانه اعم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافرا فلهذا كان
اعم وكانوا اولى به ولتجدنهم اللام للقسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجدنهم
يا محمد يعني اليهود احرص الناس على حياة اي حياة متطاولة والحرص اشد الطلب
ومن الذين اشركوا قيل هو متصل بما قبله ومعطوف عليه والمعنى واحرص من
الذين اشركوا فان قلت الذين اشركوا قد دخلوا تحت الناس في قوله احرص الناس
فلم افردهم بالذكر قلت افردهم بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود
لان الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون الا الحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها
فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث والجزاء كان حقيقا بالتوبيخ
العظيم وقيل ان الواو واو استئناف تقديره ومن الذين اشركوا اناس يود احدهم
وهم المجوس سموا بذلك لانهم يقولون بالنور والظلمة يود اي يتمنى احدهم لو يعمر
الف سنة اي تعمير الف سنة وانما خص الالف لانها نهاية العقود ولانها تحية المجوس
فيما بينهم يقولون زه هزار سال اي عش الف سنة او الف نيروز والف مهرجان
فهذه تحيتهم والمعنى ان اليهود احرص من المجوس الذين يقولون ذلك وما هو بمزحزحه
اي بمباعده من العذاب اي النار ان يعمر اي لو عمر طول عمره لا ينقذه من العذاب
والله بصير بما يعملون اي لا يخفى عليه خافية من احوالهم قوله عز وجل قل من

**كان عدوا لجبريل** قال ابن عباس سبب نزول هذه الاية ان عبد الله بن صوريا حبر
من احبار اليهود قال للنبي صلى الله عليه وسلم اي ملك ياتيك من السماء قال جبريل قال
ذاك عدونا ولو كان ميكائيل لامنا بك ان جبريل ينزل بالعذاب والشدة والخسف
وانه عادانا مرارا واشد ذلك علينا ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب
على يد رجل يقال له بخت نصر فلما كان زمنه بعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما
مسكينا فاخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال ان الله امره بهلاككم فلن تسلط
عليه وان لم يكن هو فعلى اي حق تقتله فلما كبر ذلك الغلام وقوي غزانا وخرب بيت
المقدس فلهذا اتخذه عدوا فانزل الله هذه الاية وقيل قالوا ان الله امره بان يجعل
النبوة فينا فجعلها في غيرنا فاتخذناه عدوا وقيل ان عمر بن الخطاب كان له ارض باعلى
المدينة وكان ممره عليها على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يوما
في اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم احب الينا منك وانا لنطمع فيك فقال عمر والله ما اتيتكم
لحبكم ولا اسالكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله
عليه وسلم واري اثاره في كتابكم فقالوا من صاحب محمد الذي ياتيه من الملائكة قال جبريل
قالوا ذلك عدونا يطلع محمدا صلى الله عليه وسلم على سرنا وهو صاحب عذاب وخسف وشدة
وان ميكائيل يجي بالخصب والسلامة فقال لهم تعرفون جبريل وتنكرون محمدا قالوا
نعم قال فاخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه
وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر اشهد انه من كان عدوا لاحدهما
كان عدوا للاخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم
فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الايات وقال
لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر والله لقد رايتني بعد ذلك في ديني اصلب من الحجر
والاقرب ان سبب هذه العداوة كون جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم
بالوحي لانه قوله فانه نزله على قلبك مستعريض لذلك وقوله **فانه نزله** يعني جبريل نزل بالقران
كناية عن غير مذكور **على قلبك** يا محمد وانما خص القلب بالذكر لانه محل الحفظ **باذن
الله** اي بامره **مصدقا** اي موافقا **لما بين يديه** اي لما قبله من الكتب **وهدى
وبشرى للمؤمنين** اي في القران هداية للمؤمنين الى الاعمال الصالحة التي يترتب عليها
الثواب وبشرى لهم بثوابها اذا اتوا بها **من كان عدوا لله وملائكته ورسله
وجبريل وميكال** لما بين في الاية الاولى ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزل بالقران
على قلب محمد صلى الله عليه وسلم بين في هذه الاية ان من كان عدوا لاحد من هؤلاء فانه عدو
لجميعهم وبين ان الله عدوه بقوله **فان الله عدو للكافرين** فاما عداوتهم لله فانها لا تضره
ولا تؤثر وعداوته لهم تؤديهم الى العذاب الاليم الذي لا ضرر اعظم منه وقيل المراد
من عداوتهم لله عداوتهم لاوليائه واهل طاعته فهو كقوله انما جزاء الذين يحاربون الله
ورسوله اي يحاربون اولياء الله واهل طاعته وقوله وملائكته ورسوله يعني ان من
عادى واحدا من هؤلاء فقد عادى جميعهم ومن كفر بواحد من هؤلاء فقد كفر بجميعهم وجبريل





وميكائيل انما خصهما بالذكر وانما كانا داخلين في جملة الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما وعلو
منزلتهما وقدم جبريل على ميكائيل لفضله عليه لان جبريل ينزل بالوحي الذي هو غذاء الارواح
وميكائيل ينزل بالمطر الذي هو سبب غذاء الابدان وجبريل وميكائيل اسمان اعجميان
ومعناهما عبد الله وعبد الله لان جبر وميكا بالسريانية العبد وايل هو الله
**ولقد انزلنا اليك ايات بينات** قال ابن عباس هذا جواب لابن صوريا حيث قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من اية بينة
فنتبعك بها فانزل الله هذه الايات ومعنى بينات واضحات مفصلات بالحلال والحرام
والحدود والاحكام **وما يكفر بها** اي ما يجحد بهذه الايات **الا الفاسقون** اي
الخارجون عن طاعتنا وما امروا **اوكلما عاهدوا عهدا** قال ابن عباس لما ذكرهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما اخذ عليهم من العهود في محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به قال
مالك بن الصيف والله ما عهد الينا في محمد عهد فانزل الله هذه الاية اوكلما استفهام
انكار عاهدوا عهدا اي هو قولهم انه قد اظل زمان نبي مبعوث وانه في كتابنا وقيل انهم
عاهدوا الله عهودا كثيرة ثم نقضوها **نبذه** اي طرح العهد ونقضه **فريق منهم**
يعني اليهود **بل اكثرهم لا يؤمنون** يعني كفر فريق منهم بنقض العهد وكفر فريق منهم
بجحد الحق **ولما جاءهم رسول من عند الله** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **مصدق لما معهم**
يعني مصدق بصحة التوراة ونبوة موسى عليه الصلاة والسلام وقيل ان التوراة بشرت
بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان مجرد مبعثه مصدقا للتوراة
**نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم** قيل اراد بالكتاب
القران وقيل التوراة وهو الاقرب لان النبذ لا يكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا
بالقران اما نبذهم التوراة فانهم كانوا يقرؤونها ويعملون بها وقيل انهم ادرجوها في الحرير
وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها **كانهم لا يعلمون** يعني انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه
عن علم به ومعرفة وانما حملهم على ذلك عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وهم علماء اليهود
الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكتموا امره وكان اولئك النفر قليل قوله
عز وجل **واتبعوا ما تتلوا الشياطين** يعني اليهود نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين
ومعنى تتلوا تقرا من التلاوة وقيل معناه تفتري وتكذب **على ملك سليمان** وهو
قولهم ان سليمان ملك الناس بالسحر وقيل على ملك سليمان اي على عهده وزمانه وقصة
ذلك ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجات على لسان اصف هذا ما علم اصف بن برخيا
سليمان الملك وكتبوا ودفنوه تحت كرسيه وذلك حين نزع الله عنه الملك ولم يشعر
بذلك وقيل ان بني اسرائيل اشتغلوا بتعليم السحر في زمانهم فمنعهم سليمان من ذلك
واخذ كتبه ودفنها تحت سريره فلما مات استخرجها الشياطين وقالوا للناس وقالوا
للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فاما صلحاء بني اسرائيل وعلماؤهم فانكروا
ذلك وقالوا معاذ الله ان يكون هذا العلم من علم سليمان واما السفلة منهم فقالوا
هذا هو علم سليمان واقبلوا على تعليمه وتركوا كتب انبيائهم وفشت الملامة لسليمان

فلم تزل هذه حالهم الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل عليه براءة سليمان
عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان **وما كفر سليمان**
يعني بالسحر ولم يعمل به وفيه تنزيه سليمان عن السحر وذلك ان اليهود انكروا نبوة
سليمان وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخر له الجن والانس بسبب السحر وقيل ان
السحرة من اليهود زعموا انهم اخذوا السحر عن سليمان فبراه الله عن ذلك وقيل ان
بعض احبار اليهود قالوا الا تعجبون من محمد يزعم ان سليمان كان نبيا وما كان الا ساحرا
فانزل الله تعالى وما كفر سليمان يعني ان سليمان كان نبيا بريا في كونه ساحرا كافرا
ثم بين الله تعالى ان الذي براه منه لاحق بغيره فقال **ولكن الشياطين كفروا** يعني
ان الذين اتخذوا السحر لانفسهم هم الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى
**يعلمون الناس السحر** يعني ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر وقيل يحتمل
ان يكون يعلمون يعني اليهود الذين عنوا بقوله واتبعوا وسمي السحر سحرا لخفا سببه
فلا يفعل الا في خفية وقيل معنى السحر الازالة وصرف الشيء عن وجهه تقول العرب
ما سحرك عن كذا اي ما صرفك عنه فكان الساحر لما راى الباطل في صورة الحق فقد
سحر الشيء عن وجهه اي صرفه هذا اصله من حيث اللغة واما حقيقته فقد قيل انه
عبارة عن التمويه والتخييل ومذهب اهل السنة ان له وجودا وحقيقة العمل به كفر
وذلك اذا اعتقد ان الكواكب هي المؤثرة في قلب الاعيان وروي عن الشافعي انه قال
السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى اوجب القصاص على من قتل به وقيل ان السحر يؤثر في
قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار والحمار على صورة الكلب وقد يطير الساحر
في الهوى وهذا القول ضعيف عند اهل السنة لانهم قالوا ان الله تعالى هو الخالق
الفاعل لهذه الاشياء عند عمل الساحر لذلك لا ان الساحر هو الفاعل لها المؤثر فيها
والاصح ان السحر يخيل ويؤثر في الابدان بالامراض والجنون والموت ويدل على ذلك
ان الكلام قد يؤثر في الطباع فقد يسمع الانسان ما يكره فيحم وقد مات قوم بسمعه
فالسحر بمنزلة العلل في الابدان واما حكمه فانه من الكبائر التي نهي عنها ويحرم تعلمه لما
روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات
قيل يا رسول الله وما هن قال الاشراك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا
بالحق واكل مال اليتيم والزنا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات
المؤمنات اخرجاه في الصحيحين فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر من الكبائر
وثناه بالشرك وامرنا باجتنابه وقوله الموبقات يعني المهلكات والسحر على قسمين
احدهما يكفر به صاحبه وهو ان يعتقد ان القدرة لنفسه في ذلك وهو المؤثر او يعتقد
ان الكواكب هي المؤثرة الفعالة فاذا انتهى به السحر الى هذه الغاية صار كافرا بالله
تعالى ويجب قتله لما روي عن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حد
الساحر ضربه بالسيف اخرجه الترمذي والقسم الثاني من السحر وهو التخييل
الذي يشاكل النيرنجات والشعبذة ولا يعتقد صاحبه لنفسه فيه قدرة ولا ان





الكواكب هي المؤثرة ويعتقد ان القدرة لله تعالى وانه هو المؤثر فهذا القدر لا يكفر به
صاحبه ولكنه معصية وهو من الكبائر ويحرم فعله فان قتل بسحره قتل قصاصا لما روي
عن مالك انه بلغه ان حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية لها سحرتها وقد
كانت دبرتها فامرت بها فقتلت اخرجه في الموطا قوله عز وجل **وما انزل على الملكين**
اي ويعلمون الذي انزل على الملكين والانزال لهما بمعنى الالهام والتعليم اي ما الهما
وعلما وقرئ في الشاذ الملكين بكسر اللام فقيل هما رجلان ساحران كانا ببابل وقيل علجان
ووجهه ان الملائكة لا يعلمون السحر والقراءة المشهورة بفتح اللام فان قلت كيف يجوز
ان يضاف الى الله تعالى انزال ذلك على الملائكة وكيف يجوز للملائكة تعليم السحر قلت
قال ابن جرير الطبري ان الله تعالى عرف عباده جميع ما امرهم به وجميع ما نهاهم عنه
ثم امرهم ونهاهم بعد العلم منهم بما يؤمرون به وينهون عنه ولو كان الامر على ذلك
لما كان للامر والنهي معنى مفهوم والسحر مما نهى عباده من بني ادم عنه فغير منكر ان يكون
الله تعالى علمه الملكين اللذين سماهما في تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من بني ادم كما
اخبر عنهما انهما يقولان لمن جاء يتعلم ذلك منهما انما نحن فتنة فلا تكفر ليختبر بهما عباده
الذين نهاهم عن السحر وعن التفريق بين المرء وزوجه فيتميز المؤمن بتركه التعليم منهما
ويجري للكافر بتعلمه الكفر والسحر منهما ويكون الملكين في تعليمهما ما علما من ذلك
مطيعين لله تعالى اذ كانا عن اذن الله تعالى لهما بتعليم ذلك وعرضا لما سحر من سحر
ممن تعلم ذلك بعد نهيهما اياه عنه بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر اذ كانا قد اديا ما
امر الله به وقال غيره انهما لا يتعمدان ذلك بل يصفان السحر ويذكران بطلانه ويامران
باجتنابه فالشقي من تعلم السحر منهما فكفر به والسعيد من تركه فيبقى له ايمانه ولله
تعالى ان يمتحن عباده بما شاء كما امتحن بني اسرائيل بنهر طالوت بقوله فمن شرب منه
فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني **ببابل** قيل هي بابل العراق بارض الكوفة سميت
بذلك لتبلبل الالسنة بها عند سقوط صرح نمرود وقيل بابل دنباوند والاول
اصح واشهر **هاروت وماروت** اسمان سريانيان وقصة الاية على ما ذكره ابن عباس
وغيره قالوا ان الملائكة لما راوا ما يصعد الى السماء من اعمال بني ادم الخبيثة في زمن ادريس
عليه السلام عيروهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم في الارض واخترتهم وهم يعصونك
فقال الله تعالى لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل ما ركبوا
قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من خياركم
اهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلح الملائكة واعبدهم وكان
اسم هاروت عزا وماروت عزايا فغير اسمهما لما قارفا الذنب وركب الله فيهما الشهوة
واهبطهما الى الارض وامرهما ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق
والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم
وصعدا الى السماء فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وقيل افتتنا في اول يوم وذلك انه
اختصمت اليهما امراة يقال لها الزهرة وكانت من اجمل اهل فارس وقيل كانت ملكة فلما

فلما راياها اخذت بقلوبهما فقال احدهما لصاحبه هل سقط في نفسك مثل الذي سقط
في نفسي قال نعم فراوداها عن نفسها فابت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثاني ففعلا
مثل ذلك فابت وقالت لا الا ان تعبدا هذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لا
لاسبيل الى هذه الاشيا فان الله تعالى قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث
ومعها قدح خمر وفي انفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهم
ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم واهون الثلاثة شرب
الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمراة فزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه خوفا الفضيحة وقيل
انهما سجدا للصنم وقيل جاءتهما امراة من احسن الناس تخاصم زوجها فقال احدهما للاخر
هل سقط في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم هل لك ان تقضي لها على زوجها
فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم
ما عند الله من العفو والرحمة فسالاها عن نفسها فقالت لا الا ان تقضيا لي على زوجي
فقضيا ثم سالاها نفسها قالت لا الا ان تقتلاه فقال احدهما لصاحبه اما تعلم ما عند الله
من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه
ثم سالاها نفسها فقالت لا الا ان لي صنما نعبده ان انتما صليتما معي عنده فعلت
فقال احدهما لصاحبه مثل القول الاول فرد عليه مثله فصليا معها عنده فمسخت
شهابا وقال علي بن ابي طالب قالت لهما لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به
الى السما فقالا باسم الله الاكبر قالت فما انتما بمدركي حتى تعلماني اياه فقال احدهما للاخر
علمها فقال اني اخاف الله فقال الاخر فاين رحمة الله فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت
الى السما فمسخها الله كوكبا وذهب بعضهم الى انها هي الزهرة بعينها وانكر اخرون ذلك
وقالوا ان الزهرة من الكواكب السيارة السبعة التي اقسم الله بها فقال فلا
اقسم بالخنس الجوار الكنس والتي فتنت هاروت وماروت كانت امراة تسمى
الزهرة لجمالها وحسنها فلما بغت مسخها الله تعالى شهابا قالوا فلما امسى هاروت
وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود الى السما فلم تطاوعهما اجنحتهما فعلما
ما حل بهما فقصدا ادريس النبي عليه السلام واخبراه بامرهما وسالاه ان يشفع لهما الى الله
عز وجل وقالا له رايناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع اهل الارض فاشفع
لنا الى ربك ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا
عذاب الدنيا اذ علما انه ينقطع فهما ببابل يعذبان قيل انهما معلقان بشعورهما
الى قيام الساعة وقيل هما منكوسان يضربان بسياط الحديد وقيل ان رجلا قصدهما
ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة عيونهما مسودة جلودهما ليس
بين السنتهما وبين الما الا قدر اربع اصابع وهما يعذبان بالعطش فلما راى ذلك
هاله فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من انت قال رجل
من الناس فقالا من اي امة انت قال من امة محمد صلى الله عليه وسلم قالا وقد بعث محمد
صلى الله عليه وسلم قال نعم فقالا الحمد لله واظهرا الاستبشار فقال الرجل مم استبشاركما

قالا

قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا

## فصل في القول بعصمة الملايكة

اجمع المسلمون على ان الملايكة مؤمنون فضلا واتفق ايمة المسلمين
على ان حكم المرسل من الملايكة حكم النبيين سوا في العصمة في باب البلاغ عن الله
عز وجل وفي كل شي ثبتت فيه عصمة الانبيا فكذلك الملايكة وانهم مع الانبيا في
التبليغ اليهم كالانبيا مع اممهم ثم اختلفوا في غير المرسلين من الملايكة فذهب
طايفة من المحققين وجميع المعتزلة الى عصمة جميع الملايكة عن جميع الذنوب والمعاصي
واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية وذهبت طايفة الى ان غير المرسلين من الملايكة
غير معصومين واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة هاروت وماروت
عن علي وما نقله اهل الاخبار والسير ونقله ابن جرير الطبري في تفسيره عن جماعة
من الصحابة والتابعين فنقل قصة هاروت وماروت بالفاظ متقاربة عن علي بن ابي
طالب قال وابن مسعود وكعب الاحبار والسدي والربيع ومجاهد واجاب من ذهب
الى عصمة جميع الملايكة عن قصة هاروت وماروت بان ما نقله المفسرون واهل
الاخبار في ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شي وهذه الاخبار
انما اخذت من اليهود وقد علم افتراوهم على الانبيا والملايكة وقد ذكر الله عز وجل
في هذه الايات افترا اليهود على سليمان اولا ثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت
ثانيا قالوا ومعنى الاية وما كفر سليمان يعني بالسحر الذي افتعله عليه الشياطين
واتبعهم في ذلك اليهود فاخبر عن افترايهم وكذبهم وذكروا ايضا الجواب عن هذه القصة
وانها باطلة وجوها الاول ان في القصة ان الله تعالى قال للملايكة لو ابتليتم بما
ابتليت به بنو ادم لعصيتموني قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك وفيه
رد على الله تعالى وذلك كفر وقد ثبت انهم كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا
منهم الوجه الثاني انهما خيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة وذلك فاسد لان الله
تعالى لا يخير من اشرك وان كان قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما الوجه الثالث
ان المراة لما فجرت كيف يعقل انها صعدت الى السما وصارت كوكبا وعظم الله قدرها
بحيث اقسم بها في قوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس فبان بهذه الوجوه ركة
هذه القصة والله اعلم بصحة ذلك وسقمه والاولى تنزيه الملايكة عن كل ما لا يليق
بمنصبهم وقوله تعالى **وما يعلمان من احد حتى يقولا** يعني لا احدا حتى ينصحانه
اولا ويقولا **انما نحن فتنة** اي ابتلا ومحنة **فلا تكفر** اي لا تتعلم السحر فتعمل
به فتكفر قيل يقولان انما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات فان ابى قبول نصحهما
وصمم على التعليم يقولان له ايت هذا الرماد فبل عليه فاذا فعل ذلك خرج منه نور
ساطع في السما فذلك الايمان والمعرفة وينزل شي اسود مثل الدخان حتى يدخل
مسامعه وذلك غضب الله تعالى **فيتعلمون منهما** يعني من الملكين **ما يفرقون
به بين المرء وزوجه** اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين
كالتمويه والحيل والنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغضا والنشوز

والخلاف بين الزوجين ابتلاء من الله تعالى لا ان السحر له تاثير في نفسه بدليل قوله
**وما هم** يعني السحرة **بضارين به** اي بالسحر **من احد** اي احدا **الا باذن الله**
اي بعلمه وقضايه وتكوينه فالساحر يسحر والله تعالى يقدر ويكون ذلك بقضاء الله
تعالى وقدرته ومشيته **ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم** يعني السحر لانهم
يقصدون به الشر **ولقد علموا** يعني اليهود **لمن اشتراه** اي اختار السحر **ما له في**
**الاخرة من خلاق** يعني ما له نصيب في الجنة **ولبيس ما شروا به انفسهم** اي باعوا
حظ انفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق **لو كانوا يعلمون** فان قلت
كيف اثبت الله لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم
اخرا في قوله لو كانوا يعلمون قلت قد علموا ان من اشترى السحر ما له في الاخرة من خلاق
ثم مع هذا العلم خالفوا واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله وما جاءت به
الرسل عنادا منهم وبغيا وذلك على معرفة منهم بما لمن فعل ذلك منهم من العقاب
فجعلهم حين لم يعملوا بعلمهم كانهم منسلخين منه **ولو انهم** يعني اليهود **امنوا** بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقران **واتقوا** يعني اليهودية والسحر وما يوبقهم **لمثوبة من**
**عند الله** اي لكان ثواب الله اياهم **خير** لهم يعني هذا الثواب **لو كانوا يعلمون**
يعني ذلك قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا** سبب نزول هذه الاية
ان المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله من المراعاة اي ارعنا سمعك وفرغه
لكلامنا وكانت هذه اللفظة سبا قبيحا بلغة اليهود ومعناها عندهم اسمع لا سمعت
وقيل من الرعونة اذا ارادوا ان يحمقوا انسانا قالوا راعنا يعني احمق فلما سمعت
اليهود هذه قالوا كنا نسب محمدا فاعلنوا به الان وكانوا ياتونه ويقولون راعنا يا محمد
ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضي الله عنه ففطن لها وكان يعرف
لغتهم فقال لليهود لين سمعتها من احد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا
راعنا اي كي لا يجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقولوا**
**انظرنا** اي انظر الينا وقيل معناه انتظرنا وتان بنا فهمنا **واسمعوا** اي ما تومرون
به واطيعوا نهى الله تعالى عباده المومنين ان يقولوا لنبيه صلى الله عليه وسلم راعنا
لئلا يتطرق لحد الى شتمه وامرهم بتوقيره وتعظيمه وان يتخيروا لخطابه صلى الله عليه وسلم
من الالفاظ احسنها ومن المعاني ارقها وان يسالوه لسا لو بتبجيل وتعظيم ولين ولا
يخاطبوه بما يسر اليهود **وللكافرين** يعني اليهود **عذاب اليم ما يود** اي ما يحب **الذين**
**كفروا من اهل الكتاب** يعني اليهود **ولا المشركين** يعني عبدة الاوثان لان الكفر
اسم جنس تحته نوعان اهل كتاب والذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة
الاوثان ومن عبد غير الله **ان ينزل عليكم من خير من ربكم** يعني ما انزل الله عز وجل
على نبيه صلى الله عليه وسلم من الوحي والنبوة وانما كره اليهود واتباعهم من المشركين
ذلك حسدا وبغيا منهم على المومنين وذلك ان المسلمين قالوا لحلفايهم من اليهود

الكلمة من المسلمين



بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا الذي تدعوننا اليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان
خيرا فانزل الله تعالى هذه الاية تكذيبا لهم **والله يختص برحمته من يشا** يعني
انه تعالى يختص بنبوته ورسالته من يشا من عباده ويتفضل بالايمان والهداية
على من احب من خلقه رحمة منه لهم **والله ذو الفضل العظيم** يعني ان كل خير ناله
عباده في دينهم ودنياهم فانه منه ابتدا وتفضلا عليهم من غير استحقاق منهم لذلك
بل له الفضل والمنة على خلقه قوله عز وجل **ما ننسخ من اية او ننسها** الاية وسبب
نزولها ان المشركين قالوا ان محمدا يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه
ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا ما يقول الا من تلقا نفسه كما اخبر الله تعالى
عنهم بقوله واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وانزل
ما ننسخ من اية فبين بهذه الاية وجه الحكمة في النسخ وانه من عنده لا من عند
محمد صلى الله عليه وسلم واصل النسخ في اللغة يكون بمعنى النقل والتحويل ومنه نسخ
الكتاب وهو ان ينقل من كتاب الى كتاب اخر وذلك لا يقتضي ازالة الصورة
الاولى بل يقتضي اثبات مثله في كتاب اخر فعلى هذا المعنى يكون القران كله منسوخا
وذلك انه نسخ من اللوح المحفوظ جملة واحدة الى سما الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى
الرفع والازالة وهو ازالة شي بشي يعقبه كنسخ الشمس الظل والشيب الشباب
فعلى هذا المعنى يكون بعض القران منسوخا وبعضه ناسخا وهو المراد من حكم هذه
الاية وهو ازالة الحكم بحكم يعقبه **فصل** في حكم النسخ في اصطلاح العلما
عبارة عن رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر عنه والنسخ جايز عقلا وواقع
سمعا خلافا لليهود فان منهم من ينكره عقلا لكنه منعه سمعا وشذت طايفة
قليلة من المسلمين فانكرت النسخ احتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه
بان الدلايل قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح الا مع القول بالنسخ
وهو نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ ولنا على اليهود الزامات منها ان الله
تعالى حرم عليهم العمل في السبت ولم يحرمه على من كان قبلهم ومنها انه جا في التوراة
ان الله تعالى قال لنوح عليه السلام عند خروجه من الفلك اني جعلت كل دابة ماكولا
لك ولذريتك واطلقت ذلك لكم ثم انه حرم على موسى عليه السلام كثيرا من الحيوانات
ومنها ان ادم عليه السلام كان يزوج الاخ للاخت وقد حرمه على من بعده وعلى موسى
عليه السلام فثبت بهذا جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه على وجوه
احدها ان القران نسخ جميع الشرايع والكتب القديمة كالتوراة والانجيل وغيرهما الوجه
الثاني المراد من النسخ هو نسخ القران ونقله من اللوح المحفوظ الى سما الدنيا الوجه
الثالث وهو الصحيح الذي دل عليه جمهور العلما ان المراد من النسخ هو رفع بعض الايات
بدليل اخر ياتي بعده وهو المراد بقوله ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او
مثلها لان الاية اذا اطلقت فالمراد بها ايات القران لانه هو المعهود عندنا مسيلة
قال الشافعي رضي الله عنه الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه الاية

وهو انه تعالي قال ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها وذلك انه يفيد
انه هو الاتي والماتي به هو من جنس القران ومكان من جنس القران فهو قران وقوله
نات بخير منها يفيد انه هو المنفرد بالاتيان بذلك الخير وهو القران الذي هو كلام الله
دون السنة ولان السنة لا تكون خيرا من القران ولا مثله واخذ الجمهور علي جواز
نسخ الكتاب بالسنة اية الوصية للاقربين منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم
لا وصية لوارث اجاب الشافعي بان هذا ضعيف لان كون الميراث حقا للوارث يمنع
من صرفه الي الوصية فثبت ان اية الميراث مانعة من الوصية وتفصيل هذا وبسطه
معروف في اصول الفقه ثم ان النسخ في القران علي وجوه احدها ما رفع حكمه وتلاوته
كما روي عن ابي امامة بن سهل ان قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقروا سورة فلم
يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك السورة رفعت تلاوتها وحكمها اخرجه البغوي
بغير سند وقيل ان سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة
وحكما الوجه الثاني ما رفع تلاوته وبقي حكمه مثل اية الرجم وروي عن ابن عباس
قال قال عمر بن الخطاب وهو جالس علي منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب فكان فيما انزل عليه اية الرجم قراناها ووعيناها
وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشي ان طال
بالناس زمان ان يقول قايل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها
الله وان الرجم في كتاب الله حق علي من زنا اذا احصن من الرجال والنساء اذا قامت
البينة او كان الحبل او الاعتراف اخرجه مسلم والبخاري بنحوه الوجه الثالث ما
رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته فهو كثير في القران مثل اية الوصية للاقربين نسخت
باية الميراث عند الشافعي وبالسنة عند غيره واية عدة الوفاة بالحول باربعة
اشهر وعشر واية القتال وهي قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين
الاية نسخت بقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الاية ومثل هذا
كثير في القران واما معني الاية فقوله ما ننسخ من اية اي نرفعها او نرفع حكمها
او ننسها قرئ بضم النون وكسر السين ومعناه ننسها من قلبك وقال ابن عباس
نتركها لا ننسخها وقيل معناه نامر بتركها فعلي هذا يكون النسخ الاول رفع الحكم
واقامة غيره مقامه والانساخ من غير اقامة غيره مقامه وقرئ ننساها بفتح
النون والسين وبالهمزة ومعناه نوخرها فلا ننزلها او نرفع تلاوتها ونوخر حكمها
كاية الرجم فعلي هذا يكون النسخ الاول بمعني رفع التلاوة والحكم قال سعيد بن
المسيب وعطا ما ننسخ من اية فهو ما نزل من القران جعلاه من نسخت الكتاب
اذا نقلته الي كتاب اخر وننساها اي نوخرها ونتركها في اللوح المحفوظ فلا ننزلها
**نات بخير منها** اي بما هو انفع لكم واسهل عليكم واكثر لاجوركم وليس معناه
ان اية خير من اية لان كلام الله تعالي كله واحد **او مثلها** اي في المنفعة والثواب فما

نسخ



نسخ الي الايسر كان اسهل في العمل كالذي كان علي المومنين من فرض قيام الليل ثم نسخ
ذلك فكان خيرا لهم في عاجلهم لسقوط التعب والمشقة عليهم وما نسخ الي الاشق كان
اكمل في الثواب كالذي كان عليهم من صيام ايام معدودات في السنة فنسخ ذلك وفرض
صيام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل في كل سنة اثقل علي الابدان واشق من صيام
ايام معدودات فكان ثوابه اكمل واكثر واما المثل فكنسخ التوجه الي بيت المقدس
وصرفه الي المسجد الحرام واستووا في الاجر في ذلك لان علي المصلي التوجه الي حيث
امره الله تعالي **الم تعلم ان الله علي كل شي قدير** اي علي النسخ والتبديل
والمعني الم تعلم يا محمد اني قادر علي تعويضك مما نسخت من احكامي وغيرته من فرايضي
التي كنت افترضتها عليك ما اشا مما هو خير لك ولعبادي المومنين وانفع لك ولهم عاجلا
واجلا **الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض** يعني انه تعالي هو المتصرف في
السموات والارض وله سلطانهما دون غيره يحكم فيهما وفيما فيهما بما يشا من امر ونهي
ونسخ وتبديل وهذا الخبر وان كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب
لليهود الذين انكروا النسخ وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام
فاخبرهم الله ان له ملك السموات والارض وان الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه ويحكم
فيهم بما يشا وعليهم السمع والطاعة **وما لكم** يعني يا معشر الكفار عند نزول العذاب
**من دون الله** اي مما سوي الله **من ولي** اي قريب وصديق وقيل من وال وهو
المقيم بالامور **ولا نصير** اي ناصر يمنعكم من العذاب وقيل في معني الاية وليس
لكم ايها المومنون بعد الله من قيم يامركم ولا نصير يويدكم ويقويكم علي اعدايكم
قوله عز وجل **ام تريدون ان تسالوا رسولكم** نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا يا محمد
ايتنا بكتاب من السما جملة كما اتي موسى بالتوراة وقيل انهم سالوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا لن نومن لك حتى تاتي بالله والملايكة قبيلا كما سيل قوم موسى
موسى فقالوا ارنا الله جهرة فانزل الله تعالي هذه الاية والمعني اتريدون ان تسالوا
رسولكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **كما سيل موسى من قبل** وذلك ان موسى ساله
قومه فقالوا ارنا الله جهرة فمعني الاية منعهم ونهيهم عن السوالات المقترحة بعد
ظهور الدلالات والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين علي صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
**ومن يتبدل** اي يستبدل **الكفر بالايمان فقد ضل سوا السبيل** اي اخطا قصد الطريق
وقيل ان قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان خطاب للمومنين واعلمهم ان اليهود اهل غش
وحسد وانهم يتمنون للمومنين المكاره فنهاهم الله تعالي ان يقبلوا من اليهود شيا
ينصحونهم به في الظاهر واخبرهم ان من ارتد عن دينه فقد اخطا قصد السبيل
قوله عز وجل **ود كثير من اهل الكتاب** نزلت هذه الاية في نفر من اليهود وذلك
انهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد لو كنتم علي الحق ما هزمتم
فارجعا الي ديننا فنحن اهدي سبيلا منكم فقال لهم عمار بن ياسر كيف نقض العهد
فيكم قالوا شديد قال اني عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت

قال اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمومنين اخوانا ثم انهما اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما فانزل الله تعالى ود اي تمنى كثير من اهل الكتاب يعني اليهود لو يردونكم يا معشر المومنين من بعد ايمانكم كفارا اي ترجعون الى ما كنتم عليه من الكفر حسدا اي يحسدونكم حسدا واصل الحسد تمني زوال النعمة عمن يستحقها وربما يكون مع ذلك سعي في ازالتها والحسد مذموم بما روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد فان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب او قال العشب اخرجه ابو داود فاذا انعم الله على عبده نعمة فتمنى اخر زوالها فهذا هو الحسد وهو حرام فان استعان بتلك النعمة على الكفر والمعاصي فتمنى اخر زوالها عنه فليس بحسد ولا يحرم ذلك لانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث انها نعمة بل من حيث انه يتوصل بتلك النعمة الى الشر والفساد وهو قوله من عند انفسهم اي من تلقاء انفسهم لم يامرهم الله بذلك من بعد ما تبين لهم الحق يعني في التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم ودينه حق لا يشكون فيه فكفروا به حسدا وبغيا فاعفوا واصفحوا اي فتجاوزوا عما كان منهم من اساءة وحسد وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل ان يومر بالقتال حتى ياتي الله بامره اي بعذابه وهو القتل والسبي لبني قريظة والاجلاء والنفي لبني النضير قال ابن عباس هو امر الله له بقتالهم في قوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر الاية ان الله على كل شيء قدير فيه وعيد وتهديد لهم

واقيموا الصلاة واتوا الزكاة لما امر الله المومنين بالعفو والصفح عن اليهود امرهم بما فيه صلاح انفسهم من اقام الصلاة وايتاء الزكاة الواجبتين ونبه بذلك على ساير الواجبات ثم قال تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير اي من طاعة وعمل صالح وقيل اراد بالخير المال يعني صدقة التطوع لان الزكاة تقدم ذكرها تجدوه عند الله يعني ثوابه واجره حتى الثمرة واللقمة مثل احد ان الله بما تعملون بصير اي لا يخفى عليه شيء من قليل الاعمال وكثيرها ففيه ترغيب في الطاعات واعمال البر وزجر عن المعاصي قوله عز وجل وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا يعني يهوديا وقيل هو جمع هايد او نصارى وذلك ان اليهود قالوا لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا ولا دين الا دين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين الا دين النصرانية قيل نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا مع اليهود في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا في دعواه قال الله تلك امانيهم اي شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله بغير حق قل يعني يا محمد هاتوا برهانكم اي حجتكم على دعواكم ان الجنة لا يدخلها الا من كان يهوديا او نصرانيا ودون غيرهم ان كنتم صادقين يعني فيما تدعون ثم قال تعالى ردا عليهم بلى اي ليس الامر كما تزعمون ولكن من اسلم وجهه لله وهو محسن فانه الذي يدخل الجنة وينعم فيها ومعنى اسلم وجهه لله اخلص دينه لله وقيل اخلص عبادته لله وقيل خضع





وتواضع لله لان اصل الاسلام الاستسلام وهو الخضوع وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء واذا جاد الانسان بوضع وجهه على الارض بالسجود فقد جاد بجميع اعضايه قال عمرو بن نفيل واسلمت وجهي لمن اسلمت له الارض تحمل صخرا ثقالا واسلمت وجهي لمن اسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا يعني بذلك استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته الارض والمزن وهو محسن اي في عمله لله فله اجره عند ربه اي ثواب عمله ولا خوف عليهم اي في الاخرة ولا هم يحزنون اي على ما فاتهم من الدنيا قوله عز وجل وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء يعني نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران وذلك ان وفد نجران لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود للنصارى ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود ما انتم على شيء وكفروا بموسى والتوراة فانزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب يعني كلا الفريقين يقرون الكتاب وليس في كتابهم هذا الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما فيه على كفرهم وكونهم على الباطل وقيل ان الانجيل الذي تدين بصحته النصارى يحقق ما في التوراة من نبوة موسى وما فرض فيها على بني اسرايل من الفرايض وان التوراة التي تدين بصحتها اليهود تحقق نبوة عيسى وما جاء به من عند ربه من الاحكام ثم كلا الفريقين قالوا ما اخبر الله عنهم بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء مع علم كل واحد من الفريقين ببطلان ما قاله كذلك قال الذين لا يعلمون يعني مشركي العرب قالوا في نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ليسوا على شيء مثل قولهم يعني مثل قول اليهود للنصارى والنصارى لليهود وقيل امم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب قالوا في انبيايهم ليسوا على شيء فالله يحكم اي يقضي بينهم يوم القيامة يعني بين المحق والمبطل فيما كانوا فيه يختلفون يعني من امر الدين قوله عز وجل ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه نزلت في خراب بيت المقدس وذلك ان ططوس الرومي غزا بني اسرايل فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وحرق التوراة وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب فانزل الله تعالى ومن اظلم اي ومن اكفر واعتى ممن منع مساجد الله يعني بيت المقدس ومحاريبه ان يذكر فيها اسمه اي يعبد ويصلى له فيها وسعى في خرابها وقيل ان بخت نصر المجوسي من اهل بابل هو الذي غزا بني اسرايل وخرب بيت المقدس واعانه على ذلك النصارى من اجل ان اليهود قتلوا يحيى بن زكريا اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خايفين وذلك ان بيت المقدس موضع حج النصارى وزيارتهم قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها يهودي ولا نصراني الا خايفا ان علم به قتل وقيل اخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمي والقتل على الحربي وقيل خوفهم هو فتح مداينهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية لهم في الدنيا خزي

يعني الصغار والذل والقتل والسبي **ولهم في الآخرة عذاب عظيم** يعني النار وقيل ان الآية
نزلت في مشركي مكة واراد بالمساجد المسجد الحرام وذلك انهم منعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه ان يصلوا فيه في ابتداء الاسلام ومنعوهم من حجه
والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا من يعمره بذكر الله تعالى وصلواته فيه
فقد سعوا في خرابه أولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين يعني من مشركي
مكة يقول الله تعالى افتحها عليكم ايها المسلمون تدخلوها وتكونوا اولى بها
منهم ففتحها عليهم وامر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي بالموسم لما نزلت سورة
براءة الا لا يحجن البيت بعد هذا العام مشرك فكان هذا اخافتهم وثبت في الشرع
ان لا يمكن مشرك من دخول الحرم فان قلت كيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع
والتخريب على مسجد واحد وهو اما بيت المقدس والمسجد الحرام قلت يجوز
الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن اظلم ممن
آذى الصالحين فان قلت اي القولين ارجح قلت رجح الطبري القول الاول وقال
ان النصارى هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس بدليل ان مشركي مكة لم يسعوا
في خراب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات
من الصلاة فيه وايضا فان الآية التي قبل هذه وبعدها في ذم اهل الكتاب ولم يجر
لمشركي مكة ذكر ولا للمسجد الحرام فتعين ان يكون المراد بهذه بيت المقدس ورجح
غيره القول الثاني بدليل ان النصارى يعظمون بيت المقدس اكثر من اليهود فكيف يسعون
في خرابه وهو موضع حجهم وذكر ابن العربي في احكام القرآن قولا ثالثا وهو انه
كل مسجد قال وهو الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد
او ببعض الازمنة محال قوله عز وجل **ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم
وجه الله** سبب نزول هذه الآية قال ابن عباس خرج نفر من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة فاصابهم الضباب وحضرت
الصلاة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب الضباب استبان لهم انهم لم يصيبوا فلما
قدموا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الآية وعن عامر
ابن ربيعة عن ابيه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة
فلم ندر اين القبلة فصلى كل رجل منا على حياله فلما اصبحوا ذكرنا ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزلت فاينما تولوا فثم وجه الله اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب وقال ابن عمر نزلت في المسافر يصلي التطوع حيث ما توجهت به راحلته
**ق** عن ابن عمر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسبح على ظهر راحلته حيث
كان وجهه يومي وكان ابن عمر يفعله وفي رواية لمسلم كان النبي صلى الله عليه وسلم
يصلي على دابته وهو مقبل من مكة الى المدينة حيث ما توجهت وفيه نزلت فاينما
تولوا فثم وجه الله الآية وقيل نزلت في تحويل القبلة الى الكعبة وذلك ان
اليهود عيروا المؤمنين وقالوا ليس لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون بمكة

وتارة

وتارة يستقبلون بمكة فانزل الله هذه الآية وقيل انها نزلت في تخيير النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه حيث شاؤوا من النواحي ثم انها نسخت بقوله تعالى فول
وجهك شطر المسجد الحرام ومعنى الآية ان لله المشرق والمغرب وما بينهما خلقا
وملكا وانما خص المشرق والمغرب اكتفاء عن القبلة فان القبلة ليست قبلة لذاتها
لان الله تعالى جعلها قبلة وامر بالتوجه اليها فاينما تولوا فثم وجه الله اي فهناك
قبلة الله التي وجهكم اليها وقيل معناه فثم وجه الله تعالى بعلمه وقدرته والتوجه
صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة وقيل فثم رضا الله اي يريدون بالتوجه
اليه رضاه **ان الله واسع** من السعة وهو الغنا اي يسع خلقه كلهم بالكفاية
والافضال والجود والتدبير وقيل هو واسع المغفرة **عليم** اي باعمالكم ونياتكم
حيث ما تعملوا وتدعوا لا يغيب عنه منها شيء مسئلة تتعلق بحكم الآية وهي
ان المسافر اذا كان في مفازة او بلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة فانه يجتهد
في طلبها بنوع من الدلائل ويصلي الى الجهة التي ادى اليها اجتهاده ولا اعادة عليه وان لم
يصادف القبلة فان جهة الاجتهاد قبلته وكذا الغريق في البحر اذا بقي على اللوح
فانه يصلي على حسب حاله وتنفعه صلاته وكذلك المشدود على جذع بحيث لا يمكنه
الاستقبال قوله عز وجل **وقالوا اتخذ الله ولدا** نزلت في يهود المدينة حيث
قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفي مشركي العرب
حيث قالوا الملائكة بنات الله **سبحانه** اي تنزيها لله فنزه الله نفسه
عن اتخاذ الولد وعن قولهم وافترائهم **خ** عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك
فاما تكذيبه اياي فزعم اني لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه اياي فقوله لي ولد
فسبحاني ان اتخذ صاحبة او ولدا **بل له ما في السموات والارض** يعني عبيدا
وملكا فكيف ينسب اليه الولد وهو خالقهما وقيل ان الولد لا بد وان يكون
من جنس الوالد والله تعالى منزه عن التشبيه والنظير وقيل ان الولد انما يتخذ
للحاجة اليه والانتفاع به عند عجز الوالد وكبره والله تعالى منزه عن ذلك كله فاضافة
الولد اليه محال **كل له قانتون** يعني ان اهل السموات والارض يطيعون
الله ويقرون له بالعبودية واصل القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع وقيل اصله
القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت وعلى هذا يكون
معنى الآية كل له قانتون اي مذللون مسخرون لما خلقوا له واختلف العلماء في
حكم الآية فقال بعضهم هو خاص ثم سلكوا في تخصيصه طريقين احدهما قالوا
هو راجع الى العزير والمسيح والملائكة الثاني قال ابن عباس هو راجع الى اهل
طاعته دون سائر الكفار وذهب جماعة الى ان حكم الآية عام لان لفظة كل تقتضي
الشمول والاحاطة ثم سلكوا في الكفار طريقين احدهما ان ظلالهم تسجد لله
وتطيعه والثاني ان هذه الطاعة تكون في يوم القيامة ومن ذهب الى التخصيص حكم

لاية اجاب عن لفظة كل بانها لا تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت
من كل شيء ولم تؤت ملك سليمان فدل على ان لفظة كل لا تقتضي ذلك قوله عز وجل
**بديع السموات والارض** اي خالقها ومنشيها على غير مثال سبق وقيل البديع
الذي يبدع الاشيا اي يحدثها مما لم تكن **واذا قضى امرا** اي قدره واراد خلقه
وقيل اذا احكم امرا وحتمه وانفذه واصل القضا الحكم والفراغ والقضا في اللغة على وجوه
كلها ترجع الى انقطاع الشي وتمامه والفراغ منه **فانما يقول له كن فيكون** اي
اذا احكم امرا وحتمه فانما يقول له كن فيكون ذلك الامر على ما اراد الله تعالى وجوده
فان قلت المعدوم لا يخاطب فكيف قال فانما يقول له كن فيكون قلت ان الله عالم
بكل ما هو كاين قبل تكوينه واذا كان كذلك كانت الاشيا التي لم تكن كانها كاينة لعلمه
بها فجاز ان يقول لها كوني ويامرها بالخروج من حال العدم الى حال الوجود وقيل اللام
في قوله له لام اجل فيكون المعنى واذا قضى امرا فانما يقول لاجل تكوينه وارادته
كن فيكون فعلى هذا يذهب معنى الخطاب قوله عز وجل **وقال الذين لا يعلمون**
قال ابن عباس هم اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
هم النصارى وقيل هم مشركوا العرب **لولا يكلمنا الله** اي عيانا بانك
رسوله **او تاتينا اية** اي دلالة وعلامة على صدقك **كذلك قال الذين من قبلهم**
اي كفار الامم الخالية **مثل قولهم** وذلك ان اليهود سالوا موسى ان يريهم الله جهرة
وان يسمعهم كلام الله وسالوا من الايات ما ليس لهم مسئلته فاخبر الله عن
الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا مثل ما قال من كان
قبلهم **تشابهت قلوبهم** يعني ان المكذبين للرسل تشابهت اقوالهم وافعالهم
وقيل تشابهت في الكفر والقسوة والتكذيب وطلب المحال **قد بينا الايات**
اي الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **لقوم يوقنون** يعني ان ايات القران
وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات كافية لمن كان طالبا لليقين
وانما خص اهل الايقان بالذكر لانهم هم اهل التثبت في الامور ومعرفة الاشيا
على يقين قوله عز وجل **انا ارسلناك بالحق** اي بالصدق وقال ابن عباس بالقران
وقيل بالاسلام وقيل معناه انا لم نرسلك عبثا بل ارسلناك بالحق **بشيرا**
اي مبشرا للاولياء واهل طاعتي بالغفران العظيم **ونذيرا** اي منذرا ومخوفا
للاعداء واهل معصيتي بالعذاب الاليم **ولا تسئل** قرئ بفتح التاء على النهي قال
ابن عباس وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعري ما فعل ابواي
فنزلت هذه الاية والمعنى انا ارسلناك لتبليغ ما ارسلت به لا لتسال عن اصحاب
الجحيم وقرئ ولا تسال بضم التاء ورفع اللام على الخبر وقيل على النفي والمعنى انا ارسلناك
بالحق لتبلغ ما ارسلت به فانما عليك البلاغ ولست مسئولا عمن كفر **عن اصحاب**
**الجحيم** اي عن اهل النار سميت النار جحيما لشدة تاججها وقيل الجحيم معظم النار
قوله عز وجل **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** وذلك انهم

كانوا

كانوا يسالون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه انه ان امهلهم تبعوه فانزل الله
هذه الاية والمعنى انك وان هادنتهم فلا يرضون بها وانما يطلبون ذلك تعللا
ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذا في امر القبلة وذلك ان يهود
المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي الى بيت
المقدس فلما صرف الله القبلة الى الكعبة ايسوا منه ان يوافقهم على دينهم فانزل الله
تعالى ولن ترضى عنك اليهود يعني الا باليهودية ولا النصارى يعني الا بالنصرانية
وهذا شي لا يتصور اذ لا يجتمع في رجل واحد شيئان في وقت واحد وهو قوله حتى تتبع
ملتهم يعني دينهم وطريقتهم **قل** اي يا محمد **ان هدى الله** يعني دين الله الذي هو الاسلام
**هو الهدى** اي يهدي الى دين هدى **ولئن اتبعت** يا محمد **اهواءهم** يعني اهوا اليهود
والنصارى فيما يرضيهم عنك وقيل اهواهم اقوالهم التي هي هوى وبدع **بعد الذي**
**جاءك من العلم** اي البيان بان دين الله هو الاسلام وان القبلة هي قبلة ابراهيم
عليه السلام وهي الكعبة **ما لك من الله من ولي** يعني يلي امرك ويقوم به **ولا**
**نصير** اي ينصرك ويمنعك من عقابه وقيل في قوله ولئن اتبعت اهواءهم انه خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته والمعنى يا كل مخاطب وكم ادب ونهي فقد علمتم
ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاءكم بالحق والصدق وقد عصمته فلا تتبعوا انتم اهوا
الكافرين ولئن اتبعتم اهواءهم بعد الذي جاءكم من العلم والبينات ما لكم من الله
من ولي ولا نصير قوله عز وجل **الذين اتيناهم الكتاب** قال ابن عباس نزلت
في اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب وكانوا اربعين رجلا اثنان
وثلاثون رجلا من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا الراهب وقيل هم
مومنوا اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل هم المومنون عامة **يتلونه حق تلاوته** اي يقرونه كما
انزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون ما فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل معناه يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويومنون
بمتشابهه ويقفون عنده ويكلون علمه الى الله تعالى وقيل معناه يتدبرونه حق تدبره
ويتفكرون في معانيه وحقايقه واسراره **اولئك** يعني الذين يتلونه حق تلاوته
**يومنون به** اي يصدقون به فان قلنا ان الاية في اهل الكتاب فيكون المعنى
ان المومن بالتوراة الذي يتلوها حق تلاوتها هو المومن بمحمد صلى الله عليه وسلم لان
التوراة نعته وصفته وان قلنا انها نزلت في المومنين عامة فظاهر **ومن يكفر به**
اي يجحد بما فيه من فرايض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم **فاولئك هم الخاسرون**
اي خسروا انفسهم حين استبدلوا الكفر بالايمان قوله عز وجل **يا بني اسرائيل**
**اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** اي اياديّ لديكم وصنعي بكم واستنقاذي اياكم من
ايدي عدوكم في نعم كثيرة انعمت بها عليكم **واني فضلتكم على العالمين** اي واذكروا
تفضيلي اياكم على عالمي زمانكم وفي هذه الاية عظة لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله

صلى الله عليه وسلم وكررها في اول السورة هنا للتوكيد وتذكير النعم **واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا** وفي هذه الاية ترهيب لهم والمعنى يا معشر بني اسرايل المبدلين كتابي المحرفين له خافوا عذاب يوم لا تغني فيه نفس عن نفس شيئا **ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة** اي ولا يقبل منها فدية ولا يشفع لها شافع وهذا من العام الذي يراد به الخاص كقوله تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ومعنى الاية و لا تنفعها شفاعة اذا وجب عليها العذاب ولم تستحق سواه وقيل انه رد على اليهود في قولهم اباءنا يشفعون لنا **ولا هم ينصرون** اي ولا ناصر لهم ينصرهم من الله اذا انتقم منهم قوله عز وجل **واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن** ابراهيم اسم عجمي ومعناه اب رحيم وهو ابراهيم بن تارخ وهو ازر بن ناحور بن شاروع بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وكان مولد ابراهيم بالسوس من ارض الاهواز وقيل ببابل وقيل بكوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقيل بحران ولكن اباه نقله الى ارض بابل وهي ارض نمرود الجبار وابراهيم عليه السلام يعترف بفضله جميع الطوايف قديما وحديثا فاما اليهود والنصارى فانهم مقرون بفضله ويتشرفون بالنسبة اليه وانهم من اولاده واما العرب في الجاهلية فانهم ايضا يعترفون بفضله ويتشرفون على غيرهم به لانهم من اولاده ومن ساكني حرمه وخدام بيته ولما جاء الاسلام زاده الله شرفا وفضلا فحكى الله تعالى عن ابراهيم امورا توجب على المشركين والنصارى واليهود قبول قول محمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه لان مما اوجبه الله على ابراهيم عليه السلام وهو من خصايص دين محمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب في وجوب الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وتصديقه واصل الابتلاء الامتحان والاختبار ليعرف حال الانسان وسمي التكليف بلاء لانه يشق على الابدان وقيل ليختبر به حال الانسان فاذا قيل ابتلى فلان بكذا يتضمن امرين احدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من امره والثاني ظهور جودته ورداءته وابتلاء الله العباد ليس ليعلم احوالهم والوقوف على ما يجهل منها لانه عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها على سبيل التفصيل من الازل الى الابد ولكن ليعلم العباد احوالهم من ظهور جودة ورداءة وعلى هذا ينزل قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات واختلفوا في تلك الكلمات التي ابتلى الله بها ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس هي ثلاثون سهما من شرايع الاسلام لم يبتل بها احد فاقامها كلها الا ابراهيم فكتب له البراءة فقال وابراهيم الذي وفى ومعنى هذا الكلام انه لم يبتل احد قبل ابراهيم فاما بعده فقد اتى الانبياء بجميع ما امروا به من الدين خصوصا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتى بجميع ما امر به وهي عشرة مذكورة في سورة براءة في قوله التايبون العابدون الاية وعشرة في سورة الاحزاب في قوله ان المسلمين والمسلمات الاية وعشرة في سورة المومنين في قوله قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الايات وهي مذكورة ايضا في سورة سال سايل وعن ابن

عباس



عباس ايضا قال ابتلاه الله بعشرة اشيا من الفطرة خمس في الراس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الراس وخمس في الجسد تقليم الاظافر ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجا بالما ق عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس وفي رواية خمس من الفطرة ه الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظافر ونتف الابط م عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من الفطرة قص الشارب واعفا اللحية والسواك والاستنشاق بالما وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الما قال مصعب ونسيت العاشرة الا ان تكون المضمضة قال وكيع انتقاص الما يعني الاستنجا قال العلما الفطرة السنة وقيل الملة وقيل الطريقة وهذه الاشيا المذكورة في الحديث وانها من الفطرة قيل كانت على ابراهيم فقد قيل قص الشارب واعفا اللحية مخالفة للاعاجم فانهم كانوا يقصون لحاهم ويوفرون شواربهم ويوفرونهما معا وذلك عكس الجمال والنظافة واما السواك والمضمضة والاستنشاق فلتنظيف الفم والانف من الطعام والبلغم والوسخ واما قص الاظفار فللجمال والزينة فانها اذا طالت تقبح منظرها واحتوى الوسخ فيها واما غسل البراجم وهي العقد التي في ظهور الاصابع فانه يجتمع فيها الوسخ ويشين المنظر واما حلق العانة ونتف الابط فللتنظيف عما يجتمع من الوسخ في الشعر واما الاستنجا فلتنظيف ذلك المحل عن الاذى واما الختان فلتنظيف القلفة عما يجتمع فيها من البول واختلف العلما في وجوبه فذهب الشافعي الى ان الختان واجب لانه تنكشف له العورة ولا يباح ذلك الا في الواجب وذهب غيره الى انه سنة واول من اختتن ابراهيم عليه السلام ولم يختتن احد قبله ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن ابراهيم بالقدوم يروى القدوم بالتخفيف والتشديد فمن خفف ذهب انه اسم للالة التي يقطع بها ومن شدد قال انه اسم موضع عن يحيى بن سعيد انه سمع سعيد بن المسيب يقول كان ابراهيم خليل الرحمن اول الناس ضيف الضيف واول الناس قص شاربه واول الناس راى الشيب قال يا رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى وقار يا ابراهيم قال يا رب زدني وقارا اخرجه مالك في الموطا وقيل في الكلمات انها مناسك الحج وقيل ابتلاه الله بسبعة اشيا بالكواكب والقمر والشمس فاحسن النظر فيهن وبالنار والهجرة وذبح ولده والختان فصبر عليها وقيل ان الله اختبر ابراهيم بكلمة اوحاها اليه وامره ان يعمل بهن فاتمهن اي اداهن حق التادية وقام بموجبهن حق القيام وعمل بهن من غير تفريط وتوان ولم ينتقص منهن شيئا ه واختلفوا هل كان هذا الابتلاء قبل النبوة او بعدها فقيل كان قبل النبوة بدليل قوله في سياق الاية اني جاعلك للناس اماما والسبب يتقدم على المسبب وقيل بل كان هذا الابتلاء بعد النبوة لان التكليف لا يعلم الا من جهة الوحي الالهي وذلك بعد النبوة والصواب انه فسر الابتلاء بالكواكب والقمر والشمس كان ذلك قبل

ابراهيم عليه السلام فرضا وفي لنا سنة واتفق العلما على انها من الملة والامام

البنوة واذا قسمها وجب عليه من شرايع الدين كان ذلك تجديدا للنبوة وقوله قال
اني جاعلك للناس اماما اي يقتدي بك في الخير ويأتمون بسنتك وهديك والامام
هو الذي يؤتم به قال ومن ذريتي اي قال ابراهيم واجعل من ذريتي واولادي ايمة
يقتدي بهم قال الله لا ينال اي لا يصيب عهدي اي نبوتي وقيل الامامة الظالمين
يعني من ذريتك والمعنى لا ينال ما عاهدت اليك من النبوة والامامة من كان ظالما
من ذريتك وولدك قوله عز وجل واذ جعلنا البيت يعني البيت الحرام وهو الكعبة
ويدخل فيه الحرم فان الله تعالى وصفه بكونه امنا وهذا صفة جميع الحرم مثابة
للناس اي مرجعا من ثاب يثوب اذا رجع والمعنى يثوبون اليه من كل جانب يحجون
وامنا اي موضعا ذا امن يامنون فيه من اذى المشركين فانهم كانوا لا يتعرضون
لاهل مكة ويقولون هم اهل الله وقال ابن عباس معاذا وملجا ق عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله
يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة وانه لم
يحل القتال فيه لاحد قبلي ولم يحل لي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله الى يوم
القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى
خلاه فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقينهم وبيوتهم فقال الا الاذخر
معنى الحديث انه لا يحل لاحد ان ينصب القتال والحرب في الحرم وانما احل ذلك
لرسول الله يوم فتح مكة فقط ولا يحل لاحد بعده قوله لا يعضد شوكه اي لا يقطع
شوك الحرم واراد به ما لا يؤذي منه كالعوسج فلا باس بقطعه ولا ينفر صيده
لا يتعرض له بالاصطياد ولا يهاج قوله ولا يلتقط لقطتها الا من عرفها اي ينشدها
والتنشيد رفع الصوت بالتعريف واللقطة في جميع الارض لا تحل الا لمن يعرفها حولا
فان جا صاحبها اخذها والا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان وحكم مكة في اللقطة
ان يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من البلاد فانه محدود بسنة قوله ولا يختلى خلاه
الخلا مقصور على الرطب من النبات الذي يرعى وقيل هو اليابس من الحشيش وخلاه
قطعه وقوله لقينهم القين الحداد وقوله تعالى واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى
قيل الحرم كله مقام ابراهيم وقيل اراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة
والمزدلفة والرمي وساير المشاهد والصحيح ان مقام ابراهيم هو الحجر الذي يصلي
فيه الايمة وذلك الحجر هو الذي قام ابراهيم عليه عند بنا البيت وقيل كان اثر
اصابع رجلي ابراهيم عليه السلام فيه فاندرست بكثرة المسح بالايدي وقيل انما امروا
بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله ق عن انس بن مالك قال قال عمر
وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى الحديث
وكان بدو قصة المقام على ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال اول ما
اتخذ النسا المنطق من قبل ام اسماعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة
ثم جا بها ابراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق

زمزم



زمزم من على المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ما فوضعهما هنالك ووضع عندهما
جرابا فيه تمر وسقا فيه ما ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم
الى اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شي فقالت له ذلك مرارا
وجعل لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت
فانطلق ابراهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا
بهولا الدعوات فرفع يديه وقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى
بلغ يشكرون وجعلت ام اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الما حتى اذا نفد
ما في السقا عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت
كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم
استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى بلغت
الوادي رفعت طرف درعها سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم
اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات
قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما
فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت
ايضا فقالت يا من قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع
زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الما فجعلت تحوضه وتقول بيدها
هكذا وجعلت تغرف من الما في سقايها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي
صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الما
لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا
الضيعة فان ههنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان
البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول فتاخذ عن يمينه وعن شماله
فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم مقبلين من طريق كدا فنزلوا في اسفل
مكة فراوا طايرا عايفا فقالوا ان هذا الطاير ليدور على ما لعهدنا بهذا الوادي
وما فيه ما فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالما فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام
اسماعيل عند الما فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الما
قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسماعيل وهي تحب
الانس فارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب
الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب فلما ادرك زوجوه امراة
منهم وماتت ام اسماعيل فجا ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته فلم يجد
اسماعيل فسال امراته عنه فقالت خرج يبتغي لنا وفي رواية ذهب يصيد لنا
وشدة وشكت اليه فقال اذا جا زوجك اقري عليه السلام وقولي له يغير عتبة
بابه فلما جا اسماعيل كانه انس شيا فقال هل جاكم من احد قالت نعم جانا شيخ كذا
وكذا فسالنا عنك فاخبرته وسالني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة فقال

هذا وصاك بشيء قالت نعم امرني ان اقرا عليك السلام ويقول لك غير عتبة بابك
قال ذلك ابي وقد امرني ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم
ابراهيم ما شا الله ان يلبث ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امراته فسالها عنه فقالت
خرج يبتغي لنا قال كيف انتم وسالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة
واثنت على الله عز وجل فقال وما طعامكم قالت اللحم قال وما شرابكم قالت الما
قال اللهم بارك لهم في اللحم والما قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يوميذ حب
ولو كان لهم حب دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه وفي
رواية فجا فقال اين اسماعيل فقالت امراته ذهب يصيد فقالت امراته الا تنزل
فتطعم وتشرب قال وما طعامكم وشرابكم قالت طعامنا اللحم وشرابنا الما فقال
اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم فقال ابو القسم بركة دعوة ابراهيم قال فاذا
جا زوجك فاقري عليه السلام ومريه ان يثبت عتبة بابه فلما جا اسماعيل قال هل
اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ حسن الهيئة واثنت عليه فسالني عنك فاخبرته
فسالني كيف عيشنا فاخبرته انا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم يقري عليك
السلام ويامرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك ابي وانت العتبة امرني ان امسكك
ثم لبث عنهم ما شا الله ثم جا بعد ذلك واسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا
من زمزم فلما راه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال
يا اسماعيل ان الله امرني بامر قال فاصنع ما امرك ربك قال وتعينني قال واعينك
قال فان الله امرني ان ابني بيتا هاهنا واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فعند
ذلك رفع القواعد من البيت فجعل اسماعيل ياتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع
البنا جا ابراهيم بهذا الحجر فوضعه له فقام ابراهيم عليه وهو يبني واسماعيل يناوله
الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وفي رواية حتى اذا ارتفع
البنا وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان
ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وقيل ان امراة اسماعيل قالت له يا ابراهيم انزل
اغسل راسك فلم ينزل فجاته بالمقام فوضعته عن شقه الايمن فوضع قدمه
عليه فغسلت شق راسه الايمن ثم حولته الى شقه الايسر فغسلت شق
راسه الايسر فبقي اثر قدميه عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة
طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضا ما بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذي
وقال هذا يروى عن ابن عمر موقوفا واختلفوا في قوله **مصلى** فقيل المقام المشاعر
للحج ومشاعره قال مصلى مدعى من الصلاة التي هي الدعا ومن فسر المقام بالحجر
قال معناه واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قبلة امروا بالصلاة عنده وهذا القول
هو الصحيح لان لفظ الصلاة اذا اطلق لا يعقل منه الا الصلاة المعهودة ذات الركوع
والسجود ولان مصلى الرجل هو الموضع الذي يصلي فيه **وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل**

اي



اي امرناهما والزمناهما واوجبنا عليهما وقيل انما سمي اسماعيل لان ابراهيم كان يدعو ان يرزقه
الله ولدا ويقول في دعائه اسمع يا ايل وايل بالسريانية هو الله فلما رزق الولد سماه
به **ان طهرا بيتي** يعني الكعبة اضافه اليه تشريفا وتفضيلا وتخصيصا اي ابنياه
على الطهارة والتوحيد وقيل طهراه من سائر الاقذار والانجاس وقيل طهراه من الشرك
والاوثان وقول الزور **للطائفين** يعني الدائرين حوله **والعاكفين** يعني المقيمين
به والمجاورين له **والركع السجود** جمع راكع وساجد وهم المصلون وقيل الطائفين
الغربا الواردين الى مكة والعاكفين يعني اهل مكة المقيمين بها قيل ان الطواف للغربا
افضل والصلوات لاهل مكة بمكة افضل قوله عز وجل **واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا**
اشارة الى مكة وقيل الى الحرم **بلدا امنا** اي ذا امن يامن فيه اهله وانما دعا ابراهيم
لهم بالامن لانه بلد ليس فيه زرع ولا ثمر فاذا لم يكن امنا لم يجلب اليه شي
من النواحي فيتعذر المقام به فاجاب الله تعالى دعا ابراهيم وجعله بلدا امنا فما
قصده جبار الا قصمه الله تعالى كما فعل باصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة فان
قلت قد غزا مكة الحجاج وخرب الكعبة **قلت** لم يكن قصده بذلك مكة
ولا اهلها ولا خراب الكعبة وانما كان قصده خلع ابن الزبير من الخلافة ولم يتمكن
من ذلك الا بذلك فلما حصل قصده اعاد بنا الكعبة فبناها وشيدها وعظم حرمتها
واحسن الى اهلها واختلفوا هل كانت مكة محرمة قبل دعوة ابراهيم عليه السلام
او حرمت بدعوته على قولين احدهما انها كانت محرمة قبل دعوته بدليل قوله صلى الله
عليه وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وقول ابراهيم عليه السلام
اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم فهذا يقتضي ان مكة كانت
محرمة قبل دعوة ابراهيم القول الثاني انها حرمت بدعوة ابراهيم بدليل قوله صلى الله
عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة وهذا يقتضي ان مكة كانت قبل
دعوة ابراهيم حلالا كغيرها من البلاد وانما حرمت بدعوة ابراهيم ووجه الجمع بين
القولين وهو الصواب ان الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولكن لم يظهر ذلك التحريم
على لسان احد من انبيائه ورسله وانما كان تعالى يمنعها ممن ارادها بسوء ويدفع عنها
وعن اهلها الافات والعقوبات فلم يزل ذلك من امرها حتى بواها الله تعالى ابراهيم
واسكن بها اهله فحينئذ سال ابراهيم ربه عز وجل ان يظهر تحريم مكة لعباده
على لسانه فاجابه الله تعالى دعوته والزم عباده تحريم مكة فصارت مكة حراما
بدعوة ابراهيم وفرض على الخلق تحريمها والامتناع من استحلالها واستحلال
صيدها وشجرها فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب والله اعلم **وارزق
اهله من الثمرات** انما سال ابراهيم ذلك لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب
الله تعالى له وجعل مكة حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شي **من امن منهم بالله واليوم
الاخر** يعني ارزق المومنين من اهله خاصة وسبب تخصيص ابراهيم عليه

السلام لما سأل ربه عز وجل ان يجعل النبوة والامامة في ذريته فاجابه الله بقوله
لا ينال عهدي الظالمين فصار ذلك تأديبا له في المسئلة فلا جرم خص ههنا بدعائه
المؤمنين دون الكافرين ثم اعلمه ان الرزق في الدنيا يستوي فيه المؤمن والكافر
بقوله **قال ومن كفر فامتعه** اي سارزق الكافر ايضا **قليلا** اي في الدنيا الى منتهى
اجله وذلك قليل لانه ينقطع **ثم اضطره الى عذاب النار** اي الجئه واكرهه وادفعه
الى عذاب النار والمضطر هو الذي لا يملك لنفسه الامتناع مما اضطر اليه **وبئس**
**المصير** اي وبئس المكان الذي يصير اليه الكافر وهو العذاب قوله تعالى **واذ يرفع**
**ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل** وكانت قصة بناء البيت على ما ذكره العلماء
واصحاب التسيير ان الله خلق موضع البيت قبل ان يخلق الارض بالفي عام فكانت زبدة
بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط الله آدم الى الارض استوحش
فشكى الى الله تعالى فانزل البيت المعمور وهو من ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان
من زمرد اخضر باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت وقال يا آدم اني
اهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي
وانزل الله عليه الحجر الاسود وكان ابيض فاسود من لمس الحيض في الجاهلية فتوجه
آدم من الهند ماشيا الى مكة وارسل الله اليه ملكا يدله على البيت فحج آدم البيت
واقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا له بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا
البيت قبلك بالفي عام قال ابن عباس حج آدم اربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه
فكان على ذلك الى ايام الطوفان فرفعه الله الى السماء الرابعة وهو البيت المعمور
يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه وبعث الله جبريل حتى خبى الحجر
الاسود في جبل ابي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمن
ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى امر ابراهيم بعدما ولد له اسماعيل واسحاق
ببناء بيت يذكر فيه ويعبد فسأل الله ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله
على موضع البيت وهي ريح خجوج راسان تشبه الحية والخجوج من الرياح هي الشديدة السريعة
الهبوب وقيل هي الملتوية في هبوبها وامر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة فتبعها
ابراهيم حتى اتت موضع البيت فتطوقت عليه كتطوق الحجفة وقال ابن عباس بعث الله
سبحانه وتعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشي في ظلها الى ان وقفت
على موضع البيت ونودي منها يا ابراهيم ابن على قدر ظلها لا تزيد ولا تنقص وقيل ان الريح
كنست له ما حول الكعبة حتى ظهر له اساس البيت الاول فبنى ابراهيم واسماعيل البيت
فكان ابراهيم يبنيه واسماعيل يناوله الحجارة فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد
من البيت جمع قاعدة وهي اساس البيت وقيل جدره من البيت قال ابن عباس بنى ابراهيم البيت
من خمسة اجبل من طور سينا وطور زيتا ولبنان جبل بالشام والجودي جبل بالجزيرة وبنى قواعده
من حرا جبل بمكة فلما انتهى ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسماعيل ائتني بحجر حسن يكون
للناس علما فاتاه بحجر فقال ائتني باحسن منه فمضى اسماعيل ليطلب حجرا احسن منه فصاح

ابو قبيس



ابو قبيس يا ابراهيم ان لك وديعة عندي فخذها فقذف الحجر الاسود فاخذه ابراهيم فوضعه
مكانه وقيل ان الله تعالى امد ابراهيم واسماعيل بسبعة املاك يعينونهما في بناء البيت فلما فرغا
من بنائه قالا **ربنا تقبل منا** وفي الآية اضمار تقديره ويقولان ربنا تقبل منا اي ما عملنا
لك وتقبل طاعتنا اياك وعبادتنا لك **انك انت السميع** اي لدعائنا **العليم** يعني
بنياتنا قوله عز وجل **ربنا واجعلنا مسلمين لك** يعني موحدين مخلصين مطيعين
خاضعين لك فان قلت الاسلام اما ان يكون المراد منه الدين والاعتقاد والاستسلام
والانقياد وقد كانا كذلك حال ما دعوا هذا الدعا فما فايدة هذا الطلب قلت فيه وجهان احدهما
ان الاسلام عرض قايم بالقلب وقد لا يبقى فقوله واجعلنا مسلمين لك يعني في المستقبل
وذلك لا ينافي حصوله في الحال الوجه الثاني يحتمل ان يكون المراد منه طلب الزيادة
في الايمان فكانهما طلبا زيادة اليقين والتصديق وذلك لا ينافي حصوله في الحال
**ومن ذريتنا** اي من اولادنا **امة** اي جماعة **مسلمة** اي خاضعة منقادة **لك**
وانما ادخل من التي هي للتبعيض لان الله تعالى اعلمهما بقوله لا ينال عهدي الظالمين
ان في ذريتهما الظالم فلهذا خص بعض الذرية بالدعا فان قلت لم خص ذريتهما بالدعا
قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قال الله تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا ولان
اولاد الانبيا اذا اصلحوا اصلح الله بهم غيرهم الا ترى ان المتقدمين من العلما والكبرا اذا
كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله
عليه وسلم بدليل قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم **وارنا** اي علمنا وبصرنا **مناسكنا** اي
شرايع ديننا واعلام حجنا وقيل مناسكنا يعني مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبدنا
واصل النسك العبادة والناسك العابد فاجاب الله دعاءهما وبعث جبريل فاراهما المناسك
في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت يا ابراهيم قال ابراهيم نعم فسمي ذلك الوقت
عرفة والموضع عرفات **وتب علينا** اي تجاوز عنا **انك انت التواب** اي المتجاوز
عن عباده **الرحيم** بهم واحتج بقوله وتب علينا من جوز الذنوب على الانبيا ووجه ان
التوبة لا تطلب من الله الا بعد تقدم الذنب فلولا تقدم الذنب لم يكن لطلب التوبة
وجه واجيب عنه بان العبد وان اجتهد في طاعة ربه عز وجل فانه لا ينفك عن تقصير
في بعض الاوقات اما على سبيل السهو او ترك الاولى والافضل وكان هذا الدعا لاجل
ذلك وقيل يحتمل انهما لما ان الله تعالى اعلم ابراهيم ان في ذريته من هو ظالم فلا جرم سأل
ربه التوبة لاوليك الظلمة والمعنى وتب على الظلمة من اولادنا حتى يرجعوا الى طاعتك
فيكون ظاهر الكلام الدعا لانفسهما والمراد به ذريتهما وقيل يحتمل انهما لما رفعا قواعد
البيت وكان ذلك المكان احرى الاماكن بالاجابة فدعوا الله بذلك الدعا ليجعلاه ذلك
سنة وليقتدي من بعدهما بهما في ذلك الدعا لان ذلك المكان هو موضع التنصل من
الذنوب وسوال التوبة والمغفرة من الله تعالى قوله عز وجل **ربنا وابعث فيهم**
**رسولا منهم** يعني وابعث في الامة المسلمة او الذرية وهم العرب من ولد اسماعيل
ابن ابراهيم عليهما السلام وقوله رسولا منهم يعني ليدعوهم الى الاسلام ويكمل الدين

والتشريع واذا كان الرسول منهم يعرفون نسبه ومولده ومنشاه كان اقرب لقبول قوله
ويكون هو اشفق عليهم من غيره واجمع المفسرون على ان المراد بقوله رسولا منهم محمد صلى الله
عليه وسلم لان ابراهيم عليه السلام انما دعا لذريته وهو بمكة ولم يبعث من ذريته بمكة غير
محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم روى البغوي باسناده عن
العرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني عند الله مكتوب خاتم
النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وساخبركم باول امري انا دعوة ابراهيم وبشارة
عيسى ورويا امي التي رات حين وضعتني وقد خرج لها نور ساطع اضاءت لها منه قصور
الشام وقوله لمنجدل في طينته معناه مطروح على وجه الارض صورة من طين لم يجر فيه
الروح واراد بدعوة ابراهيم قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب الله دعا ابراهيم
وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم في اخر الزمان وانقذهم به من الكفر والظلم واراد ببشارة
عيسى عليه السلام قوله في سورة الصف ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد **يتلوا
عليهم** اي يقرا عليهم **اياتك** يعني ما توحيه اليه من القران وهو الذي انزل على محمد صلى الله
عليه وسلم لان الذي كان يتلوا عليهم هذا القران فوجب حمله عليه **ويعلمهم الكتاب** يعني
معاني الكتاب وحقايقه لان المقصود الاعظم تعلم ما في القران من دلايل التوحيد والنبوة
والاحكام الشرعية فلما ذكر الله تعالى اولا امر التلاوة وهي حفظ القران ودراسته
ليبقى مصونا عن التحريف والتبديل ذكر بعده تعليم حقايقه واسراره **والحكمة** اي
ويعلمهم الحكمة وهي الاصابة في القول والعمل ولا يسمى الرجل حكيما الا اذا اجتمع فيه
الامران وقيل هي الحكمة التي ترد عن الجهل والخطا وذلك انما يكون بما ذكرناه من الاصابة
في القول والعمل ووضع كل شي موضعه وقيل الحكمة معرفة الاشيا بحقايقها واختلف
المفسرون في ما المراد بالحكمة ههنا فروي ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة قال المعرفة
بالدين والفقه فيه والاتباع له وقال قتادة الحكمة هي السنة وذلك لان الله تعالى ذكر
تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه بالحكمة فوجب ان يكون المراد بها شيا اخر وليس ذلك
الا السنة وقيل الحكمة هي العلم باحكام الله تعالى التي لا يدري علمها الا بيان الرسول
صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها منه وقيل الحكمة هي الفصل بين الحق والباطل وقيل هي معرفة
الاحكام والقضا وقيل هي فهم القران والمعنى ويعلمهم ما في القران من الاحكام والحكمة
ما فيه من المصالح الدينية والاحكام الشرعية وقيل كل كلمة وعظتك او دعتك الى مكرمة
او نهتك عن قبيح فهي حكمة **ويزكيهم** اي ويطهرهم من الشرك وعبادة الاوثان وساير
الارجاس والرذايل والنقايص وقيل يزكيهم من التزكية اي يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة
اذا شهدوا للانبيا بالبلاغ ثم ختم ابراهيم الدعا بالثنا على الله تعالى فقال **انك انت العزيز
الحكيم** قال ابن عباس العزيز الذي لا يوجد مثله وقيل هو الذي يقهر ولا يقهر وقيل هو
المنيع الذي لا تناله الايدي وقيل العزيز القوي والعزة القوة من قولهم ارض عزاز
اي صلبة قوية الحكيم اي العالم الذي لا يخفى عليه خافية وقيل هو العالم بالاشيا
وايجادها على غاية الاحكام قوله عز وجل **ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه**





سبب نزول هذه الاية ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه الى الاسلام مهاجرا وقال لهما
قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به
فقد اهتدى ومن لم يومن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فانزل الله
تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم اي يترك دينه وشريعته وفيه تعريض باليهود والنصارى
ومشركي العرب لان اليهود والنصارى يفتخرون بالانتساب الى ابراهيم والوصلة اليه لانهم
من بني اسرايل وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم والعرب يفتخرون به لانهم من ولد اسماعيل
ابن ابراهيم واذا كان كذلك كان ابراهيم هو الذي طلب بعثة هذا الرسول في اخر الزمان
فمن رغب عن الايمان بهذا الرسول الذي هو دعوة ابراهيم فقد رغب عن ملة ابراهيم ومعنى
يرغب عن ملة ابراهيم اي يترك دينه يقال رغب في الشي اذا اراده ورغب عنه اذا تركه
الا من سفه نفسه قال ابن عباس خسر نفسه وقيل اهلك نفسه وقيل امتهنها واستخف
بها واصل السفه الخفة وقيل الجهل وضعف الراي فكل سفيه جاهل لان من عبد غير الله
فقد جهل نفسه لانه لم يعترف بان الله خالقها وقد جا من عرف نفسه فقد عرف ربه
ومعناه ان يعرف نفسه بالذل والعجز والضعف والفنا ويعرف ربه بالعز والقدرة و
القوة هو البقا ويدل على هذا ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام اعرف نفسك
واعرفني قال يا رب وكيف اعرف نفسي وكيف اعرفك قال اعرف نفسك بالعجز والضعف
والفنا واعرفني بالقوة والقدرة والبقا **ولقد اصطفيناه** اي اخترناه **في الدنيا وانه
في الاخرة لمن الصالحين** يعني الفايزين وقيل مع الانبيا في الجنة **اذ قال له ربه
اسلم** اي استقم على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما لان الانبيا انما نشيوا
على الاسلام والتوحيد قال ابن عباس ذلك حين خرج من السرب وذلك عندما استدل له
بالكواكب والشمس والقمر واطلاعه على امارات الحدوث فيها وافتقارها الى محدث مدبر
فلما عرف قال له ربه اسلم **قال اسلمت لرب العالمين** اي قال ابراهيم خضعت بالطاعة
واخلصت العبادة لمالك الخلايق ومدبرها ومحدثها وقيل معنى اسلم اخلص دينك وعبادتك
لله واجعلها سليمة وقيل الايمان من صفات القلب والاسلام من صفات الجوارح وان
ابراهيم كان مومنا بقلبه عارفا بالله فامره الله ان يعمل بجوارحه وقيل معناه اسلم نفسك
الى الله تعالى وفوض امرك اليه فقال اسلمت اي فوضت امري لرب العالمين قال ابن عباس
وقد حقق ذلك حيث لم يستعن باحد من الملايكة حين القي في النار قوله عز وجل **ووصى
بها ابراهيم بنيه** يعني بكلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله وقيل هي الملة الحنيفية
وكان لابراهيم ثمانية اولاد اسماعيل وامه هاجر القبطية واسحاق وامه سارة ومدين
ومداين ويقشان وزمران ويشبق وشوخ وامهم قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم
حين وفاة سارة فان قلت لم قال وصى بها ابراهيم بنيه ولم يقل امرهم لان لفظة الوصية
اوكد من لفظ الامر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت وفي ذلك الوقت يكون احتياط
الانسان لولده اشد واعظم وكانوا هم الى قبول وصيته اقرب وانما خص بنيه بهذه
الوصية لان شفقة الرجل على بنيه على غيرهم وقيل لانهم كانوا ايمة يقتدى بهم فكان

صلاحهم صلاحا لغيرهم **ويعقوب** اي ووصى يعقوب بمثل ما وصى به ابراهيم وسمي يعقوب لانه هو والعيص كانا توأمين في بطن واحد فتقدم العيص وقت الولادة في الخروج من بطن امه وخرج يعقوب على اثره واخذ بعقبه قال ابن عباس وقيل سمي يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد اثنا عشر وهم روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا وزبولون ويشجر ودان ونفتالي وجاد واشر ويوسف وبنيامين ثم خاطب يعقوب بنيه فقال **يا بني ان الله اصطفى لكم الدين** اي اختار لكم دين الاسلام **فلا تموتن الا وانتم مسلمون** اي مؤمنون مخلصون فالمعنى دوموا على اسلامكم حتى ياتيكم الموت وانتم مسلمون لانه لا يعلم في اي وقت ياتي الموت على الانسان وقيل في معنى وانتم مسلمون اي محسنون الظن بالله عز وجل يدل عليه ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم الا وهو محسن الظن بالله اخرجاه في الصحيحين قوله عز وجل **ام كنتم شهداء** جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين **اذ حضر يعقوب الموت** اي حين احتضر وقرب من الموت نزلت في اليهود وذلك لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية فانزل الله هذه الاية تكذيبا لهم والمعنى ان كنتم يا معشر اليهود شهودا على يعقوب اذ حضره الموت اي انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على انبيائي ورسلي الاباطيل وتنسبوهم الى اليهودية فاني ما ابتعثت خليلي ابراهيم وولده واولادهم الا بدين الاسلام وبذلك وصوا اولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ما قال يعقوب لبنيه فقال تعالى **اذ قال** يعني يعقوب **لبنيه** يعني لاولاده الاثني عشر **ما تعبدون** اي اي شيء تعبدون **من بعدي** قيل ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الموت والحياة فلما خير يعقوب وكان قد راى اهل مصر يعبدون الاوثان والنيران فقال انظروني حتى اسال ولدي واوصيهم فامهلهم فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر اجلي ما تعبدون من بعدي **قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحاق** انما قدم اسمعيل لانه كان اكبر من اسحاق وادخله في جملة الاباء وان كان عما لهم لان العرب تسمي العم ابا والخالة اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه وقال في عمه العباس ردوا علي ابي **الها واحدا ونحن له مسلمون** اي مخلصون العبودية **تلك** اشارة الى الامة المذكورة يعني ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب وولدهم **امة قد خلت** اي مضت لسبيلها فالمعنى يا معشر اليهود والنصارى دعوا ذكر ابراهيم واسمعيل واسحاق والمسلمين من اولادهم ولا تقولوا فيهم ما ليس فيهم **لها ما كسبت** يعني من العمل **ولكم** يعني يا معشر اليهود والنصارى **ما كسبتم** اي من العمل **ولا تسالون عما كانوا يعملون** يعني كل فريق يسال عن عمله لا عن عمل غيره قوله عز وجل **وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا** قال ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود كعب بن الاشرف ومالك ابن الصيف ووهب بن يهوذا وابي ياسر بن اخطب وفي نصارى نجران السيد والعاقب واصحابهما وذلك انهم خاصموا المؤمنين في الدين فكل فريق منهم يزعم انه احق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبياء وكتابنا التوراة افضل الكتب وديننا افضل

الاديان



الاديان وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد والقران وقالت النصارى كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك فانزل الله عز وجل **قل** يا محمد **بل ملة ابراهيم** يعني اذا كان لا بد من الاتباع فنتبع ملة ابراهيم لانه مجمع على فضله **حنيفا** اصله من الحنيف وهو ميل واعوجاج يكون في القدم قال ابن عباس الحنيف المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام قال الشاعر

• ولكنا خلقنا اذ خلقنا • حنيفا ديننا عن كل دين •

والعرب تسمي كل من اختتن او حج حنيفا تنبيها على انه دين ابراهيم وقيل الحنيفية الختان واقامة المناسك مسلما يعني ان الحنيفة هي دين الاسلام وهو دين ابراهيم **وما كان من المشركين** يعني ابراهيم وفيه تعريض باليهود والنصارى وغيرهم ممن يدعي اتباع ملة ابراهيم وهو على الشرك ثم علم المؤمنين طريق الايمان فقال تعالى **قولوا امنا بالله** يعني قولوا ايها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم كونوا هودا او نصارى تهتدوا امنا بالله اي صدقنا بالله **وما انزل الينا** يعني القران **وما انزل الى ابراهيم** يعني وامنا بما انزل الى ابراهيم وهو عشر صحايف **واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط** وهم اولاد يعقوب الاثنا عشر واحدهم سبط وكانوا انبياء وقيل السبط هو ولد الولد وهو الحافد ومنه قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل في العرب من بني اسمعيل وكان في الاسباط انبياء **وما اوتي موسى** يعني التوراة **وعيسى** يعني الانجيل **وما اوتي النبيون من ربهم** والمعنى امنا ايضا بالتوراة والانجيل والكتب التي اوتي جميع النبيين وصدقنا ان ذلك كله حق وهدى ونور وان الجميع من عند الله وان جميع ما ذكر الله من انبيائه كانوا على هدى وحق **لا نفرق بين احد منهم** اي لا نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض كما تبرات اليهود من عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم واقرت ببعض الانبياء وكما تبرات النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم بل نؤمن بكل الانبياء وان جميعهم كانوا على هدى وحق **ونحن له مسلمون** اي ونحن لله تعالى خاضعين بالطاعة مذعنون له بالعبودية خ عن ابي هريرة قال كان اهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل الينا الاية قوله عز وجل **فان امنوا** يعني اليهود والنصارى **بمثل ما امنتم به** اي بما امنتم به ومثل صلة فهو كقوله ليس كمثله شيء وقيل ان اتوا بايمان كايمانكم وتوحيد كتوحيدكم **فقد اهتدوا** والمعنى ان حصلوا دينا اخر يساوي هذا الدين في الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لما استحال ان يوجد دين اخر يساوي هذا الدين في الصحة والسداد استحال الاهتداء بغيره لان هذا الدين مبناه على التوحيد والاقرار بكل الانبياء وما انزل اليهم وقيل معناه فان امنوا بكتابكم كما امنتم بكتابهم فقد اهتدوا **وان تولوا** اي اعرضوا **فانما هم في شقاق** اي في خلاف ومنازعة وقيل في عداوة ومحاربة وقيل في ضلال واصله من الشق كانه صار في شق غير شق صاحبه بسبب عداوته وقيل هو من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه

ويوديه فسيكفيكهم الله اي يكفيك يا محمد شر اليهود والنصارى وهو ضمان من الله تعالى
لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اذا تكفل بشيء انجزه وهو اخبار بغيب ففيه
معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد انجز الله وعده بقتال بني قريظة وسبيهم واجلاء بني
النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى وهو السميع لاقوالهم العليم
باحوالهم يسمع جميع ما ينطقون به ويعلم جميع ما يضمرون به من الحسد والغل وهو
يجازيهم ويعاقبهم عليه قوله عز وجل صبغة الله قال ابن عباس دين الله وانما سماه
الله صبغة لان اثر الدين يظهر على المتدين كما يظهر اثر الصبغ على الثوب وقيل فطرة
وقيل سنته وقيل اراد به الختان لانه يصبغ المختتن بالدم قال ابن عباس ان النصارى
اذا ولد لاحدهم مولود واتى عليه سبعة ايام غمسوه في ماء لهم اصفر يسمونه ماء المعمودية
وصبغوه ليطهروه به مكان الختان فاذا فعلوا ذلك به قالوا الان صار نصرانيا
حقا فاخبر الله ان دينه الاسلام لا ما يفعله النصارى ومن احسن من الله صبغة
اي دينا وقيل تطهيرا لانه يطهر من اوساخ الكفر ونحن له عابدون اي مطيعون قل
يعني يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا ان دينهم خير من دينكم وامروكم باتباعهم
اتحاجوننا في الله اي اتخاصموننا وتجادلوننا في دين الله الذي امرنا ان نتدين به
والمحاجة المجادلة لاظهار الحجة وذلك انهم قالوا ان ديننا اقدم من دينكم وان الانبياء
منا وعلى ديننا فنحن اولى بالله منكم فامر الله المؤمنين ان يقولوا لهم اتحاجوننا
في الله وهو ربنا وربكم اي ونحن وانتم في الله سواء فانه ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم
اعمالكم يعني ان لكل احد جزاء عمله ونحن له مخلصون اي مخلصون الطاعة والعبادة فيه
وفيه توبيخ لليهود والنصارى والمعنى وانتم به مشركون والاخلاص ان يخلص العبد
دينه وعمله لله تعالى فلا يشرك في دينه ولا يرائي بعمله قال الفضيل بن عياض ترك
العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله منهما
وهذه الاية منسوخة باية السيف قوله عز وجل ام يقولون يعني اليهود والنصارى
ومعناه التوبيخ ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى
يعني انتم تزعمون ان ابراهيم وبنيه كانوا على دينكم وملتكم وانما حدثت اليهودية والنصرانية
بعدهم فثبت كذبكم يا معشر اليهود والنصارى على ابراهيم وبنيه قل يا محمد اانتم اعلم
ام الله اي الله اعلم بذلك وقد اخبر ان ابراهيم وبنيه لم يكونوا على اليهودية
والنصرانية ولكن كانوا مسلمين حنفا ومن اظلم ممن كتم يعني اخفى شهادة عنده من الله
وهي علمهم بان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين وان محمدا الحق بنعته وصفته يجدون ذلك
في كتبهم وكتموه وجحدوه والمعنى ومن اظلم ممن كتم شهادة جاءته من عند الله فكتمها
واخفاها وما الله بغافل عما تعملون يعني من كتمانكم الحق فيما الزمكم به في كتابه
من ان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين حنفا وان الدين هو الاسلام لا اليهودية والنصرانية
والمعنى وما الله بغافل عن عملكم بل هو محصيه عليكم ثم يجازيكم عليه في الاخرة تلك
امة قد خلت يعني ابراهيم وبنيه لها ما كسبت اي جزاء ما كسبت ولكم ما كسبتم

اي



اي جزاء ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون يعني ان كل انسان انما يسأل يوم القيامة
عن كسبه وعمله لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولمن يتكل على فضل الآباء
وشرفهم اي لا تتكلوا على فضل الآباء فكل يؤخذ بعمله وانما كررت هذه الآية لانه اذا اختلف
مواطن الحجاج والمجادلة حسن تكريره للتذكير به وتأكيده وقيل انما كرره تنبيها لليهود
ليلا يغتروا بشرف آبائهم قوله عز وجل سيقول السفهاء من الناس اي الجهال من
الناس والسفه خفة في النفس لنقصان العقل في الامور الدينية والدنيوية ولا شك
ان ذلك في باب الدين اعظم لان العادل في الامر الواضح في امر دنياه يعد سفيها فمن كان
كذلك في امر دينه كان اولى بهذا الاسم فلا كافر الا وهو سفيه ولهذا الممكن حمل هذا
اللفظ على اليهود والمشركين والمنافقين فقيل نزلت هذه الآية في اليهود وذلك انهم
طعنوا في تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لا يرون النسخ وقيل نزلت
في مشركي مكة وذلك انهم قالوا قد تردد على محمد امره واشتاق مولده وقد توجه الى نحو
بلدكم فلعله يرجع الى دينكم وقيل نزلت في المنافقين وانما قالوا ذلك استهزاء بالاسلام
وقيل يحتمل ان لفظ السفهاء للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود ويحتمل
وقوع هذا الكلام من كلهم اذ لا فائدة في التخصيص ولان الاعداء يبالغون في الطعن والقدح
فاذا وجدوا مقالا قالوا ومجالا جالوا ما ولاهم يعني اي شيء صرفهم عن قبلتهم التي كانوا
عليها يعني بيت المقدس والقبلة هي الجهة التي يستقبلها الانسان وانما سميت قبلة لان المصلي
يقابلها وتقابله ولما قال السفهاء ذلك رد الله تعالى عليهم بقوله قل يا محمد لله المشرق والمغرب
يعني ان له قطري المشرق والمغرب وما بينهما ملكا فلا يستحق شيء ان يكون لذاته قبلة لان
الجهات كلها شيء واحد وانما تصير قبلة لان الله تعالى هو الذي جعلها قبلة فلا اعتراض عليه
وهو قوله يهدي من يشاء يعني من عباده الى صراط مستقيم يعني الى جهة الكعبة وهي
قبلة ابراهيم عليه السلام قوله عز وجل وكذلك جعلناكم الكاف في قوله كذلك كاف
التشبيه جاء المشبه به وفيه وجوه احدها انه معطوف على ما تقدم من قوله في حق ابراهيم
ولقد اصطفيناه في الدنيا وكذلك جعلناكم امة وسطا الثاني انه معطوف على قوله
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك هديناكم وجعلناكم امة وسطا الثالث
قيل معناه كما جعلنا قبلتكم وسطا بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم امة وسطا
يعني عدولا وخيارا وخير الامور اوسطها قال زهير

هم وسط يرضى الانام بحكمهم • اذا نزلت احدى الليالي بمعظم

وقيل متوسطة والمعنى اهل دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان في امر الدين لا
كغلو النصارى في عيسى ولا كتقصير اليهود في الدين وهو تحريفهم وتبديلهم وسبب نزول
هذه الآية ان رؤساء اليهود قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا
قبلة الانبياء ولقد علم محمد انا اعدل الناس فقال معاذ انا على حق وعدل فانزل الله
هذه الآية وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وان هذه الامة
توفي سبعين امة هي اخرها وخيرها واكرمها على الله تعالى وقوله تعالى لتكونوا شهداء

على الناس يعني يوم القيامة ان الرسل قد بلغتهم رسالات ربهم وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم
شهيد على من ترك الحق من الناس اجمعين ويكون الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم عليكم
شهيدا يعني عدلا مزكيا لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والاخرين في صعيد واحد
ثم يقول للكفار الامم الم ياتكم نذير فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسال
الله الانبيا عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسالهم البينة وهو اعلم بهم
اقامة للحجة فيقولون امة محمد تشهد لنا فيوتى بامة محمد عليه السلام فيشهدون لهم
بانهم بلغوا فتقول الامم الماضية من اين علموا وانما اتوا بعدنا فيسال هذه الامة
فيقولون ارسلت الينا رسولا وانزلت علينا كتابا اخبرتنا فيه بتبليغ الرسل وانت
صادق فيما اخبرت ثم يوتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسال له عن حال امته فيزكيهم
ويشهد بصدقهم خ عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يجاء بنوح وامته يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم اي رب فيسال امته
هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد وامته
فيجاء بكم فتشهدون ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم امة وسطا
لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد الترمذي وسطا قال عدلا
قوله عز وجل وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي وما جعلنا صرفك عن القبلة
التي كنت عليها وهي بيت المقدس وانما حذف ذكر الصرف اكتفا لدلالة اللفظ عليه وقيل
معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي
كنت عليها وهي الكعبة الا لنعلم من يتبع الرسول فان قلت ما معنى قوله الا لنعلم
وهو عالم بالاشيا كلها قبل كونها قلت اراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب
فانه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب انما يتعلق بما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذي
يستحق العامل عليه الثواب والعقاب وقيل العلم هنا بمعنى الروية اي لنري ونميز من
يتبع الرسول في القبلة ممن ينقلب على عقبيه وقيل معناه الا لنعلم حزبي وحزبي واوليائي
من المومنين ممن يتبع ممن ينقلب على عقبيه وكان من شان العرب اضافة ما فعله الاتباع
الى الكبير كقولهم فتح عمر العراق وجبى خراجها وانما فعل ذلك اتباعه عن امره وقيل انما قال
الا لنعلم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الرفق بعباده ومعناه الا لتعلموا انتم
اذ كنتم جاهلين به قبل كونه فاضافة العلم الى نفسه رفقا بعباده المخاطبين وقيل معناه
لنعلم انه تعالى سبق في علمه ان تحويل القبلة سببا لهداية قوم وضلالة اخرين
ومعنى من يتبع الرسول اي يطيعه في امر القبلة وتحويلها ممن ينقلب على عقبيه
اي يرجع الى ما كان عليه من الكفر فيرتد وفي الحديث انه لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتد
قوم الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى دين ابايه وان كانت اي وقد كانت لكبيرة يعني
تولية القبلة ثقيلة شاقة وقيل هي التولية من بيت المقدس الى الكعبة وقيل الكبيرة
هي القبلة التي وجهه اليها قبل التحويل وهي بيت المقدس وانث الكبيرة لتانيث القبلة
وقيل لتانيث التولية الا على الذين هدى الله يعني الصادقين في اتباع الرسول

وما كان

وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم الى بيت المقدس وذكر ان حيي بن اخطب واصحابه من
اليهود قالوا للمسلمين اخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت على هدى فقد تحولتم عنه
وان كانت على ضلالة فقد دنتم الله بها مدة ومن مات عليها فقد مات على ضلالة فقال المسلمون
انما الهدى فيما امر الله به والضلالة فيما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات منكم
على قبلتنا وكان قد مات قبل ان تحول القبلة الى الكعبة اسعد بن زرارة من بني النجار
والبرا بن معرور من بني سلمة وكانا من النقبا ورجال اخرون فانطلق عشايرهم الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد صرفك الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا
الذين ماتوا وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم
يعني صلاتكم الى بيت المقدس ان الله بالناس لرووف رحيم يعني لا يضيع اجورهم
والرافة اخص من الرحمة وارق وقيل الرافة اشد من الرحمة وقيل الرافة الرحمة
وقيل في الفرق بين الرافة والرحمة ان الرافة مبالغة في رحمة خاصة وهي دفع المكروه
وازالة الضرر واما الرحمة فانها اسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه ايضا
جميع الافضال والانعام وذكر الله الرافة اولا بمعنى انه لا يضيع اعمالهم ثم ذكر الرحمة
ثانيا لانها اعم واشمل قوله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السما سبب نزول
هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر
الى المدينة احب ان يستقبل بيت المقدس تالفا لليهود وقيل ان الله تعالى امره
بذلك ليكون اقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته
وصفته في التوراة فصلى الى بيت المقدس بعد الهجرة ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان
يحب ان يتوجه الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وقيل كان يحب ذلك من اجل ان
اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لجبريل وددت لو حولني الله الى الكعبة فانها قبلة ابي ابراهيم فقال لجبريل صلى الله عليه وسلم
انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فسل انت ربك فانك عند الله بمكان ثم عرج جبريل
وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السما رجا ان ينزل جبريل بما يحب من
امر القبلة فانزل الله عز وجل قد نرى تقلب وجهك في السما يعني تردد وجهك وتصرف
نظرك الى السما الى جهة السما وهذه الاية وان كانت متاخرة في التلاوة فهي متقدمة
في المعنى لانها راس القصة واول ما نسخ من احكام الشرع امر القبلة فلنولينك
اي فلنحولنك ولنصرفنك قبلة اي ولنصرفنك عن بيت المقدس الى قبلة ترضاها
اي تحبها وتميل اليها فول وجهك شطر المسجد الحرام اي نحوه وتلقاءه واراد
به الكعبة ق عن ابن عباس قال لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم البيت دعا في نواحيه
كلها ولم يصل حتى خرج منه ولما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعني
ان امر القبلة قد استقر على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا الى الكعبة ابدا
فهي قبلتكم ق عن البرا بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول ما قدم المدينة
نزل على اجداده او قال اخواله من الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر

او سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان تكون قبلته قبل البيت وانه صلى اول صلاة صلاها
صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على اهل مسجد وهم راكعون فقال
اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل
البيت وكانت اليهود قد اعجبهم اذ كان يصلي قبل بيت المقدس وهي قبلة اهل الكتاب
فلما ولى وجهه قبل البيت انكروا ذلك قال البراء حدثنا هذا وانه مات على القبلة
قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله تعالى وما كان الله ليضيع
ايمانكم واختلف العلماء في وقت تحويل القبلة فقال الاكثرون كانت في يوم الاثنين
بعد الزوال للنصف من رجب على راس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل كان يوم الثلاثاء لثمانية عشر شهرا وقيل كانت لستة
عشر شهرا وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في
مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل
الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي ذلك المسجد مسجد
القبلتين ووصل الخبر الى اهل قباء في صلاة الصبح ق عن ابن عمر قال بينما الناس
بقباء في صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة
قرآن وقد امر ان يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام •
فاستداروا الى الكعبة وقوله تعالى **وحيث ما كنتم** اي من بر او بحر مشرق او مغرب
**فولوا وجوهكم شطره** اي نحو البيت وتلقاءه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما بين المشرق والمغرب قبلة اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن صحيح قيل اراد
بالمشرق مشرق الشتاء في اقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف في اطول يوم
من السنة فمن جعل مغرب الصيف في هذا الوقت عن يمينه ومشرق الشتاء عن يساره
كان مستقبلا للقبلة وهذا في حق اهل المشرق لان المشرق الشتوي جنوبي متباعد
عن خط الاستواء بمقدار الميل والمغرب الصيفي شمالي متباعد عن خط الاستواء والذي
بينهما فهو سمت مكة والغرض لمن بمكة في القبلة اصابة عين الكعبة ولمن بعد من مكة
اصابة الجهة ويعرف ذلك بدلائل القبلة وليس هذا موضع ذكرها ولما تحولت القبلة
الى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما هو الا شيء ابتدعته من تلقاء نفسك فتارة تصلي
الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا
الذي ننتظره فانزل الله تعالى **وان الذين اوتوا الكتاب** يعني اليهود **ليعلمون
انه الحق من ربهم** يعني امر القبلة وتحويلها الى الكعبة ثم هددهم فقال تعالى
**وما الله بغافل عما تعملون** يعني ولهذا انا بساه عما يفعل هؤلاء اليهود فانا
اجازيهم عليه في الدنيا والآخرة وقرئ تعملون بالتاء قال ابن عباس يريد انكم يا
معشر المؤمنين تطلبون مرضاتي وما انا بغافل عن ثوابكم وجزائكم فانا اثيبكم
على طاعتكم افضل الثواب واجزيكم احسن الجزاء قوله عز وجل **ولئن اتيت الذين
اوتوا الكتاب** يعني اليهود والنصارى **بكل آية** اي بكل معجزة وقيل بكل حجة وبرهان

وذلك

وذلك بانهم قالوا ائتنا باية على ما تقول فانزل الله هذه الاية **ما تبعوا قبلتك**
يعني الكعبة **وما انت بتابع قبلتهم** يعني ان اليهود تصلي الى بيت المقدس والنصارى
الى المشرق وانت يا محمد تصلي الى الكعبة فكيف يكون سبيل الى اتباع قبلة احدهم
مع اختلاف جهاتها فالزم انت قبلتك التي امرت بالصلاة اليها **وما بعضهم بتابع قبلة
بعض** يعني وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود
لان اليهود والنصارى لا يجتمعون على قبلة واحدة **ولئن اتبعت اهواءهم** يعني مرادهم
ورضاهم لو رجعت الى قبلتهم **من بعد ما جاءك من العلم** اي من امر القبلة وقيل معناه
مما وصل اليك من العلم كان اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد للحق **انك اذا
لمن الظالمين** يعني انك ان فعلت ذلك لكنت بمنزلة من ظلم نفسه وضرها قيل هذا
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم لا يتبع اهواءهم
ابدا وقيل هو خطاب له خاصة فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه قوله عز وجل
**الذين اتيناهم الكتاب** يعني علماء اليهود والنصارى وقيل اراد به مؤمني اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واصحابه **يعرفونه** اي يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم معرفة جلية
بالوصف المعين الذي يجدونه عندهم **كما يعرفون ابناءهم** اي لا يشكون فيه ولا
يشتبه عليهم كما لا تشتبه عليهم ابناؤهم من ابناء غيرهم وروي ان عمر بن الخطاب قال
لعبد الله بن سلام ان الله انزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذين اتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رايته
كما اعرف ابني ومعرفتي بمحمد صلى الله عليه وسلم اشد من معرفتي بابني فقال عمر وكيف
ذلك فقال اشهد انه رسول الله حق من الله وقد نعته الله في كتابنا ولا ادري ما
تصنع النساء فقبل عمر راس عبد الله وقال وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت وقيل
الضمير في يعرفونه يعود الى امر القبلة والمعنى ان علماء اليهود والنصارى يعرفون
ان القبلة التي صرفت اليها هي قبلة ابراهيم وقبلة الانبياء قبلك كما يعرفون ابناءهم
لا يشكون في ذلك **وان فريقا منهم** اي من علماء اهل الكتاب **ليكتمون الحق** يعني
صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل امر القبلة **وهم يعلمون** يعني ان كتمان الحق معصية
وقيل يعلمون ان صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم في التوراة والانجيل وهم
مع ذلك يكتمونه **الحق** اي الذي يكتمونه هو الحق **من ربك فلا تكونن من الممترين** اي
من الشاكين في ان الذي تقدم ذكره علموا صحة نبوتك وقيل يرجع الى امر القبلة
والمعنى ان بعضهم عاند وكتم الحق فلا تشك في ذلك فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم
لم يمتر ولم يشك فما معنى هذا النهي قلت هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم
ولكن المراد غيره والمعنى فلا تشكون انتم ايها المؤمنون وقد تقدم نظير هذا قوله
عز وجل **ولكل وجهة** اي ولكل اهل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه اليه وقيل الوجهة
الهيئة والحالة في التوجه الى القبلة وقيل في قوله ولكل وجهة ان المراد به جميع المؤمنين
اي ولكل اهل جهة من الآفاق وجهة من الكعبة يصلون اليها وقيل المراد بالوجهة المنهاج

والشرع والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة لان الشرايع مصالح للعباد فلهذا اختلفت
الشرايع بحسب اختلاف الزمان والاشخاص **هو موليها** اي يستقبلها والمعنى
ان لكل اهل ملة وجهة هو مولي وجهه اليها وقيل متوليها اي مختارها وقيل ان هو
عايد الى اسم الله تعليلا والمعنى ان الله موليها اياه وقرئ مولاها اي مصروف اليها
**فاستبقوا الخيرات** اي بادروا بالطاعات وقبول الاوامر وفيه حث على المبادرة الى
الاولوية والافضلية فعلى هذا تكون الاية دليلا لمذهب الشافعي في ان الصلاة في اول
الوقت افضل فاستبقوا الخيرات لان ظاهر الامر للوجوب فاذا لم يتحقق الوجوب فلا
اقل من الندب **اينما تكونوا** يعني انتم واهل الكتاب **يات بكم الله جميعا** يعني يوم القيامة
فيجزي وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعيد لاهل المعصية بالعقاب **ان الله على كل شيء قدير**
اي على الاعادة بعد الموت والاثابة لاهل الطاعة والعقاب لمستحق العقوبة قوله عز
وجل **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام** اي من اي موضع خرجت في سفر
وغيره فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام ونحوه **وانه** يعني التوجه اليه **للحق من**
**ربك** اي الحق الذي لا شك فيه فحافظ **وما الله بغافل عما تعملون** اي ليس بساه عن اعمالكم
ولكنه محصيها لكم وعليكم فيجازيكم بها يوم القيامة **ومن حيث خرجت فول وجهك**
**شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** فان قلت هل في هذا التكرار
فايدة قلت فيه فايدة عظيمة جليلة وهي ان هذه الواقعة اول الوقايع التي ظهر
النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار لاجل التاكيد والتقرير وازالة
الشبهة وايضاح البيان فحسن التكرار فيه لتنقلهم من جهة الى جهة **لئلا يكون**
**للناس عليكم حجة** قيل اراد بالناس اهل الكتاب وقيل هو على العموم وقيل هم قريش
واليهود فاما قريش فقال رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة ابيه
ويوشك ان يرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد عن بيت المقدس مع
علمه انه حق الا انه يعمل برايه فعلى هذا يكون الاستثناء في قوله الا الذين ظلموا منهم
متصلا ويكون المعنى لا حجة لاحد عليكم الا مشركوا قريش واليهود فانهم يجادلونك
بالباطل والظلم وانما سمى الاحتجاج بالباطل حجة لان اشتقاقها من حجه اذا غلبه
فكما يكون صحيحة فكذلك تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى حجتهم داحضة عند
ربهم وقيل الاستثناء منقطع عن الكلام الاول ومعناه لكن الذين ظلموا منهم يجادلونكم
بالباطل قال النابغة •

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب •

اي لكن سيوفهم بهن فلول وليس بعيب وقيل في معنى الاية ان اليهود عرفوا ان
الكعبة قبلة ابراهيم ووجدوا في التوراة ان محمدا سيحول اليها فتكون حجتهم انهم يقولون
ان النبي الذي نجده في كتابنا سيحول الى الكعبة ولم تحول انت فلما حول الى الكعبة
ذهبت حجتهم **الا الذين ظلموا منهم** اي الا ان يظلموا فيكتموا ما عرفوا من الحق **فلا**
**تخشوهم** اي فلا تخافوهم في انصرافكم الى الكعبة في تظاهرهم عليكم بالمجادلة له



الباطلة فاني وليكم وناصركم اظهركم عليهم بالحجة والنصرة **واخشوني** اي احذروا
عقابي ان انتم عدلتم عما الزمتكم به وفرضته عليكم **ولاتم نعمتي عليكم** اي ولكي
اتم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم الى قبلة ابراهيم لتتم لكم الملة الحنيفية وقيل تمام
النعمة الموت على الاسلام ثم دخول الجنة ثم روية الله تعالى **ولعلكم تهتدون**
اي لكي تهتدوا من الضلالة ولعل وعسى من الله واجب قوله عز وجل **كما ارسلنا**
**فيكم** الكاف للتشبيه تحتاج الى شيء ترجع اليه فقيل ترجع الى ما قبلها ومعناه ولاتم
نعمتي عليكم كما ارسلنا فيكم وقيل ان ابراهيم قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال
ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فبعث الله فيهم رسولا منهم
وهو محمد صلى الله عليه وسلم ووعده الاجابة الدعوة الثانية بان يجعل في ذريته
امة مسلمة والمعنى كما اجيبت دعوته ببعثة الرسول كذلك اجيبت دعوته بان
اهديكم لدينه واجعلكم مسلمين ولاتم نعمتي عليكم ببيان شرايع الملة الحنيفية وقيل
ان الكاف متعلقة بما بعدها وهو قوله فاذكروني والمعنى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم
فاذكروني وجه التشبيه ان النعمة اذكرها جارية مجرى النعمة بارسال الرسول
وان قلنا انها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه ان النعمة في امر القبلة كالنعمة
بالرسالة فيكم خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله منكم وفي ارسال رسولا منهم
نعمة عظيمة عليهم لما فيه من الشرف لهم ولان المعروف من حال العرب الانفة الشديدة
من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم اقرب الى قبول قوله والانقياد
له والمعنى كما ارسلنا فيكم **رسولا منكم** يا معشر العرب **يتلو عليكم اياتنا** يعني
القران وذلك من اعظم النعم لانه معجزة باقية على الدهر **ويزكيكم** اي يطهركم
من دنس الشرك والذنوب وقيل يعلمكم ما اذا فعلتموه صرتم ازكياء مثل محاسن
الاخلاق ومكارم الافعال **ويعلمكم الكتاب** يعني احكام الكتاب وهو القران وقيل
ان التعليم غير التلاوة فليس بتكرار **والحكمة** يعني السنة والفقه في الدين
**ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** يعني يعلمكم من اخبار الامم الماضية والقرون الخالية
وقصص الانبيا والخبر عن الحوادث المستقبلة مما لم تكونوا تعلمون وذلك قبل
بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم **فاذكروني** قيل الذكر يكون باللسان وهو
ان تسبحه وتحمده وتمجده ونحو ذلك من الاذكار ويكون بالقلب وهو ان تتفكر في
عظمة الله وفي الدلايل على وحدانيته ويكون بالجوارح وهو ان تكون مستغرقة
في الاعمال التي امروا بها مثل الصلاة وساير الطاعات التي للجوارح فيها فعل
**اذكركم** اي بالثواب والرضى عنكم قال ابن عباس اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي
وقيل اذكروني في النعم والرخا اذكركم في الشدة والبلا وقال اهل المعاني اذكروني
بالتوحيد والايمان اذكركم بالجنان والرضوان وقيل اذكروني بالاخلاص
اذكركم بالخلاص اذكروني بالقلوب اذكركم بغفران الذنوب اذكروني بالدعا اذكركم
بالعطا ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل

انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في
ملاء ذكرته في ملاء خير منهم وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا
تقربت اليه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة قوله عز وجل انا عند ظن عبدي بي قيل
معناه بالغفران اذا استغفر وبالقبول والاجابة اذا دعا وبالكفاية اذا طلب الكفاية
وقيل المراد منه تحقيق الرجاء وتاميل العفو وهذا اصح قوله وانا معه حين يذكرني يعني
بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة وقوله فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسه
النفس في اللغة لها معان منها ذات الشيء والله تعالى له ذات حقيقة ومنها الغيب فعلى
هذا يكون المعنى فان ذكرني خاليا ذكرته بالاثابة والمجازاة مما لا يطلع عليه احد قوله وان
ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم الملاء اشراف الناس وعظماؤهم الذين يرجع الى رايهم
وهذا مما استدلت به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملائكة على الانبياء واجيب عنه
بان الذكر غالبا يكون في جماعة لا نبي فيهم قوله وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا
وهذا من احاديث الصفات ويستحيل ارادة ظاهره فلا بد من التاويل فعلى هذا يكون
ذكر الشبر والذراع والباع والمشي والهرولة استعارة ومجازا فيكون المراد تقرب
العبد من الله تعالى التقرب بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد بتقرب الله
من العبد قرب نعمه والطافه وبره وكرمه واحسانه اليه وفيض مواهبه ورحمته
عليه والمعنى كلما زاد بالطاعة والذكر زدت بالبر والاحسان وان اتاني يمشي في
طاعتي اتيته هرولة اي صببت عليه الرحمة صبا وسبقته بها **ق** عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا مع عبدي ما
ذكرني وتحركت بي شفتاه **ق** عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر كمثل الحي والميت **ق** عن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا
رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات المفردون الذين ذهب القرن
الذي كانوا فيه وبقوا وهم يذكرون الله تعالى ويقال تفرد الرجل اذا تفقه واعتزل
وقوله تعالى **واشكروا لي** يعني بالطاعة **ولا تكفرون** اي بالمعصية فمن اطاع الله فقد
شكره ومن عصاه فقد كفره قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة**
امرهم بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات اما الصبر فهو حبس النفس على احتمال
المكاره في ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق في العبادات وسائر الطاعات وتجنب الجزع
وتجنب المحظورات ومن الناس من حمل الصبر على الصوم وفسره به ومنهم من حمله على الجهاد
واما الاستعانة بالصلاة فلانها يجب ان تفعل على طريق الخضوع والتذلل للمعبود
والاخلاص له وقيل استعينوا على طلب الاخرة بالصبر على الفرائض وبالصلوات
الخمس في مواقيتها على تمحيص الذنوب **ان الله مع الصابرين** اي بالعون والنصر
**ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات** نزلت فيمن قتل ببدر من المسلمين وكانوا
اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعمير بن



ابي وقاص بن اهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهري اخو سعد بن ابي وقاص وذو
الشمالين واسمه عمير بن عمرو بن نضلة بن عمرو بن خزاعة ثم بني غبشان وعاقل بن
البكير من بني سعد بن ليث بن كنانة ومهجع مولى عمر بن الخطاب وصفوان بن بيضا
من بني الحارث بن فهر ومن الانصار ثمانية وهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر
ويزيد بن الحارث بن قيس فسحم وعمير بن الحمام ورافع بن معلى وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ
ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا عفراء وهي امهما كان الناس يقولون لمن قتل في
سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فانزل الله هذه الاية وقيل ان
الكفار والمنافقين قالوا ان الناس يقتلون انفسهم طلبا لمرضات محمد من غير فائدة
فنزلت هذه الاية واخبر ان من قتل في سبيل الله فانه حي بقوله تعالى **بل احياء** وانما
احياهم الله عز وجل في الوقت لايصال الثواب اليهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند
الله تعالى تعرض ارزاقهم على ارواحهم ويصل اليهم الروح والريحان والفرح كما تعرض
النار على ارواح ال فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع ففيه دليل
على المطيعين لله يصل اليهم ثوابهم وهم في قبورهم في البرزخ وكذا العصاة يعذبون
في قبورهم فان قلت نحن نراهم موتى فما معنى قوله بل احياء وما وجه النهي في قوله ولا تقولوا
لمن يقتل في سبيل الله اموات قلت معناه ان لا تقولوا اموات بمنزلة غيرهم من الاموات
بل هم احياء تصل ارواحهم الجنان كما ورد ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في
الجنة فهم احياء من هذه الجهة وان كانوا امواتا من جهة خروج الروح من اجسادهم وجواب
اخر وهو انهم احياء عند الله تعالى في عالم الغيب لانهم ما زالوا الى الاخرة فنحن لا نشاهدهم
كذلك ويدل على ذلك قوله تعالى **ولكن لا تشعرون** اي لا ترونهم احياء فتعلموا ذلك
حقيقة وانما تعلموا باخباري اياكم به فان قلت اليس سائر المطيعين من المسلمين لله
يصل اليهم من نعيم الجنة في قبورهم فلم خص الشهداء بالذكر قلت انما خصهم لان
الشهداء فضلوا على غيرهم بمزيد النعيم وهو انهم يرزقون من مطاعم الجنة ومآكلها
وغيرهم ينعمون بما دون ذلك وجواب اخر وهو انه رد لقول من قال من قتل في سبيل الله
فقد مات وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فاخبر الله تعالى بقوله بل احياء انهم في نعيم
دائم قوله عز وجل **ولنبلونكم** اي ولنختبرنكم يا امة محمد واللام جواب لقسم تقديره
والله لنبلونكم والابتلاء لاظهار الطايع من العاصي لا ليعلم شيئا لم يكن عالما به
فانه سبحانه وتعالى عالم بجميع الاشياء قبل كونها وحدوثها **بشيء** انما قال بشيء
ولم يقل باشياء ليلا يوهم ان اشياء منه للعاصي وبه من الخوف وكذا البقية فلما قال بشيء
كان التقدير بشيء من الخوف وبشيء من الجوع وقيل معناه بشيء قليل من هذه الاشياء
**من الخوف** قال ابن عباس يعني خوف العدو والخوف توقع مكروه يحصل منه الم
في القلب **والجوع** يعني القحط وتعذر تحصيل القوت **ونقص من الاموال** يعني
بالهلاك والخسران **والانفس** اي ونقص من الانفس بالموت او القتل **والثمرات**
يعني الجوائح في الثمار وقيل قد يكون بالجدب ايضا وبترك العمل والعمارة في الاشجار

وحكي عن الشافعي في تفسير هذه الاية قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام شهر رمضان
ونقص من الاموال يعني اخراج الزكاة والصدقات والانفس يعني بالامراض والثمرات
يعني موت الاولاد لان الولد ثمرة القلب عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم
قال اقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم قال فما قال فيقولون حمدك واسترجع قال ابنوا له بيتا
في الجنة وسموه بيت الحمد اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن فان قلت ما الحكمة في تقديم
تعريف هذا الابتلا في قوله ولنبلونكم قلت فيه حكم منها ان العبد اذا علم انه مبتلى
فوطن نفسه على الصبر فاذا نزل به ذلك البلا لم يجزع ومنها ان الكفار اذا شاهدوا المومنين
مقيمين على دينهم ثابتين عند نزول البلا صابرين له علموا بذلك صحة الدين فيدعوهم
ذلك الى الايمان به والدخول فيه ومنها ان الله تعالى اخبر بهذا الابتلا قبل وقوعه فاذا
وقع كان ذلك اخبارا عن غيب فيكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان المنافقين انما
اظهروا الايمان طمعا في المال وسعة في الرزق من الغنايم فلما اخبر الله انه مبتلي عباده
فعند ذلك يتميز المومن من المنافق والصادق من الكاذب ومنها ان الانسان في حال
اشد اخلاصا لله في حال الرخا فاذا علم انه مبتلى داوم على التضرع والابتهال الى الله
تعالى لينجيه مما عسى ان ينزل به من البلا ثم قال تعالى **وبشر الصابرين** يعني عند
نزول البلا والمعنى وبشر يا محمد الصابرين على امتحاني بما امتحنتهم به من الشدايد والمكاره
ثم وصفهم بقوله تعالى **الذين اذا اصابتهم مصيبة** اي نايبة وابتلا **قالوا انا لله**
يعني عبيدا وملكا **وانا اليه راجعون** يعني في الاخرة عن ام سلمة قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول انا لله
وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله في مصيبته
واخلف له خيرا منها قيل ما اعطي احد ما اعطيت هذه الامة يعني الاسترجاع عند
المصيبة ولو اعطيها احد لاعطي يعقوب عليه السلام الا تسمع الى قوله عند فقد يوسف
يا اسفا على يوسف وقيل في قول العبد انا لله وانا اليه راجعون تفويض منه الى الله
وانه راض بكل ما نزل به من المصايب **اولئك** يعني من هذه صفتهم **عليهم صلوات من
ربهم** قال ابن عباس اي مغفرة من ربهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على
آل ابي اوفى اي اغفر لهم وارحمهم وانما جمع الصلاة لانه عنى مغفرة بعد مغفرة ورحمة
بعد رحمة **ورحمة** قال ابن عباس ونعمة والرحمة من الله انعامه وافضاله واحسانه
ومن الادميين رقة وتعطف وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلوات لان الصلاة من الله
الرحمة لاتساع المعنى واتساع اللفظ وتفعل ذلك العرب كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق
المعنى وقيل كررهما للتاكيد اي عليهم رحمة بعد رحمة **واولئك هم المهتدون** يعني الى
الاسترجاع وقيل الى الجنة الفايزون بالثواب وقيل المهتدون الى الحق والصواب
وقال عمر بن الخطاب نعم العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة
الهداية **فصل** في ذكر احاديث وردت في ثواب اهل البلا واجر الصابرين خ

عن



عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه يعني
يبتليه بالمصايب حتى ياجره على ذلك **ق** عن ابي سعيد وابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما يصيب المومن من نصب ولا وصب ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى
الشوكة يشاكها الا كفر الله عنه خطاياه النصب التعب والاعيا والوصب المرض
**و** عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه اذى من
مرض فما سواه الا حط الله عنه من سيئاته كما تحط الشجرة ورقها **ق** عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المومن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال
المومن يصيبه البلا ومثل المنافق مثل شجرة الارز لا تهتز حتى تستحصد الارزة شجر
معروف بالشام ويعرف في العراق ومصر بالصنوبر والصنوبر ثمرة الارز وقيل
الارزة الثابتة في الارض عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله
بعبد خيرا عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد بعبد شرا امسك عنه حتى يوافي يوم
القيامة وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم الجزاء مع عظم البلا
وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط اخرجه
الترمذي وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يود اهل العافية
يوم القيامة حين يعطى اهل البلا الثواب لو ان جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض
وله عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزال البلا بالمومن والمومنة
في نفسه وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وقال الحديث حسن صحيح **خ** عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ما لعبدي المومن عندي
جزا اذا قبضت صفيه من اهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة عن سعد بن ابي وقاص
قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلا قال الانبيا ثم الامثل فالامثل يبتلى
الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا اشتد بلاوه وان كان في دينه رقة
هون عليه فما يبرح البلايا بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة اخرجه
الترمذي وقال الحديث حسن قوله عز وجل **ان الصفا والمروة من شعاير الله** الصفا
جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة الملسا وقيل الحجارة الصافية والمروة الحجر الرخو
وجمعها مرو ومروات وهذا اصلهما في اللغة وانما عنى الله بهما الجبلين المعروفين
بمكة في طرفي المسعى ولذلك ادخل فيهما الالف واللام وشعاير الله اعلام دينه
واحدتها شعيرة وكلما كان معلما يتقرب به الى الله من صلاة ودعاء وذبيحة
فهو شعيرة من شعاير الله ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس ويقال لها شعاير الحج
فالمطاف والموقف والمنحر كلها شعاير والمراد بالشعاير هنا المناسك التي جعلها
الله اعلاما لطاعته والصفا والمروة منها حيث يسعى بينهما **فمن حج البيت** اي قصد
البيت هذا اصله في اللغة وفي الشرع عبارة عن افعال مخصوصة لاقامة المناسك
**او اعتمر** اي زار البيت والعمرة الزيارة ففي الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة
**فلا جناح عليه** اي فلا اثم عليه واصله من جنح اذا مال عن القصد المستقيم

أن يطوف بهما أي يدور بهما ويسعى بينهما وسبب نزول هذه الآية أنه كان على الصفا والمروة
صنمان يقال لهما إساف ونائلة فكان إساف على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية
يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام تحرج
المسلمون عن السعي بين الصفا والمروة فأنزل الله هذه الآية وأذن في السعي بينهما وأخبر
أنه من شعائر **ق** عن عاصم بن سليمان الأحول قال قلت لأنس كنتم تكرهون السعي
بين الصفا والمروة فقال نعم لأنها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله إن الصفا
والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما وفي رواية قال
كانت الأنصار يكرهون أن يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت إن الصفا والمروة من
شعائر الله **فصل** اختلف العلماء في حكم السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة
فذهب جماعة إلى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعائشة وبه قال الحسن وإليه ذهب
مالك والشافعي وذهب قوم إلى أنه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين
وذهب الثوري وأبو حنيفة أنه ليس بركن وعلى من تركه دم وروي عن ابن الزبير
ومجاهد وعطاء أن من تركه فلا شيء عليه واختلفت الرواية عن أحمد في ذلك فروي عنه
أنه من ترك السعي بين الصفا والمروة لم يجزه حجه وروي عنه أنه لا شيء في تركه عمدا أو
سهوا ولا ينبغي أن يتركه ونقل الجمهور عنه أنه تطوع وسبب هذا الاختلاف أن قوله
تعالى فلا جناح عليه فيصدق عليه أنه لا إثم عليه في فعله فدخل تحته الواجب والمندوب
والمباح فظاهر هذه الآية لا يدل على أن السعي بين الصفا والمروة واجب وليس
بواجب لأن اللفظ الدال على القدر المشترك بين الأقسام الثلاثة لا دلالة فيه
على خصوصية أحدها فإذا لا بد من دليل خارج يدل على أن السعي واجب أو غير واجب
فحجة الشافعي ومن وافقه في أن السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة
ما روى الشافعي بسنده عن صفية بنت شيبة قالت أخبرتني بنت أبي تجراة واسمها
حبيبة إحدى نساء بني عبد الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش دار آل بني حسين
ننظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرأيته يسعى وإن مئزره
ليدور من شدة السعي حتى لأقول إني أرى ركبته وسمعته يقول اسعوا فإن الله
كتب عليكم السعي وصححه الدارقطني **ق** عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج
النبي صلى الله عليه وسلم أرأيت قول الله إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت
أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما فما أرى على أحد شيئا أن لا يطوف بهما فقالت عائشة
كلا لو كان كما تقول كانت فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما إنما نزلت هذه الآية في
الأنصار كانوا يهلون لمناة وكانت[2] في الإسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأنزل الله تعالى إن الصفا والمروة من شعائر الله الآية **م** عن جابر في حديثه الطويل
في صفة حجة الوداع قال ثم خرج من الباب إلى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ إن الصفا
والمروة من شعائر الله أبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا الحديث فإذا ثبت أن النبي صلى الله
عليه وسلم وجب علينا السعي لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم خذوا عني

[2] مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء





مناسككم والأمر للوجوب ومن القياس أن السعي أشواط شرعت في بقعة من بقاع
الحرم ويؤتى به إحرام كامل فكان ركنا كطواف الزيارة واحتج أبو حنيفة ومن لا يرى
وجوب السعي بقوله فلا جناح عليه أن يطوف بهما وهذا لا يقال في الواجبات ثم إنه
تعالى أكد ذلك بقوله ومن تطوع خيرا فبين أنه تطوع وليس بواجب والجواب عن الأول
قوله تعالى فلا جناح عليه ليس فيه إلا أنه لا إثم على فاعله وهذا القدر مشترك بين
الواجب وغيره كما تقدم بيانه فلا يكون فيه دلالة على نفي الوجوب وعن الثاني وهو
التمسك بقوله تعالى **ومن تطوع خيرا** فضعيف لأن هذا لا يقتضي أن يكون
المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور أولا بل يجوز أن يكون المقصود منه شيئا
آخر يدل على ذلك قول الحسن إن المراد بقوله ومن تطوع خيرا جميع الطاعات في الدين
يعني فعل فعلا زائدا على ما افترض عليه من صلاة وصدقة وصيام وحج وعمرة وطواف
وغير ذلك من أنواع الطاعات وقال مجاهد ومن تطوع خيرا بالطواف بهما وهذا على
قول من لا يرى الطواف بهما فرضا وقيل معناه ومن تطوع خيرا فزاد في الطواف بعد
الواجب والقول الأول أولى للعموم **فإن الله شاكر** أي مجاز على الطاعة **عليم**
أي بنيته وحقيقة الشاكر في اللغة هو المظهر للإنعام عليه والشكر هو تصور النعمة
وإظهارها والله تعالى لا يوصف بذلك لأنه لا يلحقه المنافع والمضار فالشاكر
في صفة الله مجاز فإذا وصف به أريد به أنه المجازي على الطاعة بالثواب إلا أن
اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مظاهرة في الإحسان إليهم قوله عز وجل
**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى** نزلت في اليهود الذين كتموا صفة محمد
صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغيرهما من الأحكام التي كانت في التوراة وقيل إن
الآية على العموم فيمن كتم شيئا من أمر الدين لأن اللفظ عام والعبرة بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب ومن قال بالقول الأول وأنها في اليهود قال إن الكتم لا يصح إلا
منهم لأنهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك إظهار الشيء مع الحاجة
إلى بيانه وإظهاره فمن كتم شيئا من أمر الدين فقد عظمت مصيبته **ق** عن أبي هريرة
قال لولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئا أبدا إن الذين يكتمون ما أنزلنا
من البينات والهدى وقوله وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا تكتمونه إلى آخر الآيتين وهل إظهار علوم الدين فرض كفاية أو فرض عين فيه
خلاف والأصح أنه إذا أظهر للبعض بحيث يتمكن كل واحد من الوصول إليه لم يبق مكتوما
وقيل متى سئل العالم عن شيء يعلمه من أمر الدين يجب عليه إظهاره وإلا فلا **من بعد ما
بيناه للناس في الكتاب** يعني في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا
يكون المراد بالناس علماء بني إسرائيل وقيل إن المراد بالكتاب جميع ما أنزل الله على أنبيائه
من الأحكام فالمراد بالناس العلماء كافة **أولئك** يعني الذين يكتمون ما أنزل الله من
البينات والهدى **يلعنهم الله** أي يبعدهم عن رحمته فأصل اللعن في اللغة الطرد
والإبعاد **ويلعنهم اللاعنون** قال ابن عباس جميع الخلائق إلا الجن والإنس وذلك أن

البهائم تقول انما منعنا القطر بمعاصي بني آدم وقيل اللاعنون هم الجن والانس
لانه وصفهم وصف من يعقل وقيل ما تلاعن اثنان من المسلمين الا رجعت الى اليهود
والنصارى الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى فقال تعالى الا الذين
تابوا اي ندموا على ما فعلوا فرجعوا من الكفر الى الاسلام واصلحوا يعني الاعمال
فيما بينهم وبين الله تعالى وبينوا يعني ما كتموا من العلم فاولئك اتوب عليهم اي
اتجاوز عنهم واقبل توبتهم وانا التواب اي المتجاوز عن عبادي الرجاع بقلوبهم المنصرفة
عني الي الرحيم يعني بهم بعد اقبالهم علي قوله عز وجل ان الذين كفروا وماتوا وهم
كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل هذا اللعن يكون يوم القيامة
يؤتى بالكافر فيوقف فيلعنه الله ثم يلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس اجمعين فان
قلت الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعنه اهل دينه وملته فما معنى قوله والناس اجمعين
قلت فيه اوجه احدها انه اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون الثاني ان
الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة الثالث انهم يلعنون الظالمين والكافر من
الظالمين فيكون قد لعن نفسه خالدين فيها اي مقيمين في اللعنة وقيل في النار
وانما اضمر لعظم شانها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي لا يمهلون ولا يؤجلون
وقيل لا ينظرون ليعتذروا وقيل لا ينظر اليهم نظر رحمة فصل فيما
يتعلق بهذه الاية من الحكم قال العلماء لا يجوز لعن كافر معين لان حاله عند الوفاة
لا يعلم فلعله يموت على الاسلام وقد شرط الله في هذه الاية اطلاق اللعنة على
من مات على الكفر ويجوز لعن الكفار بدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود
حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وذهب بعضهم الى جواز لعن انسان معين من
الكفار بدليل جواز قتاله واما العصاة من المؤمنين فلا يجوز لعنة احد منهم على
التعيين واما على الاطلاق فيجوز لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق
يسرق البيضة والحبل فتقطع يده ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة
واكل الربا وموكله ولعن من غير منار الارض ومن انتسب لغير ابيه وكل هذه في الصحيح
قوله عز وجل والهكم اله واحد سبب نزول هذه الاية ان كفار قريش قالوا
يا محمد صف لنا ربك وانسبه فانزل الله هذه الاية وسورة الاخلاص ومعنى الواحد
الانفراد وحقيقة الواحد هو الشيء الذي لا يتبعض ولا ينقسم والواحد في صفة
الله تعالى انه واحد لا نظير له وليس كمثله شيء وقيل واحد في الهيته وربوبيته ليس له
شريك لان المشركين اشركوا معه الالهة فكذبهم الله تعالى بقوله والهكم اله واحد
لا شريك له في الهيته ولا نظير له في الربوبية والتوحيد هو نفي التشريك والتقسيم
والتشبيه والله تعالى واحد في افعاله لا شريك له يشاركه في مصنوعاته وواحد
في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته لا يشبهه شيء من خلقه لا اله الا هو تقرير
للوحدانية بنفي غيره من الالوهية واثباتها له سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم يعني انه
المولي لجميع النعم واصولها وفروعها فلا شيء سواه اما نعمة واما منعم عليه وهو المنعم

على

على خلقه الرحيم بهم عن اسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اسم الله الاعظم في هاتين الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة
آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث
صحيح وقيل لما نزلت هذه الاية قال المشركون ان محمدا يقول والهكم اله واحد فليأتنا
باية ان كان صادقا فانزل الله تعالى ان في خلق السموات والارض وعلمهم كيف الاستدلال
على وحدانية الصانع وردهم الى التفكر في اياته والنظر في عجايب مصنوعاته واتقان
افعاله في ذلك دليل على وحدانيته اذ لو كان في الوجود صانعان لهذه الافعال لاستحال
اتفاقهما على امر واحد ولامتنع في افعالهما عن التساوي في صفة الكمال فثبت بذلك
ان خالق هذا العالم والمدبر له واحد قادر مختار قريب سبحانه وتعالى من عجايب مخلوقاته
ثمانية انواع اولها قوله ان في خلق السموات وانما جمع السموات لانها اجناس مختلفة
كل سما من جنس غير جنس الاخرى ووحد الارض لانها جنس واحد وهو التراب والاية
في السما هو سمكها وارتفاعها بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم
والاية في الارض مدها وبسطها على الما وما يرى فيها من الجبال والبحار والمعادن والجواهر
والانهار والاشجار والثمار والنبات النوع الثاني في قوله تعالى واختلاف الليل
والنهار اي تعاقبهما والمجي والذهاب وقيل اختلافهما في الطول والقصر والزيادة
والنقصان والنور والظلمة وانما قدم الليل على النهار لان الظلمة اقدم والاية
في الليل والنهار ان انتظام احوال العباد بسبب طلب المكسب والمعيشة تكون في
النهار وطلب النوم والراحة يكون في الليل والنهار انما هو لتحصيل مصالح العباد
النوع الثالث والفلك التي تجري في البحر اي السفن واحده وجمعه سوا وسمي
البحر بحرا لاتساعه وانبساطه والاية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه
الما وهي موقرة بالاثقال والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير
البحر لحمل الفلك مع قوة سلطان الما وهيجان البحر فلا ينجي منه الا الله تعالى النوع الرابع
قوله تعالى بما ينفع الناس يعني ركوبها والحمل عليها في التجارة وحمل الارباح والاية
في ذلك ان الله تعالى لو لم يقو قلب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في تجاراتهم
ومنافعهم وايضا فان الله تعالى خص كل قطر من اقطار العالم بشيء معين واحوج
الكل الى الكل فصار ذلك سببا يدعوهم الى اقتحام الاخطار في الاسفار من ركوب
السفن وخوف البحر وغير ذلك فالحامل ينتفع لانه يربح والمحمول اليه ينتفع بما حمل
اليه النوع الخامس قوله وما انزل الله من السما من ما يعني المطر قيل اراد بالسما
السحاب سمي سما لان كل ما علاك واظلك فهو سما خلق الله الما في السحاب ومنه ينزل الى
الارض وقيل اراد السما بعينها خلق الله الما في السما ومنه ينزل الى السحاب ثم منه
الى الارض فاحيا به اي بالمطر الارض بعد موتها اي بعد يبسها وجدبها سماه
موتا مجازا لانه اذا لم ينبت شيئا ولم يصبها المطر فهي كالميتة والاية في انزال المطر
واحيا الارض به لان الله تعالى جعله سببا لاحيا الجميع من حيوان ونبات ونزوله

عندوقت الحاجة اليه بمقدار المنفعة وعند الاستسقا والدعا وانزاله بمكان دون
مكان النوع السادس قوله عز وجل وبث اي فرق فيها اي في الارض من كل دابة
قال ابن عباس يريد كل ما دب على وجه الارض من جميع الخلق من جميع الناس وغيرهم والاية
في ذلك ان جنس الانسان يرجع الى اصل واحد وهو ادم ثم ما فيهم من الاختلاف في
الصور والاشكال والالوان والالسنة والطبايع والاخلاق والاوصاف الى غير
ذلك ثم يقاس على بني ادم ساير الحيوان النوع السابع وتصريف الرياح يعني في مهابها
قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا ونكبا وهو الريح الذي ياتي من غير مهب صحيح فكل ريح
تختلف مهابها تسمى نكبا وقيل تصريفها في احوالها لينة وعاصفة وحارة وباردة
وسميت ريحا لانها تريح قال ابن عباس اعظم جنود الله الريح وقيل ما هبت ريح الا
لشفا سقيم او ضده وقيل البشارة في ثلاث رياح الصبا والشمال والجنوب
والدبور هي الريح العقيم التي هلكت بها عاد فلا بشارة فيها والاية في الريح انها جسم
لطيف لا يمسك ولا يرى وهي مع ذلك في غاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيان
العظيم وهو مع ذلك حياة الوجود فلو امسكت طرفة عين لمات كل ذي روح ولنتن
ما على وجه الارض النوع الثامن والسحاب المسخر بين السما والارض اي الغيم المذلل
سمي سحابا لسرعة سيره كانه يسحب والاية في ذلك ان السحاب مع ما فيه من المياه
العظيمة التي تسيل منها الاودية العظيمة يبقى معلقا بين السما والارض ففي هذه
الانواع الثمانية المذكورة في هذه الاية دلالة عظيمة على وجود الصانع القادر المختار
انه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد من قوله والهكم اله واحد لا اله
الا هو وقوله لايات اي فيما ذكر من دلايل مصنوعاته الدالة على وحدانيته
قيل انما جمع ايات لان في كل واحدة مما ذكر من هذه الانواع ايات كثيرة تدل على انه
خالقها مدبر مختار لقوم يعقلون اي ينظرون بصفا عقولهم ويتفكرون
بقلوبهم فيعلمون ان لهذه الاشيا خالقا ومدبرا مختارا وصانعا قادرا على ما يريد
قوله عز وجل ومن الناس يعني المشركين من يتخذ من دون الله اندادا يعني
اصناما يعبدونها والند المثل المنازع فقيل هذه الاصنام اندادا بعضها لبعض
وليست اندادا لله تعالى ان الله يكون له ند او له مثل منازع وقيل الانداد
الاكفا من الرجال وهم روساوهم وكبراوهم الذين يطيعونهم في معصية الله يحبونهم
اي يودونهم ويميلون اليهم والحب نقيض البغض واحببت فلانا اي جعلت قلبي معرضا
بان يحبه والمحبة الارادة كحب الله اي كحب المومنين الله والمعنى يحبون الاصنام
كما يحب المومنون ربهم عز وجل وقيل معناه يحبونهم كحب الله فيكون المعنى انهم
يسوون بين الاصنام وبين الله في المحبة من قال بالقول الاول لم يثبت للكفار
محبة لله تعالى لكن جعلوا الاصنام شركا له في الحب والذين امنوا اشد حبا لله
اي اثبت وادوم على محبته لانهم لا يختارون مع الله سواه والمشركون اذا اتخذوا
صنما ثم راوا اخر احسن منه طرحوا الاول واختاروا الثاني وقيل ان الكفار يعدلون

عن



عن اصنامهم في الشدايد ويقبلون الى الله تعالى كما اخبر عنهم فاذا ركبوا في الفلك دعوا
الله مخلصين له الدين والمومنون لا يعدلون عن الله تعالى في السرا والضرا
ولا في الشدة والرخا وقيل ان المومنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون اصناما
كثيرة فتنتقص المحبة لصنم واحد وقيل انما قال والذين امنوا اشد حبا لله لان الله
احبهم اولا فاحبوه ومن شهد له بالمحبة كانت محبته اتم وسياتي بسط الكلام في
معنى المحبة عند قوله يحبهم ويحبونه ولو يرى الذين ظلموا قرى بالتا والمعنى ولو
ترى يا محمد الذين ظلموا يعني اشركوا في شدة العذاب لرايت امرا عظيما وقرى باليا
ومعناه ولو يرى الذين ظلموا انفسهم عند روية العذاب حين يقذف بهم في النار لعرفوا
مضرة الكفر وما اتخذوه من الاصنام لا ينفعهم اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا
معناه لو راى الذين كانوا يشركون في الدنيا عذاب الاخرة لعلموا حين يرون العذاب
ان القوة ثابتة لله جميعا والمعنى انهم شاهدوا من قدرة الله تعالى ما تيقنوا معه ان
القوة له جميعا وان الامر ليس على ما كانوا عليه من الشرك والجحود وان الله شديد
العذاب قوله عز وجل اذ تبرا اي تنزه وتباعد الذين اتبعوا من الذين اتبعوا
وراوا العذاب اي القادة من مشركي الانس من الاتباع وذلك يوم القيامة حين
يجمع القادة والاتباع فيتبرا بعضهم من بعض عند نزول العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن
انفسهم فكيف عن غيرهم وقيل هم الشياطين يتبرون من الانس والقول هو الاول
وتقطعت بهم الاسباب يعني الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا من قرابة
وصداقة وقيل الاعمال التي كانت بينهم يعملونها في الدنيا وقيل العهود والحلف التي
كانت بينهم يتوادون عليها واصل السبب في اللغة الحبل الذي يصعد به النخل وسمي
كل ما يتوصل به الى شي من ذريعة او قرابة او مودة سببا تشبيها بالحبل الذي يصعد
به وقال الذين اتبعوا يعني الاتباع لو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا فنتبرا منهم
اي من المتبوعين كما تبروا منا اليوم كذلك يريهم الله اي كما اراهم العذاب يريهم الله
اعمالهم حسرات عليهم لانهم ايقنوا بالهلاك والحسرة اشد الندم على ما فات وشدة الندم
عليه كانه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه والمعنى ان الله تعالى يريهم ما تركوا
من الحسنات فيندمون على تضييعها وقيل يرفع لهم منازلهم في الجنة فيقال لهم
تلك مساكنكم لو اطعتم الله ثم تقسم بين المومنين فذلك حين يتحسرون ويندمون
على ما فاتهم ولا ينفعهم الندم وما هم بخارجين من النار قوله عز وجل يا ايها الناس
كلوا مما في الارض حلالا طيبا نزلت في ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة وبني مدلج
فيما حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسايبة والحام والحلال المباح الذي
احله الشرع وانحلت عقدة الحظر عنه واصله من الحل الذي هو نقيض العقد والطيب
ما يستلذ والمسلم لا يستطيب الا الحلال ويعاف الحرام وقيل الطيب هو الطاهر لان
النجس تكرهه النفس وتعافه ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا سبيله
وقيل معناه لا تاتموا به ولا تتبعوا اثاره وزلاته والمعنى احذروا ان تتعدوا ما احل الله

الى ما يدعوكم اليه الشيطان قيل هي الذنوب في المعاصي وقيل هي المحقرات من الذنوب
ثم بين علة هذا التحذير بقوله تعالى انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وقد اظهر الله
تعالى عداوته بإبائه السجود لادم ثم بين عداوته ما هي فقال تعالى انما يامركم بالسوء
يعني بالاثم والسوء ما يسوء صاحبه ويحزنه والفحشاء يعني بها المعاصي وما قبح من
قول او فعل قال ابن عباس السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وقيل الفحشاء
الزنا وقيل هو البخل وان تقولوا على الله ما لا تعلمون يعني من تحريم الحرث والانعام
ويتناول ذلك جميع المذاهب الفاسدة التي لم ياذن فيها الله ولم ترد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم واعلم ان امر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي
يجدها الانسان في قلبه وماهية هذه الخواطر حروف واصوات منتظمة خفية
تشبه الكلام في الخارج ثم ان فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وهو المحدث لها في باطن
الانسان واما الشيطان كالعرض والله هو المقدر له على ذلك وقد ورد في الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وانما قدر على
ذلك لايصال هذه الخواطر الى باطن الانسان قوله عز وجل واذا قيل لهم اتبعوا ما
انزل الله هذه قصة مستانفة والضمير في لهم يعود الى غير مذكور قال ابن عباس
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك
ابن عوف بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا فهم كانوا خيرا منا واعلم منا فانزل الله هذه الاية
وقيل ان الاية متصلة بما قبلها والضمير في لهم يعود على قوله ومن الناس من يتخذ من
دون الله اندادا وهم مشركوا العرب قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا يعني من عبادة
الاصنام وقيل بل الضمير في لهم يعود على قوله يا ايها الناس كلوا مما في الارض واذا
قيل لهم اتبعوا ما انزل الله يعني في تحليل ما حرموا على انفسهم قالوا بل نتبع ما
الفينا يعني وجدنا عليه آباءنا من التحريم والتحليل قال الله تعالى اولو كان آباؤهم
يعني الذين يتبعونهم لا يعقلون شيئا يعني لا يعلمون شيئا من امر الدين لفظه عام
ومعناه خاص وذلك انهم يعقلون امر الدنيا ولا يهتدون اي الى الصواب ثم ضرب
لهم مثلا فقال تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء
النعيق صوت الراعي بالغنم ولا يقال نعق الا للراعي بالغنم وحدها ومعنى الاية ومثلك
يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي
لا تسمع الا صوتا فصار الداعي الى الله وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعي وصار
الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها ووجه المثل ان الغنم تسمع الصوت ولا تفطن للمراد
وكذلك الكفار يسمعون صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولكن لا ينتفعون به وقيل
معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله ورسوله كمثل المنعوق به
البهائم التي لا تفهم من الامر والنهي الا الصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق به خارج
عن الناعق وقيل معناه ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي لا تفقه ولا تعقل
كمثل الناعق بالغنم فهو لا ينتفع من نعيقه بشيء غير انه عناه من الدعاء والنداء فكذلك



الكافر ليس له من دعاء الاصنام وعبادتها الا العناء والبلاء والفرق بين هذا القول والقول
الذي قبله ان المحذوف هنا هو المدعو وهي الاصنام وفي القول الاول المحذوف هو
الداعي وهو الرسول صلى الله عليه وسلم صم بكم عمي لما شبههم بالبهائم زاد في تبكيتهم
فقال صم لانهم اذا سمعوا الحق ودعاء الرسول ولم ينتفعوا به صاروا بمنزلة الاصم
الذي لا يسمع يقال لمن لم يسمع ولا يعقل كانه اصم ابكم اي عن النطق بالحق عمي عن
طريق الهدى فهم لا يعقلون قيل المراد بالعقل الكسبي لان العقل الطبيعي كان حاصل
فيهم قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم قيل ان الامر في قوله
كلوا قد يكون للوجوب كالاكل لحفظ النفس ودفع الضرر عنها وقد يكون للندب
كالاكل مع الضيف وقد يكون للاباحة اذا خلا من هذه العوارض والطيب هو الحلال
م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا
يقبل الا الطيب وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا
من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر
الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام
وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك قوله اشعث اغبر هو البعيد
العهد بالدهن والغسل والنظافة وقيل الطيب المستلذ من الطعام فلعل قوما تنزهوا
عن اكل المستلذ من المطاعم فاباح الله تعالى لهم ذلك واشكروا لله يعني على نعمه
ان كنتم اياه تعبدون اي اشكروا الله الذي رزقكم هذه النعم ان كنتم تخصونه
بالعبادة وتقرون انه الهكم لا غيره وقيل ان كنتم عارفين بالله ونعمه فاشكروه
عليها قوله عز وجل انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير لما امر الله تعالى في الاية التي
تقدمت باكل الطيبات التي هي الحلالات بين في هذه انواعا من المحرمات اما الميتة فكل ما
فارقته روحه من غير ذكاة مما يذبح واما الدم فهو الجاري وكانت العرب تجعل الدم
في المصارين ثم تشويه وتاكله فحرم الله الدم واما الخنزير فانه اراد بلحمه جميع اجزائه
وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود لذاته بالاكل وما اهل به لغير الله يعني وما ذبح
للاصنام والطواغيت واصل الاهلال رفع الصوت وذلك انهم كانوا يرفعون اصواتهم بذكر
آلهتهم اذا ذبحوا لها فجرى ذلك مجرى امرهم وحالهم حتى قيل لكل ذابح مهل وان لم يجهر بالتسمية
فمن اضطر يعني الى اكل الميتة واحوج اليها غير باغ اصل البغي الفساد ولا عاد اصله
من العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد فلا اثم عليه اي فالاكل فلا اثم عليه اي فلا حرج في
اكلها ان الله غفور اي لمن اكله في حال الضرورة رحيم يعني حيث رخص لعباده في ذلك

## فصل

في حكم الاية وفيه مسائل الاولى في حكم الميتة اجمعت الامة
على تحريم اكل الميتة وانها نجسة واستثنى الشرع منها السمك والجراد اما السمك فلقوله
صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه الجماعة غير البخاري ومسلم
قال الترمذي فيه حديث حسن صحيح واما الجراد فلما روي عن ابي اوفى قال غزونا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات او ستا وكنا ناكل الجراد ونحن معه

لخرجاه في الصحيحين والختلف في السمك الطافي على الما فقال مالك والشافعي
لاباس به وقال ابو حنيفة واصحابه والحسن بن صالح بن حي انه مكروه وروي عن
علي بن ابي طالب انه قال ما طفى من صيد البحر فلا تاكله وعن ابن عباس وجابر بن عبد الله
مثله وروي عن ابي بكر الصديق والي ايوب اباحته واختلف في الجراد فقال الشافعي
وابو حنيفة لاباس باكل الجراد كله ما اخذته وما وجدته ميتا وروي مالك انه ما
وجد ميتا فلا يحل وما اخذ حيا يذكي ذكاة مثله بان يقطع راسه ويشوي فان
غفل عنه حتى يموت فلا يحل المسئلة الثانية في حكم الدم اتفق العلما على ان الدم
حرام نجس لا يوكل ولا ينتفع به قال الشافعي يحرم جميع الدما سوا كان مسفوحا
او غير مسفوح وقال ابو حنيفة دم السمك ليس بحرام فقال لانه اذا يبس ابيض
واستثنى الشارع من الدم الكبد والطحال روى الدارقطني عن عبد الرحمن بن زيد
ابن اسلم عن ابيه عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احل لنا من
الدم دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد ومن الدم الكبد والطحال وفي لفظ
احلت لنا ميتتان ودمان فاما الميتتان فالجراد والحوت واما الدمان فالطحال
والكبد اخرجه ابن ماجه واحمد بن حنبل قال احمد وعلي بن المديني عبد الرحمن بن زيد
ضعيف واخوه عبد الله بن زيد قوي ثقة وقد اخرج الدارقطني هذا الحديث من
رواية عبد الله بن زيد عن ابيه عن ابن عمر مرفوعا وضعف ابو بكر بن العربي هذا
الحديث وقال يروي عن عمر مما لا يصح سنده وقال البيهقي يروي هذا الحديث عن ابن عمر
موقوفا ومرفوعا الصحيح الموقوف واختلف في تخصيص هذا العموم في الكبد
والطحال فقال مالك لا تخصيص لان الكبد والطحال لحم ويشهد لذلك العيان الذي
لا يفتقر الى برهان وقال الشافعي هما دمان ويشهد لهما الحديث فهو مخصوص من العموم
المسئلة الثالثة في الخنزير اجمعت الامة على ان الخنزير بجميع اجزايه محرم وانما ذكر
الله تعالى لحمه لانه معظم الانتفاع متعلق به ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور
العلما انه نجس وقال مالك انه طاهر وكذا كل حيوان عنده لان علة الطهارة هي
الحياة وللشافعي قولان في ولوغ الخنزير احدهما انه كالكلب والغنيم يكفي في
ولوغه غسلة واحدة والفرق بينهما ان التغليظ في الكلب لان العرب كانت تالفه
بخلاف الخنزير وقيل ان التغليظ في الكلب تعبدي لا يعقل معناه فلا يتعدا الى غيره
المسئلة الرابعة في حكم قوله وما اهل به لغير الله من الناس من زعم ان المراد بذلك
ذبايح عبدة الاوثان الذين كانوا يذبحونه لاصنامهم واجاز ذبيحة النصارى اذا
سمى عليها باسم المسيح وهو مذهب عطا ومكحول والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب
لعموم قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم وقال مالك والشافعي وابو حنيفة
لا يحل ذلك والحجة فيه انهم اذا ذبحوا على اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجب
ان يحرم وروي عن علي بن ابي طالب انه قال اذا سمعتم اليهود والنصارى يهلون لغير الله
فلا تاكلوا واذا لم تسمعوهم فكلوا فان الله قد احل ذبايحهم وهو يعلم ما يقولون

المسئلة



المسئلة الخامسة في حكم المضطر المضطر هو المكلف بالشي الملجى اليه المكروه عليه
والمراد بالمضطر في قوله فمن اضطر اي خاف التلف حتى قيل من اضطر الى اكل الميتة
فلم ياكل منها حتى مات دخل النار والمضطر على ثلاثة اقسام اما باكراه او بجوع في
مخمصة او بفقر لا يجد شيا البتة فان التحريم يرتفع مع وجود هذه الاقسام بحكم
الاستثنا في قوله فلا اثم عليه ويباح له الميتة فاما الاكراه فيبيح ذلك الى زوال
الاكراه واما المخمصة فلا يخلوا ان تكون دايمة فلا خلاف في جواز الشبع منها وان كانت
نادرة فاختلف العلما فيه وللشافعي قولان احدهما انه ياكل ما يسد به الرمق وبه قال
ابو حنيفة والثاني ياكل قدر الشبع وبه قال مالك المسئلة السادسة في قوله
غير باغ ولا عاد قال ابن عباس يعني غير باغ غير خارج على السلطان ولا عاد اي معتد
يعني العاصي بسفره ان ياكل من الميتة اذا اضطر اليها ولا يترخص برخص المسافرين
حتى يتوب من ربه قال الشافعي لان اباحة الميتة اعانة له على فساده وذهب قوم الى ان
البغي والعدوان الى الاكل وبه قال ابو حنيفة واباح اكل الميتة للمضطر وان كان عاصيا
وقيل ان معنى قوله غير باغ اي غير طالب الميتة وهو يجد غيرها ولا عاد او غير معتد
ما حد له وقيل غير مستحل لها ولا متزود منها قوله عز وجل **ان الذين يكتمون ما**
**انزل الله من الكتاب** نزلت في روسا اليهود وعلمايهم وذلك انهم كانوا يصيبون
من سفلتهم الهدايا والماكل وكانوا يرجون ان يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث محمد
صلى الله عليه وسلم وهو من غيرهم خافوا على ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم فعمدوا الى
صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموها فانزل الله ان الذين يكتمون ما انزل الله
اي في الكتاب من صفته ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين قال الامام فخر
الدين الرازي وعند المتكلمين هذا ممتنع لان التورية والانجيل قد بلغا من الشهرة
والتواتر الى حيث تعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التاويل لانه قد كان منهم من يعرف
الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يذكرون لها تاويلات باطلة
ويصرفونها عن محاملها الصحيحة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهذا هو المراد
بالكتمان فيصير المعنى ان الذين يكتمون معاني ما انزل الله من الكتاب **ويشترون به**
اي بالكتمان وقيل يعود الضمير الى ما انزل الله من الكتاب **ثمنا قليلا** اي عوضا يسيرا
وهي الماكل التي كانوا ياخذونها من سفلتهم **اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار**
يعني ما يوديهم الى النار وهي الرشا والحرام فلما كان يفضي بهم ذلك الى النار فكانهم
اكلوها **ولا يكلمهم الله يوم القيامة** اي كلام رحمة وما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ وهو
قوله اخسئوا فيها وقيل اراد به الغضب يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه
**ولا يزكيهم** اي ولا يطهرهم من دنس الذنوب **ولهم عذاب اليم** اي وجيع يصل المه
الى قلوبهم **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة** معناه
انهم اختاروا الضلالة على الهدى واختاروا العذاب على المغفرة لانهم كانوا
عالمين بالحق ولكن كتموه واخفوه وكان في اظهاره الهدى والمغفرة وفي كتمانه الضلالة

والعذاب فلما قدموا على اخفا الحق وكتمانه كانوا بايعين الهدي بالضلالة والمغفرة
بالعذاب **فما اصبرهم على النار** اي ما الذي صبرهم واي شيء جسرهم على النار حتى
تركوا الحق واتبعوا الباطل فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل انه بمعنى التعجيب من حالهم
في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم فلما اقدموا على ما يوجب النار مع علمهم
بذلك صاروا كالراضيين بالعذاب والصابرين عليه تعجيب من حالهم بقوله فما اصبرهم
على النار **ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق** يعني ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق
فكفروا به وانكروه وقيل معناه فعلنا بهم ذلك لان الله انزل الكتاب بالحق فحرفوه فعلى
هذا يكون المراد بالكتاب التوراة **وان الذين اختلفوا في الكتاب** يعني اختلفوا
في معانيه وتاويله فحرفوه وبدلوها وقيل امنوا ببعض وكفروا ببعض **لفي شقاق**
اي خلاف ومنازعة **بعيد** يعني عن الحق قوله عز وجل **ليس البر ان تولوا
وجوهكم قبل المشرق والمغرب** هذا خطاب لاهل الكتاب لان النصارى تصلي قبل
المشرق واليهود قبل المغرب الى بيت المقدس وزعم كل طايفة منهم ان البر في ذلك
فاخبر الله تعالى ان البر ليس فيما زعموا ولكن فيما بينه في هذه الاية وقال ابن عباس
هي خطاب للمومنين وذلك ان الرجل كان في ابتدا الاسلام اذا اتى بالشهادتين وصلى
الى اي جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونزلت الفرايض وصرفت القبلة الى الكعبة انزل الله هذه الاية فقال تعالى
ليس البر ان تولوا وجوهكم اي في صلاتكم قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا ذلك
**ولكن البر** يعني ما بينته لكم والبر اسم جامع لكل الطاعات واعمال الخير المقربة
الى الله الموجبة للثواب والمودية الى الجنة تقربين خصال اهل البر فقال تعالى **من
امن بالله** اي ولكن البر من امن بالله فالمراد بالبر هنا الايمان بالله والتقوي
من الله **واليوم الاخر** وانما ذكر الايمان باليوم الاخر لان عبدة الاوثان كانوا ينكرون
البعث بعد الموت **والملايكة** اي ومن البر الايمان بالملايكة كلهم لان اليهود قالوا
ان جبريل عدونا **والكتاب** قيل اراد به القران وقيل جميع الكتب المنزلة لسياق
ما بعده وهو قوله **والنبيين** يعني اجمع وانما خص الايمان بهذه الامور الخمسة
لانه يدخل تحت كل واحد منها اشيا كثيرة مما يلزم المومن ان يصدق بها **واتى المال
على حبه** يعني من اعمال البر ايتا المال على حبه قيل ان الضمير راجع الى المال فالتقدير
على هذا واتى المال على حب المال **ق** عن ابي هريرة قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اي الصدقة اعظم اجرا قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى
الفقر وتامل الغنا ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا
وقد كان لفلان كذا قوله حتى اذا بلغت الحلقوم يعني الروح وان لم يتقدم لها ذكر
وقوله لفلان كذا هو كناية عن الموصى له وقوله وقد كان لفلان كناية عن الوارث
وقيل الضمير في حبه راجع على الله تعالى اي واتى المال على حب الله وطلب مرضاته **ذوي
القربى** يعني اهل قرابة المعطي وانما قدمهم لانهم احق بالاعطا عن سلمان بن عامر قال



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة
وصلة اخرجه النساي **ق** ان ميمونة رضي الله عنها اعتقت وليدة ولم تستاذن النبي
صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذي يدور عليها قالت اشعرت يا رسول الله اني اعتقت
وليدتي قال اوفعلت قالت نعم قال اما انك لو اعطيتها اخوالك كان اعظم لاجرك الوليدة
الجارية **واليتامى** اليتيم هو الذي لا اب له مع الصغر وقيل يقع على الصغير والبالغ اي
واتى الفقرا من اليتامى **والمساكين** جمع مسكين سمي بذلك لانه دايم السكون الى الناس
لانه لا شي له **وابن السبيل** يعني المسافر المنقطع عن اهله سمي المسافر ابن السبيل لملازمته
الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل لانه انما وصل اليه من السبيل وهو الطريق والاول
اشبه لان ابن السبيل اسم جامع للمسافر **والسايلين** يعني الطالبين المستطعمين
عن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسايلين حق ولو جا على فرس
اخرجه ابو داود وعن زيد بن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطوا السايل
ولو جا على فرس اخرجه مالك في الموطا عن ام بجيد قالت يا رسول الله ان المسكين
ليقوم على بابي فلا اجد شيا اعطيه اياه قال ان لم تجدي الا ظلفا محرقا فادفعيه
اليه في يده اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية مالك
في الموطا عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق
قوله ردوا المسكين لم يرد به رد الحرمان وانما اراد به ردوه بشي تعطونه اياه ولو
كان ظلفا وهو ظلف الشاة وفي كونه محرقا مبالغة في قلة ما يعطي **وفي الرقاب** يعني
المكاتبين وقيل هو فك النسمة وعتق الرقبة وفدا الاساري **واقام الصلاة**
يعني المفروضة في اوقاتها **واتى الزكاة** يعني الواجبة **والموفون بعهدهم** يعني ما
اخذه الله من العهود على عباده بالقيام بحدوده والعمل بطاعته وقيل اراد بالعهد
ما يجعله الانسان على نفسه ابتدا من نذر وغيره وقيل العهد الذي كان بينه وبين
الناس مثل الوفا بالمواعيد واداء الامانات **اذا عاهدوا** يعني اذا وعدوا انجزوا
واذا نذروا اوفوا واذا حلفوا بروا في ايمانهم واذا قالوا صدقوا في اقوالهم واذا
ايتمنوا ادوا **والصابرين في الباسا** اي في الشدة والفقر والفاقة **والضرا** يعني
المرض والزمانة **وحين الباس** يعني القتال والحرب في سبيل الله وسمي الحرب باسا
لما فيه من الشدة **ق** عن البرا قال كنا والله اذا احمر الباس نتقي به وان الشجاع منا
الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم قوله احمر الباس اقتتلوا في الجاهلية
بسبب قتيل اي اشتد الحرب ونتقي به اي نجعله وقاية لنا من العدو **اولئك
الذين صدقوا** اي اهل هذه الاوصاف هم الذين صدقوا في ايمانهم **واولئك هم
المتقون** قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى**
نزلت في حيين من احيا العرب اقتتلوا في الجاهلية بسبب قتيل وكان بينهم قتلى
وجروح وجراحات كثيرة ولم ياخذ بعضهم من بعض حتى جا الاسلام وقيل نزلت
في الاوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول على الاخر في الكثرة والشرف وكانوا ينكحون

نساءهم بغير مهر واقسموا ليقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة منا الرجل منهم وبالرجل
منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات اولئك فرفعوا امرهم الى النبي صلى الله
عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وامره بالمساواة فرضوا واسلموا وقيل انما نزلت هذه
الاية لازالة الاحكام التي كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان اليهود كانوا
يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى يوجبون العفو بلا قتل والعرب في الجاهلية
كانوا يوجبون القتل تارة ويوجبون اخذ الدية تارة وكانوا يتعادون في الحكمين
فان وقع القتل على شريف قتلوا به عددا ويأخذون دية الشريف اضعاف دية الخسيس
فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اوجب رعاية العدل وسوى بين عباده في حكم القصاص
فانزل الله يا ايها الذين امنوا كتب اي فرض عليكم القصاص في القتلى فان قلت كيف يكون
القصاص فرضا والولي مخير فيه بين العفو والقصاص واخذ الدية قلت انما القصاص فرض
على القاتل للولي وقيل اذا اردتم القصاص فقد فرض عليكم والقصاص المساواة والمماثلة
في القتل والدية والجراح من قص الاثر اذا اتبعه فالمفعول به يتبع ما فعل به فيفعل مثل
ذلك فلو قتل رجل رجلا بعصا او خنقه او شدخ رأسه بحجر فمات فيقتل القاتل بمثال
الذي قتل به وهو قول مالك والشافعي واحدى الروايتين عن احمد وقيل يقتل بالسيف
وهو قول ابي حنيفة والرواية عن احمد **الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى**
ومعناه انه اذا تكافأ الدمان من الاحرار المسلمين والاحرار من المعاهدين او العبيد
منهم فيقتل كل صنف اذا قتل بمثله الذكر بالذكر والانثى بالانثى وبالذكر ولا يقتل
مومن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد ويقتل الذمي بالمسلم والعبد بالحر والولد
بالوالد هذا مذهب مالك والشافعي واحمد ويدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن ابي
جحيفة قال سألت عليا هل عندكم من النبي صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرآن وما في
هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل وفك الاسير وان لا يقتل مومن
بكافر وقد اخرج مسلم عن علي نحو هذا من غير رواية ابي جحيفة العقل هنا هو الدية
والعاقلة الجماعة من اولياء القاتل الذين يعقلون عن ابن عباس قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا تقام الحدود في المساجد ولا يقتل الوالد بالولد اخرجه
الترمذي وذهب اصحاب الرأي الى ان المسلم يقتل بالذمي والحر بالعبد وبهذه الاية
مع الاحاديث حجة لمذهب الشافعي ومن وافقه ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله
النفس بالنفس وان تلك واردة لحكاية ما كتب على بني اسرائيل في التوراة وهذه الاية
خطاب للمسلمين بما كتب عليهم وذهب اصحاب الرأي ان هذه منسوخة بقوله النفس
بالنفس وتقتل الجماعة بالواحد يدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر ان غلاما
قتل غيلة فقال عمر لو اشترك فيه اهل صنعاء لقتلتهم قال البخاري وقال مغيرة بن حكيم
عن ابيه ان اربعة قتلوا صبيا فقال عمر مثله وروى مالك في الموطأ عن ابن المسيب
ان عمر قتل نفرا خمسة او سبعة برجل واحد قتلوه غيلة وقال لو تمالأ عليه
اهل صنعاء لقتلتهم جميعا الغيلة ان يقتل الرجل خديعة ومكرا من غير ان يعلم ما يراد



به وقوله لو تمالأ اي تعاونوا واجتمعوا عليه وقوله تعالى **فمن عفي له من اخيه شيء**
اي ترك وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضي بالدية او العفو
عنها او قبول الدية في قتل العمد من اخيه اي من دم اخيه واراد بالاخ ولي المقتول
وانما قيل له اخ لانه لابسه من قبل انه ولي الدم والمطالب به وقيل انما ذكره
بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من الجنسية والاخوة
الاسلامية وفي قوله شيء دليل على ان بعض الاولياء اذا عفي سقط القود وتعينت الدية
لان شيئا من الدم قد بطل **فاتباع بالمعروف** اي فليتبع الولي القاتل بالمعروف
فلا يأخذ اكثر من حقه ولا يعنفه **واداء اليه باحسان** اي على القاتل اداء الدية
الى ولي الدم من غير مماطلة امر كل واحد منهما بالاحسان فيما له وعليه وقيل في تقدير
الاية واذا عفي ولي الدم عن شيء يتعلق بالقاتل وهو وجوب القصاص فلتتبع
القاتل ذلك العفو بمعروف وليؤد ما وجب عليه من الدم الى ولي الدم باحسان
من غير مطل ولا مدافعة وفي الاية دليل على ان القاتل لا يصير كافرا وان الفاسق
مومن ووجه ذلك من وجوه الاول ان الله تعالى خاطبه بعد القتل بالايمان وسماه
مومنا بقوله يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص فسماه مومنا حال ما وجب عليه
القصاص وانما وجب عليه بعد صدور القتل منه وقتل العمد والعدوان من الكبائر
بالاجماع فدل على ان صاحب الكبيرة مومن الوجه الثاني انه تعالى اثبت الاخوة بين
القاتل وولي الدم بقوله فمن عفي له من اخيه شيء واراد بها اخوة اخوة الايمان فلولا
ان الايمان باق على القاتل لم يثبت له الاخوة الوجه الثالث انه تعالى ندب الى العفو
عن القاتل والعفو لا يليق الا عن المومن لا عن الكافر وقوله تعالى **ذلك تخفيف من ربكم**
**ورحمة** يعني الذي ذكر من الحكم بشرع القصاص والعفو عن القصاص واخذ
الدية تخفيف من ربكم يعني في حقكم ورحمة وذلك لان العفو واخذ الدية كان
حراما على اليهود وكان القصاص حتما في التوراة وكان في شرع النصارى اخذ الدية
ولم يكتب عليهم القصاص وقيل كان عليهم العفو دون القصاص واخذ الدية فخير
الله هذه الامة بين القصاص والعفو واخذ الدية توسعة عليهم وتيسيرا وتفضلا
لهم على غيرهم **فمن اعتدى بعد ذلك** يعني بعد هذا التخفيف فقتل الجاني بعد العفو
وقبول الدية **فله عذاب اليم** وهو ان يقتل قصاصا ولا يقبل منه دية ولا يعفى
عنه وقيل المراد بالعذاب الاليم عذاب الاخرة قوله عز وجل **ولكم في القصاص حياة**
اي بقاء وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل قتل ترك القتل وامتنع عنه فيكون
فيه بقاؤه وبقاء من هم بقتله وقيل ان نفس القصاص سبب للحياة وذلك ان القاتل
اذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان يهم بالقتل واعلم ان هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص
الذي هو القتل بل يدخل فيه جميع الجراح والشجاج وغير ذلك وذلك لان الجارح اذا
علم انه اذا جرح لم يجرح فيصير ذلك سببا لبقاء الجارح والمجروح وربما افضت
الجراحة الى الموت فيقتص من الجارح وقيل في معنى الاية ان الحياة سلامته من قصاص

الآخرة فإنه إذا اقتص منه في الدنيا لم يقتص منه في الآخرة وفي ذلك حياته وإذا لم يقتص
منه في الدنيا اقتص منه في الآخرة **يا أولي الألباب** أي يا ذوي العقول الذين
يعرفون الصواب لأن العاقل لا يريد إتلاف نفسه بإتلاف غيره **لعلكم تتقون**
يعني لعلكم تنتهون عن القتل خوف القصاص قوله عز وجل **كتب** أي فرض وأوجب
**عليكم إذا حضر أحدكم الموت** أي قرب ودنا منه وظهرت آثاره عليه من العلل والأمراض
المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لأنه في ذلك الوقت يعجز عن الإيصاء **إن ترك خيرا**
يعني مالا وقيل يطلق على القليل والكثير وهو قول الزهري فتجب الوصية في الكل
وقيل إن لفظة الخير لا تطلق إلا على المال الكثير وهو قول الأكثرين واختلفوا في مقدار
الكثير الذي تقع فيه الوصية فقيل ألف درهم فما زاد عليها وقيل سبعمائة فما فوقها
وقيل ستون دينارا فما فوقها وقيل إنه من خمسمائة ألف وقيل إنه المال الكثير الفاضل
عن العيال وروي أن رجلا قال لعائشة إني أريد أن أوصي قالت كم مالك قال ثلاثة
آلاف درهم قالت كم عيالك قال أربعة قالت إنما قال الله إن ترك خيرا وهذا شيء يسير
فاتركه لعيالك **الوصية** أي الإيصاء والوصية التقدم إلى الغير بما يعمل به وقيل هو
القول المبين لما يستأنف من العمل والقيام به بعد الموت **للوالدين والأقربين** كانت
الوصية في ابتداء الإسلام فريضة للوالدين والأقربين على من مات وله مال وسبب
ذلك أن أهل الجاهلية كانوا يوصون للأبعدين طلبا للفخر والشرف والرياء ويتركون
الأقربين فقراء فأوجب الله تعالى الوصية للأقربين ثم نسخت هذه الآية بآية
المواريث وبما روي عن عمرو بن خارجة قال كنت آخذ بزمام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يخطب فسمعته يقول إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث أخرجه
النسائي والترمذي بنحوه وذهب ابن عباس إلى أن وجوبها صار منسوخا في حق
من يرث وبقي وجوبها في حق من لا يرث من الوالدين والأقربين وهو قول الحسن
ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار وحجة من قال إن الآية دالة على وجوب
الوصية للوالدين ثم نسخ ذلك الوجوب في حق من يرث بآية الميراث وبالحديث المذكور
فوجب أن تبقى الآية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يرث فعلى قول من قال
النسخ يتناول بعض أحكام الآية وذهب الأكثرون من المفسرين والعلماء وفقهاء الحجاز
والعراق إلى أن وجوبها صار منسوخا في حق الكل فهي مستحبة في حق من لا يرث
ويدل على استحباب الوصية والحث عليها ما روي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد أن يوصي به أن يبيت
ليلتين وفي رواية ثلاث ليال إلا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله
ابن عمر يقول ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك
إلا ووصيتي مكتوبة عندي أخرجه الجماعة قوله ما حق امرئ الحق يشتمل معناه
على الوجوب والندب والحث فيحمل هنا على الحث في الوصية لأنه لا يدري متى يأتيه
الموت فربما أتاه بغتة فيمنعه عن الوصية وقوله تعالى **بالمعروف** أي بالعدل

الذي

الذي لا وكس فيه ولا شطط فلا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير
**ق** عن سعد بن أبي وقاص قال جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام
حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت يا رسول الله قد بلغ بي من الوجع ما ترى وأنا
ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي أفأتصدق بثلثي مالي قال لا قلت فالشطر يا رسول الله
قال لا قلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير أو قال والثلث كبير إنك أن تذر
ذريتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس العالة الفقراء وقوله يتكففون
الناس أي يتكففون المسألة من الناس كأنه من الطلب بالأكف **ق** عن ابن عباس قال في
الوصية لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسعد والثلث
كثير وقال علي بن أبي طالب لأن أوصي بالخمس أحب إلي من أن أوصي بالربع وأن أوصي
بالربع أحب إلي من أن أوصي بالثلث فمن أوصى بالثلث فلم يترك وقيل يوصي بالسدس
أو بالخمس أو الربع **حقا** أي ثابتا ثبوت ندب لا ثبوت فرض ووجوب **على
المتقين** أي على المؤمنين الذين يتقون الشرك **فمن بدله** أي غير الوصية
من الأولياء أو الأوصياء وذلك التغيير يكون إما في الكتابة وفي قسمة الحقوق أو
الشهود بأن يكتموا الشهادة أو يغيروها وإنما ذكر الكناية في بدله مع أن الوصية
مؤنثة لأن الوصية بمعنى الإيصاء كقوله فمن جاءه موعظة أي وعظ والتقدير فمن
بدل قول الميت أو ما أوصى به **بعدما سمعه** أي من الموصي وتحققه **فإنما إثمه على
الذين يبدلونه** أي أن إثم ذلك التبديل لا يعود إلا على المبدل والوصي والموصى له بريئان
منه **إن الله سميع** يعني لما أوصى به الموصي **عليم** يعني بتبديل المبدل **فمن خاف**
أي علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين **من موص جنفا** يعني جورا في الوصية و
عدولا عن الحق والجنف الميل **أو إثما فأصلح بينهم** أي ظلما وقيل الجنف الخطأ
في الوصية والإثم العمد وقيل في معنى الآية أنه إذا حضر رجل مريضا وهو يوصي فرآه
يميل إما بتقصير أو إسراف أو وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج عليه أن يأمره
بالعدل في وصيته وينهاه عن الحيف والميل وقيل إنه أراد به إذا أخطأ الميت
في وصيته أو حاف متعمدا فلا حرج على وليه أو وصيه أو ولي أمور المسلمين أن يصلح
بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية إلى العدل والحق **فلا إثم عليه**
أي فلا حرج عليه في الصلح **إن الله غفور رحيم** أي لمن أصلح وصيته بعد الجنف
والميل عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل
والمرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب
لهما النار ثم قرأ أبو هريرة من بعد وصية يوصى بها أو دين إلى قوله ذلك الفوز
العظيم أخرجه أبو داود والترمذي قوله فيضاران المضارة إيصال الضرر
إلى شخص ومعنى المضارة في الوصية أن لا تمضى أو ينقص بعضها أو يوصي لغير أهلها
أو يحيف في الوصية أو نحو ذلك قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا كتب** أي فرض
**عليكم الصيام** والصوم في اللغة الإمساك يقال صام النهار إذا اعتدل وقام

قايم الظهيرة ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا لانه امساك عن الكلام
والصوم في الشرع عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب والجماع في وقت مخصوص
وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية **كما كتب على الذين من قبلكم** يعني الانبيا
والامم من لدن آدم الى عهدكم والمعنى ان الصوم عبادة قديمة اي في الزمن الاول ما
اخلى الله امة لم يفرضه عليهم كما فرضه عليكم وذلك لان الصوم عبادة شاقة والشي
الشاق اذا عم سهل عمله وقيل ان صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى كما
فرض علينا فصاموا رمضان زمانا فربما وقع الحر الشديد والبرد الشديد وكان
يشق ذلك عليهم في اسفارهم ويضرهم في معايشهم فاجتمع راي علمايهم ورؤسايهم
ان يجعلوه في فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتا فجعلوه في فصل الربيع
ثم زادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا وصاموا اربعين يوما ثم بعد زمان اشتكى
ملكهم فمه فجعل لله عليه ان برى من وجعه ان يزيد في صومهم اسبوعا فبرى فزاد فيه
اسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان ووليهم ملك اخر فقال ما شان هذه الثلاثة
ايام اتموها خمسين يوما فاتموه وقيل اصابهم موتان فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا
عشرا قبله وعشرا بعده وقيل ان النصارى فرض الله عليهم صوم رمضان فصاموا قبله
يوما وبعده يوما ثم لم يزالوا يزيدونه يوما بعد يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهى
عن صوم يوم الشك **لعلكم تتقون** يعني ما حرم عليكم لان الصوم وصلة الى
التقوى لما فيه من كسر النفس وترك الشهوات من الاكل والجماع وغيرهما وقيل معناه
لعلكم تتقون ما فعله النصارى من تغيير الصوم وقيل لعلكم تنتظمون في زمرة
المتقين لان الصوم من شعارهم **اياما معدودات** اي مقدرات وقيل قليلات
قيل انه كان في ابتداء الاسلام صوم ثلاثة ايام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشورا
ثم نسخ ذلك بفريضة صوم شهر رمضان قال ابن عباس اول ما نسخ بعد الهجرة
امر القبلة ثم الصوم **ق** عن عايشة قالت كان يوم عاشورا تصومه قريش في
الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشورا
فمن شا صامه ومن شا تركه وقيل ان المراد من قوله اياما معدودات ايام شهر رمضان
ووجهه ان الله تعالى قال اولا كتب عليكم الصيام وهذا يحتمل صوم يوم او يومين
ثم بينه بقوله معدودات على انه اكثر من ذلك لكنها غير محصورة بعدد ثم بين حصرها
بقوله شهر رمضان اذا امكن ذلك فلا وجه لحمل الايام المعدودات على غير رمضان
فتكون الاية غير منسوخة بقا لان فريضة رمضان نزلت في السنة الثانية
من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وايام وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع
عشرة خلت من رمضان على راس ثمانية عشر شهرا من الهجرة **فمن كان منكم مريضا
او على سفر** اي فافطر فعليه **عدة من ايام اخر** يعني غير ايام مرضه وسفره **وعلى
الذين يطيقونه** اي يطيقون الصوم واختلف العلما في هذه الاية فذهب اكثرهم





الى انها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الاكوع وغيرهما وذلك انهم كانوا
في ابتدا الاسلام مخيرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا ويفدوا وانما خيرهم الله تعالى
لئلا يشق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله
تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فصارت هذه الاية ناسخة للتخيير **ق** عن سلمة
ابن الاكوع قال لما نزلت هذه الاية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من
اراد ان يفطر ويفتدي فعل حتى نزلت هذه الاية بعدها فنسختها وفي رواية حتى
نزلت هذه الاية فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هي خاصة في حق الشيخ
الكبير الذي لا يطيق الصوم ولكن يشق عليه رخص له ان يفطر ويفدي ثم نسخ ذلك
وقال الحسن هذا في المريض الذي يقع عليه اسم المرض وهو لا يستطيع الصوم
خير بين الصيام وبين ان يفطر ويفدي ثم نسخ وذهب جماعة منهم ابن عباس الى ان
الاية محكمة غير منسوخة ومعناها وعلى الذين يطيقونه في حال الشباب ثم عجزوا
عنه الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم وقرا ابن عباس وعلى الذين يطوقونه بضم
اليا وفتح الطا وبالواو المشددة المفتوحة عوض اليا ومعناه يكلفون الصوم
**خ** عن عطا انه سمع ابن عباس يقرا وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين قال
ابن عباس ليست بمنسوخة فهو الشيخ الكبير والمراة الكبيرة لا يستطيعان ان
يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا **فدية طعام مسكين** الفدية الجزاء وهو
القدر الذي يبذله الانسان يقي به نفسه من تقصير وقع منه في عبادة ونحوها
ويجب على من افطر في رمضان ولم يقدر على القضا لكبر ان يطعم مكان كل يوم مسكينا
مدا من غالب قوت البلد وهذا قول فقها الحجاز قال بعض فقها العراق عليه لكل
مسكين نصف صاع عن كل يوم وقال بعضهم نصف صاع من البر وصاعا من غيره وقال
ابن عباس يعطي كل مسكين عشاه وسحوره **فمن تطوع خيرا فهو خير له** يعني زاد على
مسكين واحد فاطعم عن كل يوم مسكينين فاكثر وقيل فمن زاد على قدر الواجب عليه
فاطعم طعاما وعليه مد المد نصف صاع فهو خير له **وان تصوموا خير لكم** قيل هو
خطاب مع الذين يطيقونه فيكون المعنى وان تصوموا ايها المطيقون وتحملوا المشقة
فهو خير لكم من الافطار والفدية وقيل هو خطاب مع الكافة وهو الاصح لان اللفظ عام
فرجوعه الى الكل اولى **ان كنتم تعلمون** يعني ان الصوم خير لكم وقيل معناه اذا صمتم علمتم
ما في الصوم من المعاني المورثة للخير والتقوى واعلم انه لا رخصة لاحد من المسلمين
المكلفين في افطار رمضان بغير عذر والاعذار المبيحة للفطر ثلاثة احدها
السفر والمرض والحيض والنفاس فهولا اذا افطروا فعليهم القضا دون الكفارة
الثاني الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما افطرتا وعليهما القضا والكفارة
واليه ذهب الشافعي وذهب اهل الراي الى انه لا فدية عليهما الثالث الشيخ
الكبير والعجوز الكبيرة والمريض الذي لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة دون القضا
قوله عز وجل **شهر رمضان** يعني وقت صيامكم شهر رمضان سمي الشهر شهرا

لشهرته يقال للشيء اذا ظهر شهره وسمي الهلال شهرا لشهرته وبيانه وقيل سمي الشهر شهرا
باسم الهلال واما رمضان فاشتقاقه من الرمضا وهي الحجارة المحماة في الشمس وقيل انهم
لما نقلوا اسما الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر
ايام رمض الحر فسموه به وقيل ان رمضان اسم من اسما الله تعالى فيكون معناه شهر الله •
والاصح ان رمضان اسم لهذا الشهر كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان **الذي انزل
فيه القرآن** لما خص الله شهر رمضان بهذه العبادة العظيمة بين سبب تخصيصه بانزال
اعظم كتبه فيه والقرآن اسم لهذا الكتاب المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي عن الشافعي
انه كان يقول القرآن اسم وليس بمهموز وليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة
والانجيل فعلى هذا القول انه ليس بمشتق وذهب الاكثرون الى انه مشتق من القرء وهو الجمع
فسمي قرآنا لانه يجمع السور والايات بعضها الى بعض ويجمع الاحكام والقصص والامثال والايات
الدالة على وحدانية الله تعالى قال ابن عباس انزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة
القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة في سما الدنيا ثم نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم
نجوما في ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله فلا اقسم بمواقع النجوم وروي ابو داود عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت صحف ابراهيم في ثلاث ليال مضين من رمضان وفي رواية
في اول ليلة من رمضان وانزل توراة موسى في ست ليال مضين من رمضان وانزل الانجيل
على عيسى في ثلاث عشر ليلة مضت من رمضان وانزل زبور داود في ثمان عشرة ليلة مضت من
رمضان وانزل الفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين لست بقين بعدها
فعلى هذا يكون ابتداء نزول القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهو قول ابن اسحاق
وابي سليمان الدمشقي وقيل في معنى الاية شهر رمضان الذي نزل بفرض صيامه القرآن
كما تقول نزلت هذه الاية في الصلاة والزكاة ونحو ذلك من الفرايض يروى ذلك عن مجاهد
والضحاك وهو اختيار الحسين بن الفضل **هدى للناس** يعني من الضلالة **وبينات من
الهدى والفرقان** فان قلت هذا فيه اشكال وهو انه يقال ما معنى قوله وبينات من الهدى
بعد قوله هدى للناس قلت انه تعالى ذكر اولا انه هدى ثم الهدى على قسمين تارة يكون
هدى جليا وتارة لا يكون كذلك فكانه قال هو هدى في نفسه ثم قال وهو المبين من الهدى
الفارق بين الحق والباطل وقيل ان القرآن هدى في نفسه فكانه قال ان القرآن هدى للناس
على الاجمال وبينات من الهدى والفرقان على التفصيل لان البينات هي الدلالات الواضحات
التي تبين الحلال والحرام والحدود والاحكام ومعنى الفرقان الفارق بين الحق والباطل قوله
عز وجل **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** اي فمن كان حاضرا مقيما غير مسافر فادركه الشهر
فليصمه والشهود الحضور وقيل هو محمول على العادة بمشاهدة الشهر وهي روية الهلال
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم صوموا لرويته وافطروا لرويته اخرجاه في الصحيحين
ولا كلام انه يصوم رمضان من راى الهلال ومن اخبر به واختلف العلما في وجه المخبر عنه
منهم من قال يجزي فيه خبر الواحد قاله ابو ثور ومنهم من اجراه مجرى الشهادة في سائر
الحقوق قاله مالك ومنهم من اجري اوله مجرى الاخبار فقبل فيه خبر الواحد واجري

اخره



اخره مجرى الشهادة فلا يقبل في اخره اقل من اثنين قاله الشافعي وهذا للاحتياط في امر
العبادة لدخولها وخروجها **ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر** انما كرره
لان الله تعالى ذكر في الاية الاولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخ تخيير المقيم
الصحيح بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا لاحتمل انه يشمل النسخ
الجميع فاعاد بعد ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم ان الحكم باق على ما كان
عليه **فصل** في حكم الاية وفيه مسايل الاولى اختلفوا في المرض المبيح
للفطر على ثلاثة اقوال احدها وهو قول اهل الظاهر اي مرض كان وهو ما يطلق عليه اسم
المرض فله ان يفطر تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله واليه ذهب الحسن وابن
سيرين القول الثاني وهو قول الاصم ان هذه الرخصة مختصة بالمريض الذي
لو صام لوقع في مشقة عظيمة تنزيلا للفظ المطلق على اكمل احواله القول الثالث
وهو قول اكثر الفقها ان المرض المبيح للفطر هو الذي يودي الى ضرر في النفس او زيادة
علة غير محتملة كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتد حماه وصاحب وجع العين يخاف لو
صام ان يشتد وجع عينه فالمراد بالمرض ما يوثر في تعويقه قال الشافعي اذا اجهده
الصوم افطر والا فهو كالصحيح المسالة الثانية الفطر في السفر مباح والصوم جائز
وبه قال عامة العلما وقال ابن عباس وابو هريرة وبعض اهل الظاهر لا يجوز الصوم
في السفر ومن صام فعليه القضا واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام
في السفر وحمله عامة العلما على من اجهده الصوم في السفر فالاولى له الفطر ويدل
على ذلك ما روي عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فراى
زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صايم فقال ليس من البر الصيام في
السفر اخرجه البخاري ومسلم وحجة الجمهور على جواز الصوم والفطر في السفر
ما روي عن انس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فلم يعب الصايم
على المفطر ولا المفطر على الصايم اخرجاه في الصحيحين المسالة الثالثة اختلف
العلما في قدر السفر المبيح للفطر فقال داود الظاهري اي سفر كان ولو كان فرسخا
وقال الاوزاعي السفر المبيح للفطر مسيرة يوم واحد وقال الشافعي واحمد ومالك
اقله مسيرة ستة عشر فرسخا يومان وقال ابو حنيفة واصحابه اقله مسيرة ثلثة
ايام المسالة الرابعة اذا استهل الشهر وهو مقيم ثم انشا السفر في اثنايه جاز
له ان يفطر حالة السفر ويجوز له ان يصوم في بعض السفر وان يفطر في بعضه ان احب
ويدل عليه ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام
الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم افطر وافطر الناس معه وكانوا ياخذون
بالاحدث فالاحدث من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين الكديد
اسم موضع وهو على ثمانية واربعين من مكة المسالة الخامسة اختلفوا في
الافضل فذهب الشافعي الى ان الصوم افضل من الفطر في السفر وبه قال مالك
وابو حنيفة وقال احمد الفطر افضل من الصوم في السفر وقالت طايفة من العلما

مما سوّاه وافضل الامرين ايسرهما لقوله تعالى **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**
المسئلة السادسة يبيح الفطر كل سفر مباح ليس سفر معصية فلا يجوز للعاصي
بسفره ان يترخص برخص الشرع وقوله تعالى فعدة من ايام اخر معناه فافطر فعليه
عدة من ايام اخر ظاهر هذا انه يجوز قضاء الصوم متفرقا وان كان التتابع فيه وفيه
ايضا وجوب القضاء من غير تعيين لزمن القضاء فيدل على جواز التراخي في القضاء ويدل
عليه ايضا ما روي عن عايشة قالت كان يكون علي الصوم من رمضان فما استطيع
ان اقضي الا في شعبان وذلك عن الشغل بالنبي صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين
**يريد الله بكم اليسر** اي التسهيل في هذه العبادة وهي اباحة الفطر للمسافر والمريض
**ولا يريد بكم العسر** اي وقد نفى عنكم الحرج في امر الدين قيل ما خير رجل بين
امرين فاختار ايسرهما الا كان ذلك احب الى الله تعالى **ولتكملوا العدة** اي عدد الايام
التي افطرتم فيها بعذر السفر والمرض والحيض لتقضوا بعددها وقيل اراد عدد
ايام الشهر **ق** عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون
ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له
وفي رواية فاكملوا العدة ثلاثين **ولتكبروا الله** فيه قولان احدهما انه التكبير ليلة العيد
قال ابن عباس حق على المسلمين اذا راوا هلال شوال ان يكبروا وقال الشافعي واحب
اظهار التكبير في العيدين وبه قال مالك واحمد وابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة
لا يكبر في عيد الفطر ويكبر في عيد الاضحى حجة الشافعي ومن وافقه قوله تعالى ولتكملوا
العدة ولتكبروا الله على ما هداكم اي لاجل هذه العبادة القول الثاني في معنى قوله
ولتكبروا الله **على ما هداكم** اي ولتعظموا الله شكرا على ما انعم عليكم ووفقكم للقيام
بهذه العبادة على ما هداكم الى ارشدكم الى طاعته والى ما يرضى به عنكم **ولعلكم تشكرون**
الله على نعمه

## فصل في فضل شهر رمضان وفضل صيامه

**ق** عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل رمضان صفدت الشياطين وفتحت ابواب الجنة
وغلقت ابواب النيران الصفد الغل اي يشده بالاغلال **ق** عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر
ايمانا واحتسابا اي طلبا لوجه الله تعالى وثوابه وقيل ايمانا بانه فرض عليه واحتسابا
ثوابه عند الله وقيل معناه بنية وعزيمة وهو ان يصوم على التصديق والرغبة في
ثوابه طيبة بها نفسه غير كارهة **ق** عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل
عمل ابن ادم يضاعف له الحسنة عشر امثالها الى سبعماية ضعف قال الله تعالى الا
الصوم فانه لي وانا اجزي به يدع شهوته وطعامه من اجلي للصايم فرحتان فرحة
عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصايم عند الله اطيب من ريح المسك
زاد في رواية والصيام جنة فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب
فان شاتمه احد او قاتله فليقل اني صايم قوله كل عمل ابن ادم له معناه ان له فيه حظا
لاطلاع الخلق عليه الا الصوم فانه لا يطلع عليه احد وانما خص الصوم بقوله تعالى لي

وان كان



وان كان جميع الاعمال الصالحة له وهو يجزي عليها لان الصوم لا يظهر من ابن ادم بقول
ولا فعل حتى تكتبه الحفظة وهو من اعمال القلوب بالنية ولا يطلع عليه الا الله تعالى
لقول الله تعالى انما انوا الاجزاء على ما احب لا على حساب ولا كتاب له وقوله وللصايم
فرحتان فرحة عند فطره اي بالطعام لما بالغ به الجوع لتاخذ النفس حاجتها منه وقيل
فرحة بما وفقه من تمام الصوم الموعود عليه بالثواب وهو قوله وفرحة عند لقاء ربه
لما يرى من جزيل ثوابه والخلوف بضم الخاء وفتحها لغتان وهو تغير طعم الفم وريحه لتاخر
الطعام ومعنى كونه اطيب عند الله من ريح المسك هو الثناء على الصايم والرضى بفعله
لئلا يمتنع من المواظبة على الصوم الجالب للخلوف والمعنى ان خلوف فم الصايم ابلغ
عند الله في القبول من ريح المسك عند احدكم قوله الصيام جنة اي حصن من المعاصي
لان الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع المعاصي قوله فلا يرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الانسان
من المراة وقيل هو التصريح بذكر الجماع والصخب الضجر والجلبة والصياح **ق** عن سهل بن سعد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه
الصايمون يوم القيامة يقال اين الصايمون فيقومون لا يدخل منه احد غيرهم فاذا
دخلوا اغلق فلا يدخل منه احد وفي رواية ان في الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى
الريان لا يدخله الا الصايمون عن ابي امامة قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله مرني بامر ينفعني الله به قال عليك بالصوم فانه لا مثل له وفي
رواية اي العمل افضل فقال عليك بالصوم فانه لا عدل له اخرجه النسائي قوله عز
وجل **واذا سالك عبادي عني فاني قريب** قال ابن عباس قال يهود المدينة يا محمد كيف
يسمع ربنا دعانا وانت تزعم ان بيننا وبين السماء خمسماية عام وان غلظ كل سماء مثل ذلك
فنزلت هذه الاية وقيل سال بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اقريب ربنا
فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل انهم سالوه في اي ساعة ندعو ربنا فنزلت هذه
الاية وهذا السؤال لا يخلو اما ان يكون عن ذات الله او عن صفاته او عن افعاله اما
السؤال عن ذات الله فهو سؤال عن القرب والبعد بحسب الذات واما السؤال عن
صفاته تعالى فهو ان يكون السايل سال هل يسمع ربنا دعانا واما السؤال عن
افعاله تعالى فهو ان يكون السايل سال هل يجيب ربنا اذا دعوناه فقوله تعالى واذا
سالك عبادي عني يحتمل هذه الوجوه كلها وقوله تعالى فاني قريب فمعناه قريب بالعلم
والحفظ لا يخفى عليه شيء وفيه اشارة الى سهولة اجابته لمن دعاه وانجاح حاجة من
ساله **ق** عن ابي موسى الاشعري قال لما غزى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر او قال
توجه الى خيبر اشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير الله اكبر لا اله الا الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون
اصم ولا غايبا انكم تدعون سميعا بصيرا قريبا وهو معكم قوله اربعوا على انفسكم
اي ارفقوا بها وقيل معناه امسكوا عن الجهر فانه قريب يسمع دعاكم وقوله تعالى
**اجيب دعوة الداع اذا دعان** اي اسمع دعا عبدي الداعي اذا دعاني وقيل

الدعا عبارة عن التوحيد والثنا على الله تعالى كقول العبد يا الله لا اله الا انت
فقولك يا الله فيه دعا وقولك لا اله الا انت فيه توحيد وثنا على الله تعالى فسمي
هذا دعا بهذا الاعتبار وسمي قبوله اجابة لتجانس اللفظ وفيه اشارة الى ان العبد
يعلم ان له ربا ومدبرا يسمع دعاه ولا يخيب رجا من رجاه وذلك ظاهر فان العبد اذا
دعا ربه باخلاص وتضرع اجابه الله دعوته فان قلت انا نرى الداعي يبالغ في الدعا والتضرع
فلا يجاب له فما وجه قوله اجيب دعوة الداعي وقوله تعالى ادعوني استجب لكم قلت
ذكر العلما فيه اجوبة احدها ان هذه الاية مطلقة وقد وردت اية اخرى مقيدة
وهو قوله بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شا والمطلق يحمل على المقيد
وثانيها ان معنى الدعا هنا هو الطاعة ومعنى الاجابة هو الثواب وذلك في الاخرة
وثالثها ان معنى الايتين خاص وان كان لفظها عاما فيكون معناه اجيب دعوة الداعي
اذا وافق القضا واجيبه اذ كانت الاجابة خيرا له واجيبه اذا لم يسال اثما او
محالا ورابعها ان معناها عام اي اسمع وهي معنى الاية المذكورة في الاية واما
اعطا الامنية فليس بمذكور فالاجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب السيد
عبده ولا يعطيه سوله وخامسها ان للدعا ادابا وشرايط وهي اسباب الاجابة
فمن استعملها واتى بها كان من اهل الاجابة ومن اخطاها كان من اهل الاعتدا في الدعا
فلا يستحق الجواب والله اعلم وقوله تعالى **فليستجيبوا لي** يعني اذا دعوتهم الى الايمان
والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوايجهم والاجابة في اللغة الطاعة فالاجابة
من العبد الطاعة ومن الله الاثابة والعطا **وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون** اي
لكي يهتدوا الى مصالح دينهم ودنياهم **فصل** في فضل الدعا وادابه **ق** عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سما الدنيا حين
يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من
يستغفرني فاغفر له هذا الحديث من احاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران
للعلما احدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين انه يجب الايمان به وانه
حق على ما يليق به وتكل علمه الى الله تعالى ورسوله وان ظاهره المتعارف في حقنا غير
مراد ولا نتكلم في تاويله مع اعتقادنا تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن
الانتقال والحركات والمذهب الثاني مذهب اكثر المتكلمين وجماعة من السلف
انها تؤول على ما يليق به فعلى هذا نقل عن مالك وغيره ان معناه تنزل رحمته وامره
وملايكته وقيل انه على الاستعارة ومعناه الاقبال على الداعين بالاجابة واللطف
وفي الحديث الحث على الدعا والترغيب فيه عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ربكم حي كريم يستحي من عبده اذا رفع اليه يديه ان يردهما صفرا خايبتين اخرجه
ابو داود والترمذي وقال الحديث حسن غريب الصفر الخالي يقال بيت صفر ليس فيه
متاع عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما على الارض مسلم يدعو
الله بدعوة الا اتاه الله اياها او صرف عنه من السو مثلها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم





فقال رجل من القوم اذا نكثر قال الله اكثر اخرجه الترمذي قوله الله اكثر معناه
الله اكثر اجابة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم
موقنون بالاجابة واعلموا ان الله تعالى لا يستجيب دعا من قلب غافل لاه اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ليس شي اكرم على الله من الدعا اخرجه الترمذي وله عن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال الدعا مخ العبادة وله عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من فتح له باب من الدعا فتحت له ابواب الرحمة وما يسال الله شيا احب اليه
من ان يسال العافية وان الدعا ينفع مما نزل ومما لم ينزل وله عن سلمان ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضا الا الدعا ولا يزيد في العمر الا البر
وله عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يسال الله يغضب
عليه **ق** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول
قد دعوت فلم يستجب لي ولمسلم قال لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم
او قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول
قد دعوت فلم يستجب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعا قوله يستحسر
اي ينقطع عن السوال واصله من حسر الطرف اذا كل وضعف **ق** عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا احدكم فلا يقل اللهم
اغفر لي ان شيت اللهم ارحمني ان شيت وليعزم المسيلة فان الله لا مكره له
زاد البخاري ارزقني ان شيت ليعزم مسيلة فانه يفعل ما يشا لا مكره له قوله ليعزم
المسيلة اي لا تكن في دعايك ربك مترددا بل اعزم وجد في المسيلة عن فضالة بن
عبيد قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره اذا صلى احدكم فليبدا بحمد الله والثنا عليه ثم ليصل على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شا اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح قوله عز وجل **احل
لكم ليلة الصيام الرفث الى نسايكم** سبب نزول هذه الاية انه كان في ابتدا الامر بالصوم
اذا افطر الرجل حل له الطعام والشراب والجماع الى ان يصلي العشا الاخرة او يرقد قبلها
فاذا صلى او رقد حرم عليه ذلك كله الى الليلة القابلة ثم ان عمر بن الخطاب واقع اهله
بعد ما صلى فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اعتذر الى الله واليك من هذه الخطيية اني رجعت الى اهلي بعد ما صليت
العشا فوجدت رايحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت اهلي فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثل ذلك فنزلت في عمر
واصحابه احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسايكم الرفث كلام يستقبح ذكره من ذكر
الجماع ودواعيه وهو هنا كناية عن الجماع قال ابن عباس ان الله تعالى حيي كريم يكني
فما ذكره من المباشرة والملامسة وغير ذلك انما هو الجماع **هن لباس لكم** اي سكن
اليكم **وانتم لباس لهن** اي سكن لهن قيل لا يسكن شي الى شي كسكون احد الزوجين

الى الاخر ويسمى كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد عند النوم وقيل اللباس اسم لما يواري كل واحد منهما ستر لصاحبه عما لا يحل كما جاء في الحديث من تزوج فقد احرز ثلثي دينه **علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم** قال ابن عباس يريد فيما ائتمنكم عليه وخيانتهم انه كانوا يباشرون في ليالي الصوم والمعنى يظلمونها بالجماع بعد العشاء وهو من الخيانة واصل الخيانة ان يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي فيه الامانة ويقال للعاصي خاين لانه مؤتمن على دينه **فتاب عليكم** اي فتبتم فتاب عليكم وتجاوز عنكم **وعفا عنكم** اي محى ذنوبكم خ عن البراء قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله فكان رجال يخونون انفسهم فانزل الله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم الاية قال ابن عباس فكان ذلك مما نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر **فالان باشروهن** اي جامعوهن فهو حلال لكم في ليالي الصوم وسميت المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد بصاحبه **وابتغوا ما كتب الله لكم** اي ما قضى في اللوح المحفوظ يعني الولد وقيل وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم باباحة الاكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ وقيل اطلبوا ليلة القدر **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود** نزلت في صرمة بن قيس بن صرمة الانصاري ويقال لقيس بن صرمة وذلك انه ظل يعمل في ارض له وهو صايم فلما امسى رجع الى اهله بتمر وقال لاهله قدمي الطعام فارادت المراة ان تطعمه شيئا سخنا فاخذت المراة تعمل له ذلك فلما فرغ فاذا هو قد نام وكان قد اعيى من التعب فايقظته فكره ان يعصي الله ورسوله وابى ان ياكل واصبح صايما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما افاق اتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما راه قال يا ابا القيس ما لك امسيت طليحا فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وقوله طليحا اي معيى ولا مجهودا خ عن البراء قال كان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اذا كان الرجل صايما فحضر الافطار اتى امراته فقال لا عندك طعام قالت لا ولكن انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه فجاءته امراته فلما راته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسايكم ففرحوا بها فرحا شديدا ونزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ومعنى الاية وكلوا واشربوا في ليالي الصوم حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود بياض النهار من سواد الليل وسمي خيطا لان كل واحد منهما يبدو في الافق ممتدا كالخيط قال الشاعر

فلما اضاءت لنا سدفة • ولاح من الصبح خيط انار

السدفة اختلاط الظلام واسدف الفجر اضاء ق عن سهل بن سعد قال لما نزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال ياكل حتى يتبين له رويتهما فانزل الله عز وجل بعده **من الفجر** فعلموا انه انما يعني الليل والنهار



ق عن عدي بن حاتم لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود عمدت الى عقال اسود وعقال ابيض فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر في الليل فلا يستبين لي فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال انما ذلك سواد الليل وبياض النهار عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن ام مكتوم وكان ابن ام مكتوم رجلا اعمى لا ينادي حتى يقال له اصبحت اصبحت واعلم ان الفجر الذي يحرم به على الصايم الطعام والشراب والجماع هو الفجر الصادق المستطير المنتشر في الافق سريعا لا الفجر الكاذب المستطيل فان قلت كيف شبه الصبح الصادق بالخيط والخيط مستطيل قلت ان القدر الذي يبدو من البياض هو اول الصبح يكون دقيقا صغيرا ثم ينتشر فلهذا شبه بالخيط والفرق بين الفجر الصادق والفجر الكاذب ان الفجر الكاذب يبدو في الافق فيرتفع مستطيلا ثم يضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر الصادق بعده منتشرا في الافق مستطيرا م عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغرنكم من سحوركم اذان بلال ولا بياض الافق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وحكاه حماد بيديه وقال يعني معترضا وفي رواية الترمذي لا يمنعكم من سحوركم اذان بلال ولا الفجر المستطيل ولكن الفجر المستطير في الافق فاذا تحقق طلوع الفجر الثاني فهو الصادق حرم على الصايم الطعام والشراب والجماع الى غروب الشمس وهو قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل يعني منتهى الصوم الى الليل فاذا دخل الليل حصل الفطر ق عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل من ههنا وادبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد افطر الصايم وهل يلزم الصايم ان يتناول عند تحقق غروب الشمس شيئا فيه وجهان احدهما نعم يلزمه ذلك لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال والثاني لا لانه قد حصل الفطر بمجرد دخول الليل سواء اكل او لم ياكل وتمسكت الحنفية بهذه الاية في ان صوم النفل يجب اتمامه وقالوا لان قوله تعالى **ثم اتموا الصيام الى الليل** امر وهو للوجوب وهو يتناول كل الصيام اجاب اصحاب الشافعي عنه بان هذا انما ورد في احكام صوم الفرض فكان المراد منه صوم الفرض ويدل على اباحة الفطر من النفل ما روي عن عايشة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال هل عندكم شيء قلنا لا قال فاني اذا صايم ثم اتانا يوما اخر فقلنا يا رسول الله اهدي لنا حيس فقال ارينيه فلقد اصبحت صايما فاكل اخرجه مسلم الحيس هو خلط الاقط والتمر والسمن وقد يجعل عوض الاقط دقيق او فتيت وقيل هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول اعرف قوله عز وجل **ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد** الاعتكاف هو الاقبال على الشيء والملازمة على سبيل التعظيم وهو في الشرع عبارة عن الاقامة في المسجد على عبادة الله وسبب نزول هذه الاية ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعتكفون في المساجد فاذا عرض لرجل منهم حاجة الى اهله خرج اليها وخلا بها ثم اغتسل ورجع الى المسجد فنهوا عن ذلك حتى يفرغوا اعتكافهم واعلم ان الله تعالى بين ان الجماع يحرم على الصايم بالنهار ويباح له في الليل فكان يحتمل ان يكون حكم الاعتكاف كحكم الصوم

فبين الله تعالى في هذه الاية ان الجماع يحرم على المعتكف في النهار والليل حتى يخرج
من اعتكافه **فصل** في حكم الاعتكاف والاعتكاف سنة ولا يجوز في غير المسجد
وذلك لان المسجد يتميز عن ساير البقاع بالفضل لانه بني لاقامة الطاعات والعبادات
ثم اختلفوا فنقل عن علي انه لا يجوز الا في المسجد الحرام لقوله وطهر بيتي للطايفين والعاكفين
والركع السجود فخصه به وقال عطا لا يجوز الا في المسجد الحرام ومسجد المدينة وقال حذيفة
يجوز في هذين المسجدين ومسجد بيت المقدس وقال الزهري لا يصح الا في الجامع وقال ابو
حنيفة لا يجوز الا في مسجد له امام ومؤذن وقال الشافعي ومالك واحمد يجوز في ساير
المساجد لعموم قوله وانتم عاكفون في المساجد الا ان المسجد الجامع افضل حتى لا يحتاج
الى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة **ق** عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف ازواجه بعده **م**
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان فروع
الاول يجوز الاعتكاف بغير صوم والافضل ان يصوم معه وقال ابو حنيفة الصوم شرط
في الاعتكاف ولا يصح الا به وحجة الشافعي ما روي عن ابن عمر قال يا رسول الله اني نذرت في
الجاهلية ان اعتكف ليلة في المسجد الحرام قال فاوف بنذرك اخرجاه في الصحيحين ومعلوم
انه لا يصح الصوم في الليل الفرع الثاني لا يقدر للاعتكاف زمان عند الشافعي واقل الخطة
ولا حد لاكثره فلو نذر اعتكاف ساعة صح نذره ولو نذر ان يعتكف مطلقا يخرج عن نذره
باعتكاف ساعة قال الشافعي واحب ان يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج من الخلاف
فان اقل زمن الاعتكاف عند مالك وابو حنيفة يوم يشترط ان يدخل فيه قبل طلوع الفجر
ويخرج منه بعد غروب الشمس الفرع الثالث الجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسد
به واما ما دون الجماع كالقبلة ونحوها فمكروه ولا يفسد به عند اكثر العلما وهو اظهر
قولي الشافعي والثاني يبطل به وهو قول مالك وقيل ان انزل بطل اعتكافه وان لم
ينزل فلا وهو قول ابي حنيفة واما الملامسة بغير شهوة فجايز ولا يفسد به الاعتكاف
لما روي عن عايشة انها كانت ترجل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حايض وهو معتكف
في المسجد وهي في حجرتها يناولها راسه زاد في رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة
اذا كان معتكفا وفي رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة الانسان اخرجاه في
الصحيحين الترجيل تسريح الشعر وقولها الا لحاجة حوايج الانسان كثيرة والمراد
منها هنا ما يضطر الانسان اليه مما لا يجوز له فعله في المسجد وموضع معتكفه وقوله
تعالى **تلك حدود الله** يعني تلك الاحكام التي ذكرت في الصيام والاعتكاف من تحريم الاكل
والشرب والجماع حدود الله وقيل حدود الله فرايض الله واصل الحد في اللغة المنع
والحد الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط احدهما بالاخر وحد الشي الوصف
المحيط بمعناه المميز له عن غيره وقيل معنى حدود الله المقادير التي قدرها ومنع
من مخالفتها **فلا تقربوها** اي فلا تاتوها ولا تغشوها فان قلت في الاية اشكالان
الاول هو انه قال تلك حدود الله وهو اشارة الى ما تقدم من الاحكام وبعضها فيه اباحة





وبعضها فيه حظر فكيف قال في الجميع فلا تقربوها وقال في اية اخرى تلك حدود الله
فلا تعتدوها وفي اية اخرى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف الجمع بين
هذه الايات قلت الجواب عن السوالين من وجهين اما الاشكال الاول فجوابه ان
الاحكام التي تقدمت فيما قبل وان كانت كثيرة الا ان اقربها الى هذه الاية قوله تعالى ولا
تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد وذلك يوجب تحريم الجماع في حال الاعتكاف
وقال قبلها ثم اتموا الصيام الى الليل وذلك يوجب تحريم الاكل والشرب في النهار فلما
كان اقرب الى هذه الاية جانب التحريم قال تلك حدود الله فلا تقربوها والجواب عن
الاشكال الثاني ان من كان في طاعة الله تعالى والعمل بفرايضه فهو متصرف في حيز الحق
فنهي ان يتعداه فيقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز
بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل فيقع فيه فهو كقوله صلى الله عليه وسلم
كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه وقيل اراد بحدوده هنا محارمه ومناهيه
لقوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد ونحوها من التحريم فهي حدود
لا تقرب **كذلك** اي كما بين لكم ما امركم ونهاكم عنه كذلك **يبين الله اياته** اي معالم دينه
واحكام شريعته **للناس** مثل هذا البيان الشافي الوافي **لعلهم يتقون** اي لكي
يتقوا ما حرم عليهم فينجوا من العذاب قوله عز وجل **ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل**
نزلت في امرء القيس بن عابس الكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحضرمي الك بينة
قال لا قال فلك يمينه فانطلق ليحلف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان
حلف على ماله لياكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض فانزل الله هذه الاية والمعنى
لا ياكل بعضكم مال بعض بالباطل اي من غير الوجه الذي اباحه الله له واصل الباطل
الشي الذاهب **فصل** اما حكم الاية فاكل المال بالباطل على وجوه الاول
ان ياكله بطريق التعدي والنهب والغصب الثاني ان ياكله بطريق اللهو كالقمار
واجرة المغني وثمن الخمر والملاهي ونحو ذلك الثالث ان ياكله بطريق الرشوة في الحكم
وشهادة الزور الرابع الخيانة وذلك في الوديعة والامانة ونحو ذلك وانما عبر عن
اخذ المال بالاكل لانه المقصود الاعظم ولهذا وقع في التعارف فلان ياكل اموال
الناس بمعنى ياخذها بغير حلها **وتدلوا بها الى الحكام** اي وتلقوا امور تلك الاموال
التي فيها الحكومة الى الحكام قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه المال وليس عليه بينة
فيجحد ويخاصم الى الحكام وهو يعلم ان الحق عليه وهو اثم بمنعه وقيل هو ان يقيم شهادة
الزور عند الحاكم وهو يعلم ذلك وقيل معناه ولا تاكلوا المال بالباطل وتنسبوه
الى الحكام وقيل لا تدلي بمال اخيك الى الحاكم وانت تعلم انك ظالم فان قضاه لا يحل حراما
وكان شريح القاضي يقول اني لاقضي لك واني لاظنك ظالما ولكن لا يسعني الا ان اقضي
بما يحضرني من البينة وان قضاي لا يحل لك حراما **ق** عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج اليهم فقال انما انا بشر وانه ياتيني الخصم

فلعل بعضهم ان يكون ابلغ من بعض وفي رواية الحسن بحجته من بعض فاحسب انه صادق
فاقضي له فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليحملها او يذرها قوله
سمع جلبة خصم يعني اصوات خصم قوله الحن بحجته يقال فلان الحن بحجته من فلان
اي افطن لها منه واقدر عليها من اللحن بفتح الحاء وهو الفطنة لتاكلوا فريقا اي
طايفة وقطعة من اموال الناس بالاثم يعني الظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة
وقيل بشهادة الزور وانتم تعلمون يعني انكم على الباطل قوله عز وجل
يسالونك اي يا محمد عن الاهلة نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين
قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلي نورا ثم لا يزال
ينقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حالة واحدة فانزل الله يسالونك
عن الاهلة وكان هذا سوال منهم على وجه الفايدة عن وجه الحكمة في تبيين حال
الهلال في الزيادة والنقصان والاهلة جمع هلال وهو اول حال القمر حين يراه الناس
اول ليلة من الشهر قل هي مواقيت للناس جمع ميقات والمعنى انا فعلنا ذلك لمصالح دينية
ودنيوية ليعلم الناس اوقات حجهم وصومهم وافطارهم ومحل ديونهم ولاجارهم وعدد
النسا واوقات الحيض وغير ذلك من الاحكام المتعلقة بالاهلة ولهذا الفرق بينه
وبين الشمس التي هي دايمة على حالة واحدة والحج اي وللحج وانما افرد الحج بالذكر وان كان
داخلا في جملة العبادات لفايدة عظيمة وهي ان العرب في الجاهلية كانت تحج بالعدد
وتبدل الشهور فابطل الله ذلك من فعلهم واخبر ان الحج مقصور على الاشهر التي عينها
لفرض الحج بالاهلة وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر التي عينها الله تعالى له كما كانت
العرب تفعل بالنسي وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ق عن البرا نزلت هذه
الاية فينا فكانت الانصار اذا حجوا فجاوا فلم يدخلوا من قبل ابواب بيوتهم فجا رجل
من الانصار فدخل من قبل بابه فكانه عير بذلك فنزلت وليس البر بان تاتوا البيوت
من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها وفي رواية كانوا اذا احرموا
في الجاهلية اتوا البيت من ظهره فانزل الله هذه الاية وقيل كان الناس في الجاهلية
في اول الاسلام اذا احرم الرجل منهم لم يدخل حايطا ولا دارا ولا فسطاطا فان كان
من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد منه وان
كان من اهل الوبر دخل وخرج من خلف الخبا ولا يدخل ولا يخرج من الباب ويرون ذلك
برا وكانت الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة ومن دان بدينهم سموا حمسا لتشددهم
في دينهم والحماسة الشدة وكانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيتا البتة ولم يستظلوا ابطل
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حايطا فدخل رجل من الانصار معه وقيل كانت
الحمس لا يبالون بذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ذات يوم بيتا فدخل
على اثره رجل من الانصار يقال له رفاعة بن التابوت من الباب وهو محرم فانكروا عليه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وانت محرم فقال رايتك دخلت
فدخلت على اثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني احمسي فقال الرجل ان كنت احمسيا





فانا احمسي رضيت بهديك وسمتك ودينك فانزل الله تعالى هذه الاية وقال الزهري
كان ناس من الانصار اذا اهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السما شي وكان الرجل يخرج
مهلا بالعمرة فتبدو له الحاجة بعد ما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة
من اجل سقف البيت ان يحول بينه وبين السما فيفتح الجدار من وراية ثم يقوم في حجرته
فيامر بحاجته حتى بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل زمن الحديبية بالعمرة
فدخل رجل فدخل حجرة فدخل رجل من الانصار من بني سلمة على اثره فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لم فعلت ذلك قال لاني رايتك دخلت فقال عليه الصلاة والسلام اني احمسي
فقال الانصاري وانا احمسي يقول انا على دينك فانزل الله تعالى وليس البر بان تاتوا
البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها يعني في حال الاحرام
وغيره واتقوا الله لعلكم تفلحون قوله عز وجل وقاتلوا في سبيل الله اي في طاعة
الله وطلب رضوانه ق عن ابي موسى الاشعري قال سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل ريا اي ذلك في سبيل الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ..
الذين يقاتلونكم كان في ابتدا الاسلام امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالكف
عن قتال المشركين ثم لما هاجر الى المدينة امر بقتال من قاتله منهم بهذه الاية
فقال الربيع بن انس هذه اول اية نزلت في القتال ثم امر الله بقتال المشركين
كافة قاتلوا او لم يقاتلوا بقوله تعالى فاقتلوا المشركين كافة وبقوله اقتلوهم
حيث ثقفتموهم فصارت اية السيف ناسخة لهذه الاية وقيل انها محكمة ومعناها
على هذا القول وقاتلوا في سبيل الله الذين وعدوا انفسهم القتال فاما من لم يعد
نفسه للقتال كالرهبان والشيوخ والزمنى والمكافيف والمجانين فلا تقاتلوهم
لانهم لم يقاتلوكم وهو قوله تعالى ولا تعتدوا وقال ابن عباس ولا تقتلوا النسا
والصبيان والشيوخ والرهبان ولا من القى اليكم السلام م عن بريدة قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امر اميرا على جيش او سرية اوصاه في خاصته
بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا باسم الله في سبيل الله فاقتلوا
من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا قوله ولا
تغلوا الغلول الخيانة وهو ما يخفيه احد الغزاة من الغنيمة وقوله ولا تغدروا اي
ولا تنقضوا العهد وقيل في معنى الاية لا تعتدوا اي لا تبدوهم بالقتال فعلى هذا
القول تكون الاية منسوخة باية القتال قال ابن عباس لما صد المشركون رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة
ايام فيطوف بالبيت فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لعمرة القضا
خافوا ان لا تفي قريش بما قالوا وان يصدوهم عن البيت وكره المسلمون قتالهم في الشهر
الحرام وفي الحرم فانزل الله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فاطلق لهم قتال
الذين يقاتلونهم في الشهر الحرام وفي الحرم ورفع عنهم الحرج والجناح في ذلك وقال

ولا تبتدؤا بالقتال ان الله لا يحب المعتدين قوله عز وجل واقتلوهم حيث
ثقفتموهم اي حيث وجدتموهم وادركتموهم في الحل والحرم وتحقيق القول فيه
ان الله تعالى امر بالجهاد في الاية الاولى بشرط اقدام الكفار على القتال وفي هذه الاية
امر بالجهاد معهم سوا قاتلوا او لم يقاتلوا واستثنى منه المقاتلة عند المسجد الحرام
واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي واخرجوهم من ديارهم كما اخرجوكم من دياركم والفتنة
اشد من القتل اي ان شركهم بالله اشد واعظم من قتلكم اياهم في الحرم والاحرام
وانما سمي الشرك بالله فتنة لانه فساد في الارض يودي الى الظلم وانما جعل اعظم
من القتل لان الشرك بالله ذنب يستحق صاحبه الخلود في النار وليس القتل كذلك
والكفر يخرج صاحبه من الامة وليس القتل كذلك فثبت ان الفتنة اشد من القتل
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه اختلف العلما في هذه الاية
فذهب مجاهد في جماعة من العلما الى انها محكمة وانه لا يحل ان يقاتل في المسجد
الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله فان قاتلوكم فاقتلوهم اي فقاتلوهم وثبت
في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان مكة لا تحل لاحد قبلي ولا تحل
لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة فثبت
بهذا تحريم القتال في الحرم الا ان يقاتلوا فيقاتلوا ويكون دفعا لهم وذهب قتادة
الى ان هذه الاية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فامر بقتالهم
في الحل والحرم وقيل انها منسوخة بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كذلك
جزا الكافرين فان انتهوا يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر فان الله
غفور يعني لما سلف رحيم يعني بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة وقاتلوهم
اي وقاتلوا المشركين حتى لا تكون فتنة اي شرك والمعنى وقاتلوهم حتى يسلموا
ولا يقبل من الوثني الا الاسلام او القتل بخلاف الكتابي والفرق بينهما ان اهل
الكتاب معهم كتب منزلة وفيها شرايع واحكام يرجعون اليها وان كانوا قد حرفوا
وبدلوا فامهلهم الله تعالى بحرمة تلك الكتب من القتل وامر باصغارهم واخذ الجزية
منهم لينظروا في كتبهم ويتدبروها فيقفوا على الحق منها فيتبعوه كفعل مومني
اهل الكتاب الذين عرفوا الحق فاسلموا واما عبدة الاصنام فلم يكن لهم كتاب يرجعون
اليه ويرشدهم الى الحق فكان امهالهم زيادة في شركهم وكفرهم فابى الله عز وجل
ان يرضى منهم الا بالاسلام او القتل ويكون الدين لله اي الطاعة والعبادة
لله وحده فلا يعبد من دونه شي فان انتهوا يعني عن القتال وقيل عن الشرك
والكفر فلا عدوان اي فلا سبيل الا على الظالمين قال ابن عباس فعلى القول الاول
تكون الاية منسوخة باية السيف وعلى القول الاخر الاية محكمة وقيل معناه
فلا تظلموا الا الظالمين سمي جزا الظالمين ظلما على سبيل المشاكلة وسمي الكافر
ظالما لوضعه العبادة في غير موضعها قوله عز وجل الشهر الحرام بالشهر الحرام
نزلت في عمرة القضا وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا في ذي القعدة

سنة

سنة ست من الهجرة فصده المشركون عن البيت بالحديبية فصالح اهل مكة على ان
ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل ويقضي عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم رجع في ذي القعدة سنة سبع فقضى عمرته وذلك قوله تعالى الشهر الحرام يعني ذا
القعدة الذي دخلتم فيه مكة وقضيتم عمرتكم بالشهر الحرام الذي صددتم فيه عن البيت
والحرمات جمع حرمة وانما جمعت لانه اراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام
قصاص والقصاص المساواة والمماثلة وهو ان يفعل بالفاعل مثل ما فعل والمعنى
انهم لما منعوكم عن العمرة واضاعوا هذه الحرمات في سنة ست فقد وفقتم حتى
قضيتموها على زعمهم في سنة سبع وقيل هذا في القتال ومعناه فان بدؤكم بالقتال
في الشهر الحرام فاقتلوهم فيه فانه قصاص فمن اعتدى عليكم اي بالقتال فاعتدوا
عليه اي فقاتلوه بمثل ما اعتدى عليكم سمي الجزا بالاعتدا على سبيل المشاكلة
واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين قوله عز وجل وانفقوا في سبيل الله يعني به
الجهاد وذلك ان الله تعالى لما امر بالجهاد والاشتغال به يحتاج الى الانفاق فامر به
والانفاق هو صرف المال في وجوه المصالح الدينية كالانفاق في الحج والعمرة وصلة الرحم
والصدقة وفي الجهاد وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة لله
تعالى لان كل ذلك مما هو في سبيل الله لكن اطلاق هذه اللفظة ينصرف الى الجهاد خ عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا
بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني
حسنات عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة في
سبيل الله كتبت له سبعماية ضعف اخرجه الترمذي والنساي ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة قيل الباء زايدة ومعناه لا تلقوا ايديكم الى التهلكة والمراد بالايدي الانفس
والمعنى ولا تلقوا انفسكم الى التهلكة عبر بالايدي عن الانفس وقيل الباء على اصلها
وفي الكلام حذف تقديره ولا تلقوا انفسكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان نفسه
بيده اذا تسبب في هلاكها وقيل التهلكة كل شي تصير عاقبته الى الهلاك وقيل التهلكة
ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه ومعنى الاية النهي عن ترك الانفاق
في سبيل الله لانه سبب الهلاك قال ابن عباس انفق في سبيل الله وان لم يكن لك
الا سهم او مشقص ولا يقول احدكم لا احد شيا السهم هنا هو ما يرمى به والمشقص
سهم فيه نصل عريض وقيل كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة فاما ان ينقطع
بهم واما ان يكونوا عالة فامرهم الله تعالى بالانفاق على انفسهم في سبيل الله ومن لم
يكن عنده شي ينفق عليه في الغزو فلا يخرج بلا نفقة فيلقي بنفسه في التهلكة وهو ان يهلك
من الجوع والعطش والمشي وقيل نزلت الاية في ترك الجهاد عن ابي عمران واسمه اسلم
قال كنا بمدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين
مثلهم واكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من
المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس سبحان الله يلقي بيديه الى التهلكة

فقام ابو ايوب الانصاري فقال يا ايها الناس انكم لتتاولون هذه الاية هذا التاويل وانما نزلت
هذه الاية فينا معشر الانصار لما اعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اموالنا قد ضاعت وان الله قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو
اقمنا في اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تعالى على نبينا صلى الله عليه وسلم يرد علينا
ما قلنا وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وكانت التهلكة الاقامة
على الاموال واصلاحها وتركنا الغزو فما زال ابو ايوب شاخصا في سبيل الله
حتى دفن بارض الروم وقيل حديث غريب صحيح مات ابو ايوب في اخر غزوة غزاها
بارض قسطنطينية ودفن في اصل سورها فهم يتبركون بقبره ويستسقون
به م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث
نفسه به مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك فنرى ان ذلك كان على عهد النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل الالقاء الى التهلكة هو ان يقنط من رحمة الله وهو ان الرجل يصيب
الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة فييأس من رحمة الله وينهمك على المعاصي فهو القنوط
فنهاهم الله عن ذلك وقيل في معنى الاية انفقوا في سبيل الله ولا تقولوا انا نخاف الفقر
ان انفقنا فنهلك فنهوا ان يجعلوا انفسهم هالكين بالانفاق خ عن حذيفة قال انفقوا
في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال نزلت في النفقة واحسنوا اي بالانفاق
على من تلزمكم نفقته ومؤنته وقيل احسنوا في الانفاق ولا تسرفوا ولا تقتروا نهوا
عن الاسراف والاقتار في الانفاق وقيل معناه واحسنوا في اداء فرائض الله تعالى
ان الله يحب المحسنين اي يثيبهم على احسانهم قوله عز وجل واتموا الحج والعمرة
لله قال ابن عباس هو ان يتمهما بمناسكهما وحدودهما وسننهما وقيل اتمامهما ان تحرم
بهما من دويرة اهلك وقيل ان تفرد كل واحد منهما بسفر وقيل اتمامهما ان تكون النفقة
حلالا وتنتهي عما نهى الله عنه وقيل اتمامهما ان تخرج من اهلك لهما لا لتجارة ولا لحاجة
وقيل اذا شرع فيهما وجب عليه الاتمام **فصل** واتفقت الامة على
وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا م عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أفي كل عام يا رسول الله
فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت
ولما استطعتم وفي وجوب العمرة قولان للشافعي اصحهما انها واجبة وهو قول
علي وابن عمر وابن عباس والحسن وابن سيرين وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومجاهد
واليه ذهب احمد بن حنبل والقول الثاني انها سنة وروي ذلك عن ابن مسعود
وجابر وابراهيم والشعبي واليه ذهب مالك وابو حنيفة حجة من اوجب العمرة ما روي
في حديث الصبي بن معبد انه قال لعمر بن الخطاب اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي
واني اهللت بهما فقال هديت لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود
والنسائي باطول من هذا ووجه الدليل انه اخبر عن وجوبهما عليه وصوبه عمر وبين انه
انه مهتد بما رآه في وجوبهما عليه لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس انه

لقرينتها



لقرينتها في كتاب الله واتموا الحج والعمرة لله وعن ابن عمر قال الحج والعمرة فريضتان وعنه
ليس احد من خلق الله الا وعليه حجة وعمرة واجبتان من استطاع الى ذلك سبيلا وعن ابن عباس
قال العمرة واجبة كوجوب الحج وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب
والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة اخرجه النسائي والترمذي وزاد وما
من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه وقال حديث حسن صحيح وجه
الدليل انه امر بالمتابعة بين الحج والعمرة والامر للوجوب ولانها قد نظمت مع الحج
في الامر بالاتمام فكانت واجبة كالحج وحجة من قال بانها سنة ما روي عن جابر قال
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة اواجبة هي قال لا وان تعتمروا خير لكم
اخرجه الترمذي واجيب عنه بان هذا الحديث يرويه حجاج بن ارطاة وحجاج ليس
ممن يقبل منه ما تفرد به لسوء حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به واجمعت الامة
على جواز اداء الحج والعمرة على ثلاثة انواع افراد وتمتع وقران فصورة الافراد ان يحج
ثم بعد فراغه منه يعتمر من ادنى الحل ويعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة
وصورة التمتع ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج ويأتي باعمالها فاذا فرغ من اعمالها احرم
بالحج من مكة في تلك السنة وانما سمي متمتعا لانه يستمتع بمحظورات الاحرام بعد
التحلل من العمرة الى ان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج فينويهما بقلبه وكذلك
لو احرم بالعمرة في اشهر الحج ثم ادخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير قارنا
واختلفوا في الافضل فذهب مالك والشافعي الى ان الافراد افضل ثم التمتع ثم
القران يدل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
افرد الحج اخرجه مسلم وله عن ابن عمر قال اهللنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالحج مفردا وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل بالحج مفردا وله عن جابر
قال قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صراخا وعن ابن عمر قال
افصلوا بين حجكم وعمرتكم فان ذلك اتم لحج احدكم واتم لعمرته ان يعتمر في غير اشهر
الحج اخرجه مالك في الموطا وذهب الثوري وابو حنيفة الى ان القران افضل يدل عليه
ما روي عن انس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا وفي رواية
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك عمرة وحجا اخرجاه في الصحيحين وذهب
احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه الى ان التمتع افضل يدل عليه ما روي عن ابن عباس
قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان واول من نهى عنهما معاوية
اخرجه الترمذي ق عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع
بالعمرة الى الحج واهدى فساق معه الهدي من ذي الحليفة وبدأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة
الى الحج وكان من الناس من اهدى ومنهم من لم يهد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة قال للناس من كان منكم اهدى فانه لا يحل من شيء حرم منه حتى يقضي حجه ومن لم

ومن لم يكن منكم اهدي فليطف بالبيت والصفا والمروة وليقصر وليحلل ثم ليهلل بالحج
وليهد فمن لم يجد هديا فليصم ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجع الى اهله وطاف
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن اول شي ثم خب ثلاثة
اطواف من السبع ومشى اربعة اطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام
ركعتين ثم سلم فانصرف فاتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة اشواط ثم لم يحلل
من شي حرم منه حتى قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وافاض وطاف بالبيت ثم حل
من شي حرم منه وفعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهدى فساق
الهدي من الناس اختلفت الروايات في حجة النبي صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا
او متمتعا او قارنا وهي الثلاثة اقوال للعلما بحسب مذاهبهم السابقة ورجحت
كل طايفة نوعا وادعت ان حجة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات
الصحابة واختلافهم في حجته صلى الله عليه وسلم انه كان اولا مفردا ثم انه صلى الله عليه وسلم
احرم بالعمرة بعد ذلك وادخلها على الحج فصار قارنا فمن روى انه كان مفردا فهو الاصل
ومن روى التمتع اراد التمتع اللغوي وهو الانتفاع والارتفاق وقد ارتفق بالقران
كارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد وبهذا امكن الجمع بين الاحاديث
المختلفة في صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعي عنه في كتاب اختلاف الحديث
كلاما موجزا في ذلك فقال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد
والقارن والمتمتع وكل كان ياخذ منه امر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل
اليه على معنى انه امر به واذن فيه ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الامر به
كما يجوز اضافته الى فاعله كما يقال بنى فلان داره واريد به انه امر ببنايها وكما
روى ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وانما امر برجمه واختار الشافعي الافراد
واحتج في ترجيحه انه صح ذلك من رواية جابر وابن عمر وابن عباس وعايشة وهولاء لهم
مزية في حجة الوداع على غيرهم فاما جابر فهو احسن الصحابة سياقة لرواية حديث
حجة الوداع فانه ذكرها من حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى اخرها فهو
اضبط لها من غيره واما ابن عمر فصح عنه انه كان اخذ بخطام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم
في حجة الوداع وانما سمعه يلبي بالحج واما ابن عباس فمحله من العلم والفقه والدين معروف
مع كثرة بحثه عن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عايشة فقربها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم معروف واطلاعها على باطن امره وظاهره مع كثرة فقهها وعلمها
ومن دلايل ترجيح الافراد ان الخلفا الراشدين افردوا الحج بعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وواظبوا عليه واركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعي
بين الصفا والمروة وحلق الراس او التقصير وهذه الاركان تمام الحج والعمرة قوله تعالى
**فان احصرتم** اصل الحصر في اللغة الحبس والتضييق ثم اختلف اهل اللغة في الحصر
والاحصار فقيل اذا رد الرجل عن وجه يريده فقد احصر واذا حبس فقد حصر وقال
ابن السكيت احصره المرض اذا منعه من السفر او حاجة يريدها وحصره العدو اذا

ضيق

ضيق عليه وقال الزجاج الرواية عن اهل اللغة يقال للذي يمنعه الخوف او المرض
احصر وللمحبوس حصر وقال ابن قتيبة في قوله فان احصرتم هو ان يعرض للرجل ما يحول
بينه وبين الحج من مرض او كسر او عدو يقال احصر فهو محصر فان حبس في دار او سجن
قيل حصر فهو محصور وذهب قوم الى انهما بمعنى واحد قال الزجاج يقال للرجل من
حصرت هنا ومن احصرت وقال احمد بن يحيى اصل الحصر والاحصار الحبس وحصر في
الحبس اقوى من احصر وقيل الاحصار يقال في المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن
كالمرض والحصر لا يقال الا في المنع الباطن وقوله فان احصرتم محمول على الامرين
وبحسب اختلاف اهل اللغة في معناها اختلف العلما في حكمها فذهب قوم الى
ان كل مانع من عدو او مرض او ذهاب نفقة فانه يبيح له التحلل من احرامه وهو
قول عطا ومجاهد وقتادة وهو مذهب ابي حنيفة ويدل عليه ما روي عن عكرمة
قال حدثني الحجاج بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد
حل وعليه حجة اخرى قال عكرمة فذكرت ذلك لابي هريرة وابن عباس فقالا صدق
اخرجه ابو داود والنساي والترمذي وقال حديث حسن وذهب قوم الى انه لا
يباح له التحلل الا بحبس العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس وانس وبه قال مالك
والليث والشافعي واحمد وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا بان نزول الاية
كان في قصة الحديبية في سنة ست وكان ذلك حبسا من جهة العدو لان كفار مكة
منعوا النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الاية فحل
النبي صلى الله عليه وسلم من عمرته ونحر هديه وقضاها من قابل ويدل عليه ايضا سياق
الاية وهو قوله فاذا امنتم والامن لا يكون الا من خوف وثبت عن ابن عباس انه قال
لا حصر الا حصر العدو فثبت بذلك ان المراد من الاحصار هو حصر العدو دون المرض
وغيره واجيب عن حديث الحجاج بن عمرو بانه محمول على من شرط التحلل بالمرض ونحوه
حال احرامه ويدل على جواز الاشتراط في الاحرام ما روي عن ابن عباس ان ضباعة
بنت الزبير اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني اريد الحج
افاشترط قال نعم قالت كيف اقول قال قولي لبيك اللهم لبيك محلي من الارض
حيث تحبسني اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولغيره ان ضباعة بنت
الزبير كانت وجعة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حجي واشترطي وقولي اللهم محلي
حيث حبستني فمذهب الشافعي واحمد واسحاق اذا اشترط في الحج فعرض له مرض او عذر
ان يتحلل ويخرج من احرامه ثم المحصر يتحلل بذبح الهدي وحلق الراس وهو المراد من قوله
تعالى **فما استيسر من الهدي** ومعنى الاية فان احصرتم دون تمام الحج والعمرة فعليكم ما
استيسر من الهدي والهدي ما يهدى الى البيت واعلاه بدنة واوسطه بقرة وادناه
شاة قال ابن عباس شاة لانه اقرب الى اليسر ومحل هدي ذبح هدي المحصر حيث
احصر واليه ذهب الشافعي لان النبي صلى الله عليه وسلم ذبح الهدي عام الحديبية بها
وذهب ابو حنيفة الى انه يقيم على احرامه ويبعث بهديه الى الحرم ويواعد من يذبحه

هناك ثم يحل في ذلك الوقت **ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله** اي مكانه
الذي يجب ان يذبح فيه وفيه قولان احدهما انه الحرم فان كان حاجا فمحله يوم النحر
وان كان معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه الى الحرم وهو قول ابي حنيفة والقول الثاني
محل ذبحه حيث احصر سواء كان في الحل او في الحرم ومعنى محله حيث يحل ذبحه واكله وهو
قول مالك والشافعي واحمد ويدل عليه ما روي عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحلق راسه اخرجه البخاري قوله عز وجل **فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه**
معناه ولا تحلقوا رؤوسكم في حال الاحرام الا ان تضطر الى حلقه لمرض او اذى وهو
القمل والصداع **ففدية** فيه اضمار تقديره فحلق راسه فعليه فدية نزلت هذه
الاية في كعب بن عجرة (ق) عن كعب بن عجرة قال اتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا
اوقد تحت قدر لي والقمل يتناثر على وجهي فقال ايؤذيك هوام راسك قال قلت نعم
قال فاحلق وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك نسيكة لا ادري
باي ذلك بدا وفي رواية قال في نزلت هذه الاية فمن كان منكم مريضا او به اذى من
راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك وذكر نحوه وفي اخرى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مر به وهو بالحديبية قبل ان يدخل مكة وهو محرم وذكره وفي اخرى ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال له ما كنت ارى ان الوجع بلغ منك ما ارى او ما كنت ارى ان الجهد
بلغ بك ما ارى اتجد شاة قلت لا قال وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين
لكل مسكين نصف صاع قال كعب فنزلت في خاصة وهي عامة ومعنى قوله تعالى ففدية
**من صيام** اي صوم ثلاثة ايام **او صدقة** يعني اطعام ثلاثة اصوع ستة مساكين
لكل مسكين نصف صاع **او نسك** واحدتها نسيكة اي ذبيحة واعلاها بدنة واوسطها
بقرة وادناها شاة وهذه الفدية على التخيير ان شاء ذبح او صام او تصدق وكل هدي او
طعام يلزم المحرم فانه لمساكين الحرم الا هدي المحصر فانه يذبح حيث احصر واما
الصوم فله ان يصوم حيث شاء قوله تعالى **فاذا امنتم** يعني من خوفكم وبرأتم من مرضكم
وقيل اذا امنتم من الاحصار **فمن تمتع بالعمرة الى الحج** قال ابن الزبير معناه فمن احصر
حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة فخرج من احرامه بعمل عمرة فاستمتع باحلاله ذلك
بتلك العمرة الى السنة المستقبلة ثم حج فيكون متمتعا بذلك الاحلال الى احرامه
الثاني في العام المقبل وقيل معناه فاذا امنتم وقد حللتم من احرامكم بعد الاحصار ولم
تعتمروا في تلك السنة ثم اعتمرتم في السنة القابلة في اشهر الحج فاستمتعتم
باحلالكم الى الحج ثم احرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدي وقال ابن عباس هو
الرجل يقدم معتمرا من افق من الافاق في اشهر الحج فقضى عمرته واقام بمكة حلالا
حتى انشا منها الحج من عامه ذلك فيكون مستمتعا بالاحلال من العمرة الى احرامه بالحج
ومعنى التمتع في اللغة هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة والتلذذ بما كان
محظورا عليه في حال الاحرام الى احرامه بالحج **فما استيسر من الهدي** يعني فعليه



ما استيسر من الهدي وهو شاة يذبحها يوم النحر فلو ذبح قبله بعد ما احرم بالحج
اجزاه عند الشافعي كدماء الجبرانات ولا يجزيه ذبحه عند ابي حنيفة قبل يوم النحر
كدم الاضحية ولوجوب دم التمتع خمس شرائط احدها ان يقدم العمرة على الحج الثاني
ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج الثالث ان يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة
الرابع ان يحرم بالحج من مكة ولا يعود الى ميقات بلده فان رجع الى الميقات واحرم
منه لم يكن متمتعا الخامس ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام فهذه الشروط
معتبرة في وجوب التمتع ومتى فقد شيء منها لم يكن متمتعا ودم التمتع دم جبران
عند الشافعي فلا يجوز ان ياكل منه وقال ابو حنيفة هو دم نسك فيجوز ان ياكل
منه وقوله **فمن لم يجد** يعني الهدي **فصيام ثلاثة ايام في الحج** اي فعليه
صيام ثلاثة ايام في وقت اشتغاله بالحج فقيل يصوم يوما قبل يوم التروية
ويوم التروية ويوم عرفة وقيل بل المستحب ان يصوم في ايام الحج بحيث يكون
يوم عرفة مفطرا فان لم يصم قبل يوم النحر فقيل يصوم ايام التشريق وبه
قال مالك واحمد وهو احد قولي الشافعي وقيل بل يصوم بعد ايام التشريق
وهو رواية عن احمد والقول الاصح للشافعي **وسبعة اذا رجعتم** يعني وصوموا
سبعة ايام اذا رجعتم الى اوطانكم واهليكم قاله ابن عباس وبه قال الشافعي
فلو صام قبل الرجوع الى اهله لم يجزه عنده وقيل المراد من الرجوع هو الفراغ
من اعمال الحج والاخذ في الرجوع فعلى هذا يجزيه ان يصوم السبعة ايام بعد الفراغ
من اعمال الحج وقبل الرجوع الى اهله وبه قال ابو حنيفة **تلك عشرة كاملة**
يعني في الثواب والاجر وقيل كاملة في قيامها مقام الهدي لانه قد يحتمل ان يظن
ظان ان الثلاثة قد قامت مقام الهدي فاعلم الله ان العشرة بكمالها هي القائمة
مقام الهدي وقيل فائدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق

ثلاث واثنتان فهن خمس • وسادسة تميل الى سهام

ولان القران نزل بلغة العرب والعرب تكرر الشيء تريد به التوكيد وقيل
فائدة ذلك ان ذلك في علم الحساب وهو ان يعلم العدد مفصلا ثم يعلمه جملة
ليحتاط به من جهتين فكذلك قوله تعالى فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا
رجعتم تلك عشرة كاملة وقيل ان العرب لما كانوا لا يعلمون الحساب وكانوا
يحتاجون الى زيادة بيان وايضاح فلذلك قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظه
خبر ومعناه امر اي اكملوها ولا تنقصوها **ذلك** اي هذا الحكم الذي تقدم
**لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام** قيل حاضروا المسجد الحرام هم اهل مكة
وهو قول مالك وقيل هم اهل الحرم وبه قال طاوس وقال ابن جريج اهل عرفة
والرجيع وضجنان ونخلة وقال الشافعي كل من كان وطنه من مكة على اقل من
مسافة القصر فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل هم من دون الميقات وقال
ابو حنيفة حاضري المسجد الحرام اهل الميقات والمواقيت ذو الحليفة والجحفة

وقرن ويلملم وذات عرق فمن كان من اهل هذه المواضع فما دونها الى مكة فهو من حاضري
المسجد الحرام وقيل حاضري المسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه ومعنى الاية ان المشار
اليه في قوله ذلك يرجع الى اقرب مذكور وهو لزوم الهدي او بدله على المتمتع وهو
الافاقي واما المكي اذا تمتع او قرن فلا هدي عليه ولا بدل له لانه لا يجب عليه ان يحرم
من الميقات فاقدامه على التمتع لا يوجب خللا في حجه فلا يجب عليه الهدي ويدل
على ذلك ما اخرجه البخاري تعليقا من حديث عكرمة قال سئل ابن عباس عن متعة
الحج فقال اهل المهاجرون والانصار وازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة
الوداع واهللنا فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم
بالحج عمرة الا من قلد الهدي طفنا بالبيت وبالصفا والمروة واتينا النساء ولبسنا
الثياب وقال من قلد الهدي فانه لا يحل من شيء حتى يبلغ الهدي محله ثم امرنا
عشية التروية ان نهل بالحج فاذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا
والمروة وقد تم حجنا وعلينا الهدي كما قال تعالى فما استيسر من الهدي فمن لم
يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم الى امصاركم والشاة تجزي
فجمعوا بين النسكين في عام بين الحج والعمرة فان الله انزله في كتابه وسنة نبيه
صلى الله عليه وسلم واباحه للناس من غير اهل مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن
اهله حاضري المسجد الحرام وفي الحديث زيادة قال الحميدي قال ابن مسعود
والدمشقي هذا حديث عزيز ولم اجده الا عند مسلم بن الحجاج ولم يخرجه في صحيحه
من اجل عكرمة فانه لم يرو عنه في صحيحه وعندي ان البخاري انما اخذه من مسلم
وقوله تعالى **واتقوا الله** اي فيما فرضه عليكم ونهاكم عنه في الحج والعمرة **واعلموا
ان الله شديد العقاب** يعني لمن خالف امره وتهاون بحدوده وارتكب مناهيه
قوله عز وجل **الحج اشهر معلومات** يعني اشهر الحج اشهر معلومات وقيل وقت الحج
اشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة الى طلوع الفجر من
يوم النحر وبه قال عبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله وعبد الله بن الزبير
ومن التابعين الحسن وابن سيرين والشعبي وهو قول الشافعي والثوري وابي
ثور ووجهه للشافعي ومن وافقه ان الحج يفوت بطلوع الفجر الثاني من يوم النحر والعبادة
لا تفوت مع بقاء وقتها فدل على ان يوم النحر ليس من اشهر الحج وايضا فان الاحرام
بالحج فيه لا يجوز وقد دل على انه وما بعده ليس من اشهر الحج وقال ابن عباس اشهر
الحج شوال وذو القعدة وعشرة ايام من ذي الحجة اخرها يوم النحر وبه قال ابن
عمر وعروة بن الزبير وعطا وطاوس والنخعي وقتادة ومكحول والضحاك والسدي
وابو حنيفة واحمد بن حنبل وهو احد الروايتين عن مالك ووجه هذا القول ان
يوم النحر يوم الحج الاكبر ولان فيه يقع طواف الافاضة وهو تمام اركان الحج وقيل
ان اشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله وهو رواية عن ابن عمر وبه قال
الزهري وهي الرواية الاخرى عن مالك ووجه هذا القول ان الله تعالى ذكر

اشهر



اشهر الحج بلفظ الجمع واقل الجمع المطلق ثلاث ولان كل شهر كان اوله من اشهر الحج كان اخره كذلك
فان قلت هنا اشكال وهو ان الله تعالى قال قبل هذه الاية يسالونك عن الاهلة
قل هي مواقيت للناس والحج فجعل الاهلة كلها مواقيت للحج قلت قوله هي مواقيت للناس
والحج عام وهذه الاية وهي قوله تعالى الحج اشهر معلومات خاص والخاص مقدم على
العام وقيل ان الاية الاولى مجملة وهذه الاية مفسرة لها فان قلت انما قال
اشهر الحج بلفظ الجمع وعند الشافعي اشهر الحج شهران وعشر ليال وعند ابي حنيفة وعشرة
ايام فما وجه هذا قلت ان لفظ الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله
تعالى فقد صغت قلوبكما وقيل انه نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة
كذا وانما رآه في ساعة منها ولا اشكال فيه على القول الثالث وهو قول من قال
ان اشهر الحج ثلاثة شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله **فمن فرض فيهن الحج**
يعني فمن الزم نفسه واوجب عليها فيهن الحج والمراد بهذا الفرض ما به يصير
حاجا وهو قوله بفعله ثم اختلفوا في ذلك الفعل فقال الشافعي ينعقد الاحرام
بمجرد النية من غير حاجة الى التلبية ووجهه ان فرض الحج عبارة عن النية فوجب
ان تكون النية كافية في انعقاد الحج وقال ابو حنيفة لا يصح الشروع في الاحرام
بمجرد النية حتى ينضم اليها التلبية او سوق الهدي ووجهه ان الحج عبادة لها تحليل
وتحريم فلا بد من انضمام شيء الى النية كالصلاة وفي الاية دليل على ان الاحرام
بالحج لا ينعقد الا في اشهره وهو قول ابن عباس واليه ذهب الشافعي واحمد واسحاق
لان الله تعالى خصص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا
التخصيص وجه فلا فائدة وقال مالك والثوري وابو حنيفة ينعقد احرامه
بالحج في جميع شهور السنة ووجهه ان الاحرام التزام الحج فجاز تقديمه على الوقت
كالنذر ولان الله تعالى جعل الاهلة كلها مواقيت للحج بقوله هي مواقيت للناس
والحج وقد تقدم الجواب عنه فقوله تعالى **فلا رفث** قال ابن عباس الرفث غشيان
النساء والتقبيل والغمز وان يعرض لهن بالفحش من الكلام فعلى هذا القول
التلفظ به في غيبة النساء لا يكون رفثا قال الحصين بن قيس احد بني عدس اخذنا
بذنب بعيره يلويه وهو يحدو ويقول •
وهن يمشين بنا هميسا • ان تصدق الطير ننك لميسا •
فقلت له اترفث وانت محرم فقال انما الرفث ما قيل عند النساء وقوله لميسا هو
اسم امراة وقيل الرفث كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه
وقوله فلا رفث يحتمل ان يكون نهيا عن تعاطي الجماع وان يكون نهيا عن الحديث في
ذلك لانه من دواعيه وقيل الرفث هو التفحش والخنا والقول القبيح وقيل الرفث
اللغو من الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث
يومئذ ولا يصخب **ولا فسوق** اصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس هي المعاصي
كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع والقرظي

وقال ابن عمر هو ما نهي عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظافر
واخذ الشعر وما اشبه ذلك وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب ق عن ابي
هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع
كيوم ولدته امه **ولا جدال في الحج** قال ابن عباس الجدال هو المراء وهو ان يماري الرجل
صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه وقيل هو قول الرجل الحج اليوم وقيل الحج غدا وقيل
هو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع وقد احرموا بالحج اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة
الا من قلد الهدي قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فهذا كان جدالهم وقيل هو ما
كان عليه اهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي
القعدة وبعضهم في ذي الحجة وكل يقول الصواب فيما فعلته فانزل الله ولا جدال في الحج
فاخبر ان امر الحج قد استقر على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا اختلاف فيه بعد
وذلك ان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات
والارض وقيل معناه ولا شك في الحج انه في ذي الحجة فابطل النسيء وقيل ظاهر الاية خبر ومعناه
نهي اي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا في الحج وانما نهى عن ذلك وامر باجتنابه في الحج
وان كان اجتناب ذلك في كل الاحوال والازمان واجب لان الرفث والفسوق والجدال
في الحج اسمج واقطع من غيره **وما تفعلوا من خير يعلمه الله** اي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم
وهو الذي يجازيكم عليها حث الله على فعل الخير عقيب النهي عن الشر وهو ان يستعملوا مكان
الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق
الجميلة وقيل جعل فعل الخير عبارة عن ربط الانفس عن الشر حتى لا يوجد منهم ما نهوا
عنه وقيل انما ذكر الخير وان كان عالما بجميع افعال العباد من الخير والشر لفائدة وهو
انه تعالى اذا علم من العبد الخير ذكره واشهره واذا علم منه الشر ستره واخفاه فاذا
كان هذا فعله مع عبده في الدنيا فكيف يكون في العقبى وهو ارحم الراحمين واكرم
الاكرمين **وتزودوا فان خير الزاد التقوى** نزلت في ناس من اهل اليمن كانوا يخرجون
للحج من غير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت ربنا افلا يطعمنا فاذا
قدموا مكة سالوا الناس وربما افضى بهم الحال الى النهب والغصب فانزل الله وتزودوا
اي ما تتبلغون به وتكفون به وجوهكم عن الناس واتقوا ابرامهم والتثقيل عليهم
فان خير الزاد التقوى وقيل في معنى الاية وتزودوا من التقوى فان الانسان
لا بد له من سفر في الدنيا ولا بد فيه من زاد ويحتاج فيه الى الطعام والشراب والمركب
وسفر من الدنيا الى الاخرة لا بد فيه من زاد ايضا وهو تقوى الله والعمل بطاعته
وهذا الزاد افضل من الزاد الاول فان زاد الدنيا يوصل الى مراد النفس وشهواتها
وزاد الاخرة يوصل الى النعيم المقيم في الاخرة وفي هذا المعنى قال الاعشى

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى • ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لا تكون كمثله • وانك لم ترصد اذا كان ارصدا

**واتقون** اي وخافوا عقابي وقيل معناه واشتغلوا بتقواي وفيه تنبيه على كمال عظمة الله

جل



جل جلاله **يا اولي الالباب** يا ذوي العقول الذين يعلمون حقائق الامور قوله عز وجل
**ليس عليكم جناح** اي حرج **ان تبتغوا فضلا من ربكم** يعني رزقا ونفعا وهو
الربح في التجارة خ عن ابن عباس قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقا في
الجاهلية فلما كان الاسلام فكانهم تأثموا ان يتجروا في المواسم فنزلت ليس عليكم
جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج وقرأها ابن عباس هكذا وفي رواية
ان تبتغوا في مواسم الحج فضلا من ربكم وعكاظ سوق معروف بقرب مكة ومجنة بفتح
الجيم سوق بقرب مكة ايضا قال الازرقي هي باسفل مكة على بريد منها وذو المجاز
سوق عند عرفة كانت العرب في الجاهلية يتجرون في هذه الاسواق ولها مواسم
فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوما من ذي القعدة ثم ينتقلون الى مجنة فيقيمون
ثمانية عشر يوما عشرة ايام من اخر ذي القعدة وثمانية ايام من ذي الحجة ثم يخرجون
الى مكة في يوم التروية وقال الداودي مجنة عند عرفة وعن ابي امامة التيمي
قال كنت رجلا اكري في هذا الوجه وكان الناس يقولون لي انه ليس لك حج فلقيت
ابن عمر فقلت له يا ابا عبد الرحمن اني رجل اكري في هذا الوجه وان ناسا يقولون
انه ليس لك حج فقال ابن عمر اليس تحرم وتلبي وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات
وترمي الجمار فقلت بلى قال فان لك حجا جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فساله عن مثل ما سالتني عنه فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه
حتى نزلت هذه الاية ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فارسل اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه وقال لك حج اخرجه ابو داود والترمذي وقال
بعض العلماء ان التجارة ان اوقعت نقصا في اعمال الحج لم تكن مباحة وان لم توقع نقصا
فيه كانت التجارة من المباحات التي الاولى تركها لتجريد العبادة من غيرها
لان الحج بدون التجارة افضل واكمل وقوله تعالى **فاذا افضتم** اي دفعتم والافاضة
دفع بكثرة **من عرفات** جمع عرفة سميت بذلك وان كانت بقعة واحدة لان كل
موضع من تلك المواضع عرفة فسمي مجموع تلك المواضع عرفات وقيل ان اسم الموضع
عرفات واسم اليوم عرفة قال عطاء كان جبريل يري ابراهيم المناسك ويقول
له عرفت فيقول عرفت فسمي ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك
ان ادم لما اهبط وقع بالهند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا
بعرفات في يوم عرفة فتعارفا فسمي اليوم عرفة والموضع عرفات قال السدي
ان ابراهيم لما اذن في الناس بالحج واجابوه بالتلبية واتى من اتى امره الله ان يخرج
الى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة استقبله الشيطان يرده فرماه
بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار
على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فطار فلما راى الشيطان انه لا يطيعه ذهب فانطلق
ابراهيم حتى اتى ذا المجاز فنظر اليه فلم يعرفه فجازه فسمي ذا المجاز ثم انطلق ابراهيم
حتى وقع بعرفات فعرفها بالنعت فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات حتى اذا امسى

ازدلف الى جمع فسمي ذلك الموضع المزدلفة وفي رواية عن ابن عباس ان ابراهيم راى ليلة
التروية في منامه انه يومر بذبح ولده فلما اصبح تروى يومه اجمع اي تفكر هل هذا الرؤيا
من الله تعالى ام من الشيطان فسمي يوم التروية ثم راى ذلك في ليلة عرفة ثانيا فلما اصبح
عرف ان ذلك من الله فسمي اليوم عرفة وقيل سمي بذلك لان الناس يتعارفون في ذلك اليوم
بذنوبهم وقيل سمي عرفة من العرف وهو الطيب وسمي منى لما يمنى فيها من الدما اي يصب
فيكون فيه الفروث والدما فلا يكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عن مثل هذا فتكون طيبة
فاعلم ان الوقوف بعرفة ركن من اركان الحج لا يتم الحج الا به ومن فاته الوقوف بها فقد فاته
الحج ويدخل وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة ويمتد الى طلوع الفجر
الثاني من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة فمن وقف بعرفات في هذا الوقت
ولو لحظة واحدة من ليل او نهار فقد حصل له الوقوف وتم حجه وقال احمد وقت الوقوف
من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوع الفجر ووقت الافاضة من عرفات بعد غروب الشمس اذا
غربت دفع من عرفات واخر صلاة المغرب حتى يجمع بينهما وبين العشا بمزدلفة **ق** عن اسامة
ابن زيد قال دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم
توضا ولم يسبغ الوضو فقلت الصلاة يا رسول الله فقال الصلاة امامك ثم ركب فلما جا
المزدلفة فصلى المغرب ثم اناخ كل انسان بعيره في منزله ثم اقيمت العشا فصلى ولم يصل
بينهما شيئا وقوله تعالى **فاذكروا الله عند المشعر الحرام** سمي مشعرا من الشعار
وهي العلامة لانه من معالم الحج واصل الحرام المنع فهو ممنوع من ان يفعل فيه ما لم يوذن فيه
والمشعر الحرام هو ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان ولا
وادي محسر من المشعر الحرام وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله بذلك لان
الصلاة والمبيت به والدعا عنده من معالم الحج وقيل المشعر الحرام هو قزح وهو اخر حد
المزدلفة والاول اصح وسميت المزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب لانها منزل القرب من الله
تعالى وقربه وقيل لنزول الناس بها زلف الليل وقيل لاجتماع الناس وتسمى المزدلفة جمعا
لانه يجمع فيها بين المغرب والعشا قيل المراد بالذكر عند المشعر الحرام هو الجمع بين صلاتي
المغرب والعشا هنالك ويدل عليه ان قوله فاذكروا الله امر وهو للوجوب ولا يجب
هنالك الا الصلاة والذي عليه جمهور العلما ان المراد بالذكر هو الدعا والتلبية والتسبيح
والتحميد والتهليل والتكبير **ق** عن ابن عباس ان اسامة بن زيد كان ردف النبي صلى الله
عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل من المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل النبي
صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة عن جابر قال دفع رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى اتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشا باذان واحد واقامتين ولم يسبح
بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حتى تبين له الصبح باذان واقامة ثم
ركب القصوى حتى اتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده ولم
يزل واقفا حتى اسفر جدا ودفع قبل ان تطلع الشمس هذا الحديث ذكره البغوي بغير
سند ولم اجده في الاصول قال طاوس كان اهل الجاهلية يدفعون من عرفة قبل ان تغيب

الشمس

الشمس ومن المزدلفة بعد طلوعها وكانوا يقولون اشرق ثبير كيما نغير فنسخ الله
تعالى احكام الجاهلية فاخر الافاضة من عرفة الى غروب الشمس وقدم الافاضة من
المزدلفة الى قبل طلوعها وثبير جبل بمكة ومعنى قولهم اشرق ثبير ادخل ايها الجبل في
الشروق وقولهم كيما نغير اي ندفع للنحر يقال اغار اذا اسرع ودفع في عدوه **خ** عن عمرو
ابن ميمون قال قال عمر كان اهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا
يقولون اشرق ثبير فخالفهم النبي صلى الله عليه وسلم فافاض قبل طلوع الشمس وقوله
تعالى **واذكروه كما هداكم** اي اذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم
لدينه ومناسك حجه **وان كنتم من قبله لمن الضالين** اي لا تعرفون كيف تذكرونه
وتعبدونه والهاء في من قبله راجعة الى الهدي وقيل الى الرسول اي من قبل ارسال
الرسول لمن الضالين وهو كناية من غير مذكور وقيل يرجع الى القران والمعنى واذكروه
كما هداكم بكتابه الذي انزل عليكم وان كنتم من قبل انزاله لمن الضالين قوله عز وجل **ثم
افيضوا من حيث افاض الناس** اي لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس وفي المخاطبين
بهذا قولان احدهما انه خطاب لقريش ومن كان يدين بدينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون
نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم ولا نخرج منه ويتعاظمون ان يقفوا مع سائر
الناس بعرفات فاذا افاض الناس من عرفات افاض الحمس من المزدلفة فامرهم الله
ان يقفوا بعرفات مع سائر الناس ثم يفيضوا منها مع جمع واخبرهم انه سنة ابراهيم واسمعيل
عليهما السلام **ق** عن عائشة رضي الله عنها قالت كان قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة
وكانوا يسمون الحمس وكانت سائر العرب يقفون بعرفة فلما جا الاسلام امر الله نبيه
صلى الله عليه وسلم ان ياتي عرفات فيقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله ثم افيضوا من حيث
افاض الناس قولها كانوا يسمون الحمس هو القول الثاني انه خطاب جمع احمس واصله من
الشدة والشجاعة وانما سميت قريش وكنانة حمسا لتشددهم في دينهم فعلى
هذا القول الناس معناه جميع العرب سوى الحمس والقول الثاني انه خطاب لسائر
المسلمين امرهم الله ان يفيضوا من حيث افاض الناس وقيل الناس هنا ادم وحده
بدليل قراءة سعيد بن جبير ثم افيضوا من حيث افاض الناسي بالياء وقال هو ادم عهد
اليه فنسي ووجه هذا ان الوقوف بعرفات والافاضة منها شرع قديم وما سواه
مبتدع محدث وقيل المراد من هذه الاية ان الافاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر
قبل طلوع الشمس للرمي والنحر واراد بالناس ابراهيم واسمعيل واتباعهما لانه كانت
افاضتهم من المزدلفة قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول ان الافاضة بعرفات
قد تقدم ذكرها في قوله فاذا افضتم من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم افيضوا من حيث
افاض الناس فدل ان هذه الافاضة من المزدلفة الى منى لكن القول الاول هو الاصح الذي
عليه جمهور المفسرين فان قلت على القول الاول الذي هو قول جمهور المفسرين اشكال
وهو ان ظاهر الكلام لا يقتضي ذلك لان قوله فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله والافاضة
من عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف قال ثم افيضوا من حيث افاض الناس فكانه قال

فاذا افضتم من عرفات فافيضوا من عرفات وذلك غير جائز قلت اجيب عن هذا الاشكال
بان فيه تقديما وتاخيرا وتقديره ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله
ان الله غفور رحيم ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا
الله فعلى هذا الترتيب يصح ان تكون ثم هنا لا لافاضة الثانية لا لافاضة بعينها وقيل ان ثم في قوله
ثم افيضوا بمعنى الواو اي وافيضوا كقوله ثم كان من الذين امنوا اي لافاضة الذين فيه
عن هشام بن عروة عن ابيه قال سال اسامة بن زيد وانا جالس كيف كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسير في حجة الوداع قال كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال العين ضرب من
السير سريع وهو اشد من المشي والفجوة الفرجة وهو المتسع من الارض والنص السير
السريع حتى يستخرج من الناقة اقصى وسعها خ عن ابن عباس انه دفع مع النبي صلى الله
عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجرا شديدا وضربا للابل فاشار
بسوطه اليهم وقال يا ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع الايضاع السير
السريع الشديد وقوله تعالى **واستغفروا الله** اي من مخالفتكم في الموقف ولجميع ذنوبكم
**ان الله غفور رحيم** يعني ان الله هو الساتر لذنوب عباده برحمته والغفور يفيد المبالغة
في الغفر وكذا الرحيم وفيه دليل على انه تعالى يقبل التوبة عن عباده التائبين ويغفر
لهم لانه تعالى امر المذنب بالاستغفار ثم وصف نفسه تعالى بانه كثير الغفران كثير
الرحمة دل ذلك على انه تعالى يغفر للمستغفرين ويرحم المذنبين بمنه وكرمه قوله عز
وجل **فاذا قضيتم مناسككم** اي فرغتم من حجكم وعبادتكم وذبحتم نسايككم اي ذبائحكم
وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى **فاذكروا الله** يعني بالتحميد والتمجيد
والتهليل والتكبير والثناء عليه **كذكركم اباءكم** قال ائمة التفسير كانت العرب في
الجاهلية اذا فرغوا من حجهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل وقيل عند البيت
فيذكرون مفاخر ابائهم ومآثرهم وفضائلهم ومحاسنهم ومناقبهم فيقول احدهم كان
ابي كبير الجفنة رحب الفناء يقري الضيف وكان كذا وكذا يعدد مفاخره ومناقبه
ويتناشدون الاشعار في ذلك ويتكلمون بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح
وغرضهم بذلك الشهرة والسمعة والرفعة بذكرون مناقب سلفهم وابائهم فلما
من الله عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم لله لا لابائهم وقال اذكروني فاني الذي
فعلت ذلك بكم وبهم واحسنت اليكم واليهم قال ابن عباس معناه فاذكروا الله كذكر
الصبيان الصغار الاباء وذلك ان الصبي اول ما يفصح بالكلام يقول ابه امه لا يعرف
غير ذلك فامرهم الله ان يذكروه كذكر الصبيان الصغار الاباء **او اشد ذكرا** اي بل اشد
ذكرا وقيل او بمعنى الواو اي واشد ذكرا اي واكثر ذكرا للاباء لانه هو المنعم عليهم
وعلى الاباء فهو المستحق للذكر والحمد مطلقا وسئل ابن عباس عن هذه الاية وقيل له
قد ياتي على الرجل اليوم ولا يذكر اباه فقال ليس كذلك ولكن ان تغضب لله عز وجل
اذا عصي اشد من غضبك لوالديك اذا شتما **فمن الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا**
يعني ان المشركين كانوا يسالون الله في حجهم الدنيا ونعيمها كانوا يقولون اللهم اعطنا

ايه



ابلا وغنما وبقرا وعبيدا واماء وكان احدهم يقوم فيقول اللهم ان ابي كان عظيم القبة كبير
الجفنة كثير المال فاعطني مثل ما اعطيته قال قتادة هذا عبد نيته الدنيا لها انفق
ولها عمل ونصب خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد الدينار وعبد
الدرهم وعبد الخميصة ان اعطي رضي وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا
انتقش قوله تعس عبد الدينار هذا دعاء عليه بالهلاك وهو الوقوع على الوجه من العثار
والخميصة ثوب من خز او صوف معلم قوله وانتكس هذا دعاء عليه ايضا لان من انتكس
على راسه او في امره فقد خاب وخسر قوله واذا شيك هذا فعل لم يسم فاعله يقول
شاكته الشوكة اذا دخلت في جسمه والانتقاش اخراج الشوكة من الجسم وانما كان
سوال المشركين للدنيا ولم يطلبوا التوبة والمغفرة ونعيم الاخرة لانهم كانوا ينكرون
البعث **وما له في الاخرة من خلاق** اي وما له في الاخرة من حظ ولا نصيب **ومنهم من
يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار** يعني
المومنين واعلم ان الله تعالى قسم الداعين فريقين فريق اقتصر على الدعاء على طلب
الدنيا وهم الكفار لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والاخرة والفريق الثاني وهم المؤمنون
الذين جمعوا في الدعاء على طلب الدنيا والاخرة وذلك لان الانسان خلق ضعيفا محتاجا
لا طاقة له بامر الدنيا ومتاعها فالاولى له ان يستعيذ بالله من شرها والامها لانها
لو اضطرب على الانسان عرف من عروقه لتشوش عليه حياته في الدنيا وتعطل عن
الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك ان طلب الدنيا في الدعاء من امر الدين فلذلك
قال الله تعالى اخبارا عن المومنين ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة قيل ان الحسنة في الدنيا عبارة عن الصحة والامن والكفاية والتوفيق
الى الخير والنصر على الاعداء والولد الصالح والزوجة الصالحة عن عبد الله بن عمرو بن
العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المراة الصالحة وقيل
الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقيل الحسنة في الدنيا الرزق الحلال
والعمل الصالح وفي الاخرة المغفرة والثواب وقيل من اتاه الله الاسلام والقران واهلا
ومالا فقد اوتي في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة يعني في الدنيا عافية وفي الاخرة
عافية م عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد خفت فصار
مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشيء او تساله اياه
قال نعم كنت اقول اللهم ما كنت معاقبني به في الاخرة فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطيقه ولا تستطيعه افلا قلت اللهم اتنا في الدنيا
حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار قال فدعا الله به فشفاه ق عن انس بن مالك
قال كان اكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة
وقنا عذاب النار عن عبد الله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
بين الركنين ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار **اولئك**
اشارة الى المؤمنين الداعين بالحسنتين ووجه هذا القول ان الله ذكر حكم الفريق

بكماله فقفا له وما له في الاخرة من خلاق وقيل يرجع الى الفريقين جميعا اي لكل فريق
من هولاء **لهم نصيب** اي حظ **مما كسبوا** يعني من الخير والدعاء بالثواب والجزاء على الدعا
بالدنيا من حسن ما كسب ودعا **والله سريع الحساب** ذكروا في معنى الحساب ان الله
تعالى يعلم العباد بما لهم وعليهم بمعنى ان الله تعالى يخلق العلوم الضرورية في قلوبهم
بمقادير اعمالهم وكمياتها وبمقادير ما لهم من الثواب وعليهم من العقاب وقيل ان المحاسبة
عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله
فحاسبناها حسابا شديدا وقيل ان الله تعالى يكلم عباده يوم القيامة ويعرفهم
احوال اعمالهم وما لهم من الثواب والعقاب وقيل انه تعالى اذا حاسب عباده
فحسابه سريع لانه تعالى لا يحتاج الى عقد يد وروية فكر ووصف الله نفسه تعالى
بسرعة الحساب مع كثرة الخلائق وكثرة اعمالهم ليدل بذلك على كمال قدرته لانه
تعالى لا يشغله شان عن شان ولا يحتاج الى الة ولا مادة ولا مساعد لا جرم كان
قادرا على ان يحاسب جميع الخلائق في اقل من لمح البصر وروي انه تعالى يحاسب
الخلائق في قدر حلب شاة او ناقة وقيل في معنى كونه تعالى سريع الحساب اي سريع
القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك انه تعالى يساله السايلون في الوقت
الواحد كل واحد منهم اشياء مختلفة من امور الدنيا والاخرة فيعطي كل واحد مطلوبه
من غير ان يشتبه عليه شي من ذلك لانه تعالى عالم بجميع احوال عباده واعمالهم
وقيل في معنى الاية ان اتيان القيامة قريب لان كل ما هو كاين وات قريب لا محالة
وفيه اشارة الى المبادرة والذكر وسائر الطاعات وطلب الاخرة قوله عز وجل •
**واذكروا الله** يعني بالتوحيد والتعظيم والتكبير في ادبار الصلوات وعند رمي
الجمرات وذلك انه يكبر مع كل حصاة من حصى الجمار فقد ورد في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم
كبر مع كل حصاة **في ايام معدودات** يعني ايام التشريق وهي ايام منى ورمي الجمار سميت
معدودات لقلتهن وهي ثلاثة ايام بعد يوم النحر اولها اليوم الحادي عشر من ذي الحجة
وهو قول ابن عمر وابن عباس والحسن وعطا ومجاهد وقتادة وهو مذهب الشافعي
وقيل ان الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول علي بن ابي طالب ويروى
عن ابن عمر ايضا وهو مذهب ابي حنيفة م عن نبيشة الهذلي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايام التشريق ايام اكل وشرب وذكر الله ومن الذكر في هذه الايام
التكبير خ عن ابن عمر انه كان يكبر بمنى تلك الايام وخلف الصلوات وعلى فراشه وفي
فسطاطه وفي مجلسه وفي ممشاه في تلك الايام جميعا وفي رواية انه كان يكبر في
في قبته فيسمعه اهل المسجد فيكبرون ويكبر اهل الاسواق حتى ترتج منى اخرجه
البخاري بغير اسناد اجمع العلماء على ان المراد بهذا هو التكبير عند رمي الجمار وهو
ان يكبر مع كل حصاة يرمي بها في جميع ايام التشريق فاجمعوا ايضا ان التكبير في
عيد الاضحى وفي هذه الايام في ادبار الصلوات سنة واختلفوا في وقت التكبير
فقيل يبتدي به من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من اخر ايام التشريق

فيكون

فيكون التكبير على هذا القول في خمسة عشر صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه
قال الشافعي في اصح اقواله قال الشافعي لان الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل
هذا الوقت هو التلبية وياخذون في التكبير يوم النحر من صلاة الظهر وقيل انه
يبتدي به من صلاة المغرب ليلة النحر ويختم بصلاة الصبح من اخر ايام التشريق
وهذا القول الثاني للشافعي فيكون التكبير على هذا القول في ثمانية عشر صلاة
والقول الثالث للشافعي انه يبتدي بالتكبير من صلاة الصبح يوم عرفة ويختم به
بعد صلاة العصر من اخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا القول في ثلاث
وعشرين صلاة وهو قول علي بن ابي طالب ومكحول وبه قال ابو يوسف ومحمد
وقال ابن مسعود يبتدي به من صبح يوم عرفة ويختم بصلاة العصر من يوم النحر
فعلى هذا القول يكون التكبير في ثمان صلوات وبه قال ابو حنيفة وقال احمد
ابن حنبل اذا كان حلالا كبر عقيب ثلاث وعشرين صلاة اولها الصبح من يوم عرفة
واخرها صلاة العصر من اخر ايام التشريق وان كان محرما كبر عقب سبعة عشر
صلاة اولها الظهر من يوم النحر واخرها عصر ايام التشريق ولفظ التكبير عند
الشافعي ثلاثا نسقا الله اكبر الله اكبر الله اكبر وهو قول سعيد بن جبير والحسن
وهو قول اهل المدينة قال الشافعي وما زاد من ذكر الله فحسن ويروى عن ابن مسعود
انه كبر مرتين فيقول الله اكبر الله اكبر وهو قول اهل العراق وقوله تعالى **فمن
تعجل في يومين** اي فمن تعجل النفر الاول وهو في الثاني من ايام التشريق
**فلا اثم عليه** اي فلا حرج عليه وذلك انه يجب على الحاج المبيت بمنى الليلة الاولى
والثانية من ليالي ايام التشريق ليرمي كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة
يرمي عند كل جمرة بسبع حصيات ثم من رمى في اليوم الثاني واراد ان ينفر ويدع البيتوتة
الليلة الثالثة ورمي يومها فذلك واسع له لقوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم
عليه يعني فلا اثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجيله **ومن تاخر فلا اثم عليه**
يعني ومن تاخر الى النفر الثاني وهو اليوم الثالث من ايام التشريق فلا اثم عليه
في تاخره واعلم انه انما يجوز التعجيل لمن نفر بعد الزوال من اليوم الثاني من ايام
التشريق وقبل غروب الشمس من ليلة اليوم وان غربت عليه الشمس وهو بمنى
لزمه المبيت بها لرمي اليوم الثالث هذا مذهب الشافعي واكثر الفقها وقال ابو حنيفة
يجوز له ان ينفر ما لم يطلع الفجر لانه لم يدخل وقت الرمي بعد ورخص لرعاة الابل ولاهل
سقاية الحاج ترك المبيت بمنى ليالي منى فان قلت قوله ومن تاخر فلا اثم عليه فيه
اشكال وهو ان الذي اتى بافعال الحاج كاملة تامة وقد اتى بما يلزمه فما معنى قوله
فلا اثم عليه انما يخاف من الاثم من قصر فيما يلزمه قلت فيه اجوبة احدها انه
تعالى لما اذن في التعجيل على سبيل الرخصة احتمل ان يخطر ببال قوم ان من لم يجر
على موجب هذه الرخصة فانه ياثم فازال الله تعالى هذه الشبهة وبين انه لا اثم
عليه في الامرين فان شا عجل وان شا اخر الجواب الثاني ان من الناس من كان يتعجل ومنهم

من كان يتأخر وكل فريق يضرب فعله على فعل الفريق الآخر فبين الله تعالى ان كل واحد من الفريقين مصيب في فعله وانه لا اثم عليه الجواب الثالث انما قال ومن تأخر فلا اثم عليه لمشاكلة اللفظة الاولى فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ومعلوم ان جزاء السيئة ليس بسيئة الجواب الرابع ان فيه دلالة على جواز الامرين فكأنه تعالى قال تعجلوا او تأخروا فلا اثم في التعجيل ولا في التأخير **لمن اتقى** اي ذلك التخيير ونفي الاثم للحاج المتقي وقيل لمن اتقى اي يصيب في حجه شيئا مما نهاه الله عنه من قتل صيد وغيره مما هو محظور في الحج وقيل معناه انه ذهب اثمه ان اتقى فيما بقي من عمره وذلك ان الحاج يرجع مغفورا له بشرط ان لا يرتكب ما نهي عنه فيما بقي من عمره وهو قوله **واتقوا الله** اي في المستقبل والتقوى عبارة عن فعل الواجبات وترك المحظورات **واعلموا انكم اليه تحشرون** اي فيجازيكم باعمالكم وفيه حث على التقوى قوله عز وجل **ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا** نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه ابي وانما سمي الاخنس لانه خنس يوم بدر بثلاثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه اشار على بني زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم ان محمدا ابن اختكم فان يك كاذبا كفاكموه الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس به قالوا نعم ما رأيت قال اني ساخنس بكم فاتبعوني فخنس فسمي الاخنس بذلك وكان الاخنس حلو الكلام حلو المنظر وكان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد في مجلسه وكان الاخنس منافقا فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله اي يروقك وتستحسنه ويعظم في قلبك في الحياة الدنيا يعني ان حلاوة كلامه فيما يتعلق بامر الدنيا **ويشهد الله على ما في قلبه** يعني قوله والله اني بك مؤمن ولك محب **وهو الد الخصام** اي شديد الجدال في الباطل وقيل هو كاذب القول وقيل هو شديد القسوة في المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة (ق) عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابغض الرجال الى الله الالد الخصم يعني الشديد في الخصومة **واذا تولى** اي ادبر واعرض عنك بعد لين القول وحلاوة المنطق **سعى في الارض** اي سار ومشى في الارض **ليفسد فيها** يعني بقطع الارحام وسفك دماء المسلمين **ويهلك الحرث والنسل** وذلك ان الاخنس بن شريق كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا فاحرق زرعهم واهلك مواشيهم وقيل خرج الى الطائف مقتضيا دينا كان له على غريم فاحرق له كرسا وعقر له اتانا وقيل معناه اذا تولى يصار واليا وملك الامر سعى في الارض ليفسد فيها يعني بالظلم والعدوان كما يفعله ولاة السوء والظلمة وقيل يظهر ظلمه حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل بسبب منع المطر وقيل ان الاية عامة في حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات المذكورة ولا يمتنع ان ينزل في رجل واحد ثم تكون عامة في حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات المذكورة **والله لا يحب الفساد** قال ابن عباس لا يرضى بالمعاصي واحتجت المعتزلة بهذه الاية على ان المحبة عبارة عن الارادة واجيب عنه بان الارادة معنى غير المحبة





فان الانسان قد يريد شيئا ولا يحبه وذلك بان يتناول الدواء المر ولا يحبه فبان الفرق بين الارادة والمحبة وقيل المحبة مدح الشيء وتعظيمه والارادة بخلاف ذلك **واذا قيل له اتق الله** اي خف في سرك وعلانيتك **اخذته العزة بالاثم** اي حملته العزة وحمية الجاهلية على فعل الاثم وقيل بان يعمل الاثم وهو الظلم وترك الالتفات الى الوعظ وعدم الاصغاء اليه واصل العزة المنعة والتكبر **فحسبه جهنم** اي كافيه له جهنم جزاء وعذابا وجهنم اسم من اسماء النار التي يعذب بها الكفار في الآخرة وقيل هو اسم اعجمي وقيل هو عربي سميت النار بذلك لبعد قعرها **ولبئس المهاد** اي الفراش والمهاد التوطئة ايضا والمعنى ان العذاب بالنار يجعل تحته وفوقه قال ابن مسعود ان من اكبر الذنوب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك نفسك وضع خده على الارض تواضعا لله تعالى قوله عز وجل **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله** قال ابن عباس نزلت هذه الاية في سرية الرجيع وكانت بعد احد (خ) عن ابي هريرة قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرية عينا وامر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم بن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا آثارهم حتى اتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا آثارهم حتى لحقوهم فلما احس بهم عاصم واصحابه لجأوا الى فدفد وجاء القوم فاحاطوا بهم فقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم اما انا فلا انزل في ذمة كافر اللهم اخبر عنا رسولك فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا عاصما في سبعة نفر بالنبل وبقي خبيب وزيد ورجل آخر فاعطوهم العهد والميثاق نزلوا اليهم فلما استمكنوا منهم حلوا اوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذي معهم هذا اول الغدر فابى ان يصحبهم فجروه وعالجوه ان يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو الذي قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم اسيرا حتى اذا اجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها فاعارته قالت فغفلت عن صبي لي فدرج اليه حتى اتاه فوضعه على فخذه فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الموسى فقال اتخشين ان اقتله ما كنت لافعل ذلك ان شاء الله تعالى وكانت تقول ما رأيت اسيرا قط خيرا من خبيب لقد رأيته يأكل من قطف عنب وما بمكة يومئذ ثمرة وانه لموثق في الحديد وما كان الا رزقا رزقه الله خبيبا فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه قال دعوني اصلي ركعتين ثم انصرف اليهم فقال لولا ان تروا ان ما بي جزع من الموت لزدت فكان اول من سن ركعتين عند القتل وقال اللهم احصهم عددا وقال

فلست ابالي حين اقتل مسلما ● على اي جنب كان لله مصرعي

وذلك في ذات الاله وان يشأ ● يبارك على اوصال شلو ممزع

ثم قام اليه عقبة بن الحارث فقتله وبعثت قريش الى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده بعد

موته وكان قتل عظيما من عظمايهم يوم بدر فبعث الله عليه مثل الظلة من الدبر
فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء زاد في رواية ولخبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم
اصحابه يوم اصيبوا خبرهم العذر فذا الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع وقوله عاجلوه
اي بادروه واراد وابه انهم خدعوه ليتبعهم فابى وقوله ليستحد للاستحداد حلق العانة
والقطف العنقود من العنب قوله على اوصال شلو الشلو العضو من اعضا الانسان والممزع
الممزق والظلة الشي الذي يظلك من الانسان فوق والدبر جماعة من النحل والزنابير
قال اهل التفسير ان كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة
انا قد اسلمنا فابعث لنا نفرا من علما اصحابك يعلمونا دينك وكان ذلك مكرا منهم فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدي الانصاري ومرثد بن ابي مرثد الغنوي
وخالد بن بكير وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوي وزيد بن الدثنة وامر عليهم عاصم
ابن ثابت بن ابي افلح الانصاري وذكروا نحو حديث البخاري وزاد عليه فقالوا فصلبوا
خبيبا حيا فقال اللهم انك تعلم انه ليس احد حولي يبلغ رسولك فابلغه سلامي
فقام اليه ابو سروعة عقبة بن الحارث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له
ابو ميسرة سلامان معه رمح فوضعه بين ثديي خبيب فقال له خبيب اتق الله فما
زاده ذلك الا عتوا وطعنه فانفذه فذلك قوله تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته
العزة بالاثم يعني سلامان واما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن امية ليقتله
بابيه امية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس الى التنعيم ليقتله في الحل واجتمع
رهط من قريش فيهم ابو سفيان بن حرب فقال له ابو سفيان حين قدم ليقتل انشدك
الله يا زيد اتحب محمدا عندنا الان مكانك نضرب عنقه وانت في اهلك فقال زيد
والله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانا جالس في اهلي
فقال ابو سفيان ما رايت احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس
فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لاصحابه ايكم ينزل خبيبا عن خشبته
وله الجنة فقال له الزبير انا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الاسود فخرجا يمشيان
بالليل ويكمنان النهار حتى اتيا التنعيم ليلا فاذا حول الخشبة اربعون من المشركين
نشاوى وهم نيام فانزلاه عن خشبته فاذا هو رطب ولم يتغير منه شي بعد اربعين
يوما ويده على جراحته وهي تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على
فرسه وسارا فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فاخبروا قريشا فركب منهم سبعون
فارسا فلما لحقوهم قذف الزبير خبيبا فابتلعته الارض فسمي بليع الارض وقال
الزبير ما جراكم علينا يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن راسه وقال انا الزبير بن
العوام وامي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الاسود اسدان رابضان
يدفعان عن شبليهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا
الى مكة وقدم الزبير وصاحبه المقداد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده
فقال يا محمد ان الملايكة لتباهي بهذين من اصحابك ونزل في الزبير والمقداد ومن الناس

من

من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله حين شريا انفسهما بانزال خبيب عن خشبته وقال
اكثر المفسرين نزلت في صهيب بن سنان الرومي وانما نسب الى الروم لان منازلهم
كانت بارض الموصل فاغارت الروم على تلك الناحية فسبوه وهو غلام صغير فنشا
بالروم وانما كان من العرب ابن النمر بن قاسط قال سعيد بن المسيب وعطا اقبل صهيب
مهاجرا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونثل
ما كان في كنانته وقال والله لا يصلوا الي او ارمي بكل سهم معي ثم اضرب بسيفي ما بقي
في يدي وان شيتم دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلي فقالوا نعم ففعل
فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء
مرضات الله الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع يا ابا يحيى وتلا عليه هذه
الاية وقال الحسن اتدرون فيم نزلت هذه الاية نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول
له قل لا اله الا الله فيابى ان يقولها فيقول المسلم والله لاشرين نفسي لله فتقدم
فقاتل وحده حتى قتل وقيل نزلت هذه الاية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال
ابن عباس رضي الله عنهما اي من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله يقوم فيامر هذا بتقوى
الله فاذا لم يقبل واخذته العزة بالاثم قال هذا وانا اشري نفسي لله فقاتله
وكان علي كرم الله وجهه اذا قرا هذه الاية يقول اقتتلا ورب الكعبة وسمع عمر
رجلا يقرا هذه الاية ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر انا
لله وانا اليه راجعون قام رجل فامر بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل عن ابي سعيد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جاير اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب واما تفسير الاية فذكر المفسرون ان المراد بهذا
الشرى البيع ومنه قوله وشروه بثمن اي باعوه والمعنى ان المسلم باع نفسه بثواب الله
تعالى في الدار الاخرة وهذا البيع هو ان يبذل نفسه في طاعة الله من صلاة وصيام وحج
وجهاد وامر بمعروف ونهي عن منكر فكان ما يبذله من نفسه كالسلعة وصار كالبايع
والله تعالى المشتري والثمن هو ثواب الله تعالى في الاخرة ابتغاء مرضات الله اي طلب
رضى الله **والله رءوف بالعباد** اي من رافة الله بعباده ان جعل النعيم الدايم في الجنة
جزاء على العمل القليل المنقطع ومن رافته انه يقبل توبة عبده ومن رافته ان نفس العباد
واموالهم له ثم انه تعالى يشتري ملكه بملكه فضلا منه ورحمة واحسانا قوله عز
وجل **يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة** نزلت في مومني اهل الكتاب عبد الله بن سلام
واصحابه وذلك لما اسلموا قاموا على تعظيم شرايع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحوم
الابل والبانها وقالوا ان ترك هذه الاشيا مباح في الاسلام وواجب في التوراة وقالوا
ايضا يا رسول الله ان التوراة كتاب الله دعنا فلنقم به في صلاتنا بالليل فانزل الله
هذه الاية وامرهم ان يدخلوا في السلم اي في شرايع الاسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فانها
منسوخة والمعنى استسلموا لله واطيعوه فيما امركم به وقيل هو خطاب لمن لم يومن بمحمد
صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى ادخلوا في السلم كافة

أي في الاسلام وروي جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتاه عمر فقال انا نسمع أحاديث
من يهود وتعجبنا أفترى أن نكتب بعضها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أمتهوكون كما تهوكت اليهود
والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو أن عيسى حيا ما وسعه إلا اتباعي قوله أمتهوكون أي
متحيرون أنتم في دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى وقوله لقد جئتكم بها يعني بالملة الحنيفية
بيضاء نقية أي لا تحتاج إلى شيء وقيل يحتمل أن يكون خطابا للمنافقين من المؤمنين والمعنى
يا أيها الذين آمنوا بألسنتهم ادخلوا في السلم أي الانقياد والطاعة لأن أصل السلم
الاستسلام وهو الانقياد كافة أي بجمعكم ولا تتفرقوا وقيل يحتمل أن يرجع إلى الإسلام
والمعنى ادخلوا في أحكام الإسلام وشرائعه كافة وهذا المعنى أليق بظاهر التفسير
لأنهم أمروا بالقيام بها كلها قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية للإسلام ثمانية أسهم فعل
الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد
خاب من لا سهم له ولا تتبعوا خطوات الشيطان يعني آثاره فيما زين لكم من تحريم
السبت ولحوم الإبل وغير ذلك وقيل ولا تلتفتوا إلى الشبهات التي يلقيها إليكم أصحاب
الضلالة والغواية ولا تتبعوا المضلة لأن من اتبع سنة إنسان فقد تبع أثره إنه لكم عدو
مبين يعني الشيطان فإن قلت عداوته بأنها الصدر والقاء الوسوسة فكيف
يصح ذلك مع الاعتقاد بأن الله هو الفاعل للجميع لا شيء قلت إن الله يجاوز أيضا الصدور
والبيان لكن الله متعه عن ذلك وأما الوسوسة فمعلوم أنه يزين المعاصي والقاء
الشبهات وكل سبب لوقوع الإنسان في مخالفة الله تعالى فيصده بذلك عن الثواب
فهذا من أعظم جهات العداوة فإن قلت كيف وصف الشيطان بأنه مبين مع أنا لا نراه
قلت إن الله تعالى بين عداوته لنا فهو بين وإن لم نره فإن زللتم أي ملتم
وضللتم وقال ابن عباس أشركتم من بعد ما جاءتكم البينات أي الدلالات الواضحة
فاعلموا أن الله عزيز أي في نقمته ممن خالفه غالب لا يعجزه شيء حكيم يعني أنه لا
ينتقم إلا بالحق والحكيم ذو الإصابة في الأمور كلها وفي الآية وعيد وتهديد لمن في
قلبه شك ونفاق أو عنده شبهة في الدين قوله عز وجل هل ينظرون أي ينتظرون
التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان إلا أن يأتيهم الله
في ظلل جمع ظلة من الغمام يعني السحاب الأبيض الرقيق سمي غماما لأنه يغم
ويستر وقيل هو شيء غير السحاب ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم وهو كهيئة الضباب
الأبيض والملائكة أي وتأتيهم الملائكة وروى الطبراني في تفسيره بسند متصل
عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن من الغمام طاقات يأتي الله عز
وجل فيها محفوفا وذلك قوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة
وقضي الأمر قال عكرمة والملائكة حوله وقيل معناه حول الغمام وقيل حول الرب
تبارك وتعالى واعلم أن هذه الآية من آيات الصفات وللعلماء في آيات الصفات وأحاديث
الصفات مذهبان أحدهما وهو مذهب سلف هذه الأمة وأعلام أهل السنة الإيمان
والتسليم لما جاء في آيات الصفات وأحاديث الصفات وأنه يجب علينا الإيمان بظاهرها



ونؤمن بها كما جاءت ونكل علمها إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الإيمان والاعتقاد
بأن الله تعالى منزه عن سمات الحدوث وعن الحركة والسكون قال الكلبي هذا من الذي
لا يفسر وقال سفيان بن عيينة كل ما وصف الله به نفسه في كتابه وتفسيره قراءته
والسكوت عليه ليس لأحد أن يفسره إلا الله ورسوله وكان الزهري والأوزاعي
ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد وأحمد بن حنبل وإسحاق
بن راهويه يقولون في هذه الآية وأمثالها أمروها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه
ولا تأويل وهذا مذهب أهل السنة ومعتقد سلف الأمة وأنشد بعضهم في المعنى

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته • ولا ذاته شيء عقيدة صائب
نسلم آيات الصفات بأسرها • وأخبارها للظاهر المتقارب
ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا • وتأويلنا فعل اللبيب المغالب
ونركب للتسليم سفنا فإنها • لتسليم دين المرء خير المراكب

المذهب الثاني وهو قول جمهور العلماء المتكلمين وذلك أنه أجمع جميع المتكلمين من
العقلاء والمعتبرين من أصحاب النظر أنه تعالى منزه عن المجيء والذهاب ويدل على
ذلك أنه كلما صح عليه المجيء والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان وما
لا ينفك عن المحدث فهو محدث والله تعالى منزه عن ذلك فيستحيل في حقه تعالى
فثبت بذلك أن ظاهر الآية ليس مرادا فلا بد من تأويلها على سبيل التفصيل فقيل
هذا من قبيل في معنى الآية هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالآيات فيكون مجيء الآيات مجيئا
له على سبيل التفخيم لشأن الآيات وقيل معناه إلا أن يأتيهم أمر الله ووجه هذا
التأويل أن الله تعالى ذكر في آية أخرى فقال هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة
أو يأتي أمر ربك فصار هذا الحكم مفسرا لهذا المجمل في هذه الآية وقيل معناه
أن يأتيهم الله بما وعد من الحساب والعقاب فحذف ما يأتي به تهويلا عليهم إذ لو
ذكر ما يأتي به كان أسهل عليهم في باب الوعيد وإذا لم يذكر كان أبلغ وقيل يحتمل أن
تكون في بمعنى الباء لأن بعض الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون
إلا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة والمراد العذاب الذي يأتي
من الغمام مع الملائكة وقيل معناه ما ينظرون إلا أن يأتيهم قهر الله وعذابه في ظلل
من الغمام فإن قلت لم كان إتيان العذاب في الغمام قلت لأن الغمام مظنة الرحمة فمنه
ينزل المطر فإذا نزل منه العذاب كان أعظم وأفظع وقيل نزول الغمام علامة لظهور الأشياء
والأهوال والملائكة وقضي الأمر أي وجب العذاب وفرغ من الحساب وذلك فصل القضاء
بين العباد يوم القيامة وإلى الله ترجع الأمور أي إلى الله تصير أمور العباد
في الآخرة فإن قلت هل كانت ترجع إلى غيره قلت إن أمور جميع العباد ترجع إليه في
الدنيا والآخرة ولكن المراد من هذا إعلام الخلق أنه المجازي على الأعمال بالثواب والعقاب
وجواب آخر هو أن العبد قد يعطي غيره في الدنيا ما أضافوه إلى سواه فإذا كان
يوم القيامة انكشف الغطاء ردوا إلى الله ما أضافوه إلى غيره في الدنيا قوله عز وجل

**سل بني اسرائيل** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره ان يسال يهود المدينة وليس
المراد بهذا السؤال العلم بالايات لانه كان صلى الله عليه وسلم قد علمها باعلام الله اياه
ولكن المراد بهذا السؤال التقريع والتوبيخ والمبالغة في الزجر عن الاعراض عن دلايل
الله وترك الشكر وقيل المراد بهذا السؤال التقرير وتذكير النعم التي نعم بها على سلفهم
**كم اتيناهم من اية بينة** اي من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا
واليد البيضا وفلق البحر وانزال المن والسلوى **ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته**
يعني يغير الايات التي جاءته من الله لانها هي سبب الهدى والنجاة من الضلالة وقيل
يحتج الله الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انهم انكروها وبدلوها وقيل المراد
بنعم الله عهده الذي عهد اليهم فلم يفوا به **فان الله شديد العقاب** يعني
لمن بدل نعمة الله قوله عز وجل **زين للذين كفروا الحياة الدنيا** نزلت في مشركي العرب
ابي جهل واصحابه لانهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم في الدنيا من المال ويكذبون
بالمعاد وقيل نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه وقيل نزلت في روساء
اليهود ويحتمل انها نزلت في الكل والمزين هو الله بدليل قراءة من قرا زين بفتح الزاي
وذلك لا يمتنع ان يكون الله تعالى هو المزين لهم بما اظهره في الدنيا من الزهرة والنضارة
والطيب واللذة وخلق الاشيا العجيبة والمناظر الحسنة وانما فعل ذلك ابتلاء لعباده
وذلك انه جعل دار الدنيا دار ابتلاء وامتحان وركب في الطباع الميل الى اللذات وحب
الشهوات لا على سبيل الالجا والقسر الذي لا يمكن تركه بل على سبيل التحبب الذي تميل
النفس اليه مع امكان ردها عنه ونظر الخلق الى الدنيا اكثر من قدرها فاعجبهم حسنها
وزهرتها وزينتها فاحبوها وفتنوا بها وقيل ان المراد من التزيين انه تعالى امهلهم
في الدنيا حتى اقبلوا عليها واحبوها فكان هذا الامهال هو التزيين وقيل ان المزين هو
الشيطان وغواة الجن والانس وذلك انهم زينوا للكفار الحرص على الدنيا وطلبها
وقبحوا لهم امر الاخرة وقيل اوهموهم ان لا اخرة ليقبلوا على لذات الدنيا وطلب الحرص
عليها فهذا التاويل ضعيف لان قوله تعالى زين للذين كفروا يتناول جميع الكفار
فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن والانس وان كلهم مزين يزين لهم وهذا المزين
لا بد ان يكون مغايرا لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة **ويسخرون من الذين
امنوا** يعني ان الكفار يستهزئون بفقرا المومنين قال ابن عباس مثل عبد الله بن
مسعود وعمار بن ياسر وصهيب وبلال ونظرائهم وقيل كانوا يقولون انظروا الى
هولاء الذين يزعم محمد انه يغالب بهم **والذين اتقوا** يعني الفقرا المومنين **فوقهم
يوم القيامة** اي فوق الكفار لان الفقرا في عليين والكفار والمنافقين في اسفل السافلين
ق عن حارثة بن وهب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا اخبركم باهل الجنة
كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ
جعظري مستكبر العتل الفظ الغليظ الشديد في الخصومة الذي لا ينقاد لخير
والجواظ الفاجر المختال في مشيه وقيل هو القصير البطين والجعظري الفظ الغليظ





وقيل هو الذي يمتدح بما ليس فيه او عنده ق عن اسامة بن زيد عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين واصحاب الجد محبوسون
غير ان اصحاب النار قد امر بهم الى النار وقمت على باب النار فاذا عامة من دخلها النسا
الجد بفتح الجيم هو الحظ والغنا وكثرة المال **والله يرزق من يشا بغير حساب** قال ابن عباس
يعطي كثيرا بغير مقدار لان كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى انه يوسع لمن
يشا من عباده وقيل يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الاخرة وقيل معناه انه يرزق
من يشا من حيث لا يحتسب وقيل معناه انه يرزقه بغير استحقاق وقيل معناه
انه تعالى لا يخاف نفاد ما في خزاينه حتى لا يحتاج الى حساب لما يخرج منها لان الحساب
انما يكون ليعلم قدر ما يعطي والله غني عالم بما يعطي ولا يخاف نفاد خزاينه لانها بين الكاف
والنون وقيل معناه ان الله يقتر الرزق على من يشا ويبسط الرزق على من يشا ولا يعطي
كل واحد على قدر حاجته بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج اليه ولا معارض له في حكمه ويحاسب
ولا يقال اعطيت هذا وحرمت هذا ولا لم اعطيت هذا ولا لما اعطيت هذا اكثر من
ذاك لانه تعالى لا شريك له في ملكه ينازعه ولا يسال عما يفعل وقيل يحتمل ان يكون
المراد منه ما يعطي الله المتقين في الاخرة من الثواب والكرامة بغير محاسبة منه
لهم على ما من به عليهم بغير حساب وذلك ان نعيم الجنة لا نفاد له ولا انقطاع وقيل
يحتمل ان يكون المراد انه تعالى يعطي اهل الجنة الثواب والاجر بقدر اعمالهم ثم يتفضل
عليهم فذلك الفضل منه اليهم بغير حساب قوله عز وجل **كان الناس امة واحدة**
اي على دين واحد قيل هو ادم وذريته كانوا مسلمين على دين واحد الى ان قتل قابيل
هابيل فاختلفوا وقيل كان الناس على شريعة واحدة من الحق والهدى من وقت ادم
الى مبعث نوح وكانوا مومنين ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل ان العرب كانت على دين
ابراهيم عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي وقيل كان الناس امة واحدة حين اخرجوا من ظهر
ادم لاخذ الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية ولم يكونوا
امة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهروا الى الوجود اختلفوا بسبب البغي والحسد وقيل
ان ادم وحده كان امة واحدة يعني اماما وقدوة يقتدى به ولما ظهر الاختلاف بعده
وقيل كان الناس امة واحدة على الكفر والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين
فان قيل اليس قد كان فيهم من هو مسلم نحو هابيل وشيث وادريس ونحوهم فالجواب
ان الغالب في ذلك الزمان كان الكفر والحكم للغالب وقيل ان الاية دلت على ان الناس
كانوا امة واحدة وليس فيها ما يدل على انهم كانوا على ايمان او كفر فهو موقوف على دليل
من خارج **فبعث الله النبيين** وجملتهم مائة الف واربعة وعشرون الفا الرسل
منهم ثلثمائة وثلاثة عشر المذكور منهم في القرآن باسما الاعلام ثمانية وعشرون
نبيا **مبشرين** يعني بالثواب لمن اطاع وامن **ومنذرين** يعني مخوفين بالعقاب
لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ الصحة
للابدان والانذار يجري مجرى ازالة المرض ولا شك ان المقصود الاول فكان

اولى بالتقديم وانزل معهم الكتاب اي الكتب ويكون التقدير وانزل مع كل واحد الكتاب
بالحق اي بالعدل والصدق وجملة الكتب المنزلة من السما مائة واربعة كتب انزل
على آدم عشرة صحايف وعلى شيث ثلثون وعلى ادريس خمسون وعلى موسى عشرة
صحايف والتوراة وعلى داود الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم
القران ليحكم بين الناس يعني الكتاب وانما اضيف الحكم الى الكتاب وان كان الحاكم
هو الله تعالى لانه انزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذي انزله وقيل معناه ليحكم
بين الناس كل نبي بكتابه المنزل عليه فاسناد الحكم الى الكتاب او النبي مجاز والله هو الحاكم
في الحقيقة فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه من بعد ما كانوا متفقين
عليه وما اختلف فيه اي في الحق الا الذين اوتوه اي اعطوا الكتاب والمراد بها التوراة
والانجيل والذين اوتوه اليهود والنصارى واختلافهم هو تكفير بعضهم بعضا بغيا
وحسدا وقيل اختلافهم تحريفهم وتبديلهم وقيل الكناية فيه راجعة الى محمد صلى الله
عليه وسلم والمعنى وما اختلف في امر محمد صلى الله عليه وسلم بعد وضوح الدلالات في صحة
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا اليهود الذين اوتوا الكتاب بغيا منهم وحسدا
من بعد ما جاءتهم البينات اي الدلالات الواضحات على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بغيا بينهم اي انهم لم يبق لهم عذر في العدول عنه وترك ما جاء به وانما تركوا
اتباعه بغيا وحسدا وهو طلب الدنيا وطلب الرياسة فهدى الله الذين امنوا لما
اختلفوا فيه اي الى ما اختلفوا فيه من الحق وكان اختلافهم الذي اختلفوا فيه
الجمعة فهدى الله تعالى هذه الامة الاسلامية اليها ق عن ابي هريرة قال قال رسول
صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون يوم القيامة اوتوا الكتاب من قبلنا
واوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله فغدا لليهود وبعد
غد للنصارى وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الاخرون
السابقون بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم
فاختلفوا فيه فهدانا الله له زاد النسائي يعني يوم الجمعة ثم اتفقنا فالناس لنا تبع
اليهود غدا والنصارى بعد غد م عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد
فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الله الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع
لنا يوم القيامة نحن الاخرون من اهل الدنيا الاولون يوم القيامة المقضي لهم
يوم القيامة قبل الخلايق وقيل اختلفوا في شان القبلة فصلت اليهود نحو
الغرب الى بيت المقدس وصلت النصارى الى الشرق وهدانا الله الى الكعبة وقيل
اختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا في ابراهيم فقالت اليهود
كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله الى الحق فقلنا كان حنيفا
مسلما واختلفوا في عيسى بن مريم فاليهود فرطوا فيه والنصارى افرطوا فيه
فهدانا الله في ذلك كله للحق والمعنى فهدى الله الذين امنوا الى الحق الذي اختلف

فيه



فيه من اختلف باذنه يعني بعلمه وامره وارادته والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
قوله عز وجل ام حسبتم ان تدخلوا الجنة نزلت في غزوة الاحزاب وهي غزوة
الخندق وذلك ان المسلمين اصابهم ما اصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق
العيش الذي كانوا فيه يومئذ وقيل نزلت في غزوة احد وقيل لما دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه المدينة في اول الهجرة اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا بلا
مال وتركوا اموالهم وديارهم بايدي المشركين واثروا رضى الله ورسوله واظهرت
اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسر قوم النفاق فانزل الله هذه
الاية تطييبا لقلوبهم ومعنى الاية احسبتم والميم صلة وقيل بل حسبتم والمعنى
اظننتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة بمجرد الايمان ولم يصبكم مثل ما اصاب من
كان قبلكم من اتباع الانبيا والرسل من الشدايد والمحن والابتلا والاختبار وهو
قوله ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم اي شبه الذين مضوا قبلكم من النبيين
واتباعهم من المؤمنين ومثل محنتهم مستهم البأساء اي اصابهم الفقر والشدة والمسكنة
وهو اسم من البؤس والضراء يعني المرض والزمانة وضروب الخوف وزلزلوا اي وحركوا
بانواع البلايا والرزايا واصل الزلزلة الحركة وذلك لان الخايف لا يستقر بل لا
يزال يضطرب ويتحرك لقلقه حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله
وذلك لان الرسل اثبت من غيرهم واصبر واضبط للنفس عند نزول البلاء وكذا اتباعهم
من المؤمنين والمعنى انه بلغ بهم الجهد والشدة والبلاء ولم يبق لهم صبر وذلك هو
الغاية القصوى في الشدة فلما بلغ بهم الحال في الشدة الى هذه الغاية واستبطؤوا
النصر قيل لهم الا ان نصر الله قريب اجابة لهم الى طلبهم والمعنى هكذا كان حالهم
لم يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم الى ان ياتيهم نصر الله فكونوا يا معشر المؤمنين
كذلك وتحملوا الاذى والشدة والمشقة في طلب الحق فان نصر الله قريب خ عن خباب
بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في
ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل
فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين
ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله
هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه
ولكنكم تستعجلون يسألونك ماذا ينفقون نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا
كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق فانزل الله تعالى
يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير اي مال والمعنى وما تفعلوا
من انفاق شي من المال قل او كثر فللوالدين وانما قدم الانفاق على الوالدين
لوجوب حقهما على الولد لانهما كانا السبب في اخراجه من العدم الى الوجود
والاقربين وانما ذكر بعد الوالدين الاقربين لان الانسان لا يقدر ان يقوم
بمصالح جميع الفقرا فتقديم القرابة اولى من غيرهم واليتامى وانما ذكر بعد

الاقربين اليتامى لصغرهم ولانهم لا يقدرون على الاكتساب ولا لهم احد ينفق عليهم **والمساكين** وانما اخرهم لان حاجتهم اقل من حاجة غيرهم **وابن السبيل** يعني المسافر فانه بسبب انقطاعه عن بلده قد يقع في الحاجة والفقر فانظر الى هذا الترتيب الحسن العجيب في كيفية الانفاق ثم لما فصل الله هذا التفصيل الحسن الكامل اتبعه بالاجمال فقال تعالى **وما تفعلوا من خير فان الله به عليم** وما تفعلوا من خير مع هؤلاء او غيرهم طلبا لوجه الله تعالى ورضوانه فان الله به عليم فيجازيكم عليه وذكر علماء التفسير ان هذه الاية منسوخة قال ابن مسعود نسختها اية الزكاة وقال الحسن انها محكمة ووجه احكامها ان الله ذكر فيها من تجب النفقة عليه مع فقره وهما الوالدين وقال ابن زيد هذا في النفل وهو ظاهر الاية فمن احب التقرب الى الله تعالى بالانفاق فالاولى به ان ينفق في الوجوه المذكورة في الاية فيقدم الاولى فالاولى بقي في الاية سؤال وهو انه كيف طابق السؤال الجواب وهو انهم سألوا عن بيان ما ينفق فاجيبوا ببيان المصرف واجيب عن هذا السؤال بانه قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو المال ثم ضم اليه جواب السؤال ما يكمل به المقصود وهو بيان المصرف لان النفقة لا تعد نفقة الا ان تقع موقعها قال الشاعر

ان الصنيعة لا تعد صنيعة • حتى يصاب بها طريق المصنع •

قوله عز وجل **كتب عليكم القتال** اي فرض عليكم الجهاد واختلف العلماء في حكم الاية فقال عطاء الجهاد تطوع والمراد من الاية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثوري وحكي عن الاوزاعي نحوه وحجة هذا القول ان قوله كتب عليكم يقتضي الايجاب ويكفي العمل به مرة واحدة وحجة من اوجبه على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله كتب عليكم يقتضي تخصيص هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت وقيل بل الاية على ظاهرها والجهاد فرض على كل مسلم ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل امير برا كان او فاجرا اخرجه ابو داود بزيادة فيه ق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وعلى ان الجهاد على الكفاية اذا قام به البعض سقط الفرض عن الباقين وهذا القول هو المختار الذي عليه جمهور العلماء قال الزهري كتب الله القتال على الناس جاهدوا او لم يجاهدوا فمن غزا فيها ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به اعان وان استنفر نفر وان استغني عنه قعد قال الله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد تاركا فرضا لم يعده بالحسنى واختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الاية على ثلاثة اقوال احدها انها محكمة ناسخة للعفو عن المشركين القول الثاني انها منسوخة لان فيها وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة القول الثالث انها ناسخة من وجه ومنسوخة



من وجه فالناسخ منه ايجاب الجهاد مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ ايجاب الجهاد على الكافة وقوله تعالى **وهو كره لكم** اي القتال شاق عليكم وهذا الكره انما حصل من حيث نفور الطبع عن التناول لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف لا انهم كرهوا امر الله وقيل نسخ الكره بقوله تعالى اخبارا عنهم وقالوا سمعنا واطعنا وقيل انما كان كراهتهم القتال قبل ان يفرض عليهم لما فيه من الخوف والشدة وكثرة الاعداء فبين الله تعالى ان الذي تكرهون من القتال هو خير لكم من تركه لئلا يكرهونه بعد ان فرض عليهم **وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم** لفظة عسى توهم الشك مثل لعل وهو من الله يقين وقيل انها كلمة مطمعة فهي لا تدل على حصول الشك للقائل وتدل على حصول الشك للمستمع والمعنى ان الغزو فيه احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة وقيل ربما كان الشيء شاقا في الحال وهو سبب المنافع الجليلة في المستقبل ومثله شرب الدواء المر فانه ينفر عنه الطبع في الحال ويكرهه لكن يتحمل هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول الصحة في المستقبل **وعسى ان تحبوا شيئا** يعني القعود عن الغزو **وهو شر لكم** يعني لما فيه من فوات الغنيمة والاجر وطمع العدو فيكم لانه اذا علم ميلكم الى الراحة والدعة والسكون قصد بلادكم وحاول قتالكم واذا علم ان فيكم شهامة وجلادة على القتال كف عنكم **والله يعلم** يعني ما في الجهاد من الغنيمة والاجر والخير **وانتم لا تعلمون** يعني ذلك والمعنى ان العبد اذا علم قصور علمه وكمال علم الله تعالى امره بامر كان ذلك الامر فيه مصلحة عظيمة فيجب على العبد امتثال امر الله تعالى وان كان يشق على النفس في الحال قوله عز وجل **يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه** سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته في سرية في جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين وامره على السرية وكتب له كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب فاقرأه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا تستكرهن احدا منهم على المسير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فسر على بركة الله بمن معك باصحابك حتى تنزل بطن نخل فارصد بها عير قريش لعلك تاتينا منها بخبر فقال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك وقال انه نهاني ان استكره احدا منكم فمن كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كان يكره فليرجع ثم مضى ومضى اصحابه معه وكانوا ثمانية رهط لم يتخلف عنه احد منهم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع بموضع من الحجاز يقال له بحران اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يتعقبانه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ببقية اصحابه حتى نزل في بطن نخلة بين مكة والطائف فبينما هم كذلك اذ مرت بهم عير لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطائف وفيها عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فقال عبد الله بن جحش

ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم وليتعرض لهم فاذا راوه محلوقا امنوا
فحلقوا راس عكاشة بن محصن ثم اشرف عليهم فلما راوه امنوا وقالوا قوم عمار فلا
باس علينا وكان ذلك في اخر يوم من جمادى الاخرة وكانوا يرون انه من رجب فتشاور
القوم فيهم وقالوا متى تركتموهم هذه الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم فاجمعوا
امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله
فكان اول قتيل من المشركين واسر الحكم وعثمان بن كيسان وكانا اول اسيرين في الاسلام
وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المسلمون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام وسفك الدما واخذ الحرايب
يعني المال وعيرت بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم
الشهر الحرام وقاتلتم فيه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعبد الله بن
جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان
ياخذ شيا من ذلك وعنف المسلمون اصحاب السرية فيما صنعوا وقال لهم صنعتم ما لم
تومروا به فعظم ذلك على اصحاب السرية وظنوا انهم قد هلكوا وسقط في ايديهم وقالوا
يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا الى هلال رجب فلا ندري افي رجب
اصبناه ام في جمادى واكثر الناس في ذلك فانزل الله هذه الاية فاخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس وكان اول خمس في الاسلام واول غنيمة قسمت
فقسم الباقي على اصحاب السرية وبعث اهل مكة في فداء اسيريهم فقال بل نبقيهما حتى
يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم ابن كيسان
فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بير معونة شهيدا
واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم
الاحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا وقتله الله فطلب
المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة
خبيث الدية فاما تفسير الاية فقوله تعالى يسيلونك يعني يا محمد عن الشهر الحرام
يعني رجبا فسمي بذلك لتحريم القتال فيه وفي السايلين رسول الله صلى الله عليه وسلم
قولان احدهما انهم المسلمون سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل اخطاوا ام اصابوا
وقيل ان المسلمين كانوا يعلمون ان القتال في الحرم وفي الاشهر الحرم لا يحل فلما كتب
عليهم القتال سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في الشهر الحرام فنزلت
هذه الاية والقول الثاني ان السايلين هم المشركون وانما سالوا على وجه العيب على
المسلمين فنزلت هذه الاية يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل يا محمد **قتال فيه
كبير** اي عظيم مستكبر واختلف العلما في حكم هذه الاية على قولين احدهما انها محكمة
وانه لا يجوز الغزو في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل الدفع
روي عن عطا انه كان يحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الشهر الحرام ولا ان يقاتلوا
فيه وما نسخت والقول الثاني الذي عليه جمهور العلما وهو الصحيح انها منسوخة قال



سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار القتال جايز في الشهر الحرام وهذه الاية منسوخة
بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله قاتلوا المشركين كافة في الاشهر
الحرم وغيرها **وصد عن سبيل الله** هذا ابتدا كلام والمعنى وصدكم المسلمين على الحج
او وصدكم عن الاسلام من يريده **وكفر به** اي بالله **والمسجد الحرام** اي وصدكم عن
المسجد الحرام **واخراج اهله منه** يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين
حين اذيتموهم حتى هاجروا وتركوا مكة وانما جعلهم اهله لانهم كانوا هم القايمين بحقوق
المسجد الحرام دون المشركين **اكبر عند الله** اي الشرك الذي انتم عليه **اكبر من القتل**
يعني قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام فلما نزلت هذه الاية كتب عبد الله بن انيس
وقيل عبد الله بن جحش الى مومني مكة ان عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام
فعيروهم انتم بالكفر وباخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة والمسلمين ومنعكم
اياهم من البيت **ولا يزالون** يعني مشركي مكة **يقاتلونكم** يعني يا معشر المومنين **حتى
يردوكم عن دينكم** يعني الى دينهم وهو الكفر **ان استطاعوا** يعني ان قدروا على
ذلك وفيه استبعاد لاستطاعتهم فهو كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي
وهو واثق انه لا يظفر به **ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر** يعني ومن يطاوعهم
منكم فيرجع الى دينهم فيمت على ردته قبل ان يتوب **فاوليك حبطت اعمالهم** اي بطلت
اعمالهم **في الدنيا والاخرة** وهو المرتد يقتل ويبين زوجته منه ولا يستحق الميراث
من اقاربه المومنين ولا ينصر ان استنصر ولا يمدح ولا يثنى عليه ويكون ماله فيا
للمسلمين هذا في الدنيا ولا يستحق الثواب على اعماله ويحبط اجرها في الاخرة وظاهر
الاية يقتضي ان الارتداد انما تتفرع عليه الاحكام اذا مات المرتد على الكفر اذا اسلم
بعد الردة لم يثبت عليه شي من احكام الردة وفيه دليل للشافعي ان الردة لا تحبط
الاعمال حتى يموت المرتد على ردته وعند ابي حنيفة ان الردة تحبط العمل وان اسلم
**واوليك اصحاب النار** يعني الذين ماتوا على الردة والكفر هم اصحاب النار **هم فيها
خالدون** اي لا يخرجون منها ابدا **ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله** نزلت في عبد الله بن جحش واصحابه وذلك ان اصحاب السرية قالوا يا
رسول الله هل نوجر على وجهنا هذا ونطمع ان يكون لنا غزو فانزل الله هذه الاية وعن
جندب بن عبد الله قال لما كان من امر عبد الله بن جحش واصحابه وامر ابن الحضرمي ما كان
قال بعض المسلمين ان لم يكونوا اصابوا في سفرهم وزرا فليس لهم فيه اجر فانزل الله
هذه الاية ان الذين امنوا والذين هاجروا اي فارقوا مساكنهم وعشايرهم واموالهم
وفارقوا مساكنة المشركين في امصارهم ومجاورتهم في ديارهم فتحولوا عن المشركين
وعن بلادهم الى غيرها وجاهدوا يعني المشركين في سبيل الله اي في طاعة الله فجعل الله
لاصحاب هذه السرية جهادا **اوليك يرجون رحمت الله** اي يطمعون في نيل رحمة الله
لخبرانهم على رجا الرحمة وقيل المراد من الرجا هنا القطع من اصل الثواب وانما دخله
الظن في كميته ووقته قال قتادة اثنى الله تعالى على اصحاب محمد احسن الثنا فقال

اي اعظم وزرا عند الله من القتال في الشهر الحرام والفتنة

ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله
بولانهم خيرا ذا لامة بذع ثم جعلهم الله لسل رجا كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن
خاف هرب **والله غفور** اي لذنوب عباده **رحيم** بهم والمعنى انه تعالى غفر لعبد الله
ابن جحش واصحابه ما لم يعلموا به قوله عز وجل **يسئلونك عن الخمر والميسر** الاية
نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الانصار اتوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا يا رسول الله افتنا في الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل مسلبة
للمال فانزل الله هذه الاية واصل الخمر في اللغة الستر والتغطية وسميت الخمر خمرا
لانها تخامر العقل اي تخالطه وقيل لانها تستره وتغطيه وجملة القول في تحريم
الخمر ان الله عز وجل انزل في الخمر اربع ايات نزل بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها في اول الاسلام وهي لهم حلال ثم نزلت
بالمدينة في جواب سوال عمر ومعاذ يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير فتركها
قوم لقوله اثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس ثم ان عبد الرحمن بن عوف
صنع طعاما ودعا اليه ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطعمهم وسقاهم
الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا احدهم ليصلي بهم فقرا قل يا ايها الكافرون
اعبد ما تعبدون بحذف حرف لا الى اخر السورة فانزل الله عز وجل يا ايها الذين
امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم الله السكر
في اوقات الصلاة فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشا فيصبح وقد زال سكره فيصلي
الصبح ويشربها بعد صلاة الصبح فيصحوا وقت صلاة الظهر ثم ان عتبان بن مالك
اتخذ صنيعا يعني وليمة ودعا رجالا من المسلمين وفيهم سعد بن ابي وقاص وكان قد
شوي لهم راس بعير فاكلوا وشربوا الخمر حتى اخذت منهم فافتخروا عند ذلك وانتسبوا
وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدا فيها فخر قومه وهجا الانصار فاخذ
رجل من الانصار لحي البعير فضرب به راس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى اليه الانصاري فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر
بيانا شافيا ويروى ان حمزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوما وخرج فلقي رجلا من
الانصار وبيده ناضح له والانصاري يتمثل ببيتين لكعب بن مالك يمدح قومه وهما

جمعنا مع الايواء نصرا وهجرة • فلم يرحي مثلنا في المعاشر •
فاحيانا من خير احيا من مضى • واموا اتنا من خير اهل المقابر •

فقال حمزة اولئك المهاجرون فقال الانصاري بل نحن الانصار فتنازعا فجرد حمزة
سيفه وعدا على الانصاري فهرب الانصاري وترك ناضحه فقطعه حمزة وجاء الانصاري
مستعديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بفعل حمزة فغضب له رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فانزل الله تعالى
الاية التي في المائدة الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وذلك بعد
غزوة الاحزاب بايام والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب ان الله تعالى علم ان





القوم الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فاعلم انه لو منعهم من الخمر دفعة
واحدة لشق ذلك عليهم فلاجرم استعمل هذا التدريج وهذا الرفق قال انس
حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش اعجب منها وما حرم عليهم شي اشد من
الخمر عن انس قال ما كان لنا خمر غير فضيخكم واني لقايم اسقي ابا طلحة وابا
ايوب وفلانا وفلانا اذ جاء رجل فقال حرمت الخمر فقال اهرق هذه القلال
يا انس فما سالوا عنها ولا راجعوه بعد خبر الرجل الفضيخ بالضاد والخا المعجمتين
شراب يتخذ من بسر مطبوخ والفضوخ المشدوخ والمكسور والاهراق الصب
والقلال جمع قلة وهي الجرة الكبيرة **فصل** في تحريم الخمر ووعيد من
شربها اجمعت الامة على تحريم الخمر وانه يحد شاربها ويفسق بذلك مع اعتقاد
تحريمها فان استحلها كفر بذلك ويجب قتله **ق** عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو
يدمنها لم يتب منها لم يشربها في الاخرة لفظ مسلم **م** عن جابر ان رجلا قدم من
جيشان وجيشان من اليمن فسال النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بارضهم
من الذرة يقال له المزر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او مسكر هو فقال نعم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وان على الله عهدا لمن يشرب المسكر
ان يسقيه من طينة الخبال قالوا وما طينة الخبال يا رسول الله قال عرق اهل
النار او عصارة اهل النار وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر
خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا بخست صلاته اربعين صباحا فان تاب
تاب الله عليه فان عاد الرابعة كان حقا على الله ان يسقيه من طينة الخبال قيل وما
طينة الخبال يا رسول الله قال صديد اهل النار اخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو
بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر فجعلها في بطنه لم يقبل
منه صلاة سبعا وان مات فيها مات كافرا فان اذهبت عقله عن شي من الفرايض وفي
رواية عن القران لم تقبل صلاته اربعين يوما وان مات فيها مات كافرا اخرجه
النسائي عن عثمان بن عفان قال اجتنبوا الخمر فانها ام الخبائث فانها والله لا يجتمع
والايمان ابدا الا يوشك ان يخرج احدهما صاحبه اخرجه النسائي موقوفا
عليه وفيه قصة عن انس قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها
ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وبايعها ومبتاعها وواهبها واكل
ثمنها اخرجه الترمذي **فصل** في احكام تتعلق بالخمر وفيه مسايل الاولى
في ماهيتها قال الشافعي الخمر عبارة عن عصير العنب الشيء الشديد الذي قذف
بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر والمتخذ من العسل والحنطة والشعير والارز
والذرة وكل ما اسكر فهو خمر وقال ابو حنيفة الخمر من العنب والرطب ونقيع التمر
والزبيب فان طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر منه حرام واحتج على ذلك بما
روي عن عمر بن الخطاب انه كتب الى بعض عماله ان ارزق المسلمين من الطلا ما ذهب

ثلثاه وبقي ثلثه وفي رواية اما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان
فان له اثنين ولكم واحد اخرجه النسائي الطلاء بكسر الطاء والمد الشراب المطبوخ
من عصير العنب الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه واحتج ايضا بما روي عن ابن عباس
قال حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والمسكر من كل شراب اخرجه النسائي
واستدل ايضا على ان المسكر حرام لما روي عن ابي الاحوص عن القاسم بن عبد الرحمن
عن ابيه عن ابي بردة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اشربوا ولا تسكروا وعن عائشة
نحوه اخرجه النسائي وقال هذا حديث غير ثابت واستدل الشافعي على كون الخمر
من عدة اشياء بما روي عن ابن عمر ان عمر قال على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما بعد ايها الناس انه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة العنب والتمر والعسل
والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل ثلث وددت ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة وابواب من ابواب الربا
اخرجه البخاري ومسلم ق عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن
البتع فقال كل شراب مسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان اهل
اليمن يشربونه عن النعمان بن بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من العنب
خمرا وان من البر خمرا وان من الشعير خمرا وان من التمر خمرا اخرجه ابو داود وزاد
في رواية والذرة واني انهاكم عن كل مسكر وللترمذي نحوه وزاد وان من العسل
خمرا خ عن ابن عباس انه سئل عن الباذق فقال سبق محمد الباذق فما اسكر فهو
حرام قال الشراب الحلال الطيب ليس بعد الحلال الطيب الا الحرام الخبيث قال صاحب
المطالع الباذق بفتح الذال المعجمة وهو الطلاء المطبوخ من عصير العنب كان اول
من صنعه وسماه بنو امية لينقلوه عن اسم الخمر وكل ما اسكر فهو خمر لان الاسم
لا ينقله عن معناه الموجود فيه وقال ابن الاثير في النهاية الباذق الخمر تعريب باده
وهو اسم الخمر بالفارسية اي لم يكن في زمانه او سبق قوله فيها وفي غيرها من جنسها
وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم ان ما اسكر فهو حرام عن ام سلمة
قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر اخرجه ابو داود والمفتر
كل شراب احمى الجسد وصار فيه فتور وضعف وانكسار واستدل الشافعي على ما اسكر
كثيره فقليله حرام بما روي عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما اسكر كثيره فقليله حرام اخرجه الترمذي وابو داود وعن عائشة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما اسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام
اخرجه ابو داود والنسائي وفي رواية له الحسوة منه حرام الفرق بالتحريك مكيال
يسع ستة عشر رطلا بالبغدادي واجيب عن حديث عمر في الطلاء بانه معارض
بما روي عن السائب بن يزيد ان عمر قال وجدت من فلان ريح شراب وزعم انه شرب
الطلاء وانا سائل عنه فان كان يسكر جلدته فسال فقيل انه يسكر فجلده عمر
الحد تاما اخرجه مالك في الموطا واما حديث ابن عباس فموقوف عليه ومعارض بما

روي



روي عنه في الباذق وقوله والمسكر من كل شراب فقد رواه الحفاظ السكر بفتح السين
قال صاحب الغريبين السكر خمر الاعاجم ويقال لما يسكر السكر وروى هذا الحديث
ابن حنبل وقال فيه والسكر من كل شراب وقال موسى بن هارون وهو الصواب واما حديث
ابي الاحوص ففيه وهمان احدهما انه في سنده حيث قال عن ابي بردة وانما يرويه سماك
عن القاسم عن ابن بريدة عن ابيه والوهم الثاني في متنه حيث قال اشربوا ولا تسكروا
وانما يرويه الناس ولا تشربوا مسكرا ويدل على صحة هذا ما رواه مسلم في صحيحه عن
محارب بن دثار عن ابن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم
عن الاشربة في ظروف الادم فاشربوا في كل وعاء غير ان لا تشربوا مسكرا وقال النسائي
في حديث ابي الاحوص هذا حديث منكر غلط فيه ابو الاحوص سلام بن سليم لا يعلم ان
احدا تابعه عليه من اصحاب سماك واما حديث عائشة فيه فهو غير ثابت كما تقدم في قول
النسائي المسئلة الثانية في الحكم بنجاسة الخمر وما يلحق بها نجسة العين ويدل على
نجاستها قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان
فاجتنبوه والرجس في اللغة النجس والشيء المستقذر ولقوله تعالى فاجتنبوه
فامر باجتنابها فكانت نجسة العين ويدل على نجاستها ايضا انها محرمة التناول
لا للاحترام ولان الناس مشغوفون بها فينبغي ان يحكم بنجاستها تاكيدا للزجر عنها
المسئلة الثالثة في تحريم بيعها والانتفاع بها وتحريم ثمنها ويدل على ذلك ما
روي عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام فتح مكة ان الله تعالى
حرم بيع الخمر والانتفاع بها وتحريم ثمنها والميتة والخنزير والاصنام اخرجاه
في الصحيحين مع زيادة في اللفظ ق عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال حرمت التجارة في الخمر ق عن ابن عباس قال بلغ عمر بن الخطاب ان فلانا باع خمرا فقال
قاتل الله فلانا الم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله اليهود حرمت عليهم
الشحوم فجملوها فباعوها عن المغيرة بن شعبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من باع الخمر فليشقص الخنازير اخرجه ابو داود وقوله فليشقص الخنازير اي فليقطعها
قطعا كما يقطع الشاة للبيع والمعنى من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير فانهما
في التحريم سواء عن ابي طلحة قال يا نبي الله اني اشتريت خمرا لايتام في حجري فقال اهرق
الخمر واكسر الدنان اخرجه الترمذي وقال وقد روي عن انس ان ابا طلحة كان عنده
خمر لايتام وهو اصح فان قلت فما وجه قوله تعالى ومنافع للناس قلت منافعها اللذة
التي توجد عند شربها والفرح والطرب بها وما كانوا يصيبون من الربح في ثمنها وكان
ذلك قبل التحريم فلما حرمت الخمر حرم ذلك كله **فصل** واما الميسر فهو
القمار واشتقاقه من اليسر لانه اخذ مال بسهولة من غير تعب وكذا قال ابن عباس
كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على اهله وماله فايهما قمر صاحبه ذهب باهله
وماله فانزل الله هذه الاية واصل الميسر ان اهل الثروة من العرب في الجاهلية
كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزئونها ثمانية وعشرين جزءا ثم يسهمون عليها

بعشرة قداح يقال لها الازلام والاقلام واسماوها الفذ والتوم والرقيب والحلس
والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد وكانوا يسهمون لسبعة منهم
انصبا فللفذ سهما وللتوم سهمين وللرقيب ثلثة اسهم وللحلس اربعة وللنافس
خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة وثلاثة من القداح لا انصبا لها وهي المنيح
والسفيح والوغد قال بعضهم •

لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح • وسهمي وغد ومنيح وسفيح •

ثم يجعلون القداح في خريطة يسمونها الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم يسمونه
المجيل والمفيض فيجعلها في الخريطة ويخرج منها قدحا باسم رجل منهم فايهم خرج
اسمه اخذ نصيبه على قدر ما يخرج من القدح وان خرج له قدح من الثلاثة التي لا
انصبا لها لم ياخذ شيا وغرم ثمن الجزور كله وقيل لا ياخذ ولا يغرم ويسمون ذلك
القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور الى الفقرا ولا ياكلون منه شيا وكانوا يفتخرون
بذلك ويذمون من لا يفعله ويسمونه البرم يعني البخيل الذي لا يخرج شيا بين
الاصحاب لبخله واما حكم الاية فالمراد به جميع انواع القمار فكل شي فيه قمار فهو من
الميسر وروي عن ابن سيرين ومجاهد وعطا كل شي فيه خطر فهو الميسر حتى لعب الصبيان
بالجوز والكعاب واما النرد فيحرم اللعب به سوا كان بخطر او بلا خطر لما روي
عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لعب بالنردشير فكانما يضع يده في
دم خنزير اخرجه مسلم وعن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب
بنرد او نردشير فقد عصى الله ورسوله اخرجه ابو داود وعن علي بن ابي طالب قال النرد
والشطرنج من الميسر واختلفوا في الشطرنج فذهب ابو حنيفة انه يحرم اللعب به
سوا كان برهن او بغير رهن ومذهب الشافعي انه مباح بشروط ذكرها الشافعي
فقال اذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان ويروى عن الهذيان
والصلاة عن النسيان لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر لان الميسر ما يوجب دفع
مال واخذ مال وهذا ليس كذلك وقوله تعالى **قل فيهما** يعني في الخمر والميسر **اثم
كبير** اي وزر عظيم وقيل ان الخمر عدو للعقل فاذا غلبت على عقل الانسان ارتكب
كل قبيح ففي ذلك اثم كبير منها اقدامه على شرب المحرم ومنها فعل ما لا يحل فعله واما
الاثم الكبير في الميسر فهو اكل المال الحرام بالباطل وما يجري بينهما من الشتم
والمخاصمة والمعاداة وكل ذلك فيه اثام كثيرة **ومنافع للناس** يعني انهم كانوا يربحون
في بيع الخمر قبل تحريمها واما منافع الميسر فهو اخذ مال بغير كد ولا تعب قيل انها
ان الواحد منهم كان يقمر في المجلس الواحد مائة فيحصل له المال الكثير وربما كانت
يصرفه الى المحتاجين فيكسب بذلك الثنا والمدح وهو المنفعة **واثمهما اكبر
من نفعهما** يعني اثمهما بعد التحريم اكبر من نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما قوله
تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضا في الخمر والميسر ويصدكم
عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون فكل هذه ذنوب يترتب عليها اثام كثيرة

بسبب



بسبب الخمر والميسر قوله تعالى **ويسألونك ماذا ينفقون** وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم حثهم على الصدقة فقالوا ماذا ينفق فقال الله تعالى **قل العفو** يعني
الفضل والعفو ما فضل عن قدر الحاجة فكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون
قدر النفقة ويتصدقون بالفاضل بحكم هذه الاية ثم نسخ ذلك باية الزكاة وقيل هو
التصدق عن ظهر غني وعن الزهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة
ما كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدا بمن تعول وقيل هو الوسط
في الانفاق من غير اسراف ولا اقتار وقيل هو في صدقة التطوع اذ لو كان المراد بهذا
الانفاق الواجب لبين الله قدره فلما لم يبينه دل ذلك على ان المراد به صدقة التطوع
**كذلك يبين الله لكم الايات** اي يبين لكم الامور التي سالتم عنها من وجوه الانفاق
ومصارفه **لعلكم تتفكرون في الدنيا والاخرة** يعني فتاخذون ما يصلحكم
في الدنيا وتنفقون الباقي فينفعكم في الاخرة وقيل لعلكم تتفكرون في زوال
الدنيا فتزهدوا فيها وفي اقبال الاخرة وبقائها فترغبوا فيها قوله عز وجل
**ويسألونك عن اليتامى** قال ابن عباس لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى
ظلما تحرج المسلمون من اموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا اموالهم عن اموالهم
وتركوا مخالطتهم وربما كان يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركوه ولا ياكلوه
فاشتد ذلك عليهم فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ويسالونك
عن اليتامى **قل اصلاح لهم خير** اي اصلاح اموال اليتامى من غير اخذ اجرة ولا عوض
خير لكم اي اعظم اجرا وقيل هو ان يوسع على اليتيم من طعام نفسه ولا يتوسع من طعام
اليتيم **وان تخالطوهم** يعني في الطعام والخدمة والسكنى وهذا فيه اباحة المخالطة اي
اي تشاركوهم في اموالهم وتخلطوها باموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم
فتصيبوا من اموالهم عوضا من قيامكم باموره وتكافيوهم على ما تصيبون من اموالهم
**فاخوانكم** فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض
على وجه الاصلاح والرضى **والله يعلم المفسد من المصلح** يعني المفسد لمال اليتيم والمصلح
له ويعلم الذي يقصد بالمخالطة الخيانة واكل مال اليتيم بغير حق والذي يقصد
الاصلاح **ولو شا الله لاعنتكم** اي لضيق عليكم وما اباح لكم مخالطتهم واصل العنت
الشدة والمشقة والمعنى لكلفكم في كل شي ما يشق عليكم **ان الله عزيز حكيم** اي غالب
يقدر ان يشق على عباده ويعنتهم ولكنه حكيم لا يكلف عباده الا ما تتسع فيه طاقتهم
قوله عز وجل **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن** نزلت في ابي مرثد بن ابي مرثد الغنوي
واسم ابي مرثد يسار بن حصين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج
منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امراة مشركة يقال لها عناق وكانت
خليلته في الجاهلية فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك يا عناق ان الاسلام حال بيني
وبين ذلك فقالت له هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم استامره فقالت ابي تتبرم واستغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا

سبيله فلما قضى حاجته بمكة وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه بما كان
من امره وامر عناق وما لقي بسببها وقال يا رسول الله ايحل لي ان اتزوجها فانزل الله
هذه الاية واصل النكاح في اللغة الوطء ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح ومعنى الاية
ولا تنكحوا ايها المؤمنون المشركات حتى يؤمن اي يصدقن بالله ورسوله وهو الاقرار
بالشهادتين والتزام احكام المسلمين واختلف العلماء في حكم هذه الاية فقيل انها تدل
على ان كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من اي اجناس الشرك كانت كالوثنية والمجوسية
والنصرانية وغيرهم من اصناف المشركات ثم استثنى الله تعالى من ذلك نكاح الحراير الكتابيات
بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم فاباح الله تعالى نكاحهن بهذه
الاية قال ابن عباس في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ثم استثنى نساء اهل الكتاب
فقال والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وقيل ان حكم الاية نزل في مشركات
العرب الوثنيات خاصة ولم ينسخ منها شيء ولم يستثن وانما حكمها عام مخصوص قال
قتادة في قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن يعني مشركات العرب اللاتي ليس فيهن
كتاب يقرأنه وبيان هذا في مسيلة وهي ان لفظ المشرك على من يطلق فالاكثرون من العلما
وهو القول الصحيح المختار لفظ الشرك يندرج فيه اهل الكتاب من اليهود والنصارى
وكذلك عبدة الاصنام والمجوس وغيرهم ويدل على ان اليهود والنصارى يطلق عليهم اسم
الشرك قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
ثم قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما
امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون فهذه الاية صريحة
في شرك اليهود والنصارى وقيل كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وان زعم ان الله
تعالى واحد فهو مشرك وذلك ان من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته وظهور
معجزاته فقد زعم ان ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم هو من عند غير الله فقد اشرك مع
الله غيره فعلى هذا القول ايضا يدخل فيه اليهود والنصارى لانكارهم نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وقيل ان اسم الشرك لا يتناول الا عبدة الاوثان فقط والاول اصح لما تقدم
من الادلة فعلى قول من قال ان اسم الشرك لا يتناول الا الوثنيات تكون الاية محكمة
وعلى قول الاكثرين ان اسم الشرك يتناول الوثنيات والكتابيات وغيرهم تكون الاية
محكمة في حق الوثنيات منسوخة في حق الكتابيات وقوله تعالى **ولأمة مؤمنة خير**
يعني انفع واصلح وافضل **من مشركة** يعني حرة **ولو اعجبتكم** يعني بجمالها ومالها
ونسبها فالامة المؤمنة خير وافضل عند الله من الحرة المشركة نزلت في خنساء
وليدة كانت لحذيفة بن اليمان قال يا خنساء قد ذكرت في الملأ الاعلى على سوادك ودمامتك
ثم اعتقها وتزوجها وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة كانت عنده امة سوداء فغضب
عليها يوما فلطمها ثم فزع فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال وما هي يا عبد الله
قال هي تشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء
وتصلي فقال هذه امة مؤمنة قال عبد الله فوالذي بعثك بالحق لاعتقنها ولاتزوجها

ففعل





ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا انكح امة وعرضوا عليه حرة مشركة
فانزل الله هذه الاية **ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا** هذا خطاب لاولياء المرأة اي لا
تزوجوا المسلمة من المشركين حرم على المؤمنات ان ينكحن مشركا من اي اصناف
الشرك كان وانعقد الاجماع على انه لا يجوز للمسلمة ان تتزوج بالمشرك **ولعبد
مؤمن خير من مشرك** يعني حر **ولو اعجبكم** بحسنه وماله وجماله **اولئك يدعون الى النار**
يعني يدعون الى الشرك الذي يؤدي الى النار **والله يدعوا الى الجنة والمغفرة** يعني
انه تعالى لما بين هذه الاحكام واباح بعضها وحرم بعضها فاعملوا بما امركم به وانتهوا
عما نهاكم عنه فانه من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة **باذنه** اي بتيسير الله وارادته
وتوفيقه **ويبين آياته للناس** اي يوضح ادلته وحججه في اوامره ونواهيه واحكامه **لعلهم
يتذكرون** اي فيتعظون قوله عز وجل **ويسئلونك عن المحيض** م عن انس ان اليهود كانوا
اذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسأل اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ويسئلونك عن المحيض
قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض الى اخر الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصنعوا كل شيء الا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من
امرنا شيئا الا خالفنا فيه فجاء اسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله ان اليهود
تقول كذا وكذا افلا نجامعهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا
انه قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلتهما هدية من لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل
في اثارهما فسقاهما فعرفنا انه لم يجد عليهما الوجد الغضب واصل الحيض الدم السيلان
والانفجار يقال حاض الوادي اذا سال وفاض ماؤه **قل هو اذى** اي هو شيء قذر والاذى
في اللغة ما يكره من كل شيء **فاعتزلوا النساء في المحيض** اي فاجتنبوا مجامعتهن **ولا
تقربوهن** يعني بالوطء والمجامعة فهو كالتوكيد لقوله فاعتزلوا النساء في المحيض **حتى
يطهرن** يعني من الحيض والمعنى ولا تقربوهن حتى ينقطع عنهن الدم وقرئ يطهرن بتشديد
الطاء ومعناه حتى يغتسلن **فاذا تطهرن** اي اغتسلن من حيضهن **فاتوهن من
حيث امركم الله** قال ابن عباس طؤهن في الفرج ولا تعتدوا الى غيره فانه هو الذي امر
الله به ولا تأتوهن في غير المأتى وقيل فاتوهن من الوجه الذي امركم الله به وهو
الطهر وقيل معناه واتوهن من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك بان لا يكن صايمات
ولا معتكفات ولا محرمات **فصل** في حكم الاية وفيه مسايل المسيلة
الاولى اجمع المسلمون على تحريم الجماع في زمن الحيض ومستحله كافر عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال من اتى حائضا او امرأة في دبرها او كاهنا فقد كفر بما
انزل على محمد اخرجه الترمذي وقال انما معنى هذا عند اهل العلم على التغليظ ومن
فعله وهو عالم بالتحريم عزره الامام وفي وجوب الكفارة قولان احدهما انه يستغفر
الله ويتوب اليه ولا كفارة عليه وهو قول ابي حنيفة والشافعي في الجديد والقول
الثاني انه يجب عليه الكفارة وهو القول القديم للشافعي وبه قال احمد بن حنبل لما روي

عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يقع على امراته وهي حايض قال
يتصدق بنصف دينار وفي رواية قال اذا كان دما احمر فدينار وان كان دما اصفر
فنصف دينار اخرجه الترمذي وقال رفعه بعضهم عن ابن عباس ووقفه بعضهم المسيلة
الثانية اجمع العلما على جواز الاستمتاع بالمراة الحايض بما فوق السرة ودون الركبة
وجواز مضاجعتها وملامستها ويدل على ذلك ما روي عن عايشة قالت كانت احدانا
اذا كانت حايضا واراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يباشرها امرها ان تتزر بازار
في فور حيضها ثم يباشرها وايكم يملك اربه وفي رواية قالت كنت اغتسل انا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم من انا واحد وكلانا جنب وكان يامرني فاتزر فيباشرني وانا حايض
اخرجاه في الصحيحين المراد بالمباشرة الاستمتاع بما دون الفرج وفور كل شي
اوله وابتداوه وقولها يملك اربه مروي بسكون الرا وهو العضو وبفتحها وهو
الحاجة م عن عايشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ناوليني الخمرة من المسجد
قلت انا حايض قال ان حيضتك ليست في يدك الخمرة حصير صغير مظفور من سعف
النخل وغيره بقدر الكف وقوله من المسجد يعني ناولينيها من المسجد لانه صلى الله عليه وسلم
كان معتكفا في المسجد وعايشة في حجرتها فطلب منها الخمرة وهي حايض المسيلة الثالثة
يحرم على الحايض الصلاة والصوم ودخول المسجد وقراءة القران ومس المصحف وحمله
فلو امنت الحايض من التلويث في عبور المسجد جاز في احد الوجهين قياسا على الجنب
والثاني لا لان حدثها اغلظ ويجب على الحايض قضا الصوم دون الصلاة لما روي عن معاذة
العدوية قالت سالت عايشة فقلت ما بال الحايض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة
قالت احرورية انت قلت لست بحرورية ولكني اسال فقالت كان يصيبنا ذلك فنومر
بقضا الصوم ولا نومر بقضا الصلاة اخرجاه في الصحيحين المسيلة الرابعة
لا يرتفع بشي مما منعه الحايض بانقطاع الدم ما لم تغتسل او تتيمم عند عدم الما
الا الصوم فانها اذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فانه يصح وان اغتسلت
في النهار وذهب ابو حنيفة انه يجوز للزوج غشيانها اذا انقطع الدم لاكثر الحيض
وهو عشرة ايام عنده قبل الغسل ومذهب الشافعي وغيره من العلما انه لا يجوز للزوج
غشيانها ما لم تغتسل من الحيض او تتيمم عند عدم الما لان الله تعالى علق جواز
وطي الحايض بشرطين احدهما انقطاع الدم والثاني الغسل فقال ولا تقربوهن
حتى يطهرن يعني من الحيض فاذا تطهرن يعني اغتسلن فاتوهن من حيث امركم الله
فدل ذلك على ان الوطي لا يحل قبل الغسل وقوله تعالى ان الله يحب التوابين يعني
من الذنوب والتواب الذي كلما اذنب جدد توبة وقيل التواب هو الذي لا يعود
الى الذنب ويحب المتطهرين يعني من الاحداث وساير النجاسات بالما وقيل
المتطهرين من الشرك وقيل هم الذين لم يصيبوا الذنوب قوله عز وجل نساوكم
حرث لكم الاية ق عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورايها جا الولد
احول فنزلت نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شيتم وفي رواية للترمذي كانت اليهود

تقول

تقول من اتى المراة في قبلها من دبرها وذكر الحديث وعن ابن عباس قال جا عمر الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك قال حولت رحلي الليلة
قال فلم يرد عليه شيا فاوحى الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية نساوكم
حرث لكم فاتوا حرثكم انى شيتم اقبل وادبر واتق الدبر والحيضة اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح قوله حولت رحلي هو كناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد هذا ظاهره
ويجوز ان يريد به انه اتاها في المحل المعتاد لكن من جهة ظهرها وعن ابن عباس قال كان
هذا الحي من الانصار وهم اهل وثن مع هذا الحي من يهود وهم اهل الكتاب فكانوا يرون
لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من شان اهل الكتاب ان
لا ياتوا النسا الا على حرف وذلك استر ما تكون المراة فكان هذا الحي من الانصار قد
اخذوا بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النسا شرحا منكرا ويتلذذون
بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم
امراة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فانكرته عليه وقالت انما كنا نوتى على حرف
فاصنع ذلك والا فاجتنبني حتى سري امرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله عز وجل نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شيتم اي مقبلات ومدبرات
ومستلقيات يعني بذلك موضع الولد اخرجه ابو داود قوله على حرف الحرف الجانب
وحرف كل شي جانبه وقوله يشرحون النسا يقال شرح فلان جاريته اذا وطيها
على قفاها واصل الشرح البسط وقوله سري امرهما اي ارتفع وعظم وتفاحش
واصله من سري البرق اذا لج في اللمعان عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في قوله نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شيتم في صمام واحد ويروى سمام
بالسين اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى حرث لكم معناه
مزرع لكم ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه فجعل فرج المراة كالارض والنطفة
كالبذر والولد كالنبات الخارج فاتوا حرثكم انى شيتم يعني كيف شيتم اذا
كان في القبل والمعنى كيف شيتم وحيث شيتم مقبلة ومدبرة على كل حال اذا كان في
الفرج وفي الاية دليل على تحريم اتيان النسا في ادبارهن لان محل الحرث والزرع
هو القبل لا الدبر ويويد ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ملعون من اتى امراة في دبرها اخرجه ابو داود وقال سعيد بن المسيب هذا
في العزل يعني ان شيتم فاعزلوا وان شيتم لا تعزلوا وسيل ابن عباس عن العزل فقال
حرثك ان شيت فعطش وان شيت فرو ويروى عنه انه قال تستامر الحرة في العزل
ولا تستامر الجارية وبه قال احمد وكره جماعة العزل وقالوا هو الواد الخفي وروى نافع
قال كنت امسك على ابن عمر المصحف فقرا هذه الاية نساوكم حرث لكم قال تدري فيما
انزلت هذه الاية قلت لا قال نزلت في رجل اتى امراته في دبرها فشق ذلك عليه
فنزلت هذه الاية وروى عبيد الله بن الحسن انه لقي سالم بن عبد الله بن عمر فقال له
يا عم ما حديث يحدثه نافع عن عبد الله انه لم يكن يرى باسا باتيان النسا في ادبارهن

فقال كذب العبد وأخطأ إنما قال عبد الله يؤتون في فروجهن من أدبارهن ويحكى عن مالك
إباحة ذلك وأنكره أصحابه وأجمع جمهور العلماء على تحريم إتيان النساء في أدبارهن وقالوا
لأن الله حرم الفرج في حال الحيض لأجل النجاسة العارضة وهو الدم فأولى أن يحرم
الدبر لأجل النجاسة اللازمة ولأن الله تعالى نص على ذكر الحرث والحرث منه يكون
نبات الولد فلا يحل العدول عنه إلى غيره وقوله تعالى **وقدموا لأنفسكم** يعني الولد
وقيل قدموا التسمية والدعاء عند الجماع ق عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان
ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا وقيل أراد به تقديم
الأفراط ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لأحد من المسلمين
ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم قوله إلا تحلة القسم يعني قدر ما
يبر الله قسمه فيه وهو قوله تعالى وإن منكم إلا واردها فإذا وردها جاوزها فقد
أبر قسمه وقيل قدموا لأنفسكم الخير والعمل الصالح بدليل سياق الآية **واتقوا الله**
أي احذروا أن تأتوا شيئا مما نهاكم الله عنه **واعلموا أنكم ملاقوه** أي صائرون
إليه في الآخرة فيجزيكم بأعمالكم **وبشر المؤمنين** يعني بالكرامة من الله تعالى قوله
عز وجل **ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم** نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه
بشير بن النعمان شيء فحلف عبد الله لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصم
له فكان إذا قيل له فيه يقول حلفت بالله لا أفعل فلا يحل لي إلا أن تبر يميني
فأنزل الله هذه الآية وقيل نزلت في أبي بكر الصديق حين حلف أن لا ينفق على مسطح
حين خاض في حديث الإفك والعرضة ما يجعل معرضا للشيء وقيل العرضة الشدة
والقوة وكل ما يعترض فيمنع عن الشيء فهو عرضة والمعنى ولا تجعلوا الحلف بالله
سببا مانعا لكم من البر والتقوى يدعى أحدكم إلى بر وصلة رحم فيقول قد حلفت بالله
لا أفعله فيعتل في يمينه في ترك البر والإصلاح **أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس**
قيل معناه لا تحلفوا بالله أن لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس م عن أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأتها وليكفر
عن يمينه وقيل معناه لا تكثروا الحلف بالله وإن كنتم بارين متقين مصلحين فإن كثرة
الحلف بالله ضرب من الجرأة عليه **والله سميع** أي لحلفكم **عليم** يعني بنياتكم قوله عز وجل
**لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم** اللغو كل ساقط مطرح من الكلام وما لا يعتد به وهو
الذي يورد لا عن روية وفكر واللغو في اليمين هو الذي لا عقد معه كقول القائل
لا والله بلى والله على سبق اللسان من غير قصد ولا نية وبه قال الشافعي ويعضده
ما روي عن عائشة قالت نزل قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم في قول
الرجل لا والله وبلى والله أخرجه البخاري موقوفا ورفعه أبو داود قال قالت عائشة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل في بيته كلا والله وبلى والله ورواه
عنها أيضا موقوفا وقيل في معنى اللغو هو أن يحلف الرجل على شيء يراه أنه صادق ثم

يتبين



يتبين له خلاف ذلك وبه قال أبو حنيفة ولا كفارة فيه ولا إثم عليه عنده قال مالك
في الموطأ أحسن ما سمعت في ذلك أن اللغو حلف الإنسان على الشيء يستيقن أنه كذلك
ثم يوجد بخلافه فلا كفارة فيه قال والذي يحلف على الشيء وهو يعلم أنه فيه آثم كاذب
ليرضي به أحدا ويعتذر لمخلوق أو يقتطع به مالا فهذا أعظم من أن تكون فيه كفارة وإنما
الكفارة على من حلف أن لا يفعل الشيء المباح له فعله ثم يفعله أو أن يفعل ثم لا يفعله
مثل أن حلف لا يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك أو يحلف ليضربن غلامه
ثم لا يضربه وفائدة الخلاف التي بين الشافعي وأبي حنيفة في لغو اليمين أن الشافعي
لا يوجب الكفارة في قول الرجل لا والله وبلى والله ويوجبها فيما إذا حلف على شيء
يعتقد أنه كان ثم بان أنه لم يكن وأبو حنيفة يحكم بضد ذلك ومذهب الشافعي
هو قول عائشة والشعبي وعكرمة ومذهب أبي حنيفة هو قول ابن عباس والحسن
ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان بن يسار وقتادة ومكحول وقيل في معنى اللغو
أنه اليمين في الغضب وقيل هو ما يقع سهوا من غير قصد البتة ومعنى لا يؤاخذكم أي لا
يعاقبكم الله بلغو اليمين وقيل لا يؤاخذكم أي يلزمكم الكفارة بلغو اليمين **ولكن
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم** لكن يؤاخذكم بما عزمتم عليه وقصدتموه وكسب القلب
هو العقد والنية **فصل** في بيان حكم الآية فيه مسائل المسألة الأولى
لا ينعقد اليمين إلا بالله وبأسمائه وصفاته فأما اليمين بالله فهو قول الرجل والذي
نفسي بيده والذي أعبده ونحو ذلك والحلف بأسمائه كقوله والله والرحمن والرحيم
والمهيمن ونحو ذلك فإذا حلف بشيء من ذلك ثم حنث فعليه الكفارة المسألة الثانية
لا يجوز الحلف بغير الله كقوله والكعبة والنبي وأبي ونحو ذلك فإذا حلف بشيء من
ذلك لا تنعقد يمينه ولا كفارة عليه ويكره الحلف به لما روي عن ابن عمر أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أدرك عمر وهو يسير في ركب وهو يحلف بأبيه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت
أخرجاه في الصحيحين المسألة الثالثة إذا حلف على أمر في المستقبل فحنث فعليه
الكفارة وإن كان على أمر ماض ولم يكن أو على أنه لم يكن فكان فإن كان عالما به حال
حلفه بأن يقول والله ما فعلت وقد فعل أو لقد فعلت وما فعل فهذه اليمين الغموس
وهي من الكبائر سميت غموسا لأنها تغمس صاحبها في الإثم وتجب فيها الكفارة عند الشافعي
سواء كان عالما أو جاهلا وذهب أبو حنيفة أنه لا كفارة عليه فإن كان عالما فهي كبيرة
وإن كان جاهلا فهي من لغو اليمين **والله غفور** يعني لعباده فيما لغوا من أيمانهم
التي أخبر أنه لا يؤاخذهم عليها ولو شاء لآخذهم وألزمهم الكفارة في العاجل والعقوبة
في الآجل **حليم** يعني في ترك معاجلة أهل العصيان بالعقوبة قال الحليمي في معنى الحليم
أنه الذي لا يحبس إنعامه وأفضاله عن عباده لأجل ذنوبهم ولكنه يرزق العاصي
كما يرزق المطيع ويبقيه وهو منهمك في معاصيه كما يبقي البر المتقي وقد يقيه الآفات
والبلايا وهو غافل لا يذكره فضلا عن أن يدعوه كما يقي الناسك الذي يدعوه

ورسالة وقال ابو سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب
ولا يستخفه جهل جاهل ولا عصيان عاص ولا يستحق الصافح مع العجز اسم الحلم
انما الحليم الصفوح مع القدرة على الانتقام والمتأني الذي لا يعجل بالعقوبة قوله عز
وجل **للذين يؤلون من نسائهم** يؤلون اي يحلفون والالية اليمين قال كثير

• قليل الالا حافظ ليمينه • وان ندرت منه الالية برت •

والايلا في عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطي كما اذا قال والله لا اجامعك اولا
اباضعك او لا اقربك قال ابن عباس كان اهل الجاهلية اذا طلب الرجل من امراته شيا
فابت ان تعطيه حلف لا يقربها السنة والسنتين والثلاث فيدعها لا ايما ولا ذات
بعل فلما كان الاسلام جعل الله ذلك للمسلمين اربعة اشهر وانزل هذه الاية وقال
سعيد بن المسيب كان الايلا ضرار اهل الجاهلية وكان الرجل لا يريد امراته ولا يحب
ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها ابدا فيتركها لا ايما ولا ذات بعل وكانوا عليه في
ابتدا الاسلام فجعل الله تعالى له الاجل الذي يعلم به ما عند الرجل في المراة اربعة اشهر
وانزل هذه الاية للذين يؤلون من نسائهم **تربص** اي انتظار **اربعة اشهر** والتربص
التثبت والانتظار **فان فاوا** اي رجعوا عن اليمين بالوطي والمعنى فان رجعوا عما حلفوا
عليه من ترك جماعها **فان الله غفور رحيم** للزوج اذا تاب من اضراره بامراته فانه
غفور رحيم ولكل التابيين فروع تتعلق بحكم الاية الفرع الاول اذا حلف انه لا
يقربي زوجته ابدا او مدة هي اكثر من اربعة اشهر فهو مول فاذا مضت اربعة اشهر
يوقف الزوج ويومر بالفي وهو الرجوع او الطلاق وذلك بعد مطالبة الزوجة
فان رجع عما قال بالوطي ان قدر عليه او بالقول مع العجز ان عجز عنه فان لم يف
ولم يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر وعثمان وابي الدردا وابن عمر قال سليمان
ابن يسار ادركت بضعة وعشرين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يقول يوقف
المولي وذهب سعيد بن جبير وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعي واحمد
واسحاق وقال ابن عباس وابن مسعود اذا مضت مدة اربعة اشهر يقع عليها طلقة باينة
وبه قال سفيان الثوري وابو حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهري يقع عليها طلقة
رجعية الفرع الثاني لو حلف لا يطاها اقل من اربعة اشهر فليس بمول بل هو حالف فان
وطيها قبل مضي المدة لزمه كفارة يمين الفرع الثالث لو حلف الا يطاها اربعة فليس
بمول بعد مضي المدة عند الشافعي لان بقا المدة شرط للوقوف وثبوت المطالبة بالفي
او الطلاق وقد مضت المدة وعند ابي حنيفة يكون موليا ويقع الطلاق بمضي المدة
الفرع الرابع مدة الايلا اربعة اشهر في حق الحر والعبد جميعا عند الشافعي لانها
مدة ضربت لمعنى يرجع الى الطبع وهو قلة صبر المراة عن الزوج فيستوي فيه الحر والعبد
كمدة العنة وعن مالك وابي حنيفة تتنصف مدة الايلا بالرق غير ان عند ابي حنيفة
تتنصف مدة الايلا برق المراة وعند مالك برق الزوج كما في الطلاق الفرع الخامس
اذا وطي خرج عن الايلا ويجب عليه كفارة يمين وهذا قول اكثر العلما وقيل لا كفارة

عليه



عليه لان الله تعالى وعده المغفرة فقال فان فاوا فان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب
الكفارة عليه قال ذلك في اسقاط العقوبة عنه لا في الكفارة وقوله تعالى **وان عزموا
الطلاق** اي حققوه بالايقاع **فان الله سميع** يعني لاقوالهم **عليم** يعني بنياتهم
وفيه دليل على انها لا تطلق ما لم يطلقها زوجها لانه تعالى شرط فيه العزم قوله
عز وجل **والمطلقات** اي المخليات من حبال ازواجهن والمطلقة هي التي اوقع الزوج
عليها الطلاق **يتربصن بانفسهن** اي ينتظرن فلا يتزوجن **ثلاثة قروء** جمع
قرء والقرء اسم يقع على الحيض والطهر قال ابو عبيدة الاقرا من الاضداد كالشفق
اسم للحمرة والبياض وقيل انه حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقيل بالعكس
واختلفوا في اصله فقيل اصله الجمع من قرا اي جمع لان في وقت الحيض يجتمع الدم
في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع في البطن وقيل اصله الوقت يقال رجع فلان لقرئه
اي لوقته الذي كان فيه لان الحيض ياتي لوقت والطهر ياتي لوقت وبحسب الاختلاف
اهل اللغة في الاقرا اختلف الفقها على قولين احدهما ان الاقرا هي الحيض روي ذلك
عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وابي موسى وعبادة بن الصامت وابي الدردا
وبه قال عكرمة والضحاك والسدي والاوزاعي وسفيان الثوري وابو حنيفة
واصحابه وقال احمد بن حنبل كنت اقول ان الاقرا الاطهار وانا اليوم اذهب الى
انها الحيض القول الثاني انها الاطهار يروى ذلك عن زيد بن ثابت وابن عمر وعايشة
وبه قال الزهري وابان بن عثمان ومالك والشافعي وحجة من يقول ان الاقرا هي
الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعي الصلاة ايام اقرائك يعني ايام حيضتك
لان المراة لا تدع الصلاة الا ايام حيضها وحجة من يقول انها الاطهار ان ابن عمر
لما طلق امراته وهي حايض قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر
ثم ان شا امسكها وان شا طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها
فاخبر ان زمان العدة هو الطهر لا الحيض ويعضده من اللغة قول الاعشى

• ففي كل عام انت جاشم غزوة • تشد لاقصاها عزيم عزايكا •
• مورثة مالا وفي الحي رفعة • لما ضاع فيها من قروء نسايكا •

اراد انه كان يخرج للغزو ولم يغش نساه فيضيع اقراوهن وانما يضيع بالسفر
زمان الطهر لا زمان الحيض وفايدة الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي اقصر
وعند غيره اطول وذلك ان المعتدة اذا شرعت في الحيضة الثالثة فقد انقضت عدتها
وحلت للازواج ويحسب بقية الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرءا على قول من
يجعل الاقرا الاطهار قالت عايشة رضي الله عنها اذا دخلت المطلقة في الحيضة
الثالثة فقد بانت من زوجها وحلت للازواج وروي عنها انها قالت القرء الطهر
ليس بالحيضة قال الشافعي والنسا بهذا اعلم لان هذا مما يبتلي به النسا
وان طلقها في حال الحيض فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعلى
قول من يجعل الاقرا حيضا وهو مذهب ابي حنيفة لا تنقضي عدتها ما لم تطهر من

الحيضة الثالثة إن كان وقع الطلاق في حال الطهر أو من الحيضة الرابعة إن وقع في حال
الحيض فإن قلت ما معنى الإخبار عنهن بالتربص في قوله والمطلقات يتربصن بأنفسهن
قلت هو خبر في صورة الأمر وأصل الكلام ولتتربص المطلقات وإخراج الأمر في صورة
الخبر تأكيد للأمر وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلى امتثاله فكأنهن امتثلن
الأمر بالتربص فهو يخبر عن موجود ونظيره قولهم في الدعاء يرحمك الله أخرج في صورة
الخبر ثقة بالإجابة فكأنه قال وجدت الرحمة فهو يخبر عنها **فصل** في أحكام
العدد وفيه مسائل المسألة الأولى عدة الحامل تنقضي بوضع الحمل سواء المطلقة
والمتوفى عنها زوجها وسواء في ذلك الحرة والأمة المسألة الثانية عدة المتوفى
عنها سوى الحامل أربعة أشهر وعشرة أيام سواء مات عنها زوجها قبل الدخول أو بعده
وسواء في ذلك الحائض والأمة والآيسة المسألة الثالثة عدة المطلقة المدخول
بها وهي ممن تحيض فعدتها بالأقراء وهي ثلاثة أقراء الضرب الثاني الآيسات
من الحيض إما لكبر أو لم تكن تحيض قط فعدتها ثلاثة أشهر وأما المطلقة قبل الدخول
فلا عدة عليها المسألة الرابعة عدة الأمة نصف عدة الحرائر فيما له نصف وفي الأقرا
قرءان لأنه لا يتنصف قال عمر بن الخطاب ينكح العبد اثنتين ويطلق طلقتين وتعتد
الأمة بحيضتين وقوله تعالى **ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن**
قال ابن عباس يعني الولد وقيل الحيض والمعنى أنه لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله في
رحمها من الحيض أو الحمل لتبطل بعد ذلك الكتمان حق الزوج من الرجعة والولد **إن كن**
**يؤمن بالله واليوم الآخر** هذا وعيد شديد لتأكيد تحريم الكتمان وإيجاب أداء
الأمانة في الإخبار عما في الرحم من الحيض أو الولد والمعنى أن هذا من فعل المؤمنات وإن
كانت المؤمنة والكافرة فيه سواء فهو كقولك أد حقي إن كنت مؤمنا يعني أداء الحقوق
من أفعال المؤمنين وتقول للذي يظلم إن كنت مؤمنا فلا تظلمني والمعنى أن يمنعك
إيمانك من الظلم وفي سبب وعيد النساء بهذا قولان أحدهما أنه لأجل ما يستحقه
الزوج من الرجعة قاله ابن عباس والثاني لأجل إلحاق الولد بغير أبيه قاله قتادة
وقيل لأن المرأة إذا رغبت في زوجها تقول إني حائض وإن كانت قد طهرت ليراجعها
وإن كانت زاهدة فيه كتمت حيضها وتقول قد طهرت لتفوته فنهاهن الله عن ذلك
وأمرهن بأداء الأمانة **وبعولتهن أحق بردهن في ذلك** يعني أزواجهن سمي الزوج
بعلا لقيامه بأمر زوجته وأصل البعل السيد والمالك والمعنى وأزواجهن أولى برجعتهن
وردهن إليهم في ذلك أي في حال العدة فإذا انقضى وقت العدة فقد بطل حق الرد
والرجعة **إن أرادوا إصلاحا** يعني إن أراد الزوج بالرجعة الإصلاح وحسن العشرة
لا الإضرار بهن وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يراجعون ويريدون بذلك الإضرار
فنهى الله المؤمنين عن مثل ذلك وأمرهم بالإصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة
**ولهن** يعني وللنساء على الأزواج **مثل الذي عليهن** يعني للأزواج **بالمعروف**
وذلك أن حق الزوجية لا يتم إلا إذا كان كل واحد منهما يراعي حق الآخر فيما له وعليه

فيجب



فيجب على الزوج أن يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة الانقياد والطاعة
له قال ابن عباس في معنى الآية إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي لأن الله
تعالى قال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف (م) عن جابر أنه ذكر خطبة النبي صلى الله
عليه وسلم في حجة الوداع وقال فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله في
النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن
أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح
ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف قوله فاتقوا الله في النساء فيه الحث على
الوصية بهن ومراعاة حقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف قوله فإنكم أخذتموهن بأمانة
الله ويروى بأمانة الله وقوله واستحللتم فروجهن بكلمة الله معناه بإباحة الله
والكلمة هي قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقيل الكلمة هي قوله فإمساك بمعروف
أو تسريح بإحسان وقيل الكلمة هي كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله
إذ لا تحل مسلمة لغير مسلم وقوله ولا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه معناه ولا
يأذن لأحد أن يتحدث إليهن وكان من عادة العرب أن يتحدث الرجال مع النساء
ولا يرون ذلك عيبا ولا يعدونه ريبة إلى أن نزلت آية الحجاب فنهوا عن ذلك وليس
المراد بوطء الفرش نفس الزنا فإن ذلك محرم على كل الوجوه فلا معنى لاشتراط
الكراهة فيه ولو كان المراد ذلك لم يكن الضرب فيه ضربا غير مبرح إنما كان فيه الحد
والضرب المبرح هو الشديد وقوله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف يعني
بالعدل وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالإجماع وقوله تعالى
**وللرجال عليهن درجة** أي منزلة ورفعة قال ابن عباس بما ساق إليها من المهر
وأنفق عليها من المال وقيل إن فضيلة الرجال على النساء بأمور منها العقل
والشهادة والميراث والدية وصلاحية الإمامة والقضاء وللرجل أن يتزوج عليها
ويتسرى وليس لها ذلك وبيد الرجل الطلاق فهو قادر على تطليقها وإن طلقها رجعية
فهو قادر على رجعتها وليس شيء من ذلك بيدها **والله عزيز** أي غالب لا يمتنع
عليه شيء **حكيم** أي في جميع أفعاله وأحكامه وروى البغوي بسنده عن أبي ظبيان أن معاذ
ابن جبل خرج في غزاة بعثه صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فرأى رجالا يسجد بعضهم
لبعض فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد
لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها قوله عز وجل **الطلاق مرتان** عن عروة بن الزبير
قال كان الرجل إذا طلق زوجته ثم ارتجعها قبل أن تنقضي عدتها كان له ذلك وإن طلقها
ألف مرة فعمد رجل إلى امرأة فطلقها حتى إذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها ثم قال لا
آويك إلي ولا تحلين أبدا فأنزل الله الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح
بإحسان فاستقبل الناس الطلاق جديدا من ذلك اليوم من كان طلق أو لم يطلق
أخرجه الترمذي وله عن عائشة قالت كان الناس والرجل يطلق امرأته ما
شاء أن يطلقها وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة وإن طلقها مائة أو أكثر حتى قال

رجل لامرأته والله لا اطلق فتبيني مني ولا اويك ابدا قالت وكيف ذلك قال
اطلقك فكلما همت عدتك ان تنقضي راجعتك فذهبت المراة حتى دخلت على عايشة
فاخبرتها فسكتت عايشة حتى جا النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فسكت النبي صلى الله
عليه وسلم حتى نزل القران الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان قالت
عايشة فاستانف الطلاق مستقبلا من كان قد طلق ومن لم يطلق ومعنى الاية ان
الطلاق الرجعي مرتان ولا رجعة بعد الثالثة الا ان تنكح زوجا اخر وهذا التفسير
هو قول من جوز الجمع بين الطلاق الثلاث في دفعة واحدة وهو الشافعي وقيل في معنى
الاية ان التطليق الشرعي يجب ان تكون تطليقة بعد تطليقة بعد تطليقة على التفريق
دون الجمع والارسال دفعة واحدة وهذا التفسير هو قول من قال الجمع بين الثلاثة
حرام الا ان اباحنيفة قال يقع الثلاث وان كان حراما وقيل ان الاية دالة على عدد
الطلاق الذي لكم فيه رجعة على ازواجكم اذا كن مدخولا بهن تطليقتان وانه لا رجعة
له بعد التطليقتين ان سرحها فطلقها الثالثة **فامساك بمعروف** يعني بعد الرجعة
وذلك انه اذا راجعها بعد التطليقة الثانية فعليه ان يمسكها بالمعروف وهو كل ما عرف
في الشرع من اداء حقوق النكاح وحسن الصحبة **او تسريح باحسان** يعني انه يتركها
بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها من غير مضارة وقيل هو انه اذا طلقها ادى اليها جميع حقوقها
المالية ولا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها فروع تتعلق باحكام الطلاق
الفرع الاول صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاث الطلاق والفراق
والسراح وعن ابي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق فقط الفرع الثاني الحر اذا طلق
زوجته طلقة او طلقتين بعد الدخول بها فله مراجعتها من غير رضاها ما دامت في
العدة فاذا لم يراجعها حتى انقضت عدتها او طلقها قبل الدخول بها او خالعها فلا تحل
له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها الفرع الثالث العبد يملك على زوجته الامة
تطليقتين واختلف فيما اذا كان احد الزوجين حرا فالحر يملك على زوجته الحرة ثلاث
تطليقات والحر يملك على زوجته الامة تطليقتين **ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن**
يعني اعطيتموهن **شيا** من مهر او غيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى **الا ان يخافا**
**الا يقيما حدود الله** نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي وقيل في حبيبة بنت سهل
الانصاري كانت تحت ثابت بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وكان بينهما كلام
فاتت اباها تشكو اليه زوجها وقالت انه يسيئ الي ويضربني فقال ارجعي الى زوجك
فاني اكره المراة ان لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها فرجعت اليه الثالثة وبها
اثر الضرب فقال لها ارجعي الى زوجك فلما رات ان اباها لا يشكيها اتت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها واريته اثارا بها من ضربه وقالت يا رسول الله
لا انا ولا هو فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال ما لك ولاهلك فقال
والذي بعثك بالحق ما على وجه الارض احب الي منها غيرك فقال لها ما تقولين فكرهت ان
تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سالها فقالت صدق يا رسول الله
ولكني خشيت ان يهلكني فاخرجني منه وقالت يا رسول الله ما كنت لاحدثك حديثا
ينزل عليك خلافه هو اكرم الناس حبا لزوجته ولكني ابغضه فلا انا ولا هو قال ثابت

اعطيتها

اعطيتها حديقة نخل فقل لها فلترد ها علي واخلي سبيلها فقال لها ترد ين عليه حديقته
وتملكين امرك قالت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما اعطيتها
وخل سبيلها ففعل عن ابن عباس ان امراة ثابت بن قيس اتت النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله ان ثابت بن قيس ما اعتب عليه في خلق ولا دين ولكني اكره الكفر
في الاسلام قال ابو عبد الله يعني تبغضه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين
عليه حديقته قالت نعم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها
تطليقة قولها ما اعتب عليه يعني ما اجد عليه والعتب الموجدة والحديقة البستان
من النخل اذا كان عليه الحايط ومعنى قوله تعالى الا ان يخافا اي يعلما الزوجان من
انفسهما ان لا يقيما حدود الله والمعنى تخاف المراة ان تعصي الله في امر زوجها ويخاف
الزوج انه اذا لم تطعه ان يعتدي عليها فنهى الله الرجل ان ياخذ من امراته شيا مما اعطاها
الا ان يكون النشوز من قبلها وذلك ان تقول لا اطيع لك امرا ولا اطا لك مضجعا
ونحو ذلك وقري يخافا بضم اليا ومعناه الا ان يعلم ذلك من حالهما يعني القاضي والولي
**فان خفتم** يعني فان خشيتم واشفقتم وقيل معناه فان ظننتم **الا يقيما حدود الله**
يعني ما اوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما امره به من حسن الصحبة والمعاشرة
بالمعروف وقيل هو يرجع الى المراة وهو سوء خلقها واستخفافها بحق زوجها **فلا جناح**
**عليهما فيما افتدت به** اي لا جناح على المراة في النشوز اذا خشيت الهلاك والمعصية
فيما افتدت به نفسها واعطت من المال لانها ممنوعة من اتلاف المال بغير حق ولا على
الزوج فيما اخذ من المال اذا اعطته المراة طايعة راضية **فصل** في
حكم الخلع وفيه مسايل الاولى قال الزهري والنخعي وداود لا يباح الخلع الا عند
الغضب والخوف من ان لا يقيما حدود الله فان وقع الخلع في غير هذه الحالة فهو
فاسد ووجه هذا القول ان الاية صريحة في انه لا يجوز للزوج ان ياخذ من المراة
شيا عند طلاقها ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة فقال الا ان يخافا ان لا
يقيما حدود الله فكانت هذه صريحة في انه لا يجوز الاخذ في غير حالة الغضب والخوف
من ان لا يقيما حدود الله وذهب جمهور العلما الى انه يجوز الخلع من غير نشوز ولا
غضب غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب عن ثوبان ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ايما امراة سالت زوجها الطلاق من غير باس فحرام عليها
رايحة الجنة اخرجه ابو داود والترمذي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ابغض الحلال الى الله الطلاق اخرجه ابو داود ودليل الجمهور على جواز الخلع من
غير نشوز قوله فان طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه هنيا مريا فاذا جاز لها ان
تهب مهرها من غير ان يحصل لها شي فاذا بذلت كان ذلك في الخلع الذي تصير
بسببه مالكة نفسها اولى واجيب عن الاستثنا المذكور في هذه الاية انه محمول
على الاستثنا المنقطع المسالة الثانية الخلع جايز على اكثر مما اعطاها وبه
قال اكثر العلما وقال بعضهم لا يجوز ان ياخذ اكثر مما اعطاها وهو قول علي وبه قال

الزهري والشعبي والحسن وعطا وطاوس وقال سعيد بن المسيب بل يأخذون ما
اعطاها حتى يكون الفضل قبله وحجة الجمهور ان الخلع عقد على معاوضة فوجب ان لا
يتقيد بمقدار معين كما ان للمراة ان لا ترضى عند عقد النكاح الا بالكثير فكذلك للزوج
ان لا يرضى عند الخلع الا بالبذل الكثير لا سيما وقد اظهرت الاستحقاق بالزوج حيث
اظهرت بغضه وكراهته المسئلة الثالثة اختلف العلما في الخلع هل هو فسخ او طلاق
فقال الشافعي في القديم انه فسخ وهو قول ابن عباس وطاوس وعكرمة وبه قال احمد
واسحاق وابو ثور وقال الشافعي في الجديد انه طلاق وهو الاظهر وهو قول عثمان وعلي
وابن مسعود والحسن والشعبي والنخعي وعطا وابن المسيب ومجاهد ومكحول والزهري
وبه قال ابو حنيفة ومالك وسفيان الثوري وحجة القول القديم ان الله تعالى ذكر
الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة الثالثة فقال فان طلقها فلا تحل
له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان الخلع طلاقا لكان الطلاق اربعا وحجة القول
الجديد انه لو كان فسخا لما صح بالزيادة على المهر المسمى كالاقالة في البيع وايضا لو كان
الخلع فسخا فاذا خالعها ولم يذكر وجب ان يجب المهر عليها كالاقالة فان الثمن يجب
رده وان لم يذكر فثبت ان الخلع ليس بفسخ واذا بطل ذلك ثبت انه طلاق وايضا
فان الطلقة الثالثة قوله او تسريح باحسان وفايدة الخلاف انا اذا جعلناه
طلاقا ينتقص به عدد الطلاق فان تزوجها كانت معه على طلقتين وان جعلناه
فسخا بانت منه بثلاث قوله تعالى **تلك حدود الله** يعني هذه اوامر الله ونواهيه
وهو ما تقدم من احكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله ما منع من مجاوزتها وقوله
**فلا تعتدوها** اي فلا تجاوزوها **ومن يتعد حدود الله** اي يجاوزها **فاوليك
هم الظالمون** قوله عز وجل **فان طلقها** يعني الطلقة الثالثة **فلا تحل له من بعد**
اي لا يحل له رجعتها بعد الثلاث **حتى تنكح زوجا غيره** يعني حتى تتزوج زوجا اخر غير
المطلق فيجامعها والنكاح يتناول العقد والوطي جميعا والمراد هنا الوطي نزلت في
تميمة وقيل عايشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب
ابن عتيك القرظي فطلقها ثلاثا **ق** عن عايشة قالت جاءت امراة رفاعة القرظي الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت بعده
عبد الرحمن بن الزبير وانما معه كهدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته قولها
فبت طلاقي اي قطعه والبت القطع وقولها مثل هدبة الثوب اي طرفه وهو كناية عن
استرخا الذكر قوله حتى يذوق عسيلتك بضم العين تصغير العسل شبه لذة الجماع
بالعسل وهو كناية عنه وانما انث العسل لان من العرب من يؤنثه وقيل انه حملا له
على المعنى لان المراد منه النطفة وعبد الرحمن المذكور هو عبد الرحمن بن الزبير بفتح
الزاي وكسر البا وروي انها لبثت ما شا الله ثم رجعت الى رسول الله فقالت ان
زوجي قد مسني فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن اصدقك في

الاخر



الاخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر فقالت يا خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع الى زوجي الاول فان زوجي الاخر قد مسني وطلقني
فقال لها ابو بكر قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتيته وقال لك ما
قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر اتت عمر وقالت له مثل ما قالت لابي بكر فقال
لها لين رجعت اليه لارجمنك قوله تعالى **فان طلقها** يعني الزوج الثاني بعد وطيها
**فلا جناح عليهما** يعني على المراة والزوج الاول **ان يتراجعا** يعني بنكاح جديد
**ان ظنا** اي علما وايقنا وقيل رجوا لان احدا لا يعلم ما هو كاين الا الله تعالى
**ان يقيما حدود الله** يعني يقيما بينهما الصلاح وحسن العشرة والصحبة وقيل
معناه ان علما ان نكاحهما على غير دلسة والمراد بالدلسة التحليل فرع ان الاول مذهب
جمهور العلما ان المطلقة ثلاثا لا تحل للزوج المطلق منه بالثلاث الا بشرايط
وهو ان تعتد منه ثم تتزوج اخر ويطاها ثم يطلقها ثم تعتد منه فاذا حصلت هذه
الشرايط فقد حلت للاول والا فلا وقال سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب
تحل بمجرد العقد والمذهب الاول هو الاصح واختلف العلما في اشتراط الوطي هل
ثبت بالكتاب او بالسنة على ثلاثة اقوال الثالث وهو المختار انه ثبت بهما الثاني
اذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها للاول فهذا نكاح باطل وعقد فاسد وبه قال مالك
واحمد وروي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل له اخرجه
الترمذي وقال الحديث حسن صحيح وروي انه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها
ولم يشترط في النكاح انه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت
العدة غير انه يكره اذا كان في عزمه ذلك وبه قال الشافعي وابو حنيفة ودليل ذلك
ان الاية دلت على ان الحرمة تنتهي بوطي مسبوق بعقد وقد وجد ذلك فوجب
القول بازالتها الحرمة وقال نافع اتى رجل الى ابن عمر فقال ان رجلا طلق امراته
ثلاثا فانطلق اخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحلها للاول فقال لا الا نكاح رغبة
كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **وتلك حدود الله
يبينها لقوم يعلمون** يعني يعلمون ما امرهم به ونهاهم عنه وانما خص العلما لانهم هم الذين
ينتفعون بذلك البيان قوله عز وجل **واذا طلقتم النسا** نزلت في ثابت بن يسار
رجل من الانصار طلق امراته حتى اذا قرب انقضا عدتها راجعها ثم طلقها يقصد بذلك
مضارتها **فبلغن اجلهن** اي قاربن انقضا عدتهن وشارفن منتهاها ولم يرد انقضا
العدة لانه لو انقضت عدتها لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة كما يقال
بلغ فلان البلد اذا قاربه وشارفه فهذا من باب المجاز الذي يطلق على اسم الكل فيه
على الاكثر وقيل ان الاجل اسم للزمان فيحمل على الزمان الذي هو اخر زمان يمكن
ايقاع الرجعة فيه بحيث اذا فات لا يبقى بعده مكنة الرجعة وعلى هذا التاويل فلا حاجة
بنا الى المجاز **فامسكوهن** اي راجعوهن **بمعروف** وهو ان تشهد على رجعتها وان يراجعها
بالقول لا بالوطي **او سرحوهن بمعروف** اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن انفسهن

ولا تمسكوهن ضرارا اي لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل كانوا
يضارونهن لتفتدي المراة منه بمالها لتعتدوا اي لتظلموهن بمجاوزتكم في امورهن
حدود الله التي بينها لكم وقيل معناه لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن ومن يفعل
ذلك فقد ظلم نفسه اي ضر نفسه بمخالفة امر الله وتعريضها عذاب الله ولا تتخذوا
ايات الله هزوا يعني بذلك ما بين من حلاله وحرامه وامره ونهيه في وحيه وتنزيله
فلا تتخذوها للاستهزاء ولعبا فمن وجب عليه طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصل
اليه هذه الاحكام التي تقدم ذكرها في العدة والرجعة والخلع وترك المضارة
فلا تتخذوها هزوا ففيه تهديد عظيم ووعيد شديد وقيل هو راجع الى قوله فامساك
بمعروف او تسريح باحسان فكل من خالف امرا من امور الشرع فهو متخذ ايات الله
هزوا وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا فنهوا عن ذلك
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح
والطلاق والرجعة اخرجه ابو داود والترمذي وقوله تعالى واذكروا نعمت الله
عليكم يعني بالايمان الذي انعم الله به عليكم فهداكم له وسائر نعمه التي انعم بها
عليكم وما انزل عليكم اي واذكروا نعمته فيما انزل عليكم من الكتاب يعني القران
والحكمة يعني السنة التي علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنها لكم وقيل المراد
بالحكمة مواعظ القران يعظكم به اي بالكتاب الذي انزله على نبيه صلى الله
عليه وسلم واتقوا الله يعني خافوا الله فيما امركم به ونهاكم عنه واعلموا ان الله
بكل شيء عليم يعني ان الله تعالى يعلم ما اخفيتم من طاعة ومعصية في سر وعلن لا يخفى
عليه شيء من ذلك قوله عز وجل واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن نزلت في معقل
ابن يسار عضل اخته جميلة وكانت تحت ابي البداح عاصم بن عدي فطلقها عن معقل
ابن يسار قال كانت لي اخت تخطب الي وامنعها من الناس فاتاني ابن عم لي فانكحتها اياه
فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت
الي اتاني يخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت الي فمنعتها الناس وآثرتك بها فزوجتك
ثم طلقتها طلاقا لك فيه رجعة ثم تركتها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي اتيتني تخطبها
مع الخطاب والله لا انكحها ابدا قال ففي نزلت هذه الاية واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الاية فكفرت عن يميني وانكحتها اياه اخرجه البخاري
وقيل ان جابر بن عبد الله كانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فلما انقضت عدتها
اراد ان يرتجعها فابى جابر وقال طلقت ابنة عمنا ثم تريد ان تنكحها الثانية وكانت
المراة تريد زوجها قد رضيته فنزلت هذه الاية واراد ببلوغ الاجل في قوله فبلغن
اجلهن انقضاء العدة بخلاف الاية التي قبل هذه قال الشافعي دل اختلاف الكلامين
على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن خطاب للاولياء والمعنى لا تضيقوا عليهن اي ايها
الاولياء فتمنعوهن من مراجعة ازواجهن بنكاح جديد ان ينكحن ازواجهن اي
يمتنعون بذلك مضارتهن فهو خطاب عام لجميع الاولياء وان كان سبب الاية خاصا

واصل

واصل العضل المنع والتضييق ومنه قول اوس بن حجر

وليس اخوك الدائم العهد بالذي • يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا

ولكنه النائي اذا كنت آمنا • وصاحبك الادنى اذا الامر اعضلا

يعني اذا ضاق الامر وفي الاية دليل للشافعي ومن وافقه في ان المراة لا تلي عقد
النكاح ولا تاذن فيه اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل ولا لنهي الولي عن العضل
معنى وقوله اذا تراضوا بينهم بالمعروف يعني اذا تراضى الخطاب والنساء والمعروف
هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما بما
التزمه لصاحبه بعقد حتى تحصل الصحبة الحسنة والعشرة الجميلة ذلك اي
ذلك الذي ذكر من النهي يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر يعني ان المؤمن هو
الذي ينتفع بالوعظ دون غيره ذلكم ازكى لكم واطهر يعني انه خير لكم واطهر لقلوبكم
واطيب عند الله والله يعلم يعني بما في ذلك من الزكاة والتطهير وانتم لا تعلمون
يعني ذلك قوله عز وجل والوالدات يعني المطلقات اللاتي لهن اولاد من ازواجهن
وقيل المراد بهن جميع الوالدات سواء كن مطلقات او مزوجات ويدل عليه ان
اللفظ عام وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه ولانه ظاهر اللفظ
فوجب حمله عليه يرضعن اولادهن هذا خبر بمعنى الامر والتقدير والوالدات
يرضعن اولادهن في حكم الله الذي اوجبه وهذا الامر ليس امر ايجاب وانما هو امر
ندب واستحباب لان تربية الطفل بلبن الام اصلح له من لبن غيرها ولكمال شفقتها
عليه ويدل على انه لا يجب على الوالدة ارضاع الولد قوله فان ارضعن لكم فاتوهن
اجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت الاجرة وقال تعالى وان تعاسرتم
فسترضع له اخرى وهذا نص صريح في ذلك فان لم يوجد من يرضع الطفل او لم يقبل
غير لبن امه وجب عليها ارضاعه كما يجب على كل احد مواساة المضطر فان رغبت الام
في ارضاع ولدها فهي اولى به من غيرها حولين كاملين الحول السنة واصله
من حال يحول اذا انقلب وانما قال كاملين للتوكيد لانه مما يتسامح فيه فتقول
اقمت عند فلان حولا وان لم تستكمله فبين الله انهما حولان كاملان اربعة وعشرون
شهرا وهذا التحديد بالحولين ليس تحديد ايجاب ويدل على ذلك قوله بعده
لمن اراد ان يتم الرضاعة فلما علق الاتمام بارادتنا علمنا ان هذا الاتمام غير
واجب فثبت ان المقصود من هذا التحديد قطع النزاع بين الزوجين في مقدار
زمن الرضاعة فقدر الله تعالى ذلك بالحولين حتى يرجعا اليه عند التنازع قال
ابن عباس في رواية عكرمة اذا وضعت الولد لستة اشهر ارضعته حولين وان
وضعته لسبعة اشهر ارضعته ثلاثة وعشرين شهرا وان وضعته لتسعة
اشهر ارضعته احدى وعشرين شهرا كل ذلك ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله
وفصاله ثلاثون شهرا وقال في رواية الوالبي عنه هو حد لكل مولود في اي
وقت ولد لا ينقص رضاعه من حولين باتفاق من الابوين فايهما اراد فطاما

الولد قبل الحولين فليس له ذلك الا اذا اتفقا عليه يدل على ذلك قوله فان ارادا
فصالا عن تراض وقيل فرض الله على الوالدات ارضاع الولد حولين ثم انزل التخفيف
فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اي هذا منتهى الرضاع لمن اراد اتمام الرضاعة وليس
فيما دون ذلك حد محدود وانما هو على مقدار اصلاح الطفل وما يعيش به وعلى المولود
له يعني الاب وانما عبر عنه بهذا لان الوالدات انما ولدن للاباء ولذلك ينسب
الولد للاب دون الام قال بعضهم

• انما امهات الناس اوعية • مستودعات وللاباء ابناء •

وقيل ان هذا تنبيه على ان الولد انما يلتحق بالوالد لكونه مولودا على فراشه وجب
عليه رعاية مصالحه رزقهن اي طعامهن وكسوتهن اي لباسهن بالمعروف
اي على قدر الميسرة لا تكلف نفس الا وسعها يعني طاقتها والمعنى ان اب الولد
لا يكلف في الانفاق عليه وعلى امه الا قدر ما تتسع به مقدرته ولا يبلغ اسراف
القدرة لا تضار والدة بولدها يعني لا ينزع الولد من امه بعد ان رضيت بارضاعه
ولا يدفع الى غيرها وقيل معناه لا تكره الام على ارضاع الولد وقبل الصبي لبن غيرها
لان ذلك ليس بواجب عليها ولا مولود له بولده يعني لا تلقي المراة الولد الى ابيه
وقد الفها اضاره بذلك وقيل معناه لا يلزم الاب ان يعطي ام الولد اكثر مما يجب
عليه اذا لم يرضع الولد من غير امه فعلى هذا يرجع الضرار الى الوالدين فيكون المعنى لا
يضار كل منهم صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل ان يكون الضرار راجعا الى الولد
والمعنى لا يضار كل واحد من الابوين الولد فلا ترضعه حتى يموت فيتضرر بذلك ولا
ينفق عليه الاب او ينزعه من امه فيتضرر بذلك فعلى هذا تكون الباء صلة والمعنى لا تضار
والدة ولدها ولا اب ولده وعلى الوارث مثل ذلك يعني وعلى وارث ابي الولد
اذا مات مثل ما كان يجب عليه من النفقة والكسوة فيلزم وارث الاب ان يقوم
مقامه في القيام بحق الولد وقيل المراد بالوارث وارث الصبي الذي لو مات الصبي
ورثه فعلى هذا على الوارث مثل ما كان على ابي الصبي في حال حياته واختلف في اي
وارث هم فقيل عصبة الصبي كالجد والاخ والعم وابنه وقيل هو كل وارث من الرجال
والنساء وبه قال احمد فيجبر وارث على نفقة الصبي كل على قدر سهمه منه وقيل هو من كان
ذا رحم محرم منه وبه قال ابو حنيفة وقيل المراد بالوارث الصبي نفسه فعلى هذا
تكون اجرة رضاع الصبي في ماله فان لم يكن له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبي
غير الابوين وبه قال مالك والشافعي وقيل معناه وعلى الوارث ترك المضارة فان
ارادا يعني الوالدين فصالا يعني فطام الولد قبل الحولين لا يضر عن تراض منهما
اي على اتفاق من الوالدين في ذلك وتشاور اي يتشاورون اهل العلم بذلك حتى
يخبروا ان الفطام قبل الحولين لا يضر بالولد والمشاورة استخراج الراي بما فيه
مصلحة فلا جناح عليهما اي فلا حرج ولا اثم على الوالدين في الفطام قبل الحولين
اذا لم يضر بالولد وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي لاولادكم مراضع غير امهاتهم





اذا ابت امهاتهم ارضاعهم وتعذر ذلك لعلة بهن من انقطاع لبن وغير ذلك او اردن
التزويج فلا جناح عليكم اذا سلمتم يعني الى المراضع ما آتيتم يعني لهن من اجرة
الرضاع وقيل اذا سلمتم الى امهاتهم من اجرة الرضاع بقدر ما ارضعت بالمعروف
اي بالاحسان والاجمال امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه
ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن من تفريطهن
بقطع معاذيرهن واتقوا الله يعني وخافوا الله فيما فرض عليكم من الحقوق وفيما
اوجب عليكم لاولادكم واعلموا ان الله بما تعملون بصير يعني لا يخفى عليه خافية
من جميع اعمالكم سرها وعلانيتها فانه تعالى يراها ويعلمها قوله عز وجل والذين يتوفون
يعني يموتون منكم واصل التوفي اخذ الشيء وافيا فمن مات فقد استوفى عمره
كاملا ويقال توفي فلان بمعنى قبض واخذ ويذرون اي ويتركون ازواجا والمراد
بالازواج هنا النساء لان العرب تطلق اسم الزوج على الرجل والمراة يتربصن
اي ينتظرن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعني قدر هذه المدة وانما قال عشرا بلفظ
التانيث لان العرب اذا ابهمت في العدد من الليالي والايام غلبوا الليالي على
ان احدهم يقول صمنا عشرا من الشهر لكثرة تغليبهم الليالي على الايام فاذا اظهروا
الايام قالوا صمنا عشرة ايام وقيل ان هذه الايام ايام حزن ولبس احداد فشبهها
بالليالي على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة في ان الله تعالى حد العدة بهذا القدر
لان الولد يركض في بطن امه لنصف مدة الحمل يعني يتحرك وقيل ان الروح تنفخ في
الولد في هذه العشرة ايام ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما
ثم تكون علقة مثل ذلك ثم تكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه
واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه الروح اخرجاه في الصحيحين بزيادة فدل
هذا الحديث على ان خلق الولد يجمع في مدة اربعة اشهر ويتكامل خلقه بنفخ الروح فيه
في هذه الايام فصل في حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحداد وفيه مسائل
المسالة الاولى عدة المتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشر وعدة الامة على نصف
عدة الحرة شهران وخمسة ايام وبه قال جمهور العلماء وقال ابو بكر الاصم عدة
الامة كعدة الحرائر وتمسك بظاهر هذه الاية وعدة الحامل بوضع الحمل سواء فيه
الحرة والامة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة حل لها ان تتزوج ويدل على هذا
ما روي عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لوي
وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب ان وضعت
حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك
رجل من بني عبد الدار فقال لها ما لي اراك تجملت للخطاب لعلك ترجين النكاح وانك والله
ما انت بناكح حتى تمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت
علي ثيابي حين امسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فافتاني

بانى قد حللت حين وضعت حملي فامرني بالتزويج ان بدا لي اخرجاه في الصحيحين وفيه
قال ابن شهاب ولا ارى بأسا حين وضعت وان كانت في دمها غير انه لا يقربها حتى
تطهر فعلى هذا يكون حكم الاية عامة في كل من توفي عنها زوجها بان تعتد اربعة اشهر
وعشرا ثم خصص من هذا العموم اولات الاحمال بهذا الحديث وبقوله تعالى واولات
الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن المسئلة الثانية يجب على من توفي عنها زوجها الاحداد
وهو ترك الزينة والطيب ودهن الراس بكل دهن والكحل الطيب فان اضطرت الى
كحل فيه زينة فرخص لها وبه قال مالك وابو حنيفة وقال الشافعي تكتحل به بالليل
وتمسحه بالنهار عن ام سلمة قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
توفي ابو سلمة وقد جعلت علي صبرا فقال ما هذا يا ام سلمة فقلت انما هو صبر يا رسول
الله ليس فيه طيب فقال انه يشب الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتنزعيه بالنهار
ولا تمتشطي بالطيب ولا بالحنا فانه خضاب قلت باي شي امتشط يا رسول الله
قال بالسدر تغلفين به راسك اخرجه ابو داود وللنسائي نحوه قوله فانه يشب
الوجه اي يوقده ويحسنه وينوره من شب النار اذا اوقدها قوله تغلفين به
راسك اي تلطخين به راسك والتغلف هو الغمرة على وجه المراة وكذا راسها اذا
لطخته بشي فاكثرت منه ولا يجوز لها لبس الديباج والحرير والحلي والمصبوغ
للزينة كالاحمر والاصفر ويجوز لها لبس ما صبغ لغير الزينة كالاسود والازرق
ويجوز ان تلبس البياض من الثياب والصوف والوبر ق عن زينب بنت ابي سلمة
قالت دخلت على ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي ابوها ابو سفيان
ابن حرب فدعت ام حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم
مست بعارضيها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر تحد على ميت
فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا م عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يحل لامراة تؤمن بالله واليوم الاخر ان تحد فوق ثلاث الا على زوجها
ق عن ام عطية قالت كنا ننهى ان نحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا
ولا نكتحل ولا نتطيب ولا نلبس ثوبا مصبوغا الا ثوب عصب وقد رخص لنا عند
الطهر اذا اغتسلت احدانا من حيضها في نبذة من كست اظفار قولها الا ثوب عصب
العصب بالعين والصاد المهملتين من البرود التي صبغ غزله قبل النسج قوله
نبذة من كست النبذة الشي اليسير والكست لغة في القسط وهو شي معروف
يتبخر به عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلبس المتوفى عنها زوجها
المعصفر من الثياب ولا الممشقة بالمشق ولا الحلي ولا تختضب ولا تكتحل ولا تطيب
اخرجه ابو داود قولها ولا الممشقة هي المصبوغة بالمشق وهي المغرة عن نافع
ان صفية بنت عبيد الله اشتكت عينها وهي حاد على زوجها ابن عمر فلم تكتحل حتى
كادت عيناها ترمصان اخرجه مالك في الموطا المسئلة الثالثة اختلفوا في ان ابتدا





المدة سببها الوفاة او العلم بالوفاة فقال بعضهم اذا لم تعلم بوفاة زوجها الا بعد
انقضاء الايام في العدة واحتجوا على ذلك بان الله تعالى قال يتربصن بانفسهن وذلك
لا يحصل الا بالقصد الى التربص ولا يحصل ذلك الا مع العلم وقال الجمهور السبب هو
الموت فلو انقضت المدة او اكثرها او بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب ان تعتد
بما انقضى ويدل على ذلك ان الصغيرة التي لا علم لها يكفي في انقضاء عدتها هذه المدة
المسئلة الرابعة اجمع العلماء على ان هذه الاية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول
وان كانت هذه الاية متقدمة في التلاوة وسنذكر تمام الكلام عليه بعد في موضعه
ان شا الله تعالى والله اعلم وقوله تعالى فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن
فلا جناح عليكم خطاب للاوليا لانهم هم الذين يتولون العقد فيما فعلن في يعني من التزين
والتطيب والنقلة من المسكن الذي كانت معتدة فيه ونكاح من يجوز لها نكاحه
وقيل انما عنى بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال
الطيب واحتج اصحاب ابي حنيفة على جواز النكاح بغير ولي بهذه الاية لان اضافة
الفعل الى الفاعل محمول على المباشرة واجاب اصحاب الشافعي ان قوله تعالى فلا
جناح خطاب للاوليا ولو صح العقد بغير ولي لما كان مخاطبا واجيب عن قوله
فيما فعلن في انفسهن انما هو التزين والتطيب بعد انقضاء العدة لا انها تزوج
نفسها والله بما تعملون خبير يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية والخبير في صفة
الله تعالى هو العالم بكنه الشي وحقيقته من غير شك والخبير في صفة المخلوقين
انما يستعمل في نوع من العلم وهو الذي يتوصل اليه بالاجتهاد والفكر والله
تعالى منزه عن ذلك كله قوله عز وجل ولا جناح اي لا حرج عليكم فيما عرضتم به
اي لوحتم واشرتم به والتعريض ضد التصريح ومعناه ان يضمن كلامه ما يصلح
للدلالة على مقصوده ويصلح للدلالة على غير مقصوده ولكن اشعاره بجانب
المقصود اتم وارجح وقيل هو الاشارة الى الشي بما يفهم السامع مقصوده من
غير تصريح به وقيل التعريض من الكلام ما له ظاهر وباطن من خطبة النسا
يعني المعتدات في عدتهن والخطبة بالكسر طلب النكاح والتماسه وقيل ذكر النسا
والخطبة بالضم كلام منظوم له اول واخر ومعنى الاية فيما عرضتم به من ذكر
النسا عندهن والتعريض بالخطبة في العدة مباح وهو ان يقول انك لجميلة وانك
لصالحة ومن غرضي التزويج واني فيك لراغب وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة
ونحو ذلك من الكلام الموهم من غير تصريح بان يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك
ونحو ذلك ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابن عباس في قوله تعالى فيما
عرضتم به من خطبة النسا هو ان يقول اني اريد التزويج وان النسا لمن حاجتي
ولوددت انه تيسر لي امراة صالحة اخرجه البخاري وروي ان سكينة بنت
حنظلة تايمت فدخل عليها ابو جعفر محمد بن علي الباقر في عدتها فقالت
قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام

فقالت سكينة غفر الله لك اتخطبني في العدة وانت يوخذ عنك فقال انما اخبرتك
بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة
وهي في عدة زوجها فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير
في يده صلى الله عليه وسلم من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة **او اكننتم** يعني
اضمرتم **في انفسكم** يعني من نكاحهن وقيل هو ان يدخل ويسلم ويهدي ان شا ولا يتكلم
بشي والمقصود انه لا حرج عليكم في التعريض للمراة في عدة الوفاة ولا فيما يضمر
الرجل في نفسه من الرغبة فيها **علم الله انكم ستذكرونهن** يعني بقلوبكم لان شهوة
النفس والتمني لا يخلو منه احد فلما كان هذا الخاطر كالشي الشاق اسقط عنه
الحرج **ولكن لا تواعدوهن سرا** اختلفوا في معنى هذا السر المنهي عنه فقال هو
الزنا كان الرجل يدخل على المراة يعرض بالنكاح ومراده الزنا ويقول لها دعيني فاذا
وفيت عدتك اظهرت نكاحك فنهوا عن ذلك وقيل هو قول الرجل للمراة لا تفوتيني
نفسك فاني ناكحك وقيل هو ان يخطبها في العدة وقال الشافعي السر الجماع وهو قول
ابن عباس قال الكلبي لا تصفوا انفسكم لهن بكثرة الجماع ويدل على ان لفظ السر
كناية عن الجماع قول امرئ القيس

الا زعمت بسباسة القوم انني ... كبرت وان لا يحسن السر امثالي

بسباسة اسم امراة وانما وقع الكناية عن الجماع بالسر لانه مما يسر والله تعالى
حيي كريم فكنى به عن لفظ الجماع الصريح ومعنى الاية لا تواعدوهن مواعدة سرية
او لا تواعدوهن بالشي الموصوف بالسر وقيل في معنى الاية ان الله تعالى اذن
في اول الاية في التعريض في الخطبة ومنع في اخرها عن التصريح بالخطبة **الا
ان تقولوا قولا معروفا** يعني هو ما ذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو اعلام
ولي المراة انه راغب في نكاحها **ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله**
اي لا تحققوا العزم على عقد النكاح في العدة حتى تنقضي وانما سماها الله كتابا
لانه فرضه **واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه** اي خافوه **واعلموا ان الله
غفور حليم** لا يعجل بالعقوبة على من جاهر بالمعصية بل يستر عليه قوله عز وجل
**لا جناح عليكم ان طلقتم النسا ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة** اي ولم تمسوهن ولم
تفرضوا لهن فريضة يعني ولم تعينوا لهن صداقا ولم توجبوه عليكم نزلت في رجل
من الانصار تزوج امراة من بني حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل ان
يمسها فنزلت هذه الاية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم امتعها ولو بقلنسوتك
فان قلت هل على من طلق امراته جناح بعد المسيس حتى يوضع عنه الجناح قبل
المسيس فما وجه نفي الحرج والجناح عنه قلت فيه سبب قطع الوصلة وما جاء
في الحديث ان ابغض الحلال الى الله الطلاق فنفى الله الجناح عنه اذا كان الفراق اروح
من الامساك وقيل معناه لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس في اي وقت
شئتم حايضا كانت المراة او طاهرا لانه لا سنة في طلاقهن قبل الدخول **ومتعوهن**

اي



اي اعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتبلغ به من الزاد **على الموسع**
اي الغني الذي يكون في سعة من غناه **قدره** اي قدر امكانه وطاقته **وعلى المقتر**
اي الفقير الذي هو في ضيق من فقره **قدره** اي قدر امكانه وطاقته **متاعا بالمعروف**
يعني متعوهن تمتيعا بالمعروف يعني من غير ظلم ولا حيف **حقا** اي ذلك التمتع حقا
واجبا لازما **على المحسنين** يعني الى المطلقات تبيا للتمتع وانما خص المحسنين بالذكر
لانهم الذين ينتفعون بهذا البيان وقيل معناه من اراد ان يكون من المحسنين فهذا
فهذا شانه وطريقه والمحسن هو المومن **فصل** في بيان احكام الاية
وفيه فروع الاول اذا تزوج امراة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس
يجب لها عليه المتعة وبه قال الشافعي وابو حنيفة واحمد وقال مالك المتعة مستحبة
ولو طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرا وجب عليه لها نصف المهر المفروض ولا
متعة لها عليه الفرع الثاني المطلقة المدخول بها فيها قولان قال في القديم لا متعة
لها لانها تستحق المهر كاملا وبه قال ابو حنيفة وهو احد الروايتين عن احمد وقال في
الجديد لها المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو الرواية الاخرى
عن احمد قال ابن عمر لكل مطلقة متعة الا التي فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها
فحسبها نصف المهر الفرع الثالث في قدر المتعة قال ابن عباس اعلاها خادم واوسطها
ثلاثة اثواب درع وخمار وازار واقلها دون ذلك وقاية او مقنعة او شي من الورق
وهو مذهب الشافعي لانه قال اعلاها على الموسع خادم واوسطها ثوب واقلها ما له
ثمن وحسن ثلاثون درهما وروي ان عبد الرحمن بن عوف طلق امراته ومتعها يعني
متعها جارية سوداء ومتع الحسن بن علي زوجته بعشرة الاف درهم فقالت متاع
قليل من حبيب مفارق وقال ابو حنيفة مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف
مهر مثلها لا يجاوز وقال احمد في احد الروايتين عنه تتقدر بما يجزي فيه الصلاة
وقال في الرواية الاخرى تتقدر بتقدير الحاكم والاية تدل على ان المتعة تعتبر
بحال الزوج في اليسر والعسر وانه مفوض الى الاجتهاد لانها كالنفقة التي اوجبها
الله تعالى للزوجات وبين ان حال الموسر يخالف حال المعسر في ذلك الفرع الرابع
ومن حكم الاية ان من تزوج امراة بالغة برضاها على غير مهر صح النكاح ولها مطالبته
بان يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان طلقها قبل
الفرض والدخول فلها المتعة قوله عز وجل **وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن**
يعني تجامعوهن وهذا في المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله لها بنصف
المهر ولا عدة عليها وهو قوله تعالى **وقد فرضتم لهن فريضة** اي سميتم لهن مهرا **فنصف
ما فرضتم** اي فلهن نصف المهر المسمى ومذهب الشافعي ان الخلوة من غير مسيس لا توجب
الا نصف المهر المسمى لان المسيس اما حقيقة في المس باليد او جعل كناية عن الجماع
وايهما كان فقد وجد الطلاق قبله وقال ابو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر ومعنى
الخلوة الصحيحة ان يخلو بها وليس هناك مانع حسي ولا شرعي فالحسي نحو الرتق

والفرج او يكون معهما ثالث والستر نحو الحيض والنفاس وصوم الفرض وصلاة
الفرض والاحرام وسوا كان فرضا او نفلا ولانه حجة لمذهب الشافعي قال شريح
لم اسمع الله ذكر في كتابه بابا ولا سترا ان زعم انه لم يمسها فلها نصف الصداق
وقال ابن عباس اذا خلا بها ولم يمسها فلها نصف المهر فرع لو مات احد الزوجين بعد
التسمية وقبل المسيس فلها المهر كاملا وعليها العدة ان كان الزوج هو الميت وقوله
تعالى **الا ان يعفون** يعني النسا المطلقات والمعنى الا ان تترك المراة نصيبها
من الصداق فتهبه للزوج فيعود جميع الصداق الى الزوج **او يعفو الذي بيده
عقدة النكاح** فيه قولان احدهما انه الولي وهو قول ابن عباس في رواية عنه والحسن
وعلقمة وطاوس والشعبي والنخعي والزهري والسدي وبه قال الشافعي في القديم
ومالك والقول الثاني انه الزوج وهو قول علي وابن عباس في الرواية الاخرى وجبير
ابن مطعم وسعيد بن المسيب وابن جبير ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك
ومحمد بن كعب القرظي وهو قول ابي حنيفة والشافعي في الجديد واحمد وجمهور الفقها فعلى
القول الاول يكون معنى الاية الا ان تعفو المراة اذا كانت ثيبا بالغة من اهل العفو
عن نصيبها للزوج او يعفو وليها اذا كانت المراة بكرا صغيرة او غير جائزة التصرف
فيجوز عفو وليها فيترك نصيبها للزوج وانما يجوز عفو الولي بشروط وهي ان تكون
بكرا صغيرة ويكون الولي ابا وجدا لان غيرهما لا يزوج الصغيرة وعلى القول الثاني
الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وصحح هذا القول الطبري والواحدي فيكون
معنى الاية فيعطي المراة الصداق كاملا لان الله تعالى لما ذكر عفو المراة عن النصف
الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصف الساقط عنه فيحسن للمراة ان تعفو ولا
تطالب بشي من الصداق وللرجل ان يعفو فيوفي لها المهر كاملا وروي ان جبير بن
مطعم تزوج امراة ثم طلقها قبل الدخول بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق
بالعفو ولان المهر حق المراة فليس لوليها ان يهب مما لها شيئا فكذلك لانه مال
لها **وان تعفوا اقرب للتقوى** هذا خطاب للرجال والنسا جميعا وانما غلب جانب التذكير
لان الذكورة هي الاصل والتانيث فرع عليه والمعنى وعفو بعضكم عن بعض ايها الرجال
والنسا اقرب الى حصول التقوى وقيل هو خطاب للزوج والمعنى وليعفو الزوج
فيترك حقه الذي ساق من المهر اليها قبل الطلاق فهو اقرب للتقوى **ولا تنسوا
الفضل بينكم** يعني ليتفضل بعضكم على بعض فيعطي الرجل الصداق كاملا او تترك
المراة نصيبها من الصداق حثهما جميعا على الاحسان ومكارم الاخلاق **ان الله بما تعملون**
يعني من عفو بعضكم لبعض عما وجب له عليه من حق **بصير** اي لا يخفى عليه شي من ذلك
قوله عز وجل **حافظوا** اي داوموا وواظبوا **على الصلوات** يعني الصلوات المكتوبات
امر الله عز وجل عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس المكتوبات بجميع شروطها وحدودها
واتمام اركانها وفعلها في اوقاتها المختصة بها **والصلاة الوسطى** تانيث الاوسط
ووسط كل شي خيره واعدله وقيل الوسطى يعني الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما

افردت

افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وقيل سميت الوسطى لانها اوسط الصلوات
محلا **فصل** في ذكر اختلاف العلماء في الصلاة الوسطى وقد اختلف العلماء من
الصحابة فمن بعدهم في الصلاة الوسطى على مذاهب الاول ان الصلاة الوسطى هي صلاة الفجر
وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر وعطا وعكرمة ومجاهد والربيع بن انس وبه
قال مالك والشافعي ويدل على ذلك ان مالكا بلغه ان علي بن ابي طالب وابن عباس كانا
يقولان ان الصلاة الوسطى صلاة الفجر اخرجه مالك في الموطا واخرجه الترمذي عن
ابن عباس وابن عمر تعليقا ولانها بين صلاتي جمع فالظهر والعصر يجمعان وهما صلاتا
نهار والمغرب والعشا يجمعان وهما صلاتا ليل وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجمع الى غيرها
ولانها تاتي في وقت مشقة بسبب برد الشتا وطيب النوم في الصيف وفتور الاعضا
وكثرة النعاس وغفلة الناس عنها خصت بالمحافظة عليها لكونها معرضة للضياع ولان
الله تعالى عقبها وقوموا لله قانتين والقنوت هو طول القيام وصلاة الفجر مخصوصة
بطول القيام ولان الله تعالى خصها بالذكر في قوله وقران الفجر ان قران الفجر كان
مشهودا يعني تشهده ملايكة الليل وملايكة النهار فهي مكتوبة في ديوان حفظة
الليل وديوان حفظة النهار فلذلك لها مزيد فضلها المذهب الثاني انها صلاة
الظهر وهو قول زيد بن ثابت واسامة بن زيد وابي سعيد الخدري ورواية عن عايشة
وبه قال عبد الله بن شداد وهو رواية عن ابي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن
زيد بن ثابت وعايشة قالا ان الصلاة الوسطى صلاة الظهر اخرجه مالك في الموطا
عن زيد والترمذي عنهما تعليقا واخرجه ابو داود عن زيد قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلاة اشد على رسول الله
صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقال ان
قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولان صلاة الظهر تاتي وسط صلاة النهار
وفي شدة الحر ولانها تاتي بين البردين يعني صلاة الفجر وصلاة العصر المذهب الثالث
انها صلاة العصر وهو قول علي وابن مسعود وابي ايوب وابي هريرة وابن عمر وابن
عباس وابي سعيد الخدري وعايشة وهو قول عبيدة السلماني والحسن البصري
وابراهيم النخعي وقتادة والضحاك والكلبي ومقاتل وبه قال ابو حنيفة واحمد وداود
وابن المنذر وقال الترمذي هو قول اكثر الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردي
من اصحابنا هذا مذهب الشافعي لصحة الاحاديث فيه قال وانما نص على انها الصبح
لانه لم تبلغه الاحاديث الصحيحة في العصر ومذهبه اتباع الحديث ويدل على صحة
هذا المذهب ما روي عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب وفي رواية
يوم الخندق ملا الله قلوبهم وبيوتهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى
غابت الشمس وفي رواية شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وذكر نحوه
وزاد في اخرى ثم صلاها بين المغرب والعشا اخرجاه في الصحيحين م عن ابن مسعود
قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس

او اصفرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر
ملا الله اجوافهم وقبورهم نارا او حشا الله اجوافهم وقبورهم نارا عن سمرة بن جندب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى صلاة العصر اخرجه الترمذي
وله عن ابن مسعود مثله وقال في كل واحد منهما حسن صحيح م عن ابي يونس مولى عايشة
قال امرتني عايشة ان اكتب لها مصحفا وقالت اذا بلغت هذه الاية فاذني حافظوا
على الصلوات والصلاة الوسطى قال فلما بلغتها اذنتها فاملت علي حافظوا على الصلوات
والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين قالت عايشة سمعتها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويروى عن حفصة نحو ذلك ولان صلاة العصر تاتي وقت اشتغال الناس
بمعايشهم فكان الامر بالمحافظة عليها اولى ولانها تاتي بين صلاتي نهار وهما الفجر والظهر
وصلاتي ليل وهي المغرب والعشا وقد خصت بمزيد التاكيد والامر بالمحافظة والتغليظ
لمن ضيعها ويدل على ذلك ما روي عن ابي المليح قال كنا مع بريدة في غزوة فقال في يوم
ذي غيم بكروا بصلاة العصر فان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر
فقد حبط عمله اخرجه البخاري قوله بكروا بصلاة العصر اي قدموها في اول وقتها
ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذي تفوته صلاة العصر فكانما
وتر اهله وماله قوله وتر اي نقص وسلب اهله وماله فبقي فردا بلا اهل ومال ومعنى
الحديث ليكن حذره من فوت صلاة العصر كحذره من ذهاب اهله وماله المذهب الرابع
انها صلاة المغرب قاله قبيصة بن ذويب ووجه هذا المذهب ان صلاة المغرب تاتي بين
بياض النهار وسواد الليل ولانها ازيد من ركعتين كما في الصبح واقل من اربع ولا تنقص
في السفر وهي وتر النهار ولان صلاة الظهر تسمى الاولى لان ابتدا جبريل كان بها
واذا كانت الظهر اول الصلوات كانت المغرب هي الوسطى المذهب الخامس انها
صلاة العشا ولم ينقل عن احد من السلف فيها شي وانما ذكرها بعض المتاخرين
ووجه هذا المذهب انها متوسطة بين صلاتين لا يقصران وهما المغرب والصبح ولانها
اثقل صلاة على المنافقين المذهب السادس ان الصلاة الوسطى هي احد الصلوات
الخمس لا بعينها لان الله تعالى امر بالمحافظة على الصلوات الخمس ثم عطف بالصلاة الوسطى
وليس في الاية ذكر بيانها واذا كان كذلك امكن ان يقال في كل واحدة من الصلوات
الخمس انها هي الوسطى ابهمها الله على عباده مع ما خصها بمزيد التوكيد تحريضا لهم
بالمحافظة على اداء جميع الصلوات على صفة الكمال والتمام ولهذا السبب اخفى الله
تعالى ليلة القدر في شهر رمضان واخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة واخفى اسمه
الاعظم في جميع اسمايه ليحافظوا على ذلك كله وهذا المذهب اختاره جمع من العلما
قال محمد بن سيرين ان رجلا سال زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى فقال حافظ
على الصلوات كلها تصبها وسيل الربيع بن خثيم عن الصلاة الوسطى فقال للسايل
الوسطى واحدة منهن فحافظ على الكل تكن محافظا على الوسطى ثم قال ارايتها لو علمتها
بعينها اكنت محافظا عليها ومضيعا سايرهن فقال السايل لا فقال الربيع انك

ان



ان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى والصحيح من هذه الاقوال قولان قول من
قال انها الصبح وقول من قال انها العصر واصح الاقوال كلها انها العصر للاحاديث الصحيحة
الواردة فيها والله تعالى اعلم وقوله **وقوموا لله قانتين** اي طايعين فهو عبارة عن
اكمال الطاعة واتمامها والاحتراز عن ايقاع الخلل في اركانها وسننها قيل لكل اهل دين
صلاة يقومون فيها عاصين فقوموا انتم لله في صلاتكم طايعين وقيل القنوت هو الدعا
والذكر بدليل امن هو قانت وما امر المحافظة على الصلوات فوجب ان يحمل هذا القنوت
على ما فيها من الذكر والدعا فمعنى الاية وقوموا لله داعين ذاكرين وقيل انما خص القنوت
بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى وقيل القنوت هو السكوت عما لا يجوز التكلم به في
الصلاة ويدل على ذلك ما روي عن زيد بن ارقم قال كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل
صاحبه وهو الى جنبه في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا
عن الكلام اخرجاه في الصحيحين وقيل القنوت هو طول القيام في الصلاة ويدل عليه ما روي
عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت اخرجه مسلم
ومن القنوت ايضا طول الركوع والسجود وغض البصر والهدو في الصلاة وخفض الجناح
والخشوع فيها وكان العلما اذا قام احدهم يصلي يهاب الرحمن ان يلتفت او يقلب الحصى
او يعبث بشي او يحدث نفسه بشي من امور الدنيا الا ناسيا قوله عز وجل **فان خفتم
فرجالا** اي فرجالا رجالة **او ركبانا** يعني على الدواب جمع راكب والمعنى ان لم يمكنكم
ان تصلوا قانتين موفين حقوق الصلاة من تمام الركوع والسجود والخضوع والخشوع
لخوف عدو او غيره فصلوا مشاة على ارجلكم او ركبانا على دوابكم مستقبلي القبلة وغير
مستقبليها وهذا في حال المقاتلة والمسايفة في وقت الحرب وصلاة الخوف قسمان
احدهما ان يكون في حال القتال وهو المراد بهذه الاية وقسم في غير حال القتال
وهو المذكور في سورة النسا في قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وسياتي
الكلام عليها ان شا الله تعالى في موضعه فاذا التحم القتال ولم يمكن تركه لاحد فمذهب
الشافعي انهم يصلون ركبانا على الدواب ومشاة على الارجل الى القبلة والى غير القبلة
يومون بالركوع والسجود ويكون السجود اخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح
فانه لا حاجة اليه وقال ابو حنيفة لا يصلي الماشي بل يوخر الصلاة ويقضيها لان النبي
صلى الله عليه وسلم اخر الصلاة يوم الخندق وصلى الظهر والعصر والمغرب بعد ما غربت
الشمس فيجب علينا الاقتدا به في ذلك واحتج الشافعي لمذهبه بهذه الاية واجيب عن
تاخير النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم الخندق بانه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف
انما نزلت بعد فلما نزلت صلاة الخوف لم يوخر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة
قط اما في الخوف الحاصل لا في القتال بل بسبب آخر كالهارب من العدو او قصده
سبع هايج او غشيه سيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة امن فله ان يصلي صلاة
شدة الخوف بالايما في حال العدو لان قوله تعالى فان خفتم مطلق يتناول الكل فان
قلت قوله تعالى فرجالا او ركبانا يدل على ان المراد منه خوف العدو وحال القتال

قلت هو كذلك الا انه هنالك ثابت لدفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب
ان يكون الحكم كذلك ههنا وروي عن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم
صلى الله عليه وسلم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة اخرجه مسلم وقد
عمل بظاهر هذا جماعة من السلف منهم الحسن البصري وعطا وطاوس ومجاهد وقتادة
والضحاك وابراهيم واسحاق بن راهويه قالوا يصلي في حال شدة الخوف ركعة وقال
الشافعي ومالك وجمهور العلما صلاة الخوف كصلاة الامن في عدد الركعات فان كان
الخوف في الحضر وجب عليه ان يصلي اربع ركعات وان كان في السفر صلى ركعتين ولا يجوز
الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الاحوال وتاولوا حديث ابن عباس على ان المراد به ركعة
مع الامام وركعة اخرى ياتي بها منفردا كما جاءت الاحاديث الصحيحة في صفة صلاة
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في صلاة الخوف وهذا التاويل لا بد منه للجمع بين الاحاديث
وقوله تعالى **فاذا امنتم** يعني من خوفكم **فاذكروا الله** اي فصلوا لله الصلوات الخمس
تامة باركانها وسننها **كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون** فيه اشارة الى انعام الله تعالى علينا
بالعلم ولولا هدايته وتعليمه ايانا ما لم نعلم شيئا ولم نصل الى معرفة شي فله الحمد على
ذلك قوله عز وجل **والذين يتوفون منكم** يعني يا معشر الرجال **ويذرون ازواجا**
يعني زوجات **وصية لازواجهم** قرئ بالنصب على معنى فليوصوا وصية وبالرفع على
معنى كتب عليكم الوصية **متاعا الى الحول** اي متعوهن متاعا وقيل جعل الله لهن ذلك
متاعا والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وما تحتاج اليه **غير اخراج** اي غير
مخرجات من بيوتهن نزلت هذه الاية في رجل من اهل الطايف يقال له حكيم بن الحارث
هاجر الى المدينة ومعه ابواه وامراته وله اولاد فمات فرفع ذلك الى النبي صلى الله
عليه وسلم فانزل الله هذه الاية فاعطى النبي صلى الله عليه وسلم ابويه واولاده ميراثه
ولم يعط امراته شيئا وامرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان الحكم في ابتداء
الاسلام انه اذا مات الرجل اعتدت زوجته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها
من البيت قبل تمام الحول وكان نفقتها وسكناها واجبة في مال زوجها تلك السنة
وليس لها من الميراث شي ولكنها تكون مخيرة ان شات اعتدت في بيت زوجها ولها
النفقة والسكنى وان شات خرجت قبل تمام الحول وليس لها سكنى ولا نفقة وكان
يجب على الرجل ان يوصي بذلك فدلت هذه الاية على مجموع امرين احدهما ان لها النفقة
والسكنى من مال زوجها سنة والثاني ان عليها عدة سنة ثم ان الله تعالى نسخ هذين
الحكمين اما الوصية بالنفقة والسكنى فنسخ باية الميراث فجعل لها الربع او الثمن عوضا
عن النفقة والسكنة ونسخ عدة الحول باربعة اشهر وعشرا فان قلت كيف نسخت هذه
الاية المتقدمة المتاخرة قلت قد تكون الاية المتقدمة متقدمة في التلاوة
ومتاخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله تعالى قد نرى
تقلب وجهك في السما وقوله تعالى **فان خرجن فلا جناح عليكم** يعني يا معشر اولياء
الميت **فيما فعلن في انفسهن من معروف** يعني التزين للنكاح ولرفع الحرج عن الورثة

وجهان



وجهان احدهما انه لا جناح عليكم في قطع النفقة اذا خرجن قبل انقضا الحول والوجه الثاني
لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لان مقامها في بيت زوجها حولا غير واجب عليها
خيرها الله تعالى بين ان تقيم في بيت زوجها حولا ولها النفقة والسكنى وبين ان تخرج
ولا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخ الله ذلك باربعة اشهر وعشر **والله عزيز** اي غالب
قوي في انتقامه ممن خالف امره ونهيه وتعدى حدوده **حكيم** يعني فيما شرع من الشرايع
وبين من الاحكام قوله عز وجل **وللمطلقات متاع بالمعروف** انما اعاد الله تعالى
ذكر المتعة هنا لزيادة معنى وهو ان في غير تلك الاية بيان حكم غير الممسوسة
وفي هذه الاية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة وقيل لانه لما نزل قوله تعالى
ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين فقال رجل من المسلمين
ان فعلت احسنت وان لم ارد لم افعل فانزل الله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف
فجعل المتعة لهن بلام التمليك وقال تعالى **حقا على المتقين** يعني المومنين الذين
يتقون الشرك وقد تقدم احكام المتعة وقوله تعالى **كذلك يبين الله لكم اياته**
يعني يبين لكم ما يلزمكم ويلزم ازواجكم ايها المومنون وعرفتكم احكامي والحق الذي
يجب لبعضكم على بعض في هذه الايات كذلك ابين لكم ساير احكامي في اياتي الذي انزلها
على محمد صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب **لعلكم تعقلون** اي لكي تعقلوا ما بينت
لكم من الفرايض والاحكام وما فيه صلاحكم وصلاح دينكم قوله عز وجل **الم تر الى
الذين خرجوا من ديارهم** قال اكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان
وقع بها الطاعون فخرجت طايفة منها وبقيت طايفة فسلم الذين خرجوا وهلك
اكثر من بقي بالقرية فلما ارتفع الطاعون رجع الذين خرجوا سالمين فقال الذين
بقوا كان اصحابنا احزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا كما بقوا ولين وقع
الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وبا فيها فرجع الطاعون من قابل فهرب عامة
اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا افيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة ناداهم
ملك من اسفل الوادي وملك اخر من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا **ق** ان عمر خرج الى
الشام فلما جا سرغ بلغه ان الوبا قد وقع بها فاخبره عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم
فيها فلا تخرجوا منها فرارا منه فحمد الله عمر ثم انصرف وقيل انما فروا من الجهاد
وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرايل امرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فعسكروا
ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم ان الارض التي ناتيها بها الوبا فلا
نخرج حتى ينقطع منها الوبا فارسل الله عليهم الموت فخرجوا فرارا منه فلما راى الملك
ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم اية في انفسهم
حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا عقوبة لهم
فماتوا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فاتى عليهم ثمانية ايام حتى انتفخوا واروحت
اجسادهم فخرج الناس اليهم فعجزوا عن دفنهم فحظروا حظيرة دون السباع فذلك قوله

تعالى ألم تر إلى ألم تعلم يا محمد بإعلامي إياك وهو من رؤية القلب قال أهل المعاني هو تعجيب
له يقول هل رأيت مثلهم كما تقول ألم تر إلى صنيع فلان وكل ما في القرآن من قوله
ألم تر ولم يعاينه النبي صلى الله عليه وسلم فهذا معناه. قوله تعالى **وهم ألوف** قيل
هو من العدد واختلفوا في مبلغ عددهم فقيل ثلاثة آلاف وقيل عشرة آلاف وقيل
بضع وثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وأصح الأقوال قول من
قال إنهم كانوا زيادة على عشرة آلاف لأن الله تعالى قال وهم ألوف والألوف جمع الكثير
وجمع القليل آلاف وقيل معنى وهم ألوف مؤتلفون جمع آلف والأول أصح قالوا فأتى
عليهم مدة فبليت أجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم حزقيل بن بوذي وهو ثالث
خلفاء بني إسرائيل بعد موسى وذلك أن القيم بأمر بني إسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون
ثم كان من بعده كالب بن يوفنا ثم قام بعده حزقيل وكان يقال له ابن العجوز
لأن أمه كانت عجوزا فسألت الله تعالى الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهب الله لها حزقيل
ويقال له ذو الكفل سمي به لأنه تكفل سبعين نبيا وأنجاهم من القتل فلما مر حزقيل
على أولئك الموتى وقف عليهم وجعل يتفكر فيهم فأوحى الله تعالى إليه أتريد أن أريك آية
قال نعم يا رب فأحياهم الله تعالى وقيل دعا ربه حزقيل أن يحييهم فأحياهم الله تعالى
وقيل إنهم كانوا قومه أحياهم الله تعالى بعد ثمانية أيام وذلك أنه لما أصابهم
ذلك خرج في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يا رب كنت في قوم يحمدونك ويذكرونك
فبقيت وحدي لا قوم لي فأوحى الله إليه إني قد جعلت حياتهم إليك فقال حزقيل احيوا
بإذن الله فعاشوا وقيل إنهم قالوا حين أحيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا إله إلا أنت
ثم رجعوا إلى قومهم وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا
إلا عاد دسما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم قال ابن عباس وإنها لتوجد
اليوم تلك الريح في ذلك السبط من اليهود قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من
الموت فأماتهم عقوبة لهم ثم بعثهم الله ليستوفوا بقية آجالهم ولو جاءت آجالهم
لما بعثوا فإن قلت كيف أميتوا مرتين في الدنيا وقد قال الله تعالى لا يذوقون
فيها الموت إلا الموتة الأولى قلت إن موتهم كان عقوبة لهم كما قال قتادة وقيل
إن موتهم وإحياءهم كان معجزة من معجزات ذلك النبي ومعجزات الأنبياء خوارق للعادات
ونوادر فلا يقاس عليها فيكون تقدير قوله إلا الموتة الأولى عام مخصوص بمعجزات
الأنبياء فيكون تقدير قوله إلا الموتة الأولى التي ليس من معجزات الأنبياء ولا من خوارق
العادات وفي هذه الآية احتجاج على اليهود ومعجزة عظيمة لنبينا صلى الله عليه وسلم
حيث أخبرهم بأمر لم يشاهده وهم يعلمون صحة ذلك وفيه احتجاج على منكري البعث أيضا
إذ قد أخبر الله تعالى وهو الصادق في خبره أنه أماتهم ثم أحياهم في الدنيا فهو تعالى قادر على
أن يحييهم يوم القيامة وقوله تعالى **حذر الموت** أي مخافة الطاعون وكان قد نزل
بهم وقيل إنهم أمروا بالجهاد ففروا منه حذر الموت **فقال لهم الله موتوا** يحتمل أنهم ماتوا
عند قوله تعالى موتوا ويحتمل أن يكون ذلك أمر تحويل فهو كقوله كونوا قردة خاسئين

ان



**إن الله لذو فضل على الناس** يعني أن الله تعالى تفضل على أولئك الذين أماتهم بإحيائهم
لأنهم ماتوا على معصية فتفضل عليهم بإعادتهم إلى الدنيا ليتوبوا وقيل هو على العموم
فهو تعالى متفضل على كافة الخلق في الدنيا ويخص المؤمنين بفضله يوم القيامة
**ولكن أكثر الناس لا يشكرون** يعني أن أكثر من أنعم الله عليه لا يشكر أما الكافر فإنه
لم يشكر أصلا وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره. قوله عز وجل **وقاتلوا**
**في سبيل الله** قيل هو خطاب للذين أحيوا أحياهم الله ثم أمرهم بالجهاد فعلى هذا
القول فيه إضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله وقيل هو خطاب لأمة محمد
صلى الله عليه وسلم ومعناه لا تهربوا من الموت كما هرب هؤلاء فلم ينفعهم ذلك فيه تحريض
للمؤمنين على الجهاد **واعلموا أن الله سميع** يعني لما يقوله المتعلل للقتال **عليم** بما يضمره
قوله عز وجل **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا** القرض اسم لكل ما يعطيه الإنسان
ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له قرضا على رجائهم وعدهم به من الثواب
لأنهم يعملون لطلب الثواب وقيل القرض ما أسلفت من عمل صالح أو سيئ قال أمية بن
أبي الصلت

كل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا ۔ أو سيئا أو مدينا كالذي دانا

وأصل القرض في اللغة القطع سمي به لأن المقرض يقطع من ماله شيئا فيعطيه ليرجع
إليه مثله ومعنى الآية من ذا الذي يقدم لنفسه إلى الله ما يرجو ثوابه عنده وهو
تلطف من الله تعالى في استدعاء عباده إلى أعمال البر والطاعة وقيل في الآية اختصار
تقديره من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه فهو كقوله تعالى إن الذين
يؤذون الله أي يؤذون عباد الله وكما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة يا ابن آدم استطعمتك
فلم تطعمني قال يا رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان
فلم تطعمه أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي الحديث واختلفوا في المراد
بهذا القرض فقيل هو الإنفاق في سبيل الله وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل
صدقة التطوع لأن الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون إلا تبرعا ولما روى الطبراني
بسنده عن ابن مسعود قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال أبو
الدحداح وإن الله يريد منا القرض قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا أبا الدحداح
قال فناولني يدك فناوله يده قال فإني قد أقرضت ربي حائطي حائطا فيه ستمائة نخلة
ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه في عيالها فناداها يا أم الدحداح قالت
لبيك قال اخرجي من الحائط فإني قد أقرضته لربي عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
كم من عذق رداح لأبي الدحداح وقيل في معنى يقرض الله أي ينفق في طاعته قيل
فيها الواجب والتطوع وهو الأقرب حسنا يعني محتسبا طيبة بها نفسه وقيل هو
الإنفاق من المال الحلال في وجوه البر وقيل هو أن لا يمن بالقرض ولا يؤذي وقيل هو
الخالص لله تعالى ولا يكون فيه رياء ولا سمعة **فيضاعفه له** يعني ثواب ما أنفق

اضعافا كثيرة وقيل هو يضاعف الى سبعمائة ضعف وقال السدي هذا التضعيف لا يعلم
الا الله تعالى وهذا هو الاصح وانما ابهم الله ذلك لان ذكر المبهم في باب الترغيب اقوى
من ذكر المحدود والله يقبض ويبسط قيل يقبض بامساك الرزق والتقتير على من يشا
ويبسط يعني يوسع على من يشا وقيل يقبض بقبول الصدقة ويبسط بالخلف
والثواب وقيل انه تعالى لما امرهم بالصدقة وحثهم على الانفاق اخبر انه لا يمكنهم
ذلك الا بتوفيقه وارادته واعانته والمعنى والله يقبض بعض القلوب حتى لا تقدر
على الانفاق في الطاعة وعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى تقدر على فعل الطاعة
والانفاق في البر كما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد
يصرفه حيث شا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت
قلوبنا على طاعتك اخرجه مسلم وهذا الحديث من احاديث الصفات التي يجب الايمان
بها والسكوت عنها وامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا اثبات جارحة
هذا مذهب اهل السنة وسلف هذه الامة واليه ترجعون يعني في الاخرة فيجزيكم
باعمالكم قوله عز وجل الم تر الى الملا من بني اسرايل الملا اشراف القوم ووجوههم
واصله الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط من بعد موسى اي
من بعد موت موسى او من بعد زمنه اذ قالوا يعني اوليك الملا لنبي لهم اختلفوا
في ذلك النبي فقيل هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب وقيل هو
شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب وانما سمي شمعون لان امه
دعت الله ان يرزقها غلاما فاستجاب الله لها فولدت غلاما فسمته شمعون ومعناه
سمع الله دعاي وتبدل السين بالعبرانية شينا وقال اكثر المفسرين هو اشمويل
ابن بالي وقيل هو ابن ملقانا وقيل انه من ولد هارون ومعرفة حقيقة ذلك النبي
بعينه ليست مرادة من القصة انما المراد منها الترغيب في الجهاد وذلك حاصل
ذكر الاشارة الى القصة كان سبب مسالة اوليك الملا لذلك النبي انه لما مات
موسى عليه السلام وخلف من بعده لبني اسرايل يوشع بن نون يقيم فيهم امر الله
تعالى ويحكم بالتوراة حتى قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده كالب بن يوفنا كذلك
ثم حزقيل كذلك حتى قبضه الله تعالى فعظمت الاحداث بعده في بني اسرايل ونسوا
عهد الله حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت
الانبيا من بني اسرايل من بعد موسى يبعثون اليهم ليجددوا ما نسوا من التوراة ويامرهم
بالعمل باحكامها ثم خلف من بعد الياس اليسع فكان فيهم ما شا الله ثم قبضه الله
تعالى ثم خلف من بعده خلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلشاثا
وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة
فظهروا على بني اسرايل وغلبوا على كثير من ارضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم واسروا
من ابنا الملوك اربعماية واربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم ولقي

بني



بني اسرايل منهم بلا وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا
امراة حبلى فحبسوها في بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة
بني اسرايل في ولدها وجعلت المراة تدعو الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته
اشمويل ومعناه بالعربية اسماعيل تقول سمع الله دعاي فلما كبر الغلام اسلمته
لتعليم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمايهم وتبناه فلما بلغ الغلام
اتاه جبريل عليه السلام وهو نايم الى جنب الشيخ وكان الشيخ لا يامن عليه احدا فدعاه
جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ وقال يا ابتاه رايتك
تدعوني فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فنام ثم دعاه
الثانية فقال الغلام دعوتني فقال نم فان دعوتك فلا تجبني فلما كان الثالثة
ظهر له جبريل عليه السلام وقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله
قد بعثك فيهم نبيا فلما اتاهم كذبوه وقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل
في سبيل الله اية على نبوتك وانما كان قوام امر بني اسرايل بالاجتماع على الملوك وطاعة
الملوك انبيايهم وكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي هو الذي يقيم له امره ويشير
عليه ويرشده ويانيه بالخبر من ربه قال وهب فبعث الله اشمويل نبيا فلبثوا اربعين
سنة باحسن حال ثم كان من امر جالوت والعمالقة ما كان فذلك قوله تعالى اذ قالوا
لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله جزم على جواب الامر فلما قالوا له ذلك
قال يعني قال النبي هل عسيتم هذا استفهام شك يقول لعلكم ان كتب اي
فرض عليكم القتال يعني مع ذلك الملك ان لا تقاتلوا يعني ان لا تفوا بما قلتم وتجبنوا
عن القتال معه قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله فان قلت ما وجه دخول ان
والعرب لا تقول ما لك ان لا تفعل كذا ولكن تقول ما لك لا تفعل كذا قلت دخول
ان وحذفها لغتان صحيحتان فالاثبات كقوله ما لك ان لا تكون مع الساجدين والحذف
كقوله ما لكم لا تومنون وقيل معناه وما لنا في ان لا نقاتل بحذف حرف الجر وقيل ان
هنا زايدة ومعناه وما لنا لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنانا
اي اخرج من غلب عليهم من ديارهم فظاهر الكلام العموم وباطنه الخصوص لان الذين
قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا كانوا في ديارهم وانما اخرج من اسر منهم ومعنى
الاية انهم قالوا لنبيهم انا انما تركنا الجهاد لانا كنا ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا
عدونا ونمتنع نسانا واولادنا قال الله تعالى فلما كتب عليهم القتال في الكلام حذف
تقديره فسال الله ذلك النبي فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال فلما كتب الله
عليهم القتال تولوا اي اعرضوا عن الجهاد وضيعوا امر الله الا قليلا منهم يعني
لم يتولوا عن الجهاد وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة على
ما سياتي في قصتهم ان شا الله تعالى والله عليم بالظالمين يعني هو عالم بمن ظلم
نفسه حين خالف امر ربه ولم يف بما قال قوله عز وجل وقال لهم نبيهم ان الله قد
بعث لكم طالوت ملكا وذلك ان اشمويل سال الله عز وجل ان يبعث لهم ملكا فاتي بعصي

وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله هذه العصى وانظروا
الى القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن في القرن فهو ملك بني
اسرايل فادهن راسه بالدهن وملكه عليهم واسم طالوت بالعربية وبالسريانية شاول بن قيس
من سبط بنيامين بن يعقوب وانما سمي طالوت لطوله وكان اطول من جميع الناس براسه
ومنكبيه وكان طالوت رجلا دباغا يدبغ الاديم قاله وهب وقيل كان سقا يستقي
الماء على حمار فضل حماره فخرج يطلبه وقال وهب ضلت حمر لابي طالوت فارسله ابوه
ومعه غلام في طلبها فمر على بيت اشمويل النبي فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا
النبي فسالناه عن امر الحمر ليرشدنا او ليدعو لنا فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران
له حاجتهما اذ نش الدهن في القرن فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصاة فكانت على
طوله فقال لطالوت قرب راسك فقربه اليه فدهنه بدهن القدس وقال له انت ملك
بني اسرايل الذي امرني الله تعالى ان املكك عليهم فقال طالوت اوما علمت ان سبطي
من ادنى اسباط بني اسرايل قال بلى قال فباي اية قال باية انك ترجع وقد وجد ابوك
حمره فكان كذلك ثم قال لبني اسرايل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقيل انه جلس
عنده وقال يا ايها الناس ان الله ملك طالوت فاتت عظما بني اسرايل الى نبيهم اشمويل
وقالوا له ما شان طالوت يملك علينا وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت
ان النبوة في سبط لاوي بن يعقوب والمملكة في سبط يهوذي بن يعقوب فقال لهم [2]
ومنه كان موسى وهارون عليهما السلام وسبط المملكة سبط يهوذ بن يعقوب ومنه
كان داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احدهما وانما كان من سبط بنيامين
ابن يعقوب فلهذا السبب انكروا كونه ملكا لهم وزعموا انهم احق بالملك منه ثم اكدوا ذلك
بقوله **ولم يوت سعة من المال** يعني انه فقير والملك يحتاج الى المال **قال** يعني
اشمويل النبي **ان الله اصطفاه عليكم** اي اختاره عليكم وخصه بالملك وفي الاية دليل
على بطلان قول من زعم من الشيعة ان الامامة موروثة وذلك لان بني اسرايل
انكروا ان يكون ملكهم من لا يكون من بيت المملكة فرد الله عليهم واعلمهم ان هذا شرط فاسد
والمستحق للملك من خصه الله به **وزاده بسطة** اي فضيلة وسعة **في العلم**
وذلك انه كان اعلم بني اسرايل وقيل انه اوحي اليه حين اوتي الملك وقيل هو العلم
في الحرب **والجسم** يعني بالطول وذلك لانه كان اطول من الناس براسه ومنكبيه وقيل
بالجمال وكان طالوت من اجمل بني اسرايل وقيل المراد به القوة لان العلم بالحروب والقوة
على الاعدا انما فيه حفظ المملكة **والله يوتي ملكه من يشا** يعني ان الله تعالى لا اعتراض
عليه لاحد في فعله فيخص بملكه من يشا من عباده **والله واسع** يعني ان الله تعالى واسع
الفضل والرزق والرحمة وسعت رحمته كل شي ووسع فضله ورزقه كل خلقه والمعنى
انكم طعنتم في طالوت بكونه فقيرا والله واسع الفضل والرزق فاذا فوض الله اليه الملك
فتح الله عليه ابواب الرزق والمال من فضله وسعته وقيل الواسع ذو السعة وهو الذي
يعطي عن غنى **عليم** يعني انه تعالى مع قدرته على اغنا الفقير عالم بما يحتاج اليه في تدبير نفسه

وملكه

[2] نبيهم اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا **قالوا
انى يكون له الملك علينا** اي من اين يكون له الملك
وكيف يستحقه **ونحن احق بالملك منه** انما قالوا
ذلك لانه كان في بني اسرايل سبطان
سبط نبوة وسبط مملكة فسبط
المملكة سبط لاوي
ابن يعقوب



وملكه والعليم هو العالم بما يكون وبما كان قوله عز وجل **وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان
ياتيكم التابوت** وذلك انهم سالوا اشمويل النبي فقالوا له ما اية ملكه فقال ان اية ملكه ان ياتيكم
التابوت وكانت قصة التابوت على ما ذكره علما السير والاخبار ان الله تعالى انزل على
ادم عليه السلام تابوتا فيه صورة الانبيا عليهم السلام وكان تابوت من خشب الشمشار
طوله ثلثة اذرع في عرض ذراعين فكان عند ادم ثم صار الى شيث ثم توارثه اولاد ادم الى
ان بلغ الى ابراهيم عليه السلام ثم كان عند اسماعيل لانه كان اكبر اولاده ثم صار الى يعقوب
ثم كان في بني اسرايل الى ان وصل الى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التورية ومتاعا
من متاعه ثم كان عنده الى ان مات ثم تداوله انبيا بني اسرايل الى وقت اشمويل وكان في التابوت
ما ذكره الله تعالى وهو قوله **فيه سكينة من ربكم** واختلفوا في تلك السكينة ما هي فقال
علي بن ابي طالب هي ريح هفافة لها راسان ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هي
شي يشبه الهرة له راس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان من زمرد وزبرجد وكانوا
اذا سمعوا صوته تيقنوا النصر فكانوا اذا اخرجوا وضعوا التابوت قدامهم فاذا سار ساروا
واذا وقف وقفوا وقال ابن عباس هي طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبيا
وقال وهب هي روح من الله تعالى تتكلم اذا اختلفوا في شي فتخبرهم ببيان ما يريدون وقال
عطا بن ابي رباح هي ما يعرفون من الايات التي يسكنون اليها وقال قتادة والكلبي
هي فعيلة من السكون اي طمانينة من ربكم في اي مكان كان التابوت اطمانوا وسكنوا
اليه وهذا القول اولى بالصحة فعلى هذا كل شي كانوا يسكنون اليه فهو سكينة فيحمل
على جميع ما قيل فيه لان كل شي يسكن اليه القلب فهو سكينة ولم يرد فيه نص صريح
فلا يجوز تصويب قول وتضعيف اخر قوله تعالى **وبقية مما ترك ال موسى وال هارون
تحمله الملايكة** يعني موسى وهارون انفسهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم
لابي موسى الاشعري لقد اوتيت مزمارا من مزامير ال داود فالمراد به داود نفسه
واختلفوا في تلك البقية التي تركها ال موسى وال هارون فقيل رضاض من الالواح وعصى
موسى وعصا هارون وشي من الواح التورية وقيل كانت العلم والتورية وقيل كان فيه
عصى موسى ونعلاه وعصى هارون وعمامته وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني اسرايل
فكان التابوت عند بني اسرايل يتوارثونه قرنا بعد قرن وكانوا اذا اختلفوا في
شي تحاكموا اليه فيتكلم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم
يستفتحون به على عدوهم فينصرون فلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم العمالقة
فغلبوهم على التابوت واخذوه منهم وكان السبب في ذلك انه كان لعيلي وهو الشيخ الذي
ربا اشمويل ابنان شابان وكان عيلي حبر بني اسرايل وصاحب قربانهم في زمنه فاحدث
ابناه في القربات شيا لم يكن فيه وذلك انه كان مشوط القربان الذي يشوطونه به
كلابين فلما اخرجا كان للكاهن الذي كان يشوطه فجعلا ابناه كلاليب وكانا لا يتسايصلين
في بيت المقدس فيدنستان بهن فاوحى الله تعالى الى اشمويل انطلق الى عيلي وقل له
منعك حب الولد من ان تزجر ابنيك عن ان يحدثا في قرباني وقد بي شيا وان يعصياني فلا

فلا نزعن الكهانة منك ومن ولدك ولا هلكنك واياهما فاخبره اشمويل بذلك ففزع
وسار اليهم عدوهم من حولهم فامر عيلي ابنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلان ذلك العدو
فخرجا واخرجا معهما التابوت فلما تهيئوا للقتال دخل عيلي يتوقع الخبر فجاءه رجل فاخبره
ان الناس قد انهزموا وقد قتل ابناه قال فما فعل التابوت قال اخذه العدو وكان عيلي
قاعدا على كرسيه فشهق ووقع على قفاه فمات فمرج امر بني اسرايل وتفرقوا الى ان بعث
الله طالوت ملكا فسالوا اشمويل ان اية ملكه يعني علامة ملكه التي تدل على صحته
ان ياتيكم التابوت وكانت قصة رجوع التابوت على ما ذكر اصحاب الاخبار ان الذين
اخذوا التابوت من بني اسرايل اتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها ازدود فجعلوه
في بيت اصنام لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد والصنم تحته فاخذوه
ووضعوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فاصبحوا وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه
واصبح الصنم ملقى تحت التابوت واصبحت اصنامهم منكسة فاخرجوا التابوت من
بيت الاصنام ووضعوه في ناحية من مدينتهم فاخذ اهل تلك الناحية وجع في اعناقهم
حتى هلك اكثرهم فقال بعضهم لبعض اليس قد علمتم ان اله بني اسرايل لا يقوم له شي
فاخرجوه الى قرية اخرى فبعث الله على اهل تلك الناحية فارا فكانت الفارة تبيت مع
الرجل فيصبح ميتا قد اكلت ما في جوفه فاخرجوه الى الصحرا ودفنوه في مخراة لهم فكان كل
من يتبرز هناك اخذه الباسور والقولنج فتحيروا فيه فقالت لهم امراة من بني اسرايل كانت
عندهم وهي من بنات الانبيا لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فاخرجوه
عنكم فاتوا بعجلة باشارة تلك المراة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا
جنوبهما فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بالثورين اربعة املاك يسوقونهما فاقبلا
حتى وقفا على ارض بني اسرايل فكسرا نيريهما وقطعا حبالهما ووضعا التابوت في ارض
فيها حصاد لبني اسرايل ورجعا الى ارضهما فلم يرع بني اسرايل الا والتابوت عندهم فكبروا
وحمدوا الله تعالى وقال ابن عباس جاءت الملايكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض
وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملايكة في
السماء فلما ولي طالوت الملك حملته الملايكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت
في التيه خلفه موسى عند يوشع بن نون فبقي هناك فاقبلت الملايكة تحمله حتى وضعته
في دار طالوت فاصبح في داره فاقروا بملكه فلما فصل طالوت بالجنود قال **ان في ذلك**
**لاية لكم** يعني قال لهم نبيهم اشمويل ان مجي التابوت تحمله الملايكة لاية لكم يعني
علامة ودلالة على صدقي فيما اخبرتكم به ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا **ان كنتم**
**مومنين** يعني مصدقين بذلك قال المفسرون فلما جاءهم التابوت اقروا بالملك
لطالوت فتاهبوا للخروج الى الجهاد فاسرعوا في طاعته وخرجوا معه وذلك قوله تعالى
**فلما فصل طالوت بالجنود** اي خرج واصل الفصل القطع يعني قطع مستقره شاخصا
الى غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم سبعون الف مقاتل وقيل ثمانون
وقيل مائة وعشرون الفا ولم يتخلف عنه الا كبير لكبره او مريض لمرضه او معذور لعذره





وذلك انهم لما راوا التابوت لم يشكوا في النصر فسارعوا الى الخروج في الجهاد وكان مسيرهم في
حر شديد فشكوا الى طالوت قلة الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله ان
يجري لنا نهرا فقال لهم طالوت **قال ان الله مبتليكم بنهر** اي مختبركم به لتبين طاعتكم وهو
اعلم بذلك قال ابن عباس هو نهر فلسطين وقيل هو نهر عذب بين الاردن وفلسطين **فمن شرب**
**منه فليس مني** اي فليس من اهل ديني وطاعتي **ومن لم يطعمه** اي لم يذقه يعني الماء **فانه**
**مني** يعني من اهل طاعتي **الا من اغترف غرفة بيده** قري بفتح الغين وضمها لغتان وقيل
الغرفة بالضم التي تحصل في الكف من الماء والغرفة بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح
مصدر **فشربوا منه** يعني من النهر **الا قليلا منهم** قيل هم اربعة الاف لم يشربوا منه وقيل
ثلاث مائة وبضعة عشر رجلا وهو الصحيح ويدل على ذلك ما روي عن البرا بن عازب قال كان
اصحاب محمد يتحدثون ان عدة اصحاب بدر على عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر
ولم يجاوز معه الا مومن بضعة عشر وثلاث مائة اخرجه البخاري قيل البضع ثلاثة
عشر فلما وصلوا الى النهر القي عليهم العطش فشرب منه الكل الا هذا العدد القليل
وكان من اغترف منه غرفة كما امره الله تعالى كفته لشربه وشرب دوابه وقوي قلبه
وصح ايمانه وعبر النهر سالما والذين شربوا منه وخالفوا امر الله اسودت شفاههم
وعليهم العطش فلم يرووا وجبنوا وبقوا على شط النهر ولم يجاوزوه وقيل جاوزوا كلهم
ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال وانما قاتل اوليك القليل الذين لم يشربوا
وهو قوله تعالى **فلما جاوزه هو** يعني جاوز النهر طالوت **والذين امنوا معه** يعني
اوليك القليل **قالوا** يعني الذين شربوا من النهر وخالفوا امر الله وكانوا اهل شك
ونفاق فعلى هذا يكون قد جاوز النهر مع طالوت المومن والمنافق والطايع والعاصي
فلما راوا العدو قال المنافقون **لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده** فاجابهم المومنون بقولهم
كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت الا المومنين خاصة
لقوله تعالى فلما جاوزه هو والذين امنوا معه فان قلت على هذا القول من القايل لا طاقة
لنا اليوم بجالوت وجنوده قلت يحتمل ان تكون اهل الايمان وهم الثلاث مائة وبضعة
عشر انقسموا الى قسمين ثم حين راوا العدو وكثرته وقلة المومنين قالوا لا طاقة
لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم القسم الاخر بقولهم كم من فية قليلة غلبت فية
كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعنى لا طاقة لنا لا قوة لنا اليوم بجالوت
وجنوده **قال الذين يظنون** اي يستيقنون ويعلمون **انهم ملاقوا الله** اي ملاقوا
ثواب الله ورضوانه في الدار الاخرة **كم من فية قليلة** الفية الجماعة لا واحد له من
لفظه كالرهط **غلبت فية كثيرة باذن الله** اي بقضا الله وارادته **والله مع الصابرين**
يعني بالنصر والمعونة قوله عز وجل **ولما برزوا** يعني طالوت وجنوده من المومنين
**لجالوت وجنوده** يعني الكافرين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما
ظهر واستوى منها **قالوا** يعني المومنين اصحاب طالوت **ربنا افرغ** اي اصبب **علينا**
**صبرا وثبت اقدامنا** اي قوي قلوبنا لنثبت اقدامنا **وانصرنا على القوم الكافرين**

وذلك ان جالوت وقومه كانوا يعبدون الاصنام فسال المومنون الله ان ينصرهم على
القوم الكافرين فهزموهم باذن الله يعني ان الله تعالى استجاب دعا المومنين فافرغ
عليهم الصبر وثبت اقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين حين التقوا فهزموهم باذن الله
يعني بقضا الله وارادته واصل الهزم في اللغة الكسر اي كسروهم وردوهم وقتل
داود جالوت وكانت قصة قتله على ما ذكره اهل التفسير واصحاب الاخبار انه عبر
النهر فيمن عبر مع طالوت ايشا ابو داود في ثلاثة عشر ابنا له وكان داود اصغرهم وكان
يرمي بالقذافة فقال داود لابيه يوما يا ابتاه ما ارمي بقذافتي شيا الا صرعته فقال
له ابوه ابشر يا بني فان الله تعالى قد جعل رزقك في قذافتك ثم اتاه مرة اخرى فقال
يا ابتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت اسدا رابضا فركبته واخذت باذنه فلم يهجني
فقال له ابوه ابشر يا بني فان هذا خير يريده الله بك ثم اتاه يوما اخر فقال له يا ابتاه
اني لامشي بين الجبال فاسبح فلا يبقى جبل الا سبح معي فقال يا بني ابشر فان هذا خير اعطاكه
الله تعالى قالوا فارسل جالوت الجبار الى طالوت ملك بني اسرايل ان ابرز الي او ابرز الي
او ابرز الي من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت
ونادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس جالوت فلم
يجبه احد فسال طالوت نبيهم ان يدعو الله في ذلك فدعا الله فاتي بقرن فيه دهن القدس
وتنور حديد وقيل له ان صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي اذا وضع هذا القرن على
راسه سال على راسه حتى يدهن راسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على راسه كهيئة الاكليل
ويدخل في هذا التنور فيملاه ولا يتقلقل فيه فدعى طالوت بني اسرايل وجربهم فلم
يوافقه احد منهم فاوحى الله الى نبيهم ان في ولد ايشا من يقتل جالوت فدعى طالوت
ايشا وقال اعرض علي بنيك فاخرج له اثني عشر رجلا امثال السواري فجعل يعرض
واحدا بعد واحد على القرن فلم ير شيا فقال لايشا هل بقي لك ولد غيرهم قال لا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا رب انه زعم انه لا ولد له غيرهم فقال له كذب
فقال له النبي ان ربي قد كذبك فقال ايشا صدق ربي يا نبي الله ان لي ولدا صغيرا
اسمه داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته فجعلته في الغنم يرعاها
وهو في شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلا قصيرا مسقاما ازرق احمر مصفرا
فدعا به طالوت ويقال انه خرج اليه فوجده في الوادي وقد سال الوادي ما وهو يحمل
شاتين شاتين يعبر بهما السيل الى الزريبة التي يريح فيها غنمه فلما راه طالوت قال
هذا هو الرجل المطلوب لا شك فيه فهذا يرحم البهايم فهو بالناس ارحم فدعاه طالوت
ووضع القرن على راسه ففاض فقال له طالوت هل لك ان تقتل جالوت وازوجك
ابنتي واجري خاتمك في ملكي قال نعم انا ارعى الغنم فيجي الاسد او النمر او الذيب
فياخذ شاة من الغنم فاقوم فافتح لحييه عنها واخرقها الى قفاه فاخذ طالوت داود ورده
الى العسكر فمر داود عليه السلام في طريقه بحجر فناداه يا داود احملني فاني حجر هارون
فحمله ثم مر بحجر اخر فقال يا داود احملني فاني حجر موسى فحمله ثم مر بحجر اخر فقال يا داود

احملني



احملني فاني حجرك الذي تقتل به جالوت فحمله فوضع الثلاثة في مخلاة فلما رجع طالوت الى العسكر
ومعه داود وتصافوا للقتال برز جالوت يطلب المبارزة فانتدب له داود عليه السلام فاعطاه
طالوت فرسا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريبا ثم رجع الى طالوت فقال من
حوله جبن الغلام فجا فوقف على طالوت فقال له ما شانك فقال له داود عليه السلام اني
لان لم ينصرني ربي لم يغن هذا السلاح عني وان نصرني فلا حاجة به فدعني اقاتل كما اريد قال
نعم فاخذ داود مخلاته وتقلدها واخذ المقلاع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت
من اشد الناس واقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلاث مائة
رطل فلما نظر الى داود وهو يريده وقع الرعب في قلبه فقال له جالوت وانت تبرز الي قال نعم
وكان جالوت على فرس ابلق عليه السلاح التام فقال اتيتني بالمقلاع والحجر كما يوتى الكلب
قال نعم وانت شر من الكلب قال جالوت لا جرم لاقسمن لحمك ثم قال داود باسم اله ابراهيم
واخرج حجرا ثم قال باسم اله اسحاق واخرج حجرا ثم قال باسم اله يعقوب واخرج حجرا ووضعها
في مقلاعه فصارت الثلاثة حجرا واحدا وادار داود المقلاع ورمى به جالوت فسخر الله له
الريح فحملت الحجر حتى اصابت انف البيضة فخلط دماغ جالوت وخرج من قفاه وقتل من وراه
ثلاثين رجلا وخر جالوت ميتا قتيلا فاخذه داود يجره حتى القاه بين يدي طالوت
ففرح بنو اسرايل بذلك فرحا شديدا وهزم الله الجيش فرجع طالوت بالناس الى
المدينة سالمين غانمين وجعل الناس يذكرون داود فجا داود الى طالوت وقال له
انجز لي ما وعدتني به فقال اتريد ابنة الملك من غير صداق فقال داود ما شرطت علي
صداقا وليس لي شي فقال لا اكلفك الا ما تطيق انت رجل جري وفي جبالنا اعدا لنا غلف
فان قتلت منهم مايتي رجل وجيتني بغلفهم زوجتك ابنتي فاتاهم فجعل كلما قتل واحدا منهم
نظم غلفته في خيط حتى نظم مايتي غلفة فجا بها الى طالوت والقاها بين يديه وقال ادفع
الي امراتي فزوجه ابنته واجرى خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام واحبوه
واكثروا ذكره فحسده طالوت واراد قتله فاخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذو
العينين فاخبرت بذلك داود وقالت له انك مقتول الليلة قال ومن يقتلني قالت
ابي قال وهل اجرمت جرما يوجب القتل قالت حدثني بذلك من لا يكذب ولا عليك
ان تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال ان كان يريد ذلك فلا استطيع خروجا
ولكن ايتيني بزق خمر فاتته به فوضعه في مضجعه على سريره وسجاه ودخل داود تحت
السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته اين بعلك فقالت هو نايم على سريره
فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما كان اكثر شربه
للخمر وخرج فلما اصبح علم انه لم يفعل شيا فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لحقيق
ان لا يدعني حتى يدرك ثاره مني فاشتد حجابه وحراسته واغلق دونه ابوابه ثم ان داود
اتاه ليلة وقد هدات العيون واعمى الله عنه الحجبة ففتح الابواب ودخل عليه وهو نايم
فراشه فوضع سهما عند راسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله
وخرج فاستيقظ طالوت فبصر بالسهام فعرفها فقال يرحم الله داود هو خير

مني ظفرت به فقصدت قتله وظفرت بي فكف عني ولو شا لوضع هذا السهم في حلقي وما انا
بالذي امنه فلما كان من الليلة القابلة اتاه ثانيا فاعمى الله عنه الحجاب فدخل وهو
نايم فاخذ ابريق وضوئه وكوزه الذي يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيا من
طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما اصبح طالوت وراى ذلك سلط على داود العيون وطلبه
اشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي في البرية فقال
اليوم اقتله وركض في اثره فاشتد داود في عدوه وكان اذا فزع لم يدرك فدخل غارا
فاوحى الله تعالى الى العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بنا
العنكبوت قال لو كان دخل هنا لتخرق هذا النسج وانطلق طالوت وتركه فخرج
داود حتى اتى جبل المتعبدين فتعبد معهم وطعن العلما والعباد على طالوت في شان
داود فجعل طالوت لا ينهاه احد عن قتل داود الا قتله فقتل خلقا كثيرا من العباد
والعلما حتى اتى بامراة تعلم الاسم الاعظم فامر خبازه بقتلها فرحمها الخباز فلم
يقتلها وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ثم وقع في قلب طالوت التوبة والندم
على ما فعل واقبل على البكا حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور يبكي وينادي
انشد الله عبدا يعلم لي توبة الا اخبرني بها فلما كثر ذلك منه ناداه مناد من القبور
يا طالوت اما ترضى انك قتلتنا حتى تؤذينا امواتا فازداد حزنا وبكا فوجه الخباز
الى طالوت لما راى من حاله قال ما لك ايها الملك فاخبره فقال هل تعلم لي توبة او تعلم
في الارض عالما اساله عن توبتي فقال له الخباز ايها الملك ان دللتك على عالم يوشك
ان تقتله قال لا فتوثق منه بالايمان فاخبره ان تلك المراة العالمة عنده فقال انطلق بي
اليها لاسالها عن توبتي قال نعم فانطلق به فلما قرب من الباب قال له الخباز ايها الملك
انها اذا راتك فزعت ولكن ايت خلفي فلما دخلا عليها قال لها الخباز يا هذه الست تعلمين
حقي عليك قالت بلى قال فان لي اليك حاجة فتقضيها قالت نعم قال هذا طالوت قد
جاء يسال هل له من توبة فلما سمعت بذكر طالوت غشي عليها فلما افاقت قالت
والله لا اعلم له توبة ولكن دلوني على قبر نبي فانطلقوا بها الى قبر اشمويل فوقفت
عليه ودعت وكانت تعلم الاسم الاعظم ثم قالت يا صاحب القبر فخرج ينفض التراب
عن راسه فلما نظر الى الثلاثة قال ما لكم اقامت القيامة قالت المراة لا ولكن هذا
طالوت قد جا يسالك هل له من توبة فقال اشمويل يا طالوت ما فعلت بعدي
قال لم ادع من الشر شيا الا فعلته وجيت اطلب التوبة فقال اشمويل يا طالوت
كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما اعلم لك من توبة الا ان تتخلى من ملكك
وتخرج انت وولدك في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم تقاتل
انت حتى تقتل اخرهم ثم ان اشمويل سقط ميتا ورجع طالوت احزن ما كان رهبة
الا يتابعه بنوه على ما يريد وكان قد بكى حتى سقطت اشفار عينيه ونحل جسمه فجمع اولاده
وقال لهم ارايتم لو دفعت الى النار هل كنتم تنقذوني منها فقالوا بلى ننقذك
بما نقدر عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما امركم به قالوا اعرض علينا ما اردت

فذكر



فذكر لهم القصة قالوا وانك لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت
انفسنا بالذي سالت فتجهز هو وولده وخرج طالوت مجاهدا في سبيل الله فقدم اولاده
فقاتلوا حتى قتلوا ثم شد هو من بعدهم فقاتل حتى قتل وجاء قاتل طالوت الى داود فبشره
بقتله وقال له قد قتلت عدوك فقال داود ما انت بباق بعده وقتله فكان ملك طالوت
الى ان قتل مدة اربعين سنة واتى بنو اسرايل الى داود فملكوه عليهم واعطوه خزاين طالوت
قال الكلبي والضحاك ملك داود بعد طالوت لسبع سنين ولم يجتمع بنو اسرايل على ملك
واحد الا على داود فذلك قوله تعالى **واتاه الله الملك والحكمة** يعني النبوة جمع الله لداود
بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كانت النبوة في سبط والملك في سبط وقيل
الحكمة هي العلم مع العمل به **وعلمه مما يشا** اي وعلم الله داود صنعة الدرع فكان
يصنعها ويبيعها وكان لا ياكل الا من عمل يده وقيل علمه منطق الطير وقيل علمه الزبور
وقيل هو الصوت الطيب والالحان ولم يعط الله احدا من خلقه مثل صوت داود فكان اذا
قرا الزبور تدنو منه الوحوش حتى يوخذ باعناقها وتظله الطير مصيخة له ويركد الما
الجاري ويسكن الريح عند قراته وقيل علمه سياسة الملك وضبطه وذلك لانه لم يكن
من بيت الملك حتى يتعلمه من ابيه وقال ابن عباس هو ان الله تعالى اعطاه سلسلة
موصولة بالمجرة وراسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النور وحلقها
مستديرة مفصلة بالجوهر مدسرة بقضبان اللولو الرطب فلا يحدث في الهوى
حدث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة الا بري
وكانوا يتحاكمون اليها بعد داود الى ان رفعت فمن تعدى على صاحبه وانكره حقا اتى السلسلة
فمن كان صادقا مد يده الى السلسلة فنالها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك الى
ان ظهر فيهم المكر والخبث فبلغنا ان بعض ملوكهم اودع رجلا جوهرة ثمينة فلما طالبه
بالوديعة انكرها فتحاكما الى السلسلة فعمد الذي عنده الجوهرة الى عكازه فنقرها
وجعل الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى اتيا السلسلة فقال لصاحب الجوهرة رد على الوديعة
فقال صاحبه ما اعرف لك عندي وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة
فتناولها بيده وقال للمنكر قم انت ايضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة امسك
عكازي فاخذه الرجل منه وقام المنكر الى السلسلة وقال اللهم ان كنت تعلم ان
الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب السلسلة مني ومد يده فتناولها فعجب
القوم من ذلك وشكوا فيها فاصبحوا وقد رفع الله السلسلة قوله **ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض** يعني ولولا ان الله يدفع ببعض الناس وهم اهل الايمان
والطاعة لهم بعضا وهم اهل الكفر والمعاصي قال ابن عباس ولولا دفع الله الناس
بجنود المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المومنين وخربوا المساجد
والبلاد وقيل معناه ولولا دفع الله بالمومنين والابرار عن الكفار والفجار
**لفسدت الارض** يعني لهلكت بمن فيها ولكن الله يدفع بالمومن عن الكافر وبالصالح
عن الفاجر روى احمد بن حنبل عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ح

ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض **ولكن الله ذو فضل على العالمين** يعني ان دفع
الفساد بهذا الطريق انعام عام وافضال يعم الناس كلهم **تلك آيات الله** يعني القصص
التي اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية
وهي التابوت واهلاك الجبابرة على يد صبي **نتلوها عليك بالحق** اي باليقين الذي
لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم **وانك لمن المرسلين** يعني حيث تخبر بهذه الآيات
الاخبار العجيبة والقصص القديمة من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا استماع اخبار
فدل ذلك على انك من المرسلين وان الذي تخبر به وحي من الله تعالى قوله عز وجل
**تلك الرسل** يعني جماعة الرسل الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة **فضلنا
بعضهم على بعض** فيه دليل على زوال الشبهة لمن اوجب التسوية بين الانبياء في
الفضيلة لاستوائهم في القيام بالرسالة واجمعت الامة على ان الانبياء بعضهم افضل
من بعض وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم افضلهم لعموم رسالته وهو قوله تعالى وما
ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا **منهم** اي من الرسل **من كلم الله** اي كلمه الله
وهو موسى عليه السلام **ورفع بعضهم درجات** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفع الله
منصبه ومرتبته على كافة سائر الانبياء بما فضله عليهم من الآيات البينات والمعجزات
الباهرات فما اوتي نبي من الانبياء آية او معجزة الا واوتي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
مثل ذلك وفضل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء بآيات ومعجزات اخر مثل
انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع اليه عند مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه
وكلام البهائم له بالشهادة برسالته ونبع الماء من بين اصابعه وغير ذلك من الآيات
والمعجزات التي لا تحصى كثرة واعظمها واظهرها معجزة وآية القرآن العظيم الذي عجز اهل
الارض عن معارضته والاتيان بمثله وهو معجزة باقية الى يوم القيامة ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الآيات ما
مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم
تابعا يوم القيامة ق عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم
يعطهن احد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا
فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت
الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة م عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت
بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة
وختم بي النبيون فان قلت لم ذكره على سبيل الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه
صلى الله عليه وسلم قلت في هذا الابهام والرمز من تفخيم فضله واعلاء قدره صلى الله عليه وسلم
ما لا يخفى لما فيه من الشهادة بانه العلم الذي لا يشتبه ولا يلتبس فهو كما يقول الرجل
وقد فعل شيئا فعله بعضكم او احدكم ويريد نفسه فيكون افخم من التصريح كما سئل الحطيئة





من اشعر الناس فقال زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه
وقوله تعالى **وآتينا عيسى ابن مريم البينات** يعني الحجج والادلة الباهرة والمعجزات
الظاهرة على نبوته مثل ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى **وايدناه بروح القدس** اي
وقويناه بجبريل عليه السلام فكان معه الى ان رفعه الى السماء اي الى السماء الثانية
فان قلت لم خص موسى بالذكر من بين سائر الانبياء قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة
والمعجزات الباهرة ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل
وهو آية عظيمة ايضا وتاييد عيسى بروح القدس آية عظيمة ايضا فلما اوتي موسى
وعيسى من الآيات العظيمة خصا بالذكر في باب التفضيل فعلى هذا كل من كان من الانبياء
اعظم آيات واكثر معجزات كان افضل ولهذا احرز نبينا صلى الله عليه وسلم قصبات
في الفضل لانه اعظم الانبياء آيات واكثرهم معجزات فهو افضلهم صلى الله عليه وسلم
وعليهم اجمعين **ولو شاء الله** اي ولو اراد الله واصل المشيئة الارادة **ما اقتتل الذين من
بعدهم** يعني بعد الرسل الذين وصفهم الله **من بعد ما جاءتهم البينات** اي الدلالات
الواضحات من الله بما فيه مزدجر لمن هداه الله تعالى ووفقه **ولكن اختلفوا** يعني اختلف
هولاء الذين من بعد الرسل **فمنهم من آمن** اي ثبت على ايمانه بالله ورسله بفضل الله
**ومنهم من كفر** اي ومنهم من تعمد الكفر بعد قيام الحجة وبعثة الرسل **ولو شاء الله ما
اقتتلوا** اي ولو اراد الله ان يحجزهم عن الاقتتال والاختلاف لحجزهم عن ذلك **ولكن
الله يفعل ما يريد** يعني انه تعالى يوفق من يشاء لطاعته والايمان به فضلا منه
ورحمة ويخذل من يشاء عدلا منه لا اعتراض عليه في ملكه وفعله سأل رجل علي بن
ابي طالب رضي الله عنه عن القدر فقال يا امير المومنين اخبرني عن القدر فقال طريق
مظلم فلا تسلكه فاعاد السوال فقال بحر عميق فلا تلجه فاعاد السوال فقال
سر الله قد خفي عليك فلا تفتشه قوله عز وجل **يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم**
قيل اراد بها الزكاة الواجبة وقيل اراد به صدقة التطوع والانفاق في وجوه الخير
**من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه** اي لا فدية فيه وانما سماه بيعا لان الفداء شراء
النفس من الهلاك والمعنى قدموا لانفسكم اليوم من اموالكم من قبل ان ياتي يوم
لا تجارة فيه فيكتسب الانسان ما يفتدي به من العذاب **ولا خلة** اي ولا مودة ولا
صداقة **ولا شفاعة** وظاهر هذا يقتضي نفي الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص
على ثبوت المودة والشفاعة بين المومنين فيكون هذا عام مخصوص **والكافرون
هم الظالمون** لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل **الله لا اله الا هو
الحي القيوم**

**فصل** في فضل هذه الآية الكريمة عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء سنام وان سنام القرآن البقرة وفيها آية هي سيدة
آي القرآن آية الكرسي اخرجه الترمذي قوله ان لكل شيء سناما وسنام كل شيء اعلاه
تشبيها بسنام البعير والمراد منه تعظيم هذه السورة والسيد الفاضل الشريف
والكريم واصله من ساد يسود وقوله هي سيدة آي القرآن اي افضله م عن ابي بن كعب

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا المنذر اتدري اي اية من كتاب الله معك اعظم
قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم فضرب في صدري وقال ليهنك العلم يا ابا المنذر وعن
واثلة بن الاسقع ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم في صفة المهاجرين فسأله انسان
اي اية في القران اعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا اله الا هو الحي القيوم
اخرجه ابو داود وقال العلما انما تميزت اية الكرسي بكونها اعظم اية في القران لما جمعت
من اصول الاسما والصفات من الالهية والوحدانية والحياة والعلم والقيومية والملك
والقدرة والارادة فهذه اصول الاسما والصفات وذلك لان الله تعالى اعظم مذكور
فما كان ذكرا له من توحيد وتعظيم كان اعظم الاذكار وفي هذا الحديث حجة لمن يقول بجواز
تفضيل بعض القران على بعض وتفضيله على سائر كتب الله المنزلة ومنع من جواز تفضيل
بعض القران على بعض ابو الحسن الاشعري وابو بكر الباقلاني قالا لان تفضيل بعضه على
بعض يقتضي نقص المفضول وليس في كلام الله عز وجل نقص وتاول هولا ما ورد من اطلاق
لفظ اعظم وافضل في بعض الايات والسور بمعنى عظيم وفاضل ومن اجاز تفضيل بعض
القران على بعض من العلما والمتكلمين قالوا هذا التفضيل راجع الى عظم اجر القاري وجزيل
ثوابه وقوله ان هذه الاية او هذه السورة اعظم وافضل بمعنى ان الثواب المتعلق بها اكثر
وهذا هو المختار وهو معنى الحديث والله اعلم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا حين يصبح اية الكرسي وايتين من اول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز
العليم حفظ يومه ذلك حتى يمسي ومن قراهما حين يمسي حفظ ليلته تلك حتى يصبح اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب واما التفسير فقوله عز وجل الله لا اله الا هو نفي
الالهية كل اله سواه واثبت الالهية له سبحانه وتعالى فهو كقولك لا كريم الا زيد
فانه ابلغ من قولك زيد كريم الحي يعني الباقي على الابد الدايم بلا زوال والحي في صفة الله
هو الذي لم يزل موجودا وبالحياة موصوفا لم تحدث له الحياة بعد موت ولا يعترضه
الموت بعد حياة وساير الاحيا سواه يعتريهم الموت والعدم فكل شي هالك الا وجهه
سبحانه وتعالى القيوم قال مجاهد القيوم القايم على كل شي وتاويله انه تعالى قايم
بتدبير خلقه في ايجادهم وارزاقهم وجميع ما يحتاجون اليه وقيل هو القايم الدايم
بلا زوال الموجود الذي يمتنع عليه التغير وقيل هو القايم على كل نفس بما كسبت
والقيوم فيعول من القايم وهو نعت للمبالغة في القيام على الشي لا تاخذه سنة ولا نوم
السنة ما تتقدم النوم من الفتور الذي يسمى نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان
بين النايم واليقظان والنوم هو التثقيل المزيل للعقل والقوة وقيل السنة في الراس
والنعاس في العين والنوم في القلب فالسنة هي اول النوم والنوم هو غشية ثقيلة
تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشيا والمعنى لا تاخذه سنة فضلا عن ان ياخذه نوم
لان النوم والسهو والغفلة محال على الله تعالى لان هذه الاشيا عبارة عن عدم العلم
وذلك نقص وافة والله تعالى منزه عن النقص والافات وان ذلك تغير والله تعالى
منزه عن التغير م عن ابي موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم



بخمس كلمات فقال ان الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه
يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور وفي رواية
النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه شرح ما يتعلق
بلفظ هذا الحديث منقول من شرح مسلم للشيخ محيي الدين النووي قوله صلى الله عليه
وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام فمعناه الاخبار انه سبحانه وتعالى لا ينام
وانه مستحيل في حقه لان النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الاحساس
والله تعالى منزه عن ذلك وقوله يخفض القسط ويرفعه اراد بالقسط الميزان الذي
تقع به العدل ومعناه ان الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن فيه من اعمال العباد
المرتفعة اليه وقيل اراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق ومعناه يخفض
يقبض ويضيق على من يشا ويرفعه اي يوسعه على من يشا وقوله يرفع اليه عمل الليل
قبل النهار يعني ان الحفظة من الملايكة يصعدون باعمال العباد في الليل بعد انقضايه
في اول النهار ويصعدون باعمال النهار بعد انقضايه في اول الليل قوله حجابه النور
لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه سبحات بضم السين
المهملة والبا الموحدة تحت وبضم التا في اخره جمع سبحة ومعنى سبحات وجهه
نوره وجلاله وبهاوه والحجاب اصله في اللغة المنع وحقيقة الحجاب انما يكون للاجسام
المحدودة والله تعالى منزه عن الجسم والحد فالمراد به هنا الشي المانع من الروية
سمي ذلك الشي المانع نورا ونارا لانهما يمنعان من الادراك في العادة والمراد بالوجه
الذات بما انتهى اليه بصره من خلقه جميع المخلوقات لان بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع
ولفظة من في قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبعيض ومعنى الحديث لو زال المانع
وهو الحجاب المسمى نورا ونارا وتجلى لخلقه لاحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته هذا اخر
كلام الشيخ على هذا الحديث والله اعلم وروى الطبري بسنده عن ابن عباس في قوله
لا تاخذه سنة ولا نوم ان موسى عليه السلام سال الملايكة هل ينام الله فاوحى الله
تعالى الى الملايكة وامرهم ان يوقظوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم اعطوه قارورتين
فامسكهما ثم تركوه وحذروه اي يكسرهما قال فجعل ينعس وهما في يده في كل يد واحدة فجعل
ينعس وينتبه حتى نعس نعسة فضرب احداهما بالاخرى فكسرهما قال معمر انما هو مثل
ضربه الله تعالى له يقول فكذلك السموات والارض ورواه عن ابي هريرة مرفوعا
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام
الله وذكر نحو حديث ابن عباس قال بعض العلما ان صح هذا الحديث فليحمل على ان هذا
السوال كان من جهال قوم موسى كطلب الروية من موسى لان الانبيا عليهم السلام
هم اعلم بالله من غيرهم فلا يجوز ان يسال موسى مثل هذا السوال والله تعالى اعلم
قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض يعني ان الله تعالى مالك جميع ذلك بغير شريك
ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده وفي ملكه فان قلت لم قال له ما في السموات
ولم يقل من في السموات قلت لما كان المراد اضافة كل ما سواه اليه من الخلق والملك

وكان الغالب فيهم من لا يعقل اجري الغالب مجري الكل فعبر عنه بلفظ ما **من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه** اي بامره وهذا استفهام انكاري والمعنى لا يشفع عنده احد الا بامره وارادته وذلك لان المشركين زعموا ان الاصنام تشفع عندهم فاخبر انه لا شفاعة لاحد عنده الا ما استثناه بقوله الا باذنه يريد بذلك شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة بعض الانبيا وشفاعة المومنين بعضهم لبعض **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم** يعني ما بين ايديهم من الدنيا وما خلفهم من الاخرة وقيل بعكسه لانهم يقدمون على الاخرة ويخلفون الدنيا وراء ظهورهم وقيل يعلم ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ما قدموه بين ايديهم من خير او شر وما خلفهم مما هم فاعلوه والمقصود من هذا انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شي من احوال جميع خلقه **ولا يحيطون بشي من علمه** يقال احاط بالشي اذا علمه وهو ان يعلم وجوده وجنسه وقدره وحقيقته فاذا علمه ووقف عليه وجمعه في قلبه فقد احاط به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى ان احدا لا يحيط بمعلومات الله تعالى **الا بما شا** يعني ان يطلعهم عليهم وهم الانبيا والرسل ليكون ما يطلعهم عليه من علم غيبه دليلا على نبوتهم كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول **وسع كرسيه السموات والارض** يقال فلان يسع الشي سعة اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به واصل الكرسي في اللغة من تركب الشي بعضه على بعض ومنه الكراسة لتركب بعضها وراقها على بعض والكرسي في العرف اسم لما يقعد عليه سمي به لتركب خشبا نه بعضها على بعض واختلفوا في المراد بالكرسي هنا على اربعة اقوال احدها ان الكرسي هو العرش نفسه قال الحسن لان العرش والكرسي اسم للسرير الذي يصح التمكن عليه القول الثاني ان الكرسي غير العرش وهو امامه وهو فوق السموات السبع ودون العرش قال السدي ان السموات والارض في جوف الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة وعن ابن عباس ان السموات السبع في الكرسي كدراهم سبعة القيت في ترس وقيل ان كل قائمة من قوايم الكرسي طولها مثل السموات والارض وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي اربعة املاك لكل ملك اربعة وجوه واقدامهم على الصخرة التي تحت الارض السابعة السفلى ملك على صورة ابي البشر ادم وهو يسال الرزق والمطر لبني ادم من السنة الى السنة وملك على صورة النسر وهو يسال الرزق للطير من السنة الى السنة وملك على صورة الثور وهو يسال الرزق للانعام من السنة الى السنة وملك على صورة السبع وهو يسال الرزق للوحوش من السنة الى السنة وفي بعض الاخبار ان بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسماية عام لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش القول الثالث ان الكرسي هو الاسم الاعظم لان العلم يعتمد عليه كما ان الكرسي يعتمد عليه قال ابن عباس كرسيه علمه القول الرابع المراد بالكرسي الملك والسلطان والقدرة لان الكرسي موضع الملك والسلطان فلا يبعد ان يكنى عن الملك

بالكرسي



بالكرسي على سبيل المجاز **ولا يؤده** اي لا يثقله ولا يجهده ولا يشق عليه **حفظهما** اي حفظ السموات والارض **وهو العلي** اي الرفيع فوق خلقه الذي ليس فوقه شي فيما يجب له ان يوصف به من معاني الجلال والكمال فهو العلي بالاطلاق المتعالي عن الاشباه والانداد والاضداد وقيل العلي بالملك والسلطنة والقهر فلا اعلى منه احد وقيل معنى العلو في صفة الله تعالى منقول الى اقتداره وقهره واستحقاق صفات المدح جميعها على كل وجه وقيل معناه انه يعلو ان يحيط به وصف الواصفين **العظيم** يعني انه ذو العظمة والكبريا الذي لا شي اعظم منه وقال ابن عباس العظيم الذي قد كمل في عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة والجلال والكمال وهو صفة الله تعالى ينصرف الى عظم الشان وجلالة القدر دون العظم الذي هو من نعوت الاجسام قوله عز وجل **لا اكراه في الدين** سبب نزول هذه الاية فيما يروى عن ابن عباس قال كانت المراة من الانصار تكون مقلاة وهي التي لا يعيش لها ولد فكانت تنذر لين عاش لها ولد لتهودنه فاذا عاش جعلته من اليهود فجا الاسلام وفيهم منهم فلما اجليت بنو النضير كان فيهم عدد من اولاد الانصار فاراد الانصار استرادهم وقالوا هم ابناونا واخواننا فنزلت الاية لا اكراه في الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير اصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم فاجعلوهم معهم وقيل كان الرجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال له ابو الحصين ابنان فتنصرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما ابوهما وقال لا ادعكما حتى تسلما فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فانزل الله تعالى لا اكراه في الدين فخلى سبيلهما وقيل نزلت في اهل الكتاب اذا قبلوا بذل الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك ان العرب كانت امة امية ولم يكن لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام او القتل ونزلت في اهل الكتاب لا اكراه في الدين يعني اذا قبلوا الجزية فمن اعطى الجزية منهم لم يكره على الاسلام فعلى هذا القول تكون الاية محكمة ليست بمنسوخة وقيل ان الاية منسوخة وكان ذلك في ابتدا الاسلام قبل ان يومروا بالقتال ثم نسخت باية القتال وهو قول ابن مسعود وقال الزهري سالت زيد بن اسلم عن قول الله تعالى لا اكراه في الدين فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين لا يكره احدا في الدين فابى المشركون الا ان يقاتلوه فاستاذن الله في قتالهم فاذن له ومعنى لا اكراه في الدين اي دين الاسلام ليس فيه اكراه عليه **قد تبين الرشد من الغي** يعني ظهر ووضح وتميز الحق من الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلال لكثرة الايات والبراهين الدالة على صحته **فمن يكفر بالطاغوت** يعني الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن وقيل هو كل ما عبد من دون الله تعالى وقيل كل ما يطغي الانسان فهو طاغوت فاعول من الطغيان **ويومن بالله** اي ويصدق بالله انه ربه ومعبوده من دون كل شي كان يعبده وفيه اشارة الى انه لا بد للكافر ان يتوب اولا عن الكفر ويتبرا منه ثم يومن بعد ذلك بالله فمن فعل ذلك صح ايمانه وهو قوله **فقد استمسك بالعروة الوثقى** اي فقد

تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين والوثقى تانيث الاوثق وقيل العروة
الوثقى السبب الذي يوصل الى رضى الله تعالى وهو دين الاسلام **لا انفصام لها** اي لا
انقطاع لها حتى توديه الى الجنة والمعنى ان المتمسك بالدين الصحيح الذي هو دين الاسلام
كالمتمسك بالشيء الوثيق الذي لا يمكن كسره ولا انقطاعه **والله سميع** يعني انه تعالى
يسمع قول من كفر بالطاغوت واتى بالشهادتين **عليم** بما في قلبه من الايمان وقيل معناه
سميع لدعائك اياهم الى الاسلام عليم بحرصك على اسلامهم قوله عز وجل **الله ولي الذين
امنوا** اي ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم ومتولي امورهم فلا يكلهم الى غيره وقيل هو متولي
هدايتهم **يخرجهم من الظلمات الى النور** اي من الكفر الى الايمان وكل ما في القران
من ذكر الظلمات والنور فالمراد به الكفر والايمان غير الذي في سورة الانعام وهو
قوله تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل والنهار وانما سمي الكفر ظلمة لالتباس
طريقه ولان الظلمة تحجب الابصار عن ادراك الحقايق فكذلك الكفر يحجب القلوب عن
ادراك حقايق الايمان وسمي الاسلام نورا لوضوح طريقه وبيان ادلته **والذين كفروا
اولياوهم الطاغوت** يعني كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب وساير روس الضلالة **يخرجونهم
من النور الى الظلمات** اي من الهدى الى الضلالة فان قلت كيف قال
يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار لم يكونوا في نور قط قلت هم اليهود كانوا
موقنين بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته قبل ان يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته
وصفته فلما بعث كفروا به وجحدوا نبوته وقيل هو على العموم في حق جميع الكفار ومنع
الطاغوت اياهم عن الدخول فيه اخراج من الايمان بمعنى صدهم الطاغوت عنه وحرمانهم
خيره وان لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول الرجل لابيه اخرجتني من مالك اذا اوصى
به لغيره في حياته وحرمه منه وكقول الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام اني
تركت ملة قوم لا يومنون بالله ولم يكن قط في ملتهم **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون**
يعني الكفار والطاغوت اهل النار الذين يخلدون فيها دون غيرهم قوله عز وجل
**الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه** يعني هل انتهى اليك يا محمد خبر الذي خاصم ابراهيم
في ربه وجادله لان الم تر كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها ولفظها استفهام وهو كما
يقال الم تر الى فلان كيف يصنع معناه هل رايت فلانا في صنعه والذي حاج ابراهيم
هو نمرود بن كنعان الجبار وهو اول من وضع التاج على راسه وتجبر في الارض وادعى الربوبية
**ان اتاه الله الملك** اي لان اتاه الله الملك فطغى وتجبر بسببه وكانت تلك
المحاجة من بطر الملك وطغيانه وقال مجاهد ملك الارض اربعة مومنان وكافران
فاما المومنان فسليمان بن داود وذو القرنين واما الكافران فنمرود وبخت نصر
واختلفوا في وقت هذه المحاجة فقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم اخرجه
ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعونا اليه قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت وقيل
بل كان هذا بعد القايه في النار وذلك ان الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس يمتارون
من عنده الطعام فكان اذا اتاه احد يمتار ساله من ربك فيقول انت فيمير فجاء

ابراهيم



ابراهيم عليه السلام اليه يمتار لاهله الطعام فاتاه فقال له من ربك قال ربي الذي
يحيي ويميت قال انا احيي واميت قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات
بها من المغرب فبهت الذي كفر فرده بغير طعام فرجع ابراهيم الى اهله فمر على كثيب
رمل اعفر فاخذ منه تطييبا لقلوب اهله اذا دخل عليهم فلما اتى اهله ووضع متاعه
ثم نام فقامت زوجته سارة الى رحله ففتحته فاذا هو طعام اجود ما راه احد فصنعت
منه خبزا فلما انتبه قربته اليه فقال لها ابراهيم من اين هذا وكان عهده باهله وليس
عندهم طعام فقالت من الطعام الذي جيت به فعلم ابراهيم ان الله قد رزقه فحمد الله
تعالى ثم ان الله تعالى بعث الى نمرود الجبار ملكا فقال له ان ربك يقول لك ان امن بي
واتركك في ملكك قال وهل رب غيري فجاءه الثانية فقال له مثل ذلك ثم اتاه
الثالثة فرد عليه مثل ذلك فقال له الملك اجمع جموعك فجمع الجبار جموعه فامر الله الملك
ففتح عليه بابا من البعوض حتى سترت الشمس فلم يروها فبعثها الله عليهم فاكلت
لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود ينظر ولم يصبه شيء من ذلك
ثم بعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكثت في راسه اربعماية سنة يضرب
راسه بالمطارق وكان ارحم الناس به من يجمع له يديه ثم يضرب بهما راسه فكان كذلك
يعذب اربعماية سنة مدة ملكه حتى اماته الله عز وجل **اذ قال ابراهيم ربي الذي
يحيي ويميت** هذا جواب سوال غير مذكور تقديره قال له نمرود من ربك قال ابراهيم
ربي الذي يحيي ويميت **قال** يعني قال نمرود **انا احيي واميت** قال اكثر المفسرين
دعا نمرود برجلين فقتل احدهما واستحيا الاخر فجعل ترك القتل احياء فانتقل ابراهيم
صلى الله عليه وسلم الى حجة اخرى لا عجزا عن نصر حجته الاولى فانها كانت لازمة لانه اراد
بالاحياء احياء الميت فكان لابراهيم ان يقول لنمرود فاحيي من امت ان كنت صادقا ولكن
انتقل الى حجة اخرى اوضح من الاولى لما راى من قصور فهم نمرود وضعف رايه فانه عارض
العمل بمثله وسمى اختلاف الفعلين **قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق
فات بها من المغرب فبهت الذي كفر** يعني تحير نمرود ودهش وانقطعت حجته ولم
يرجع اليه شيا وعرف انه لا يطيق ذلك فان قلت كيف بهت الذي كفر وكان يمكنه ان
يقول لابراهيم سل انت ربك حتى ياتي بها من المغرب قلت انما لم يقله لانه خاف ان لو
سال ذلك دعا ابراهيم ربه فكان ذلك زيادة في فضيحة نمرود وانقطاعه وقيل ان الله
تعالى صرفه عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه ومعجزة لابراهيم صلى الله عليه وسلم وهو
الصحيح **والله لا يهدي القوم الظالمين** يعني لا يرشدهم الى حجة يدحضون بها حجج اهل
الحق عند المحاجة والمخاصمة وعنى بالظالمين نمرود قوله عز وجل **او كالذي مر
على قرية** هذه معطوفة على الاية التي قبلها والمعنى الم تر الى الذي حاج ابراهيم
او كالذي مر على قرية فيكون هذا عطفا على المعنى وقيل تقديره هل رايت الذي
حاج ابراهيم وهل رايت كالذي وقيل الكاف زايدة والتقدير الم تر الى الذي حاج
ابراهيم او الى الذي مر على قرية واختلفوا في ذلك المار فروي عن مجاهد انه كان

كافرا شك في البعث وهذا قول ضعيف لقوله تعالى قال كم لبثت والله تعالى لا يخاطب الكافر
ولقوله تعالى ولنجعلك اية للناس وهذا اللفظ لا يستعمل في حق الكافر وانما يستعمل
في حق الانبيا وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو عزير بن شرخيا وقال
وهب بن منبه هو ارميا بن حلقيا من سبط هارون وهو الخضر ومقصود القصة تعريف
منكري البعث قدرة الله تعالى على احيا خلقه بعد اماتتهم لا تعريف اسم ذلك المار على
القرية فجايز ان يكون ذلك المار هو عزير وجايز ان يكون ارميا وفي هذه القصة دلالة
عظيمة بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اخبر اليهود بما يجدونه في كتبهم ويعرفونه
وهو نبي لم يقرا الكتب القديمة واختلفوا في تلك القرية فقيل هي بيت المقدس
وذلك لما خربها بخت نصر والمراد بالاحيا هنا عمارتها وقيل هي القرية التي اهلك الله
اهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وقيل دير سابر اباد وقيل سلماباد وقيل هو
دير هرقل وقيل قرية العنب وقيل هي على فرسخين من بيت المقدس وقوله هو دير سابر اباد
موضع كان بفارس وسلماباد محلة قرية من نواحي جرجان وهي ايضا من نواحي همذان
ودير هرقل بكسر اوله وراساكنة دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم وقيل هو
موضع الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف فاماتهم الله تعالى ثم احياهم حين قيل كما
تقدم ويقال ان المراد بقوله تعالى او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها
فهي التي عندها احيا الله حمار عزير **وهي خاوية على عروشها** اي ساقطة على سقوفها
وذلك ان السقوف سقطت اولا ثم وقعت الحيطان عليها بعد ذلك **قال** يعني ذلك
المار **انى يحيي هذه الله بعد موتها** فمن قال ان ذلك المار كان كافرا وهو ضعيف اتما
حمله على الشك في قدرة الله ومن قال كان نبيا حمله على سبيل الاستبعاد بحسب مجاري
العرف والعادة لا على سبيل الانكار لقدرة الله تعالى او كان المقصود منه طلب زيادة
الدلايل لاجل التاكيد كما قال ابراهيم عليه السلام ارني كيف تحيي الموتى ومعنى انى يحيي
هذه الله متى يحيي هذه القرية والمراد بالاحيا عمارتها فاحب الله ان يريه اية في نفسه
وفي احيا تلك القرية وكان سبب القصة في ذلك ما روي عن وهب بن منبه ان الله تعالى
بعث ارميا الى ناشيه بن اموص ملك بني اسرايل ليسدده ويا تيه بالخبر من الله تعالى فعظمت
الاحداث في بني اسرايل وركبوا المعاصي فاوحى الله تعالى الى ارميا ان ذكر قومك نعمي عليهم
وعرفهم احداثهم وادعهم الي فقال ارميا يا رب اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني
مخذول ان لم تنصرني فقال الله تعالى اني الهمك فقام ارميا فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه
الله تعالى في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية
وقال في اخرها عن الله عز وجل اني احلف بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم
ولاسلطن عليهم جبارا فارسيا البسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد
مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى اني مهلك بني اسرايل بيافث ويافث هم
اهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ
الرماد على راسه فلما راى الله تضرعه وبكاه ناداه يا ارميا اشق عليك ما اوحيت

اليك



اليك فقال نعم يا رب اهلكني قبل ان ارى في بني اسرايل ما لا اسر به فقال الله عز وجل
لا اهلك بني اسرايل حتى يكون الامر في ذلك من قبلك ففرح ارميا بذلك وطابت
نفسه وقال لا والذي بعث موسى بالحق لا ارضى بهلاك بني اسرايل ثم اتى الملك فاخبره
بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوبنا وان يعف
عنا فبرحمته ثم انهم مكثوا بعد ذلك الوحي ثلث سنين لم يزدادوا الا معصية
وتماديا في الشر فقل الوحي وذلك حين اقترب هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة
فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بخت نصر البابلي فخرج في ستماية الف راية يريد اهل
بيت المقدس فلما فصل سايرا اتى الخبر الى ملك بني اسرايل فقال لارميا اين ما زعمت
ان الله تعالى اوحى اليك فقال ارميا ان الله لا يخلف الميعاد وانا به واثق فلما قرب
الاجل بعث الله تعالى الى ارميا ملكا قد تمثل في صورة رجل من بني اسرايل فقال له
ارميا من انت قال انا رجل من بني اسرايل اتيتك استفتيك في اهل رحمي وصلت
ارحامهم ولم ات اليهم الا حسنا ولا يزيدهم اكرامي اياهم الا سخطا لي فافتني فيهم
فقال له ارميا احسن فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فمكث اياما
ثم اقبل اليه في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له ارميا من انت قال انا
الرجل الذي اتيتك استفتيك في شان اهلي فقال له ارميا اما طهرت اخلاقهم
بعد ذلك فيهم فقال يا نبي الله والذي بعثك بالحق نبيا ما اعلم كرامة ياتيها احد
من الناس الى رحمه الا قدمتها اليهم وافضل فقال ارميا ارجع اليهم فاحسن اليهم
اسال الله الذي يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فمكث اياما ثم
ان بخت نصر نزل بجنوده بيت المقدس ففزع منهم بنوا اسرايل فقال ملكهم لارميا
يا نبي الله اين ما وعدك الله فقال اني بربي واثق ثم اقبل ذلك الملك الى ارميا وهو
قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده فقعد بين يديه
فقال له ارميا من انت قال انا الذي جيتك في شان اهلي مرتين فقال له ارميا اما ان
لهم ان يفيقوا من الذي هم فيه فقال الملك يا نبي الله ان كل شي كان يصيبني منهم قبل
اليوم كنت اصبر عليه فاليوم رايتهم على عمل لا يرضي الله تعالى فقال له ارميا على اي عمل
رايتهم قال على عمل عظيم يسخط الله تعالى فغضبت لله عز وجل فاتيتك لاخبرك
وانا اسالك بالله الذي بعثك بالحق ان تدعو الله عليهم ليهلكهم فقال ارميا يا مالك
السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان كانوا
على عمل لا ترضاه فاهلكهم فلما خرجت الكلمة من فيه حتى ارسل الله عز وجل صاعقة
من السما على بيت المقدس فالتهب مكان القربان واحرقت سبعة ابواب من ابوابه
فلما راى ذلك ارميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه وقال يا مالك السموات
والارض اين ميعادك الذي وعدتني به فنودي انهم لم يصبهم ما اصابهم الا بفتياك
ودعايك عليهم فاستيقن ارميا انها فتياه وان ذلك السايل كان رسولا من الله
تعالى اليه فخرج ارميا حتى خالط الوحوش ودخل بخت نصر وجنوده بيت المقدس ووطي

الشام وقتل بني اسرايل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وامر جنوده ان يملا كل رجل منهم
ترسه ترابا ويقذفه في بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملاوه ثم امرهم ان يجمعوا من كان
بقي في بلد بيت المقدس فاجتمع عنده من كان بقي من بني اسرايل من صغير وكبير فاختار منهم
سبعين الف صبي فقسمهم بين الملوك بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربعة
اغلمة وكان في اوليك الغلمان دانيال عليه السلام وحنانيا وعزير وفرق من بقي اسرايل
ثلاث فرق فثلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا اقرهم بالشام فكانت هذه الوقعة الاولى
التي انزلها الله ببني اسرايل بظلمهم فلما ولى بخت نصر راجعا الى بابل ومعه سبايا
بني اسرايل اقبل ارميا على حمار له ومعه عصير عنب في ركوة وسلة تين حتى غشي
ايليا وهي ارض بيت المقدس فلما راى خرابها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها ومن قال ان
المار كان عزير قال ان بخت نصر لما خرب بيت المقدس وقدم بسبي بني اسرايل وكان
فيهم عزير ودانيال وسبعة الاف من اهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل
على حمار حتى نزل دير هرقل على شط دجلة فطاف في القرية فلم ير احدا وعامة شجرها
حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضلة الفاكهة في سلة
وفضلة العصير في زق ولما راى خراب القرية وهلاك اهلها قال انى يحيي هذه الله
بعد موتها وانما قال ذلك تعجبا لا شكا في البعث ورجعنا الى الحديث وهب ثم ان ارميا
ربط حماره بحبل جديد والقى الله عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح مائة
عام وامات حماره وبقي عصيره وتينه عنده واعمى الله عنه العيون فلم يره احد
وذلك ضحى ومنع لحمه من السباع والطير فلما مضى من وقت موته سبعون سنة
ارسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس يقال له نوشك وقال له ان الله يامرك
ان تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا حتى يعود اعمر ما كان فانتدب الملك الف
قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل وجعلوا يعمرونها واهلك الله بخت نصر
ببعوضة دخلت في دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرايل وردهم جميعا الى بيت المقدس
ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا كاحسن ما كانوا فلما مضت المائة احيا الله
منه عينيه وساير جسده ميت ثم احيا الله جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فا
عظامه تلوح بيض متفرقة فسمع صوتا من السما ايتها العظام البالية ان الله
يامرك ان تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض ثم نودي ان الله يامرك ان تكتسي لحما وجلدا
فكان كذلك ثم نودي ان الله يامرك ان تحيي فقام الحمار باذن الله ثم نهق وعمر الله
ارميا فهو يدور في الفلوات فذلك قوله تعالى **فاماته الله مائة عام** اصل العام
من العوم وهو السباحة سميت السنة عاما لان الشمس تعوم في جميع بروجها
**ثم بعثه** اي ثم احياه واصله من بعثت الناقة اذا اقمتها من مكانها **قال كم لبثت**
يعني قال الله له كم قدر الزمان الذي مكثت فيه ميتا قبل ان بعثتك من مكانك
حيا وقيل ان الله تعالى لما احياه بعث اليه ملكا فساله كم لبثت **قال** يعني ذلك
المبعوث بعد مماته **لبثت يوما** وذلك ان الله اماته ضحى في اول النهار واحياه بعد مائة

سنة



سنة في آخر النهار قبل ان تغيب الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غابت
ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال **او بعض يوم قال** يعني قال الله له
وقيل قال الملك له **بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك** يعني التين الذي كان معه قبل موته
**وشرابك** يعني العصير **لم يتسنه** يعني لم تغيره السنون التي اتت عليه فكان التين
كانه قطف من ساعته والعصير كانه قد عصر من ساعته لم يتغير ولم ينتن **وانظر الى**
**حمارك** اي وانظر الى احيائي حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض فركب الله تعالى العظام
بعضها على بعض ثم كساه اللحم والجلد واحياه وهو ينظر **ولنجعلك اية للناس**
قيل الواو زايدة مقحمة وقيل دخول الواو فيه دلالة على انها شرط لفعل بعدها
والمعنى فعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحيا لنجعلك اية للناس يعني عبرة ودلالة على
البعث بعد الموت قال اكثر المفسرين وقيل انه عاد الى قريته وهو شاب اسود
الراس واللحية واولاده واولاد اولاده شيوخ وعجايز شمط فكان ذلك اية للناس
**وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما** قرئ بالرا ومعناه كيف نحييها ومعناه انشر الله
الميت انشارا يعني احياه وقرئ بالزاي ومعناه كيف نرفعها من الارض ونردها الى
مكانها من الجسد ونركب بعضها على بعض وانشاز الشي رفعه وازعاجه يقال نشزته
نشزا اي رفعته فارتفع واختلفوا في معنى الاية فقال الاكثرون انه اراد عظام الحمار
قيل ان الله تعالى لما احيى عزيرا او ارميا على الاختلاف في القولين فيه ثم قال له انظر الى حمارك
قد هلك وبليت عظامه فنظر وبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل فاجتمعت
فركب بعضها على بعض حتى الكسرة من العظام رجعت الى موضعها فصار حمارا من عظام ليس
عليه لحم ولا فيه دم ثم كسى الله تلك العظام اللحم والعروق والدم فصار حمارا
ذا لحم ودم لا روح فيه ثم بعث الله ملكا فاقبل اليه يمشي حتى اخذ بمنخر الحمار فنفخ
فيه الروح فقام الحمار حيا باذن الله تعالى ثم نهق وقيل اراد بالعظام هذا
الرجل نفسه وذلك ان الله اماته ثم بعثه ولم يمت حماره ثم قيل له انظر الى حمارك
فنظر فراى حماره حيا قايما كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر
الى الرمة في عنقه جديدة لم تتغير ثم قيل له انظر الى العظام كيف ننشزها
وذلك ان الله اول ما احيى منه عينيه فنظر فراى ساير جسده ميتا وفي الاية
تقديم وتاخير تقديره وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشزها ولنجعلك
اية للناس وعن ابن عباس وغيره من المفسرين لما احيى الله عزيرا بعدما اماته مائة
سنة ركب حماره حتى اتى الى محلته فانكر الناس وانكروه الناس وانكر منازله فانطلق
على وهم حتى اتى منزله فاذا بعجوز عمياء مقعدة قد اتى عليها مائة وعشرون سنة
وكانت امة لهم ولما خرج عزير عنهم كانت بنت عشرين سنة وكانت قد عرفته وعقلته
فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير فقالت نعم وبكت وقالت ما رايت احدا يذكر
عزيرا منذ كذا وكذا فقال انا عزير فقالت سبحان الله ان عزيرا فقدناه من مائة
سنة ولم نسمع له بذكر فقال اني عزير ان الله تعالى اماتني مائة سنة ثم احياني

فقالت ان عزيرا كان رجلا مجاب الدعوة وكان يدعو للمريض والمبتلى بالعافية فادع الله ان
يرد على بصري حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح يده على عينيها فصحتا واخذ
بيدها وقال لها قومي باذن الله تعالى فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت اليه فقالت
اشهد انك عزير وانطلقت الى بني اسرائيل وهم في انديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة
سنة وثمانية عشر سنة وبنو ابنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت
انا فلانة مولاتكم دعا لي عزير ربه فرد على بصري واطلق رجلي وزعم ان الله قد اماته مائة
سنة ثم بعثه فنهض الناس اليه وقال ابنه كان لابي شامة سوداء مثل الهلال بين
كتفيه فكشف عن كتفيه فنظر اليها فراها فعرف انه عزير وقيل لما رجع عزير الى قريته
وقد احرق بخت نصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلق بكى عزير على التوراة فاتاه
ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فمثلت التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل وقد
علمه الله التوراة وبعثه نبيا فقال انا عزير فلم يصدقوه فقال اني عزير قد بعثني الله
اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا فاملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله
التوراة في قلب رجل بعد ما ذهبت الا انه ابنه فقالوا عزير ابن الله وستاتي القصة
في سورة التوبة ان شاء الله تعالى وقوله تعالى **فلما تبين له** يعني فلما اتضح له عيانا
ما كان يستنكره من احياء القرية وراه عيانا في نفسه **قال اعلم** قرئ بجزم ما
موصولا على الامر يعني قال الله له اعلم وقرئ اعلم على قطع الالف ورفع الميم على
الخبر عن الذي قال اني يحيي هذه الله بعد موتها والمعنى فلما تبين له وراى ذلك عيانا
قال اعلم **ان الله على كل شيء قدير** يعني لاماتة والاحياء قوله عز وجل **واذ**
**قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى** اختلفوا في سبب هذا السؤال من ابراهيم عليه السلام
فقيل انه مر على دابة ميتة وهي جيفة حمار وقيل بل كان حوتا ميتا بساحل البحر
وقيل بحر طبرية فراها وقد توزعها دواب البر والبحر فاذا مد البحر جاءت الحيتان فاكلت
منها فاذا ذهبت السباع جاءت الطير فاكلت منها فلما راى ابراهيم ذلك تعجب منها وقال
يا رب اني قد علمت انك لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير واجواف دواب البحر فارني
كيف تحييها لاعاين ذلك فازداد يقينا فعاتبه الله تعالى **قال اولم تؤمن** يعني
اولم تصدق **قال بلى** يا رب قد علمت وامنت **ولكن ليطمئن قلبي** اي ليسكن قلبي
عند المعاينة اراد ابراهيم عليه السلام ان يصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس
كالمعاينة وقيل لما احتجت على الجيفة البحر وقد تناولتها السباع والطير ودواب البحر تفكر
كيف تجتمع ما تفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميتة يحييها ربه ولم
يكن ابراهيم عليه السلام شاكا في احياء الله الموتى ولكنه احب ان يرى ذلك
عيانا لان المؤمنين يحبون ان يروا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ويحبون رؤية الله
تعالى والجنة ويطلبونه ويسألونه لتزيد علومهم مع الايمان بصحة ذلك وزوال الشك عنهم
وقد اطلعت ابراهيم اذ يصير الخبر له عيانا وقيل كان سبب هذا السؤال من ابراهيم انه
لما احتج على نمرود فقال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت فقال نمرود انا احيي واميت

فقتل



فقتل احد الرجلين واطلق الاخر فقال ابراهيم ان الله تعالى يقصد الى جسد ميت فيحييه
فقال لنمرود وانت عاينته فلم يقدر ابراهيم ان يقول نعم فانتقل الى حجة اخرى ثم سال ابراهيم
ربه ان يريه كيف يحيي الموتى فقال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتي فاذا قيل انت عاينته
فاقول نعم وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سال ملك الموت ربه ان ياذن له
فيبشر ابراهيم بذلك فاذن له فاتى ابراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان ابراهيم من
اغير الناس كان اذا خرج اغلق بابه فلما جاء وجد في داره رجلا فثار اليه ليأخذه فقال له
من اذن لك ان تدخل داري فقال اذن لي رب الدار فقال ابراهيم صدقت وعرف انه ملك
فقال له من انت قال انا ملك الموت جئت ابشرك ان الله قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل
وقال له ما علامة ذلك قال ان يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك فحينئذ قال ابراهيم
رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بانك اتخذتني خليلا
وتجيبني اذا دعوتك وتعطيني اذا سالتك **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال نحن احق بالشك من ابراهيم اذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن
قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد ولو لبثت
في السجن ما لبث يوسف لاجبت الداعي لفظ مسلم معنى الحديث وما يتعلق به اختلف
العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم على اقوال كثيرة فاحسنها
واوضحها ما نقل المزني وغيره من العلماء ان الشك مستحيل في حق ابراهيم فان الشك
في احياء الموتى لو كان متطرقا الى الانبياء لكنت انا احق به من ابراهيم وقد علمتم اني
لم اشك فاعلموا ان ابراهيم لم يشك وانما خص ابراهيم بالذكر لكون الاية قد سبقت
الى بعض الاذهان الفاسدة منها احتمال الشك فنفى ذلك عنه وقال الخطابي ليس
في قوله نحن احق بالشك من ابراهيم اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه
نفي الشك عنهما يقول اذا لم اشك انا في قدرة الله على احياء الموتى فابراهيم اولى بان لا
يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله ولو لبثت في
السجن طول ما لبث يوسف لاجبت الداعي وفيه الاعلام بان المسالة من ابراهيم
لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل زيادة العلم بالعيان فان العيان يفيد من المعرفة
والطمانينة ما لا يفيده الاستدلال وقيل لما نزلت هذه الاية قال قوم شك
ابراهيم ولم يشك نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن احق
بالشك من ابراهيم ومعناه ان هذا الذي تظنونه شكا انا اولى به فانه ليس بشك
وانما هو طلب لمزيد اليقين وانما رجح ابراهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله عليه وسلم
تواضعا منه وادبا او قبل ان يعلم انه صلى الله عليه وسلم خير ولد ادم واما تفسير
الاية فقوله تعالى واذ قال ابراهيم اي واذكر يا محمد اذ قال ابراهيم وقيل انه معطوف
على قوله الم تر الى قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال يعني قال الله لابراهيم اولم تؤمن
الالف فيه الف استفهام ايجاب كقول جرير الستم خير من ركب المطايا
اي الستم كذلك والمعنى ولست قد امنت وصدقت ان الله يحيي الموتى قال بلى قد امنت

وصدقت ولكن ليطمئن قلبي يعني سألتك ذلك ارادة طمانينة القلب وزيادة اليقين وقوة الحجة وقال ابن عباس معناه ولكن ارى من اياتك واعلم انك قد اجبتني **قال فخذ اربعة من الطير** قيل اخذ طاوسا وديكا وحمامة وغرابا وقيل نسرا بدل الحمامة فان قلت لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة قلت لان الطير صفته الطيران في السما والارتفاع في الهوا وكانت همة ابراهيم عليه السلام كذلك وهو العلو والوصول الى الملكوت فكانت معجزته مشاكلة لهمته فان قلت لم خص هذه الاربعة اجناس من الطير بالاخذ قلت فيه اشارة ففي الطاوس اشارة الى ما في الانسان من حب الزينة والجاه وفي النسر اشارة الى شدة الشغف بالاكل وفي الديك اشارة الى شدة الشغف بحب النكاح وفي الغراب اشارة الى شدة الحرص ففي هذه الطيور مشابهة لما في الانسان من حيث هذه الاوصاف وفيه اشارة الى الانسان اذا ترك هذه الشهوات الذميمة لحق باعلى الدرجات في الجنة وفاز بنيل السعادات **فصرهن** قرئ بكسر الصاد ومعناه قطعهن ومزقهن وقرئ بضم الصاد ومعناه املهن **اليك** ووجههن وقيل معناه اجمعهن واضممهن اليك فمن فسره بالامالة والضم قال فيه اضمار ومعناه وضرهن اليك ثم قطعهن فحذف اكتفا بقوله **ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا** لانه يدل عليه قال المفسرون امر الله تعالى ابراهيم صلى الله عليه وسلم ان يذبح تلك الطيور وينتف ريشها وان يخلط ريشها ولحمها ودمها بعضه ببعض ففعل ثم امره ان يجعل على كل جبل منهن جزءا واختلفوا في عدد الاجزا والاجبال فقال ابن عباس امر ان يجعل كل طاير اربعة اجزا وان يجعلها على اربعة اجبل على كل جبل ربعا من كل طاير فجعل جبلا على جهة الشرق وجبل على جهة الغرب وجبل على جهة الشمال وجبل على جهة الجنوب وقيل جزاه سبعة اجزا ووضعها على سبعة اجبل وامسك روسهن بيده ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله تعالى فجعل كل قطرة من دم طاير تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى وكل عظم يطير الى العظم الاخر وكل بضعة تطير الى البضعة الاخرى وابراهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها بعضا في السما بغير روس ثم اقبلن سعيا الى روسهن كلما جا طاير طالب لراسه فان كان راسه دنى منه وان لم يكن تاخر عنه حتى التقى كل طاير براسه فذلك قوله تعالى **ثم ادعهن ياتينك سعيا** وقيل المراد بالسعي الاسراع والعدو وقيل المشي والحكمة في سعي الطيور اليه دون الطيران لان ذلك ابعد من الشبهة لانه لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك الطيور وان ارجلها غير سليمة فنفى الله تعالى هذه الشبهة بقوله ياتينك سعيا وقيل المراد بالسعي المشي والمراد بالمشي الطيران وفيه ضعف لانه لا يقال للطاير اذا طار سعى وقيل السعي هو الحركة الشديدة **واعلم ان الله عزيز** يعني انه تعالى غالب على جميع الاشيا لا يعجزه شي **حكيم** يعني في جميع اموره قوله عز وجل **مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله** قيل اراد به الانفاق في الجهاد وقيل هو الانفاق في جميع ابواب الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواجب والتطوع وفيه اضمار تقديره مثل صدقات الذين ينفقون اموالهم **كمثل حبة** اي كمثل زارع حبة **انبتت** يعني اخرجت تلك الحبة **سبع**

سنابل



**سنابل** جمع سنبلة **في كل سنبلة مائة حبة** فان قلت فهل رايت سنبلة فيها مائة حبة حتى يضرب المثل بها قلت ذلك غير مستحيل وما لا يكون مستحيلا فضرب المثل به جايز وان لم يوجد المعنى في كل سنبلة مائة حبة ان جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود في الدخن وقيل ان المقصود من الاية انه اذا علم الانسان الطالب للزيادة والربح انه اذا بذر حبة واحدة اخرجت له سبعمائة حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا التقصير فيه فكذلك ينبغي لمن طلب الاجر عند الله في الاخرة ان لا يترك الانفاق في سبيل الله اذا علم انه يحصل له بالواحد عشرة ومائة وسبعمائة **والله يضاعف لمن يشاء** يعني انه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشا وقيل معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشا من سبع الى سبعين الى سبعمائة الى ما يشا من الاضعاف مما لا يعلمه الا الله **والله واسع** اي غني يعطي الغني عن سعة وقيل واسع القدرة على المجازاة وعلى الجود والافضال **عليم** يعني بنية من ينفق في سبيله وقيل عليم بمقادير الانفاق وبما يستحق المنفق من الجزا والثواب عليه قوله عز وجل **الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله** قيل نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف اما عثمان فجهز المسلمين في غزوة تبوك بالف بعير باقتابها واحلاسها فنزلت هذه الاية وقال عبد الرحمن بن سمرة جا عثمان بالف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرايته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم فانزل الله الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله واما عبد الرحمن فجا باربعة الاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كان عندي ثمانية الاف فامسكت لنفسي ولعيالي اربعة الاف واربعة الاف اخرجتها الى ربي عز وجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت والمعنى الذين يعينون المجاهدين في سبيل الله بالانفاق عليهم في حوايجهم ومونتهم **ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى** اي يتبع نفقته التي انفقها عليهم بالمن والاذى وهو ان يمن عليه بعطايه فيقول قد اعطيتك كذا وكذا فيعدد نعمه عليه فيكدرها عليه والاذى هو ان يعيره فيقول كم تسال وانت فقير ابدا وقد بليت بك واراحني الله منك وامثال ذلك والمن في اللغة الانعام والمنة النعمة الثقيلة يقال فلان من على فلان اذا اثقله بالنعمة ويكون ذلك بالقول ايضا ومنه قول الشاعر

فمن علينا بالسلام فانما ٭ كلامك ياقوت ودر منظم

ومن المن بالقول ما هو مستقبح بين الناس مثل ان يمن على الانسان بما اعطاه قال عبد الرحمن بن زيد كان ابي يقول اذا اعطيت رجلا شيا ورايت ان سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على اظهاره والمن به قال قايلهم في المدح بترك المن

زاد معروفك عندي عظما ٭ انه عندك مستور حقير

تتناساه كان لم تاته ٭ وهو في العالم مشهور كبير

وقال قايلهم يذم المنان بالعطا •

• ابيت قليلك ثم اسرعت منة • فنيلك ممنون كذلك قليل •

واما الاذي فمنه ما يصل الي الانسان من ضرر بقول او فعل اذا عرفت هذا فنقول
المن هو اظهار المعروف الي الناس والمن عليهم به والاذي هو ان يشكي منهم بسبب ما
اعطاهم فحرم الله تعالي علي عباده المن بالمعروف والاذي فيه وذم فاعله فان قلت
كيف وصف الله تعالي نفسه بالمنان فما الفرق قلت المنان في صفة الله تعالي معناه
المتفضل فمن الله افضال علي عباده واحسان اليهم بجميع ما هم فيه ومنة منه سبحانه
وتعالي ومن العباد تعيير وتكدير فظهر الفرق بينهما وقوله تعالي لهم اجرهم يعني
ثوابهم عند ربهم يعني في الاخرة ولا خوف عليهم يعني يوم القيامة ولا هم يحزنون
يعني علي ما خلفوا من الدنيا قول معروف اي كلام حسن ورد جميل علي الفقير اذا سال
وقيل عدة حسنة تعده بها وقيل دعا صالح تدعو له بظاهر الغيب ومغفرة اي
تستر عليه خلته وفقره ولا تهتك ستره وقيل هو ان يتجاوز عن الفقير اذا استطال
عليه حالة رده خير من صدقة يعني هذا القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة
التي تدفعها الي الفقير يتبعها اذى وهو ان يعطي الفقير الصدقة ويمن عليه بها
ويعيره بقول او يوذيه بفعل والله غني اي مستغن عن صدقة العباد والغني هو
الغني الذي لا يحتاج الي احد وليس كذلك الا الله تعالي حليم يعني انه تعالي حليم لا
يعجل بالعقوبة علي من يمن علي عباده ويوذي بصدقته قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
لا تبطلوا صدقاتكم يعني ثواب صدقاتكم بالمن والاذى يعني علي السايل الفقير
وقال ابن عباس بالمن علي الله والاذى لصاحبها ثم ضرب الله لذلك مثلا فقال
تعالي كالذي اي كابطال الذي ينفق ماله رئاء الناس اي مراياة لهم وسمعة ليروا
نفقته ويقولوا انه سخي كريم ولا يومن بالله واليوم الاخر يعني ان الريا يبطل الصدقة
ولا تكون النفقة مع الريا من فعل المومنين لكن من فعل المنافقين لان الكافر معلن
بكفره غير مراي به فمثله اي مثل هذا المرائي بصدقته وساير اعماله كمثل صفوان
هو الحجر الاملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله جمعا قال واحده صفوانة ومن
جعله واحدا قال جمعه صفي عليه تراب اي علي ذلك الصفوان تراب فاصابه وابل
يعني المطر الشديد العظيم القطر فتركه صلدا يعني ترك المطر ذلك الصفوان
صلدا املس لا شي عليه من ذلك التراب فهذا مثل ضربه الله تعالي لنفقة المنافق
والمرائي والمومن المنان بصدقته ويوذي الناس ان لهولاء اعمالا في الظاهر كما يري
التراب علي هذا الصفوان فاذا جا المطر اذهبه وازاله وكذلك هولاء يوم القيامة
تبطل اعمالهم وتضمحل لانها لم تكن لله تعالي كما اذهب الوابل ما علي الصفوان من
التراب لا يقدرون علي شي مما كسبوا اي لا يقدرون علي ثواب شي مما عملوا في الدنيا
والله لا يهدي القوم الكافرين يعني الذي سبق في علمه انهم يموتون علي الكفر
روي البغوي بسنده عن محمود بن لبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف

ما الخاف



ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الريا يقال
لهم يوم يجازي العباد باعمالهم اذهبوا الي الذي كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل
تجدون عندهم جزاء عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال
الله تبارك وتعالي انا اغني الشركا عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته
وشركه قوله عز وجل ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اي طلب رضى الله
وتثبيتا من انفسهم يعني علي الانفاق في طاعة الله تعالي وتصديقا بثوابه وقيل
معناه ان انفسهم موقنة مصدقة بوعد الله اياها فيما انفقت وقيل احتسابا وقيل
تصديقا والمعني انهم يخرجون زكاة اموالهم وينفقون اموالهم في ساير وجوه البر
والطاعات طيبة انفسهم بما انفقوا علي يقين بثواب الله وتصديق بوعده يعلمون ان ما
انفقوا خير لهم مما تركوا وقيل معناه علي يقين باخلاف الله عليهم وقيل معناه انهم
يتثبتون في الموضع الذي يضعون فيه صدقاتهم وقيل كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت
فان كانت لله خالصة امضاها وان خالطه شك او ريا امسك كمثل جنة اي بستان
قال الفرا اذا كان في البستان نخل فهو جنة وان كان فيه كرم فهو فردوس بربوة
هي المكان المرتفع عن الارض المستوي ولان ما ارتفع من الارض عن مسيل الما والاودية
كان ثمرها احسن وازكي اذ كان لها من الما ما يرويها وقيل هي الارض المستوية الجيدة
الطيبة اذا اصابها المطر انتفخت وربت فاذا كانت الارض بهذه الصفة كثر ريعها وحملت
اشجارها اصابها وابل وهو المطر الكثير الشديد قال بعضهم •

ما روضة من رياض الحزن معشبة • خضرا جاد عليها وابل هطل •

اراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الارض فاتت اكلها ضعفين اي فاعطت ثمرها مثلين
وقيل انها حملت في السنة من الريع ما يحمله غيرها في سنتين وقيل اضعفت فحملت في السنة
مرتين فان لم يصبها وابل فطل اي طش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعني ان لم يكن
اصابها وابل واصابها طل فذلك كاف لهذه الجنة في تضاعف ثمرها لانها لا تنقص ما اطل
عن هذا اثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالي لعمل المومن المخلص في انفاقه وساير
اعماله يقول الله تعالي كما ان هذه الجنة تريع وتذكو في كل حال ولا تخلف سوا كان
المطر قليلا ام كثيرا فكذلك يضعف الله صدقة المومن المخلص في صدقته وانفاقه
الذي لا يمن ولا يوذي سوا قلت نفقته او كثرت والله بما تعملون بصير يعني انه
تعالي لا يخفى عليه نفقة المخلص في صدقته الذي لا يمن بها ولا يوذي والذي يمن
بصدقته ويوذي قوله عز وجل ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب
هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ايود ايحب احدكم
ان تكون له جنة اي بستان من نخيل واعناب انما خصهما بالذكر لانهما اشرف الفواكه
واحسنها ولما فيهما من الغذا والتفكه تجري من تحتها الانهار يعني ان جري الانهار فيها
من تمام حسنها وسببا لزيادة ثمرتها له فيها من كل الثمرات لان ذلك من تمام كمال
البستان وحسنه واصابه الكبر يعني لصاحب هذه الجنة وكثرت جهات حاجاته

ولم يكن له كسب غيرها فحينئذ يكون في غاية الاحتياج الى تلك الجنة فان قلت كيف
عطف واصابه الكبر على ايود وكيف يجوز عطف الماضي على المستقبل قلت فيه وجهان
احدهما ان يكون له جنة حال لما اصابه الكبر والوجه الثاني انه عطف على المعنى فكانه قيل
ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر **وله ذرية ضعفاء** يعني له اولاد صغار
عجزة عن الحركة بسبب الضعف والصغر **فاصابها** يعني اصاب تلك الجنة **اعصار فيه**
**نار فاحترقت** الاعصار ريح ترتفع الى السما وتستدير كانها عمود وهذا مثل ضربه
الله تعالى لعمل المنافق والمرائي يقول مثل عمل المنافق والمرائي بعمله في حسنه كحسن
جنة ينتفع بها صاحبها فلما كبر وضعف وصار له اولاد ضعاف اصاب جنته اعصار فيه نار
فاحرقها وهو احوج ما يكون اليها لحصل في قلبه من الغم والحسرة ما لا يعلمه الا الله تعالى
لكبره وضعفه وضعف اولاده فهو لا يجد ما يعود به على اولاده وهم لا يجدون ما يعودون
به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة بايديهم فكذلك حال من اتى يوم القيامة
باعمال حسنة ولم يقصد بها وجه الله تعالى فيبطلها الله تعالى وهو في غاية الحاجة
اليها حين لا مستعتب له ولا توبة وقال عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيمن ترون نزلت هذه الاية ايود احدكم قالوا الله اعلم فغضب عمر
وقال قولوا نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شي يا امير المومنين فقال
عمر قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك فقال ضرب الله مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل
غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى احرق اعماله كلها **كذلك
يبين الله لكم الايات** يعني كما بين الله تعالى لكم امر النفقة المقبولة وغير المقبولة
كذلك يبين الله لكم من الايات سوى ذلك **لعلكم تتفكرون** اي فتتعظون وقال
ابن عباس لعلكم تتفكرون يعني في زوال الدنيا واقبال الاخرة قوله عز وجل **يا ايها
الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم** اي من خيار ما كسبتم وجيده وقيل
من حلال ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على اباحة الكسب وانه ينقسم
الى طيب وخبيث عن خولة الانصارية قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان هذا المال خضر حلو من اصابه بحقه بورك له فيه ورب متخوض فيما شاءت نفسه
من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة الا النار اخرجه الترمذي المتخوض الذي
ياخذ المال من غير وجهه كما يخوض الانسان في الما يمينا وشمالا خ عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما اخذ منه امن حلال
ام من حرام خ عن المقدام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اكل احد طعاما قط خيرا
من ان ياكل من عمل يده وان نبي الله داود كان ياكل من عمل يده عن عايشة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان اطيب ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم اخرجه الترمذي
والنسائي واختلفوا في المراد بقوله تعالى انفقوا فقيل المراد به الزكاة المفروضة
لان الامر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف الاية اليها وقيل المراد به صدقة
التطوع وقيل انه يتناول الفرض والنفل جميعا لان المفهوم من هذا الامر ترجيح جانب





الفعل على الترك وهذا المفهوم قدر مشترك بين الفرض والنفل فوجب ان يدخلا تحت
هذا الامر وفي القول الاول ان المراد من هذا الانفاق هو الزكاة فيتفرع عليه مسائل
المسئلة الاولى ظاهر الاية يدل على وجوب الزكاة في كل ما يكتسبه الانسان فيدخل
فيه زكاة الذهب والفضة والنعم وعروض التجارة لان ذلك يوصف بانه مكتسب وذهب
جمهور العلما الى وجوب الزكاة في مال التجارة وقال داود الظاهري لا تجب الزكاة بحكم
التجارة في العروض الا ان ينوي به التجارة من حال تملكه ودليل الجمهور ما روي عن سمرة بن جندب
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنا باخراج الصدقة من الذي يعد للبيع اخرجه ابو
داود عن ابي عمرو بن حماس ان اباه قال مررت بعمر بن الخطاب وعلى عنقي ادمة احملها فقال عمر
الا تودي زكاتك يا حماس فقلت ما لي غير هذا واهب في القرظ قال ذاك مال فضع فوضعتها
فحسبها فاخذ منها الزكاة فاذا حال الحول على عروض التجارة قوم فان بلغ قيمته عشرين
دينارا او مايتي درهم اخرج منه ربع العشر المسئلة الثانية في قوله تعالى **ومما اخرجنا
لكم من الارض** وظاهر الاية يدل على وجوب الزكاة في كل ما اخرج من الارض من النبات مما
يزرعه الادميون لكن جمهور العلما خصوا هذا العموم فاوجبوا الزكاة في النخيل والكروم
وفيما يقتات ويدخر من الحبوب واوجب ابو حنيفة الزكاة في كل ما يقصد من نبات الارض
كالفواكه والبقول والخضروات كالبطيخ والقثا والخيار ونحو ذلك دليل الجمهور ما روي
عن معاذ انه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الخضروات وهي البقول فقال
ليس فيها شي اخرجه الترمذي وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبي
صلى الله عليه وسلم في هذا الباب وانما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبي صلى الله
عليه وسلم وهو مرسل والعمل على هذا عند اهل العلم انه ليس في الخضروات صدقة قلت
وحديث موسى بن طلحة اخرجه الشيخ مجد الدين ابو البركات عبد السلام بن عبد الله بن
تيمية الحراني في احكامه عن عطا بن السايب قال اراد عبد الله بن المغيرة ان ياخذ من
ارض موسى بن طلحة من الخضروات صدقة فقال له موسى بن طلحة ليس ذلك لك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول ليس في ذلك صدقة رواه الاثرم في سننه وهو اقوى
المراسيل لاحتجاج من ارسله به وقال الزهري والاوزاعي ومالك تجب الزكاة في الزيتون
وتجب في الثمار عند بدو الصلاح وهو ان يحمر البسر ويصفر ووقت الاخراج بعد الاجتنا
والجفاف وفي الحبوب عند الاشتداد ووقت الاخراج بعد الدياس والتصفية المسئلة
الثالثة يجب اخراج العشر فيما سقي بالمطر والانهار والعيون ونصف العشر فيما سقي
بنضح او سانية ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما
سقت السما والعيون او كان عثريا العشر وما سقي بالنضح نصف العشر اخرجه البخاري
ولابي داود والنسائي قال فيما سقت السما والانهار والعيون او كان بعلا العشر
وما سقي بالسواني والنضح نصف العشر وقال ابو داود البعل ما شرب بعروقه ولم يتعن
في سقيه قال وقال وكيع هو الذي ينبت من ما السما قوله او كان عثريا اراد به القوي
من الزرع وهو البعل وقد فسره في لفظ الحديث والنضح هو الاستقا وكذلك السانية

وهي الدابة التي يستقى عليها سواء كانت من الابل او البقر ولا يجب العشر في الثمار والزروع
حتى تبلغ خمسة اوسق والوسق ستون صاعا وقال ابو حنيفة يجب العشر في كل قليل
او كثير من الثمار والزروع واحتج الجمهور في ايجاب النصاب بما روي عن ابي سعيد الخدري
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة وليس فيما دون
خمس اواق صدقة وليس فيما دون خمس ذود صدقة وفي رواية ليس فيما دون
خمسة اوساق من تمر ولا حب صدقة اخرجاه في الصحيحين ومن قال ان المراد بقوله
تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض صدقة التطوع احتج
بما روي عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس غرسا
او يزرع زرعا فياكل منه طير او انسان او بهيمة الا كان له به صدقة اخرجه في الصحيحين
وقوله تعالى **ولا تيمموا الخبيث** اي ولا تقصدوا الخبيث يعني الردي من اموالكم **منه
تنفقون** اي من الخبيث عن البراء بن عازب في قوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون قال
نزلت فينا معشر الانصار كنا اصحاب نخل فكان الرجل ياتي من نخله على قدر كثرته وقلته
وكان الرجل ياتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد وكان اهل الصفة ليس لهم طعام
فكان احدهم اذا جاع اتى القنو فضربه بعصاه فيسقط البسر والتمر فياكل وكان ناس
ممن لا يرغب في الخير ياتي بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه
فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم
من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه قال
لو ان احدكم اهدي اليه مثل ما اعطى لم ياخذه الا على اغماض وحياء قال فكنا بعد ذلك
ياتي احدنا بصالح ما عنده اخرجه الترمذي وقال هذا حديث صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون
بشرار ثمارهم ورذالة اموالهم ويعزلون الجيد لانفسهم فانزل الله تعالى ولا تيمموا
الخبيث يعني الردي منه تنفقون يعني تتصدقون **ولستم باخذيه** يعني ذلك الشيء
الخبيث الردي **الا ان تغمضوا فيه** الاغماض في اللغة غض البصر واطباق الجفن والمراد
به هنا التجويز والمساهلة وذلك ان الانسان اذا راى ما يكره اغمض عينيه لئلا
يرى ذلك قال ابن عباس معناه لو ان لاحدكم على رجل حقا فجاءه بهذا لم ياخذه الا وهو
يرى انه قد اغمض عن حقه وتركه وقال البراء لو اهدي ذلك ما اخذتموه الا على
استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم اذا كان المال كله
جيدا فليس له اعطاء الردي لان اهل السهمان شركاؤه فيما عنده وان كان كله رديا
فلا باس باعطاء الردي **واعلموا ان الله غني** يعني عن صدقاتكم لم يامركم بالتصدق
لعوز واحتياج اليها **حميد** اي محمود في افعاله وقيل حميد بمعنى حامد اي احمدكم
على ما تفعلونه من الخير قوله عز وجل **الشيطان يعدكم الفقر** اي يخوفكم الفقر
يقال وعدته خيرا او وعدته شرا واذا لم تذكر الخير والشر قلت في الخير وعدته
وفي الشر اوعدته والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد واصله من كسر فقار الظهر
ومعنى الاية ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل امسك عليك مالك فانك اذا

تصدقت



تصدقت افتقرت **ويامركم بالفحشاء** يعني يوسوس لكم ويحسن لكم البخل ومنع الزكاة والصدقة
قال الكلبي كل فحشاء في القران فهي الزنا الا هذا الموضع وفي الاية لطيفة وهي ان الشيطان
يخوف الرجل اولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف الى ان يامره بالفحشاء وهي البخل وذلك
لان البخل صفة مذمومة عند كل احد فلا يستطيع الشيطان ان يحسن له البخل
الا بهذه المقدمة وهي التخويف من الفقر فلهذا قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر
ويامركم بالفحشاء **والله يعدكم مغفرة منه** يعني مغفرة لذنوبكم وسترا لكم **وفضلا**
يعني رزقا وخلفا فالمغفرة اشارة الى منافع الاخرة والفضل اشارة الى منافع
الدنيا ومما يحصل من الرزق والخلف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر
وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم
انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم قرا الشيطان
يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء اخرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن غريب
قوله ان للشيطان لمة بابن ادم اللمة الخطرة الواحدة من الالمام وهو القرب من الشيء
والمراد بهذه اللمة اللمة التي تقع في القلب من فعل خير او شر والعزم فاما لمة
الشيطان فوسوسته واما لمة الملك فالهام من الله تعالى **والله واسع** اي غني
قادر على اغنائكم واخلاف ما تنفقونه **عليم** يعني بما تنفقونه لا يخفى عليه خافية
**ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح فيه العباد الا
وملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا
تلفا **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى انفق ينفق
عليك وفي رواية يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار وقال ارايتم ما انفق
منذ خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يده وفي رواية فانه لم ينقص ما في يمينه
وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع وفي رواية وبيده الاخرى الفيض او
القبض يرفع ويخفض **ق** عن اسماء بنت ابي بكر الصديق قالت قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم انفقي ولا تحصي فيحصي عليك ولا توعي فيوعي الله عليك قوله ولا توعي اي لا
تشحي فيشح الله عليك اي فيجازيك بالتقتير في رزقك ولا يخلف عليك ولا يبارك
لك والمعنى لا تجمعي وتمتنعي بل انفقي ولا تقتري ولا تشحي قوله عز وجل **يؤتي الحكمة من
يشاء** قال ابن عباس هي علم القران ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه
ومؤخره وحلاله وحرامه وقال الضحاك القران والفهم فيه وانما قال ذلك لتضمن القران
الحكمة وقال في القران مائة وتسع ايات ناسخة ومنسوخة والف اية حلال وحرام
لا يسع المؤمنين تركهن حتى يتعلموهن ولا تكونوا كاهل النهروان يعني الخوارج تاولوا
ايات من القران في اهل القبلة وانما نزلت في اهل الكتاب فجهلوا علمها فسفكوا
بها الدماء وانتهبوا الاموال وشهدوا على اهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم القران
فانه من علم فيم نزل لم يختلف في شيء منه وقيل هي القران والعلم والفقه وقيل هي

الاصابة في القول والفعل وحاصل هذه الاقوال الى شيئين العلم والاصابة فيه ومعرفة
الاشياء بذواتها واصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها قال الشاعر ابني حنيفة
احكموا سفهاءكم اي امنعوا سفهاءكم وقال السدي الحكمة النبوة لان النبي يحكم بين الناس فهو
حاكم وقيل الحكمة الورع في دين الله لان الورع يمنع صاحبه من ان يقع في الحرام وما لا يجوز
له فعله **ومن يؤت الحكمة** يعني ومن يؤته الله الحكمة **فقد اوتي خيرا كثيرا** تنكير تعظيم
معناه فقد اوتي خيرا كثيرا **وما يذكر الا اولوا الالباب** اي وما يتعظ بما وعظه الله
الا ذوو العقول الذين عقلوا عن الله امره ونهيه قوله عز وجل **وما انفقتم من نفقة**
يعني فيما فرضه الله عليكم من اعطاء زكاة وغيرها **او نذرتم من نذر** يعني به ما اوجبتموه
على انفسكم في طاعة الله فوفيتم به والنذر ان يوجب الانسان على نفسه شيئا ليس
بواجب يقال نذرت لله نذرا واصله من الخوف لان الانسان انما يعقد على نفسه النذر
من خوف التقصير في الامر المهم والنذر في الشرع على ضربين مفسر وغير مفسر فالمفسر
ان يقول لله علي صوم او حج او عتق او صدقة فيلزمه الوفاء به ولا يجزيه غيره وغير المفسر
هو ان يقول نذرت لله لا افعل كذا ثم يفعله او يقول لله علي نذر من غير تسمية شيء
فيلزمه فيه كفارة يمين ج عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
نذر نذرا لم يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا في معصية فكفارته كفارة يمين
ومن نذر نذرا لا يطيقه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا فاطاقه فليف به اخرجه
ابو داود عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية
ولا فيما لا يملك ابن ادم اخرجه النسائي ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى عن النذر وقال انه لا ياتي بخير وانما يستخرج به من البخيل م عن ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان النذر لا يقرب من ابن ادم شيئا لم يكن الله قدره له ولكن النذر
يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد ان يخرج قال بعض العلماء
يحتمل ان يكون سبب النهي عن النذر كون الناذر يصير ملتزما له فياتي به تكلفا من
غير نشاط او يكون سببه كونه ياتي به على سبيل المعاوضة عن الامر الذي طلبه فينقص
اجره وشان العبادة ان تكون متمحضة لله تعالى وقال بعضهم يحتمل ان يكون النهي لكونه
قد يظن بعض الجهلة ان النذر يرد القدر او يمنع من حصول المقدور فنهى عنه خوفا من
اعتقاد ذلك وسياق الحديث يؤكد هذا وقوله في بعض روايات الحديث انه لا ياتي بخير
معناه انه لا يرد شيئا من القدر وقوله فيخرج ذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد ان
يخرج معناه انه لا ياتي بهذه القربة تطوعا محضا مبتدا وانما ياتي بها في مقابلة شفاء
مريضه كقوله ان شفى الله مريضي فلله علي كذا ونحو ذلك مما يحصل به النذر والله اعلم
وقوله تعالى **فان الله يعلمه** اي يعلم ما انفقتم ونذرتم فيجازيكم به وانما قال يعلمه
ولم يقل يعلمهما لانه رد الضمير على الاخر منهما فهو كقوله ومن يكسب خطيئة او اثما
ثم يرم به بريئا وقيل ان الكناية عادت على ما في قوله وما انفقتم لانها اسم فهو كقوله
وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ولم يقل بهما **وما للظالمين** يعني الواضعين





الصدقة في غير موضعها وقيل الذين يريدون بصدقاتهم الرياء والسمعة وقيل هم الذين
يتصدقون بالمال الحرام **من انصار** اي من اعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى وفيه
وعيد عظيم لكل ظالم قوله عز وجل **ان تبدوا الصدقات** اي تظهروا الصدقات والصدقة
ما يخرجه الانسان من ماله على وجه القربة فيدخل فيه الزكاة الواجبة وصدقة
التطوع **فنعما هي** اي فنعمت الخصلة هي وقيل فنعم الشيء هي وقيل معناه فنعم شيئا
ابداء الصدقات **وان تخفوها** اي تسروا الصدقة **وتؤتوها الفقراء** اي وتعطوها الفقراء
في السر **فهو خير لكم** يعني اخفاء الصدقة افضل من العلانية وكل مقبول اذا كانت النية
صادقة واختلفوا في المراد بالصدقة المذكورة في الاية فقال الاكثرون المراد بها صدقة
التطوع واتفق العلماء على ان كتمان صدقة التطوع افضل واخفاءها خير من اظهارها لان
ذلك ابعد من الرياء واقرب الى الاخلاص ولان فيه بعدا عما تؤثره النفس من اظهار الصدقة
وفي صدقة السر ايضا فائدة ترجع الى الفقير الاخذ وهي انه اذا اعطي في السر زال عنه الذل
والانكسار واذا اعطي في العلانية يحصل له الذل والانكسار ويدل على ان صدقة السر
افضل ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في
ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشا في طاعة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد
اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله تعالى اجتمعا على ذلك وافترقا عليه
ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله ورجل دعته امراة ذات منصب
وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق
يمينه اخرجاه في الصحيحين ووجه جواز اظهار الصدقة ان يكون ذلك ممن قد امن على نفسه
من مداخلة الرياء في عمله او يكون ممن يقتدى به في فعله فاذا اظهر الصدقة تابعه
غيره على ذلك واما الزكاة فاظهار اخراجها افضل من كتمانها كالصلاة المكتوبة في الجماعة
افضل وصلاة التطوع في البيت افضل ولان في اظهار الزكاة نفي التهمة عن المزكي
وقيل ان الاية واردة في زكوة الفرض وكان الاخفاء فيها خيرا على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم لانهم كانوا لا يظنون باحد انه يمنع الزكاة فاما اليوم في زماننا فاظهار الزكاة
افضل حتى لا يساء الظن به وقيل ان الاية عامة في جميع الصدقات الواجبة والتطوع
والاخفاء افضل في كل صدقة من زكاة وغيرها وقوله تعالى **ونكفر عنكم من سيئاتكم**
قيل ان من صلة زائدة تقديره ونكفر عنكم سيئاتكم قال ابن عباس جميع سيئاتكم وقيل
ادخل من للتبعيض ليكون العباد على وجل ولا يتكلوا والمعنى ونكفر عنكم الصغائر من
سيئاتكم واصل التكفير في اللغة التغطية والستر **والله بما تعملون خبير** يعني من
اظهار الصدقات واخفائها قوله عز وجل **ليس عليك هداهم** قيل سبب نزول هذه الاية
ان ناسا من المسلمين كانت لهم قرابات واصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم وينفقون عليهم
قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفعوهم وارادوا بذلك ان يسلموا وقيل كانوا
يتصدقون على فقراء اهل المدينة فلما كثر المسلمون نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام لحرصه صلى الله

عليه وسلم على إسلامهم فنزل ليس عليك هداهم ومعناه ليس عليك هداية من خالفك حتى
تمنعهم الصدقة لأجل أن يدخلوا في الإسلام فحينئذ يتصدقون عليهم فأعلمه الله تعالى
أنه إنما بعث بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه فأما كونهم مهتدين فليس ذلك إليه **ولكن
الله يهدي من يشاء** يعني أن الله يوفق من يشاء فيهديه إلى الإسلام وأراد بالهداية
هنا هداية التوفيق وأما هداية البيان والدعوة فكانت على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية أعطوهم وتصدقوا عليهم **وما تنفقوا من خير** أي من مال
**فلأنفسكم** أي تفعلونه لأنفسكم تنتفعون به **وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله** ظاهره
خبر ومعناه نهي أي وما تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله وقال الزجاج هذا خاص للمؤمنين أعلمهم
الله أنه قد علم مرادهم بنفقتهم ما عنده وقيل معناه ولستم في صدقاتكم على أقاربكم
من المشركين تقصدون إلا وجه الله وقد علم الله هذا من قلوبكم فأنفقوا عليهم إذا كنتم
إنما تبتغون بذلك وجه الله في صلة الرحم وسد خلة مضطر قال بعض العلماء لو أنفقت
على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك وأجمع العلماء على أنه لا يجوز صرف الزكاة إلا إلى المسلمين
وهم أهل السهمان المذكورون في سورة التوبة وجوز أبو حنيفة صرف صدقة الفطر إلى
أهل الذمة وخالفه سائر العلماء في ذلك فعلى هذا تكون الآية مختصة بصدقة التطوع أباح الله
تعالى أن تصرف إلى فقراء المسلمين وفقراء أهل الذمة فأما زكاة الفرض فلا يجوز صرفها إلى أهل
الذمة بحال **وما تنفقوا من خير يوف إليكم** أي يوفر لكم جزاؤه وقال ابن عباس يجازيكم به
يوم القيامة ومعناه يؤدى إليكم يوم القيامة وإنما حسن دخول إلى مع التوفية لأنها تضمنت
معنى التأدية **وأنتم لا تظلمون** أي لا تنقصون شيئا من ثواب أعمالكم قوله عز وجل **للفقراء**
اختلفوا في موضع اللام في قوله للفقراء فقيل هو مردود على موضع اللام من قوله فلأنفسكم
فكأنه قال وما تنفقوا من خير فللفقراء وإنما تنفقون لأنفسكم وقيل معناه الصدقات
التي سبق ذكرها للفقراء وقيل خبره محذوف تقديره للفقراء الذين من صفتهم كذا وكذا حق
واجب وهم فقراء المهاجرين كانوا نحوا من أربعمائة رجل لم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر
وكانوا يأوون إلى صفة في المسجد يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا
يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أصحاب الصفة فحث الله تعالى
الناس عليهم فكان من عنده فضل أتاهم به إذا أمسى وقوله **الذين أحصروا في سبيل الله**
يعني هم الذين حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله وقيل حبسوا أنفسهم على طاعة الله
**لا يستطيعون ضربا في الأرض** يعني لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش والكسب وهم
أهل الصفة الذين تقدم ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد في سبيل الله
وقيل هم قوم أصابتهم جراحات في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصاروا زمنى
حصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله **يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف**
أي يظن من لم يختبر حالهم أنهم أغنياء من التعفف وهو تفعل من العفة وهي ترك الشيء
والكف عنه يقال تعفف إذا ترك السؤال ولزم القناعة والمعنى يظنهم من لم يعرف
حالهم أغنياء لإظهارهم التجمل وتركهم المسألة **تعرفهم بسيماهم** السيما والسيمياء والسمة





العلامة التي يعرف بها الشيء واختلفوا في معناها هاهنا فقيل هي الخضوع وقيل هي أثر
الجهد من الحاجة وقيل هي صفرة ألوانهم من الجوع ورثاثة ثيابهم من الضر **لا يسألون
الناس إلحافا** يعني إلحاحا قيل إذا كان عنده غداء لا يسأل عشاء وإذا كان عنده عشاء
لا يسأل غداء وقيل لا يسألون الناس أصلا لأنه قال يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف
وهو ترك المسألة فعلم بذلك أنهم لا يسألون البتة ولأنه قال تعرفهم بسيماهم
ولو كانت المسألة من شأنهم لما كانت إلى معرفتهم بالعلامة حاجة فمعنى الآية ليس
يصدر منهم سؤال البتة حتى يقع فيه إلحاف فهم لا يسألون الناس إلحافا ولا غير إلحاف
(ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى عن كثرة العرض
ولكن الغنى غنى النفس (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين
الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد
غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس لفظ البخاري (خ) عن
الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يأخذ أحدكم أحبله ثم يأتي الجبل فيأتي
بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه عن ابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم
القيامة ومسألته في وجهه خموش أو خدوش أو كدوح وقيل يا رسول الله وما يغنيه
قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن أبي
سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة أوقية فقد
ألحف أخرجه أبو داود وقال زاد هشام في حديثه وكانت الأوقية على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم أربعين درهما وفي رواية عطاء بن يسار من سأل منكم وله أوقية أو عدلها
فقد سأل إلحافا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سأل الناس وله أربعون درهما فهو ملحف أخرجه النسائي (م) عن أبي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس تكثرا فإنما يسأل جمرا فليستقل
أو ليستكثر وقوله تعالى **وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم** يعني أن الله تعالى يعلم
مقادير الإنفاق ويجازي عليه ففيه حث على الصدقة والإنفاق في الطاعة قوله عز
وجل **الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية** قال ابن عباس في رواية
عنه نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب كانت عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق
بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وفي رواية عنه قال لما نزل للفقراء
الذين أحصروا في سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة إلى أهل الصفة وبعث
علي بن أبي طالب في الليل بوسق من تمر فأنزل الله فيهما الذين ينفقون أموالهم بالليل
والنهار يعني بنفقتها الليل نفقة علي وبالنهار نفقة عبد الرحمن وفي الآية إشارة إلى أن
صدقة السر أفضل من صدقة العلانية لأنه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار
وقدم السر على العلانية وقيل نزلت الآية في الذين يربطون الخيل للجهاد في سبيل الله
لأنهم يعلفونها بالليل والنهار وفي السر والعلانية (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده
كان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات وقيل ان الآية
عامة في الذين ينفقون اموالهم في جميع الاوقات ويعمرون بها اصحاب الحاجات والفاقات
**فلهم اجرهم عند ربهم** اي جزاء اعمالهم **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** يعني في الآخرة قوله
عز وجل **الذين ياكلون الربا** اي يعاملون به وانما خص بالاكل لانه معظم الامر المقصود
من المال لان المال لا يوكل انما يصرف في الماكول ثم يوكل فمنع الله التصرف في الربا بما ذكر
فيه من الوعيد **م** عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه
وشاهديه وقال هم سوا واصل الربا في اللغة الزيادة يقال ربا الشي يربو اذا زاد
وكثر فالزيادة في المال **لا يقومون** يعني من قبورهم يوم القيامة **الا كما يقوم
الذي يتخبطه الشيطان** اي يصرعه واصل الخبط الضرب والوطي وهو ضرب على غير
استوا يقال ناقة خبوط للتي تضرب الارض بقوايمها وتطا الناس باخفافها ومنه
قولهم يخبط خبط عشوا للرجل الذي يتصرف في الامور على غير اهتدا وتمييز وتدبير
ويتخبطه الشيطان اذا مسه بخبل وجنون **من المس** يعني من الجنون يقال مس الرجل
فهو ممسوس اذا كان به جنون ومعنى الآية ان آكل الربا يبعث يوم القيامة مثل
المصروع الذي لا يستطيع الحركة الصحيحة لان الربا ربا في بطونهم حتى اثقلهم فلا
يقدرون على الاسراع قال سعيد بن جبير تلك علامة آكل الربا اذا استحله يوم
القيامة وروى البغوي بسند الثعلبي عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قصة الاسرا قال فانطلق بي جبريل الى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت
الضخم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا
قال فيقبلون مثل الابل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون
فاذا احس بهم اصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم احدهم
فتميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون ان يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردوهم
مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة قال وآل فرعون
يقولون اللهم لا تقم الساعة ابدا قال ويوم القيامة يقول ادخلوا آل فرعون اشد
العذاب قلت يا جبريل من هولاء قال هولاء الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما
يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قوله بطنه مثل البيت الضخم اي العظيم الكبير
الغليظ وقوله منضدين اي موضوعين بعضهم على بعض والسابلة الطريق وقوله مثل
الابل المنهومة اي المقرية افراط في الشهوة في الطعام من الجوع قوله عز وجل **ذلك
بانهم قالوا انما البيع مثل الربا** اي ذلك الذي نزل بهم من العذاب بقولهم هذا
واستحلالهم اياه وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا حل ماله على غريمه فيطالبه
به فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في الاجل حتى ازيدك في المال فيفعلان ذلك
وكانوا يقولون سوا علينا الزيادة في اول البيع بالربح او عند المحل لاجل التاخير
فكذبهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله **واحل الله البيع وحرم الربا** يعني واحل الله

لكم



لكم الارباح في التجارة بالبيع والشرا وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لاجل تاخير
الاجل وذلك لان الله تعالى خالق الخلق فهم عبيده وهو مالكهم يحكم فيهم بما يشا
ويستعبدهم بما يريد ليس لاحد ان يعترض عليه في شي مما احل وحرم وانما على كافة
الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وامره ونهيه وذكر بعض العلما الفرق بين البيع
والربا فقال اذا باع ثوبا يساوي عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا
للعشرين فلما حصل التراضي على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للآخر في المالية
عندهما فلم يكن اخذ من صاحبه شيا بغير عوض اما اذا باع عشرة دراهم بعشرين
فقد اخذ العشرة الزايدة بغير عوض ولا يمكن ان يقال ان العوض هو الامهال في
مدة الاجل لان الامهال ليس مالا او شيا يشار اليه حتى يجعله عوضا عن العشرة
الزايدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين

## فصل في حكم الربا

وفيه مسايل المسالة الاولى ذكروا في سبب تحريم الربا وجوها احدها ان الربا
يقتضي اخذ مال الغير بغير عوض لان من يبيع درهما بدرهمين نقدا كان او نسيئة فقد
حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام الوجه الثاني انما حرم عقد الربا لانه
يمنع الناس عن الاشتغال بالتجارة لان صاحب الدراهم اذا تمكن من عقد الربا خف عليه
تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضي ذلك الى انقطاع منافع الناس بالتجارات
وطلب الارباح الوجه الثالث ان الربا هو سبيل الى انقطاع المعروف بين الناس
من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثله
لطلب الاجر من الله تعالى الوجه الرابع ان تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب ان
يكون حكم جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وان كنا لا نعلم
وجه الحكمة في ذلك **المسالة** الثانية اعلم ان الربا في اللغة هو الزيادة وطلب
الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت ان الزيادة المحرمة هو الربا وهو على صفة
مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم **ق** عن عمر بن الخطاب
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق ربا الا ها وها والبر بالبر
ربا الا ها وها والشعير بالشعير ربا الا ها وها والتمر بالتمر ربا الا ها وها
وفي رواية الورق بالورق ربا الا ها وها والذهب بالذهب ربا الا ها وها **م** عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلا
بمثل والفضة بالفضة وزنا مثلا بمثل فمن زاد واستزاد فقد اربى وفي رواية التمر
بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد واستزاد
فقد اربى الا ما اختلفت الوانه **م** عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر
بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سوا بسوا يدا بيد فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا
كيف شيتم اذا كان يدا بيد فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على جريان الربا في هذه

الستة اشيا وهي النقدين واربعة اصناف من المطعومات وهي البر والشعير والتمر
والملح فذهب عامة اهل العلم الى ان حكم الربا ثبت في هذه الاشيا لاوصاف فيها فيتعدى
الى كل ما يوجد من تلك الاوصاف فيه ثم اختلفوا في تلك الاوصاف فذهب قوم الى ان
المعنى في جميعها هو واحد وهو النفع فاثبتوا الربا في جميع الاموال وذهب الاكثرون الى
ان الربا ثبت في الدراهم والدنانير بوصف وفي الاشيا المطعومة بوصف اخر واختلفوا
في ذلك الوصف فذهب الشافعي ومالك الى انه ثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية
وذهب اصحاب الراي الى انه ثبت بعلة الوزن فاثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل
الحديد والنحاس والقطن ونحو ذلك واما الاربعة الاشيا المطعومة فذهب اصحاب الراي
الى ان الربا ثبت فيها بعلة الوزن والكيل فاثبتوا الربا في جميع المكيلات والموزونات
مطعوما كان او غير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة الى ان العلة فيها الطعم
مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل او موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما سوى
ذلك مما ليس بمكيل او موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعي في القديم
وقال في الجديد ثبت الربا فيها بوصف الطعم فاثبت الربا في جميع الاشيا المطعومة من
الثمار والفواكه والبقول والادوية مكيلة كانت او موزونة لما روى عن معمر بن عبد الله
ارسل غلامه بصاع قمح فقال بعه ثم اشتر به شعيرا فذهب الغلام فاخذ صاعا وزيادة
بعض من صاع فلما جا معمرا اخبره بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك انطلق فرده ولا تاخذ
الا مثلا بمثل فاني كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا
بمثل وكان طعامنا الشعير قيل له فانه ليس بمثله فقال اني اخاف ان يضارع اخرجه مسلم
فجملة مال الربا عند الشافعي ما كان ثمنا او مطعوما المسئلة الثالثة الربا نوعان
ربا فضل وهو الزيادة وربا نسيئة وهو الاجل فان باع ما يدخل فيه الربا بجنسه مثل
ان باع احد النقدين بجنسه كالذهب بالذهب والمطعوم بجنسه كالحنطة بالحنطة
ونحو ذلك فيشترط فيه التماثل والمساواة بمعيار الشرع فان كان موزونا كالدراهم
والدنانير فيشترط فيه المساواة في الوزن وان كان مكيلا كالحنطة والشعير فيشترط
في بيعه بجنسه بالمساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد وان باع ما
يدخل فيه الربا بغير جنسه نظر فان باع بما لا يوافقه في وصف الربا مثل ان يباع مطعوما
باحد النقدين فلا ربا فيه كما لو باعه بغير مال الربا فان باعه بما يوافقه في الوصف
لا في الجنس مثل ان يباع الدراهم بالدنانير او باع الحنطة بالشعير او كان مطعوما
بمطعوم اخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز بيعه متفاضلا ويثبت
فيه ربا النسيئة فيشترط في بيعه التقابض في المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم الا يدا
بيد وقوله ها وها ففيه اشتراط التقابض في المجلس وتحريم النسيئة وقوله صلى الله
عليه وسلم الا سوا بسوا مثلا بمثل ففيه ايجاب المماثلة وتحريم التفاضل عند اتفاق
الجنس وقوله صلى الله عليه وسلم فاذا اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم ففيه
اطلاق التبايع مع التفاضل عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقابض في المجلس وهو

قوله



قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يدا بيد والله اعلم المسئلة الرابعة في القرض وهو من
اقرض شيئا وشرط عليه ان يرد عليه افضل منه فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة
فهو ربا ويدل عليه ما روي عن مالك قال بلغني ان رجلا اتى ابن عمر فقال اني اسلفت رجلا
سلفا واشترطت عليه افضل مما اسلفته فقال عبد الله بن عمر فذلك الربا اخرجه
مالك في الموطا قال فان لم يشترط فضلا في وقت القرض فرد المستقرض افضل مما
اخذ جاز ويدل على ذلك ما روى عن مجاهد ان ابن عمر استلف دراهم فقضى صاحبها خيرا
منها فابى ان ياخذها وقال هذه خير من دراهمي فقال ابن عمر قد علمت ولكن نفسي
بذلك طيبة اخرجه مالك في الموطا وقوله تعالى **فمن جاءه موعظة من ربه** اي تذكير
وتخويف وانما ذكر الفعل لان تانيثه غير حقيقي فجاز تذكيره وقيل لان الوعظ والموعظة
شي واحد **فانتهى** اي عن اكل الربا **فله ما سلف** اي ما مضى من ذنبه قبل النهي معفو له
**وامره الى الله** يعني بعد النهي ان شاء عصمه حتى يثبت على الانتها وان شاء خذله يعود
الى اكل الربا وقيل معناه وامره الى الله فيما يامره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس اليه
من امر نفسه بشي وقيل ان الاية فيمن يعتقد تحريم الربا ثم ياكله فامره الى الله
تعالى ان شاء عفى عنه وان شاء عذبه **ومن عاد** يعني الى اكل الربا بعد التحريم مستحلا
له **فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** قوله عز وجل **يمحق الله الربا** اي ينقصه
ويهلكه ويذهب بركته قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا حجا ولا جهادا
ولا صلة **ويربي الصدقات** اي يزيدها ويثمرها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف اجرها
في الاخرة **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق احد بصدقة
من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وان كانت تمرة
فتربو في كف الرحمن حتى تكون اعظم من الجبل كما يربي احدكم فلوه او فصيله لفظ
مسلم وللبخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله وفي رواية
ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي احدكم
فلوه حتى تكون مثل الجبل **والله لا يحب كل كفار** يعني كل مصر على كفره مقيم عليه مستحل
لاكل الربا **اثيم** يعني متماد في الاثم وفيما نهي عنه من اكل الربا لا ينزجر عنه ولا يتركه
وقيل يحتمل ان يكون الكفار راجعا الى مستحل الربا والاثيم راجعا الى من يفعله مع
اعتقاد التحريم فتكون الاية جامعة للفريقين قوله عز وجل **ان الذين امنوا** يعني
صدقوا بالله ورسوله **وعملوا الصالحات** يعني التي امرهم الله بها **واقاموا الصلاة**
يعني المفروضة باركانها وحدودها في اوقاتها **واتوا الزكاة** يعني المفروضة عليهم
في اموالهم **لهم اجرهم عند ربهم** اي لهم ثواب اعمالهم في الاخرة **ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون** اي يوم القيامة قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي
من الربا** قيل نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد اسلفا في التمر
فلما كان وقت الجذاذ قال لصاحب التمر لهما ان انتما اخذتما حقكما لم يبق لي ما يكفي عيالي
فهل لكما ان تاخذا النصف وتؤخرا النصف واضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا

منه الزيادة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهما وانزل الله هذه الآية فسمعا واطاعا
واخذا روس اموالهما وقيل نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية
يسلفان في الربا الى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة في
الربا فانزل الله تعالى هذه الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فيما رواه جابر
من افراد مسلم الا كل شيء من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة
وان اول دم اضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتله هذيل
وربا الجاهلية موضوع واول ربا اضع ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله وقيل
نزلت في اربعة اخوة من ثقيف وهم مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة بنو عمرو بن عمير
ابن عوف الثقفي وكانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم وكانوا يرابون فلما ظهر
النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف اسلم هولاء الاخوة بنو عمرو الثقفي وطلبوا رباهم من بني المغيرة
فقال بنوا المغيرة والله ما نعطي الربا في الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المومنين فاختصموا
الى عتاب بن اسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب الى النبي صلى الله
عليه وسلم بقصة الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فانزل الله تعالى **يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله** اي خافوا الله فيما امركم به والانتهاء عما نهاكم عنه **وذروا** اي واتركوا **ما بقي من الربا**
والمعنى واتركوا الطلب ما بقي لكم من فضل على روس اموالكم **ان كنتم مومنين** يعني ان كنتم
محققين لايمانكم قولا وفعلا **فان لم تفعلوا** اي لم تتركوا ما بقي من الربا بعد تحريمه **فآذنوا**
قرئ بكسر الذال والمد على وزن آمنوا ومعناه فاعلموا غيركم انكم حرب لله ورسوله وقرئ
فأذنوا بفتح الذال مع القصر ومعناه فاعلموا انتم وايقنوا **بحرب من الله ورسوله**
قال ابن عباس يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال اهل المعاني حرب الله
النار وحرب رسوله السيف واختلفوا في معنى هذه المحاربة فقيل المراد بها المبالغة في
الوعيد والتهديد دون نفس الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب وذلك ان من اصر على
اكل الربا وعلم به الامام قبض عليه واجرى فيه حكم الله من التعزير والحبس الى ان تظهر منه
التوبة واذا كان آكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه الامام كما يحارب الفئة الباغية
قال ابن عباس من كان مقيما على اكل الربا لا ينزع عنه فحق على امام المسلمين ان يستتيبه
فان نزع اي تاب والا ضرب عنقه **وان تبتم** اي فان تركتم اكل الربا ورجعتم عنه **فلكم روس
اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون** يعني لا تظلمون انتم الغريم بطلب زيادة على راس المال
ولا تظلمون انتم بنقصان راس المال فلما نزلت هذه الآية قال بنو عمرو الثقفي ومن كان
يعامل بالربا من غيرهم بل نتوب الى الله فانه لا يدان لنا يعني لا قوة لنا بحرب الله ورسوله
ورضوا برؤوس اموالهم فشكى بنوا المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا اخرونا الى ان
تدرك الغلات فابوا ان يوخروهم فانزل الله عز وجل **وان كان ذو عسرة** يعني وان كان الذي
عليه الحق من غرمائكم معسرا والعسر نقيض اليسر وهو تعذر وجدان المال واعسر الرجل اذا
ضاق ولم يجد ما يوديه في دينه **فنظرة** اي فامهال وتاخير **الى ميسرة** اي الى زمن اليسار
وهو ضد الاعسار وهو وجدان المال الذي يوديه في دينه واختلفوا في حكم الآية وهل الانظار

مختص



مختص بالربا ام هو عام في كل دين على قولين القول الاول وهو قول ابن عباس وشريح
والضحاك والسدي ان الآية في الربا وذكر عن شريح ان رجلا خاصم رجلا اليه فقضى
عليه وامر بحبسه فقال رجل كان عند شريح انه معسر والله تعالى يقول في كتابه وان
كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة فقال شريح انما ذلك في الربا وان الله تعالى قال في كتابه ان
الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ولا يامرنا
الله بشيء ثم يعذبنا عليه والقول الثاني وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين ان حكم
الآية عام في كل دين على معسر واحتجوا بان الله تعالى قال وان كان ذو عسرة ولم يقل ذا عسرة
ليكون الحكم عاما في جميع المعسرين **وان تصدقوا خير لكم** يعني وان تصدقوا على المعسر
بما عليه من الدين فتتركوا روس اموالكم للمعسر خير لكم وانما جاز هذا الحذف للعلم به لانه
قد جرى ذكر المعسرين وذكر راس المال فعلم ان التصدق راجع اليهما **ان كنتم تعلمون** يعني
ان التصدق خير لكم وافضل لان فيه الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى

## فصل في ثواب انظار المعسر والوضع عنه

والتشديد امر الدين والامر بقضائه **م** عن ابي قتادة انه طلب غريما له فتوارى عنه
ثم وجده فقال اني معسر قال الله قال الله قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر او يضع عنه **م** عن ابي
اليسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انظر معسرا او وضع عنه اظله الله
في ظله يوم لا ظل الا ظله **م** عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
كان فيمن قبلكم تاجر يداين الناس فان راى معسرا قال لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله
ان يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم
الذنوب عند الله ان يلقاه بها عبد بعد الكبائر التي نهى الله عنها ان يموت رجل وعليه دين
لا يدع له قضاء اخرجه ابو داود **خ** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اخذ اموال الناس يريد اداءها ادى الله عز وجل عنه ومن اخذ اموال الناس يريد
اتلافها اتلفه الله **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطل الغني ظلم
في رواية واذا اتبع احدكم على ملي فليتبع **ق** عن كعب بن مالك انه تقاضى ابن ابي حدرد
دينا كان له في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فارتفعت اصواتهما حتى
سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فخرج اليهما حتى كشف سجف حجرته
فنادى فقال يا كعب قلت لبيك يا رسول الله فاشار بيده ان ضع الشطر من دينك
فقال كعب قد فعلت يا رسول الله قال قم فاقضه **ق** عن ابي هريرة قال كان لرجل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم سن من الابل فجاءه يتقاضاه فقال اعطوه فطلبوا سنه
فلم يجدوا الا سنا فوقها فقال اعطوه فقال اوفيتني وفى الله بك فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ان خيركم احسنكم قضاء وفي رواية انه اغلظ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين
استقضاه حتى هم به بعض اصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا ثم امر له بافضل
من سنه **م** عن ابي قتادة الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد

في سبيل الله والايمان بالله افضل الاعمال فقام رجل فقال يا رسول الله ارايت ان قتلت في
سبيل الله تكفر عني خطاياي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ان قتلت في سبيل الله
وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت قال
ارايت ان قتلت في سبيل الله اتكفر عني خطاياي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وانت
صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين فان جبريل قال لي ذلك عن محمد بن جحش قال كنا
جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع راسه الى السماء ثم وضع يده على جبهته
ثم قال سبحان الله ماذا انزل من التشديد فسكتنا وفزعنا فلما كان من الغد سالته
يا رسول الله ما هذا التشديد الذي نزل فقال والذي نفسي بيده لو ان رجلا قتل في
سبيل الله ثم احيي ثم قتل ثم احيي وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى عنه دينه اخرجه
النسائي قوله عز وجل **واتقوا** اي وخافوا **يوما ترجعون فيه الى الله** قرئ بفتح التاء اي
تصيرون فيه الى الله وقرئ بضم التاء وفتح الجيم اي تردون فيه الى الله **ثم توفى كل نفس**
**ما كسبت** يعني من خير او شر **وهم لا يظلمون** اي في ذلك اليوم وفي هذه الاية وعيد
شديد وزجر عظيم قال ابن عباس هذه اخر اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال جبريل ضعها على راس مائتين وثمانين من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله
صلى الله عليه وسلم احدا وعشرين يوما وقيل تسع ليال وقيل سبع ومات صلى الله عليه وسلم
لليلتين خلتا من ربيع الاول في يوم الاثنين سنة احدى عشرة من الهجرة وروى الشعبي
عن ابن عباس اخر اية نزلت اية الربا قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين**
قال ابن عباس لما حرم الله الربا اباح السلم وقال اشهد ان السلف المضمون الى اجل مسمى
قد احله الله في كتابه واذن فيه وقوله اذا تداينتم اي تعاملتم بالدين وداين بعضكم
بعضا والتداين تفاعل من الدين يقال داينته اذا عاملته بالدين وانما قال بدين
بعد قوله اذا تداينتم لان المداينة قد تطلق على المجازاة وعلى المعاطاة فقيده بالدين
ليعرف المراد من اللفظ ويخلص احد المعنيين من الاخر وقيل انما قال بدين ليرجع الضمير
اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر ذلك لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلا يحسن النظم
بذلك وقيل انما ذكره تاكيدا **الى اجل مسمى** يعني الى مدة معلومة الاول والاخر مثل
السنة والشهر ولا يجوز الى غير مدة معلومة كما لو قال الى الحصاد او نحوه الاجل يلزم
في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الاجل بخلاف
القرض فانه لا يلزم فيه الاجل عند اكثر اهل العلم **ق** عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمار العام والعامين فقال لهم من اسلف في تمر
ففي كيل معلوم او وزن معلوم الى اجل معلوم وقوله تعالى **فاكتبوه** اي اكتبوا الدين
الذي تداينتم به بيعا كان ذلك او سلما او قرضا واختلفوا في هذه الكتابة فقيل هي
واجبة وهو مذهب عطاء وابن جريج والنخعي واختيار محمد بن جرير الطبري وقيل الامر محمول
على الندب والاستحباب فان ترك فلا باس وهو قول جمهور العلماء وقيل بل كانت الكتابة
والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ بقوله فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته

وهو



وهو قول الحسن والشعبي والحكم بن عيينة ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال تعالى
**وليكتب بينكم كاتب** اي ليكتب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب **بالعدل** اي بالحق من غير
زيادة ولا نقصان ولا تقديم اجل ولا تاخيره قيل ان فائدة الكتابة هي حفظ المال من
الجانبين لان صاحب الدين اذا علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه طلب زيادة او تقديم
المطالبة قبل حلول الاجل ومن عليه الدين اذا عرف ذلك تعذر عليه الجحود او النقص
من اصل الدين الذي عليه فلما كانت هذه الفائدة في الكتابة امر الله تعالى بها **ولا ياب**
اي ولا يمتنع **كاتب ان يكتب** واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة
على الشاهد فقيل بوجوبها لان ظاهر الكلام نهي عن الامتناع من الكتابة وايجابها
على كل كاتب فاذا طولب بالكتابة وتحمل الشهادة ممن هو اهلها وجب عليه ذلك وقيل
هو من فرض الكفاية وهو قول الشعبي فان لم يوجد الا واحد وجب عليه ذلك وقيل هو
على الندب والاستحباب وذلك لان الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحب له
ان يكتب ليقضي حاجة اخيه المسلم ويشكر تلك النعمة التي انعم الله بها عليه وقيل
كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبتين على الكاتب والشاهد ثم نسخهما الله تعالى بقوله
ولا يضار كاتب ولا شهيد **كما علمه الله** اي كما شرعه الله وامره به **فليكتب** وذلك
ان يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب ما يصلح ان يكون حجة عند الحاجة ولا يخص
احد الخصمين بالاحتياط له دون الاخر وان يكون كل واحد منهما امنا من ابطال حقه وان
يكون ما يكتبه متفقا عليه عند العلماء وان يحترز من الالفاظ التي يقع النزاع فيها
وهذه الامور لا تحصل الا لمن هو فقيه عالم باللغة ومذاهب العلماء **وليملل الذي**
**عليه الحق** يعني المطلوب الذي عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه من
الحق فيذكر قدره وجنسه وصفة الاجل ونحو ذلك والاملال والاملاء لغتان فصيحتان
معناهما واحد **وليتق الله ربه** يعني المملي **ولا يبخس** اي ولا ينقص **منه** اي من
الحق الذي وجب **شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها** اي جاهلا بالاملاء وقيل
هو الطفل الصغير وقال الشافعي السفيه هو المبذر المفسد لماله ودينه **او ضعيفا**
يعني شيخا كبيرا او قيل هو ضعيف العقل لعته او جنون **او لا يستطيع ان يمل هو** يعني
لخرس او عمى او عجمة في كلامه او حبس او غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب او تجهيل بما له
وعليه فهؤلاء كلهم لا يصح اقرارهم فلا بد ان يقوم غيرهم مقامهم وهو قوله تعالى **فليملل**
**وليه** يعني ولي كل واحد من هؤلاء الثلاثة المحجور عليهم لانه يقوم مقامه في صحة الاقرار وقال
ابن عباس اراد بالولي صاحب الدين يعني ان عجز الذي عليه الحق من الاملاء فليملل صاحب الحق
لانه اعلم بحقه **بالعدل** اي بالصدق **واستشهدوا شهيدين من رجالكم** يعني واشهدوا
على حقوقكم شاهدين لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد من رجالكم يعني من اهل
ملتكم يعني من المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول اكثر اهل العلم واجاز
شريح وابن سيرين شهادة العبيد وحجة هذا القول ان قوله من رجالكم عام يتناول
العبيد وغيرهم وذلك لان عقل الانسان ودينه وعدالته تمنعه من الكذب فاذا اجتمعت

هذه الشرايط فيه كانت شهادته معتبرة وحجة جمهور العلما ولا يأب الشهدا اذا ما دعوا فمنها
رض يقتضي ان من تحمل شهادة وجب عليه الادا اذا طولب بها والعبد ليس كذلك فان
السيد اذا لم ياذن له في ذلك حرم عليه الذهاب الي ادا الشهادة فوجب ان لا يكون
العبد من اهل الشهادة **فان لم يكونا رجلين** اي فان لم يكن الشاهدان رجلان **فرجل**
**وامراتان** اي فليشهد رجل وامراتان واجمع الفقها ان شهادة النسا مع الرجال
جايزة في الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامراتين واختلفوا في غير الاموال فذهب
سفيان الثوري واصحاب الراي الي انه يجوز شهادة النسا مع الرجال في ساير الحقوق
غير العقوبات وذهب جماعة الي ان غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعي
الي ان ما يطلع عليه النسا غالبا كالولادة والرضاع والبكارة والثيوبة ونحوها
تجوز بشهادة رجل وامراتين وشهادة اربع نسوة واتفقوا على ان شهادة النسا غير
جايزة ولا مقبولة في العقوبات والحدود وقوله تعالى **ممن ترضون من الشهدا**
يعني من كان مرضيا عندكم في دينه وامانته والشرايط المعتبرة في العدالة وقبول الشهادة
عشرة وهي الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروة وان لا يجر بتلك
الشهادة منفعة الي نفسه ولا يدفع عنه بها مضرة ولا يكون معروفا بكثرة الغلط
والسهو وان لا يكون بينه وبين من شهد عليه عداوة فشهادة الكافر مردودة لان
الكذاب لا تقبل شهادته فالذي يكذب على الله اولي بان ترد شهادته وجوز بعض اهل
الراي شهادة اهل الذمة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة العبيد واجازها ابن
شريح وابن سيرين وهو قول انس ولا قول للمجنون معتبر حتى تقع شهادته ولا يجوز
شهادة الصبيان وسيل ابن عباس عن ذلك فقال لا يجوز لان الله تعالى قال ممن ترضون
من الشهدا والعدالة شرط وهو ان لا يكون الشاهد مقيما على الكباير غير مصر على
الصغاير والمروة شرط وهو ما يتصل باداب النفس مما يعلم ان تاركه قليل الحيا وهي
حسن الهيية والسيرة والعشرة والصناعة فان كان الرجل يظهر في نفسه فان كان
الرجل يظهر من نفسه شي مما يستحي امثاله من اظهاره في الاغلب علم بذلك قلة مروته
وترد شهادته وانتفا التهمة شرط فلا تقبل شهادة العدو على عدوه وان كان مقبول
الشهادة على غيره لانه متهم في حق عدوه لا في حق غيره ولا تقبل شهادة الرجل لولده
ووالده وتقبل شهادته عليهما ولا تقبل شهادة من يجر بشهادته الي نفسه نفعا
عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة خاين ولا خاينة
ولا مجلود حد ولا ذي غمر على اخيه ولا مجرب شهادة ولا القانع اهل البيت لهم ولا
ظنين في ولا ولا قرابة قال الفزاري القانع التابع اخرجه الترمذي قوله لا تجوز شهادة
خاين اراد بالخيانة الخيانة في الدين والمال والامانة فان من ضيع شيا من امانة الله
او ارتكب شيا مما نهي عنه لا يكون عدلا والغمر بكسر الغين الحقد والقانع هو السايل
المستطعم وقيل المنقطع الي قوم يخدمهم فترد شهادته للتهمة في جر النفع الي نفسه
لان التابع لاهل البيت ينتفع بما يصير اليهم والظنين بكسر الظا المتهم وقوله تعالى **ان**



**تضل احداهما** اي تنسى احدى المراتين **فتذكر احداهما الاخرى** لان الغالب على طباع النسا النسيان
فاقيمت المراتان مقام الرجل الواحد حتى لو نسيت احداهما فتذكرها الاخرى فتقول
حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا فيحصل بذلك الذكري وحكي عن سفيان بن عيينة انه قال
هو من الذكر ان تجعل احداهما الاخرى ذكرا والمعنى ان شهادتهما تصير كشهادة ذكر والقول
الاول اصح لانه معطوف على تضل وهو النسيان **ولا ياب الشهدا اذا ما دعوا** يعني اذا
دعوا لتحمل الشهادة وسماهم شهدا لانهم كانوا شهدا وهذا امر ايجاب عند بعضهم
وقال قوم يجب اذا لم يكن غيره فان كان غيره فهو مخير وقيل هو امر ندب فهو مخير في
جميع الاحوال وقال بعضهم هذا في اقامة الشهادة وادايها ومعنى ولا ياب الشهدا اذا
ما دعوا لادا الشهادة التي تحملوها وقيل الاية في الامرين جميعا يعني في التحمل والادا
والاقامة اذا كان عارفا وقيل الشاهد بالخيار ما لم يشهد فاذا شهد وجب عليه الادا
**ولا تساموا** اي ولا تملوا او لا تضجروا **ان تكتبوه** الضمير راجع الي الحق او الدين **صغيرا او كبيرا**
يعني قليلا كان الحق او كثيرا **الي اجله** يعني الي محل الحق والدين **ذلكم** يعني ذلك الكتاب **اقسط**
**عند الله** يعني اعدل عند الله لانه امر به واتباع امره اعدل من تركه **واقوم للشهادة**
يعني ان الكتابة تذكر الشهود **وادنى ان لا ترتابوا** يعني واحرى واقرب ان لا تشكوا
في الشهادة **الا ان تكون تجارة حاضرة** اي الا ان تقع تجارة حاضرة يدا بيده
**تديرونها بينكم** اي فيما بينكم ليس فيها اجل **فليس عليكم جناح** اي لا ضرر عليكم
**ان لا تكتبوها** يعني التجارة الحاضرة والتجارة تقليب الاموال وتصريفها لطلب النما
والزيادة بالارباح وانما رخص الله تعالى في الكتابة والاشهاد في هذا النوع من التجارة
لكثرة ما يجري بين الناس فلو كلفوا فيها الكتابة والاشهاد لشق ذلك عليهم ولانه
اذا اخذ كل واحد من المتبايعين حقه من صاحبه في ذلك المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد
فلا حاجة الي الكتابة والاشهاد **واشهدوا اذا تبايعتم** يعني فيما جرت العادة بالاشهاد
فيه واختلفوا في هذا الامر فقيل هو للوجوب فيجب ان يشهد في صغير الحق وكبيره ونقده
ونسيئه وقيل هو امر ندب واستحباب وهو قول الجمهور وقيل انه منسوخ بقوله
فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وقوله تعالى **ولا يضار كاتب ولا شهيد**
هذا نهي عن المضارة واصله يضارر بكسر الرا الاولى ومعناه لا يضارر الكاتب فيابي
ان يكتب او الشاهد فيابي ان يشهد او يضار الكاتب فيزيد او ينقص ويحرف ما املي
عليه فيضر صاحب الحق او من عليه الحق وكذا الشاهد وقيل اصله يضارر بفتح الرا
الاولى ومعناه ان يدعو الرجل الكاتب او الشاهد وهما مشغولان فيقولان نحن على
شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعي ان الله امركما ان تجيبا اذا دعيتما ويلح عليهما فيشغلهما
عن حاجتهما فنهي عن مضارتهما وامر ان يطلب غيرهما **وان تفعلوا** يعني ما نهيتم عنه من
الضرار **فانه فسوق بكم** اي معصية وخروج عن الامر **واتقوا الله** اي خافوا الله
واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها **ويعلمكم الله** يعني ما يكون ارشادا لكم
في امر الدنيا كما يعلمكم ما يكون ارشادا لكم في امر الدين **والله بكل شي عليم** يعني ان الله

تعالى عليم بجميع مصالح عباده لا يخفى عليه شيء من ذلك قوله عز وجل وان كنتم على سفر اي في سفر
ولم تجدوا كاتبا يعني ولم تجدوا آلات الكتابة فرهن جمع رهن وقرئ فرهان مقبوضة
يعني فارتهنوا ممن تداينونه رهونا مقبوضة لتكون وثيقة لكم باموالكم واصل الرهن
من الدوام يقال رهن الشيء اذا دام وثبت والرهن ما وضع عند الانسان مما ينوب
مناب ما اخذ منه دينا فان قلت لم شرط الارتهان في السفر مع عدم الكاتب ولا يختص
به سفر دون حضر وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند ابي الشحم
اليهودي على طعام اخذه الى اجل ولم يكن ذلك في سفر ولا عند عدم كاتب قلت ليس
الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة دون الحضر ولكن لما كان السفر مظنة لاعواز
الكاتب والاشهاد امر الله تعالى به على سبيل الارشاد الى حفظ الاموال من كان على
سفر بان يقيم التوثيق بالارتهان مقام الكتابة والاشهاد واتفق العلماء على جواز الرهن
في الحضر والسفر جميعا ومع وجود الكاتب وعدمه وقال مجاهد لا يجوز الا في السفر
عند عدم الكاتب لظاهر الآية واجاب الجمهور عن ظاهر الآية ان الكلام انما خرج على
الاعم الاغلب لا على سبيل الشرط واتفق العلماء على ان الرهن لا يتم الا بالقبض وهو قوله
تعالى فرهن مقبوضة يعني ارتهنوا واقبضوا لان المقصود من الرهن هو استيثاق
جانب صاحب الحق وذلك لا يتم الا بالقبض فلو رهن ولم يسلم لم يجبر الراهن على
التسليم فاذا سلم الرهن لزم من جهته حتى لا يجوز له ان يسترجعه ما دام شيء
من الحق باقيا وقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا يعني فان كان الذي عليه الحق امينا
عند صاحب الحق ولم يرتهن منه شيئا لحسن ظنه به فليؤد الذي اؤتمن امانته
يعني فليؤد المديون الذي عليه الحق الذي كان امينا في ظن الدائن الذي هو صاحب
الحق امانته يعني حقه سمى الدين امانة وان كان مضمونا لايتمانه عليه حيث امن من جحوده
فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم ياخذ منه رهنا حث المديون على ان يكون عند ظن الدائن
الذي ائتمنه وان يؤدي اليه حقه الذي ائتمنه عليه سيا ثم زاد ذلك تاكيدا بقوله
وليتق الله ربه اي المديون في اداء الحق عند حلول الاجل من غير مماطلة ولا جحود
بل يعامله المعاملة الحسنة كما احسن ظنه فيه ثم رجع الى خطاب الشهود فقال تعالى
ولا تكتموا الشهادة يعني اذا دعيتم الى اقامتها وادائها وذلك لان الشاهد متى
امتنع من اقامة الشهادة وكتمها فقد ابطل بذلك حق صاحب الحق فلهذا نهي عن
كتمان الشهادة وبالغ في الوعيد عليه فقال تعالى ومن يكتمها يعني الشهادة
فانه اثم قلبه اي فاجر قلبه والاثم الفاجر وانما اضيف الاثم الى القلب لان
الافعال من الدواعي والصوارف انما تحدث في القلب فلما كان الامر كذلك اضيف
الاثم الى القلب وقيل لما اوعد الله على شيء كايعاده على كتمان الشهادة فانه تعالى
قال فانه اثم قلبه واراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك والله بما تعملون عليم
يعني من بيان الشهادة وكتمانها ففيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة ولم يظهرها
قوله عز وجل لله ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا واهلها له عبيد وهو

مالكهم



مالكهم وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وهذا يتناول حديث النفس
والخواطر الفاسدة التي ترد على القلب ولا يتمكن من دفعها فالمؤاخذة بها تجري مجرى تكليف
ما لا يطاق واجيب عن هذا بان الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين فمنها ما يوطن الانسان
ويعزم على اظهاره الى الوجود فهذا مما يؤاخذ الانسان به والقسم الثاني ما يخطر بالبال ولا يمكن
دفعه عن نفسه لكن يكرهه ولا يعزم على فعله ولا اظهاره الى الوجود فهذا معفو عنه بدليل
قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال قوم ان هذه الآية خاصة ثم اختلفوا
في وجه تخصيصها فقال بعضهم هي متصلة بالآية التي قبلها وانما نزلت في كتمان الشهادة
ومعنى الآية وان تبدوا ما في انفسكم ايها الشهود من كتمان الشهادة او تخفوه اي تخفوا
الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام وان كان واردا عقيب قضية فلم
يلزم صرفها اليها وقال بعضهم ان الآية نزلت فيمن يتولى الكافرين من المؤمنين والمعنى ان تبدوا
اي تظهروا ما في انفسكم يعني من ولاية الكفار او تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله وذهب
اكثر العلماء الى ان الآية عامة ثم اختلفوا فقال قوم هي منسوخة بالآية التي بعدها ويدل
عليه ما روي عن ابي هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ما في السموات
وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه الآية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا يا رسول الله
كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد انزل عليك هذه الآية
ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين
من قبلكم سمعنا وعصينا بل قالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما ان قرأها
القوم وذلت بها السنتهم انزل الله تعالى في اثرها امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون
كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك
ربنا واليك المصير فلما فعلوا ذلك نسخها الله عز وجل فانزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا
الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا
ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا
واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم اخرجه مسلم وله عن ابن
عباس نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الله تعالى تجاوز لامتي ما حدثت به انفسها ما لم يعملوا به او يتكلموا وفي رواية ما وسوست
به صدورها وقال قوم ان الآية غير منسوخة لان النسخ لا يرد الا على الامر والنهي ولا
يرد على الاخبار وقوله تعالى يحاسبكم به الله خبر فلا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا في
تاويلها فقال قوم قد اثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم وليس لله
عبد اسر عملا او اعلنه من حركة جارحة او همة قلب الا يعلمه الله ثم يخبره به ويحاسبه
عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء وقال الآخرون في معنى الآية ان الله تعالى يحاسب
خلقه بجميع ما ابدوا من اعمالهم او اخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبتهم على ما اخفوه
اخف مما يعملوا به وهو ما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب والامور التي يحزنون

عليها وهذا قول عايشة عن امية انها سالت عايشة عن قول الله عز وجل وان تبدوا
ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعن قوله من يعمل سوا يجز به فقالت ما سالني
عنها احد منذ سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه معاتبة الله العبد بما
يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها في يد قميصه فيفقدها فيفزع لها حتى
ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب وله عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبده
الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد لعبده الشر امسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم
القيامة وقال قوم في معنى الاية وان تبدوا ما في انفسكم اي مما عزمتم عليه او تخفوه
اي ولا تبدوه وانتم عازمون عليه يحاسبكم به الله واما حديث النفس مما لم تعزموا
عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا يواخذ به قال عبد الله بن المبارك
قلت لسفيان ايواخذ العبد بالهمة فقال اذا كانت عزما اخذ بها وقيل معنى المحاسبة
الاخبار والتعريف فيرجع معنى هذه المحاسبة الى كونه تعالى عالما بكل ما في الضماير
والسراير مما ظهر او خفي ومعنى الاية وان تبدوا ما في انفسكم فتعملوا به او تخفوه
مما اضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله اي يخبركم به ويعرفكم اياه ثم يغفر للمومنين اظهارا
لفضله ويعذب الكافرين اظهارا لعدله يروى عن ابن عباس ويدل عليه انه قال يحاسبكم
به الله ولم يقل يواخذكم به لان المحاسبة غير المواخذة ويدل عليه ايضا ما روي عن صفوان
ابن محرز المازني قال بينما ابن عمر يطوف اذ عرض رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرني ما سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يدني المومن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول
اعرف ربي اعرف مرتين فيقول الله سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم ثم تطوى
صحيفة حسناته واما الاخرون وهم الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الخلايق
هولاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى
**فيغفر لمن يشا ويعذب من يشا** قال ابن عباس يغفر لمن يشا الذنب الصغير لا يسئل
عما يفعل وهم يسالون **والله على كل شي قدير** يعني انه تعالى قادر على كل شي كامل القدرة
فيغفر للمومنين فضلا ويعذب الكافرين عدلا قوله عز وجل **امن الرسول بما انزل اليه
من ربه** عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم
به الله دخل قلوبهم منه شي لم يدخل من شي فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله
امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون الاية لا يكلف الله نفسا الا وسعها
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا قال قد فعلت
ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين
قال قد فعلت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج لما ذكر الله في هذه
السورة فرض الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والايلاء والحيض والجهاد

واقاصيص



واقاصيص الانبيا وما ذكر من كلام الحكم ختم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم
والمومنين بجميع ذلك ومعنى امن الرسول صدق الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
والمعنى صدق الرسول ان هذا القران وجملة ما فيه من الشرايع والاحكام منزل من
عند الله عز وجل **والمومنون** اي وصدق المومنون بذلك ايضا **كل** اي كل واحد من
المومنين **امن بالله وملايكته وكتبه ورسله** فهذه اربع مراتب من اصول الايمان
وضرورياته واما الايمان بالله فهو ان تومن بان الله واحد احد لا شريك له ولا نظير له
ويومن بجميع اسمايه الحسنى وصفاته العليا وانه حي عالم قادر على كل شي واما الايمان
بالملايكة فهو ان يومن بوجودهم وانهم معصومون مطهرون وانهم السفرة الكرام البررة
وانهم الوسايط بين الله تعالى وبين رسله واما الايمان بكتبه فهو ان يومن بالكتب المنزلة
من عند الله بوحي الله الى رسله وانها حق وصدق من عند الله بغير شك ولا ارتياب
وان القران لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وانه مشتمل على المحكم والمتشابه وان محكمه
يكشف عن متشابهه واما الايمان بالرسل فهو ان تومن بانهم رسل الله الى عباده
وامناوه على وحيه وانهم معصومون وانهم افضل الخلق وان بعضهم افضل من بعض وقد
انكر بعضهم ذلك وتمسك بقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله واجيب عنه بان المقصود
من هذا الكلام شي اخر وهو اثبات نبوة الانبيا والرد على اليهود والنصارى الذين
يقرون بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص
الصريح تفضيل بعض الانبيا على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومعنى
قوله **لا نفرق بين احد من رسله** فنومن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى
بل نومن بجميع رسله وفي الاية اضمار تقديره وقالوا يعني المومنين لا نفرق بين
احد من رسله **وقالوا سمعنا واطعنا** يعني سمعنا قولك واطعنا امرك والمعنى قال
المومنون سمعنا قول ربنا فيما امرنا به واطعناه فيما الزمنا من فرايضه واستعبدنا
به من طاعته وسلمنا له فيما امرنا به ونهانا عنه **غفرانك ربنا** اي نسالك غفرانك
ربنا او يكون المعنى اغفر لنا ربنا غفرانك ربنا **واليك المصير** يعني قالوا اليك يا ربنا
مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا روى البغوي بغير سند عن حكيم بن جابر ان جبريل
عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قد اثنى عليك وعلى امتك فسل
تعطه فسال بتلقين الله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير قوله عز وجل **لا يكلف الله
نفسا الا وسعها** قيل يحتمل ان تكون ابتدا خبر من الله تعالى ويحتمل ان يكون حكاية عن
المومنين وفيه اضمار كانه قال الله تعالى عنهم وقالوا لا يكلف الله نفسا الا وسعها
يعني طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق عليه قال ابن عباس واكثر المفسرين
ان هذه الاية نسخت حديث النفس والوسوسة وذلك انه لما نزلت ان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه ضج المومنون منها وقالوا يا رسول الله نتوب من عمل اليد والرجل واللسان
فكيف نتوب من الوسوسة وحديث النفس فنزلت هذه الاية والمعنى انكم لا تستطيعون
ان تمتنعوا من الوسوسة وحديث النفس كان ذلك مما لم تطيقوه وقال ابن عباس في رواية

عندهم المؤمنون خاصة وسع الله عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم ما لا يستطيعون كما قال
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج
وسئل سفيان بن عيينة عن قوله لا يكلف الله نفسا إلا وسعها قال إلا يسرها ولم
يكلفها فوق طاقتها وهذا قول حسن لأن الوسع ما دون الطاقة وقيل معناه أن الله
تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها فلا يتعبدها بما لا تطيق **لها ما كسبت** يعني النفس
ما عملت من الخير فلها أجره وثوابه **وعليها ما اكتسبت** يعني من الشر وعليها وزره
وعقابه وقيل في معنى الآية أن الله تعالى لا يؤاخذ أحدا بذنب غيره قوله عز وجل **ربنا
لا تؤاخذنا** وهذا تعليم من الله تعالى عباده المؤمنين كيف يدعونه ومعناه قولوا ربنا
لا تؤاخذنا أي لا تعاقبنا وإنما جاء بلفظ المفاعلة وهو فعل واحد لأن المسيء قد أمكن
من نفسه وطرّق السبيل إليها بفعله فكأنه أعان عليه من يعاقبه بذنبه ويأخذه به
**إن نسينا أو أخطأنا** فيه وجهان أحدهما أنه من النسيان الذي هو السهو وهو ضد
التذكير وقيل كان بنو إسرائيل إذا نسوا شيئا مما أمروا به أو أخطأوا عجلت لهم فيحرم
عليهم شيئا مما كان حلالا لهم من مطعم أو مشرب على حسب ذلك الذنب فأمر الله
المؤمنين أن يسألوه عن ترك مؤاخذتهم بذلك فإن قلت أليس فعل الناسي في محل
العفو بدليل قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا
عليه فإذا كان النسيان في محل العفو قطعا فما معنى طلب العفو عنه بالدعاء قلت
الجواب عنه من وجوه الأول أن النسيان على ضربين أما الأول فهو ما كان من العبد
على وجه التضييع والتفريط وهو ترك ما أمر بفعله كمن رأى على ثوبه دما فأخر إزالته
عنه ثم نسي وصلى فيه وهو على ثوبه فيعد مقصرا إذ كان يلزمه المبادرة إلى إزالته أما
إذا لم يره فيعذر فيه وكذا لو ترك ما أمر بفعله على وجه السهو أو ارتكب منهيا عنه من
غير قصد إليه كأكل آدم عليه السلام من الشجرة التي نهي عنها على وجه النسيان من غير
عزم على المخالفة كما قال تعالى ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما
فمثل هذا يجب أن يسأل الله تعالى أن يعفو عنه ذلك وأما الضرب الثاني فهو كمن ترك
صلاة ثم نسيها أو ترك دراسة القرآن بعد أن حفظه حتى نسيه فهذا لا يعذر
بنسيانه وسهوه لأنه فرط فثبت أن النسيان على قسمين وإذا كان كذلك صح طلب
العفو والغفران عن النسيان الوجه الثاني من الجواب أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا
من المتقين لله حق تقاته فإن صدر منهم ما لا ينبغي فلا يكون إلا على سبيل السهو
والنسيان فطلبهم العفو والغفران لما يقع منهم على سبيل السهو والنسيان إنما هو
لشدة خوفهم وتقواهم الوجه الثالث أن المقصود من هذا الدعاء هو التضرع والتذلل
لله تعالى وأما الخطأ في قوله أو أخطأنا ففيه وجهان أيضا أحدهما أن يأتي العبد ما نهي
عنه بقصد وإرادة فذلك خطأ منه وهو به مأخوذ فيحسن طلب العفو والغفران
لذلك الفعل الذي ارتكبه الوجه الثاني أن يكون الخطأ على سبيل الجهل والظن بأن
له فعله كمن ظن أن وقت الصلاة لم يدخل وهو في يوم غيم فأخرها حتى خرج وقتها





فهو من الخطأ الموضوع عن العبد لكن طلب العفو والغفران بسبب تقصيره وقوله **ربنا
ولا تحمل علينا إصرا** يعني عهدا ثقيلا وميثاقا غليظا فلا نستطيع القيام به فتعذبنا
بنقضه وتركه **كما حملته على الذين من قبلنا** يعني اليهود فلم يقوموا به فعذبتهم عليه وقيل
معناه ولا تشدد علينا كما شددت على اليهود من قبلنا وذلك أن الله تعالى فرض عليهم
خمسين صلاة وأمرهم بأداء ربع أموالهم زكاة ومن أصاب منهم ثوبه نجاسة قطعها ومن
أصاب ذنبا أصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحو ذلك من الأثقال والآصار التي كانت
عليهم فسأل المسلمون ربهم أن يصونهم عن أمثال هذه التغليظات والعهود الثقيلة وقد
أجاب الله تعالى دعاءهم برحمته وخفف عنهم بفضله وكرمه فقال تعالى وما جعل عليكم
في الدين من حرج وقيل الإصر ذنب لا توبة له فسأل المؤمنون ربهم أن يعصمهم من مثله
**ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** يعني لا تكلفنا من الأعمال ما لا نطيق القيام به لثقل
حمله علينا وتكليف ما لا يطاق على وجهين أحدهما ما ليس في قدرة العبد احتماله كتكليف
الأعمى النظر والزمن العدو فهذا النوع من التكليف الذي لا يكلف الله به عبده
بحال الوجه الثاني من تكليف ما لا يطاق وهو ما في قدرة العبد احتماله مع المشقة
الشديدة والكلفة العظيمة كتكليف الأعمال الشاقة والفرائض الثقيلة كما كان
في ابتداء الإسلام صلاة الليل واجبة ونحوه فهذا الذي سأل المؤمنون ربهم لا
يحملهم ما لا طاقة لهم به واستدل بهذه الآية من يقول إن تكليف ما لا يطاق جائز
إذ لو لم يكن جائزا لما حسن طلب تخفيفه بالدعاء من الله تعالى وقيل في قوله ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هو هيجان الغلمة وقيل هو الحب
وقيل هو شماتة الأعداء وقيل هو الفرقة والقطيعة وقيل هو مسخ القردة والخنازير
نعوذ بالله من ذلك كله **واعف عنا** أي تجاوز عن ذنوبنا وامحها عنا **واغفر لنا**
أي استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا **وارحمنا** أي تعمدنا برحمة تنجينا بها من عقابك
فإنه ليس بناج من عقابك إلا من رحمته وقيل إنا لا ننال العمل إلا بطاعتك ولا نترك
معصيتك إلا برحمتك وأصل الرحمة رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم وإذا وصف
بها الله تعالى فليس يراد بها إلا الإحسان المجرد والتفضيل على العباد دون الرقة
وقيل إن طلب العفو هو أن يسقط عنه عقاب ذنوبه وطلب المغفرة هو أن يستر عليه
صونا له من الفضيحة كأن العبد يقول أطلب منك العفو وإذا عفوت عني فاستره علي
فإذا عفا الله تعالى عن العبد وستره طلب الرحمة التي هي الإنعام والإحسان ليفوز بالنعيم
والثواب **أنت مولانا** أي ناصرنا وحافظنا ووليّنا ومتولي أمرنا **فانصرنا على القوم
الكافرين** يعني الجاحدين الذين عبدوا غيرك وجحدوا وحدانيتك قال ابن عباس
في قوله تعالى غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم وفي قوله لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا
قال لا أؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا إصرا قال لا أحمل عليكم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا
أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم
على القوم الكافرين كان معاذ إذا ختم سورة البقرة قال آمين وعن عبد الله بن مسعود

قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى سدرة المنتهى وهي في السادسة
واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض
منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال اعطى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاثا اعطى الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله
من امته شيئا المقحمات قوله المقحمات الذنوب العظام التي تولج مرتكبها النار واصل
الاقتحام الولوج ق عن ابن مسعود الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الايتان من اخر سورة البقرة من قرا بهما في ليلة كفتاه كفتاه معناه كفتاه
كل ما يحذر من كل هامة وشيطان فلا يقربه تلك الليلة وقيل كفتاه من قيام الليل
م عن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل عليه السلام اذ سمع
نقيضا من فوقه فرجع جبريل بصره الى السما فقال هذا باب من السما فتح اليوم لم يفتح قط
الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم
وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة
لن تقرا بحرف منهما الا اعطيته عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام انزل فيه ايتان ختم بهما سورة
البقرة ولا يقران في دار ثلاث ليال فيقربه شيطان اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب اخر تفسير سورة البقرة والله اعلم باسرار كتابه •

## • تفسير سورة ال عمران

مدنية وهي مايتا اية وثلاثة الاف واربعماية وثمانون كلمة واربعة عشر الفا وخمسماية
وخمسة وعشرون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**

قوله عز وجل **الم الله لا اله الا هو الحي القيوم** قال المفسرون نزلت هذه الاية في وفد
نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم اربعة عشر رجلا
من اشرافهم منهم ثلاثة نفر اليهم يول امرهم وهم العاقب واسمه عبد المسيح وهو امير
القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رايه والسيد واسمه الايهم
وهو ثمالهم ثمال القوم غياثهم وقوامهم القايم بما لهم وصاحب رحلهم الذي يقوم
بامر طعامهم وشرابهم وابو حارثة بن علقمة وهو اسقفهم وحبرهم وكان ملوك الروم
يكرمونه لما بلغهم عن علمه واجتهاده في دينه فدخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين يصلي العصر وعليهم ثياب الحبرات جبب واردية في جمال رجال وكان الحارث
ابن كعب يقول من راهم ما راينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا
الى المشرق فلما فرغوا كلم السيد والعاقب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما قالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام
دعواكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن عيسى ولد الله
فمن ابوه وخاصموه جميعا في عيسى فقال النبي صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون انه لا يكون





ولدا الا وهو يشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى
ياتي عليه الموت قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه
قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى
عليه شيء في الارض ولا في السما قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا
قال الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شا وربنا لا ياكل ولا يشرب
قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة ثم وضعته كما تضع
المراة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال
فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل الله صدر سورة ال عمران الى بضع وثمانين
اية منها زاد بعضهم فقالوا يا محمد الست تزعم ان عيسى كلمة الله وروح منه قال
بلى قالوا فحسبنا ثم ابوا الا جحودا فانزل الله ردا عليهم الم الله لا اله الا هو يعني
ان كان ما زعمتم يا معشر النصارى في معرفة الاله فهو الله الذي لا اله الا هو
فكيف تثبتون له ولدا فبين تعالى ان احدا لا يستحق العبادة سواه لانه الواحد الاحد
ليس معه اله ولا ولد ثم اتبع ذلك بما يجري مجرى الدلالة عليه فقال تعالى الحي
القيوم اما الحي في صفة الله تعالى فهو الدايم البقاء الذي لا يصح عليه الموت واما
القيوم فهو القايم بذاته والقايم بتدبير الخلق ومصالحهم فيما يحتاجون اليه
في معاشهم ومعادهم **نزل عليك الكتاب** يعني القران **بالحق** اي بالصدق والعدل
**مصدقا لما بين يديه** يعني لما قبله من الكتب في التوحيد والنبوات والاخبار
وبعض الشرايع وقوله لما بين يديه من مجاز الكلام وذلك ان ما بين يديه فهو امامه
فقيل لكل شيء تقدم على الشيء هو بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره **وانزل التوراة
والانجيل من قبل** اي من قبل القران فان قلت لم قيل نزل الكتاب وانزل
التوراة والانجيل جملة واحدة **هدى للناس** يعني انزل التوراة والانجيل
قبل القران كان هدى للناس فان قلت كيف وصف القران في اول البقرة بانه هدى
للمتقين بانهم هم الذين انتفعوا به وتبعوه ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما
هدى للناس قلت انما وصف القران بانه هدى للمتقين بانهم هم الذين انتفعوا به
وتبعوه ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس لان المناظرة كانت مع
نصارى نجران وهم يعتقدون صحة التوراة والانجيل فلهذا السبب قال هنا
هدى للناس وقيل ان قوله هدى للناس يعود الى الكتب الثلاثة يعني القران المتقدم
ذكره والتوراة والانجيل وانما وصف هذه الكتب بانها هدى للناس لما فيها من الشرايع
والاحكام **وانزل الفرقان** يعني الفارق بين الحق والباطل قيل اراد به القران
وانما اعاد ذكره تعظيما لشانه ومدحا له لكونه فارقا بين الحق والباطل وقيل
انما اعاد ذكره ليبين انه تعالى انزله بعد التوراة والانجيل ليجعله فارقا بين
ما اختلف فيه اليهود والنصارى في امر عيسى عليه السلام وقيل المراد به الكتب
الثلاثة لان كلها هدى للناس ومفرقة بين الحلال والحرام والحق والباطل وقال

السدي في الآية تقديم وتأخير تقديره وأنزل التوراة والإنجيل والفرقان هدى للناس
**إن الذين كفروا بآيات الله** يعني الكتب المنزلة وغيرها قيل أراد بهم نصارى
وفد نجران كفروا بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل إن خصوص السبب لا يمنع
عموم اللفظ فهو بيننا ولكل من كفر بشيء من آيات الله تعالى **لهم عذاب شديد والله عزيز**
أي غالب لا يغلب **ذو انتقام** يعني ممن كفر به والانتقام المبالغة في العقوبة قوله
عز وجل **إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء** أي لا يخفى عليه شيء من أمر
العالم وهو المطلع على أحوالهم فقوله إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء
إشارة إلى كمال علمه المتعلق بجميع المعلومات **هو الذي يصوركم في الأرحام** التصوير
جعل الشيء على صورة والصورة هيئة يكون عليها الشيء بالتأليف والأرحام جمع رحم
**كيف يشاء** يعني الصور المختلفة المتفاوتة في الخلقة ذكرا وأنثى أبيض وأسود
حسنا أو قبيحا كاملا أو ناقصا والمعنى أنه الذي يصوركم في ظلمات الأرحام مختلفة
في الشكل والطبع واللون وذلك من نطفة **ق** عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه
أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه
ملكا بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح
فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا
ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل
أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع واحد فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل
أهل الجنة فيدخلها **ق** عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم
ملكا فيقول أي رب نطفة أي رب علقة أي رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضي خلقها
قال يا رب أذكر أم أنثى أشقي أم سعيد فما الرزق فما الأجل فيكتب ذلك في بطن أمه
وقيل إن الآية واردة في الرد على النصارى وذلك أن عيسى عليه السلام كان يخبر
ببعض الغيب فيقول أكلت في دارك كذا صنعت كذا وأنه أحيى الموتى وأبرأ الأكمه
والأبرص وخلق من الطين طيرا فادعت النصارى فيه الإلهية وقالوا ما قدر على
ذلك إلا لأنه إله فرد الله تعالى عليهم بذلك وأخبر أن لا إله المستحق لهذا الاسم
هو الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وأنه المصور في الأرحام كيف يشاء
وأن عيسى عليه السلام ممن صوره في الرحم فنبه بكونه مصورا في الرحم على أنه
عبد مخلوق كغيره وأنه يخفى عليه ما لا يخفى على الله عز وجل **لا إله إلا هو العزيز الحكيم**
وهذا أيضا في الرد على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله كأنه قال كيف يكون
ولدا له وقد صوره في الرحم قوله عز وجل **هو الذي أنزل عليك الكتاب** يعني القرآن
**منه آيات محكمات** يعني مبينات مفصلات لحكمت عباراتها من احتمال التأويل
والاشتباه سميت محكمة من الأحكام كأنها تعالى أحكمها فمنع الخلق من التصرف فيها
لظهورها ووضوح معناها **هن أم الكتاب** يعني هن أصل الكتاب الذي يعول





عليه في الأحكام ويعمل بها في الحلال والحرام فإن قلت كيف قال منه أم الكتاب
ولم يقل أمهات الكتاب قلت لأن الآيات في اجتماعها وتكاملها كالآية الواحدة وكلام الله
كله شيء واحد وقيل إن كل آية منهن أم الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وأمه آية
يعني أن كل واحد منهما آية **وأخر** جمع أخرى **متشابهات** يعني أن لفظه يشبه
لفظ غيره ومعناه يخالف معناه فإن قلت قد جعله هنا محكما ومتشابها وجعله في موضع
آخر كله محكما فقال الر كتاب أحكمت آياته وجعله في موضع آخر كله متشابها فقال تعالى
الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت حيث جعله
كله محكما أراد أنه كله حق وصدق ليس فيه عبث ولا هزل وحيث جعله كله متشابها
أراد أن بعضه يشبه بعضا في الحسن والحق والصدق وحيث جعله هنا بعضه محكما وبعضه
متشابها فقد اختلفت عبارات العلماء فيه فقال ابن عباس المحكمات الثلاث آيات
التي في آخر سورة الأنعام وهي قوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ونظيرها
في بني إسرائيل وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه الآيات وعنه أن الآيات المحكمة هي
الناسخ والمتشابهات هي الآيات المنسوخة وبه قال ابن مسعود وقتادة والسدي
وقيل إن المحكمات ما فيه أحكام الحلال والحرام والمتشابهات ما سوى ذلك يشبه
بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا وقيل إن المحكمات ما أطلع الله عباده على معناه
والمتشابه ما استأثر الله بعلمه فلا سبيل لأحد إلى معرفته نحو الخبر عن أشراط
الساعة مثل الدجال ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس
من مغربها وفناء الدنيا وقيام الساعة فجميع هذا مما استأثر الله بعلمه وقيل إن
المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجها واحدا والمتشابه ما يحتمل أوجها وروي ذلك
عن الشافعي وقيل إن المحكم سائر القرآن والمتشابه هي الحروف المقطعة في أوائل
السور قال ابن عباس إن رهطا من اليهود منهم حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف
ونظراؤهما أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له حيي بلغنا أنك أنزل عليك الم فننشدك
الله أنزلت عليك قال نعم قال إن كان ذلك حقا فإني أعلم مدة ملك أمتك هي إحدى
وسبعون سنة فهل أنزل عليك غيرها قال نعم المص قال فهذه أكثر هي إحدى وستون
ومائة فهل أنزل عليك غيرها قال نعم الر قال هذه أكثر هي مائتان وإحدى وثلاثون
سنة فهل من غيرها قال نعم المر قال هذه أكثر هي مائتان وإحدى وسبعون سنة ولقد
خلط علينا فلا ندري أبكثيره نأخذ أم بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فأنزل الله هذه
الآية قوله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه وقيل إن المحكم
ما لم تتكرر ألفاظه والمتشابه ما تكررت ألفاظه وقيل إن المحكم ما استقل بنفسه
ولم يحتج إلى بيان والمتشابه ما احتاج إلى بيان وقيل إن المحكم هو الأمر والنهي والوعد
والوعيد والمتشابه هو القصص والأمثال فإن قلت إنما نزل القرآن لبيان الدين
وإرشاد العباد وهدايتهم فما فائدة المتشابه وهلا كان كله محكما قلت ذكر العلماء
عن هذا السؤال أجوبة أحدها أن القرآن أنزل بألفاظ العرب ولغاتهم وكلامهم

على ضربين احدهما الايجاز للاختصار والموجز الذي لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره
والاطالة لبيان المراد والتوكيد الضرب الثاني المجاز والكنايات والاشارات والتلويحات
واغماض بعض المعاني وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب والبديع في كلامهم فانزل الله
تعالى القران على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله فكانه قال عارضوه
باي الضربين شئتم ولو نزل كله محكما واضحا لقالوا هلا نزل بالضرب المستحسن عندنا
الجواب الثاني ان الله تعالى انزل المتشابه الى المحكم فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث
عن معانيه اهتمامهم فيثابون على تعبهم كما اثيبوا على عباداتهم ولو انزل القران كله محكما
لاستوى في معرفته العالم والجاهل ولم يفضل العالم على غيره ولماتت الخواطر وخمدت
الكفرة ومع الغموض تقع الحاجة الى الفكرة والحيلة الى استخراج المعاني وقد قيل
في عيب الغنى انه يورث البلادة وفي فضيلة الفقر انه يبعث على الحيلة لانه اذا احتاج احتال
الجواب الثالث ان كل اهل علم يجعلون في علومهم معاني غامضة ومسايل دقيقة ليختبروا
بذلك اذهان المتعلمين منهم على انتزاع الجواب لانهم اذا قدروا على انتزاع المعاني الغامضة
كانوا على الواضح اقدر فلما كان ذلك حسنا عند العلما جاز ان يكون ما انزل الله تعالى من
المتشابه على هذا النحو الجواب الرابع ان الله تعالى انزل المتشابه في كتابه مختبرا به عباده
ليقف المومن عنده ويرد علمه الى عالمه فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب به المنافق فيداخله
الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بنوا اسرايل بالنهر والله اعلم بمراده وقوله تعالى
**فاما الذين في قلوبهم زيغ** اي ميل عن الحق وقيل الزيغ الشك واختلفوا في المعني بهم والمشار
اليهم فقيل هم وفد نجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام
وقالوا الست تزعم ان عيسى روح الله وكلمته قال بلى قالوا حسبنا فانزل الله هذه الاية
وقيل هم اليهود لانهم طلبوا معرفة مدة بقا هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل من الحروف
المقطعة في اوايل السور وقيل هم المنافقون وقيل هم الخوارج كان قتادة يقول ان لم
يكونوا الحرورية والسبائية فلا ادري من هم وقيل هم جميع المبتدعة **فيتبعون ما
تشابه منه** يعني يحيلون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويقولون
ما بال هذه الاية عمل بها كذا وكذا ثم نسخت وقيل كل من احتج لباطله بالمتشابه فهو المعني
بهذه الاية **ق** عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو الذي نزل عليك الكتاب منه ايات محكمات الى وما يذكر الا اولوا الالباب فقال اذا رايتم
الذين يتبعون ما تشابه منه فاوليك الذين سماهم الله فاحذروهم وقوله تعالى **ابتغا
الفتنة** اي طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم وقيل
طلب افساد ذات البين **وابتغا تاويله** اي تفسيره واصل التاويل في اللغة المرجع
والمصير تقول آل الامر الى كذا اذا رجع اليه وتسمى العاقبة تاويلا لان الامر يصير اليه
قال ابن عباس في قوله وابتغا تاويله اي طلب بقا ملك محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد
بهم الكفار طلبوا متى يبعثون وكيف احياوهم بعد الموت وقيل هو طلب تفسير المتشابه
وعلمه **وما يعلم تاويله الا الله** يعني تاويل المتشابه وقيل لا يعلم انقضا ملك هذه الامة





الا الله لان انقضاها مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك الا الله وقيل يجوز ان يكون
للقران تاويل استاثر الله بعلمه لم يطلع عليه احدا من خلقه كعلم قيام الساعة
ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وعلم
الحروف المقطعة واشباه ذلك مما استاثر الله بعلمه فالايمان به واجب وحقايق
علومه مفوضة الى الله تعالى وهذا قول اكثر المفسرين وهذا مذهب ابن مسعود
وابن عباس في رواية عنه وابي بن كعب وعايشة واكثر التابعين وعلى هذا القول
تم الكلام عند قوله الا الله فيوقف عليه ثم ابتدا فقال عز من قايل **والراسخون في
العلم** اي الثابتون في العلم وهم الذين اتقنوا علمهم بحيث لا يدخل في علمهم شك **يقولون
امنا به** قال ابن عباس سماهم الله راسخين في العلم بقولهم امنا به فرسوخهم في العلم
هو الايمان به وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الاية انتهى علم الراسخين في العلم بتاويل
القران الى ان قالوا امنا به **كل من عند ربنا** يعني المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ
وما علمنا منه وما لم نعلم نحن معتقدون في المتشابه بالايمان به ونكل معرفته الى الله
تعالى وفي المحكم يجب علينا الايمان به والعمل بمقتضاه وروي عن ابن عباس انه قال
تفسير القران على اربعة اوجه فمنه تفسير لا يسع احد جهله وتفسير تعرفه
العرب بالسنتها وتفسير تعلمه العلما وتفسير لا يعلمه الا الله وقيل ان الواو في
قوله والراسخون في العلم واو عطف يعني ان تاويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه
الراسخون في العلم وهم مع علمهم يقولون امنا وروي عن ابن عباس انه كان يقول انا
من الراسخين في العلم وعن مجاهد عنه انا ممن يعلم تاويله ووجه هذا القول ان الله
تعالى انزل كتابه لينتفع به عباده ولا يجوز ان يكون في القران شي لا يعرفه احد
من الامة وفي المراد بالراسخين في العلم قولان احدهما انهم مومنوا اهل الكتاب
مثل عبد الله بن سلام واصحابه ودليله قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم
والقول الثاني ان الراسخين هم العلما العاملون بعلمهم سيل انس بن مالك عن الراسخين
في العلم فقال العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ في العلم من وجد في علمه
اربعة اشيا التقوى فيما بينه وبين الله والتواضع فيما بينه وبين النفس **وما يذكر
الا اولوا الالباب** اي وما يتعظ بما في القران الا ذووا العقول وهذا ثنا من الله
عز وجل على الذين قالوا امنا به كل من عند ربنا قوله عز وجل **ربنا لا تزغ قلوبنا**
اي ويقول الراسخون في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا اي لا تملها عن الحق والهدى كما
ازغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ **بعد اذ هديتنا** اي وفقتنا لدينك والايمان
بالمحكم والمتشابه من كتابك **وهب لنا من لدنك رحمة** اي اعطنا توفيقا وتثبيتا
للذي نحن عليه من الايمان والهدى وقيل هب لنا تجاوزا ومغفرة **انك انت الوهاب**
الهبة العطية الخالية عن الاعواض والاغراض والوهاب في صفة الله تعالى انه
تعالى يعطي كل احد على قدر استحقاقه **م** عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول قلوب بني ادم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد

يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا
على طاعتك هذا من احاديث الصفات وللعلماء فيه قولان احدهما الايمان به وامراره كما
جاء من غير تعرض لتاويل ولا لتكييف ولا لمعرفة معناه بل يؤمن به وانه حق وتكل
علمه الى مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا القول هو مذهب اهل السنة من سلف
الامة وخلفها من اهل الحديث وغيرهم والقول الثاني انه يتاول بحسب ما يليق به وانظاهره
غير مراد قال تعالى ليس كمثله شيء فعلى هذا المراد هو المجاز كما يقال فلان في قبضتي وفي
كفي يريد انه تحت قدرته وفي تصرفه لا انه حال في كفه فمعنى الحديث انه متصرف في قلوب
عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شيء ولا يفوته ما اراد منها كما لا يمتنع على
الانسان ما بين اصبعيه فخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بما يفهمونه ويعلمونه
من نفسهم وانما ثنى لفظ الاصبعين والقدرة واحدة لانه جرى على المعهود من التمثيل
بحسب ما اعتادوه وان كان غير مقصود به التثنية او الجمع وهذا مذهب جمهور المتكلمين
وغيرهم من المتاخرين وانما خص القلوب بالذكر لفائدة وهي ان الله تعالى جعل القلوب
محلا للخواطر والارادات والنيات وهي مقدمات الافعال ثم جعل سائر الجوارح تابعة للقلوب
في الحركات والسكنات والله اعلم قوله عز وجل **ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه**
اي ليوم القضاء وقيل اللام بمعنى في اي في يوم لا ريب فيه اي لا شك فيه انه كائن وهو
يوم القيامة **ان الله لا يخلف الميعاد** هذا من بقية دعاء الراسخين في العلم وذلك انهم لما
طلبوا من الله تعالى ان يصرف قلوبهم عن الزيغ وان يخصهم بالهداية والرحمة وذلك لمصالح
الدين والدنيا ثم انهم اتبعوا ذلك بقولهم ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ومعناه
انا نعلم انك جامع الناس للجزاء في يوم القيامة ونعلم ان وعدك الحق وانك لا تخلف الميعاد
فمن ازغت قلبه فهو هالك ومن مننت عليه بالهداية والرحمة فهو ناج من العذاب سعيد
قوله عز وجل **ان الذين كفروا** يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم قريظة
والنضير **لن تغني** اي لن تنفع ولن تدفع **عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا**
اي من عذاب الله شيئا وقيل من بمعنى عند اي عند الله شيئا **واولئك هم وقود النار**
**كداب ال فرعون** قال ابن عباس كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر وقيل كسنة آل فرعون
وقيل كعادة ال فرعون والمعنى ان عادة هولاء الكفار في تكذيب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجحود الحق كعادة آل فرعون كذبوا موسى وصدقوا فرعون **والذين من قبلهم**
يعني كفار الامم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم **كذبوا باياتنا** لما جاءتهم بها الرسل **فاخذهم**
**الله بذنوبهم** اي فعاقبهم الله بسبب تكذيبهم **والله شديد العقاب** وقيل
في معنى الاية ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم عند حلول النقمة
والعقوبة مثل ال فرعون وكفار الامم الخالية فاخذناهم فلم تغن عنهم اموالهم
ولا اولادهم قوله عز وجل **قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون** قرئ بالتاء والياء
فيهما فمن قرا بالياء المنقوطة من تحت فمعناه بلغهم يا محمد انهم سيغلبون
ويحشرون ومن قرا بالتاء المنقوطة فوق فمعناه قل لهم ستغلبون وتحشرون





**الى جهنم** قيل اراد بالذين كفروا مشركي قريش والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون
يوم بدر وتحشرون في الآخرة الى جهنم فلما نزلت هذه الاية قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم
يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وقيل ان ابا سفيان جمع جماعة من قومه
بعد وقعة بدر فانزل الله هذه الاية وقيل ان هذه الاية نزلت في اليهود وقال
ابن عباس ان يهود اهل المدينة قالوا لما هزم رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين
يوم بدر هذا والله النبي الذي بشر به موسى لا ترد له راية وارادوا اتباعه ثم قال
بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب رسول الله
صلى الله عليه وسلم شكوا وغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وكان بينهم وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا العهد وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى مكة
ليستنفرهم فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه
الايات وقال ابن عباس وغيره لما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم
بدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال يا معشر اليهود احذروا
من الله مثل ما انزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم
اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا
لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة وانا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس
فانزل الله عز وجل قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون اي تهزمون وتحشرون
يعني في الآخرة الى جهنم **وبئس المهاد** اي الفراش والمعنى بئس ما مهد لهم في
النار قوله عز وجل **قد كان لكم اية في فئتين التقتا** قيل الخطاب للمومنين يروى
ذلك عن ابن مسعود والحسن وقيل هو خطاب للكفار فيكون عطفا على الذي
قبله فيخرج على قول ابن عباس وقيل هو خطاب لليهود قاله ابن جرير فان قلت
لم قال قد كان لكم اية ولم يقل قد كانت لان الاية مونثة قلت كلما ليس تانيثه
حقيقيا يجوز تذكيره وقيل انه رد المعنى الى البيان فمعناه قد كان لكم بيان فذهب
الى المعنى وترك اللفظ وقال الفراء انما ذكره لانه حال الصفة بين الفعل والاسم
المونث فذكر الفعل وكلما جاء من هذا فهذا وجهه ومعنى الاية قد كان لكم اية اي
عبرة ودلالة على صدق ما اقول انكم ستغلبون في فئتين اي فرقتين واصلها
في الحرب لان بعضهم يفيء الى بعض اي يرجع التقتا يوم بدر **فئة تقاتل في سبيل الله**
اي في طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانوا ثلاثمائة وثلاثة
عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا
من الانصار وكان صاحب راية المهاجرين علي بن ابي طالب وصاحب راية
الانصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان وكان معهم من السلاح
ستة ادرع وثمانية سيوف وقوله تعالى **واخرى كافرة** اي وفرقة اخرى كافرة
اي وهم مشركوا مكة وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة وكان راسهم
عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر اول مشهد

شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وقوله تعالى **يرونهم مثليهم** قرئ بالتاء يعني ترون اهل مكة ضعفي المسلمين يا معشر اليهود وذلك ان جماعة من اليهود كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدبرة ولمن النصر فراوا المشركين مثلي عدد المسلمين وراوا النصر للمسلمين فكان ذلك معجزة وقرئ يرونهم بالياء واختلفوا في وجه قراءة الياء فجعل بعضهم الروية للمسلمين ثم له تاويلان احدهما يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم فان قلت كيف قال مثليهم وانما كانوا ثلاثة امثالهم قلت هذا مثل قول الرجل وعنده درهم انا احتاج الى مثلي هذا الدرهم يعني الى مثليه سواه فيكون ثلاثة دراهم ووجه اخر وهو ان الله تعالى اظهر للمسلمين من عدد المشركين القدر الذي يعلم المومنون انهم يغلبونهم لازالة الخوف من قلوبهم وهذا التاويل الثاني هو الاصح قلل الله المشركين في اعين المسلمين حتى راوهم مثليهم فان قلت كيف الجمع بين قوله يرونهم مثليهم وبين قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم وكيف يقال ان المشركين استكثروا المسلمين وان الفئتين تساوتا في استقلال احدهما الاخرى قلت ان التقليل والتكثير كانا في حالتين مختلفتين فان قيل ان الفئة الرائية هم المسلمون فانهم راوا عدد المشركين عند بداية القتال على ما هم عليه ثم قلل الله المشركين في اعين المسلمين حتى اجترؤوا عليهم فصبروا على قتالهم يدل لذلك ما قال ابن مسعود نظرنا الى المشركين فرايناهم يضعفون علينا ثم رايناهم فما رايناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وفي رواية اخرى عنه قال لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا منهم رجلا فقال لكم كنتم قال الفا وان قلنا ان الفئة الرائية هم المشركون على قول بعضهم ان الروية راجعة الى المشركين يعني راى المشركون المسلمين مثليهم فقلل الله المسلمين في اعين المشركين في اول القتال ليجترؤوا عليهم ولا ينصرفوا فلما اخذوا في القتال كثر الله المسلمين في اعين المشركين ليجبنوا فيكون ذلك سبب خذلانهم وقد روي ان المشركين لما اسروا يوم بدر قالوا للمسلمين كم كنتم قالوا كنا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا قالوا ما كنا نراكم الا تضعفون علينا فكان في وقعة بدر احوال في التكثير والتقليل وما ذلك الا لاظهار القدرة التامة وقوله تعالى **راي العين** اي في راي العين **والله يويد** اي يقوي **بنصره من يشاء ان في ذلك** يعني الذي ذكر من النصر وقيل روية الجيش مثليهم **لعبرة** اي لاية والعبرة الدلالة الموصلة الى اليقين المودية الى العلم واصلها من العبور لانه طريق يعبرونه فيوصلهم الى مرادهم وقيل العبرة هي التي يعبر بها من منزلة الجهل الى منزلة العلم **لاولي الابصار** لذوي العقول والبصائر قوله عز وجل **زين للناس** قال اهل السنة المزين هو الله تعالى لانه تعالى خالق جميع افعال العباد ولان الله تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا واباحها لعبيده واباحتها للعبد تزيين بها قال الله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال تعالى قل من حرم زينة

الله



الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها وقال تعالى فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا فكل ذلك يدل على ان المزين هو الله تعالى ومما يويد ذلك قراءة مجاهد زين بفتح الزاي على تسمية الفاعل وقال الحسن المزين هو الشيطان وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك ان الله تعالى زهد في هذه الاشيا بان اعلم عباده زوالها ولان الله تعالى اطلق حب الشهوات فيدخل فيه الشهوات المحرمة والمزين لذلك هو الشيطان ولان الله ذكر هذه الاشيا في معرض الذم للدنيا ويدل عليه اخر الاية وهو قوله تعالى والله عنده حسن الماب ونقل عن ابي علي الجبائي من المعتزلة ان ما كان حراما كان المزين له هو الشيطان وكل ما كان مباحا من ذلك كان المزين له هو الله تعالى والصحيح ما ذهب اليه اهل السنة ان الله خالق كل شي ولا شريك له في ملكه وقوله تعالى **حب الشهوات** يعني المشتهيات لان الشهوة توقان النفس الى الشي المشتهى **من النسا** انما بدا بذكر النسا لان الالتذاذ بهن اكثر والاستيناس بهن اتم ولانهن حبائل الشيطان واقرب الى الافتتان • **والبنين** انما خص البنين بالذكر لان حب الولد الذكر اكثر من حب الانثى ووجه حبه ظاهر لانه يتكثر به ويعضده ويقوم مقامه وقد جعل الله تعالى في قلب الانسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة وهي بقا التوالد ولولا تلك المحبة لما حصل ذلك **والقناطير المقنطرة** جمع قنطار وسمي قنطارا من الاحكام والعقد يقال قنطرته اذا احكمته ومنه القنطرة اي المحكمة الطاق واختلفوا في القنطار هل هو محدود او غير محدود على قولين احدهما انه محدود ثم اختلفوا في حده فروي عن معاذ بن جبل ان القنطار الف ومايتا اوقية وقال ابن عباس الف ومايتا مثقال وعنه اثنا عشر الف درهم او الف دينار دية احدكم وبه قال الحسن وقال سعيد بن جبير هو مائة الف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم ولقد جا الاسلام يوم جا وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال سعيد بن المسيب وقتادة هو ثمانون الفا وقال مجاهد وسبعون الفا وقال السدي هو اربعة الاف مثقال والقول الثاني ان القنطار ليس بمحدود وقال الربيع بن انس القنطار المال الكثير بعضه على بعض وروي عن ابي عبيدة انه حكى عن العرب ان القنطار وزن لا يحد وهو اختيار ابن جرير الطبري وغيره وقال الحاكم القنطار ما بين السما والارض من مال وقال ابو نضرة القنطار مل مسك ثور ذهبا او فضة وقال القنطار من المال ما فيه عبور الحياة تشبيها بعبور القنطرة المقنطرة اي المجموعة وقيل المضاعفة لان القناطير جمع واقله ثلاثة والمقنطرة المضاعفة فيحتمل ان يكون ستة او تسعة وقيل المقنطرة المسكوكة المنقوشة **من الذهب والفضة** انما بدا بهما من بين سائر اصناف الاموال لانهما قيم الاشيا وانما كانا محبوبين لان المالك لهما مالك قادر على ما يريده وهي صفة كمال وهي محبوبة وقيل سمي الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة لانها تنفض اي تتفرق **والخيل المسومة** الخيل جمع لا واحد له من لفظه

كالقوم والرهط سميت الافراس خيلا لاختيالها في مشيها وقيل لان الخيل لا يركبها
احد الا وجد في نفسه مخيلة يعني عجبا واختلفوا في معنى المسومة على ثلاثة اقوال
القول الاول انها الراعية يقال اسمت الدابة وسومتها اذا ارسلتها المرعى والمقصود
انها اذا رعت ازداد حسنها والقول الثاني انها من السمة وهي العلامة ثم القائلون
بهذا القول اختلفوا في تلك العلامة فقيل هي الغرة والتحجيل التي يكون في الخيل
وقيل هي الخيل البلق وقيل هي المعلمة بالكي والقول الثالث انها المضمرة الحسان وتسويمها
حسنها **والانعام** جمع نعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يقال للجنس الواحد منها نعم
الا للابل خاصة فانها غلب عليها **والحرث** يعني الزرع **ذلك** يعني ذلك الذي ذكر من
هذه الاصناف **متاع الحياة الدنيا** اي الذي يستمتع به في الحياة الدنيا وهي زايلة
فانية يشير الى ان الحياة الدنيا متاع يفنى **والله عنده حسن المآب** اي المرجع ففيه
اشارة الى التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة وقيل فيه اشارة الى من اتاه الله الدنيا
كان الواجب عليه ان يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الآخرة لانها السعادة القصوى
قوله عز وجل **قل اونبئكم** اي اخبركم **بخير من ذلكم** يعني الذي ذكر من متاع الدنيا
**للذين اتقوا** قال ابن عباس في رواية عنه يريد المهاجرين والانصار اراد ان يعرفهم
ويشوقهم الى الآخرة قال العلما ويدخل في هذا الخطاب كل من اتقى الشرك **عند
ربهم** معناه ان الله تعالى اخبر ان ما عنده خير مما كان في الدنيا وان كان محبوبا
لهم لحثهم على ترك ما يحبون لما يرجون ثم فسر ذلك الخير فقال تعالى **جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله** ق عن ابي سعيد الخدري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة
فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما
لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك
فيقولون واي شيء افضل من ذلك فيقول احل لكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا
وقيل ان العبد اذا علم ان الله قد رضي عنه كان اتم لسروره واعظم لفرحه **والله بصير
بالعباد** يعني ان الله تعالى عالم بمن يوثر ما عنده ممن يوثر شهوات الدنيا فيجازي كلا
على عمله فيثيب ويعاقب على قدر الاعمال وقيل ان الله تعالى بصير بالذين اتقوا فلذلك
اعد لهم الجنات قوله عز وجل **الذين يقولون ربنا اننا امنا** اي صدقنا **فاغفر لنا ذنوبنا**
اي استر علينا وتجاوز عنا **وقنا عذاب النار** قوله عز وجل **الصابرين** يعني على اداء الواجبات
وعن المحرمات والمنهيات وفي البأساء والضراء وحين البأس وقيل الصابرين على دينهم وما
اصابهم **والصادقين** يعني في ايمانهم وقال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت
السنتهم وقلوبهم في السر والعلانية والصدق يكون في القول والافعال والنية
فاما صدق القول فهو مجانبة الكذب والصدق في الفعل هو عدم الانصراف عنه قبل
اتمامه والصدق في النية العزم على الفعل حتى يبلغه **والقانتين** يعني المطيعين لله
وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها **والمنفقين** يعني

اموالهم

اموالهم في طاعة الله تعالى ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى اهله واقاربه وصلة
رحمه والزكاة والنفقة في جميع القربات **والمستغفرين بالاسحار** يعني المصلين بالسحر
وهو الوقت بعد ظلمة الليل الى طلوع الفجر وقيل كانوا يصلون بالليل حتى اذا كان وقت
السحر اخذوا في الدعا والاستغفار فكان هذا دابهم في ليلهم قال نافع كان ابن عمر يحيي
الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر
ويدعو حتى يصلي الصبح **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل
ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سما الدنيا حين يبقى الثلث الاخير فيقول من يدعوني
فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وفي لفظ مسلم فيقول
انا الملك انا الملك من ذا الذي يدعوني الحديث وله في رواية اخرى فيقول هل
من سايل فيعطى هل من داع فيستجاب له هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح
هذا الحديث من احاديث الصفات وللعلما فيه وفي امثاله مذهبان معروفان مذهب
السلف الايمان به واجراوه على ظاهره ونفي الكيفية عنه والمذهب الثاني هو
مذهب من يتاول احاديث الصفات قال ابو سليمان الخطابي انما ينكر هذا الحديث
من يقيس الامور على ما يشاهده من النزول الذي هو تدل من اعلى الى اسفل وانتقال
من فوق الى تحت وهذا صفة الاجسام فاما نزول من لا يستولي عليه صفات الاجسام
فان هذه المعاني غير متوهمة فيه وانما هو خبر عن قدرته ورافته بعباده وعطفه
عليهم واستجابته دعاهم ومغفرته لهم يفعل ما يشا لا يتوجه على صفاته كيفية
ولا على افعاله كمية سبحانه ليس كمثله شي وهو السميع البصير وقيل في قوله
والمستغفرين بالاسحار وصفهم الله تعالى بما وصف ثم بين انهم مع ذلك لشدة خوفهم
ووجلهم انهم يستغفرون بالاسحار وروي ان لقمان قال لابنه يا بني لا تكن اعجز
من الديك فانه يصوت بالاسحار وانت نايم على فراشك وقيل هم الذين يصلون صلاة
الصبح في جماعة فعلى هذا القول انما سميت الصلاة استغفارا لانهم طلبوا بفعلها
المغفرة قوله عز وجل **شهد الله انه لا اله الا هو** قيل في سبب نزول هذه الاية
ان حبرين من احبار الشام قدما على النبي صلى الله عليه وسلم فلما ابصرا المدينة قال احدهما
لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخرج في
اخر الزمان فلما دخلا على النبي صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقالا له انت محمد
قال نعم قالا وانت احمد قال نعم قالا فانا نسالك عن شي فان انت اخبرتنا به
امنا بك وصدقناك قال سلاني قالا فاخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله
عز وجل فانزل الله هذه الاية فاسلما الحبران وقيل ان الاية نزلت في نصارى نجران
فيما ادعوا في عيسى عليه السلام فقوله تعالى شهد الله يعني بين الله واظهر لان
معنى الشهادة تبيين واظهار وقيل معنى شهد الله حكم الله وقضى وقيل معناه
اعلم الله انه لا اله الا هو وذلك ببيان الدلايل لما امكن التوصل الى معرفة الوحدانية
فهو تعالى ارشد عباده الى معرفة توحيده بما بين من عجايب مصنوعاته وغرايب

ميند عانه سيل بعض الاعراب ما الدليل علي وجود الصانع فقال ان البعرة تدل علي البعير
وآثار القدم تدل علي المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة اما
يدلان علي وجود الصانع الخبير قال ابن عباس خلق الله تعالي الارواح قبل الاجساد
باربعة الاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة الاف سنة فشهد لنفسه
بنفسه قبل ان خلق الخلق حين كان ولم يكن سما ولا ارض ولا بر ولا بحر فقال تعالي شهد
الله انه لا اله الا هو والملايكة اي وشهد الملايكة فمعني شهادة الله الاخبار والاعلام
ومعني شهادة الملايكة والمومنين الاقرار والاعتراف بانه لا اله الا هو ولما كان كل واحد
من هذين الامرين بسبب شهادة حسن اطلاق لفظ الشهادة عليهما واولوا العلم اي
وشهد واولوا العلم انه لا اله الا هو واختلفوا في اولوا العلم فقيل هم الانبيا عليهم
السلام لانهم اعلم الخلق بالله تعالي وقيل هم علما اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم من المهاجرين
والانصار وقيل هم علما مومني اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم علما
جميع المومنين قايما بالقسط اي بالعدل نصب علي الحال او القطع او المدح ومعناه
انه تعالي قايم بتدبير خلقه كما يقال فلان قايم بامر فلان يعني انه مدبر له ومتعهد
لاسبابه وفلان قايم بحق فلان اي انه مجاز له فالله مدبر امر خلقه وقايم بارزاقهم
ومجازيهم باعمالهم لا اله الا هو انما كرره للتاكيد وقيل ان الاول وصف وتوحيد
والثاني رسم تعليم اي قولوا لا اله الا هو وقيل فايدة تكرارها الاعلام بان هذه
الكلمة اعظم الكلام واشرفه ففيه حث للعباد علي تكريرها والاشتغال بها فانه من
اشتغل بها فقد اشتغل بافضل العبادات العزيز اي الغالب الذي لا يقهر الحكيم
يعني في جميع افعاله ان الدين عند الله الاسلام يعني ان الدين المرضي عند الله هو الاسلام
كما قال تعالي ورضيت لكم الاسلام دينا وفيه رد علي اليهود والنصاري وذلك لما ادعت
اليهود انه لا دين افضل من اليهودية وادعت النصاري انه لا دين افضل من النصرانية فرد
الله عليهم ذلك فقال ان الدين عند الله الاسلام وقري ان الدين بفتح الهمزة ردا علي ان الاولي
والمعني شهد الله انه لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله الاسلام واصل الدين في اللغة
الجزا كما يقال كما تدين تدان ثم صار اسما للملة والشريعة ومعناه الانقياد للطاعة والاسلام بعد
قال الزجاج الدين اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وامرهم بالاقامة عليه والاسلام هو
الدخول في السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول في الطاعة وروي البغوي
بسنده الثعلبي عن غالب القطان قال اتيت الكوفة في تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت
اختلف اليه فلما كان ذات ليلة اردت ان انحدر الي البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه
الاية شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم قايما بالقسط لا اله الا هو
العزيز الحكيم قال الاعمش وانا اشهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي
عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا فقلت سمع فيها شيا فصليت
الصبح معه وودعته ثم قلت له اني سمعتك ترددها فما بلغك فيها قال والله لا احدثك
بها الي سنة فكتبت علي بابه ذلك اليوم واقمت سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد





قد مضت السنة فقال حدثني ابو وايل عن عبد الله قال قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم يجا بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا
احق من وفي بالعهد ادخلوا عبدي الجنة قوله عز وجل وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
قال الكلبي نزلت في اليهود والنصاري حين تركوا الاسلام والمعني وما اختلف الذين
اوتوا الكتاب في نبوة محمد صلي الله عليه وسلم الا من بعد ما جاءهم العلم يعني بيان نعته
وصفته في كتبهم وقال الربيع ان موسي عليه السلام لما حضره الموت دعي سبعين رجلا
من احبار بني اسرايل واودعهم التوراة واستخلف يوشع بن نون فلما مضي القرن
الاول والثاني والثالث وقع الفرقة والاختلاف بينهم وهم الذين اوتوا الكتاب وهم
من ابنا الملوك السبعين حتي اهرقوا الدما ووقع الشر والاختلاف وذلك بعد ما
جاءهم العلم يعني بيان ما في التوراة من الاحكام بغيا بينهم اي طلبا للملك
والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة وقيل نزلت في نصاري نجران ومعناه وما
اختلف الذين اوتوا الكتاب يعني الانجيل واختلافهم كان في امر عيسي عليه السلام
وما ادعوا فيه من الالهية الا من بعد ما جاءهم العلم يعني بان الله تعالي واحد وان
عيسي عبده ورسوله بغيا بينهم يعني المعاداة والمخالفة ومن يكفر بايات الله فان
الله سريع الحساب فيه وعيد وتهديد لمن اصر علي الكفر من اليهود والنصاري الذين
جحدوا نبوة محمد صلي الله عليه وسلم قوله عز وجل فان حاجوك اي خاصموك يا محمد في الدين
وذلك ان اليهود والنصاري قالوا لسنا علي ما سميتنا به يا محمد انما اليهودية والنصرانية
نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فامر الله عز وجل نبيه محمدا صلي الله عليه وسلم ان يحتج
عليهم بانه اتباع امر الله الذي هم مقرون به بقوله فقل اسلمت وجهي لله اي
انقدت له بقلبي ولساني وجميع جوارحي وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف جوارح
الانسان الظاهرة فاذا خضع وجهه لشي فقد خضع له سائر جوارحه وقيل اراد
بالوجه العمل اي اخلصت عملي لله وقصدت عبادتي الي الله ومن اتبعن يعني ومن
اسلم كما اسلمت انا وقل للذين اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصاري والاميين
يعني مشركي العرب ااسلمتم لفظه استفهام ومعناه امر اي اسلموا فان اسلموا
فقد اهتدوا يعني الي الفوز والنجاة في الاخرة فلما قرا رسول الله صلي الله عليه وسلم
هذه الاية قال اهل الكتاب قالوا قد اسلمنا فقال لليهود اتشهدون ان عيسي كلمة
الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسي عبدا قال الله تعالي وان
تولوا اي اعرضوا فانما عليك البلاغ يعني تبليغ الرسالة وليس لك هدايتهم واختلف
علما الناسخ والمنسوخ في الاية فذهب طايفة الي انها محكمة والمراد بها تسلية
النبي صلي الله عليه وسلم لانه كان يحرص علي ايمانهم ويتالم لتركهم الاجابة وذهب طايفة
الي انها منسوخة باية السيف لان المراد بها الاقتصار علي التبليغ وهذا منسوخ
باية السيف والله بصير بالعباد يعني انه تعالي عالم بمن يومن وبمن لا يومن قوله
عز وجل ان الذين يكفرون بايات الله يعني يجحدون القران وينكرونه

وهم اليهود والنصارى **ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون**
**بالقسط من الناس** كانت أنبياء بني إسرائيل يأتيهم الوحي ولم يكن يأتيهم كتاب فهم
كانوا ملتزمين بأحكام التوراة فكانوا يذكرون قومهم فيقتلون أنبياءهم ثم يقوم رجال
ممن آمن بهم وصدقهم فيذكرونهم ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم
أيضا فهم الذين يأمرون بالقسط يعني بالعدل من الناس روى البغوي بسند الثعلبي
عن أبي عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد عذابا يوم القيامة
قال رجل قتل نبيا أو رجل أمر بالمنكر ونهى عن المعروف ثم قرأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس
إلى أن انتهى إلى قوله وما لهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا
عبيدة قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبيا من أول النهار في ساعة واحدة
فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني إسرائيل فأمروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم
عن المنكر فقتلوهم جميعا من آخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله في
كتابه وأنزل الآية فيهم **فبشرهم بعذاب أليم** إنما دخلت الفاء في قوله فبشرهم
مع أنه خبر إن لأنه في معنى الجزاء والتقدير من كفر فبشرهم بعذاب أليم يوم القيامة
وهذا محمول على الاستعارة وهو أن إنذار الكفار بالعذاب قام مقام بشرى المحسنين
بالثواب وفي هذه الآية توبيخ لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وإن كان أسلافهم الذين قتلوا الأنبياء لأنهم رضوا بفعلهم **أولئك الذين**
**حبطت** أي بطلت **أعمالهم في الدنيا والآخرة** وبطلان العمل وهو أن لا يقبل في
الدنيا ولا يجازى عليه في الآخرة **وما لهم من ناصرين** يعني يمنعونهم من العذاب
قوله عز وجل **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب** نزلت في اليهود **يدعون**
**إلى كتاب الله** يعني القرآن وذلك أن اليهود دعوا إلى حكم القرآن فأعرضوا
عنه قال ابن عباس إن الله جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم فحكم القرآن على اليهود والنصارى أنهم على غير الهدى فأعرضوا عنه
وروي عن ابن عباس أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدارس على جماعة
من اليهود فدعاهم إلى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي
دين أنت يا محمد فقال على ملة إبراهيم قالا إن إبراهيم كان يهوديا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هلموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه فأنزل الله هذه الآية
فعلى هذا القول يكون المراد بكتاب الله التوراة وروي عنه أيضا أن رجلا
وامرأة من أهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم
فرفعوا أمرهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا أن تكون عنده رخصة فحكم
عليهما بالرجم فقال النعمان بن أوفى وبحري بن عمرو جرت عليهما يا محمد وليس عليهما
الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة فقالوا قد أنصفت
فقال من أعلمكم بالتوراة فقالوا رجل أعور يقال له عبد الله بن صوريا يسكن

فدك



فدك فأرسلوا إليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا قال نعم قال أنت أعلم اليهود بالتوراة
قال كذلك يزعمون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة وقال له اقرأ فقرأ
فلما أتى على آية الرجم وضع يده عليها وقرأ ما بعدها فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله
قد جاوزها ثم قام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
اليهود وفيها أن المحصن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وإن كانت
المرأة حبلى تربص بها حتى تضع ما في بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين
فرجما فغضبت اليهود لذلك فأنزل الله عز وجل ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من
الكتاب يعني علمهم الذي علموه من التوراة يدعون إلى كتاب الله يعني القرآن أو
التوراة على اختلاف الروايتين **ليحكم بينهم** أي ليقضي بينهم وإسناد الحكم إلى الكتاب
هو على سبيل المجاز **ثم يتولى فريق منهم** يعني الرؤساء والعلماء **وهم معرضون** يعني
عن الحق وقيل الذين تولوا هم العلماء والذين أعرضوا هم الأتباع **ذلك بأنهم** يعني
ذلك التولي والإعراض إنما حصل بسبب أنهم **قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات**
تقدم تفسيره في سورة البقرة **وغرهم** أي وأطمعهم **في دينهم ما كانوا يفترون** أي يختلقون
ويكذبون قيل هو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل هو قولهم لن تمسنا النار إلا
أياما معدودات وقيل غرهم هو قولهم نحن على الحق وأنتم على الباطل **فكيف إذا**
**جمعناهم** أي فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم **ليوم** أي في يوم **لا ريب فيه ووفيت** **كل نفس ما كسبت**
أي لا شك فيه أنه كائن وواقع وهو يوم القيامة وفيه تهديد لهم واستعظام لما أعد
لهم في ذلك اليوم وأنهم يقعون فيما لا حيلة لهم فيه وإنما حدثوا به أنفسهم وسهلوه
عليها تعلل بباطل وطمع فيما لا يكون ولا يحصل لهم قيل إن أول راية ترفع لأهل الموقف
من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم على رؤوس الأشهاد ثم يؤمر بهم إلى النار **وهم**
**لا يظلمون قل اللهم مالك الملك** قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم
سأل ربه عز وجل أن يجعل ملك فارس والروم في أمته فأنزل الله هذه الآية وقال ابن
عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ووعد أمته ملك فارس والروم فقال
المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم وهم أعز وأمنع
من ذلك ألم يكف محمدا مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم فأنزل الله هذه
الآية وقيل إن اليهود قالوا والله لا نطيع رجلا جاء ينقل النبوة من بني إسرائيل إلى غيرهم
فنزلت هذه الآية قل اللهم معناه يا الله فلما حذف حرف النداء زيد الميم في آخره وقيل
إن الميم فيه معنى آخر وهو يا الله أمنا بخير أي اقصدنا مالك الملك أي مالك العباد
وما ملكوا وقيل مالك ملك السموات والأرض وقيل معناه بيده الملك يؤتيه من يشاء
وقيل معناه مالك الملوك ووارثهم يوم لا يدعي الملك أحد غيره وفي بعض كتب الله
المنزلة أنا الله مالك الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد
أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن هم عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب

الملوك ولكن نوبوا اليها اعطيتم عليكم وقيل الملك هو القدرة والمالك هو القادر والمعنى انه تعالى قادر على كل شي ومالك على كل مالك ومملوك وقادر على كل مقدور وقيل معناه مالك الملك اي جنس الملك يتصرف فيه كيف يشا **تؤتي الملك من تشا** يعني النبوة لانها اعظم مراتب الملك وذلك لان النبي له الامر على بواطن الخلق وظواهرهم والملك ليس له الامر الا على ظواهر بعض الخلق وهو من يطيعه منهم وطاعة النبي واجبة على الكافة **وتنزع الملك ممن تشا** يعني بذلك نزع النبوة من بني اسرايل واتيانها محمدا صلى الله عليه وسلم فانه لا نبي بعده ولم يشركه في نبوته ورسالته احد وقيل تؤتي الملك من تشا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه وتنزع الملك ممن تشا يعني فارس والروم من ابي جهل وصناديد قريش وقيل تؤتي الملك من تشا يعني العرب وتنزع الملك ممن تشا محمدا صلى الله عليه وسلم وتنزع الملك ممن تشا يعني فارس والروم وقيل تؤتي الملك من تشا يعني ادم وذريته وتنزع الملك ممن تشا يعني ابليس وجنوده الذين كانوا في الارض قبل ادم **وتعز من تشا** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة **وتذل من تشا** يعني اليهود بالجزية منهم ونزع النبوة وقيل تعز المهاجرين والانصار وتذل فارس والروم وقيل تعز من تشا يعني محمدا واصحابه دخلوا مكة في عشرة الاف ظاهرين عليها وتذل من تشا يعني ابا جهل واصحابه حتى قتلوا والقوا في قليب بدر يوم بدر وقيل تعز من تشا بالطاعة وتذل من تشا بالمعصية وقيل تعز من تشا بالغنا وتذل من تشا بالفقر وقيل تعز من تشا بالقناعة والرضى وتذل من تشا بالحرص والطمع **بيدك الخير** يعني النصر والغنيمة وقيل الالف واللام تفيد العموم والمعنى بيدك كل الخيرات فان قلت كيف قال بيدك الخير دون الشر قلت لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الله تعالى الى عباده المومنين وهو الذي انكرته اليهود والمنافقون فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم اعدايك وقيل ان قوله بيدك الخير لا ينافي ان يكون بيده غيره فيكون المعنى بيدك الخير وبيدك ما سواه الا انه خص الخير بالذكر لانه المنتفع به والمرغوب **انك على كل شي قدير** يعني من ايتا الملك من تشا واعزاز من تشا واذلال من تشا قوله تعالى **تولج الليل في النهار** الاية لما ذكر الله تعالى انه مالك الملك اردفه بذكر قدرته الباهرة في حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال اخراج الحي من الميت ثم عطف عليه انه يرزق من يشا بغير حساب وفي ذلك دلالة على انه من قدر على تلك الافعال العظيمة لذوي الافهام والعقول قادر ان ينزع الملك من فارس والروم واليهود ويذلهم ويوتيه العرب ويعزهم فقوله تعالى تولج الليل في النهار يعني تدخل الليل في النهار وهو ان تجعل الليل قصيرا وما نقص منه زايدا في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة وذلك غاية طول النهار ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل **وتولج النهار في الليل** حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة وذلك غاية طوله ويكون النهار تسع ساعات وذلك غاية قصره وقيل المراد انه تعالى ياتي بسواد الليل عقيب ضوء النهار وبضوء النهار بعد ظلمة الليل والقول الاول اصح واقرب





الى معنى الاية لانه اذا انقص الليل كان ذلك القدر زيادة في النهار وبالعكس وهو معنى الولوج **وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي** وهو انه تعالى يخرج الانسان الحي من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة من الانسان ويخرج الفرخ وهو حي من البيضة وهي ميتة وبالعكس وكذلك ساير الحيوان وقيل يخرج النبات الغض الاخضر من الحب اليابس ويخرج النخلة من النواة وبالعكس وقيل انه تعالى يخرج المومن من الكافر والكافر من المومن لان المومن حي الفواد والكافر ميتة **وترزق من تشا بغير حساب** من غير تضييق ولا تقتير بل تبسط الرزق لمن تشا وتوسعه عليه قوله عز وجل **لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا من دون المومنين** قال ابن عباس كان الحجاج بن عمرو بن ابي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاوليك النفر اجتنبوا هولا اليهود لا يفتنونكم عن دينكم فابى اوليك النفر الا مباطنتهم فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وغيره ممن كان يظهر المودة لكفار مكة وقيل نزلت في عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون المشركين واليهود ويانونهم بالاخبار ويرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية ونهى المومنين عن مثل ذلك وقيل ان عبادة بن الصامت كان له حلفا من اليهود فقال يوم الاحزاب يا رسول الله ان معي خمسماية من اليهود وقد رايت ان استظهر بهم على العدو فنزلت هذه الاية فقوله لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا من دون المومنين يعني انصارا واعوانا من دون المومنين يعني من غير المومنين والمعنى لا يجعل المومن ولايته لمن هو غير مومن نهى الله المومنين ان يوالوا الكفار ويلاطفوهم لقرابة بينهم او محبة او معاشرة والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم واصل من اصول الايمان **ومن يفعل ذلك** يعني من موالاة الكفار من نقل الاخبار اليهم واظهار عورة المسلمين او يودهم ويحبهم **فليس من الله في شي** اي فليس من دين الله في شي وقيل معناه فليس في ولاية الله في شي وهذا امر معقول من ولاية المولى معاداة اعدايه وموالاة الله وموالاة الكفار ضدان لا يجتمعان **الا ان تتقوا منهم تقاة** الا ان تخافوا منهم مخافة ومعنى الاية ان الله نهى المومنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين او يكون المومن في قوم كفار فيداهنهم بلسانه مطمين بالايمان دفعا عن نفسه من غير ان يستحل دما حراما ومالا حراما وغير ذلك من المحرمات او يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية لا تكون الا مع خوف القتل مع سلامة النية قال الله تعالى الا من اكره وقلبه مطمين بالايمان ثم هذه التقية رخصة فلو صبر على اظهار ايمانه حتى قتل كان له بذلك اجر عظيم وانكر قوم التقية اليوم وانما كانت التقية في جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام والمسلمين فليس لاهل الاسلام ان يتقوا من عدوهم قال يحيى البكا قلت لسعيد بن جبير في ايام الحجاج ان الحسن يقول التقية باللسان والقلب مطمين بالايمان فقال سعيد ليس في الايمان تقية انما التقية في الحرب وقيل انما تجوز التقية لصون النفس عن الضرر لان دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان **ويحذركم الله نفسه**

اي ويخوفكم الله ان تعصوه بان ترتكبوا المنهي او تخالفوا المامور او توالوا الكفار فتستحقوا
عقابه على ذلك كله والى الله المصير يعني ان الله يحذركم عقابه اذا صرتم اليه في الاخرة قوله
عز وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم يعني ما في قلوبكم من موالاة يعني تبدوا واصورة الكفار قولا وفعلا
وقيل معناه ان تخفوا ما في قلوبكم من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او تبدوه اي
تظهروه بالحرب والمقاتلة له يعلمه الله اي يحفظه عليكم ويجازيكم به ويعلم ما في
السموات وما في الارض يعني انه تعالى اذا كان لا يخفى عليه شيء في السموات ولا في الارض
فكيف يخفى عليه حالكم وموالاتكم الكفار وميلكم اليهم بقلوبكم والله على كل شيء قدير يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يعني تجد كل نفس جزاء ما عملت محضرا يوم القيامة
لم ينقص ولم يبخس منه شيء وما عملت من سوء اي تجد ما عملت من الخير محضرا فتسر به
وما عملت من سوء تود اي تتمنى لو ان بينها وبينه اي وبين ما عملت من السوء امدا
بعيدا اي مكانا بعيدا وقيل كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية وقيل معناه
تود انها لم تعمله ويكون بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه انما كرره للتاكيد
الوعيد والله رءوف بالعباد قيل معناه انه رءوف بهم حيث حذرهم نفسه وعرفهم كمال
قدرته وعلمه وانه يمهل ولا يهمل وقيل معناه انه رءوف بالعباد حيث امهلهم للتوبة
وللتدارك العمل الصالح وقيل انه تعالى لما قال ويحذركم الله نفسه وهو وعيد اتبعه
بقوله والله رءوف بالعباد وهو وعد ليعلم العبد المؤمن ان رحمته ووعده غلبت وعيده وسخطه
قوله عز وجل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا
نحن ابناء الله واحباؤه فنزلت هذه الاية فعرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فلم
يقبلوها فقال ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام
وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف وهم يسجدون
لها فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم واسماعيل فقال قريش
انما نعبدها حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فنزلت هذه الاية وقيل ان نصارى نجران
قالوا انما نقول هذا القول في عيسى حبا لله وتعظيما له فانزل الله قل يا محمد ان كنتم تحبون
الله فيما تزعمون فاتبعوني يحببكم الله لانه قد ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدليل
القاطع والمعجزات الباهرة فوجب على كافة الخلق متابعته والمعنى قل ان كنتم صادقين
في دعوى محبة الله فكونوا منقادين لاوامره ومطيعين له فاتبعوني فان اتباعي من محبة الله
تعالى وطاعته وقال العلماء ان محبة العبد عبارة عن اعظامه واجلاله وايثار طاعته واتباع
امره ومجانبة نهيه ومحبة الله للعبد ثناؤه عليه ورضاه عنه وثوابه له وعفوه عنه قوله
تعالى ويغفر لكم ذنوبكم يعني من غفر له ازال عنه العذاب والله غفور رحيم يعني
انه تعالى يغفر ذنوب من احبه ويرحمه بفضله وكرمه ولما نزلت هذه الاية قال عبد الله بن ابي
ابن سلول لاصحابه المنافقين ان محمدا يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احبت
النصارى عيسى بن مريم فانزل الله عز وجل قل اطيعوا الله والرسول يعني ان طاعة
الله متعلقة بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان طاعته لا تتم مع عصيان رسول الله

صلى الله



صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعي رضي الله عنه قال كل امر ونهي ثبت عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجري ذلك في الفرضية واللزوم مجرى ما امر الله به في كتابه ونهى عنه وقال ابن عباس
فان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعة لي فاما ان تطيعوني وتعصوا محمدا فلن اقبل منكم فان تولوا
اي اعرضوا عن طاعة الله ورسوله فان الله لا يحب الكافرين اي لا يرضى فعلهم ولا
يغفر لهم خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى
قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى ق وعنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد
اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني ان الله اصطفى ادم ونوحا قال ابن عباس قالت اليهود
نحن من ابناء ابراهيم واسحاق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله هذه الاية والمعنى ان الله
اصطفى هؤلاء بالاسلام وانتم يا معشر اليهود على غير دين الاسلام ومعنى اصطفى اختار من الصفوة
وهي الخالص من كل شيء ادم هو ابو البشر ادم عليه السلام ونوح هو نوح بن لامك بن متوشلخ
ابن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام وحكى ابن الجوزي في تفسيره عن ابي سليمان الدمشقي
ان اسم نوح السكن وانما سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه وآل ابراهيم قيل اراد بآل
ابراهيم ابراهيم نفسه وقيل آل ابراهيم اسماعيل واسحاق ويعقوب وذلك ان الله تعالى جعل
ابراهيم اصلا لشعبتين فجعل ابراهيم اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام اصلا للعرب ومحمد
صلى الله عليه وسلم منهم فهو داخل في الاصطفاء وجعل اسحاق اصلا لبني اسرايل وجعل فيهم
النبوة والملك الى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم جعل له ولامته النبوة والملك الى
يوم القيامة وقيل اراد بآل ابراهيم من كان على دينه وآل عمران واختلفوا في عمران
هذا فقيل هو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وهو والد موسى وهارون
وقيل هو عمران بن اشيم بن امون وقيل ابن ماثان وهو من ولد سليمان بن داود
عليهما السلام وعمران هذا هو والد مريم وابنها عيسى فعلى هذا يكون المراد بآل عمران
مريم وابنها عيسى عليهما السلام وانما خص هؤلاء بالذكر لان الانبياء والرسل من نسلهم
على العالمين اي اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم من النبوة والرسالة ذرية
اي اصطفاهم ذرية واصلها من ذرا بمعنى خلق وقيل من الذر لان الله استخرجهم من ظهر ادم
كالذر وانما سمي الاباء والابناء ذرية لان الله تعالى خلق بعضهم من بعض فالابناء من ذرية
الاباء والاباء من ذرية ادم وهو من ذراه الله تعالى اي خلقه بعضها من بعض اي بعضها
من ولد بعض وقيل بعضها من بعض في التناصر والتعاضد وقيل بعضها على دين بعض
والله سميع عليم يعني ان الله تعالى سميع باقوال العباد عليم بنياتهم وانما يصطفي
لنبوته ورسالته من يعلم استقامته قولا وفعلا قوله عز وجل اذ قالت امرات عمران
حنة بنت فاقوذ ام مريم وعمران هو ابن ماثان وقيل ابن اشيم وقيل ليس بعمران
ابو موسى لان بينهما الف وثمانماية سنة فكان بنو ماثان رءوس بني اسرايل في ذلك الزمن
واحبارهم وملوكهم رب اني نذرت لك ما في بطني محررا اي جعلت الحمل الذي في بطني
نذرا محررا مني لك والنذر ما يوجبه الانسان على نفسه والمعنى محررا اي عتيقا

خالصا مفرغا لعبادة الله وخدمة الكنيسة لا اشغله بشيء من امور الدنيا فقيل كان
المحرر عندهم اذا حرر جعل في الكنيسة فيقيم عليها ويخدمها ولا يبرح مقيما فيها حتى
يبلغ الحلم ثم يخير فان احب اقام فيها وان احب ذهب حيث شا فان اختار الخروج بعد
ان اختار الاقامة في الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن احد من بني اسرايل ومن علمايهم
الا ومن اولاده محرر لخدمة بيت المقدس ولم يكن الا الغلمان ولا تصلح الجارية لخدمة
بيت المقدس لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت ام مريم ما في بطنها وكانت القصة في ذلك
على ما ذكره اصحاب السير والاخبار ان زكريا وعمران تزوجا اختين فكانت اشاع بنت فاقود
وهي ام يحيى عند زكريا وكانت حنة بنت فاقود اخت اشاع عند عمران وهي ام مريم وكان
قد امسك عن حنة الولد حتى اسنت وكبرت وكانوا اهل بيت صالحين وهم من الله بمكان
فبينما هي في ظل شجرة اذ بصرت بطاير يطعم فرخا فتحركت نفسها بذلك للولد فدعت الله
ان يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون
من سدنته وخدمه فلما حملت بمريم حررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها زوجها
ويحك ما صنعت ارايت ان كان ما في بطنك انثى فلا تصلح لذلك فوقعا جميعا في هم شديد
من اجل ذلك فمات عمران قبل ان تضع حنة حملها ثم قال تعالى حاكيا عنها **فتقبل مني**
يعني فتقبل نذري والتقبل اخذ الشيء على الرضى واصله من المقابلة لانه يقابل بالجزا
وهذا سوال من لا يريد بما فعله الا الطلب لرضى الله تعالى والاخلاص في دعايه وعبادته
**انك انت السميع** يعني لتضرعي ودعايي **العليم** يعني بنيتي وما في ضميري
قوله عز وجل **فلما وضعتها** اي ولدتها وانما قال وضعتها لانه كان في علم الله انها
جارية وكانت حنة ترجو ان يكون غلاما **قالت** يعني حنة **رب اني وضعتها انثى** تريد
بذلك اعتذارا الى الله من اطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لا
على سبيل الاعلام لان الله تعالى عالم بما في بطنها قبل ان تضعه **والله اعلم بما وضعت**
قرئ بجزم التا اخبارا عن الله تعالى والمعنى انه تعالى قال والله اعلم بالشيء الذي وضعت
وقرئ وضعت برفع التا وهو من كلام ام مريم على تقدير انها لما قالت رب اني وضعتها
انثى خافت ان تكون [illegible] الله في ذلك فقالت هذه الكلمة بقولها والله اعلم بما وضعت
**وليس الذكر كالانثى** يعني في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وفي الكلام تقديم
وتاخير تقديره وليس الانثى كالذكر والمراد منه تفضيل الذكر على الانثى لان الذكر
يصلح لخدمة الكنيسة ولا تصلح الانثى لذلك لضعفها ولما يحصل لها من الحيض ولانها
عورة ولا يجوز لها الحضور مع الرجال وقيل في معنى الاية ان المراد منها هو تفضيل هذه
الانثى على الذكر كانها قالت كان الذكر مطلوبي لخدمة المسجد وهذه الانثى هي موهبة
لله تعالى وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي هي موهبة لله تعالى وكانت مريم اجمل
الناس وافضلهم في وقتها **واني سميتها مريم** يعني العابدة والخادمة وهو بلغتهم وارادت
بذلك التسمية ان يفضلها الله على اناث الدنيا **واني اعيذها بك وذريتها** اي امنعها
واجيرها بك وذريتها **من الشيطان الرجيم** يعني اللعين الطريد وذلك ان حنة ام مريم لما





فانها ما كانت تطلب من ان يكون ولدها ذكرا فاذا هي انثى تضرعت الى الله تعالى ان
يحفظها ويعصمها من الشيطان الرجيم وان يجعلها من الصالحات العابدات ق وعن ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من بني ادم من مولود الا نخسه الشيطان
حين يولد فيستهل صارخا من نخسه اياه الا مريم وابنها ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان
شيتم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وللبخاري عنه قال كل ابن ادم
يطعن الشيطان في جنبيه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن
في الحجاب قوله عز وجل **فتقبلها ربها بقبول حسن** يعني ان الله تعالى تقبل مريم من حنة
مكان الذكر المحرر بمعنى قبل ورضي قال الزجاج الاصل في العربية تقبلها بتقبل
ولكن لا قبول محمول على قبلها قبولا كما يقال قبلت الشيء قبولا ويجوز قبولا اذا
رضيته وقال ابو عمرو وليس في المصادر فعول بفتح الفا الا هذا ولم اسمع فيه الضم
وقيل معنى التقبل والقبول واحد وهما سواء وهو ان يرى الشيء وياخذه وقيل
معنى التقبل التكفل في التربية والقيام بشانها وانما قال بقبول الجمع بين الامرين
يعني التقبل الذي بمعنى التكفل والقبول الذي هو بمعنى الرضا **وانبتها نباتا حسنا**
معناه وانبتها فنبتت هي نباتا حسنا قال ابن عباس في قوله تعالى فتقبلها
ربها بقبول حسن اي سلك بها طريق السعدا وانبتها نباتا حسنا يعني سوى خلقها
من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام **وكفلها**
**زكريا** قال اهل الاخبار لما ولدت حنة مريم اخذتها فلفتها في خرقة وحملتها الى
المسجد ووضعتها عند الاحبار ابنا هارون وهم يومئذ يلون بيت المقدس ما يلي
الحجبة من الكعبة وقالت دونكم النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت
امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا احق بها لان خالتها عندي فقالت له
الاحبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون
عند من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا الى نهر جار قيل هو
الاردن فالقوا اقلامهم في الما على ان من ثبت قلمه في الما وصعد فهو اولى بها من غيره
فكان على كل قلم مكتوبا اسم كل واحد منهم وقيل بل كانوا يكتبون التوراة فالقوا
اقلامهم التي كانت بايديهم فارتفع قلم زكريا فوق الما ووقف وانحدرت اقلامهم
ثم رسبت الى النهر وجرى قلم زكريا مصعدا الى اعلى وجرت اقلامهم مع جري الما الى
اسفل فسهمهم زكريا وقرعهم وكان زكريا راس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى
وكفلها زكريا قرئ بتشديد الفا ومعناه وضمنها الله زكريا وضمها اليه بالقرعة
وقرئ بتخفيف الفا ومعناه وضمها زكريا الى نفسه بالقرعة وقام بامرها وهو زكريا
بن ادن بن مسلم بن صدوق من اولاد سليمان بن داود عليهما السلام فلما ضم زكريا
مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها المراضع وقيل ضمها الى خالتها ام يحيى
حتى اذا شبت وبلغت مبالغ النسا بنى لها محرابا في المسجد وجعل بابه في وسطه
ولا يرقى اليه الا بسلم ولا يصعد اليها غيره وكان ياتيها بطعامها وشرابها كل يوم فذلك

قوله تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب يعني الغرفة والمحراب اشرف المجالس ومقدمها
من ذلك المسجد وقيل المحراب ما يرتقى اليه بدرج وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة ابواب
فاذا دخل عليها وجد عندها رزقا يعني فاكهة من غير وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتا
في الصيف وفاكهة الصيف في الشتا قال يعني زكريا يا مريم انى لك هذا اي من اين لك هذه
الفاكهة قالت يعني مريم مجيبة لزكريا هو من عند الله يعني من الجنة وقيل ان
مريم من حين ولدت لم تلقم ثديا بل كان ياتيها رزقها من الجنة فيقول زكريا يا مريم
انى لك هذا قالت هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة في المهد كما تكلم ولدها عيسى عليه
السلام وهو صغير في المهد وقال محمد بن اسحاق اصابت بني اسرايل ازمة وهي على
ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج على بني اسرايل فقال يا بني
اسرايل تعلمون والله لقد كبرت يعني وضعفت عن حمل بنت عمران فايكم يكفلها بعدي
فقالوا والله لقد جهدنا واصابنا من السنة ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لم يجدوا
من حملها بدا فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم لرجل نجار يقال له يوسف بن يعقوب
وكان ابن عم لمريم فعرفت مريم في وجهه شدة ذلك عليه فقالت له يا يوسف احسن بالله
الظن فان الله سيرزقنا فصار يوسف يرزق بمكانها منه فكان ياتيها كل يوم من كسبه
بما يصلحها فاذا ادخله عليها في المحراب انماه الله وزاده فيدخل زكريا عليها فيقول يا مريم
انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشا بغير حساب وهذا يحتمل ان
يكون من تمام كلام مريم او ابتدا كلام الله عز وجل ومعناه ان الله تعالى يرزق من يشا
بغير تقدير لكثرته او من غير سبب وفي هذه الاية دليل على جواز كرامات الاوليا وظهور
خوارق العادات على ايديهم قال اهل الاخبار فلما راى زكريا ذلك قال ان الذي قدر على ان ياتي
مريم بالفاكهة في غير وقتها وجنيها من غير سبب لقادر ان يصلح زوجي ويهب لي ولدا
في غير حينه مع الكبر وطمع في الولد وذلك ان اهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان زكريا
قد كبر وشاخ وايس من الولد فذلك قوله عز وجل هنالك دعا زكريا ربه
يعني انه عليه السلام دخل محرابه واغلق الابواب وسال ربه الولد قال رب هب لي
من لدنك ذرية طيبة يعني انه قال يا رب اعطني من عندك ولدا مباركا تقيا صالحا
رضيا والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد بها هنا الواحد
وانما قال طيبة لتانيث لفظ الذرية انك سميع الدعا اي سامعه ومجيبه
قوله عز وجل فنادته الملايكة يعني جبريل عليه السلام وانما اخبر عنه بلفظ
الجمع تعظيما لشانه ولانه رييس الملايكة وقل ان يبعث الا ومعه جمع من الملايكة
يجري ذلك على مجرى العادة وهو قايم يصلي في المحراب اي في المسجد وذلك ان زكريا
عليه السلام كان الحبر الكبير الذي يقرب القربان ويفتح لهم الباب فلا يدخلون
حتى يوذن لهم في الدخول فبينما هو قايم يصلي في محرابه عند المذبح والناس ينتظرون
ان ياذن في الدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بياض ففزع زكريا منه فناداه
جبريل عليه السلام يا زكريا ان الله يبشرك بيحيى اي بولد اسمه يحيى قال

ابن عباس



ابن عباس سمي يحيى لان الله تعالى احيى به عقر امه وقيل لان الله تعالى احيى قلبه بالايمان وقيل
لان الله تعالى احياه بالطاعة حتى لم يهم بمعصية قط مصدقا بكلمة من الله يعني عيسى
ابن مريم وانما سمي عيسى عليه السلام كلمة لان الله تعالى قال له كن فكان من غير اب دلالة
على كمال القدرة فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمي كلمة لان عيسى عليه السلام
كان يرشد الخلق الى الحقايق والاسرار الالهية ويهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى
فسمي كلمة بهذا الاعتبار وقيل سمي كلمة لان الله تعالى بشر به مريم على لسان جبريل
وقيل لان الله تعالى اخبر الانبيا الذين قبله في كتبه المنزلة عليهم انه يخلق نبيا من غير
واسطة اب فلما جا قيل هذا هو تلك الكلمة يعني الوعد الذي وعد انه يخلقه كذلك وكان
يحيى اول من امن بعيسى وصدقه وكان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر وكانا ابني خالة
وقتل يحيى قبل ان يرفع عيسى عليهما السلام وقيل ان ام يحيى لقيت ام عيسى وهما حاملتان
فقالت ام يحيى لام عيسى يا مريم اشعرت اني حامل فقالت مريم وانا ايضا حامل فقالت
ام يحيى يا مريم اني لاجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من
الله يعني ان يحيى امن بعيسى وصدق به وسيدا من ساد يسود والسيد هو
الرييس الذي يتبع وينتهى الى قوله وكان يحيى عليه السلام سيد المومنين ورييسهم
في الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل الذي يطيع ربه وقيل هو
الفقيه العالم وقيل سيدا في العلم والعبادة والورع وقيل السيد الحليم الذي لا
يغضبه شي وقيل السيد هو الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير وقيل هو السخي
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني سلمة قالوا الجد بن قيس على انا نبخله
قال واي دا ادوى من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح وحصورا قال ابن عباس وعطا
من المفسرين الحصور الذي لا ياتي النسا ولا يقربهن فعلى هذا هو فعول بمعنى فاعل
يعني انه حصر نفسه عن الشهوات واصله من الحصر وهو الحبس وقيل هو العنين وقيل هو
الفقير الذي لا مال له فيكون الحصور بمعنى المحصور يعني الممنوع من النسا قال
سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليغض بصره وفيه
قول اخر وهو ان الحصور هو الممتنع عن الوطي مع القدرة عليه وانما تركه للعفة والزهد
فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين وهو لا يليق بمنصب الانبيا
لان الكلام انما خرج مخرج المدح والثنا وذكر صفة النقص في معرض المدح لا يجوز
وايضا فان منصب النبوة يجل من ان يضاف الى احد منهم نقص او افة فحمل الكلام على
منع النفس عن الوطي مع القدرة عليه اولى من حمله على ترك الوطي مع العجز عنه ونبيا
من الصالحين يعني انه من اولاد الانبيا الصالحين قوله عز وجل قال يعني زكريا
رب اي يا ربي قيل هو خطاب مع جبريل لان الاية المتقدمة دلت على ان الذين نادوه
هم الملايكة فعلى هذا القول يكون الرب هنا بمعنى السيد والمربي اي يا سيدي وقيل
انه خطاب مع الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك ان الملايكة لما بشروه بالولد
تعجب ورجع في ازالة ذلك التعجب الى الله تعالى فقال رب انى يكون لي غلام يعني من اين

وكيف يكون لي غلام وقد بلغني الكبر قيل هو من المقلوب ومعناه وقد بلغت الكبر وشخت
وقيل معناه وقد نالني الكبر وادركني الضعف فان قلت كيف انكر زكريا الولد مع
تبشير الملائكة اياه به وما معنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك بعد وعد الله اياه به
ان كان شاكا في وعد الله او في قدرته وانما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام
والمعنى من اي جهة يكون لي الولد ايكون بازالة العقر عن زوجتي ورد شبابي علي او
يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف فاجابه بقوله كذلك الله يفعل ما يشا وقال
عكرمة والسدي لما سمع زكريا ندا الملائكة جاءه الشيطان وقال يا زكريا ان الصوت
الذي سمعت ليس هو من الله تعالى وانما هو من الشيطان ولو كان من الله تعالى لاوحاه
اليك كما يوحي اليك في ساير الامور فقال ذلك زكريا دفعا للوسوسة واعترض على
الجواب بانه لا يجوز ان يشتبه على الانبيا كلام الملائكة بكلام الشيطان اذ لو جوزنا
ذلك لارتفع الوثوق باخبارهم عن الوحي السماوي واجيب عن هذا الاعتراض بانه لما
دلت الدلايل على صدق الانبيا فيما يخبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل
للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق بالدين والشرايع فاما ما يتعلق بمصالح الدنيا والولد
فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة فسال زكريا ذلك لتزول عنه الوسوسة من خاطره
قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين
سنة وقال ابن عباس في رواية الضحاك كان ابن ماية وعشرين سنة وكانت امراته
بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى وامراتي عاقر اي عقيم لا تلد قال
كذلك الله يفعل ما يشا يعني انه تعالى قادر على هبة الولد على الكبر يفعل ما يشا
لا يعجزه شي قوله عز وجل قال يعني زكريا رب اجعل لي اية اي علامة اعلم بها وقت
حمل امراتي فازيد في العبادة والشكر لك قال ايتك اي علامتك على الذي طلبت
معرفة علمه ان لا تكلم الناس اي لا تقدر على تكليم الناس ثلاثة ايام اي مدة
ثلاثة ايام بلياليها قال جمهور المفسرين عقد لسانه عن تكليم الناس ثلاثة ايام مع
ابقايه على قدرة التسبيح والذكر ولذلك قال في اخر الاية واذكر ربك كثيرا وسبح
بالعشي والابكار يعني في ايام منعك من تكليم الناس وهذه من الايات الباهرة والمعجزات
الظاهرة لان قدرته على التسبيح والذكر مع عجزه عن تكليم الناس بامور الدنيا وذلك
مع صحة الجسم وسلامة الجوارح من اعظم المعجزات وانما منع من الكلام مع الناس ليخلص
في هذه الايام لعبادة الله تعالى وذكره ولا يشتغل لسانه بشي اخر توفيرا منه على قضا
حق هذه النعمة الجسيمة ويشكر الله على اجابته فيما طلب لاية من اجله وان يكون ذلك دليلا
على وجود الحمل ليتم سروره بذلك وقال قتادة انما امسك لسانه عن الكلام عقوبة
لسواله الاية بعد مشافهة الملائكة اياه ببشارة فلم يقدر على الكلام ثلاثة ايام
الا رمزا يعني الا اشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين وبالايما بالراس وكانت
اشارته بالاصبع المسبحة وقيل الرمز قد يكون باللسان من غير تبيين كلام وهو الصوت
الخفي شبه الهمس وقيل اراد به صوم ثلاثة ايام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والقول

الاول

الاول اصح لموافقة اهل اللغة عليه واذكر ربك كثيرا وذلك لما منعه الله من الكلام
في تلك المدة امره بالذكر فقال واذكر ربك كثيرا فانك لا تمنع من ذلك ولا يحال بينك
وبينه وسبح اي وعظم ربك ونزهه عن النقايص وقيل وصل لربك وسميت الصلوات
سبحة لان فيها تنزيها للرب سبحانه وتعالى بالعشي والابكار فاما العشي فهو ما
بين زوال الشمس الى غروبها ومنه سمي صلاة الظهر والعصر صلاة العشا والابكار
هو ما بين طلوع الفجر الى الضحى قوله تعالى واذ قالت الملائكة يعني جبريل عليه السلام
يا مريم ان الله اصطفاك اي اختارك وطهرك يعني من مسيس الرجال وقيل من
الحيض والنفاس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب واصطفاك اي واختارك
على نسا العالمين اي على عالمي زمانها وقيل على جميع نسا العالمين فان قلت هل
فرق بين الاصطفا الاول والثاني قلت ذكر العلما في معناهما وجوها يحصل منها
الفرق فقيل في معنى الاصطفا الاول ان الله تعالى اختار مريم وقبلها منذورة محررة
ولم يحرر قبلها انثى ولم يجعل ذلك لغيرها من النسا وان الله بعث اليها رزقها من عنده
وكفلها زكريا ومعنى الاصطفا الثاني ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير اب واسمعها
كلام الملايكة ولم يحصل ذلك لغيرها من النسا ق عن علي بن ابي طالب قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول خير نسايها مريم بنت عمران وخير نسايها خديجة بنت خويلد
قال ابو كريب واشار وكيع الى السما والارض فكان اراد وكيع بهذه الاشارة تفسير
الضمير في قوله خير نسايها ومعناه انهما خير كل نسا بين السما والارض قال الشيخ محيي
الدين النواوي والاظهر ان معناه ان كل واحدة منهما خير نسا الارض في عصرها واما
التفضيل بينهما فمسكوت عنه ق عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النسا الا مريم بنت عمران واسية امراة فرعون
وفضل عايشة على النسا كفضل الثريد على ساير الطعام قال العلما معناه ان
الثريد من كل طعام افضل من مرقه بلا ثريد وثريد ما لا لحم فيه افضل من مرق من
غير ثريد وفضل عايشة على النسا كزيادة فضل الثريد على غيره وليس في هذا تصريح
في تفضيلها على نسا هذه الامة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك
من نسا العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية امراة
فرعون اخرجه الترمذي قوله عز وجل يا مريم اقنتي لربك اي قالت الملائكة لها
شفاها اطيعي ربك وقيل معناه اطيلي القيام في الصلاة لربك قال الاوزاعي لما قالت
الملائكة لها ذلك قامت حتى تورمت قدماها وسالت دما وقيحا وحكي عن مجاهد نحوه
واسجدي واركعي مع الراكعين انما قدم السجود على الركوع لان الواو لا تقتضي الترتيب
انما هي للجمع لانه يقال لها افعلي الركوع والسجود وقيل انما قدم السجود على الركوع لانه
كان كذلك في شريعتهم وقال ابن الانباري امرها امرا عاما وعلى فعل الخير فكانه قال
استعملي السجود في حال والركوع في حال ولم يرد تقديم السجود على الركوع بل اراد
العموم بالامر على اختلاف الحالين وانما قال اركعي مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات

لان لفظ الراكعين اعم فيدخل فيه الرجال والنسا والصلاة مع الرجال افضل واتم وقيل معناه
افعلي كفعل الراكعين وقيل المراد به الصلاة في جماعة اي صلي مع المصلين في جماعة قوله عز وجل
**ذلك من انبا الغيب** يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ذكرت لك من حديث
زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من اخبار الغيب **نوحيه اليك** اي نلقيه اليك
لانه لا يمكنك ان تعلم اخبار الامم الماضين الا بوحينا اليك وانما قال نوحيه لانه رد الضمير
الى ذلك فلذلك ذكر اللفظ **وما كنت** يعني يا محمد **لديهم** هنالك عندهم **اذ يلقون اقلامهم**
يعني التي كانوا يكتبون بها في الما لاجل الاقتراع **ايهم يكفل مريم** يعني يربيها ويقوم
بمصالحها قيل سبب نزول منازعتهم في كفالة مريم حتى اقترعوا على ذلك انها كانت بنت
عمرانهم وكان رئيسهم وكبيرهم فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها وقيل لان مريم جردت لعبادة
الله وخدمة المسجد وكان ابوها قد مات فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها **وما كنت لديهم**
**اذ يختصمون** يعني في كفالتها وتربيتها قوله عز وجل **اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه**
معناه وما كنت لديهم يا محمد اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة يعني جبريل عليه
السلام يا مريم ان الله يبشرك والبشارة اخبار المرء بما يسره من خير بكلمة منه يعني
برسالة من الله وخبر من عنده فهو كقول القائل القى الي فلان كلمة سرني بها واخبرني
خبرا فرحت به ومعنى الاية اذ قالت الملائكة لمريم يا مريم ان الله يبشرك ببشرى
من عنده وهي ولد يولد لك من غير بعل ولا فحل وذلك الولد **اسمه المسيح عيسى ابن**
**مريم** وقال قتادة في قوله تعالى بكلمة منه هو قوله تعالى كن فسماه الله كلمة لانه
كان عن كلمته التي هي كن كما يقال لما قدر الله من شيء هذا قدر الله وقضا الله يعني ان
هذا الامر عن قدره وقضايه حدث وقال ابن عباس الكلمة هي عيسى عليه السلام وانما
سمي كلمة لانه وجد عن الكلمة التي هي كن فان قلت ان كل مخلوق انما يوجد بواسطة
الكلمة التي هي كن فلم خص عيسى عليه السلام بهذا الاسم وسماه كلمة دون غيره قلت
ان كل مخلوق وان وجد حدوثه وخلقه بواسطة الكلمة الا ان هذا السبب هو المتعارف
ولما كان حدوث عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة اخرى فلا جرم كان اضافة
حدوثه الى الكلمة اتم واكمل ولهذا التاويل حسن ان يسمى عيسى عليه السلام نفس الكلمة
لانه حدث عنها فان قلت الضمير في قوله اسمه عايد الى الكلمة وهي مونثة فلم ذكر الضمير
قلت لان المسمى بها مذكر فلهذا ذكر الضمير فان قلت لم قال اسمه المسيح عيسى بن مريم
وهذه ثلاثة والاسم منها واحد وهو عيسى واما المسيح فلقب وابن مريم صفة قلت
الضمير في قوله اسمه يرجع الى عيسى والمسمى علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكانه قال
الذي يعرف به ويتميز عن من سواه هو مجموع هذه الثلاثة واختلفوا لم سمي عيسى
عليه السلام مسيحا وهل هو اسم مشتق او موضوع فقيل انه موضوع واصله بالعبرانية
مشيحا فغيرته العرب واصل عيسى ايشوع كما قالوا موسى واصله موشي او ميشي وقال
الاكثرون انه اسم مشتق ثم ذكروا فيه وجوها قال ابن عباس سمي عيسى مسيحا لانه ما
مسح ذا عاهة الا برئ منها وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه مسح من الاقذار وطهر من

الذنوب



الذنوب وقيل انه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن وقيل لان جبريل عليه السلام
مسحه بجناحه حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل وقيل لانه كان يسبح في الارض ولا
يقيم بمكان فكان يمسح الارض اي يقطعها مساحة فعلى هذا القول تكون الميم زايدة وقيل
سمي مسيحا لانه كان مسيح القدمين لا اخمص له وسمي الدجال مسيحا لانه ممسوح
احدى العينين وقيل المسيح هو الصديق وبه سمي عيسى عليه السلام وقد يكون المسيح
بمعنى الكذاب وبه سمي الدجال فعلى هذا تكون هذه الكلمة من الاضداد وقوله تعالى
**وجيها** اي شريفا رفيعا ذا جاه وقدر **في الدنيا والاخرة** اما وجاهته في الدنيا
فبسبب النبوة وانه كان يبري الاكمه والابرص ويحيي الموتى واما وجاهته في الاخرة
فبسبب علو مرتبته عند الله وهو قوله تعالى **ومن المقربين** يعني عند الله يوم
القيامة لان لاهل الجنة منازل ودرجات ومنازل الانبيا ودرجاتهم اعلى من
سواهم وقيل فيه تنبيه على علو منزلته وانه رفعه الى السما **ويكلم الناس في المهد**
يعني ويكلم الناس صغيرا وهو في المهد وذلك قبل اوان الكلام ووقته والكلام الذي
تكلم به هو ما ذكره الله عنه في سورة مريم وهو قوله اني عبد الله اتاني الكتاب
الاية وتكلم ببراة امه لما رموها به اهل القرية من القذف وحكي ان مريم قالت كنت
اذا خلوت انا وعيسى حدثني وحدثته فاذا شغلني عنه انسان سبح وهو في بطني وانا
اسمع ولما تكلم ببراة امه سكت بعد ذلك فلم يتكلم الا في الوقت الذي يتكلم فيه
الصغير قال ابن عباس تكلم عيسى ساعة ثم سكت ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق
**وكهلا** يعني ويكلم الناس في حال الكهولة والكهل في اللغة هو الذي اجتمع قوته
وكمل شبابه والكهل عند العرب الذي جاوز الثلاثين وقيل هو الذي يخطه الشيب
وهو السن الذي يستحكم فيه العقل وتستنبا فيه الانبيا قال ابن قتيبة لما
كان لعيسى ثلاثون سنة ارسله الله تعالى فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه
الله تعالى وقال وهب بن منبه جاءه الوحي على راس ثلاثين سنة فمكث في نبوته ثلاث
سنين ثم رفعه الله فمعنى الاية انه يكلم الناس في المهد ببراة امه وهي معجزة عظيمة
ويكلم الناس في حال الكهولة بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم اخبرها بانه يبقى
حتى يكتهل وقيل فيه اخبار بانه يتغير من حال الى حال ولو كان الها كما زعمت النصارى
لم يدخل عليه التغيير ففيه رد على النصارى الذين يدعون فيه الالوهية وقال الحسن
ابن الفضل وكهلا يعني ويكلم الناس كهلا بعد نزوله من السما وفي هذه نص على انه
سينزل من السما الى الارض ويقتل الدجال وقال مجاهد الكهل الحكيم والعرب تمدح
الكهولة لانها الحالة الوسطى في احتناك السن واستحكام العقل وجودة الراي والتجربة
**ومن الصالحين** يعني انه من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحاق ويعقوب
وموسى وغيرهم من الانبيا وانما ختم اوصاف عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين بعد
ما وصفه بالاوصاف العظيمة لان الصلاح من اعظم المراتب واشرف المقامات لانه
لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل في جميع اقواله

وافقا له فلما وصفه الله تعالى بكونه وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين وانه يكلم الناس
في المهد وكهلا اردفه بقوله ومن الصالحين ليكمل له اعلا الدرجات واشرف المقامات قوله
عز وجل **قالت** يعني مريم **رب** يعني يا سيدي تقوله لجبريل لما بشرها بالولد وقيل تقوله
لله عز وجل **انى يكون لي ولد** اي من اين يكون لي ولد **ولم يمسسني بشر** اي ولم يصبني
رجل وانما قالت ذلك تعجبا لا شكا في قدرة الله تعالى اذ لم تكن العادة جرت ان يولد
ولد من غير اب **قال كذلك الله يخلق ما يشا** يعني هكذا يخلق الله منك ولدا من غير
ان يمسك بشر فيجعله اية للناس وعبرة فانه يخلق ما يشا ويصنع ما يريد وهو قوله
**اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون** يعني كما يريد **ويعلمه الكتاب** يعني الكتابة
والخط باليد **والحكمة** يعني العلم والسنة واحكام الشرايع **والتوراة** يعني التي انزلت على
موسى **والانجيل** يعني الذي انزل عليه وهذا اخبار من الله تعالى لمريم ما هو فاعل بالولد
الذي بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة **ورسولا الى بني اسرايل** اي يجعله رسولا الى
بني اسرايل وكان اول انبيا بني اسرايل يوسف بن يعقوب واخرهم عيسى بن مريم
عليه السلام فلما بعث اليهم قال **اني قد جيتكم باية من ربكم** يعني بعلامة من ربكم
على صدق قولي وانما قال باية وقد جا بايات كثيرة لان الكل دال على شي واحد وهو
صدقه في الرسالة فلما قال ذلك عيسى لبني اسرايل قالوا ما هذه الاية قال
**اني اخلق** اي اصور واقدر **من الطين كهيئة الطير** والهيئة الصورة المهيأة من
قولهم هيأت الشي اذا قدرته واصلحته **فانفخ فيه** اي في الطين المهيا المصور **فيكون**
**طيرا** قري بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع وقري
فيكون طايرا على التوحيد على معنى يكون ما انفخ فيه طايرا وما اخلقه يكون طايرا وقيل
انه لم يخلق غير الخفاش وهو الذي يطير في الليل وانما خص الخفاش لانه من اكمل الطير
خلقا وذلك لانه يطير بلا ريش وله اسنان ويقال ان الانثى منه لها ثدي وتحيض
ذكروا ان عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر لهم المعجزات اخذوا يتعنتون
عليه فطلبوا منه ان يخلق لهم خفاشا فاخذ طينا وصوره كهيئة الخفاش ثم نفخ فيه
فاذا هو طير يطير بين السما قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب
عنهم سقط ميتا ليتميز فعل المخلوق من فعل الخالق وهو الله تعالى وليعلم ان الكمال
لله تعالى **باذن الله** معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى اني اعمل هذا التصوير فاما
ما خلق الحياة فيه فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزة على يد عيسى عليه السلام
**وابري الاكمه والابرص** اي واشفي الاكمه والابرص واصححهما واختلفوا في الاكمه فقال
ابن عباس هو الذي ولد اعمى وقيل هو الاعمى وان كان بصيرا وقيل هو الاعشى وهو الذي
يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والابرص هو الذي به وضح وكان الغالب على زمان عيسى
عليه السلام الطب فاراهم المعجزة من جنس ذلك الا انه ليس في علم الطب ابرا الاكمه
والابرص فكان ذلك معجزة له ودليلا على صدقه وقال وهب ربما اجتمع على عيسى من
المرضى في اليوم الواحد نحو خمسين الفا فمن اطاق ان يمشي اليه مشى ومن لم يطق مشى

عيسى



عيسى عليه السلام اليه وكان يداويهم بالدعا على شرط الايمان برسالته **واحيي الموتى**
**باذن الله** قال ابن عباس قد احيى اربعة انفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام
ابن نوح وكلهم بقي وولد له الا سام بن نوح فاما عازر فكان صديقا لعيسى عليه السلام
فارسلت اليه اخت عازر ان اخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة ايام فاتاه عيسى
واصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لاخته انطلقي بنا الى قبره فانطلقت بهم
الى قبره فدعى الله عيسى فقام عازر حيا باذن الله تعالى فخرج من قبره وعاش وولد له
واما ابن العجوز فانه مر به وهو ميت على عيسى عليه السلام محمول على السرير فدعا الله
عيسى فجلس على سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه واتى اهله وعاش وولد له
واما ابنة العاشر فكان ياخذ العشور من الناس ماتت بنت له بالامس فدعى الله عيسى
فاحياها بدعوته فعاشت وولد لها واما سام بن نوح فان عيسى جا الى قبره ودعى الله
باسمه الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف راسه خوفا من قيام الساعة ولم
يكونوا يشيبون في ذلك الزمان فقال قد قامت الساعة فقال له عيسى عليه السلام
لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم ثم قال له مت فقال بشرط ان يعيذني الله من سكرات
الموت مرة اخرى فدعى الله عيسى ففعل **وانبيكم** يعني واخبركم **بما تاكلون** اي بما لم
اعاينه **وما تدخرون في بيوتكم** اي وما ترفعونه فتخبونه في بيوتكم لتاكلوه
فيما بعد ذلك قيل كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل بما اكل البارحة وبما ياكل اليوم
وبما يدخره للعشا وقيل كان في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع اباوهم ويقول للغلام
انطلق فقد اكل اهلك كذا وكذا وقد رفعوا لك كذا فينطلق الصبي الى اهله فيبكي على
اهله حتى يعطوه ذلك الشي فيقولون من اخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم
عنه وقالوا لا يلعبوا مع ذلك الساحر وجمعوهم في بيت فجا عيسى يطلبهم فقالوا ليس
هنا فقال وما في البيت قالوا خنازير فقال كذلك يكونون ففتحوا عليهم الباب فاذا هم
خنازير ففشى ذلك في بني اسرايل وظهر فهموا به فخافت عليه امه فحملته على حمير لها وخرجت
هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان هذا في نزول المايدة وكان خوانا ينزل عليهم اينما
كانوا فيه من طعام الجنة وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا فكان
عيسى يخبرهم بما اكلوا من المايدة وما ادخروا منها فمسخهم الله خنازير وفي هذا دليل
قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومعجزة عظيمة له وهو الاخبار عن المغيبات مع
ما تقدم له من الايات الباهرات من ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى باذن الله تعالى
واخباره عن الغيوب باعلام الله اياه ذلك وهذا مما لا سبيل لاحد من البشر عليه الا
الانبيا عليهم السلام فان قلت قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق قلت
ان المنجم والكاهن لا بد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع اليها ويعتمد في اخباره عليها
اما المنجم فانه يستعين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب وامتزاجاتها او بواسطة
حساب الرمل او نحو ذلك وقد يخطي في كثير مما يخبر به واما الكاهن فانه يستعين
براية من الجن وقد يخطي ايضا في كثير مما يخبر به واما اخبار الانبيا عليهم السلام

عن المغيبات فليس الا بالوحي السماوي وهو من الله تعالى وليس باستعانة بواسطة حساب
ولا تجربة فحصل الفرق ان في ذلك يعني الذي تقدم ذكره من خلق الطير من الطين باذن الله
وابرا الاكمه والابرص والاخبار عن المغيبات لاية لكم اي لعبرة ودلالة على صدقي انه رسول
من الله اليكم ان كنتم مومنين يعني مصدقين بذلك ومصدقا قيل انه عطف على
قوله ورسولا وقيل انه عطف على اني قد جيتكم باية من ربكم والمعنى وجيتكم مصدقا لما
بين يدي من التوراة وذلك لان الانبيا عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا وكل واحد
منهم يصدق الذي قبله ويصدق بما انزل الله من الكتب والشرايع والاحكام فلهذا
قال عيسى عليه السلام ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم
قال وهب بن منبه ان عيسى كان على شريعة موسى وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس
وقال لبني اسرايل لم ادعكم الى خلاف حرف مما في التوراة الا لاحل لكم بعض الذي حرم
عليكم واضع عنكم الاصار وذلك ان الله تعالى كان قد حرم على اليهود بعض الاشيا عقوبة
لهم على بعض ما صدر منهم من الخيانات كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات احلت فبقي ذلك التحريم مستمرا على اليهود الى ان جا عيسى عليه السلام فرفع
عنهم تلك التشديدات التي كانت عليهم وقال قتادة كان الذي جا به عيسى الين من
الذي جا به موسى وقد كان تحرم عليهم فيما جا به موسى لحوم الابل والشروب والشحوم
واشيا من الطير والحيتان زاد بعضهم فجاهم عيسى بالتخفيف واحلها لهم وقال الحرون ان
عيسى عليه السلام رفع كثيرا من احكام التوراة ورفع السبت ووضع الاحد وكان
ذلك كله بامر الله فكان ذلك ناسخا لتلك الاحكام والشرايع والناسخ والمنسوخ
حق وصدق وجيتكم باية من ربكم اي بحجة واضحة شاهدة على صحة رسالتي ثم خوفهم
بقوله فاتقوا الله يعني يا معشر بني اسرايل فيما امركم به ونهاكم عنه واطيعون
يعني فيما ادعوكم اليه لان طاعة الرسول من توابع تقوى الله وبما ادعوكم اليه هو قوله
ان الله ربي وربكم فاعبدوه لان جميع الرسل كانوا على دين واحد وهو التوحيد ولم يختلفوا
الله تعالى في هذه الاية حجة بالغة على نصارى وفد نجران ومن قال بقولهم من ساير
النصارى باخبار الله عن عيسى عليه السلام انه كان بريا مما نسبه اليه النصارى
وانه كان عبد الله وخصه بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله هذا صراط مستقيم
يعني التوحيد قوله عز وجل فلما احس عيسى منهم الكفر اي وجد وعرف وقيل راي
والاحساس عبارة عن وجدان الشي بالحاسة والمعنى انهم تكلموا بكلمة الكفر فحس ذلك
عيسى منهم وعرف اصرارهم عليه وعزمهم على قتله ذكر سبب القصة قال اهل الاخبار والتفسير
لما بعث الله عيسى الى بني اسرايل وامره باظهار رسالته والدعا اليه نفوه واخرجوه
من بينهم فخرج هو وامه يسيحان في الارض فنزل في قرية على رجل فاضافهم واحسن
اليهم وكان لتلك القرية ملك جبار متعد فجا ذلك الرجل في بعض الايام وهو مهموم
حزين فدخل منزله ومريم عند امراته فقالت مريم ما شان زوجك اراه كييبا حزينا
فقالت لا تسالي فقالت مريم اخبريني لعل الله ان يفرج كربته فقالت المراة ان لنا ملكا

جبارا

جبارا وقد جعل على كل رجل منا يوما يطعمه فيه هو وجنوده ويسقيهم الخمر وان لم يفعل
ذلك عاقبه واليوم نوبتنا وليس عندنا سعة لذلك فقالت له لا يهتم لذلك فاما
امر ابني ان يدعو له فيكفي ذلك ثم قالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك
وقع شر فقالت مريم لا تبالي فانه قد احسن الينا واكرمنا فقال عيسى قولي له اذا
قرب ذلك الوقت فاملا قدورك وخوابيك ما ثم اعلمني ففعل الرجل ذلك ثم دعى الله
عيسى عليه السلام فتحول ما في القدور مرقا ولحما وما في الخوابي خمرا لم ير الناس مثله
فلما جا الملك واكل من ذلك الطعام وشرب من ذلك الخمر قال من اين لك هذا الخمر فقال
الرجل هو من ارض كذا فقال الملك ان خمري من تلك الارض وليست مثل هذه فقال
هي من ارض اخرى فلما راه الملك قد اختلط شدد عليه فقال الرجل انا اخبرك ان عندي
غلاما لا يسال الله شيا الا اعطاه اياه وانه دعى الله تعالى فجعل الما خمرا وكان للملك
ابن يريد ان يستخلفه في ملكه وقد مات قبل ذلك بايام وكان يحبه حبا شديدا فقال
الملك ان رجلا دعى الله تعالى حتى صار خمرا بدعوته ليستجيبن له في احيا ابني فطلب عيسى
وكلمه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا ابالي اليس
اراه فقال عيسى ان انا احييته تتركني وانا وامي نذهب حيث نشا قال نعم فدعى الله عيسى
فعاش الغلام فلما راه اهل مملكته الملك قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا قد
اكلنا هذا الملك حتى اذا دنى اجله يريد ان يستخلف علينا ابنه فياكلنا كما اكلنا ابوه
فقاتلوه وظهر امر عيسى وقصدوا قتله وكفروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين
بانه المسيح المبشر به في التوراة وانه ينسخ دينهم فلما اظهر عيسى الدعوة اشتد
ذلك عليهم واخذوا في اذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما اخبر الله عز وجل
عنه بقوله قال يعني عيسى عليه السلام من انصاري الى الله وقيل معناه في
ان ابين امر الله واظهر دينه وقيل الى بمعنى في اي في ذات الله وسبيله وقيل الى موضعها
والمعنى من لم يضم نصرته الى نصرة الله قال الحواريون نحن انصار الله وذلك ان
عيسى عليه السلام لما دعى بني اسرايل الى الله تعالى تمردوا عليه وكفروا به خرج يسيح
في الارض فمر بجماعة يصطادون السمك وكانوا اثنى عشر ورئيسهم شمعون ويعقوب
فقال عيسى عليه السلام ما تصنعون قالوا نصيد السمك قال افلا تمشون حتى
نصيد الناس قالوا ومن انت قال انا عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله فسالوه اية
تدلهم على صدقه وكان شمعون قد رمى بشبكته في الما فدعى الله عيسى فاجتمع
في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق من كثرته فاستعانوا باهل سفينة اخرى
وملوا السفينتين من السمك فعند ذلك امنوا به وانطلقوا معه واختلف في الحواريين
فقيل كانوا يصطادون السمك فلما امنوا بعيسى صاروا يصطادون الناس ويهدونهم
الى الدين سموا حواريين لبياض ثيابهم يقال حورت الشي بمعنى بيضته وقيل كانوا قصارين
سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب اي يبيضونها وقيل ان مريم سلمت عيسى
الى اعمال شتى فكان اخر من سلمته الى الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فدفعته

الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه
الصنعة وانا خارج الى السفر ولم ارجع الى عشرة ايام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد
اعلمت كل واحد منها بخيط على اللون الذي يصبغ به فاريد ان تفرغ منها وقت قدومي
وخرج المعلم الى سفره وطبخ عيسى جبا واحدا وادخل فيه جميع الثياب وقال كوني باذن
الله على ما اريد منك ثم قدم الحواري والثياب كلها في الجب فقال لعيسى ما فعلت
قال قد فرغت منها قال واين هي قال في الجب قال كلها قال نعم قال لقد افسدت علي
الثياب قال عيسى لا ولكن قم فانظر وقام عيسى واخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا
اصفر وثوبا اسود حتى اخرجها كلها على الالوان التي يريد الحواري فجعل الحواري يتعجب
من ذلك وعلم ان ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا فامن به هو واصحابه
وهم الحواريون وقيل سموا حواريين لصفا قلوبهم ولما ظهر عليهم من اثر العبادة ونورها
وقيل الحواريون الاصفيا وكانوا اصفيا عيسى وخاصته وقيل الحواريون هم الخلفا
وقيل هم الوزرا وكانوا خلفا عيسى ووزراه وقيل الحواريون هم الانصار والحواري
الناصر والحواري الرجل الذي يستعان به ق عن جابر بن عبد الله قال ندب النبي صلى
الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ان لكل نبي حواري وحواريي الزبير قال الحواريون نحن انصار الله يعني انصار
دين الله ورسوله واعوانه امنا بالله اي صدقنا بان الله ربنا ورب كل شي واشهد
يعني انت يا عيسى بانا مسلمون قيل معناه واشهد بانا منقادون لما تريد من نصرتك
والذب عنك ومستسلمون لامر الله عز وجل وقيل هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام
وانه دين عيسى وكل الانبيا قبله لا اليهودية والنصرانية ربنا امنا بما انزلت
يعني قال الحواريون بعد اشهاد عيسى عليهم بانهم مسلمون ربنا امنا بما انزلت يعني
بكتابك الذي انزلته على عيسى عليه السلام واتبعنا الرسول يعني عيسى فاكتبنا
مع الشاهدين يعني الذين شهدوا لانبيائك بالصدق واتبعوا امرك ونهيك فثبت
اسمانا مع اسمايهم واجعلنا في عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به وهذا يقتضي ان يكون
للشاهدين الذين سيلوا الحواريون ان يكونوا معهم مزيد فضل عليهم فلهذا قال
ابن عباس في قوله فاكتبنا مع الشاهدين اي مع محمد صلى الله عليه وسلم وامته لانهم
المخصوصون بتلك الفضيلة فانهم يشهدون للرسل بالبلاغ وقيل مع الشاهدين
يعني النبيين لان كل نبي شاهد على امته قوله عز وجل ومكروا يعني كفار بني اسرايل الذين
احس عيسى منهم الكفر واصل المكر صرف الغير عما يقصده بضرب من الحيلة وقيل هو
السعي بالفساد في الخفية فاما مكرهم بعيسى فانهم دبروا في قتله وهموا به وذلك
ان عيسى عليه السلام بعد ان اخرجه قومه هو وامه رجع مع الحواريين وصاح فيهم
بالدعوة واظهر رسالته اليهم فهموا بقتله والفتك به فذلك مكرهم والمكر من الخلق
الخبث والخديعة والحيلة ومكر الله اي جازاهم على مكرهم فسمي الجزا باسم الابتدا
لانه في مقابلته وقيل مكر الله استدراج العبد واخذه بغتة من حيث لا يحتسب

ومكر الله

ومكر الله في هذه الاية خاصة هو القا الشبه على حاجبهم الذي دلهم على عيسى حين
ارادوا قتله حتى قتل قال ابن عباس ان عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود
فلما راوه قالوا قد جا الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه
فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخوا خنازير فلما راى ذلك يهوذا راس اليهود
وملكهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا اليه
ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل فادخله خوخة في سقفها روزنة فرفعه الله
من تلك الروزنة وامر يهوذا ملك اليهود رجلا من اصحابه يقال له ططيانوس ان يدخلوا
فيقتله فيها فلما دخل لم ير عيسى وابطا عليهم فظنوا انه يقاتله فيها والقى الله
عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فاخذوه وقتلوه وصلبوه قال وهب
ابن منبه ان اليهود طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فاظلمت
الارض وارسل الله عز وجل الملايكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى عليه السلام الحواريين
تلك الليلة واوصاهم وقال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم
يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احد الحواريين الى اليهود وقال
ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فلما
دخل البيت الذي فيه المسيح القى الله شبه عيسى عليه ورفع الله عيسى واخذ الذي
دلهم عليه فقال انا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله فقتلوه وصلبوه وهم
يظنون انه عيسى فلما صلب الذي القي عليه شبه عيسى جاءت مريم وامراة اخرى كان
عيسى دعا لها فابراها الله من الجنون بدعوته فجعلتا تبكيان عند المصلوب فجاءهما
عيسى عليه السلام وقال لهما علام تبكيان ان الله عز وجل قد رفعني ولم يصبني الا خير
وهذا شي شبه لهم فلما كان بعد سبعة ايام قال الله تعالى لعيسى اهبط الى مريم
المجدلانية وهو اسم موضع فهي نسبة اليه فانه لم يبك عليك احد بكاها ولم يحزن
عليك احد حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فبثهم في الارض دعاة الى الله عز وجل فاهبطه
الله عز وجل عليها فاشتعل الجبل نورا حين هبط فجمعت له الحواريين فبثهم دعاة في
الارض ثم رفعه الله فتلك الليلة التي تدخن فيها النصارى فلما اصبح الحواريون
تكلم كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله تعالى ومكروا ومكر الله
والله خير الماكرين يعني وهو افضل المجازين بالسيئة العقوبة وقال السدي ان
اليهود حبست عيسى عليه السلام في بيت ومعه عشرة من الحواريين فدخل عليهم
رجل منهم فكان فذا فوق فالقي عليه شبه عيسى عليه السلام فقال لاصحابه ايكم يقذف
عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل منهم انا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله
عيسى ورفعه اليه وكساه الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب
وطار مع الملايكة فهو معهم حول العرش وصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا قال اهل
التاريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اوري
شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى الله الى عيسى

على راس ثلاثين سنة ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من رمضان وهو ابن ثلاث
وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت امه مريم بعد رفعه ست سنين
قوله عز وجل **اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي** اختلفوا في معنى التوفي
هنا على طريقين فالطريق الاول ان الاية على ظاهرها من غير تقديم ولا تاخير
وذكروا في معناها وجوها الاول معناه اني قابضك ورافعك الي من غير موت
من قولهم توفيت الشيء واستوفيته اذا اخذته وقبضته تاما والمقصود منه
هنا ان لا يصل اعداؤه من اليهود اليه بقتل ولا غيره الوجه الثاني ان المراد بالتوفي
النوم ومنه قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
فجعل النوم وفاة وكان عيسى قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فمعنى
الاية اني منيمك ورافعك الي الوجه الثالث ان المراد بالتوفي حقيقة الموت قال
ابن عباس معناه اني مميتك قال وهب بن منبه ان الله توفى عيسى ثلاث ساعات
من النهار ثم رفعه اليه وقيل ان النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات
من النهار ثم احياه ورفعه اليه الوجه الرابع ان الواو في قوله ورافعك الي لا تفيد
الترتيب والاية تدل على ان الله تعالى يفعل به ما ذكر فاما كيف يفعل ومتى يفعل
فالامر فيه موقوف على الدليل وقد ثبت في الحديث ان عيسى سينزل ويقتل الدجال
وسنذكره ان شاء الله الوجه الخامس قال ابو بكر الواسطي معناه اني متوفيك
عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك الي وذلك ان عيسى عليه السلام لما
رفع الى السماء صار حاله حالة الملائكة في زوال الشهوة الوجه السادس
ان معنى التوفي اخذ الشيء وافيا ولما علم الله تعالى ان من الناس من يخطر بباله ان
الذي رفعه الله اليه هو روحه دون جسده كما زعمت النصارى ان المسيح رفع
لاهوته يعني روحه وبقي في الارض ناسوته يعني جسده فرد الله عليهم بقوله
اني متوفيك ورافعك الي فاخبر الله انه رفعه بتمامه الى السماء بروحه وجسده
جميعا الطريق الثاني ان في الاية تقديما وتاخيرا تقديره اني رافعك الي ومطهرك
من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك الى الارض وقيل لبعضهم هل تجد نزول عيسى
الى الارض في القرآن قال نعم قوله تعالى وكهلا بعد نزوله من السماء (ق) عن ابي هريرة
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل
فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض
المال حتى لا يقبله احد زاد في رواية حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا
وما فيها ثم يقول ابو هريرة اقرؤوا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به
قبل موته وفي رواية كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفي رواية
فامكم منكم قال ابن ابي ذئب تدري ما امكم منكم قلت فاخبرني قال فامكم بكتاب
ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وفي افراد مسلم من حديث النواس
ابن سمعان قال فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم عليه السلام فينزل

عند



عند المنارة البيضاء شرقي دمشق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ليس بيني وبينه يعني عيسى نبي وانه نازل فاذا رايتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع
الى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كان راسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقاتل
الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويهلك الله الملل
في زمانه كلها الا الاسلام ويهلك المسيح الدجال ثم يمكث في الارض اربعين سنة
ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون اخرجه ابو داود ونقل بعضهم ان عيسى عليه السلام
يدفن في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقوم ابو بكر وعمر يوم القيامة بين
نبيين محمد وعيسى عليهما السلام قوله عز وجل **ومطهرك من الذين كفروا** يعني
مخرجك من بينهم ومنجيك منهم **وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة**
يعني وجاعل الذين اتبعوك في التوحيد وصدقوا قولك وهم اهل الاسلام من امة
محمد صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا بالعز والنصر والغلبة بالحجة الظاهرة
وقيل هم الحواريون الذين اتبعوا عيسى على دينه وقيل هم النصارى فهم فوق اليهود
وذلك لان ملك اليهود قد ذهب ولم يبق لهم مملكة وملك النصارى باق فعلى
هذا القول يكون الاتباع بمعنى المحبة والادعاء لا اتباع الدين لان النصارى وان
اظهروا متابعة عيسى عليه السلام فهم اشد مخالفة له وذلك ان عيسى عليه السلام
لم يرض بما هم عليه من الشرك والقول الاول هو الاصح لان الذين اتبعوه هم الذين
شهدوا له بانه عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون وملكهم باق الى يوم القيامة
**ثم الي مرجعكم** يعني يقول الله عز وجل الي مرجع الفريقين في الاخرة الذين اتبعوا
عيسى وصدقوا به والذين كفروا به **فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون** يعني
من الحق في امر عيسى ثم بين الحكم فقال **فاما الذين كفروا** يعني الذين جحدوا نبوة
عيسى وخالفوا ملته وقالوا فيه ما قالوا من الباطل ووصفوه بما لا ينبغي من سائر
اليهود والنصارى **فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا** يعني بالقتل والسبي
والذلة واخذ الجزية منهم **والاخرة** اي واعذبهم في الاخرة بالنار **وما لهم من
ناصرين** يعني مانعين يمنعونهم من عذابنا **واما الذين امنوا** يعني بعيسى عليه
السلام وصدقوا بنبوته وانه عبد الله ورسوله وكلمته **وعملوا الصالحات** يعني
عملوا بما فرضت عليهم وشرعت لهم **فنوفيهم اجورهم** يعني جزاء اعمالهم لا ينقص منه
شيء **والله لا يحب الظالمين** اي لا يحب من ظلم غيره حقا له او وضع شيئا في غير موضعه
والمعنى انه تعالى لا يرحمهم ولا يثني عليهم بجميل ثم قال تعالى **ذلك** يعني الذي ذكرته
لك من اخبار عيسى وامه مريم والحواريين وغير ذلك من القصص **نتلوه عليك**
اي نخبرك به يا محمد على لسان جبريل وانما اضاف ما يتلوه جبريل الى نفسه سبحانه
وتعالى لانه من عنده وبامره من غير تفاوت اصلا فاضافه اليه **من الايات** يعني من
القرآن وقيل الايات بمعنى العلامات الدالة على نبوتك يا محمد لانها اخبار لا يعلمها
الا من يقرأ ويكتب او نبي يوحى اليه وانت امي لا تقرأ ولا تكتب فثبت ان ذلك من الوحي

السماوي الذي انزل عليك **والذكر الحكيم** اي المحكم الممنوع من الباطل وقيل المراد منه الذكر
الحكيم القرآن لانه حاكم يستفاد منه جميع الاحكام وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ
الذي منه نزلت جميع كتب الله على رسله وهو لوح من درة بيضاء معلق بالعرش قوله
عز وجل **ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب** الآية اجمع اهل التفسير ان
هذه الآية نزلت في محاجة نصارى وفد نجران قال ابن عباس ان رهطا من اهل نجران
قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم ما شأنك تذكر صاحبنا فقال من هو قالوا عيسى تزعم انه عبد الله فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اجل انه عبد الله فقالوا له فهل رايت له مثلا او انبئت به
ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل عليه السلام فقال له قل لهم اذا اتوك ان مثل
عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه
عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا يا محمد هل
رايت انسانا قط من غير اب فانزل الله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم اي في الخلق
والانشاء في كونه خلقه من غير اب كمثل آدم في كونه خلقه من تراب من غير اب
وام ومعنى الآية ان صفة خلق عيسى من غير اب كصفة آدم في كونه خلقه من تراب لا
من اب وام فمن اقر بان الله خلق آدم من التراب اليابس وهو ابلغ في القدرة فلم لا يقر
بان الله خلق عيسى من مريم من غير اب بل الشأن في خلق آدم اعجب واغرب وتم الكلام
عند قوله كمثل آدم لانه تشبيه كامل ثم قال تعالى خلقه من تراب فهو خبر مستأنف
على جهة التفسير لحال خلق آدم في كونه خلقه من تراب اي قدره جسدا من طين
**ثم قال له كن** اي انشأه خلقا بالكلمة وكذلك عيسى انشأه خلقا بالكلمة فعلى هذا
القول ذكروا فيه اشكالا وهو انه تعالى قال خلقه من تراب ثم قال له كن فهذا
يقتضي ان يكون خلق آدم متقدما على قوله كن ولا يكون بعد الخلق واجيب
عن هذا الاشكال بان الله تعالى اخبر بانه خلقه من تراب لا من ذكر وانثى ثم ابتدأ
خبرا آخر فقال اني اخبركم ايضا اني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون
في الولادة ويحتمل ان يكون المراد انه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا
فكان فيصح النظم وقيل الضمير في قوله كن يرجع الى عيسى عليه السلام وآدم عليه السلام
وقد وجد عيسى من غير اب ووجد آدم من غير اب ولا ام قلت هو مثله في احد الطرفين
فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض
الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك
نظيران لان الوجود من غير اب وام اغرب في العادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب
بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه
وحكي ان بعض العلماء اسر في بعض بلاد الروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه
لا اب له قال فآدم اولى لانه لا اب له ولا ام قالوا وكان يحيي الموتى فقال حزقيل
اولى لان عيسى احيى اربعة نفر واحيى حزقيل اربعة آلاف قالوا وكان يبرئ الاكمه والابرص





قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سليما وقوله كن **فيكون** قال ابن عباس
معناه كن فكان فاريد بالمستقبل الماضي وقيل معناه ثم قال له كن واعلم يا محمد
انما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة **الحق من ربك** الذي اخبرتك به من تمثيل
عيسى بآدم هو الحق من ربك **فلا تكن من الممترين** اي من الشاكين ان ذلك كذلك
وهذا خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك
قط فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء والمعنى فلا تكن من الممترين ايها السامع
كائنا من كان لهذا التمثيل والبرهان الذي ذكر فهو من باب التهييج لزيادة الثبات
والطمأنينة قوله عز وجل **فمن حاجك فيه** اي فمن جادلك في عيسى وقيل في الحق **من
بعد ما جاءك من العلم** يعني بان عيسى عبد الله ورسوله **فقل تعالوا** اي هلموا والمراد منه
المجيء واصله من العلو بالرأي والعزم كما تقول تعال نتفكر في هذه المسئلة **ندع ابناءنا وابناءكم**
اي يدع كل منا ومنكم ابناءه **ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم** قيل اراد بالابناء
الحسن والحسين وبالنساء فاطمة وبالنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليا رضي الله عنه
وقيل هو على العموم لجماعة اهل الدين **ثم نبتهل** قال ابن عباس نتضرع في الدعاء وقيل
معناه نجتهد ونبالغ في الدعاء وقيل معناه نلتعن والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة
الله اي لعنة الله **فنجعل لعنة الله على الكاذبين** يعني منا ومنكم في امر عيسى قال المفسرون
لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة قالوا
حتى نرجع وننظر في امرنا ثم نأتيك غدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم
وصاحب رأيهم ما ترى يا عبد المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل
ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فان ابيتم الا الاقامة على ما انتم عليه من القول في صاحبكم
فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احتضن
الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي يمشي خلفها والنبي صلى الله عليه وسلم
يقول لهم اذا دعوت فامنوا فلما رآهم اسقف نجران قال يا معشر النصارى اني لارى
وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا لازاله من مكانه فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على
وجه الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا يا ابا القاسم قد رأينا ان لا نباهلك وان
نتركك على دينك ونترك على ديننا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ابيتم
المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا ذلك فقال فاني انابذكم
فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا
عن ديننا وان نؤدي اليك في كل سنة الفي حلة الف في صفر والف في رجب زاد في رواية
وثلاثا وثلاثين درعا عادية وثلاثا وثلاثين بعيرا واربعا وثلاثين فرسا غازية
فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان العذاب تدلى
على اهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا
ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم
حتى هلكوا فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الصادق من الكاذب فيه ثمة

ومن خصه وذلك يختص به ومن يباهله فلما جمعهم ضم الابناء والنساء في المباهلة قلت
ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرى على تعريض
اعزته واولاد كبده واحب الناس اليه فلذلك ضمهم في المباهلة ولم يقتصر على تعريض
نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك استيصال
ان تمت المباهلة وانما خص الابنا والنسا لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلب وربما
فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وانما قدمهم في الذكر على النفس لينبه
بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على صحة نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ومخالف انهم اجابوا الى المباهلة لانهم
عرفوا صحة نبوته وما يجدون لنعتها في كتبهم قوله تعالى **ان هذا** يعني الذي قص عليك
يا محمد من خبر عيسى وانه عبد الله ورسوله **لهو القصص الحق** واصله من القص وهو
تتبع الاثر والقصص الخبر الذي يتتابع فيه المعاني **وما من اله الا الله** انما دخلت
من لتوكيد النفي والمعنى ان عيسى ليس باله كما زعمت النصارى ففيه رد عليهم ونفي جميع
من ادعى من المشركين ان معهم الهة واثبات الالهية لله تعالى وحده لا شريك له في الالهية
**وان الله لهو العزيز** اي الغالب المنتقم ممن عصاه وخالف امره وادعى معه الها آخر
**الحكيم** يعني في تدبيره وفيه رد على النصارى لان عيسى لم يكن كذلك **فان تولوا**
يعني فان اعرضوا عن الايمان ولم يقبلوه **فان الله عليم بالمفسدين** اي الذين يعبدون
غير الله ويدعون الناس الى عبادة غيره وفيه وعيد وتهديد لهم قوله عز وجل **قل يا اهل**
**الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم** قال المفسرون لما قدم وفد نجران المدينة
اجتمعوا باليهود واختصموا في ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى انه كان نصرانيا
وهم على دينه واولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وهم على دينه واولى الناس به
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من ابراهيم ودينه بل كان حنيفا
مسلما وانا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود ما نريد الا ان نتخذك
ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا وقالت النصارى يا محمد ما نريد الا ان نقول
فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله عز وجل قل يا اهل الكتاب تعالوا اي هلموا
الى كلمة يعني فيها انصاف ولا ميل فيها لاحد على صاحبه والعرب تسمي كل قصة وقضية
لها اول وشرح كلمة سواء اي عدل لا يختلف فيها التوراة والانجيل والقرآن
وتفسير الكلمة قوله **ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا**
**اربابا من دون الله** وذلك ان النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا
به وهو قولهم اب وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله وذلك انهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الشرك ويسجدون لهم
فهذا معنى اتخاذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله فثبت ان النصارى قد جمعوا بين هذه
الثلاثة اشيا ومعنى الاية قل يا محمد لليهود والنصارى هلموا الى امر عدل نصف وهو
ان لا نقول عزير ابن الله ولا نقول المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بشر مخلوق مثلنا



ولا نطيع احبارنا ورهباننا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع
ولا يسجد بعضنا لبعض لان السجود لغير الله حرام فلا نسجد لغير الله وقيل معناه ولا
نطيع احدا في معصية الله **فان تولوا** يعني فان اعرضوا عما امرتهم به **فقولوا**
انتم لهم **اشهدوا بانا مسلمون** اي مخلصون بالتوحيد لله والعبادة له ق عن
ابن عباس ان ابا سفيان اخبره ان هرقل ارسل اليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام
في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها ابا سفيان وكفار قريش فاتوه
وهو بايليا فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي بعث به مع دحية الكلبي الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقراه فاذا
فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام
على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يؤتك الله
اجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم اليريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا
من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون لفظ الحديث احد روايات البخاري
وقد اخرجه باطول من هذا وفيه زيادة قوله اليريسيين وفي رواية الاريسيين والاريسيين
الاكار وهو الزراع والفلاح وقيل هم اتباع عبد الله بن اريس رجل كان في الزمن الاول
بعثه الله تعالى فقتله قومه وقيل هم الاروسيون وهم نصارى عبد الله بن اروس وهم
الاروسية وقيل هم الاريسيون بضم الهمزة وهم الملوك الذين يخالفون انبياءهم
وقيل هم المتبخترون وقيل هم اليهود والنصارى الذين صدوهم عن الاسلام واتبعوك
على كفرك قوله عز وجل **يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم** قال ابن عباس اجتمع
عند النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران واحبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت
الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى ما كان الا نصرانيا فانزل الله فيهم
يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم **وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده** ومعنى الاية
ان اليهود والنصارى لما اختصموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في شان ابراهيم
عليه السلام وادعت كل طايفة انه كان منهم وعلى دينهم فبرا الله عز وجل ابراهيم
مما ادعوا فيه واخبر ان اليهودية والنصرانية انما حدثتا بعد نزول التوراة والانجيل وانما
نزل بعد ابراهيم بزمان طويل فكان بين ابراهيم وبين موسى ونزول التوراة عليه خمسماية
سنة وخمس وسبعون سنة وبين موسى وعيسى الف وثمانماية واثنان وثلاثون
سنة وقال ابن اسحاق كان بين ابراهيم وموسى خمسماية سنة وستون سنة وبين
موسى وعيسى الف سنة وتسعماية وعشرون سنة واوردوا على هذا التاويل بان
الاسلام ايضا انما حدث بعد ابراهيم وموسى وعيسى بزمان طويل ولذلك انزل القرآن
بما انزل بعد التوراة والانجيل فكيف يصح ما ادعيتم في ابراهيم انه كان حنيفا مسلما
واجيب عنه بان الله عز وجل اخبر في القرآن بان ابراهيم كان حنيفا مسلما وليس في
التوراة والانجيل ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا فصح وثبت ما ادعاه المسلمون

وبطل ما ادعاه اليهود والنصارى وهو قوله تعالى افلا تعقلون يعني بطلان قولكم
يا معشر اليهود والنصارى حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هولا
ها للتنبيه وهو موضع النداء يعني يا هولا والمراد بهم اهل الكتابين يعني يا معشر
اليهود والنصارى حاججتم اي جادلتم وخاصمتم فيما لكم به علم يعني فيما وجدتم
في كتبكم وانزل عليكم بيانه في امر موسى وعيسى وادعيتم انكم على دينهما وقد انزلت
التوراة والانجيل عليكم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم يعني انه ليس في كتابكم
ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا والله يعلم يعني ما كان ابراهيم عليه من الدين وانتم
لا تعلمون يعني ذلك والمعنى وانتم جاهلون بما تقولون في ابراهيم ثم براه الله
عز وجل عما قالوا فيه واعلمهم ان ابراهيم بري من دينهم فقال تعالى ما كان ابراهيم
يهوديا ولا نصرانيا يعني لم يكن كما ادعوه ثم وصفه بما كان عليه من الدين فقال
تعالى ولكن كان حنيفا مسلما يعني مائلا عن الاديان كلها الى الدين المستقيم
وهو الاسلام وقيل الحنيف الذي يوحد ويختتن ويستقبل الكعبة في صلاته
وهو احسن الاديان واسهلها واحبها الى الله عز وجل وما كان من المشركين يعني الذين
يعبدون الاصنام وقيل فيه تعريض بكون النصارى مشركين لقولهم بالهية المسيح
وعبادتهم له قوله عز وجل ان اولى الناس بابراهيم يعني احقهم به واقربهم منه للذين
اتبعوه يعني الذين كانوا في زمانه وامنوا به واتبعوا شريعته وهذا النبي يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم والذين امنوا يعني هذه الامة الاسلامية والله ولي المؤمنين يعني بالنصر
والمعونة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاة من النبيين
وان وليي ابي وخليل ربي ابراهيم ثم قرا ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي
والذين امنوا والله ولي المومنين اخرجه الترمذي روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
ورواه محمد بن اسحاق عن ابن شهاب باسناده حديث هجرة الحبشة قال لما هاجر جعفر
ابن ابي طالب واناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة واستقرت بهم الدار
وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار
الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند النجاشي من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتل
منكم ببدر فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب
لذلك رجلان من ذوي رايكم فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن ابي معيط معهما الهدايا
الادم وغيره فركبا البحر حتى اتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا
له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولاصحابك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هولاء
الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد
منا الا السفهاء وانا كنا قد ضيقنا عليهم الامر والجاناهم الى شعب بارضنا لا يدخل عليهم
احد ولا يخرج منهم احد قد قتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليهم الامر بعث اليك ابن عمه
ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالا واية ذلك
انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة



عن دينك وسنتك قال فقدم عليهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستاذن عليك
حزب الله تعالى فقال النجاشي مروا هذا الصايح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي
نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو الى صاحبه وقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب
الله وما اجابهم به الملك فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص
الا ترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم ان تسجدوا لي
وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من اتاني من الافاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك
وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا امرنا بالتحية
التي رضيها الله وهي السلام تحية اهل الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التوراة
والانجيل قال ايكم الهاتف يستاذن عليه حزب الله قال جعفر انا قال فتكلم قال انك
ملك من ملوك الارض من اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانما
احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم احدهما ولينصت الاخر فتسمع
محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين اعبيد نحن ام
احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا فارددنا عليهم فقال النجاشي اعبيد هم ام احرار
فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية فقال جعفر سلهما هل ارقنا دما
بغير حق فيقتص منا فقال عمرو ولا قطرة قال جعفر هل اخذنا اموال الناس بغير
حق فعلينا قضاؤها فقال النجاشي ان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو ولا قيراط
فقال النجاشي فما تطلبون منهم قال كنا وهم على دين واحد وامر واحد على دين ابائنا
فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا قومنا لتدفعهم الينا فقال النجاشي وما هذا
الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعوه فقال جعفر اما الدين الذي كنا عليه
فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة واما الذي تحولنا اليه فهو دين الاسلام
جاءنا به من عند الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي
يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي فضرب بالناقوس فاجتمع
اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم الله الذي انزل
الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا قالوا اللهم
نعم قد بشرنا به عيسى فقال من امن به فقد امن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال
النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يامركم به وما ينهاكم عنه فقالوا يقرا
علينا كتاب الله ويامرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويامرنا بحسن الجوار وصلة
الرحم وبر اليتيم ويامرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرا علي مما يقرا عليكم
فقرا عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا
زدنا من هذا الحديث الطيب فقرا عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي
فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي فما تقولون في عيسى وامه فقرا عليهم
سورة مريم فلما اتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي من سواكه قدر ما يقذي العين
وقال والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا

فانتم سيوم بارضي يقول امنون من سبكم او اذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة
اليوم على حزب ابراهيم فقال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هولا الرهط وصاحبهم
الذي جاوا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا دين ابراهيم ثم رد النجاشي
على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الرشوة فاقبضوها فان الله ملكني
ولم ياخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير دار وانزل الله عز وجل في ذلك
اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم في ابراهيم وهو في المدينة ان اولى
الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين امنوا والله ولي المومنين قوله تعالى
ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن
ياسر حين دعاهم اليهودي الى دينهم فنزلت فيهم ودت طايفة اي تمنت طايفة جماعة
من اهل الكتاب يعني اليهود لو يضلونكم يعني عن دينكم ويردونكم الى الكفر وما يضلون
الا انفسهم لان المومنين لا يقبلون قولهم فيحصل عليهم الاثم بتمنيهم اضلال
المومنين وما يشعرون يعني ان وبال الاضلال يعود عليهم لان العذاب يضاعف لهم
بسببه ضلالهم وتمني اضلال المسلمين وما يقدرون على ذلك انما يضلون امثالهم
واتباعهم واشياعهم يا اهل الكتاب الخطاب لليهود لم تكفرون بايات الله يعني القران
وقيل المراد بايات الله الواردة في التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم
وسبب كفرهم بالتوراة والانجيل على هذا القول هو تحريفهم وتبديلهم ما فيهما من
بيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته والبشارة بنبوته لانهم ينكرون ذلك وانتم
تشهدون يعني ان نعته وصفته مذكور في التوراة والانجيل وذلك ان احبار
اليهود كانوا يكتمون الناس نعته وصفته فاذا خلا بعضهم ببعض اظهروا ذلك فيما بينهم
وشهدوا انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وذلك ان علما اليهود
والنصارى كانوا يعلمون بقلوبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله وان دينه
حق وكانوا ينكرون ذلك بالسنتهم وكانوا يجتهدون في القا الشبهات والتشكيكات
وذلك ان السعي في اخفا الحق لا يقدر عليه الا باحد هذه الامور وقوله تعالى لم تلبسون
الحق بالباطل معناه تحريف التوراة وتبديلها فيخلطون المحرف الذي كتبوه بايديهم
بالحق المنزل وقيل هو خلط الاسلام باليهودية والنصرانية وذلك انهم تواطيوا
على اظهار الاسلام في اول النهار والرجوع عنه في اخره والمراد بذلك تشكيك الناس
وقيل انهم كانوا يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بصحة نبوة موسى وانه حق ثم
ان التوراة دالة على ان شرع موسى لا ينسخ فهذا من تلبيسهم على الناس وتكتمون
الحق يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة وانتم تعلمون يعني انه رسول
من عند الله وان دينه حق وانما كتمتم الحق عنادا وحسدا وانتم تعلمون ما تستحقون
على كتمان الحق من العقاب قوله عز وجل وقالت طايفة من اهل الكتاب امنوا بالذي
انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره وهذا نوع اخر من تلبيسات اليهود وقيل
تواطى اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينه فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد



اول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ثم اكفروا اخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا
وشاورنا علماءنا فوجدنا ان محمدا ليس هو بذلك المبعوث وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم
ذلك شك اصحاب محمد في دينه واتهموه وقالوا انهم اهل الكتاب واعلم به منا فيرجعون
عن دينهم وقيل هذا في شان القبلة وذلك انه لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود
فقال كعب بن الاشرف لاصحابه امنوا بالذي انزل على محمد في امر الكعبة وصلوا اليها
اول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم اخر النهار لعلهم يرجعون فيقولون هولا
اهل كتاب وهم اعلم فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم
على سرهم وانزل هذه الاية ووجه النهار اوله والوجه مستقبل كل شي لانه اول ما
يواجه منه وانشد في معناه •

• من كان مسرورا بمقتل مالك • فليات نسوتنا بوجه نهار •

وقوله لعلهم يرشدون يعني عنه اذا القينا هذه الشبهة لعلهم يشكون في دينهم •
ويرجعون عنه ولما دبروا هذه الحيلة اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فلم
يتم لهم ولم يحصل لهم اثر في قلوب المومنين ولولا هذا الاعلام من الله تعالى لكان
ربما اثر ذلك في قلوب بعض من كان في ايمانه ضعف قوله تعالى ولا تومنوا الا لمن تبع
دينكم هذا متصل بالاول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تومنوا
اي لا تصدقوا الا لمن تبع دينكم اي وافق ملتكم التي انتم عليها وهي اليهودية
واللام في لمن صلة كقوله ردف لكم اي ردفكم قل ان الهدى هدى الله اي ان الدين
دين الله والبيان بيانه وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال هذا الكلام
معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول وهو اخبار عن قول اليهود لبعضهم
ببعض ومعنى الاية ولا تومنوا الا لمن تبع دينكم ولا تومنوا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم
من العلم والحكمة والكتاب والايات من فلق البحر وانزل المن والسلوى عليكم وغير ذلك
من الكرامات ولا تومنوا ان يحاجوكم عند ربكم لانكم اصح دينا منهم فلما اخبر الله تعالى عن
اليهود بذلك قال في اثنا ذلك قل ان الهدى هدى الله والمعنى ان الذي انتم عليه انما صار
دينا بحكم الله وامره فاذا امر بدين اخر وجب اتباعه والانقياد لحكمه لانه هو الذي يهدي
اليه وامر به وقيل معناه لهم يا محمد ان الهدى هدى الله وقد جيتكم به ولن ينفعكم في دفعه
هذا الكيد الضعيف وقرا الحسن والاعمش ان يوتى بكسر الالف فيكون قول اليهود
تاما عند قوله الا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى والمعنى قل يا محمد ان الهدى
هدى الله ان يوتى احد مثل ما اوتيتم وتكون ان بمعنى الجحد اي ما يوتى احد مثل
ما اوتيتم يا امة محمد من الدين والهدى او يحاجوكم عند ربكم يعني الا ان يحاجوكم
اليهود بالباطل فيقولوا نحن افضل منكم وقوله عند ربكم اي عند فعل ربكم ذلك بكم
وقيل في قوله او يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى الاية ما اعطى الله احدا مثل ما اعطيتم يا امة
محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرا ابن كثير ان يوتى بالمد على الاستفهام
وحينيذ يكون في الكلام اختصار تقديره ان يوتى احد مثل ما اوتيتم يا معشر اليهود من

الكتاب والحكمة فتحسدونه ولا تؤمنون به هذا قول قتادة والربيع فالابتدا من قول
الله تعالى يقول قل يا محمد ان الهدى هدى الله بان انزل كتابا مثل كتابكم وبعث نبيا مثل
نبيكم حسدتموه وكفرتم به قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشا وقوله او يحاجوكم على
هذه القراءة رجوع الى خطاب المومنين وتكون او بمعنى ان لانهما حرفا شرط وجزا يوضع
احدهما موضع الاخر والمعنى وان يحاجوكم يا معشر المومنين عند ربكم قل يا محمد ان الهدى
هدى الله ونحن عليه ويحتمل ان يكون الجميع خطابا للمومنين ويكون نظم الاية ان يؤتى
احد مثل ما اوتيتم يا معشر المومنين فان حسدوكم فقل ان الفضل بيد الله فقل ان
الفضل بيد الله فان حاجوكم فقل ان الهدى هدى الله ويحتمل ان يكون الخبر عن اليهود
قد تم عنده قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا من كلام الله تعالى يثبت به قلوب
المومنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم يقول لا تصدقوا يا معشر
المومنين الا من تبع دينكم ولا تصدقوا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم من الدين والفضل
ولا تصدقوا ان يحاجوكم عند ربكم او يقدروا على ذلك فان الهدى هدى الله
وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشا والله واسع عليم فتكون الاية كلها خطابا للمومنين
عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا وقوله تعالى قل ان الفضل بيد الله يعني قل
لهم يا محمد ان التوفيق للايمان والهداية للاسلام اي انه مالك له وقادر عليه دونكم
ودون سائر خلقه يؤتيه من يشا يعني الفضل الذي هو دين الاسلام يعطيه من يشا من
عباده ويوفق له من اراد من خلقه وفيه تكذيب لليهود في قولهم لا يوتى احد مثل ما
اوتيتم فقال الله تعالى ردا عليهم قل لهم ليس ذلك اليهم وانما الفضل بيد الله يؤتيه
من يشا واصل الفضل في اللغة الزيادة واكثر ما يستعمل في زيادة الاحسان •
والفاضل الزايد على غيره في خصال الخير والله واسع اي ذو سعة يتفضل على من يشا
عليم اي بمن يتفضل عليه وهو للفضل اهل يختص برحمته يعني بنبوته ورسالته
وقيل بدينه الذي هو الاسلام وقيل بالقران من يشا يعني من خلقه وفيه دليل على
ان النبوة لا تحصل الا بالاختصاص والتفضل لا بالاستحقاق لانه تعالى جعلها من باب
الاختصاص وللفاعل ان يفعل ما يشا الا من يشا بغير استحقاق والله ذو الفضل
العظيم قوله عز وجل ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يوده اليك ومنهم
من ان تامنه بدينار لا يوده اليك الاية نزلت في اليهود اخبر الله عز وجل ان فيهم
امانة وخيانة وقسمهم قسمين والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة
عن المال القليل يقول منهم من يودي الامانة وان كثرت مثل عبد الله بن سلام واصحابه
ومنهم من لا يوديها وان قلت وهم كفار اهل الكتاب مثل كعب بن الاشرف واصحابه قال
ابن عباس في هذه الاية اودع رجل من قريش عبد الله بن سلام الفا ومائة اوقية من
ذهب فاداها اليه فذلك قوله ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يوده اليك ومنهم
من ان تامنه بدينار لا يوده اليك يعني فنحاص بن عازورا استودعه رجل من قريش
دينارا فخانه وجحده ولم يوده اليه وقيل اهل الامانة هم النصارى واهل الخيانة



هم اليهود لان من مذهبهم ان يحل قتل من خالفهم في الدين واخذ ماله باي طريق كان
الا ما دمت عليه قائما قال ابن عباس يريد تتقاضاه وتطالبه بالالحاح والخصومة
والملازمة وقيل معناه الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه متوكلا
عليه بالمطالبة له والتعنيف بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقيل ان اردت انه
ان اودعته شيئا ثم استرجعته منه في الحال وانت قائم على راسه لم تفارقه رده
عليك فان اخرت استرجاع ما اودعته انكره ولم يرده عليك ذلك اي سبب ذلك الاستحلال
والخيانة بانهم قالوا يعني اليهود ليس علينا في الاميين سبيل يعني انهم يقولون
ليس علينا اثم ولا حرج في اخذ مال العرب وذلك ان اليهود قالوا اموال العرب حلال
لنا انهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم في كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في
دينهم وقيل ان اليهود قالوا نحن ابنا الله واحباوه والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا اذا
اكلنا اموال عبيدنا وقيل انهم قالوا ان الاموال كلها كانت لنا فما في يد العرب فهو
لنا وانما هم ظلمونا وغصبونا فلا سبيل علينا في اخذها منهم باي طريق كان وقيل ان
اليهود كانوا يبايعون رجالا من المسلمين في الجاهلية فلما اسلموا تقاضوهم بقية
اموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضا لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد
بيننا وبينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فاكذبهم الله تعالى فقال ويقولون
على الله الكذب يعني اليهود وهم يعلمون يعني انهم كاذبون ثم انه تعالى رد على اليهود
قولهم فقال بلى اي ليس الامر كما قالوا بل عليهم سبيل ولفظة بلى لمجرد نفي ما قبلها
فعلى هذا يحسن الوقوف عليها ثم يبتدي من اوفى اي ولكن من اوفى بعهده اي
بعهد الله الذي عهد اليه في التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران الذي
انزل عليه وباداء الامانة التي من ائتمنه عليها وقيل الهاء في قوله بعهده راجعة الى الموفي
واتقى يعني الكفر والخيانة ونقض العهد فان الله يحب المتقين يعني الذين يتقون
الشرك ق عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من كن
فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى
يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وفي رواية اذا
حدث كذب واذا وعد اخلف واذا عاهد الله غدر واذا خاصم فجر قوله عز وجل ان الذين
يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا قال عكرمة نزلت هذه الاية في احبار اليهود
ورؤسايهم في ابي بن رافع وكنانة بن ابي الحقيق وكعب بن الاشرف وحيي بن اخطب
الذين كتموا ما عهد الله اليهم في التوراة في شان محمد صلى الله عليه وسلم فبدلوه وكتبوا
بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا تفوتهم الرشا والماكل التي كانوا ياخذونها
من اتباعهم وسفلتهم وقيل نزلت في ادعا اليهود الذين قالوا انه ليس علينا في الاميين
سبيل وكتبوا ذلك بايديهم وحلفوا انه من عند الله وقيل نزلت في الاشعث بن
قيس وخصم له ق عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف
على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان قال عبد الله ثم قرا علينا رسول الله

صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى اخر الآية وفي رواية قال من حلف على يمين صبر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية فدخل الاشعث بن قيس الكندي فقال ما يحدثكم ابو عبد الرحمن فقلنا كذا وكذا فقال صدق في نزلت كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهداك او يمينه قلت انه اذا حلف ولا يبالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان ونزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى اخر الآية واخرجه الترمذي وابو داود وقال ان الحكومة كانت بين الاشعث وبين رجل يهودي وقيل نزلت هذه الآية في رجل اقام سلعته في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه خ عن عبد الله بن ابي اوفى ان رجلا اقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد اعطي بها ما لم يعط ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى اخر الآية وقيل الاقرب حمل الآية على الكل فقوله تعالى ان الذين يشترون بعهد الله يدخل فيه جميع ما امر الله ويدخل فيه العهود والمواثيق المأخوذة من جهة الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق فكل ذلك من عهد الله الذي يجب الوفاء به ومعنى ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله يعني الامانة وايمانهم يعني الكاذبة ثمنا قليلا يعني شيئا يسيرا من حطام الدنيا وذلك ان المشتري يأخذ شيئا ويعطي شيئا فكل واحد من المعطى والمأخوذ ثمن للآخر فهذا معنى الشراء اولئك يعني من هذه صفته لا خلاق لهم في الآخرة اي لا نصيب لهم في الآخرة ونعيمها وجميع منافعها ولا يكلمهم الله يعني كلاما يسرهم به او ينفعهم وقيل هو بمعنى الغضب ولا ينظر اليهم يوم القيامة اي لا يرحمهم ولا يحسن اليهم ولا ينيلهم خيرا ولا يزكيهم اي ولا يطهرهم من الذنوب ولا يثني عليهم بالجميل ولهم عذاب أليم يعني في الآخرة ق عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل حلف على سلعة لقد اعطي بها اكثر مما اعطى وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماء فيقول الله له اليوم امنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك م عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم قال فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقلت خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب وللنسائي المنان بما اعطى والمسبل ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب م عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة واوجب له النار قالوا يا رسول الله وان كان شيئا يسيرا قال وان كان قضيبا من اراك قوله عز وجل وان منهم يعني من اليهود لفريقا

يعني

يعني طائفة وجماعة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وابو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر يلوون اي يعطفون ويميلون واصل اللي الفتل من قولك لويت يده اذا فتلتها ألسنتهم بالكتاب يعني بالتحريف والتغيير والتبديل وتحريف الكلام تقليبه عن وجهه لان المحرف يلوي لسانه عن سنن الصواب بما يأتي به من عند نفسه قاله الواحدي ويحتمل ان يكون المعنى يلوون ألسنتهم الكتاب لانهم يحرفون الكتاب عما هو عليه بألسنتهم فيأتون به على القلب ونقل الامام فخر الدين عن القفال قال يلوون ألسنتهم معناه ان يعمدوا الى اللفظة فيحرفونها في حركات الاعراب تحريفا يتغير به المعنى وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية فلما فعلوا ذلك في الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة كان ذلك هو المراد من قوله يلوون ألسنتهم بالكتاب وقيل حرفوا نعته وصفة النبي صلى الله عليه وسلم من التوراة وبدلوها وآية الرجم وغير ذلك مما بدلوا وغيروا لتحسبوه من الكتاب يعني لتظنوا ان الذي حرفوه وبدلوه من الكتاب الذي انزله الله على انبيائه وما هو من الكتاب يعني ذلك الذي يزعمون انه من الكتاب ما هو منه ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله يعني ان الذي يقولونه ويغيرونه وانما كرر هذا بلفظين مختلفين مع اتحاد المعنى لاجل التأكيد ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون يعني انهم كاذبين وقال ابن عباس ان الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم حرفوا التوراة والانجيل والحقوا في كتاب الله ما ليس فيه قوله عز وجل ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة قيل ان نصارى نجران قالوا ان عيسى امرهم ان يتخذوه ربا فقال الله تعالى ردا عليهم ما كان لبشر يعني عيسى عليه السلام ان يؤتيه الله الكتاب يعني الانجيل وقال ابن عباس في قوله تعالى ما كان لبشر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ان يؤتيه الله الكتاب يعني القرآن وذلك ان ابا رافع من اليهود والسيد من نصارى نجران قالا يا محمد تريد ان نعبدك ونتخذك ربا قال معاذ الله ان امر بعبادة غير الله وما بذلك امرني الله وما بذلك بعثني فانزل الله هذه الآية ما كان لبشر اي ما ينبغي لبشر وهو جميع بني آدم لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط ويوضع موضع الواحد والجمع ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة يعني الفهم والعلم وقيل هو امضاء الحكم عن الله تعالى والنبوة يعني المنزلة الرفيعة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ومعنى الآية انه لا يجتمع لرجل نبوة مع القول للناس كونوا عبادا لي من دون الله وكيف يدعو الناس الى عبادة نفسه دون الله وقد اتاه الله ما اتاه من الكتاب والحكم والنبوة وذلك ان الانبياء موصوفون بصفات لا يحصل معها ادعاء الالهية والربوبية منها ان الله تعالى اتاهم الكتب السماوية ومنها اتيان النبوة ولا يكون الا بعد كمال العلم وكل هذه تمنع من هذه الدعوى ولكن كونوا ربانيين يعني ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فاضمر القول على حسب مذهب العرب في جواز الاضمار اذا كان في الكلام ما يدل عليه واختلفوا في معنى الرباني فقال ابن عباس معناه كونوا فقهاء علماء وعنه كونوا فقهاء

معلمين وقيل معناه حكماء حلماء وقيل الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وقيل
الرباني العالم الذي يعمل بعلمه وقيل يعمل بعلمه وقيل العالم بالحلال والحرام والامر
والنهي وقيل الرباني الذي جمع بين علم البصيرة والعلم بسياسة الناس ولما مات
ابن عباس قال محمد بن الحنفية اليوم مات رباني هذه الامة قال سيبويه الرباني
المنسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على طاعته وزيادة الالف والنون
فيه للدلالة على كمال هذه الصفة وقال المبرد الربانيون ارباب العلم واحدهم
رباني وهو الذي يرب العلم ويرب الناس اي يعلمهم ويصلحهم والالف والنون للمبالغة
فعلى قول سيبويه الرباني منسوب الى الرب على معنى التخصيص بمعرفة الرب وطاعته
وعلى قول المبرد الرباني ماخوذ من التربية وقيل الربانيون هم ولاة الامر والعلماء
وهما الفريقان اللذان يطاعان ومعنى الآية على هذا التاويل لا ادعوكم الى ان تكونوا
عبادا لي ولكن ادعوكم الى ان تكونوا ملوكا وعلماء ومعلمين للناس الخير والمواظبين
على طاعة الله وعبادته وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست عربية انما
هي عبرانية او سريانية وسواء كانت عربية او عبرانية فهي تدل على الذي علم وعمل
بما علم وعلم الناس طريق الخير وقوله تعالى بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون
اي كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب فدلت
الآية على ان العلم والتعليم والدراسة توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل
بالتعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه قوله عز وجل ولا يأمركم
قرئ بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول فيكون مردودا على البشر وقيل على اضمار
اذ اي ولا ان يأمركم وقرئ برفع الراء على الاستئناف وهو ظاهر ومعناه ولا يأمركم
الله وقيل ولا يأمركم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ولا يأمركم عيسى وقيل ولا يأمركم
الانبياء ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا يعني كفعل قريش والصابئين حين قالوا
الملائكة بنات الله وكفعل اليهود والنصارى حيث قالوا في المسيح والعزير ما قالوا
وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا بعبادة غير الله عز وجل
من اهل الكتاب لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح وعزير فلهذا
المعنى خصهم بالذكر ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون انما قاله على طريق التعجب
والانكار يعني لا يقول هذا ولا يفعله قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق النبيين
قال الزجاج موضع اذ نصب والمعنى واذكر في اقاصيصك اذ اخذ الله وقال الطبري
معناه واذكروا يا اهل الكتاب اذ اخذ الله يعني حين اخذ الله ميثاق النبيين
واصل الميثاق في اللغة عقد يؤكد بيمين ومعنى ميثاق النبيين ما وثقوا به على
انفسهم من طاعة الله فيما امرهم به ونهاهم عنه وذكروا في معنى اخذ الميثاق وجهين
احدهما انه ماخوذ من الانبياء والثاني انه ماخوذ لهم من غيرهم فلهذا السبب اختلفوا
في المعنى بهذه الآية فذهب قوم الى ان الله تعالى اخذ الميثاق من النبيين خاصة
قبل ان يبلغوا كتاب الله ورسالاته الى عباده ان يصدق بعضهم بعضا واخذ العهد



علي كل نبي ان يومن بمن ياتي بعده من الانبياء وينصره ان ادركه وان لم يدركه ان يامر قومه
بنصرته ان ادركوه فاخذ الميثاق من موسى ان يومن بعيسى ومن عيسى ان يومن بمحمد
صلى الله عليهم وسلم اجمعين وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل انما
اخذ الميثاق من النبيين في امر محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وهو قول علي وابن عباس
وقتادة والسدي فعلى هذا القول اختلفوا فقيل انما اخذ الله الميثاق على اهل
الكتاب الذي ارسل اليهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما
معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى اهل الكتاب
دون النبيين وانما اطلق هذا اللفظ عليهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة
من محمد لانا اهل كتاب والنبيون منا وقيل اخذ الله الميثاق على النبيين واممهم
جميعا في امر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الانبياء لان العهد مع المتبوع عهد مع
الاتباع وهو قول ابن عباس قال علي بن ابي طالب ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده
الا اخذ عليه العهد في امر محمد صلى الله عليه وسلم واخذ هو العهد على قومه ليؤمنن
به ولئن بعث وهم احياء لينصرنه وقيل ان المراد من الآية ان الانبياء كانوا ياخذون
العهد والميثاق على اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به وينصروه
وهذا قول كثير من المفسرين وقوله لما آتيتكم من كتاب وحكمة قرئ بفتح اللام
وكسرها مع التخفيف في القرائتين فمن قرأ بفتح اللام قال معنى الآية واذ
اخذ الله ميثاق النبيين من اجل الذي آتاهم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
يعني ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة لتؤمنن به الذي عندكم في التوراة
من ذكره ومن قرأ بكسر اللام فهو محمول قوله لتؤمنن به من اخذ الميثاق كما يقال اخذت
ميثاقك لتفعلن لان اخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان معنى الآية واذ استحلف
الله النبيين للذي آتاهم من كتاب وحكمة متى جاءكم رسول مصدق لما معهم لتؤمنن
به ولتنصرنه وقوله ثم جاءكم رسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم مصدق لما
معكم وذلك ان الله وصفه في كتب الانبياء المتقدمة وشرح فيها احواله
فاذا جاء على صفاته واحواله المطابقة لما في كتبهم المنزلة فقد صار مصدقا لها
فيجب الايمان به والانقياد لقوله ولامر قوله لتؤمنن به لام القسم تقديره
والله لتؤمنن به ولتنصرنه قال البغوي قال الله عز وجل للانبياء حين استخرج
الذرية من صلب آدم والانبياء فيهم كالمصابيح اخذ عليهم الميثاق في امر محمد
صلى الله عليه وسلم ... فمن رفعه واخذتم على ذلكم اصري الآية وقال الامام فخر الدين
الرازي يحتمل ان يكون هذا الميثاق ما قرر في عقولهم من الدلالة على ان الانقياد
لله واجب فاذا جاء رسول وظهرت المعجزات الدالة على صدقه فاذا اخبرهم بعد
ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه فتقرير هذا الدليل في
عقولهم فهذا هو المراد من الميثاق قال ءاقررتم يعني قال الله تعالى اقررتم
فان فسرنا ان اخذ الميثاق كان من النبيين كان قوله قال الله تعالى للنبيين

اقررتم بالايمان به والنصرة له وان فسرنا بان اخذ الميثاق كان على الامم كان معناه قال كل
نبي لامته اقررتم وذلك لانه تعالى اضاف اخذ الميثاق الى نفسه وان كان النبيون اخذوه
على الامم فلذلك طلب هذا الاقرار واضافه الى نفسه وان وقع من الانبيا والمقصود
ان الانبيا بالغوا في اثبات هذا الميثاق وتاكيده على الامم وطالبوهم بالقبول واكدوا
ذلك بالاشهاد **واخذتم على ذلكم اصري** اي عهدي والاصر العهد الثقيل وقيل
سمي العهد اصرا لانه مما يوصر اي يشد ويعقد **قالوا اقررنا** اي قال النبيون اقررنا
بما الزمتنا من الايمان برسلك الذين تبعثهم مصدقين لما معنا من كتبك **قال**
**فاشهدوا** يعني قال الله عز وجل للنبيين فاشهدوا يعني انتم على انفسكم وقيل على
اممكم واتباعكم الذين اخذتم عليهم الميثاق وقيل قال الله للملائكة فاشهدوا وهو
كناية عن غير مذكور وقيل معناه فاعلموا وبينوا لان اصل الشهادة العلم والبيان
**وانا معكم من الشاهدين** يعني قال الله يا معشر الانبيا وانا معكم من الشاهدين
عليكم وعلى اتباعكم او قال للملائكة وانا معكم من الشاهدين عليهم **فمن تولى** اي اعرض
عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته **بعد ذلك** الاقرار **فاولئك هم الفاسقون**
اي الخارجون عن الايمان والطاعة قوله عز وجل **افغير دين الله يبغون** وذلك ان
اهل الكتاب اختلفوا فادعى كل فريق منهم انه على دين محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ادعى
كل فريق منهم انه على دين ابراهيم عليه السلام فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بري من دين ابراهيم فقالوا لا نرضى بقضائك
ولا ناخذ بدينك فانزل الله افغير دين الله يبغون الهمزة للاستفهام والمراد منه الانكار
والتوبيخ يعني افبعد اخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلايل لهم ان دين ابراهيم هو
دين الاسلام تبغون قري بالتا على خطاب الحاضر اي فغير دين الله تطلبون يا معشر
اليهود والنصارى وقري باليا على الغيبة ردا على قوله فمن تولى بعد ذلك فاولئك
هم الفاسقون **وله اسلم** اي خضع وانقاد **من في السموات والارض طوعا وكرها**
الطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان من ذلك بمشقة واباء من النفس
واختلفوا في معنى قوله طوعا وكرها فقيل اسلم اهل السموات طوعا واسلم
بعض اهل الارض طوعا وبعضهم كرها من خوف القتل والسبي وقيل اسلم المومن
طوعا وانقاد الكافر كرها وقيل هذا في يوم اخذ الميثاق وحين قال الست بربكم
قالوا بلى فمن سبقت له السعادة قال ذلك طوعا ومن سبقت له الشقاوة قال
ذلك كرها وقيل اسلم المومن طوعا فنفعه اسلامه يوم القيامة والكافر يسلم
كرها عند الموت في وقت الياس فلم ينفعه ذلك في القيامة وقيل انه لا سبيل لاحد
من الخلق الى الامتناع على الله في مراده فاما المسلم فينقاد لله فيما امره او نهاه
عنه طوعا واما الكافر فينقاد لله كرها في جميع ما يقضي عليه ولا يمكنه دفع قضايه
وقدره عنه **واليه ترجعون** قري بالتا واليا والمعنى ان مرجع الخلق كلهم الى الله
يوم القيامة ففيه وعيد عظيم لمن خالفه في الدنيا قوله عز وجل **قل امنا بالله**



لما ذكر الله عز وجل في الاية المتقدمة اخذ الميثاق على الانبيا في تصديق الرسول
الذي ياتي مصدقا لما معهم بين في هذه الاية ان من صفة محمد صلى الله عليه وسلم مصدقا
لما معهم فقال تعالى قل امنا بالله وانما وحد الضمير في قوله قل وجمع في قوله امنا بالله
لانه لما خاطبه بلفظ الوحدان ليدل هذا الكلام على انه لا مبلغ هذا التكليف عن
الله تعالى الى الخلق الا هو ثم قال امنا بالله تنبيها على انه حين قال هذا القول وافقه
اصحابه فحسن الجمع في قوله امنا ومعنى الاية قل يا محمد صدقنا بالله انه ربنا والهنا
لا اله لنا غيره ولا رب سواه وانما قدم الايمان بالله على غيره لانه الاصل **وما انزل**
**علينا** يعني وقل يا محمد وصدقنا ايضا بما انزل علينا من وحيه وتنزيله وانما قدم
ذكر القران لانه اشرف الكتب وانه لم يحرف ولم يبدل وغيره حرف وبدل **وما انزل**
**على ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى** انما
خص هولا الانبيا بالذكر لان اهل الكتاب يعترفون بوجودهم ولم يختلفوا في نبوتهم
والاسباط هم اولاد يعقوب الاثنا عشر وكانوا انبيا ثم جمع جميع الانبيا فقال
**والنبيون** اي وما اوتي النبيون **من ربهم لا نفرق بين احد منهم** وذلك ان اهل الكتاب
يومنون ببعض النبيين ويكفرون ببعض فامر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
ان يخبر عن نفسه وعن امته انه يومن بجميع الانبيا فان قلت لم عدى انزل في هذه الاية
بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها في البقرة بحرف الى قلت لوجود المعنيين
جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجا تارة باحد المعنيين وتارة بالمعنى
الاخر **ونحن له مسلمون** اي موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في
عبادتنا قوله عز وجل **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه** يعني ان الدين
المقبول عند الله هو دين الاسلام وان كل دين سواه غير مقبول عنده لان الدين
الصحيح ما يامر الله به ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه **وهو في الاخرة من الخاسرين**
يعني الذين وقعوا في الخسار وهو حرمان الثواب وحصول العقاب وروى ابن جرير
الطبري عن عكرمة في قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود
فنحن مسلمون فقال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم ولله على الناس
حج البيت فلم يحجوا قوله عز وجل **كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم** نزلت في
اثني عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة واتوا مكة كفارا منهم الحارث
بن سويد الانصاري وطعمة بن ابيرق وحجوج بن الاسلت وقال ابن عباس نزلت
في اليهود والنصارى وذلك ان اليهود كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون
به على الكفار ويقرون به ويقولون قد اظل زمان نبي مبعوث فلما بعث محمد
صلى الله عليه وسلم كفروا به بغيا وحسدا ومعنى كيف يهدي الله كيف يرشد الله للصواب
ويوفق للايمان قوما كفروا اي جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم اي تصديقهم
اياه واقرارهم به وبما جاء به من عند ربه **وشهدوا ان الرسول حق** يعني وبعد ان اقروا
وشهدوا ان محمدا رسول الله الى خلقه وانه حق وصدق **وجاءهم البينات** يعني بالحجج

والبراهين والمعجزات الدالة على صحة نبوته التي بمثلها تثبت النبوة **والله لا يهدي القوم الظالمين** أي لا يوفقهم إلى الحق والصواب لما سبق في علمه تعالى أنهم ظالمون وقيل لا يهديهم في الآخرة إلى الجنة والثواب فإن قلت كيف قال في أول الآية كيف يهدي الله قوما كفروا وقال في آخرها والله لا يهدي القوم الظالمين وهذا تكرار قلت ليس فيه تكرار لأن قوله كيف يهدي الله قوما كفروا إنما هو مختص بأولئك المرتدين عن الإسلام ثم إنه تعالى عمم ذلك الحكم في آخر الآية فقال والله لا يهدي القوم الظالمين يعني جميع الكفار المرتدين عن الإسلام والكافر الأصلي وإنما سمى الكافر ظالما لأنه وضع العبادة في غير موضعها **أولئك جزاؤهم** يعني الذين كفروا بعد إيمانهم **أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها** أي في عذاب اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة **لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون** أي ولا يؤخرون عن وقت العذاب ولا يؤخر عنهم من وقت إلى وقت ثم استثنى سبحانه وتعالى فقال **إلا الذين تابوا من بعد ذلك** يعني من بعد ارتدادهم وكفرهم وذلك أن الحرث بن سويد الأنصاري لما لحق بالكفار ندم على ذلك فأرسل إلى قومه أن سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة ففعلوا فأنزل الله تعالى إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا الآية فبعث بها إليه أخوه الجلاس مع رجل من قومه فأقبل إلى المدينة تائبا وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن إسلامه **وأصلحوا** أي وضموا إلى التوبة الأعمال الصالحة فبين أن التوبة وحدها لا تكفي حتى يضاف إليها العمل الصالح وقيل معناه وأصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم مع الخلق بالعبادات والطاعات **فإن الله غفور رحيم** أي غفور لقبائحهم في الدنيا بالستر رحيم في الآخرة بالعفو وقيل غفور بإزالة العذاب رحيم بإعطاء الثواب قوله عز وجل **إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا** نزلت في اليهود وذلك أنهم كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بموسى وغيره من أنبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعني كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى وذلك أنهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما رأوه بعد إيمانهم به قبل مبعثه لما ثبت عندهم من نعته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعني ذنوبا في حال كفرهم وقيل نزلت في جميع الكفار وذلك أنهم أشركوا بالله بعد إقرارهم أن الله خالقهم ثم ازدادوا كفرا يعني بإقامتهم على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم هو قولهم نتربص بمحمد ريب المنون وقيل نزلت في أحد عشر رجلا من أصحاب الحرث بن سويد الذين ارتدوا عن الإسلام فلما رجع الحرث إلى الإسلام أقاموا على كفرهم بمكة وقالوا نقيم على الكفر ما بدا لنا ومتى أردنا الرجعة ينزل فينا ما نزل في الحرث فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فمن دخل منهم في الإسلام قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم على كفره إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية فإن قلت قد وعد الله قبول التوبة ممن تاب فما معنى قوله لن تقبل توبتهم قلت اختلف المفسرون في معنى قوله لن تقبل توبتهم فقال الحسن وعطاء وقتادة والسدي لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وهو وقت الحشرجة لأن الله تعالى قال وليست التوبة للذين يعملون





السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن فإن الذي يموت على الكفر لا تقبل توبته كأنه قال إن اليهود أو الكفار أو المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا ثم ماتوا على ذلك **لن تقبل توبتهم** وقال ابن عباس هم الذين ارتدوا وعزموا على إظهار التوبة لستر أحوالهم والكفر في ضمائرهم وقال أبو العالية هم قوم تابوا من ذنوب عملوها في حال الشرك غير مقبولة وقال مجاهد لن تقبل توبتهم إذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير معنى لن تقبل توبتهم مما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد إيمانهم لا من كفرهم لأن الله تعالى وعد أن يقبل التوبة عن عباده وأنه قابل توبة كل تائب من كل ذنب لقوله تعالى إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم علم أن المعنى الذي لا تقبل التوبة منه غير المعنى الذي تقبل التوبة منه فعلى هذا فالذي لا تقبل توبته هو الازدياد على الكفر بعد الكفر لا يقبل الله منه توبته ما أقام على كفره لأن الله تعالى لا يقبل عمل مشرك ما أقام على شركه فإذا تاب من شركه وكفره وأصلح فإن الله كما وصف نفسه غفور رحيم وقوله تعالى **وأولئك هم الضالون** يعني هؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا هم الذين ضلوا عن سبيل الحق وأخطأوا منهاجه قوله عز وجل **إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار** قال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دخل من كان من أصحاب الحرث بن سويد حيا في الإسلام فنزلت هذه الآية فيمن مات منهم على الكفر وقيل نزلت فيمن مات كافرا من جميع أصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الأصنام فالآية عامة في جميع من مات على الكفر **فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا** أي قدر ما يملأ الأرض من شرقها إلى غربها **ولو افتدى به** قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة وقيل الواو على حالها وفائدتها أنها للعطف والتقدير لو تقرب إلى الله بملء الأرض ذهبا وقد مات على كفره لم ينفعه ذلك ولو افتدى من العذاب بملء الأرض ذهبا لن يقبل منه وهذا أكد في التغليظ لأنه تصريح بنفي القبول من جميع الوجوه فإن قلت الكافر لا يملك شيئا في الآخرة قلت الكلام ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى لو أن للكافر قدر ملء الأرض ذهبا يوم القيامة لبذله في تخليص نفسه من العذاب ولكن لا يقدر على شيء من ذلك وقيل معناه لو أن الكافر أنفق في الدنيا ملء الأرض ذهبا ثم مات على كفره لم ينفعه ذلك لأن الطاعة مع الكفر غير مقبولة **أولئك** إشارة إلى من مات على الكفر **لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين** يعني مانعين يمنعونهم من العذاب (ق) عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا الشرك لفظ مسلم قوله عز وجل **لن تنالوا البر** قال ابن عباس يعني الجنة وقيل البر هو التقوى وقيل الطاعة وقيل معناه لن تنالوا حقيقة البر ولن تكونوا أبرارا حتى تنفقوا مما تحبون وقيل معناه لن تنالوا بر الله وهو ثوابه وأصل البر التوسع في فعل الخير يقال بر العبد ربه أي توسع في طاعته

فالبر من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل في الصدق وحسن الخلق لانهما
من الخير المتوسع فيه ق عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله
صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب
حتى يكتب عند الله كذابا م عن النواس بن سمعان قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع
عليه الناس ومنك فعلى هذا يكون المعنى عليكم بالاعمال الصالحة حتى تكونوا ابرارا
وتدخلوا في زمرة الابرار ومن قال ان لفظ البر هو الجنة فقال معنى الاية لن تنالوا
ثواب البر المودي الى الجنة حتى تنفقوا مما تحبون يعني من جيد اموالكم وانفسها عندكم
قال الله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقيل هو ان تنفق من مالك ما انت
محتاج اليه قال الله تعالى ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ق عن ابي هريرة
قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله اي الصدقة افضل
قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنا ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم
قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان لفلان واختلفوا في هذا الانفاق فقال ابن عباس
هو الزكاة المفروضة والمعنى لن تنالوا البر حتى تخرجوا زكاة اموالكم فعلى هذا
القول قيل ان الاية منسوخة باية الزكاة وفيه بعد لانه ترغيب في اخراج الزكاة
وقال ابن عمر المراد بها سائر الصدقات وقال الحسن كل شيء انفقه المسلم من ماله
مما يبتغي به وجه الله ويطلب ثوابه حتى التمرة فانه يدخل في قوله لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون ق عن انس بن مالك قال كان ابو طلحة اكثر الانصار بالمدينة مالا
وكان احب امواله اليه بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال انس فلما نزلت هذه الاية لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون قال ابو طلحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ان الله تعالى يقول في كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان احب اموالي
الي بيرحاء وانها صدقة لله عز وجل ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله
حيث شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح او قال ذلك
مال رابح ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها ابو طلحة
في اقاربه وبني عمه قوله بخ بخ هي كلمة تقال عند المدح والرضى وتكريرها للمبالغة وهي
مبنية على السكون فاذا وصلت جرت ونونت فقلت بخ بخ وقيل بخ بخ قوله مال
رابح اي ذو ربح وفي الرواية الاخرى ذلك مال رايح بالياء معناه يروح عليك نفعه
وثوابه وبيرحاء اسم موضع بالمدينة وهو حائط كان لابي طلحة وروي عن مجاهد قال
كتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت
فلما جاءت اعجبته فقال عمر ان الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما
تحبون فاعتقها عمر عن حمزة بن عبد الله بن عمر ان عبد الله بن عمر خطرت على قلبه

هذه



هذه الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال عبد الله فذكرت ما اعطاني الله
تعالى فما كان شيء احب الي من فلانة فقلت هي حرة لوجه الله تعالى قال ولولا اني لا اعود
في شيء جعلته لله لنكحتها وعن عمرو بن دينار قال لما نزلت هذه الاية لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس له يقال لها سبل كان يحبها الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يا رسول الله فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسامة بن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله انما اردت ان تصدق بها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك وفي رواية كان زيد وجد في نفسه فلما راى ذلك
منه النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما ان الله قد قبلها وروي ان اباذر نزل به ضيف
فقال للراعي ايتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال للراعي خنتني فقال الراعي وجدت
خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه يوم اوضع في
حفرتي وقوله تعالى وما تنفقوا من شيء يعني من اي شيء كان من طيب تحبونه
او خبيث تكرهونه فان الله به عليم اي يعلمه ويجازيكم به قوله عز وجل كل
الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة
سبب نزول هذه الاية ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على ملة
ابراهيم وكان ابراهيم لا ياكل لحوم الابل والبانها وانت تاكل ذلك كله فلست على ملته
فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابراهيم قالوا كل ما تحرمه اليوم كان ذلك
حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فانزل الله عز وجل كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل
الا ما حرم اسرائيل على نفسه وهو يعقوب من قبل ان تنزل التوراة يعني ليس الامر على
ما تدعيه اليهود من تحريم لحوم الابل على ابراهيم بل كان ذلك حلالا على ابراهيم واسمعيل
واسحاق ويعقوب وانما حرمه يعقوب بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده
فانكر اليهود ذلك فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وطلب منهم ان
يستخرجوا منها ان ذلك حراما على ابراهيم فعجزوا عن ذلك وافتضحوا وبان كذبهم
فيما ادعوا من حرمة هذه الاشياء على ابراهيم وقيل ان اليهود انكروا شرع محمد صلى الله
عليه وسلم وادعوا ان النسخ غير جائز فابطل الله ذلك عليهم واخبر ان الطعام كان
حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فذلك ان الذي حرمه على نفسه كان
حلالا ثم صار حراما عليه وعلى اولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بان
النسخ غير جائز فانكرت اليهود ذلك وقالوا بل كان ذلك حراما من زمن ادم الى
هذا الوقت فالزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وقالوا ان التوراة
ناطقة بان انواع الطعام انما حرم بسبب ان اسرائيل حرمه على نفسه فخاف اليهود
من الفضيحة وامتنعوا من احضار التوراة فحصل بذلك كذبهم وانهم ينسبون الى
التوراة ما ليس فيها وبطل قولهم بان النسخ غير جائز وفي هذا دليل على صحة نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان رجلا اميا لم يقرا الكتب ولم يعرف
ما في التوراة فلما اخبر ان ذلك ليس في التوراة علم ان الذي اخبر به صلى الله عليه وسلم

انه وحي من الله تعالى وقوله كل الطعام يعني كل انواع الطعام وساير المطعومات كان
حلا اي حلالا لبني اسرايل الا ما حرم اسرايل على نفسه اسرايل هو يعقوب بن اسحاق
ابن ابراهيم عليهم السلام واختلفوا في الذي حرم يعقوب على نفسه فقيل حرم
لحوم الابل والبانها وروى الطبري بسنده عن ابن عباس ان عصابة من اليهود حضروا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله اخبرنا اي الطعام حرم اسرايل
على نفسه من قبل ان تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم
بالله الذي انزل التوراة على موسى هل تعلمون ان اسرايل يعقوب مرض مرضا شديدا
فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لان عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب
اليه وكان احب الطعام اليه لحم الابل واحب الشراب اليه البانها فقالوا اللهم نعم وقال
ابن عباس هي العروق وكان سبب ذلك انه اشتكى عرق النسا وكان اصل وجعه
فيما روي عن الضحاك ان يعقوب كان نذر ان وهب الله له اثني عشر ولدا واتى
بيت المقدس صحيحا ان يذبح احدهم وفي رواية آخرهم فتلقاه ملك من الملايكة وقال
يا يعقوب انك رجل قوي فهل لك في الصراع فعالجه فلم يصرع احدهما صاحبه
فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال اما اني لو شيت ان اصرعك
لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك قد نذرت ان اتيت بيت المقدس صحيحا
ذبحت آخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدم يعقوب بيت
المقدس اراد ذبح ولده ونسي ما قال له الملك فاتاه الملك وقال انما غمزتك للمخرج
وقد وفا نذرك فلا سبيل لك الى ذبح ولدك وقال ابن عباس في الخبر ان اقبل يعقوب
من حران يريد بيت المقدس حتى هرب من اخيه العيص وكان يعقوب رجلا بطشا قويا
ولقيه ملك في صورة رجل فظن يعقوب انه لص فعالجه ان يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب
وصعد الى السما ويعقوب ينظر فهاج به عرق النسا ولقي منه شدة فكان لا ينام
الليل من الوجع ويبيت وله زقا اي صياح فحلف يعقوب لان شفاه الله ان لا ياكل
عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتبعون العروق
ويخرجونها من اللحم ولا ياكلونها وقيل لما اصاب يعقوب ذلك وصف له الاطبا
تجنب لحم الابل فحرمها يعقوب على نفسه وقيل انما حرم يعقوب لحوم الجزور
تعبدا لله تعالى وسال ربه ان يجيز ذلك فحرمه الله على ولده وهو ظاهر الاية
لان الله تعالى قال كل الطعام كان حلا لبني اسرايل ثم استثنى ما حرم اسرايل
على نفسه فوجب بحكم الاستثنا ان يكون ذلك حراما على بني اسرايل اما قوله تعالى
من قبل ان تنزل التوراة فمعناه ان قبل انزال التوراة كان كل انواع الطعام كان
حلالا لبني اسرايل سوى ما حرمه اسرايل على نفسه فاما بعد نزول التوراة فقد
حرم الله تعالى عليهم اشيا كثيرة من انواع الطعام ثم اختلفوا في حال هذا الطعام
المحرم على بني اسرايل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة
ما كانوا حرموه على انفسهم قبل نزولها وقال عطية انما كان حراما عليهم بتحريم

اسرايل



اسرايل فانه قال ان عافاني الله تعالى لا ياكله ولد لي ولم يكن ذلك محرما عليهم في التوراة
وقال الكلبي لم يحرمه الله في التوراة وانما حرم عليهم بعد نزول التوراة بظلمهم كما قال
تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقال تعالى وعلى الذين
هادوا حرمنا عليهم الى ان قال ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فكانت بنو اسرايل
اذا اصابوا ذنبا عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا او صب عليهم رجزا وهو الموت وقال
الضحاك لم يكن بشي من ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله في التوراة وانما حرموه على
انفسهم اتباعا لابيهم ثم اضافوا تحريمه لله عز وجل فكذبهم الله تعالى فقال تعالى
**قل فاتوا بالتوراة** يعني قل لهم يا محمد فاتوا بالتوراة **فاتلوها** اي فاقروها
وما فيها حتى يتبين ان الامر كما قلتم **ان كنتم صادقين** يعني فيما ادعيتم فلم ياتوا بها
وخافوا الفضيحة فقال تعالى **فمن افترى على الله الكذب** الافترا اختلاق
الكذب واصل الافترا الكذب والقذف والافساد واصله من فري الاديم اذا قطعه
لان الكاذب يقطع القول من غير حقيقة له في الوجود **من بعد ذلك** اي من ظهور
الحجة بان التحريم انما كان من جهة يعقوب ولم يكن محرما قبله **فاولئك هم الظالمون**
اي المستحقون للعذاب لان كفرهم ظلم منهم لانفسهم ولمن اضلوه عن الدين من
بعدهم وهذا وهذا رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا ابراة ساحتهم فيما بغي
عليهم مما نطق به القران من تعذيبه مساويهم التي كانوا يرتكبونها **قل صدق الله**
يعني قل صدق الله يا محمد فيما اخبر ان ذلك النوع من الطعام صار حراما على
اسرايل واولاده بعد ان كان حلالا لهم فصح القول بالنسخ وبطل قول اليهود
وقيل معناه صدق الله في قوله ان لحوم الابل والبانها كانت محللة لابراهيم
عليه السلام وانما حرمت على بني اسرايل بسبب تحريمها اسرايل على نفسه وقيل
صدق الله في ان ساير الاطعمة كانت محللة على بني اسرايل وانما حرمت على اليهود
جزاء على قبايح افعالهم ففيه تعريض بكذب اليهود والمعنى ثبت ان الله تعالى صادق
فيما انزل واخبر وانتم كاذبون يا معشر اليهود **فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا** اي اتبعوا
ما يدعوكم اليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة ابراهيم وهي الاسلام وهو الدين الصحيح
وهو الذي عليه محمد ومن امن معه وانما دعاهم الى ملة ابراهيم لانها ملة محمد صلى الله
عليه وسلم **وما كان من المشركين** اي لم يدع مع الله الها اخر ولا عبد سواه قوله عز وجل
**ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة** سبب نزول هذه الاية ان اليهود قالوا للمسلمين
بيت المقدس قبلتنا وهو افضل من الكعبة واقدم وهو مهاجر الانبيا وقبلتهم وارض
المحشر وقال المسلمون بل الكعبة افضل فانزل الله هذه الاية وقيل لما ادعت
اليهود والنصارى انهم على ملة ابراهيم فاكذبهم الله تعالى واخبر ان ابراهيم كان حنيفا
مسلما وما كان من المشركين وامرهم باتباعه فقال تعالى في الاية المتقدمة واتبعوا
ملة ابراهيم حنيفا وكان من اعظم شعاير ملة ابراهيم الحج الى الكعبة ذكر في هذه الاية
فضيلة البيت ليفرع عليه ايجاب الحج وقوله ان اول بيت وضع للناس الاول هو الفرد

السابق المتقدم على ما سواه وقيل هو اسم للشيء الذي يوجد ابتداء سوا حصل عقيبه شيء اخر
او لم يحصل والمعنى ان اول بيت وضع اي وضعه الله موضعا للطاعات والعبادات وقبلة
للصلوات وموضعا للحج وموضعا للطواف ويزداد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه
وضع للناس يعني يشترك فيه جميع الناس كما قال تعالى سوا العاكف فيه والباد فان قلت
كيف اضافه الى نفسه مرة في قوله وطهر بيتي واضافه للناس اخرى بقوله وضع للناس قلت
اما اضافته الى نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم له كقوله ناقة الله واما اضافته
الى الناس فلانه يشترك فيه جميع الناس لانه موضع حجهم وقبلة صلاتهم للذي ببكة
قيل مكة نفسها والعرب تعاقب بين البا والميم فيقولون ضربة لازب ولازم وقيل
بكة اسم لموضع البيت ومكة اسم للبلد وفي اشتقاق بكة وجهان احدهما من البك
الذي هو عبارة عن الدفع يقال بكه يبكه اذا دفعه وزاحمه ولهذا قال سعيد بن جبير
سميت بكة لان الناس يتباكون فيها اي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر
ومجاهد وقتادة الوجه الثاني سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها ولم يقصدها
جبار بسوء الا قصمه الله تعالى وهذا قول عبد الله بن الزبير واما مكة فسميت بذلك
لقلة مائها لقول العرب مك الفصيل ضرع امه وامتكه مصه اي اذا امتص كل ما فيه من
اللبن وقيل لانها تمك الذنوب اي تزيلها وسميت مكة ام رحم لان الرحمة تنزل بها
والحاطمة لانها تحطم من استخف بحرمتها او لان الناس يحطم بعضهم بعضا من الزحمة
وسميت ام القرى لانها اصل كل بلدة ومن تحتها دحيت الارض واختلف العلما في كون
البيت اول بيت وضع للناس على قولين احدهما انه اول في الوضع والبنا قال مجاهد
خلق الله هذا البيت قبل ان يخلق شيئا من الارضين وفي رواية عنه ان الله خلق موضع
البيت قبل ان يخلق شيئا من الارض بالفي عام وقيل هو اول بيت وضع على وجه الما عند خلق
السموات والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضا على وجه الما فدحيت
الارض من تحته وهذا قول عمر ومجاهد وقتادة والسدي وقيل هو اول بيت بني على
الارض وروي عن علي بن الحسين ان الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت
المعمور وامر الملائكة ان يطوفوا به ثم امر الملائكة الذين في الارض ان يبنوا بيتا
في الارض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت واسمه الضراح وامر من في الارض ان يطوفوا
به كما يطوف اهل السما بالبيت المعمور وروي ان الملائكة بنوه قبل خلق ادم بالفي عام
وكانوا يحجونه فلما حجه ادم قالت الملائكة بر حجك يا ادم لقد حججنا قبلك بالفي عام
وقال ابن عباس هو اول بيت بناه ادم في الارض فقيل ان ادم لما اهبط الى الارض
واستوحش وشكى الوحشة فامره الله تعالى ببنا الكعبة فبناها وطاف بها وبقي ذلك
البنا الى زمان نوح عليه السلام فلما كان الطوفان رفع الله البيت الى السما وبقي موضع
البيت اكمة بيضا الى ان بعث الله ابراهيم عليه السلام فامره ببنائه القول الثاني
ان المراد من الاولية كون هذا اول بيت وضع للناس مباركا ويدل عليه سياق الاية
وهو قوله تعالى للذي ببكة مباركا روي ان رجلا قام الى علي بن ابي طالب فقال الا



تخبرني عن البيت هو اول بيت وضع في الارض قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت
وضع للناس مباركا وهدى وفيه مقام ابراهيم ومن دخله كان امنا وقال الحسن هو اول مسجد
عبد الله فيه وقال مطرف هو اول بيت وضع للعبادة وقال الضحاك هو اول بيت وضع فيه
البركة هو اول بيت وضع للناس يحج اليه واول بيت جعل قبلة للناس **ق** عن ابي ذر قال سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اول مسجد وضع في الارض قال المسجد الحرام قلت ثم
اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما ثم الارض مسجد فحيث ما ادركت
الصلاة فصل زاد البخاري فان الفضل فيه وقوله **مباركا** يعني ذا بركة واصل البركة
النمو والزيادة وقيل هو ثبوت الخير الالهي وقيل هو اول بيت خص بالبركة وزيادة الخير
وقيل لان الطاعات وساير العبادات تتضاعف ويزاد ثوابها عنده **ق** عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما
سواه من المساجد الا المسجد الحرام **وهدى للعالمين** يعني انه قبلة للمومنين
يهتدون به الى جهة صلاتهم وقيل لان فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه من
الايات التي لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدى للعالمين الى الجنة لان من قصده بان صلى
اليه او حجه فقد اوجب الله تعالى له الجنة برحمته قوله تعالى **فيه ايات بينات** اي
دلالات واضحات على حرمته ومزيد فضله ثم اختلفوا في تفسير تلك الايات فقيل
هو قوله مقام ابراهيم ومن دخله كان امنا وقيل الايات غير مذكورة وهي ما تدل على
فضل هذا البيت منها ان الطير لا يطير فوق الكعبة في الهوا بل تنحرف عنه اذا وصلت
اليه يمينا وشمالا ومنها ان الوحش لا تؤذي بعضها في الحرم حتى الكلاب لا تهيج الظبا ولا
تصطادها ومنها ان الطير اذا مرض منها شي استشفى بالكعبة ومنها تعجيل العقوبة لمن
انتهك حرمة البيت وما قصده جبار بسوء الا اهلكه الله كما اهلك اصحاب الفيل وغيرهم
ومن الايات التي فيه الحجر الاسود والملتزم والحطيم وزمزم ومشاعر الحج التي فيه كلها من
الايات ومنها ان الامر ببنا هذا البيت هو الجليل والمهندس له جبريل والباني هو ابراهيم
الخليل والمساعد في بنائه هو اسماعيل فهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت قوله تعالى
**مقام ابراهيم** يعني الحجر الذي كان يقوم عليه عند بنا البيت وكان فيه اثر قدمي ابراهيم
فاندرس من كثرة المسح بالايدي **ومن دخله كان امنا** قيل لما كانت الايات المذكورة
عقيب قوله ان اول بيت وضع للناس موجودة في جميع الحرم علم ان المراد بقوله ومن دخله
كان امنا جميع الحرم ويدل عليه ايضا دعوة ابراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد امنا يعني
من ان يهاج فيه وكانت العرب تقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل
الحرم امن من القتل والغارة وهو المراد من حكم الاية على قول اكثر المفسرين قال
الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل في معنى
الاية من دخله عام عمرة القضا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان امنا وقيل هو خبر
بمعنى الامر تقديره ومن دخله فامنوه وهو قول ابن عباس حتى ذهب ابو حنيفة الى ان
من وجب عليه القتل قصاصا كان او حدا فالتجا الى الحرم فانه لا يستوفى منه القصاص

او الحد في الحرم لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشاري ولا يكلم ويضيق عليه حتى يخرج من
الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم وقال الشافعي اذا وجب عليه القصاص خارج الحرم
ثم لجا الى الحرم استوفي منه في الحرم واجمعوا على انه لو قتل في الحرم او سرق او زنى
فانه يستوفي منه الحد في الحرم عقوبة له وقيل في معنى الاية ومن دخله معظما له متقربا
بذلك الى الله كان امنا من العذاب يوم القيامة وقيل من دخله كان امنا من الذنوب التي
اكتسبها قبل ذلك قوله عز وجل **ولله على الناس حج البيت** اي ولله على الناس
فرض حج البيت والحج احد اركان الاسلام ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة
وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان فعد النبي صلى الله عليه وسلم الحج من اركان الاسلام
الخمسة **من استطاع اليه سبيلا** يعني وفرض الحج واجب على من استطاع من اهل التكليف
ووجد السبيل الى حج البيت

**فصل** في فضل البيت والحج والعمرة ق عن ابي ذر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول بيت وضع للناس مباركا يصلي فيه الكعبة
قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون عاما عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة وهو اشد بياضا من اللبن
وانما سودته خطايا بني ادم اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر والله ليبعثنه الله يوم القيامة وله عينان يبصر بهما
ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق وله عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس
الله نورهما ولولم يطمس نورهما لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب قال الترمذي وهذا
يروى عن عمرو موقوفا ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تشد الرحال الا
الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الاقصى ق عن ابي سعيد
الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد
مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى م عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال له رجل في كل عام
يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم
لوجبت ولما استطعتم عن ابن عمر قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وابراهيم
ابن يزيد الخوزي المكي قد تكلم فيه بعض اهل العلم من قبل حفظه عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور
ليس له جزاء الا الجنة وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج
لله عز وجل وفي لفظ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه
اخرجه الترمذي وقال غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابن مسعود ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي



الكبير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة وما من مؤمن يظل
يومه محرما الا غابت الشمس بذنوبه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن
سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يلبي الا لبى ما عن يمينه
وشماله من حجر او شجر او مدر حتى تنقطع الارض من ها هنا وها هنا وقال الترمذي هذا
حديث غريب وله عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت
خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه قال الترمذي هذا حديث غريب

**فصل** في احكام تتعلق بالحج قال العلماء الحج واجب على كل مسلم وهو احد اركان
الاسلام الخمسة وللوجوب الحج خمس شرائط الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والاستطاعة
ولا يجب على الكافر والمجنون ولو حجا لم يصح لان الكافر ليس من اهل القربة ولا حكم لفعل
المجنون ولا يجب على الصبي والعبد ولو حج صبي يعقل او حج عبد صح حجهما تطوعا ولا يسقط
الفرض فاذا بلغ الصبي وعتق العبد واجتمع فيهما شرائط الحج وجب عليهما ان يحجا ثانيا
ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا
فلو تكلف غير المستطيع الحج وحج صح حجه وسقط عنه فرض حجة الاسلام والاستطاعة
نوعان احدهما ان يكون مستطيعا بنفسه والاخر ان يكون مستطيعا بغيره فاما
المستطيع بنفسه فهو ان يكون قويا قادرا على الذهاب ووجد الزاد والراحلة لما تقدم
من حديث ابن عمر في الزاد والراحلة قال ابن المنذر وحديث الزاد والراحلة لا يثبت
لانه ليس بمتصل واما المرفوع انما رواه ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن
النبي صلى الله عليه وسلم وابراهيم متروك الحديث قال يحيى بن معين ابراهيم ليس بثقة قال ابن
المنذر واختلف العلماء في قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا فقالت طائفة الاية على العموم
اذ لا يعلم خبرا ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا اجماعا لاهل العلم يوجبان يستثنى
من ظاهر الاستطاعة للحج على ظاهر الاية قال وروينا عن عكرمة انه قال الاستطاعة
الصحة وقال الضحاك اذا كان شابا صحيحا فليواجر نفسه باكله وعقبه حتى يقضي نسكه
وقال اهل العلم الاستطاعة على طاقة الناس الرجل يجد الزاد والراحلة ولا يقدر على
المشي والاخر يقدر على المشي على رجليه وقالت طائفة الاستطاعة الزاد والراحلة كذلك
قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد واحمد بن حنبل واحتجوا بحديث ابن عمر المتقدم وقال
الشافعي الاستطاعة وجهان احدهما ان يكون الرجل مستطيعا ببدنه واجدا من ماله
ما يبلغه الحج فتكون استطاعته تامة فعليه فرض الحج والثاني لا يقدر ان يثبت على الراحلة
وهو قادر على من يطيعه اذا امره ان يحج عنه او قادر على مال ويجد من يستاجره فيحج عنه
فيكون هذا ممن لزمه فرض الحج اما حكم الزاد والراحلة فهو ان يجد راحلة تصلح له ووجد من
الزاد ما يكفيه لذهابه ورجوعه فاضلا عن نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم وكسوتهم
وعن دين ان كان عليه ووجد رفقة يخرجون في وقت جرت العادة بخروج اهل البلد
في ذلك الوقت فان خرجوا قبله او اخروا الخروج الى وقت لا يصلون الا بان يقطعوا اكثر من
مرحلة لا يلزمه الخروج معهم ويشترط ان يكون الطريق امنا فان كان فيه خوف من عدو

مسلم او كافر او رصدي يطلب الخفارة لا يلزمه ويشترط ان يكون منازل المامول معمورة يجد فيها ما جرت العادة بوجوده من الماء والزاد فان تفرق اهلها لجدب او غار منها مياهها فلا يلزمه الخروج ولو لم يجد الراحلة وهو قادر على المشي او لم يجد الزاد وهو قادر على الاكتساب لا يلزمه الحج عند من جعل وجدان الزاد والراحلة شرطا لوجود الحج ويستحب له ان يفعل ذلك ويلزمه الحج عند مالك واما المستطيع بغيره فهو ان يكون الرجل عاجزا بنفسه بان كان زمنا او به مرض لا يرجى برؤه وله مال يمكنه ان يستاجر من يحج عنه فيجب عليه ان يستاجر من يحج عنه وان لم يكن له مال وبذل له ولده او اجنبي الطاعة من ان يحج عنه لزمه الحج ان كان يعتمد على صدقه لان وجوب الحج متعلق بالاستطاعة وعند مالك لا يجب الحج ببذل الطاعة وعند مالك لا يجب على من غصب ماله وحجة من اوجب الحج ببذل الطاعة ما روى عن ابن عباس قال كان الفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امراة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الاخر قالت يا رسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة افاحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع اخرجاه في الصحيحين قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين يعني ومن جحد ما الزمه الله من فرض حج بيته وكفر به فان الله غني عنه وعن حجه وعمله وعن جميع خلقه وقيل نزلت فيمن وجد ما يحج ثم مات ولم يحج فهو كفر لما روي عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا وذلك ان الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وفي اسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحرث يضعف في الحديث وقيل هو الذي ان حج لم يره برا وان قعد لم يره اثما وقيل نزلت في اليهود وغيرهم من اصحاب الملل حيث قالوا انا مسلمون فنزلت ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا وقالوا الحج الى مكة غير واجب وكفروا به فنزلت ومن كفر فان الله غني عن العالمين فعلى هذا القول تكون هذه الاية متعلقة بما قبلها وقيل انه كلام مستانف ومعناه ومن كفر بالله واليوم الاخر فان الله غني عن العالمين قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب قيل الخطاب لعلماء اهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب لجميع اهل الكتاب اليهود والنصارى الذين انكروا نبوته لم تكفرون بايات الله يعني الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وصدق والمعنى لم تكفرون بايات الله التي دلتكم على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بايات الله القران ومحمد صلى الله عليه وسلم والله شهيد على ما تعملون اي والله شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن يعني لم تصرفون عن دين الله من امن وكان صدهم عن سبيل الله بالقاء الشبهة والشكوك وذلك بانكارهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم تبغونها

عوجا

عوجا يعني زيغا وميلا عن الحق والعوج بالكسر الزيغ والميل عن الاستواء في الدين والقول والعمل وكل ما لا يرى فاما الشيء الذي يرى كالحائط والقناة ونحو ذلك يقال فيه عوج بفتح العين والهاء في قوله تبغونها عائدة على السبيل والمعنى تطلبون الزيغ والميل في سبيل الله بالقاء الشبه في قلوب الضعفاء وانتم شهداء قال ابن عباس يعني وانتم شهداء ان في التوراة مكتوبا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام وقيل معناه وانتم تشهدون المعجزات التي تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم الدالة على نبوته وما الله بغافل عما تعملون فيه وعيد وتهديد لهم وذلك انهم كانوا يجتهدون ويحتالون بالقاء الشبهة في قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم فلذلك قال الله تعالى وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب الاية قال زيد ابن اسلم مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين فمر بنفر من الاوس والخزرج وهم في مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما راى من الفتهم وصلاح ذات بينهم في الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية وقال قد اجتمع ملا بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود وكان معه فقال له اعمد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وانشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب وهما اوس بن قيظي احد بني حارثة من الاوس وجبار ابن صخر احد بني سلمة فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الان جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالوا قد جعلنا السلاح موعدكم الظاهرة وهي الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضهم الى بعض على دعواهم في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم امر الجاهلية والف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح من ايديهم وبكوا واعتنق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قال جابر فما رايت يوما اقبح ولا اوحش اولا واحسن اخرا من ذلك اليوم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يعني شاسا اليهودي واصحابه يردوكم بعد ايمانكم كافرين والكفر يوجب الهلاك في الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان الفتنة والحرب وسفك الدماء وفي الاخرة النار ثم قال تعالى وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله وكلمة كيف كلمة تعجب والتعجب انما يليق بمن لا يعلم السبب وذلك على الله محال فالمراد منه المنع والتغليظ وذلك لان تلاوة ايات الله وهي القران حالا بعد حال وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم

في الاسلام بعد الذي كان بينهم

فيكم يرشدكم إلى مصالحكم وذلك يمنع من وقوع الكفر فكان وقوع الكفر منهم بعيدا على هذا
الوجه قال قتادة في هذه الآية علمان بينان كتاب الله تعالى ونبي الله صلى الله عليه وسلم أما نبي
الله فقد مضى وأما كتاب الله فقد أبقاه الله بين أظهركم رحمة منه ونعمة م عن زيد بن
أرقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة
فحمد الله وأثنى عليه ووعظ الناس وذكر ثم قال أما بعد ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك
أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور
فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال أذكركم الله
في أهل بيتي وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي وقوله تعالى ومن يعتصم بالله
أي يمتنع بالله ويستمسك بدينه وطاعته وأصل العصمة الامتناع من الوقوع في
آفة وفيه حث لهم في الالتجاء إلى الله تعالى في دفع شر الكفار منهم فقد هدي إلى صراط
مستقيم أي إلى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدي إلى الجنة قوله عز وجل يا أيها
الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال مقاتل بن حيان كان بين الأوس والخزرج عداوة
في الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أصلح بينهم فافتخر
بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من الأوس وأسعد بن زرارة من الخزرج فقال
الأوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم
بن ثابت بن أقلح حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه
في بني قريظة وقال الخزرجي منا أربعة أحكموا القرآن أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد
بن ثابت وأبو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الأنصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما
فغضبا وأنشدا الأشعار وتفاخرا فجاء الأوس والخزرج ومعهم السلاح فأتاهم النبي
صلى الله عليه وسلم فأصلح بينهم فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
حق تقاته قال ابن عباس هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقال
مجاهد هو أن يجاهدوا في الله حق جهاده ولا تأخذكم في الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط
ولو على أنفسكم وآبائكم وأبنائكم وعن أنس قال لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه
وقيل حق تقاته يعني واجب تقواه وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم واختلف
العلماء في هذا القدر من هذه الآية هل هو منسوخ أو لا على قولين أحدهما أنه منسوخ
وذلك أنه لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وقالوا يا رسول الله ومن يقوى
على هذا فأنزل الله تعالى الناسخ وهو قوله تعالى في سورة التغابن فاتقوا الله ما استطعتم
وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدي والقول الثاني
أنها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس أيضا وبه قال طاوس وموجب هذا الاختلاف
يرجع إلى معنى الآية فمن قال إنها منسوخة قال حق تقاته هو أن يأتي العبد بكل ما يجب
لله ويستحقه فهذا يعجز العبد عن الوفاء به فتحصيله ممتنع ومن قال إنها محكمة قال
إن حق تقاته إنما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله اتقوا ما استطعتم مفسرا
لحق تقواه لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد أتاه حق تقواه وقيل

معنى



معنى حق تقاته كما يجب أن يتقى وذلك بأن يجتنب جميع معاصيه وقيل في معنى قول ابن عباس
هو أن لا يطاع فلا يعصى هذا صحيح والذي يصدر عن العبد على سبيل السهو والنسيان
غير قادح فيه لأن التكليف في تلك الحال مرفوع عنه وكذلك قوله وأن يشكر فلا يكفر
فواجب على العبد حضور ما أنعم الله عليه بالبال فأما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك
قوله وأن يذكر فلا ينسى فإن هذا إنما يجب عند الدعاء والعبادة لا عند السهو والنسيان
وقوله تعالى ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون لفظ النهي واقع على الموت والمعنى واقع على
الأمر بالإقامة على الإسلام المعنى كونوا على الإسلام فإذا ورد عليكم الموت صادفكم
على ذلك وقيل هذه الحقيقة نهي عن ترك الإسلام المعنى لا تتركوا الإسلام فإن الموت
لا بد منه فمتى جاءكم صادفكم وأنتم على الإسلام لأنه لما كان يمكنهم الثبات على الإسلام
حتى إذا أتاهم الموت أتاهم وهم على الإسلام صار الموت على الإسلام بمنزلة ما قد دخل
في إمكانهم وقيل معناه ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون مخلصون مفوضون إلى الله أموركم
محسنون الظن به عز وجل عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية
اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون فقال لو أن قطرة من الزقوم قطرت في
دار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه أخرجه الترمذي
وقال الحديث حسن صحيح قوله عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعا أي تمسكوا
بحبل الله والحبل هو السبب الذي يتوصل به إلى البغية وسمي الإيمان حبلا لأنه سبب
يتوصل به إلى زوال الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذي به يتوصل إليه فعلى هذا اختلفوا
في معنى الآية فقال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله لأنه سبب يوصل إليه وقيل
حبل الله هو القرآن لأنه أيضا سبب يوصل إليه وفي أفراد مسلم من حديث زيد
بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله
هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة الحديث عن ابن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء
النافع عصمة لمن تمسك به ذكره البغوي بغير سند وقال ابن مسعود هو الجماعة قال
عليكم بالجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به وإن ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما
تحبون في الفرقة وقيل بحبل الله يعني بأمر الله وطاعته ولا تفرقوا يعني كما تفرقت
اليهود والنصارى وقيل ولا تفرقوا يعني كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين
يعادي بعضكم بعضا ويقتل بعضكم بعضا وقيل معناه لا تحدثوا ما يكون عنه التفرق
ويزول معه الاجتماع والألفة التي أنتم عليها ففيه النهي عن التفرق والاختلاف والأمر
بالاتفاق والاجتماع لأن الحق لا يكون إلا واحدا وما عداه يكون جهلا وضلالة وإذا
كان كذلك وجب النهي عن الاختلاف في الدين وعن الفرقة لأن كل ذلك كان عادة أهل
الجاهلية فنهوا عنه وروى البغوي بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا
وأن تعتصموا بحبل الله جميعا وأن تناصحوا من ولى الله أمركم ويسخط لكم قيل وقال وإضاعة

المال وكثرة السؤال قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم
فاصبحتم بنعمته اخوانا قال محمد بن اسحاق وغيره من اهل الاخبار كان الاوس والخزرج اخوين
لاب وام فوقعت بينهما عداوة وقتيل ثم تطاولت تلك العداوة والحروب بينهم مائة
وعشرين سنة الى ان اطفا الله ذلك بالاسلام والف بينهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
وسببه ذلك ان سويد بن الصامت اخا بني عمرو بن عوف وكان شريفا يسميه قومه الكامل
لجلده ونسبه فقدم مكة حاجا او معتمرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث
وامر بالدعوة فتصدى له حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سويد
فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذي معك قال
مجلة لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها عليه فقال
ان هذا الكلام حسن ومعي افضل من هذا قرآن انزله الله عز وجل علي نور وهدى فتلى
عليه القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف
الى المدينة فلم يلبث ان قتله الخزرج يوم بعاث وان قومه يقولون قد قتل وهو مسلم
ثم قدم ابو الحيسر انس بن رافع ومعه فتية من بني عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون
الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم وجلس
اليهم وقال لهم هل لكم الى خير مما جئتم له قالوا وما هو قال انا رسول الله بعثني الى العباد
ادعوهم الى ان لا يشركوا بالله شيئا وانزل علي الكتاب ثم ذكر الاسلام وتلى عليهم القرآن
فقال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا اي قوم هذا والله خير مما جئتم له فاخذ ابو الحيسر حفنة
من البطحاء فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا فصمت اياس
وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس
والخزرج فلم يلبث اياس بن معاذ ان هلك فلما اراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه
صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه النفر من الانصار
فعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع في كل موسم فلقي عند العقبة رهطا من
الخزرج اراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر اسعد بن زرارة وعوف بن الحرث وهو ابن عفراء
ورافع بن مالك العجلاني وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي وجابر بن
عبد الله رضي الله عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من انتم قالوا نفر من الخزرج
قال امن موالي يهود قالوا نعم قال افلا تجلسون حتى اكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه
فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن وقال وكان مما صنع الله
لهم به في الاسلام ان يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا اهل كتاب وعلم وهم اهل اوثان
وشرك وكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا ان نبيا الآن مبعوث قد اظل زمانه نتبعه
ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك النفر ودعاهم
الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله انه للنبي الذي توعدكم به يهود
فلا يسبقنكم اليه فاجابوه وصدقوه واسلموا وقالوا انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم
من العداوة والشر ما بينهم فعسى الله ان يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى امرك

فان الله

فان الله يجمعهم عليك فلا رجل اعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
راجعين الى بلادهم فلما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم
الى الاسلام حتى فشى فيهم حتى كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا
وهم اسعد بن زرارة وعوف ومعاذ ابنا عفراء ورافع بن مالك العجلاني وذكوان بن عبد
القيس وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة وعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة
ابن عامر وهؤلاء خزرجيون وابو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الاوس فلقوه
بالعقبة وهي العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء
على ان لا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا الاية قال فان وفيتم فلكم الجنة
وان غشيتم شيئا من ذلك فاخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة وان ستر عليكم فامركم
الى الله عز وجل ان شاء عذبكم وان شاء غفر لكم قال وذلك قبل ان يفرض الحرب قال
فلما انصرف القوم بعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وامرهم ان يقرئ
لهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين وكان يسمى مصعب بالمدينة المقرئ
وكان منزله على اسعد بن زرارة ثم ان اسعد بن زرارة خرج ومصعب فدخل به
حايطا من حوائط بني ظفر فجلسا في الحايط واجتمع اليهما رجال ممن اسلم فقال سعد
ابن معاذ لاسيد بن حضير انطلق الى هذين الرجلين اللذين اتيا دارنا ليسفها ضعفانا
فازجرهما فان اسعد بن خالتي ولولا ذلك لكفيتك وكان سعد بن معاذ واسيد
ابن حضير حربته ثم اقبل الى مصعب واسعد وهما جالسان في الحايط فلما راه اسعد
ابن زرارة قال لمصعب هذا اسيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس
اكلمه فلما وقف عليهما متشتما وقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلا ان كانت لكما
في انفسكما حاجة فقال له مصعب او تجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته
كف عنك ما تكره قال انصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام
وقرا عليه القرآن فقالا والله لعرفنا الاسلام في وجهه قبل ان يتكلم في اشراقه
وتسهله ثم قال ما احسن هذا واجمله كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا في هذا
الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام فاغتسل
وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثم صلى ركعتين ثم قال ان ورائي رجلا ان اتبعكما
لم يتخلف عنه احد من قومه وسارسله اليكما الآن سعد بن معاذ ثم اخذ حربته
فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر سعد الى اسيد مقبلا قال
احلف بالله لقد جاءكم اسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف اسيد
على النادي فقال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رايت بهما باسا وقد
نهيتهما فقالا لا نفعل الا ما احببت وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى اسعد بن
زرارة ليقتلوه وذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مغضبا للذي
ذكره من بني حارثة فاخذ الحربة ثم قال والله ما اراك اغنيت شيئا فانصرف اليهما فلما
راهما مطمئنين عرف ان اسيدا انما اراد ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لا

ابن زرارة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني تغشانا في دارنا بما نكره وقد كان
قال سعد لمصعب جاءك والله سيد قومك ان يتبعك لم يخالفك احد منهم فقال له مصعب
او تقعد فتسمع فان رضيت امرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره فقال
سعد انصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه مصعب الاسلام وقرا عليه القران قالا
فعرفنا والله الاسلام في وجهه قبل ان يتكلم في اشراقه وتسهله ثم قال كيف
تصنعون اذا اسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد
شهادة الحق ثم تصلي ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين
ثم اخذ حربته واقبل عامدا الى نادي قومه ومعه اسيد بن حضير فلما راوه مقبلا قالوا
نحلف بالله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم
فقال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون امري فيكم قالوا سيدنا وافضلنا راياً وايمننا
نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فما
امسى في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امراة الا مسلم ومسلمة ورجع اسعد بن
زرارة ومصعب بن عمير الى منزل اسعد فاقام عنده يدعو الناس الى الاسلام حتى لم يبق
دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون ومسلمات الا ما كان من دار امية
ابن زيد وخطمة ووايل وواقف وذلك انه كان فيهم ابو قيس بن الاسلت الشاعر وكانوا
يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق قال ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج
معه من الانصار من المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومهم من اهل الشرك حتى قدموا
مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من اوسط ايام التشريق وهي بيعة
العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة
التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر اخبرناه
وكنا نكتم من معنا من المشركين من قومنا امرنا فكلمناه وقلنا يا ابا جابر انك سيد من
ساداتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك عما انت فيه ان تكون حطبا للنار غدا ودعوناه
الى الاسلام فاخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا
فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله
صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين تسلل القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن
سبعون رجلا ومعنا امراتان من نسائنا نسيبة بنت كعب ام عمارة احدى نساء بني
النجار واسماء بنت عمرو بن عدي ام منيع احدى نساء بني سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين
قومه الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه ويتوثق له فلما جلسنا اول من تكلم العباس بن
عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الحي من الانصار الخزرج
خزرجها واوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل راينا
وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد ابى الا الانقطاع اليكم واللحوق بكم فان كنتم



نزون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم به من ذلك
وان كنتم نزون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الان فدعوه فانه في عز
ومنعة قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله وخذ لنفسك ولربك ما
شيت فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القران ودعا الى الله عز وجل ورغب
في الاسلام ثم قال ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم ونساءكم وابناءكم
قال فاخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعنك مما نمنع
منه ازرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن اهل الحرب واهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر
فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو الهيثم بن التيهان فقال
يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعني عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان
فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم انتم مني وانا منكم احارب من حاربتم
واسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا الي منكم اثنى عشر نقيبا
كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم فاخرجوا اثنى عشر نقيبا
من الخزرج وثلاثة من الاوس قال عاصم بن عمرو بن قتادة ان القوم لما اجتمعوا لبيعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري يا معشر
الخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود
فان كنتم ترون انكم اذا نهكت اموالكم مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتموه فمن الان
فهو والله خزي في الدنيا والاخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه
اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والاخرة
قالوا فانا ناخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يا رسول الله
ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه واول من ضرب
على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم قال فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
صرخ الشيطان من راس العقبة بانفذ صوت ما سمعته قط يا اهل الجباجب هل لكم
في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا عدو الله هذا ازب العقبة يعني شيطان العقبة اسمع اي عدو الله اما والله
لافرغن لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انفضوا الى رحالكم فقال العباس
ابن عبادة بن نضلة والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على اهل منى باسيافنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم فرجعنا
الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى اصبحنا فلما اصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤونا
في منازلنا فقالوا يا معشر الخزرج بلغنا انكم جئتم صاحبنا هذا تستخرجوه من
بين اظهرنا وتبايعوه على حربنا والله ما حي من العرب ابغض الينا ان تنشب
الحرب بيننا وبينكم منكم قال فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله
ما كان من هذا شيء وما علمناه وصدقوا لم يعلموه وبعضنا ينظر الى بعض وقام القوم

وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان جديدتان قال فقلت له كلمة كاني
اشرك القوم بها فيما قالوا يا جابر اما تستطيع ان تتخذ وانت سيد من ساداتنا
مثل نعلي هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحرث فخلعهما من رجليه ورمى بهما الي فقال
والله لتنتعلنهما قال ابو جابر مه والله احفظت الفتى فاردد اليه نعليه قال فقلت لا
اردهما قال والله يا ابا صالح لئن صدق الفال لاسلبنه قال ثم انصرف الانصار الى المدينة
وقد شددوا العقد فلما قدموها اظهروا الاسلام بها وبلغ ذلك قريشا فاذوا اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الله قد جعل لكم
اخوانا ودارا تامنون فيها فامرهم بالهجرة الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار فاول
من هاجر الى المدينة ابو سلمة بن عبد الاسد المخزومي ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن
جحش ثم تتابع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا الى المدينة رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى المدينة فجمع الله عز وجل اهل المدينة اوسها وخزرجها بالاسلام واصلح ذات
بينهم بنبيه عليه الصلاة والسلام وانزل الله عز وجل واذكروا يعني يا معشر الانصار
نعمة الله عليكم يعني بالاسلام اذ كنتم اعداء يعني قبل الاسلام فالف بين قلوبكم يعني بالاسلام
وبنبيه عليه الصلاة والسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا يعني فصرتم برحمته وبدينه
الاسلام اخوانا في الدين والولاية بعد العداوة وكنتم يا معشر الاوس والخزرج **على**
**شفا حفرة من النار** يعني على طرف حفرة مثل شفا البير ليس بينكم وبين الوقوع في
النار الا ان تموتوا على كفركم **فانقذكم منها** اي خلصكم بالايمان من الوقوع في
النار **كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون** قوله تعالى **ولتكن منكم امة يدعون**
**الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر** اللام في قوله ولتكن لام الامر اي لتكن
منكم امة دعاة الى الخير منكم وقيل ان كلمة من في قوله منكم للتبيين لا للتبعيض وذلك
لان الله عز وجل اوجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده او بلسانه او بقلبه
**م** عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من راى منكم منكرا
فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان
فعلى هذا يكون معنى الاية كونوا امة دعاة الى الخير امرين بالمعروف ناهين عن المنكر ومن
قال بهذا القول يقول ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية اذا قام به واحد
سقط الفرض عن الباقين وقيل ان من هنا للتبعيض وذلك لان في الامة من لا يقدر
على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعجز او ضعف فحسن ادخال لفظة من في قوله ولتكن
منكم امة يدعون الى الخير وقيل ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انما يختص بالعلماء وولاة
الامر فعلى هذا يكون المعنى ليكن بعضكم امرا بالمعروف ناهيا عن المنكر **خ** عن النعمان بن بشير
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل القايم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا
على سفينة فاصاب بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها وكان الذي في اسفلها اذا استقوا من
الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نوذ من فوقنا فان
تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا جميعا والخير لهذا كونه في الاية

هو

هو كل شيء يرغب فيه من الافعال الحسنة وقيل هو هنا كناية عن الاسلام والمعنى لتكن
امة اي جماعة دعاة الى الاسلام والى كل فعل حسن يستحسن في الشرع والعقل وقيل الدعوة
الى فعل الخير يندرج تحتها نوعان احدهما الترغيب في فعل ما ينبغي وهو الامر بالمعروف
والثاني الترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر فذكر الجنس اولا وهو الخير ثم اتبعه
بنوعيه مبالغة في البيان والمعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر
ضد ذلك وهو ما عرف بالعقل والشرع قبحه قوله تعالى **واولئك هم المفلحون** تقدم تفسيره
قوله عز وجل **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا** يعني ولا تكونوا يا معشر المؤمنين كالذين
تفرقوا يعني اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى في قول اكثر المفسرين واختلفوا اي في دين
الله وامره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى واحد وانما ذكرهما للتاكيد وقيل تفرقوا
بسبب العداوة واتباع الهوى واختلفوا في دين الله فصاروا فرقا مختلفين قال الربيع
في هذه الاية هم اهل الكتاب نهى الله اهل الاسلام ان يتفرقوا او يختلفوا كما تفرق واختلف
اهل الكتاب وقال ابن عباس امر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة واخبرهم
انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في الدين وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الامة
وقال ابو امامة هم الحرورية قال عبد الله بن شداد وقف ابو امامة وانا معه على رؤس
الحرورية على درج جامع دمشق فذرفت عيناه ثم قال كلاب اهل النار وكانوا مؤمنين
فكفروا بعد ايمانهم شر قتلى تحت اديم وخير قتيل تحت اديم السما الذين قتلهم هؤلاء قلت
فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا بعد ايمانهم ثم اخذ بيدي
فقال ان بارض منهم كثير وفي رواية ثم قرا بعد قوله فكفروا بعد ايمانهم ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا الى قوله اكفرتم بعد ايمانكم ورواه الترمذي عن ابي
غالب قال راى ابو امامة رؤسا منصوبة على درج دمشق فقال ابو امامة كلاب
اهل النار شر قتلى تحت اديم السما خير قتلى من قتلوه ثم قرا يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه الى اخر الاية قلت لابي امامة انت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم
اسمعه الا مرة او مرتين او ثلاث مرات او اربع حتى عد سبعا ما حدثتكموه وقال هذا
حسن وقوله تعالى **من بعد ما جاءهم البينات** يعني الحجج الواضحات فعلموها ثم خالفوها
وانما قال جاءهم ولم يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التانيث من الفعل في التقديم
تشبيها بعلامة التثنية والجمع **واولئك لهم عذاب عظيم** يعني لهؤلاء الذين تفرقوا
واختلفوا عذاب عظيم في الاخرة وفيه زجر عظيم للمؤمنين عن التفرق والاختلاف عن ابي
ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الاسلام
من عنقه اخرجه ابو داود اراد بربقة الاسلام عقد الاسلام واصله ان الربقة حبل فيه
عدة عرى يشد بها الغنم الواحدة من العرى ربقة وروى البغوي بسنده عن عمر بن الخطاب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يسكن بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فان
الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين ابعد بحبوحة الجنة وسطها والفذ هو الواحد قوله
عز وجل **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه** يعني اذكروا يوم تبيض فيه وجوه المؤمنين وتسود

وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه اهل السنة وتسود وجوه اهل البدعة وقيل تبيض
وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وفي بياض الوجوه وسوادها قولان احدهما
ان البياض كناية عن الفرح والسرور والسواد كناية عن الغم والحزن وهذا مجاز مستعمل
يقال لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيض وجهه يعني من السرور والفرح ولمن نال المكروه
اسود وجهه واربد لونه يعني من الحزن والغم قال الله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى
ظل وجهه مسودا يعني من الحزن فعلى هذا يكون ابياض الوجوه اشراقها وسرورها
بعملها وذلك ان المومن اذا ورد القيامة على ما قدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله
ونعمه عليه فاذا كان كذلك وسم وجهه ببياض اللون واشراقه واستنارته وابيضت
صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وعن يمينه وشماله واما الكافر والظالم اذا
ورد القيامة على ما قدم من قبيح عمل وسيئات حزن واغتم لعلمه بعذاب الله فاذا
كان كذلك وسم وجهه بسواد اللون وكمودته واسودت صحيفته واظلمت واحاطت
به الظلمة من كل جانب نعوذ بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات يوم القيامة والقول
الثاني بياض الوجوه وسوادها حقيقة يحصل في الوجه فيبيض وجه المومن ويكسى
نورا ويسود وجه الكافر ويكسى ظلمة لان لفظ البياض والسواد حقيقة فيهما والحكمة
في بياض الوجوه وسوادها ان اهل الموقف اذا راوا بياض وجه المومن عرفوا انه من اهل
السعادة واذا راوا سواد وجه الكافر عرفوا انه من اهل الشقاوة فاما الذين اسودت
وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي فيقال لهم اكفرتم
والهمزة للتوبيخ والتقريع فان قلت كيف قال اكفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مومنين
فمن المراد بهولا الذين كفروا بعد ايمانهم قلت اختلف العلماء في ذلك فروي عن ابي بن كعب
انه قال اراد به الايمان يوم اخذ الميثاق حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى فامن الكل
فكل من كفر في الدنيا فقد كفر بعد الايمان وقال الحسن هم المنافقون وذلك انهم
تكلموا بالايمان بالسنتهم وانكروه بقلوبهم وقال عكرمة هم اهل الكتاب وذلك انهم امنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث انكروه وكفروا به وقيل هم الذين ارتدوا
زمن ابي بكر الصديق وهم اهل الردة ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وليرفعن الي رجال منكم حتى اذا اهويت اليهم لاناولهم اختلجوا
دوني فاقول اي رب اصحابي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك ق عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى اذا رفعوا الي اختلجوا دوني
فلاقولن اي رب اصحابي اصحابي فيقالن لي انك لا تدري ما احدثوا بعدك زاد في رواية فاقول
سحقا لمن بدل بعدي ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد علي يوم
القيامة رهط من اصحابي او قال من امتي فيجلون عن الحوض فاقول يا رب اصحابي
فيقول انه لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى وقيل هم
الخوارج الذين خرجوا على علي بن ابي طالب وقتلهم وهم الحرورية م عن زيد بن وهب انه
كان في الجيش الذين كانوا مع علي الذين ساروا الى الخوارج فقال علي يا ايها الناس اني سمعت

رسول الله



رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من امتي يقرؤون القران ليس قراءتكم
الى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم الى صلاتهم بشيء ولا صيامكم الى صيامهم بشيء يقرؤون
القران يحسبون انه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الاسلام
كما يمرق السهم من الرمية وفي رواية سويد بن غفلة عنه يقرؤون القران لا يجاوز
ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاينما لقيتموهم فاقتلوهم
فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة ق عن يسير بن عمرو قلت لسهل
ابن حنيف هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الخوارج شيئا قال سمعته
يقول واهوى بيده الى العراق يخرج منهم قوم يقرؤون القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون
من الاسلام مروق السهم من الرمية وقيل هم اهل البدع والاهواء من هذه الامة كالقدرية
ونحوهم ومن قال بهذا القول يقول كفرهم بعد ايمانهم هو خروجهم من الجماعة ومفارقتهم
في الاعتقاد م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال فتنا
كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مومنا ويمسي كافرا ويمسي مومنا ويصبح كافرا يبيع
دينه بعرض من الدنيا وقال الحارث الاعور سمعت علي بن ابي طالب يقول على المنبر ان
الرجل ليخرج من اهله فما يؤوب حتى يعمل عملا يستوجب به الجنة وان الرجل ليخرج
من اهله فما يعود اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرا يوم تبيض وجوه الاية
ثم نادى هم الذين كفروا بعد الايمان ورب الكعبة وقوله تعالى واما الذين ابيضت
وجوههم يعني المومنين المطيعين لله عز وجل ففي رحمة الله يعني ففي جنة الله وانما سميت
الجنة رحمة لانها دار رحمة وفيه اشارة الى ان العبد وان عمل بالطاعات لا يدخل الجنة الا
برحمة الله تعالى هم فيها خالدون قيل انما كرر كلمة في لان في كل واحدة منهن معنى غير الاخرى
المعنى انهم في رحمة الله وانهم في الرحمة خالدون تلك ايات الله يعني القران وقيل هذه الايات
التي تقدمت نتلوها عليك بالحق اي بالمعنى الحق لان المتلو حق وما الله يريد ظلما للعالمين
يعني لا يعاقب احدا بغير جرم واستحقاق للعقوبة وانما ذكر الظلم هنا لانه قد تقدم
ذكر العقوبة في قوله فاما الذين اسودت وجوههم الى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون اخبر انهم وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب افعالهم المنكرة وانه لا يظلم احدا من خلقه
ولله ما في السموات وما في الارض لما ذكر الله انه لا يريد ظلما للعالمين لانه لا حاجة
به الى الظلم وذلك ان الظالم انما يظلم غيره ليزداد مالا او عزا او سلطانا او يتم نقصا
فيه بما يظلم غيره ولما كان الله عز وجل مستغنيا عن ذلك وله صفة الكمال اخبر ان له ما في
السموات وما في الارض وان جميع ما فيهما ملكه واهلهما عبيده واذا كان ذلك كذلك
يستحيل في حقه سبحانه وتعالى ان يظلم احدا من خلقه لانهم عبيده وفي قبضته ثم قال
والى الله ترجع الامور يعني والى الله مصير جميع الخلايق المومن والكافر والطايع والعاصي
فيجازي الكل على قدر استحقاقهم ولا يظلم احدا منهم قوله عز وجل كنتم خير امة سبب نزول
هذه الاية ان مالك بن صيف ووهب بن يهودا اليهوديين قالا لعبد الله بن مسعود وابي
ابن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة نحن افضل منكم وديننا خير من دينكم الذي

الذي تدعوننا اليه فانزل الله هذه الاية واختلف في لفظة كان فقيل هي بمعنى الحدوث
والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم وخلقتم خير امة وقيل كان هنا ناقصة وهي عبارة
عن وجود الشي في زمن ماض ولا يدل على انقطاع طاري يدل ليل قوله وكان الله غفورا
رحيما فعلى هذا التقدير يكون المعنى كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم مذكورين
في الامم الماضية بانكم خير امة وقيل كنتم في اللوح المحفوظ موصوفين بانكم خير امة
وقيل معناه كنتم مذ انتم خير امة وقيل قوله خير امة تابع لقوله فاما الذين ابيضت
وجوههم والتقدير انه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم خير امة فلهذا استحقيتم
ما انتم فيه من بياض الوجوه والنعيم المقيم وقيل كنتم بمعنى انتم وقيل يحتمل
ان يكون كان بمعنى صار فمعنى قوله كنتم اي صرتم خير امة فاما المخاطبون بهذه
منهم فيه خلاف قال ابن عباس في قوله كنتم خير امة هم الذين هاجروا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عمر بن الخطاب قال لو شا الله لقال انتم فكنا
كلنا ولكن في خاصة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل ما صنعتم
كانوا خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال الضحاك
يعني به كانوا هم الرواة الدعاة الذين امر الله عز وجل المسلمين باتباعهم وطاعتهم
م عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة ثم
ان بعدهم قوما تشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يوتمنون وينذرون
ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد في رواية ويحلفون ولا يستحلفون ق عن ابن
مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم
الذين يلونهم ثم يجي قوم تسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه شهادته قوله خير
الناس قرني يعني صحابتي والقرن اهل كل زمان ماخوذ من الاقتران وكانه الزمان
الذي يقترن فيه اهل ذلك الزمان في اعمارهم واحوالهم وقيل القرن اربعون
سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم
ولا نصيفه النصيف النصف وقال ابن عباس في رواية عطا في قوله كنتم خير امة هم
امة محمد صلى الله عليه وسلم قال الزجاج قوله كنتم خير امة الخطاب فيه مع اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في كل الامة ونظيره قوله كتب عليكم الصيام
كتب عليكم القصاص فان كل ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ ولكنه عام في
حق الكل كذا ههنا عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس قال انتم تتمون سبعين امة انتم
خيرها واكرمها على الله تعالى اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واصل الامة
الجماعة المجتمعة على الشي وامة محمد صلى الله عليه وسلم هم الجماعة الموصوفون بالايمان
بالله عز وجل خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة





الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى ق عن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يجمع امتي او قال امة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلالة
ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار اخرجه الترمذي عن ابي موسى قال قال رسول
صلى الله عليه وسلم امتي امة مرحومة ليس عليها عذاب في الاخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل
والقتل اخرجه ابو داود عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل امتي كمثل
المطر لا يدري اخره خير ام اوله اخرجه الترمذي وله عن بريدة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من ساير
الامم وله عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا امتي الذين يدخلون منه
الجنة عرضه مسيرة الراكب المسرع المجد ثلاثا ثم انهم ليتضاغطون عليه حتى تكاد مناكبهم
تزول قال الترمذي سالت محمدا يعني البخاري عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال خالد
ابن ابي بكر مناكير عن سالم بن عبد الله زاد غيره في الحديث وهم شركا الناس في ساير الابواب
عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امتي من يشفع في يوم
القيامة من الناس ومنهم من يشفع في القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع
للواحد اخرجه الترمذي خ عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليدخلن الجنة من امتي سبعون الفا او سبعمائة الف متماسكين اخذ بعضهم
ببعض حتى يدخل اولهم واخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر عن ابي امامة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدني ربي ان يدخل من امتي الجنة سبعون
الفا لا حساب عليهم ولا عذاب ومع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات من حثيات
ربي اخرجه الترمذي وروى البغوي باسناد الثعلبي عن عمر بن الخطاب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على الانبيا كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم
حتى تدخلها امتي وقوله تعالى **اخرجت للناس** معناه كنتم خير الامم المخرجة للناس
في جميع الاعصار ومعنى اخرجت اظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وقيل معناه كنتم
للناس خير امة اخرجت خ عن ابي هريرة قال كنتم خير امة اخرجت للناس قال خير الناس
للناس تاتون بهم في السلاسل في اعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام وقيل اخرجت صلة
والتقدير كنتم خير امة للناس وقيل معناه ما اخرج للناس امة خير من امة محمد صلى الله
عليه وسلم **تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** هذا الكلام مستانف والمقصود
منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم
ويقوم بمصالحهم والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك والمعنى يامرون الناس
يقولوا لا اله الا الله وينهونهم عن الشرك **وتومنون بالله** اي وتصدقون بالله وتخلصون
له التوحيد والعبادة فان قلت لم قدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان
بالله في الذكر مع ان الايمان يلزم ان يكون مقدما على كل الطاعات والعبادات قلت
الايمان بالله امر مشترك فيه جميع الامم المومنة وانما فضلت هذه الامة الاسلامية
بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ساير الامم واذا كان كذلك كان المؤثر في هذه الخيرية

هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واما الايمان بالله فهو شرط في هذا الحكم لانه ما لم يوجد
فيهذا الايمان لم يصر شي من الطاعات مقبولا فثبت ان الموجب لهذه الخيرية لهذه الامة
هو كونهم آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر فلهذا السبب حسن تقديم ذكر الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر على ذكر الايمان وقوله تعالى ولو امن اهل الكتاب يعني ولو امن اليهود والنصارى
بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالدين الذي جاء به لكان خيرا لهم يعني مما هم عليه من اليهودية والنصرانية
وانما حملهم على ذلك حب الرياسة واستتباع العوام ولو انهم امنوا لحصلت لهم الرياسة في
الدنيا والثواب العظيم في الاخرة وهو دخول الجنة منهم يعني من اهل الكتاب المؤمنون يعني
عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اليهود والنجاشي واصحابه الذين اسلموا من النصارى
واكثرهم الفاسقون اي المتمردون في الكفر وقيل ان الكافر قد يكون عدلا في دينه وهولا
مع كفرهم هم فاسقون قوله عز وجل لن يضروكم الا اذى سبب نزول هذه الاية ان رؤسا
اليهود عمدوا الى من امن منهم مثل عبد الله بن سلام واصحابه فاذوهم لاسلامهم فانزل الله
لن يضروكم الا اذى يعني لن يضروكم ايها المؤمنون هؤلاء اليهود والنصارى الا اذى يعني
باللسان من طعن في دينكم او تهديدا والقا شبهة وتشكيك في القلوب وكل ذلك
يوجب الاذى والغم وان يقاتلوكم يولوكم الادبار يعني منهزمين مخذولين ثم لا ينصرون
يعني لا يكون لهم النصر عليكم بل تنصرون عليهم وفيه تثبيت لمن اسلم من اهل الكتاب
لانهم كانوا يؤذونهم بالقول ويهددونهم ويوبخونهم فاعلمهم الله تعالى انهم لا يقدرون
ان يجاوزوا الاذى بالقول الى غيره من الضرر وعدهم الغلبة والانتقام منهم وان عاقبتهم
الخذلان والذل فقال تعالى ضربت عليهم الذلة يعني جعلت الذلة ملصقة بهم كالشي
يضرب على الشي فيلتصق به والمراد بالذلة قتلهم وسبيهم وغنيمة اموالهم وقيل
الذلة ضرب الجزية عليهم لانها ذلة وصغار وقيل ذلتهم انك لا ترى في اليهود ملكا
قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفين في جميع البلاد اينما ثقفوا يعني حيث
ما وجدوا وصودفوا الا بحبل من الله يعني الا بعهد من الله وهو ان يسلموا فتزول
عنهم الذلة وحبل من الناس يعني المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة
في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وهو ذمة الله وعهده
وذمة المسلمين وعهدهم لا عز لهم الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه
من بذل الجزية وانما سمي العهد حبلا لانه سبب يوصل الى الامن وزوال الخوف وباؤوا
بغضب من الله اي رجعوا بغضب من الله واستوجبوه وقيل اصله من البواء وهو المكان
والمعنى انهم مكثوا في غضب من الله وحلوا فيه وضربت عليهم المسكنة يعني كما يضرب
البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة
هي الجزية وذلك لان الله لم يخرج المسكنة عن الاستثناء وذلك يدل على انها باقية
مع الجزية فدل على ان المسكنة هي الجزية وقيل المراد بالمسكنة هو ان اليهودي يظهر
من نفسه الفقر وان كان غنيا موسرا ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة
والبوء بالغضب بانهم اي بسبب انهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق

ذلك

ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك الذي نزل بهم بسبب عصيانهم لله عز وجل
واعتدائهم لحدوده فنزل بهم ما نزل قوله عز وجل ليسوا سوا قال ابن عباس لما
اسلم عبد الله بن سلام واصحابه قالت احبار اليهود ما امن بمحمد الا اشرارنا ولولا
ذلك ما تركوا دين ابائهم فانزل الله تعالى هذه الاية وفي قوله ليسوا سوا قولان احدهما
انه كلام تام يوقف عليه والمعنى ان اهل الكتاب الذين سبق ذكرهم منهم المؤمنون
واكثرهم الفاسقون ليسوا سوا وقيل معناه لا يستوي اليهود وامة محمد صلى الله
عليه وسلم القائمة بامر الله الثابتة على الحق والقول الثاني ان قوله ليسوا سوا متعلق
بما بعده ولا يوقف عليه من اهل الكتاب امة قائمة فيه اختصار واضمار والتقدير ليس سوا
سوا
من اهل الكتاب امة قائمة ومنهم امة مذمومة غير قائمة فترك ذكر الامة الاخرى اكتفا
بذكر احد الفريقين وهذا على مذهب العرب ان ذكر احد الضدين يغني عن ذكر الاخر قال
ابو ذويب

دعاني اليها القلب اني لامرها • مطيع فلا ادري ارشد طلابها

اراد ام غير رشد فاكتفى بذكر احد الرشدين دون الاخر وقال الزجاج لا حاجة الى
اضمار الامة المذمومة لانه قد جرى ذكر اهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بآيات الله
ويقتلون الانبيا بغير حق فاعلم الله ان منهم امة قائمة فلا حاجة بنا الى ان نقول
وامة غير قائمة وانما ابتدا بذكر فعل الاكثر منهم وهم الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان
مباينا لهم في فعلهم فقال ليسوا سوا من اهل الكتاب امة قائمة قال ابن عباس قائمة اي
مهتدية قائمة على امر الله تعالى ولم يضيعوه ولم يتركوه وقيل قائمة اي عادلة وقيل
قائمة على كتاب الله وحدوده وقيل قائمة الى الصلاة يتلون آيات الله اي يقرؤون كتاب
الله عز وجل آناء الليل يعني ساعاته وهم يسجدون يعني يصلون عبر بالسجود عن
الصلاة لان التلاوة لا تكون في السجود وقيل هي صلاة التهجد بالليل وقيل هي صلاة
العشا لان اليهود لا يصلونها وقيل يحتمل انه اراد بالسجود الخضوع والخشوع لان
العرب تسمي الخشوع سجودا وقال عطا في قوله ليسوا سوا من اهل الكتاب امة قائمة
يريدون اربعين رجلا من اهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية
من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وامنوا به وكانوا
عدة نفر من الانصار منهم اسعد بن زرارة والبرا بن معرور ومحمد بن سلمة ومحمود
بن مسلمة وابو قيس بن صرمة بن انس كانوا قبل الاسلام موحدين يغتسلون
من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم الله عز وجل بالنبي
صلى الله عليه وسلم فامنوا به وصدقوه ثم وصفهم الله تعالى بصفات ما كانت في اليهود
يؤمنون بالله واليوم الاخر وذلك لان ايمان اهل الكتاب فيه شرك ويصفون
اليوم الاخر بغير ما يصفه المؤمنون وقيل ان الايمان بالله يستلزم الايمان بجميع انبيائه
ورسله واليهود يؤمنون ببعض الانبيا ويكفرون ببعض والايمان بالله واليوم
الاخر يلزم الحذر من فعل المعاصي واليهود لا يحترزون منها فلم يحصل الايمان الخالص

بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر يعني غير مداهنين كما يدلس
اليهود بعضهم بعضا وقيل يأمرون بالمعروف يعني بتوحيد الله والايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم وينهون عن المنكر يعني عن الشرك وعن كتم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ويسارعون
في الخيرات اي يبادرون اليها خوف الفوات وذلك لان من رغب في امر سارع اليه وقام
به غير متوان عنه وقيل يسارعون في الخيرات غير متثاقلين ولا كسالى واولئك اشارة
الى الموصوفين بما وصفوا به من الصالحين اي من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله
عز وجل ورضي الله عنهم واستحقوا ثناءه عليهم وذلك لان الصلاح ضد الفساد فاذا حصل
الصلاح للانسان فقد حصل له اعلا الدرجات واكمل المقامات وقيل يحتمل ان يريد بالصالحين
المسلمين والمعنى واولئك الذين تقدم وصفهم من جملة المسلمين قوله عز وجل وما تفعلوا
من خير فلن تكفروه قرئ بالياء لان الكلام متصل بما قبله من ذكر مؤمني اهل الكتاب وذلك
ان اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام واصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الدين الذي دخلتم
فيه فاخبر الله انهم فازوا باعلى الدرجات اي وما فعلوه من خير يجازيهم به ولا يمنع من
خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل للخير وقرئ بالتاء على انه ابتداء كلام وهو خطاب
لجميع المؤمنين ويدخل فيه مؤمنو اهل الكتاب ايضا ومعنى الآية وما تفعلوا من خير ايها المؤمنون
فلن تكفروه اي فلن تحرموا ثوابه ولن تجحدوه او تمنعوه بل يشكر لكم ويجازيكم به والله
عليم بالمتقين فيه بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل
الايمان والتقوى قوله عز وجل ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
شيئا قال ابن عباس يريد بني قريظة والنضير وذلك ان رؤساء اليهود مالوا الى تحصيل
الاموال في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان مقصودهم بمعاداته تحصيل
الرياسة والاموال فقال الله عز وجل لن تغني عنهم اموالهم وقيل نزلت في مشركي قريش
فان ابا جهل كثيرا ما افتخر بالاموال وانفق ابو سفيان مالا كثيرا في يومي بدر واحد على
المشركين وقيل ان الآية عامة في حق جميع الكفار لان اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص
فوجب حمل اللفظ على عمومه ومعنى الآية ان الذين كفروا لن تغني اي لن تدفع عنهم اموالهم بالفدية
لو افتدوا بها من عذاب الله ولا اولادهم بالنصرة وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان
الانسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالاولاد فاعلم الله تعالى ان
الكافر لا ينفعه شيء من ذلك في الآخرة ولا يخلصه من عذاب الله وهو قوله واولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون لا يخرجون منها ولا يفارقونها قوله عز وجل مثل ما ينفقون في
هذه الحياة الدنيا قيل اراد نفقة ابي سفيان واصحابه ببدر واحد في معاداة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل اراد نفقة اليهود على علمائهم ورؤسائهم وقيل اراد نفقات جميع
الكفار وصدقاتهم في الدنيا وقيل اراد نفقة المرائي الذي يريد بما ينفق وجه الله وذلك
لان انفاقهم المال اما ان يكون لمنافع الدنيا او لمنافع الآخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق
له اثر في الآخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان لمنافع الآخرة لمن صدق وعمل
اعمال البر وان كان كافرا فان الكفر محبط لجميع اعمال البر فلا ينتفع بما انفق في الدنيا

لاجل



لاجل الآخرة وذلك ان المرائي لا يريد بما انفق وجه الله فانه لا ينتفع بنفقته في الآخرة
ثم ضرب لذلك الانفاق مثلا فقال تعالى كمثل ريح فيها صر فيه وجهان احدهما وهو
قول اكثر المفسرين واهل اللغة ان الصر البرد الشديد وبه قال ابن عباس وقتادة
والسدي وابن زيد والوجه الثاني الصر هو السموم الحارة التي تقتل وهو رواية
عن ابن عباس وبه قال ابن الانباري من اهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه صحيح
والمقصود منه حاصل لانه سواء كان فيها برد فهو مهلك او حر فهو مهلك اصابت
يعني الريح التي فيها صر حرث قوم اي زرع قوم ظلموا انفسهم يعني بالكفر والمعاصي
ومنع حق الله منه فاهلكته يعني فاهلكت الريح الزرع ومعنى الآية مثل نفقات الكفار
في ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع اصابته ريح باردة فاهلكته او نار فاحرقته
لم ينتفع به صاحبه فان قلت الغرض في تشبيه ما انفقوا ابطال ثوابه وعدم
الانتفاع به هو الحرث الذي هلك بالريح فكيف شبه بالريح المهلكة للحرث قلت هو من
التشبيه المركب وهو ما حصلت به المشابهة بين ما هو المقصود من الجملتين وان لم
تحصل المشابهة بين اجزاء الجملتين فعلى هذا زال الاشكال ومن التشبيه ما حصلت
المشابهة بين المقصود من الجملتين وبين اجزاء كل واحدة منها فان جعلنا هذا المثل
من هذا القسم فيه وجهان احدهما ان يكون التقدير مثل الكفر في اهلاك ما ينفقون
كمثل مهلكة الريح وهو الحرث والمقصود من ضرب هذا المثل فيه تشبيه ما ينفقون
بشيء يذهب بالكلية ولا يبقى منه شيء وقوله تعالى وما ظلمهم الله يعني بان لم يقبل
نفقاتهم ولكن انفسهم يظلمون يعني انهم عصوا الله واستحقوا عقابه فابطل نفقاتهم
واهلك حرثهم وقيل ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بنفقاتهم مستحقة للقبول قوله
عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة الآية قال ابن عباس كان رجال من المسلمين
يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فانزل الله
عز وجل هذه الآية ونهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم ويدل على صحة هذا القول
ان الآيات المتقدمة فيها ذكر اليهود فتكون هذه الآية كذلك وقيل كان قوم من
المؤمنين يصافون المنافقين ويسرون اليهم الاسرار ويطلعونهم على الاحوال
الخفية فنهاهم الله عن ذلك ووجه هذا القول ان الله ذكر في سياق هذه الآية قوله
واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ وهذه صفة المنافقين
لا صفة اليهود وقيل المراد بهذه جميع اصناف الكفار ويدل على صحة هذا القول معنى
الآية لان الله تعالى قال لا تتخذوا بطانة من دونكم فمنع المؤمنين ان يتخذوا بطانة
غير المؤمنين فيكون ذلك نهيا عن جميع الكفار والبطانة خاصة الرجل المطلع على سره
واشتقاقه من بطانة الثوب بدلالة قولهم لبست فلانا اذا اخصصته ويقال فلان
شعاري ودثاري والشعار الذي يلي الجسد وكذلك البطانة والحاصل ان الذي يخصه
الانسان بمزيد القرب يسمى بطانة لانه يستبطن امره ويطلع منه على ما لا يطلع عليه
غيره من دونكم قيل من صلة زائدة والتقدير لا تتخذوا بطانة دونكم وقيل من للتبيين

اي لا تتخذوا بطانة من دون اهل ملتكم والمعنى لا تتخذوا اوليا واصفيا من غير اهل ملتكم
ثم بين سبحانه وتعالى علة النهي عن مباطنتهم فقال تعالى لا يالونكم خبالا يعني لا يقصرون
ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد وهو الخبال لان اصل الخبال الفساد
والضرر الذي يلحق الانسان فيورثه نقصان العقل ودوا ما عنتم اي يودون عنتكم
وهو ما يشق عليكم من الضرر والشر والهلاك والعنت المشقة قد بدت البغضاء من افواههم
اي ظهرت العداوة من افواههم بالشتيمة والوقيعة بين المسلمين وقيل هو اطلاع
المشركين على اسرار المومنين وما تخفي صدورهم يعني من العداوة والغيظ اكبر
اي اعظم مما يظهرونه قد بينا لكم الايات يعني الدالة على وجوب الاخلاص في الدين عن
موالات المومنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون يعني ما بين لكم فتعملون به قوله
تعالى ها انتم ها للتنبيه وانتم كناية للمخاطبين من المذكور اولاء اسم للمشار
اليهم في قوله تحبونهم والمعنى انتم ايها المومنون تحبون هولا اليهود الذين نهيتكم
عن مباطنتهم للاسباب التي بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة والحلف
ولا يحبونكم يعني اليهود لما بينكم وبينهم من المخالفة في الدين وقيل تحبونهم يعني تريدون
لهم الاسلام وهو خير الاشيا ولا يحبونكم لانهم يريدون لكم الكفر وهو شر الاشيا لان
فيه هلاك الابد وقيل هم المنافقون تحبونهم لما اظهروا من الايمان وانتم لا تعلمون
ما في قلوبهم ولا يحبونكم لان الكفر ثابت في قلوبهم وقيل تحبونهم وذلك بان تفشوا
اليهم اسراركم ولا يحبونكم اي لا يفعلون مثل ذلك معكم وتومنون بالكتاب كله
يعني وهم لا يومنون وانما ذكر الكتاب بلفظ الواحد والمراد به الجمع لانه ذهب به
الى الجنس كقولهم كثر الدرهم في ايدي الناس والمعنى انكم تومنون بالكتب كلها وهم
لا يومنون بشي من كتابكم واذا لقوكم قالوا امنا يعني ان الذين وصفهم في هذه الاية
بهذه الصفات اذا لقوا المومنين قالوا امنا كايمانكم وصدقنا كتصديقكم وهذه صفة
المنافقين وقيل هم اليهود واذا خلوا اي خلا بعضهم الى بعض عضوا عليكم الانامل
من الغيظ الانامل جمع انملة وهي طرف الاصبع والمعنى انه اذا خلا بعضهم ببعض
اظهروا العداوة وشدة الغيظ على المومنين لما يرون من ائتلافهم واجتماع كلمتهم
وصلاح ذات بينهم وعض الانامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الامثال
وان لم يكن هناك عض كما يقال العض بيده من الغيظ والغضب قل موتوا بغيظكم هذا
دعا عليهم ان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون من قوة الاسلام وعزة اهله
وما لهم في ذلك من الذل والخزي والمعنى ابقوا الى الممات بغيظكم ان الله عليم بذات
الصدور يعني به الخواطر القايمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه وهي
لكونها حالة في القلب منتسبة اليه كني عنها بذات الصدور والمعنى انه تعالى عالم
بكل ما يحصل في قلوبكم من الخواطر فاخبرهم انه عليم بما يسرون به من عض الانامل
غيظا اذا خلوا وانه عليم بما هو اخفى منه وهو ما يسرونه في قلوبهم قوله عز وجل
ان تمسسكم اي تصبكم ايها المومنون واصل المس باليد ثم يسمى كل ما يصل الى الشي

ماساله



ماساله على سبيل التشبيه كما يقال مسه نصب وتعب اي اصابه حسنة المراد
بالحسنة هنا منافع الدنيا مثل ظهور على عدو واصابة غنيمة منهم وتتابع الناس في
الدخول في دينكم وخصب في معايشكم تسوهم اي تحزنهم وتغمهم والسو ضد
الحسنى وان تصبكم سيئة اي مساءة من اخفا وسرية لكم او اصابت عدو منكم
او اختلاف يقع بينكم او اخذ ونكبة ومكروه يصيبكم يفرحوا بها اي بما اصابكم
من ذلك المكروه وان تصبروا يعني على اذاهم وقيل ان تصبروا على طاعة الله
وما ينالكم فيها من شدة وتتقوا اي تخافوا ربكم وقيل وتتقوا ما نهاكم عنه
وتتوكلوا عليه لا يضركم اي لا ينقصكم كيدهم اي عداوتهم ومكرهم شيئا اي
لانكم في عناية الله وحفظه ان الله بما يعملون قري بالياء على الغيبة والمعنى انه
عالم بما يعملون من عداوتكم واذاكم فيعاقبكم عليه وقري بالتاء على خطاب الحاضر
والمعنى انه عالم بما تعملون ايها المومنون من الصبر والتقوى فيجازيكم عليه محيط
اي عالم بجميع ذلك حافظ له لا يعزب عنه شي منه قوله عز وجل واذ غدوت
من اهلك تبوي المومنين مقاعد للقتال قال جمهور المفسرين ان هذا كان في يوم احد
وهو قول عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عباس والزهري وقتادة والسدي
والربيع وابن اسحاق وقال الحسن ومجاهد ومقاتل انه يوم الاحزاب ونقل عن الحسن
ايضا انه يوم بدر قال ابن جرير الطبري الاولى اصح لقوله تعالى اذ همت طايفتان منكم
ان تفشلا وقد اتفق العلما ان ذلك كان يوم احد قال مجاهد والكلبي والواقدي
غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل عايشة فمشى على رجليه الى احد فجعل
يصف اصحابه للقتال كما يقوم القدح قال محمد بن اسحاق والسدي عن رجالهما
ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنزولهم استشار اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها
فاستشاره فقال عبد الله بن ابي واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا
تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا
الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم يا رسول الله فان اقاموا اقاموا بشر محبس
وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النسا والصبيان بالحجارة
من فوقهم وان رجعوا رجعوا خايبين فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الراي
وقال بعض اصحابه يا رسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب لا يرون انا جبنا عنهم
وضعفنا وخفنا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد رايت في منامي بقرا
فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولتها هزيمة ورايت اني ادخلت يدي في
درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فان اقاموا
اقاموا بشر وان دخلوا علينا المدينة قاتلناهم فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعجبه ان يدخلوا عليه المدينة فيقاتلهم في الازقة فقال رجال من المسلمين
ممن فاتهم يوم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا

بر سول الله صلى الله عليه وسلم من حبهم للقاء العدو حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
منزله ولبس لامته فلما راوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على
رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي ياتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا يا رسول الله اصنع
ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى
يقاتل وكان قد قام المشركون باحد يوم الاربعا والخميس وخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الجمعة بعد ما صلى باصحابه الجمعة وكان قد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار
فصلى عليه ثم خرج عليهم فاصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة
ثلاث من الهجرة وقيل كان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره واصحابه الى احد وامر عبد
الله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى لا ياتونا من ورائنا وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا في هذا المقام فاذا عاينوكم وولوا الادبار فلا تطلبوا المدبرين
ولا تخرجوا من هذا المقام ولما خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم راي عبد الله بن ابي
ابن سلول شق عليه ذلك وقال لاصحابه اطاع الولدان وعصاني ثم قال لاصحابه
انما يظفر بعدوه بكم وقد وعد اصحابه ان عدوهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رايتم عدوهم
فانهزموا انتم فيتبعوكم فيصير الامر الى خلاف ما قاله محمد لاصحابه فلما التقى الجمعان
وكان عسكر المسلمين الفا وكان المشركون ثلاثة الاف فانخذل عبد الله بن ابي بن سلول
بثلاثمائة من اصحابه من المنافقين وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سبعمائة
من اصحابه فقواهم الله وثبتهم حتى هزموا المشركين فلما راى المومنون انهزام المشركين
طمعوا في ان تكون هذه الوقعة كوقعة بدر وطلبوا المدبرين وخالفوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاراد الله ان يفطمهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مثله في مخالفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وليعلموا ان ظفرهم يوم بدر انما كان ببركة طاعة الله وطاعة رسوله
ثم ان الله نزع الرعب من قلوب المشركين فكروا راجعين على المسلمين فانهزم المسلمون
وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من اصحابه منهم ابو بكر وعلي والعباس وطلحة
وسعد وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج وجهه يومئذ وكان من امر غزوة
احد ما كان فذلك قوله تعالى واذ غدوت من اهلك اي واذكر اذ غدوت من اهلك يعني
من منزل عائشة ففيه منقبة عظيمة لعائشة رضي الله عنها لقوله من اهلك فنص الله
تعالى على انها من اهله تبوئ المومنين اي تنزل المومنين مقاعد للقتال اي مواضع ومواطن
للقتال وقيل تتخذ معسكرا للقتال **والله سميع** يعني لاقوالكم **عليم** يعني بنياتكم
وما في ضمائركم قوله عز وجل **اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا** اي تجبنا وتضعفا عن
القتال والطايفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى احد في الف رجل وقيل في تسعمائة وخمسين
رجلا وكان المشركون ثلاثة الاف رجل فلما بلغوا الشوط انخذل عبد الله بن ابي بثلث
الناس ورجع في ثلاثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم ابو جابر السلمي
وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله بن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت

الطايفتان

الطايفتان بالانصراف مع عبد الله بن ابي فعصمهم الله فثبتوا ومضوا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ابن عباس اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله
عظيم نعمته عليهم فقال اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا **والله وليهما** اي ناصرهما
وحافظهما ومتولي امرهما بالتوفيق والعصمة فان قلت الهم العزم على فعل الشيء
والاية تدل على ان الطايفتان قد عزما على الفشل وترك القتال وذلك معصية فكيف
مدحهما الله تعالى بقوله والله وليهما قلت الهم قد يراد به العزم وقد يراد به حديث
النفس واذا كان كذلك فحمل الهم على حديث النفس في هذه الاية اولى والله تعالى لا يواخذ
بحديث النفس ويعضده قول ابن عباس انهم اضمروا ان يرجعوا فلما عزم الله لهم على
الرشد وتبعوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحهم الله بقوله والله وليهما **ق** عن
جابر قال نزلت فينا اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا والله وليهما قال نحن الطايفتان
بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني انها لم تنزل لقوله والله وليهما ففيه الاستبشار بما
حصل لهم من الشرف العظيم وانزاله فيهم اية ناطقة مفصحة بان الله وليهم وان تلك الهمة
التي هموا بها ما اخرجتهم من ولاية الله تعالى وقوله تعالى **وعلى الله فليتوكل المومنون**
التوكل التفعل من وكل امره الى غيره اذا اعتمد عليه في كفايته والقيام به وقيل التوكل
هو العجز والاعتماد على الغير وقيل هو تفويض الامر الى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره
فامر عباده المومنين ان لا يتوكلوا الا عليه وان يفوضوا امورهم اليه قوله عز وجل
**ولقد نصركم الله ببدر** بدر اسم موضع بين مكة والمدينة معروف وقيل هو اسم
لبير هناك وكان البير لرجل يقال له بدر فسميت به ذكر الله المومنين منته بالنصر
عليهم يوم بدر **وانتم اذلة** جمع ذليل وهو جمع قلة واراد به قلة العدد فان المسلمين
كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وفي رواية وثلاثة عشر رجلا والمراد بذلتهم ضعف الحال
وقلة السلاح والمركوب وقلة المال وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك انهم
خرجوا نواضح وكان النفر منهم يتعقب على البعير الواحد وكان اكثرهم رجالة ولم يكن
معهم الا فرس وكان عدوهم من كفار قريش في حال الكثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة
فرس وكان معهم السلاح والشوكة فنصر الله المومنين مع قلتهم على عدوهم مع كثرتهم
**فاتقوا الله** يعني في الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم **لعلكم تشكرون** يعني
بتقواكم ما انعم به عليكم من نصرته قوله عز وجل **اذ تقول للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم**
**ربكم بثلاثة الاف من الملايكة منزلين** اختلف المفسرون في ان هذا الوعد بانزال الملايكة
هل حصل يوم بدر او يوم احد على قولين احدهما انه كان يوم بدر قال قتادة كان
هذا يوم بدر امدهم الله بالف من الملايكة كما قال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم اني
ممدكم بالف من الملايكة مردفين ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة الاف كما ذكر هنا
**بلى ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملايكة**
فصبروا يوم بدر واتقوا فامدهم الله بخمسة الاف كما وعد قال ابن عباس لم تقاتل
الملايكة في معركة الا يوم بدر وفيما سوى ذلك يشهدون القتال ولا يقاتلون انما كانوا

عددًا ومددًا قال الحسن هؤلاء الخمسة آلاف ردء المؤمنين إلى يوم القيامة وقال الشعبي
بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين يوم بدر أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين
فشق ذلك عليهم فأنزل الله ألن يكفيكم إلى قوله مسومين فبلغ كرزًا الهزيمة فرجع ولم يأتهم
ولم يمدهم فلم يمدهم الله أيضًا بالخمسة آلاف وكانوا قد مدوا بألف من الملائكة وفي صحيح البخاري
من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه
عليه أداة الحرب واحتج لصحة هذا القول أيضًا بأن الله تعالى قال قبل هذه الآية ولقد نصركم
الله ببدر وأنتم أذلة وظاهر هذا يقتضي أن الله نصرهم حين قال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين
ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف ولأن العدد والعدد كانت يوم بدر قليلة وكان
الاحتياج إلى الامداد أكثر القول الثاني أن هذا الوعد بإنزال الملائكة كان يوم أحد وهو
قول عكرمة والضحاك ومقاتل قال عمير بن إسحاق لما كان يوم أحد انجلى القوم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبقي سعد بن مالك يرمي وفتى شاب يتنبل له كلما فني النبل أتاه به فنثره
وقال ارم أبا إسحاق ارم أبا إسحاق مرتين فلما انجلت المعركة سئل عن ذلك الرجل فلم
يعرف ق عن سعد بن أبي وقاص قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله
يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد
يعني جبريل وميكائيل واحتج لصحة هذا القول بأن المدد كان يوم بدر بألف من الملائكة
كما نص عليه في سورة الأنفال ولم يكن بثلاثة آلاف ولا بخمسة آلاف كما هنا وأيضًا
أن الكفار كانوا يوم بدر ألفًا أو ما يقرب منهم وكان المسلمون على الثلث من ذلك لأنهم
كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر فأنزل الله يوم بدر ألفًا من الملائكة في مقابلة عدد الكفار
فوقع النصر يومئذ للمسلمين والهزيمة للكفار وكان عدد المسلمين يوم أحد ألفًا وعدد
الكفار ثلاثة آلاف فناسب أن يكون المدد يومئذ للمسلمين ثلاثة آلاف من الملائكة ليكون
ذلك مقابلًا لعدد الكفار كما في يوم بدر وأجيب عن الاحتجاج الأول بهذا القول لأن الله
تعالى لما أمدكم يوم بدر بألف كما ذكر في سورة الأنفال ثم لما سمع أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم بأمداد كرز الكفار قريش شق عليهم وعدوا بأن يمدوا بثلاثة آلاف وبخمسة آلاف
لتقوى قلوبهم بذلك وأجيب عن الثاني وهو أن الكفار كانوا يوم بدر ألفًا فأنزل الله
ألفًا وفي يوم أحد كانوا ثلاثة آلاف بأن هذا تقريب حسن ولله أن يزيد ما شاء في أي
وقت شاء ولهذا قال عكرمة في قوله تعالى بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم
هذا قال يوم بدر قال ولم يصبروا ولم يتقوا يوم أحد فلم يمدوا ولو أمدوا لم يهزموا
يومئذ وقيل لم يصبروا ولم يتقوا إلا في يوم الأحزاب فأمدهم الله بملائكة حتى حاصروا
قريظة ق عن عائشة قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع
السلاح واغتسل أتاه جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه أخرج إليهم
قال فإلى أين قال هاهنا وأشار إلى بني قريظة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إليهم خ عن أنس
قال كأني أنظر إلى الغبار ساطعًا في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة وقال ابن أبي أوفى كنا محاصري قريظة والنضير ما شاء الله





فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغسل فهو يغسل رأسه إذ جاء
جبريل عليه السلام فقال أوضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بخرقة فلف بها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى أتينا
قريظة والنضير فيومئذ أمدنا الله بثلاثة آلاف من الملائكة ففتح لنا فتحًا يسيرًا قال
ابن جرير الطبري وأولى الأقوال بالصواب أن الله تعالى أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم
أنه قال للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة فوعدهم بثلاثة
آلاف من الملائكة مددًا لهم ووعدهم بخمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم واتقوا ولا دلالة
في الآية على أنهم أمدوا بهم ولا على أنهم لم يمدوا بهم فقد يجوز أن الله أمدهم وقد يجوز
أن لا يكون أمدهم ولا يثبت ذلك إلا بنص تقوم به الحجة وقد ثبت بنص القرآن أمدوا
يوم بدر بألف من الملائكة كما في سورة الأنفال وأما يوم أحد فالدلالة على أنهم لم يمدوا
أبين منها أنهم أمدوا وذلك أنهم لو أمدوا لم يهزموا ولم ينل منهم ما نيل منهم فإن قلت
فما تصنع بحديث سعد بن أبي وقاص المتقدم في يوم أحد وأنه رأى ملكين عن يمين النبي
صلى الله عليه وسلم وشماله قلت إنما كان ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
خاصة لأنه صبر ولم ينهزم كما انهزم أصحابه يوم أحد وأما التفسير في قوله تعالى إذ تقول
للمؤمنين فعلى قول من قال إن هذا كان يوم بدر قال نظم الآية أن الله ذكر قصة أحد
ابتدأه بقوله ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فكذلك هو قادر أن ينصركم في سائر
المواطن ثم رجع إلى قصة أحد فقال تعالى إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ومعنى الكفاية
هو سد الخلة والقيام بالأمر مع بلوغ المراد أي يمدكم ربكم والإمداد إعانة الجيش
فما كان على جهة القوة والإعانة يقال له أمده إمدادًا وما كان على جهة الزيادة يقال
فيه مده مددًا وقيل المد هو في الشر والإمداد في الخير بثلاثة آلاف من الملائكة
منزلين أي وعدهم بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويتيقنوا بنصر الله ويعزموا على الثبات
بلى تصديق لوعد الله أي بلى يمدكم وقيل بلى إيجاب لما بعد لن يكفيكم الإمداد بهم
فأوجب الكفاية إن تصبروا أي على لقاء عدوكم وتتقوا يعني معصية الله ومخالفة نبيه
صلى الله عليه وسلم ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا قال ابن عباس ابتداء لأنهم
يوجد فيه ثم يوصل بآخر فمن قال معنى من فورهم من وجههم أراد ابتداء مخرجهم يوم
بدر ومن قال معناه من غضبهم أراد ابتداء غضبهم لقتلاهم يوم بدر لأنهم رجعوا للحرب
يوم أحد من غضبهم ليوم بدر يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة لم يرد خمسة
آلاف سوى الثلاثة المتقدمة بل أراد معهم فمن قال إن هذا الإمداد كان يوم بدر
قال إن الله تعالى أمدهم بألف فلما سمعوا أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين
فشق على المسلمين ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين ألن يكفيكم أن يمدكم
ربكم الآية على تقدير المشركين المدد فلما لم يمدوا لم يمد الله المسلمين بغير ألف
وروى ابن الجوزي في تفسيره عن جبير بن مطعم عن علي بن أبي طالب قال بينا أنا أمتح
من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها ثم جاءت ريح شديدة لم أر أشد منها

الا التي قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها الا التي كانت قبلها فكانت الريح
الاولى جبريل نزل في الفين من الملايكة وكان بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الريح
الثانية ميكايل نزل في الفين من الملايكة وكان عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم
والريح الثالثة اسرافيل نزل في الف من الملايكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكنت عن يساره ومن حمل الآية على غزوة بدر قال هزم الله اعداءه ومن الناس من ضم العدد القليل الى الكثير فقال
لان الله تعالى ذكر الالف في سورة الانفال وذكر هنا ثلثة الاف وخمسة الاف فيكون
المجموع تسعة الاف وان حملنا على غزوة احد فيكون المجموع ثمانية الاف لانه ما ذكر
الالف المفردة **مسومين** قرئ بفتح الواو وبكسرها فمن فتح الواو اراد ان الله سومهم
ومعناه معلمين قد سوموا فهم مسومون والسومة السيما العلامة ومنه العلامة يعلمها
الفارس يوم اللقا ليعرف بها قال عنترة

فتعرفوني انني انا ذاكم • شاك سلاحي في الحوادث معلم

ومن كسر الواو نسب الفعل الى الملايكة والمعنى انهم علموا انفسهم بعلامات مخصوصة
او علموا خيلهم واختلفوا في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملايكة على خيل
بلق وعليهم عمايم صفر وقال علي وابن عباس كان عليهم عمايم بيض قد ارسلوها بين
اكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبي كانت عمايم صفر مرخاة على اكتافهم وقال
قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن يعني الصوف المصبوغ في نواصي خيلهم واذنابها
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملايكة قد تسومت
بالصوف الابيض في قلانسهم ومغافرهم ذكره البغوي بغير سند وقيل كانت عمامة
الزبير يوم بدر صفرا فنزلت الملايكة كذلك وقيل كانوا قد سوموا انفسهم بسيما
القتال قوله تعالى **وما جعله الله** يعني هذا الوعد والمدد **الا بشرى لكم** يعني بشارة
بانكم تنصرون فتستبشرون به **ولتطمين** اي ولتسكن **قلوبكم به** اي فلا تجزع
من كثرة عدوكم وقلة عددكم **وما النصر الا من عند الله** يعني لا تحيلوا النصر على الملايكة
والجند وكثرة العدد فان النصر من عند الله لا من عند غيره والغرض ان يكون توكلهم
على الله لا على الملايكة الذين امدوا بهم وفيه تنبيه على الاعراض عن الاسباب
والاقبال على مسبب الاسباب **العزيز الحكيم** يعني فاستعينوا به وتوكلوا عليه
لان العز والحكم له لانه القادر على النصر والقوة والحكم ومن كان كذلك لا تخفى عليه مصالح عباده
**ليقطع طرفا من الذين كفروا** هذا متعلق بقوله ولقد نصركم الله ببدر والمعنى ان المقصود
من نصركم ببدر ليقطع طرفا اي ليهلك طايفة من الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركنا
من اركان الشرك بالقتل والاسر فقتل يوم بدر من قادتهم وسادتهم سبعون
واسر سبعون ومن حمل الآية على غزوة احد قال قد قتل منهم ستة عشر وكان النصر
فيه للمسلمين حتى خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم **او يكبتهم** اصل الكبت في اللغة
صرع الشيء على وجهه والمعنى انه يصرعهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة او
الاهلاك او اللعن والخزي **فينقلبوا خائبين** اي بالخيبة لم ينالوا شيا مما كانوا يرجون الذي



املوه من الظفر بكم قوله عز وجل **ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم** اختلف
في سبب نزول هذه الآية فقيل انها نزلت في اهل بير معونة وهم سبعون رجلا من القرا
بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بير معونة وهي بين مكة وعسفان وارض هذيل
وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد بعثهم ليعلموا الناس القران
والعلم وامر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا في الصلاة كلها يدعو على جماعة من تلك
القبايل باللعن **خ** عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع
من الركعة الاخرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده
ربنا لك الحمد فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء الى قوله فانهم ظالمون **ق** عن ابي
هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة الثانية قال اللهم انج
الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم
اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف زاد في رواية اللهم العن
فلانا وفلانا لاحياء من العرب حتى انزل الله ليس لك من الامر شيء الآية سماهم في رواية
يونس اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا انه ترك
ذلك لما انزل الله ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وقيل
انما نزلت يوم احد ثم اختلفوا في سببها فقيل ان عتبة بن ابي وقاص شج وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكسر رباعيته وشج في راسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح
قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم الى الله تعالى فانزل الله تعالى ليس لك
من الامر شيء وقيل اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بالاستيصال فنزلت
هذه الآية وذلك لعلمه ان اكثرهم يسلمون وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وقف
على عمه حمزة وراى ما صنعوا به من المثلة اراد ان يدعو عليهم فنزلت هذه الآية
وقال العلماء هذه الاسباب كلها محتملة فلا يبعد حمل الآية في النزول على كلها ومعنى
الآية ليس لك من امر مصالح عبادي شيء الا ما اوحي اليك لان الله تعالى هو مالك
امرهم فاما ان يتوب عليهم ويهديهم فيسلموا او يهلكهم ويعذبهم ان اصروا على الكفر
وقيل ليس لك مسالة هلاكهم والدعا عليهم لانه تعالى اعلم بمصالحهم فربما تاب
على من يشا منهم وقيل معناه ليس لك من امر خلقي شيء الا ما وافق امري انما انت عبد
مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان قوله ويتوب عليهم معطوف على قوله ليقطع
طرفا وقوله ليس لك من الامر شيء كلام معترض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير
ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك
من امرهم شيء بل الامر امري في ذلك كله قال بعض العلما والحكمة في منعه صلى الله
عليه وسلم من الدعا عليهم ولعنهم ان الله تعالى علم من حال بعض الكفار انه سيسلم فيتوب
عليهم وسيولد منهم ولد يكون مسلما برا تقيا فلاجل هذا المعنى منعه الله تعالى من الدعا
عليهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة فلو دعا عليهم بالهلاك هلكوا جميعا لكن

اقتضت حكمة الله وما سبق في علمه ابقاءهم ليتوب على بعضهم ويستخرج من بعضهم ذرية
صالحة مؤمنة ويهلك بعضهم بالقتل والموت وهو قوله او يعذبهم فيحتمل ان يكون
المراد بعذابهم في الدنيا وهو القتل والاسر وفي الآخرة وهو عذاب النار **فانهم**
**ظالمون** هو كالتعليل لعذابهم والمعنى انما يعذبهم لانهم ظالمون ثم قال **ولله ما**
**في السموات وما في الارض** وهذا تاكيد لما قبله من قوله ليس لك من الامر شيء
والمعنى انما يكون لمن له ما في السموات وما في الارض وليس ذلك الا الله تعالى وليس
لاحد معه امر **يغفر لمن يشاء** بفضله ورحمته **ويعذب من يشاء** بعدله يحكم فيهم بما يشاء
لا منازع له في حكمه ولا معارض له في فعله **والله غفور رحيم** يعني انه تعالى يستر ذنوب
عباده ويغفرها لهم ويرحمهم بترك العقوبة عنهم عاجلا وانما يفعل ذلك على سبيل
التفضل والاحسان الى عباده لا على سبيل الوجوب عليه لانه تعالى لو ادخل جميع خلقه
النار كان ذلك عدلا منه لكن جانب المغفرة والرحمة غالب قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا**
**لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة** اراد به ما كانوا يفعلونه في الجاهلية عند حلول
الدين من زيادة المال وتاخير الاجل كان الرجل في الجاهلية اذا كان له على انسان دين
فاذا جاء الاجل ولم يكن للمديون ما يؤدي قال له صاحب الدين زد في المال حتى ازيدك في
الاجل فربما فعلوا ذلك مرارا فيصير الدين اضعافا مضاعفة فنهى الله عز وجل عن ذلك
وحرم اصل الربا ومضاعفته **واتقوا الله** يعني في اكل الربا فلا تاكلوه **لعلكم تفلحون**
اي لكي تسعدوا بثوابه في الآخرة لان الفلاح يتوقف على التقوى فلو اكل ولم يتق
لم يحصل الفلاح وفيه دليل على ان اكل الربا من الكبائر ولهذا اعقبه بقوله تعالى
**واتقوا النار التي اعدت للكافرين** يعني واتقوا ايها المؤمنون ان تستحلوا شيئا
مما حرم الله فان من استحل شيئا مما حرم الله فهو كافر بالاجماع ويستحق النار بذلك
قال ابن عباس هذا تهديد للمؤمنين ان يستحلوا ما حرم الله عليهم من الربا وغيره
مما اوجب الله فيه النار قال بعضهم هذه الاية اخوف اية في القران حيث اوعد الله
المؤمنين بالنار المعدة للكافرين اذ لم يتقوه ويجتنبوا محارمه وقال الواحدي في
هذه الاية تقوية لرجاء المؤمنين رحمة من الله تعالى لانه قال اعدت للكافرين فجعلها
معدة للكافرين دون المؤمنين **واطيعوا الله** يعني فيما امركم به او نهاكم عنه من اكل
الربا وغيره **والرسول** اي واطيعوا الرسول ايضا فان طاعته طاعة الله قال محمد
ابن اسحاق في هذه الاية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
احد **لعلكم ترحمون** اي لكي ترحموا ولا تعذبوا اذا اطعتم الله ورسوله فان طاعة
الله مع معصية رسوله ليست بطاعة قوله عز وجل **وسارعوا الى مغفرة من ربكم**
يعني وبادروا وسابقوا الى ما يوجب المغفرة من ربكم وهي الاعمال الصالحة المامور
بفعلها قال ابن عباس الى الاسلام ووجهه ان الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل
التنكير والمراد منه المغفرة العظيمة وذلك لا يحصل الا بسبب الاسلام لانه
يجب ما قبله وعن ابن عباس ايضا الى التوبة لان التوبة من الذنوب توجب المغفرة





وقال علي بن ابي طالب الى اداء الفرائض لان اللفظ مطلق فيعم الكل وكذا وجه من قال الى جميع
الطاعات وروي عن انس بن مالك وسعيد بن جبير انها التكبيرة الاولى يعني تكبيرة الاحرام
وقيل الى الاخلاص في الاعمال لان المقصود من جميع العبادات هو الاخلاص وقيل الى الهجرة
وقيل الى الجهاد **وجنة** اي وسارعوا الى جنة وانما فصل بين الجنة والمغفرة لان المغفرة
هي ازالة العقاب والجنة هي حصول الثواب وفيه اشعار بانه لا بد من المسارعة الى
التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة المؤدية
**عرضها** اي عرض الجنة **السموات والارض** يعني كعرض السماء والارض لان نفس
السموات والارض ليس عرضا للجنة والمراد سعتها وانما خص العرض بالمبالغة لان الطول
في العادة يكون اكثر من العرض يقول هذا صفة عرضها فكيف بطولها والمراد وصف الجنة
بالسعة والبسط فشبهت باوسع شيء علمه الناس وذلك انه لو جعلت السموات
والارض طبقا طبقا ثم وصل البعض بالبعض حتى يكون طبقا واحدا كان ذلك مثل
عرض الجنة فاما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول
العرب بلاد عريضة اي واسعة عظيمة قال الشاعر •

• كان بلاد الله وهي عريضة • على الخائف المطلوب كفة حابل •

والاصل فيه ان ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وما ضاق عرضه دق فجعل العرض
كناية عن السعة وروي ان هرقل ارسل الى النبي صلى الله عليه وسلم انك كتبت تدعوني
الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار قيل معناه والله اعلم بذلك انه اذا دار الفلك
حصل النهار في جانب والليل في ضد ذلك الجانب فكذلك الجنة في جهة العلو والنار
في جهة السفل وروى طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب ارايتم
قولكم وجنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال لهم عمر بن الخطاب ارايتم اذا جاء
الليل فاين يكون النهار واذا جاء النهار فاين يكون الليل فقالوا انه لمثلها في التوراة
ومعناه حيث يشاء الله تعالى فان قلت قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون
واراد بالذي وعدنا به الجنة ومذهب اهل السنة انها في السموات واذا كانت الجنة
في السماء فكيف يكون عرضها السموات والارض قلت المراد من قولنا انها في السموات
انها فوق السموات وتحت العرش كما سئل انس بن مالك عن الجنة افي السماء ام هي في
الارض فقال اي ارض وسماء تسع الجنة قيل له فاين هي قال فوق السموات تحت العرش
وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الفردوس فقال وسقفها عرش الرحمن وقال
قتادة كانوا يرون ان الجنة عرضها كعرض السموات والارض **اعدت للمتقين** اي
هيئت للمتقين وفيه دليل على ان الجنة والنار مخلوقتان الان قوله عز وجل **الذين**
**ينفقون في السراء والضراء** يعني في اليسر والعسر لا يتركون الانفاق في
كلتي الحالتين في الغنى والفقر والرخاء والشدة ولا في حال فرح وسرور ولا في حال
محنة وبلاء وسواء كان لاحدهم في عرس وحبس فانهم لا يدعون الاحسان الى الناس

فاول ما ذكر الله من اخلاقهم الموجبة للجنة السخا لانه اشق على النفس وكانت الحاجة
الى اخراج المال في ذلك الوقت اعظم الاحوال للحاجة اليه في مجاهدة الاعدا ومواساة
الفقرا من المسلمين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السخي قريب من الله
قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس
بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل سخي احب الى الله تعالى من عابد بخيل اخرجه الترمذي
**ق** عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل البخيل والمنفق كمثل
رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق الا
سبغت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو اثره واما البخيل فلا يريد ان ينفق
شيئا الا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع الجبة الدرع من الحديد **ق** عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان
ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا **ق** عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك **ق** عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة
باب اي فل هلم فقال ابو بكر يا رسول الله ذاك الذي لا تاوى عليه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان تكون منهم قوله اي فل يعني يا فلان وليس بترخيم والتوى
الهلاك يعني ذاك الذي لا هلاك عليه وقوله تعالى **والكاظمين الغيظ** يعني والجارعين
الغيظ عند امتلا نفوسهم منه والكظم حبس الشيء عند امتلائه وكظم الغيظ هو ان
يمتلي غيظا فيرده في جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل ويصبر عليه ويسكت عنه ومعنى
الاية انهم يكفون غيظهم عن الامضا ويردون غيظهم في اجوافهم وهذا الوصف من
اقسام الصبر والحلم عن سهل بن معاذ بن انس الجهني عن ابيه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيامة على روس
الخلايق حتى يخيره في اي الحور شا اخرجه الترمذي وابو داود **ق** عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه
عند الغضب وروي عن عايشة ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت
لذي غيظ شفا **والعافين عن الناس** يعني اذا جنى عليهم احد لم يواخذوه فتكون الاية
على العموم وقيل اراد بالناس المماليك لسو ادب يقع منهم فتكون على الخصوص وقيل
يعفون عن من ظلمهم واسا اليهم وهو قريب من القول الاول **والله يحب المحسنين**
يحتمل ان تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويحتمل ان تكون للعهد فتكون اشارة
الى المذكورين في الاية والاحسان الى الغير انما يكون بايصال النفع او بدفع الضرر عنه
وقيل الاحسان ان تحسن لمن اسا عليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة وقيل المحسن
هو الذي يعم باحسانه كل احد كالشمس والمطر والريح وقيل الاحسان وقت الامكان
وليس عليك في كل وقت احسان وقيل الاحسان هذه الخصال المذكورة في هذه
الاية فمن فعلها فهو محسن ولما كانت هذه الخصال احسانا الى الغير ذكر الله ثوابها

بقوله



بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله تعالى للعبد اعظم درجات الثواب قوله
عز وجل **والذين اذا فعلوا فاحشة** قال ابن مسعود قال المومنون للنبي صلى الله
عليه وسلم يا رسول الله كانت بنو اسرايل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب ذنبا
اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع انفك اذنك افعل كذا فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وروى عطا عن ابن عباس انها نزلت في نبهان
التمار اتته امراة حسنا تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت
اجود منه فذهب بها الى بيته وضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها
وندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الاية
وفي رواية ابي صالح عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخى بين رجلين احدهما
انصاري والاخر ثقفي فخرج الثقفي في غزوة واستخلف اخاه الانصاري على اهله
فاشترى لهم ذات يوم لحما فلما ارادت المراة ان تاخذ منه دخل على اثرها وقبل يدها
ثم ندم وانصرف ووضع التراب على راسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفي لم يستقبله
الانصاري فسال امراته عن حاله فقالت لا اكثر الله في الاخوان مثله وذكرت له
الحال والانصاري يسيح في الجبال تايبا مستغفرا فطلبه الثقفي حتى وجده فاتى به
الى ابي بكر رجا ان يجد عنده راحة وفرجا فقال الانصاري هلكت وذكر القصة
فقال ابو بكر ويحك اما علمت ان الله تعالى يغار للغازي ما لا يغار للمقيم ثم لقيا عمر
فقال لهما مثل ذلك فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهما مثل مقالتهما فانزل الله
عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة يعني فعلة فاحشة خارجة عما اذن الله فيه والفاحشة
ما عظم قبحه من الافعال والاقوال واصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر
الفاحشة الزنا وقوله تعالى **او ظلموا انفسهم** وظلم النفس هو ما دون الزنا مثل القبلة
والمعانقة واللمس والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة وقيل
الفاحشة ما يكون فعله كاملا في القبح وظلم النفس هو اي ذنب كان **ذكروا الله**
يعني ذكروا وعيد الله وعقابه وان الله يسالهم عن ذلك يوم العرض الاكبر وقيل
ذكروا اجلال الله الموجب للحيا منه وقيل ذكروا الله باللسان عند الذنوب وهو
قوله تعالى **فاستغفروا لذنوبهم** يعني لاجل ذنوبهم فتابوا منها واقلعوا عنها نادمين
على فعلها عازمين ان لا يعودوا اليها وهذه شروط صحة التوبة المقبولة **ومن يغفر
الذنوب الا الله** وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التايب من الذنب
عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا الى فضله وكرمه واحسانه وعفوه ورحمته
وفيه تنبيه على ان العبد لا يطلب المغفرة الا منه لانه القادر على عقاب المذنب وكذلك
هو القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت انه لا يجوز طلب المغفرة الا منه **ولم
يصروا على ما فعلوا** يعني ولم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها وانابوا
واستغفروا وقيل الاصرار هو ترك الاستغفار عن ابي بكر الصديق ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة اخرجه ابو داود وقال

حديث غريب وعنده عوض ولو عاد لو فعل **وهم يعلمون** قال ابن عباس وهم يعلمون أنها
معصية وقيل وهم يعلمون أن الإصرار ضار وقيل معناه وهم يعلمون أن الله يملك مغفرة
الذنب وأن لهم ربا يغفرها وقيل وهم يعلمون أن الله لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وإن
كثرت وقيل معناه وهم يعلمون أنهم إذا استغفروه غفر لهم قال ثابت البناني بلغني أن
إبليس بكى حين نزلت هذه الآية والذين إذا فعلوا فاحشة إلى آخرها **فصل** في
فضل الاستغفار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال إني كنت إذا سمعت حديثا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني وإذا حدثني أحد من
الصحابة استحلفته وإذا حلف لي صدقته وإنه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر أنه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد مؤمن وما من رجل يذنب ذنبا فيقوم
فيتطهر ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له ثم قرأ هذه الآية والذين
إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله إلى آخر الآية أخرجه أبو داود والترمذي
وقال حديث قد رواه غير واحد عن عثمان بن المغيرة فرفعوه ورواه مسعر وسفيان
عن عثمان بن المغيرة فوقفاه ولم يرفعاه ولا يعرف لأسماء إلا هذا الحديث عن ابن عباس
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا
ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب أخرجه أبو داود **م** عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم
يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم **ق** عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه
تبارك وتعالى قال إذا أذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى
أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي
رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى عبدي أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب
ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى أذنب عبدي
ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب وفي رواية اعمل ما شئت فقد غفرت لك
قال لعبد الأعلى لا أدري قال في الثالثة أو الرابعة اعمل ما شئت عن أنس قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني
غفرت لك ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني
غفرت لك ولا أبالي يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي
شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن عنان السماء بفتح العين
قيل هو السحاب وقيل هو ما عن لك منها أي ما ظهر لك منها وقراب الأرض بضم القاف وروي
بكسرها والضم أشهر وهو ما يقارب ملأها عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفرت
ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف أخرجه أبو داود والترمذي والحاكم وقال حديث صحيح
على شرط البخاري ومسلم عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا من مات مشركا أو من قتل مؤمنا متعمدا أخرجه أبو داود

قوله



قوله عز وجل **أولئك** إشارة إلى من تقدم ذكرهم في قوله والذين إذا فعلوا فاحشة
أو ظلموا أنفسهم الآية **جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار**
معنى الآية أن المطلوب بالتوبة أمران أحدهما الأمن من العقاب وإليه الإشارة
بقوله مغفرة من ربهم والثاني إيصال الثواب وإليه الإشارة بقوله وجنات تجري من
تحتها الأنهار أي ذلك لهم دخل لا ينقص وأجر لا ينكس **خالدين فيها** أي في الجنات **ونعم**
**أجر العاملين** أي ونعم ثواب المطيعين يعني الجنة قوله عز وجل **قد خلت من قبلكم سنن**
يعني قد انقضت من قبلكم سنة الله في الأمم الماضية بالهلاك والاستئصال لأنهم
خالفوا الأنبياء والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها وابتغائها فانقرضوا ولم
يبق منهم أحد وقيل في معنى السنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع لكل أمة سنة
ومنهاج إذا اتبعوه رضي الله عنهم بذلك وقيل سنن أي شرائع وقيل سنن أي أمم والسنة
الأمة ومعنى الآية قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الأمم الماضية
الكافرة بإمهالي واستدراجي إياهم حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم الذي أجلته لإهلاكهم **فسيروا**
**في الأرض** أمر ندب لا على سبيل الوجوب بل المقصود تعرف أحوال الماضين بقوله
**فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** فرغب أمة محمد في تأمل أحوال الأمم الماضية
ليصير ذلك داعيا لهم إلى الإيمان بالله ورسوله والإعراض عن الدنيا ولذاتها
وفيه أيضا زجر للكافر عن كفره لأنه إذا تأمل أحوال الكفار وإهلاكهم صار ذلك
داعيا له إلى الإيمان لأن النظر إلى آثار المتقدمين له أثر في النفس كما قيل

إن آثارنا تدل علينا ● فانظروا بعدنا إلى الآثار

وفي هذه الآية تسلية لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرى لهم في غزوة
أحد يقول فإنما أمهلت الكفار حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم الذي أجلته لهم في إهلاكهم
ونصر محمد صلى الله عليه وسلم وأوليائه وهلاك أعدائه قوله تعالى **هذا** يعني هذا القرآن
وقيل هو إشارة إلى ما تقدم من أمره ونهيه ووعده ووعيده **بيان للناس**
يعني عامة **وهدى** يعني من الضلالة **وموعظة للمتقين** يعني خاصة وقيل في الفرق
بين البيان والهدى والموعظة لأن العطف يقتضي المغايرة أن البيان هو الدلالة
التي تفيد إزالة الشبهة بعد أن كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشد المأمور بسلوكه
دون طريق الغي والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين فالحاصل
أن البيان جنس تحته نوعان أحدهما الكلام الهادي إلى ما ينبغي في الدين وهو الهدى
والثاني الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة وإنما خص المتقين بالهدى
والموعظة لأنهم المنتفعون بهما دون غيرهم قوله عز وجل **ولا تهنوا ولا تحزنوا** نزلت
بعد يوم أحد حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بطلب القوم مع ما أصابهم من الجراح
فاشتد ذلك على المسلمين فأنزل الله تعالى هذه الآية وحث فيها أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم على الجهاد على ما أصابهم من الجراح والقتل وكان قد قتل يوم أحد من الأنصار
سبعون رجلا ومن المهاجرين خمسة رجال منهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله

صلى الله عليه وسلم ومصعب بن عمير ومعنى الاية ولا تهنوا اي ولا تضعفوا عن الجهاد
ولا تحزنوا يعني على من قتل منكم لانهم في الجنة **وانتم الاعلون** يعني بالنصر والغلبة
عليهم وان العاقبة لكم وقال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الشعب فاقبل خالد بن الوليد في خيل المشركين يريد ان يعلو عليهم الجبل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلون علينا اللهم لا قوة لنا الا بك وثاب نفر من
المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى انهزموا وعلا المسلمون الجبل
فذلك قوله وانتم الاعلون لان حالكم خير من حالهم لان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في
النار وانتم تقاتلون على الحق وهم يقاتلون على الباطل وقيل وانتم الاعلون في العاقبة
لانكم تظفرون بهم وتستولون عليهم **ان كنتم مومنين** اي اذ كنتم مومنين وقيل معناه
ان كنتم مصدقين مومنين بان ناصركم هو الله تعالى فصدقوا بذلك لانه حق وصدق
وقوله تعالى **ان يمسسكم قرح** قرئ بضم القاف وبفتحها وهما لغتان ومعناهما
واحد وقيل انه بالفتح مصدر وبالضم اسم وقيل انه بالفتح اسم الجراحة وبالضم الم الجراحة
والاية خطاب للمسلمين حين انصرفوا من احد مع الحزن والكآبة يقول ان يمسسكم ايها
المسلمون قرح **فقد مس القوم** يعني الكفار **قرح مثله** يعني في يوم بدر وقيل ان الكفار
قد نالهم يوم احد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد قتل منهم نيف وعشرون رجلا
وكثرت الجراحات فيهم **وتلك الايام نداولها بين الناس** المداولة نقل الشيء من واحد
الى اخر ويقال الدنيا دول اي تنتقل من قوم الى اخرين ثم منهم الى غيرهم والمعنى ان ايام
الدنيا هي دول بين الناس فيوم لهؤلاء ويوم لهؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين
في يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين رجلا واسروا سبعين وادبل المشركين من المسلمين
يوم احد وكانوا خمسين رجلا وعليهم الرماة عبد الله بن جبير فقال ان رايتمونا تخطفنا
الطير فلا تبرحوا مكانكم حتى ارسل اليكم حتى خرجوا منهم سبعين وقتلوا خمسا وسبعين
**خ** عن البراء بن عازب قال جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم احد وكانوا خمسين
رجلا وعليهم الرماة عبد الله بن جبير فقال ان رايتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى ارسل
اليكم فهزمهم قال فانا والله رايت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن واسوقهن
رافعات ثيابهن فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة اي قوم الغنيمة ظهر اصحابكم
فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا
منهزمين فذلك قوله والرسول يدعوكم في اخراكم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم
غير اثني عشر رجلا فاصابوا منا سبعين رجلا وكان النبي صلى الله عليه وسلم فد اصاب
من المشركين يوم بدر اربعين ومائة سبعين اسيرا وسبعين قتيلا فقال ابو سفيان
افي القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ثم قال افي القوم
ابن ابي قحافة ثلاث مرات ثم قال افي القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى
اصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله يا عدو الله





ان الذي عددت لاحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال يوم بيوم والحرب سجال انكم
ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسوءني ثم اخذ يرتجز اعل هبل فقال النبي
صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه فقالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل
قال ابو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه قالوا يا
رسول الله ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال البغوي وقد روي هذا
المعنى عن ابن عباس وفي حديثه قال ابو سفيان يوم بيوم وان الايام دول والحرب
سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار قال الزجاج الدولة تكون
للمسلمين على الكفار لقوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون فكانت يوم احد للكفار على المسلمين
ليميز المومن المخلص ممن يرتد عن الدين اذا اصابته نكبة وشدة وقيل معناه وليعلم الله
الذين امنوا بما يظهر من صبرهم على عدوهم اي ليعرفهم باعيانهم الا ان سبب العلم وهو ظهور
الصبر حذف هنا وقيل معناه ليعلم الله ذلك واقعا منهم لان الله تعالى يعلم الشيء قبل
وجوده ولا يحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى ليقع ما علمه غيبا وشهادة للناس والمجازاة
انما تقع على الواقع دون المعلوم الذي لم يوجد وقيل معناه ليعلم اولياء الله فاضاف
علمهم الى نفسه تفخيما وقيل معناه ليحكم الله بالامتياز بين المومن والمنافق فوضع
العلم موضع الحكم لان الحكم لا يحصل الا بعد العلم **ويتخذ منكم شهداء** يعني وليكرم
قوما منكم بالشهادة ممن اراد ان يكرمه بها وذلك لان قوما من المسلمين فاتهم يوم
بدر وكانوا يتمنون لقاء العدو وان يكون لهم يوم كيوم بدر فيقاتلون فيه العدو ويلتمسون
فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين بسبب الكفار في المعركة
واختلفوا في معنى الشهيد فقيل الشهيد الحي لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون
فارواحهم حية حضرت دار السلام وشهدتها وارواح غيرهم لا تشهدها وقيل سمي شهيدا
لان الله شهد له بالجنة وقيل سموا شهداء لانهم يشهدون يوم القيامة مع الانبياء
والصديقين على الامم لان الشهادة تكون للافضل فالافضل من الامة لان منصب
الشهادة منصب عظيم ودرجة عالية **والله لا يحب الظالمين** يعني المشركين وقيل هم
الذين ظلموا انفسهم بالمعاصي وقيل هم المنافقون الذين يظهرون الايمان بالسنتهم
ويسرون الكفر والمعنى ان الله لا يحب من لا يكون ثابتا على الايمان صابرا على الجهاد
**وليمحص الله الذين امنوا** اي وليطهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم واصل المحص في اللغة
التنقية والازالة **ويمحق الكافرين** اي يفنيهم ويهلكهم ومعنى الاية ان قتلكم الكافرون
فهو شهادة وتطهير لكم وان قتلتموهم انتم فهو محقهم واستيصالهم قوله عز وجل **ام
حسبتم** اي بل حسبتم وظننتم والمراد الانكار والمعنى لا تحسبوا ايها المومنون **ان
تدخلوا الجنة** وتنالوا كرامتي وثوابي **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم** قال
الامام فخر الدين الرازي ظاهر الاية يدل على وقوع النفي على العلم والمراد وقوعه على
نفي المعلوم والتقدير ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم وتقديره ان
العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت هذه المطابقة لا جرم حسن اقامة كل واحد

منهما مقاما اخر وقال الواحدي النفي في الاية واقع على العلم والمعنى على الجهاد دون العلم
وذلك لما فيه من الايجاز في انتفاء الجهاد لو كان يعلمه والتقدير ولما يكن المعلوم من الجهاد
الذي اوجب عليكم لجري النفي على العلم للايجاز على سبيل التوسع في الكلام اذ المعنى مفهوم
من غير اخلال وقال الزجاج المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم بصبر الصابرين اي ولما
يعلم الله ذلك واقعا منكم لانه يعلمه غيبا وانما يجازيهم على عملهم وقال الطبري يقول ولما
يتبين لعبادي المومنين المجاهدين منكم ما امرته به **ويعلم الصابرين** يعني في الحرب
وعلى ما نالهم في ذات الله عز وجل من جراح والم ومكروه وفي هذه الاية معاتبة لمن انهزم
يوم احد والمعنى احسبتم ايها المنهزمون ان تدخلوا الجنة كما دخلها الذين قتلوا وبذلوا
مهجهم لربهم عز وجل وصبروا على الم الجراح والضرب وثبتوا للعدو وهم من غير ان تسلكوا
طريقهم وتصبروا صبرهم **ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه** قال ابن عباس
لما اخبر الله المومنين على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بما فعل بشهداء بدر يوم بدر من
الكرامة رغبوا في ذلك فتمنوا قتالا لا يستشهدون فيه فيلحقون باخوانهم فاراهم
الله يوم احد فلم يلبثوا ان انهزموا الا من شا الله منهم فانزل الله هذه الاية وقيل
ان قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا فيه وليستشهدوا فاراهم الله يوم
احد ومعنى قوله تمنون الموت اي تطلبون اسباب الموت وهو القتال والجهاد من قبل
ان تلقوه اي من قبل ان تلقوا يوم احد **فقد رايتموه** يعني رايتم ما كنتم تتمنون وقوله
في رايتموه عاينتم الموت اي رايتم اسبابه معاينين له شاهدين قتل من قتل من اخوانكم
بين ايديكم **وانتم تنظرون** قيل ذكره تاكيدا وقال الزجاج معناه فقد رايتموه وانتم
بصراء كما تقول رايت كذا وكذا وليس في عينك علة اي رايته روية حقيقة وقيل معناه
وانتم تنظرون الى ما تمنيتم فلم انهزمتم قوله عز وجل **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل**
قال اهل المغازي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من احد في سبعماية
رجل وجعل عبد الله بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين رجلا وقال اقيموا باصل الجبل
وانضحوا عنا بالنبل حتى لا ياتونا من خلفنا فان كانت لنا او علينا لا تبرحوا من مكانكم
حتى ارسل اليكم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وكانت قريش وعلى ميمنتهم خالد
ابن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن ابي جهل ومعهم النسا يضربن بالدفوف وينشدن
الاشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب وحمل النبي صلى الله عليه وسلم فقد اخذ سيفا وقال من
ياخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى يثخن فاخذه ابو دجانة سماك بن خرشة
الانصاري فلما اخذه اعتم بعمامة حمرا وجعل يتبختر في مشيته فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انها لمشية يبغضها الله تعالى ورسوله الا في هذا الموضع فلما انطلق الرماة الى
المشركين وقد انكشفوا وراوا اصحابهم ينهبون الغنيمة اقبلوا يريدون النهب فلما راى
خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة وراى ظهورهم خالية صاح
في خيله وحمل على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهزموهم ورمى عبد الله بن قميئة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر انفه ورباعيته وشجه في وجهه فاثقله وتفرق عنه اصحابه

ونهض



ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصخرة ليعلوها فلم يستطع وكان قد ظاهر بين درعين
فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة
ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن
الاذان والانوف حتى اتخذت من ذلك قلايد واعطتها وحشيا وبقرت عن كبد
حمزة رضي الله عنه وكان قد قتل يومئذ فاخذت منها قطعة فلاكتها فلم تسغها فلفظتها
واقبل عبد الله بن قمية يريد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذب عنه مصعب بن
عمير وهو صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قمية وهو يرى انه قتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال اني قد قتلت محمدا وصاح صارخ الا ان محمدا قد
قتل ويقال ان ذلك الصارخ ابليس اللعين فانكفا الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الي عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين
ورمى سعد بن ابي وقاص حتى اندقت سية قوسه ونثل له رسول الله صلى الله عليه وسلم
كنانته وقال ارم فداك ابي وامي وكان ابو طلحة رجلا راميا شديد النزع يومئذ
فكسر يومئذ قوسين او ثلاثة وكان الرجل يمر ومعه جعبة النبل فيقول انثرها لابي طلحة وكان اذا
رمى تشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر موضع نبله واصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست
وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت
على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادت احسن ما كانت فلما انصرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم ادركه ابي بن خلف الجمحي وهو يقول لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله
الا يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه حتى اذا دنا منه وكان ابي
قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول عندي رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة
اقتلك عليها فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك ان شا الله فلما دنا منه تناول
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله وطعنه في عنقه
وخدشه خدشة فتدهدا عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلني محمد فاحتمله
اصحابه وقالوا ليس عليك باس فقال بل لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم اليس
قال لي اني اقتلك فلو بزق علي بعد تلك المقالة لقتلني بها فلم يلبث بعد ذلك الا يوما حتى
مات بموضع يقال له سرف خ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد
غضب الله على من قتله نبي في سبيل الله اشتد غضب الله على قوم ادموا وجه نبي الله قالوا
وفشى في الناس ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى
عبد الله بن ابي فياخذ لنا امانا من ابي سفيان وجلس بعض الصحابة والقوا بايديهم وقال
اناس من المنافقين ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول فقال انس بن النضر عم انس
ابن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر
اليك مما يقول هولا يعني المسلمين وابرا اليك مما جا به هولا يعني المشركين ثم شد
بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة وهو يدعو

الناس فاول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال فعرفت عينيه
تزهران تحت المغفر فناديت باعلا صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاشار الي ان اسكت فانحازت اليه طايفة من اصحابه فلامهم النبي صلى الله
عليه وسلم على الفرار فقالوا يا رسول الله فديناك بابائنا وامهاتنا اتانا الخبر انك
قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فانزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل ومعنى الاية فسيخلو محمد كما خلت الرسل من قبله فكما ان اتباعهم
بقوا متمسكين بدينهم بعد خلو انبيايهم فعليكم انتم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه
لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين ظهراني قومه
ومحمد اسم علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى وصفه بذلك وتخصيصه
بمعناه وهو الذي كثرت خصاله المحمودة والمستحق لجميع المحامد لانه الكامل في
نفسه صلى الله عليه وسلم فاكرم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وسماه باسمين مشتقين
من اسمه المحمود سبحانه وتعالى فسماه محمدا واحمد وفي ذلك يقول حسان بن ثابت

الم تر ان الله ارسل عبده ● ببرهانه والله اعلى وامجد
اغر عليه للنبوة خاتم ● من الله مشهور يلوح ويشهد
وشق له من اسمه ليجله ● فذو العرش محمود وهذا محمد

ق عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسما انا محمد
وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس
على قدمي وانا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وسماه الله رؤوفا رحيما عن
ابي موسى الاشعري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه اسما
فقال انا محمد وانا احمد وانا المقفي ونبي التوبة ونبي الرحمة قوله المقفي هو اخر الانبيا
الذي لا نبي بعده والرسول هو المرسل ويكون بمعنى الرسالة والمراد به هنا المرسل
بدليل قوله تعالى وانك لمن المرسلين **افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم**
يعني اتنقلبون على اعقابكم ان مات محمد او قتل وترجعون الى دينكم الاول يقال لكل
من رجع الى ما كان عليه رجع وراءه ونكص على عقبيه وحاصل الكلام ان الله تعالى بين ان
موت محمد وقتله لا يوجب ضعفا في دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت ساير الانبيا
قبله وان اتباعهم ثبتوا على دين انبيايهم بعد موتهم **ومن ينقلب على عقبيه** يعني فيرتد
عن دينه ويرجع الى الكفر **فلن يضر الله شيئا** يعني بارتداده لان الله تعالى لا يضره كفر
الكافرين لانه تعالى غني عن العالمين وانما يضر المرتد والكافر نفسه **وسيجزي الله
الشاكرين** يعني الثابتين على دينهم الذين لم ينقلبوا عنه لانهم شكروا نعمة الله عليهم
بالاسلام وثباتهم عليه فسماهم الله شاكرين لما فعلوا والمعنى ويثيب الله من شكره
على توفيقه وهدايته وروى ابن جبير عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في قوله وسيجزي
الله الشاكرين قال الثابتين على دينهم ابا بكر واصحابه وكان علي يقول ابو بكر امين
الشاكرين وامين احبا الله وكان اشكرهم واحبهم الى الله تعالى قوله عز وجل

وماكان



**وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله** اي بامر الله وقضايه وقدره وعلمه وذلك ان الله
تعالى يامر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت احد الا باذن الله تعالى وامره والمراد
من الاية تحريض المومنين على الجهاد وتشجيعهم على لقا العدو واعلامهم بان الجبن
لا ينفع وان الحذر لا يدفع المقدور وان احدا لا يموت قبل اجله وان خاض المهالك واقتحم
المعارك واذا جا الاجل لم يدفع الموت بحيلة فلا فايدة في الخوف والجبن وفي الاية
ايضا ذكر حفظ الله رسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو وتخليصه منهم عند
التفافهم عليه واسلام اصحابه له فانجاه الله تعالى من عدوه سالما مسلما لم يضره
شي **كتابا مؤجلا** يعني موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر والمعنى ان الله تعالى
كتب لكل نفس اجلها لا يقدر احد على تغييره او تقديمه او تاخيره وقيل الكتاب هو اللوح المحفوظ
لان فيه اجال جميع الخلق **ومن يرد ثواب الدنيا نوته منها** يعني من يرد بعمله وطاعته
الدنيا ويعمل لها نوته منها ما يكون جزا لعمله والمعنى نوته منها ما نشا مما قدرناه
له نزلت في الذين تركوا المركز يوم احد وطلبوا الغنيمة **ومن يرد ثواب الاخرة نوته
منها** يعني من اراد بعمله الاخرة نوته ثوابه فيها نزلت في الذين ثبتوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم احد واعلم ان هذه الاية وان نزلت في الجهاد خاصة لكنها عامة
في جميع الاعمال وذلك لان الاصل في ذلك كله يرجع الى نية العبد فاذا كان يريد بعمله
الدنيا فليس له جزا الا فيها وكذلك من اراد بعمله الدار الاخرة فجزاوه ايضا فيها
ق عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال
بالنيات وفي رواية بالنية وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله
فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها وفي رواية
ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه وروى البغوي بسنده عن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته طلب الاخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله
واتته الدنيا راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت
عليه امره ولا ياتيه منها الا ما كتب له وقوله تعالى **وسنجزي الشاكرين** يعني
المومنين المطيعين الذين لم يشغلهم شي عن الجهاد ولم يريدوا باعمالهم الا الله
تعالى والدار الاخرة قوله عز وجل **وكاين من نبي** اي وكم من نبي **قتل معه** وقري قاتل
معه فمن قرا قتل بضم القاف فله وجهان احدهما ان يكون القتل راجعا على النبي صلى الله
عليه وسلم وحده فعلى هذا يكون الوقف على قتل لانه كلام تام وفيه اضمار تقديره قتل
ومعه ربيون كثير ويكون معناه قتل حال ما كان معه ربيون كثير والمعنى ان كثيرا من
الانبيا قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم وما استكانوا بل استمروا على
جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا مثلهم الوجه الثاني ان القتل
نال النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من الربيين ويكون المراد البعض ويكون قوله
فما وهنوا راجعا الى الباقين والمعنى وكاين من نبي قتل وبعض من كان معه فما ضعف
الباقون لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا كذلك

الوجه الثاني ان يكون القتل نال الربيين لا النبي والمعنى وكاين من نبي قتل ممن كان
معه وعلى دينه ربيون كثير ومن قرا قاتل معه ربيون كثير فالمعنى وكاين من نبي قاتل
معه العدد الكثير من اصحابه فاصابهم من عدوهم قروح وجراحات فما وهنوا لما اصابهم
بل استمروا على جهاد عدوهم لان الذي اصابهم انما هو في سبيل الله وطاعته واقامة دينه
ونصرة نبيه فكان ينبغي لكم ان تفعلوا مثل ذلك يا امة محمد وحجة هذه القراءة ما روي
عن سعيد بن جبير انه قال ما سمعنا ان نبيا قتل في القتال وقوله ربيون كثير قال
ابن عباس جموع كثيرة وقيل الربيون الالوف وقيل الربية الواحدة عشرة الاف وقيل
الف وقيل ربيون يعني فقها علما وقيل الربيون هم الاتباع فما وهنوا اي فما جبنوا
عن الجهاد لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا يعني عن مجاهدة عدوهم بما نالهم من
الم الجراح وقتل الاصحاب وما استكانوا يعني وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم
ولكنهم صبروا على امر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم وهذا تعريض بما اصابهم
يوم احد من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وضعفهم عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق
عبد الله بن ابي في طلب الامان من ابي سفيان والمقصود من الاية حكاية ما جرى
لساير الانبياء واتباعهم ليقتدي هذه الامة بهم وترغيب الذين كانوا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد والله يحب الصابرين يعني في الجهاد والمعنى ان من صبر على
تحمل الشدايد في طلب الاخرة ولم يظهر الجزع والعجز فان الله يحبه ومحبة الله للعبد
عبارة عن ارادة اكرامه واعزازه وايصال الثواب له وادخاله الجنة مع اوليايه
واصفيايه ثم قال تعالى وما كان قولهم يعني قول الربانيين الا ان قالوا ربنا
اغفر لنا ذنوبنا فيدخل فيه الصغاير والكباير واسرافنا في امرنا يعني ما اسرفنا
فيه فتخطينا الى العظام من الذنوب لان الاسراف الافراط في الشيء ومجاوزة الحد
فيه فيكون المعنى اغفر لنا ذنوبنا الصغاير منها والكباير وثبت اقدامنا لكي لا نزول
عند لقاء العدو وذلك يكون بازالة الخوف والرعب من قلوبهم وانصرنا على القوم
الكافرين لان النصر على الاعداء لا يكون الا من عند الله بين الله تعالى انهم كانوا مستعدين
عند لقاء العدو بالدعاء والتضرع وطلب الاعانة والنصر من الله تعالى والغرض منه
ان يقتدي بهم في هذه الطريقة الحسنة امة محمد صلى الله عليه وسلم يقول هلا فعلتم
مثل ما فعلوا وقلتم مثل ما قالوا فاتاهم الله ثواب الدنيا يعني النصر والغنيمة
وقهر الاعداء والثناء الجميل وغفران الذنوب والخطايا وحسن ثواب الاخرة يعني الجنة
وما فيها من النعيم المقيم وانما خص ثواب الاخرة بالحسن تنبيها على جلالته وعظمته
لانه غير زايل ولم يشب بتنغيص ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته ولانه
سريع الزوال مع ما يشوبه من التنغيص والله يحب المحسنين يعني الذين يفعلون
مثل ما فعل هولاء وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المومنين ان يقولوا مثل هذا عند
لقاء العدو وفيه دقيقة لطيفة وهو انهم لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم مسيئين سماهم الله

تعالى



تعالى محسنين قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يعني اليهود
والنصارى وقيل المنافقين وذلك في قولهم للمومنين عند الهزيمة يوم احد ارجعوا
الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وقيل معناه ان تطيعوهم فيما يامرونكم به من ترك الجهاد
يردوكم على اعقابكم يعني يرجعوكم الى دينكم الاول وهو الكفر والشرك بالله بعد الايمان
به لان قبول قولهم في الدعوة الى الكفر كفر فتنقلبوا خاسرين يعني مغبونين في
الدنيا والاخرة اما خسران الدنيا فهو طاعة الكفار والتذلل للاعداء واما خسران
الاخرة فهو دخول النار وحرمان دار القرار بل الله مولاكم اي وليكم وناصركم وحافظكم
فاستعينوا به وهو خير الناصرين يعني انه تعالى قادر على نصركم والمعنى انكم انما
تطيعوا الكفار لينصروكم ويعينوكم وهم عاجزون عن نصر انفسهم فضلا عن غيرهم
فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصرين قوله عز وجل سنلقي في قلوب الذين
كفروا الرعب وذلك ان ابا سفيان ومن معه لما ارتحلوا يوم احد متوجهين الى مكة
فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بيس ما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا
الشريد تركناهم ارجعوا اليهم فاستاصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله في قلوبهم
الرعب يعني الخوف الشديد حتى رجعوا عما هموا به فعلى هذا القول يكون الوعد بالقاء
الرعب في قلوب الكفار مخصوصا بيوم احد وقيل انه عام وان كان السبب خاصا لقوله
صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر فكانه قال سنلقي في قلوب الذين كفروا
منكم حتى تقهروهم ويظهر دينكم على ساير الاديان وقد فعل الله ذلك بفضله وكرمه
حتى صار دين الاسلام ظاهرا على جميع الاديان والملل كما قال تعالى ليظهره على الدين
كله بما اشركوا بالله يعني انما كان القاء الرعب في قلوبهم بسبب اشراكهم بالله ما لم
ينزل به سلطانا يعني حجة وبرهانا وسميت الحجة سلطانا لان السلطان مشتق
من التسليط وهو ما يستصبح به وقيل السلطان القوة والقدرة وسميت الحجة سلطانا
لقوتها على دفع الباطل وماواهم النار لما بين الله تعالى حال الكفار في الدنيا وهو
القاء الرعب والخوف في قلوبهم بين حالهم في الاخرة فقال تعالى وماواهم النار
اي مسكنهم وبيس مثوى الظالمين اي المسكن الذي يستقرون به ويقيمون فيه
وكلمة بيس تستعمل في جميع المذام والمعنى بيس مقام الظالمين الذين ظلموا انفسهم
باكتساب ما اوجب لهم عذاب النار والاقامة فيها قوله عز وجل ولقد صدقكم
الله وعده قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من احد
الى المدينة وقد اصابهم ما اصابهم قال ناس من الصحابة من اين اصابنا هذا وعدنا الله
النصر فانزل الله ولقد صدقكم الله وعده يعني بالنصر والظفر وذلك ان الظفر كان
للمسلمين في الابتداء وقيل ان الله وعد المومنين النصر باحد فنصرهم فلما خالفوا
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنيمة هزموا اذ تحسونهم يعني اذ تقتلون
الكفار قتلا ذريعا وقيل معنى تحسونهم يعني تستاصلونهم بالقتل باذنه يعني بعلم
الله وامره وقيل بقضاء الله وقدره حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم

قال الفرا فيه تقديم وتاخير تقديره حتى اذا تنازعتم في الامر وعصيتم فشلتم وقيل
معناه لقد صدقكم الله وعده بالنصر الى ان كان منكم الفشل والتنازع والمعصية
وقيل فيه معنى الشرط وجوابه محذوف تقديره اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم
منعكم الله النصر ومعنى فشلتم ضعفتم والفشل الضعف مع جبن ومعنى التنازع الاختلاف
وكان اختلافهم وتنازعهم ان الرماة الذين كانوا مع عبد الله بن جبير لما انهزم المشركون
قال بعضهم لبعض اي قوم ما نصنع بمقامنا ههنا وقد انهزم المشركون ثم اقبلوا
على الغنيمة وقال بعضهم لبعض لا تجاوزوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت
عبد الله بن جبير امير القوم في نفر يسير دون العشرة ممن كان معه فلما راي خالد بن
الوليد وعكرمة بن ابي جهل ذلك حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير
فقتلوا عبد الله بن جبير واصحابه واقبلوا على المسلمين وتحولت الريح دبورا بعدما
كانت صبا وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتتلون على غير شعار
يضرب بعضهم بعضا وما يشعرون بذلك من الدهش ونادى ابليس ان محمدا قد
قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين وقوله وعصيتم يعني امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيما امركم به من لزوم المركز **من بعد ما اراكم ما تحبون** من النصر والظفر
والغنيمة يا معشر المسلمين **منكم من يريد الدنيا** يعني الذين تركوا المركز واقبلوا
على النهب **ومنكم من يريد الاخرة** يعني الذين ثبتوا مع اميرهم عبد الله بن جبير حتى
قتلوا قال عبد الله بن مسعود ما شعرنا ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان يوم احد نزلت هذه الاية **ثم صرفكم عنهم** يعني يا معشر
المسلمين عنهم يعني عن المشركين بالهزيمة **ليبتليكم** يعني ليمتحنكم وقيل لينزل
عليكم البلا لتتوبوا اليه وتستغفروه وقيل معناه ليختبركم وهو اعلم ليميز المؤمن
من المنافق ومن يريد الدنيا ممن يريد الاخرة **ولقد عفا عنكم** يعني ولقد عفا الله
عنكم ايها المخالفون امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستاصلكم بعد المخالفة
والمعصية وقيل عفا عن عقوبتكم ايها المخالفون **والله ذو فضل على المؤمنين**
وهذا من تمام نعمه على عباده المؤمنين لانه نصرهم اولا ثم عفا عن المذنبين منهم ثانيا
لانه ذو الفضل والطول والاحسان وفي الاية دليل على ان صاحب الكبيرة مؤمن
وان الله تعالى يعفو بفضله وكرمه ان شا لانهم سماهم مؤمنين مع ما ارتكبوه من
مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي كبيرة وعفا عنهم بعد ذلك قوله عز
وجل **اذ تصعدون** قيل هو متعلق بما قبله والتقدير ولقد عفا عنكم اذ تصعدون
لان عفوه عنهم لا بد وان يتعلق بامر اقترفوه وذلك الامر هو ما بينه بقوله اذ
تصعدون يعني هاربين في الجبل وقيل هو ابتدا كلام لا تعلق له بما قبله والمعنى
اذكروا اذ تصعدون قراءة الجمهور بضم التا وكسر العين من الاصعاد وهو الذهاب
في الارض والابعاد فيها وقرا الحسن تصعدون بفتح التا من الصعود وهو الارتقا
من اسفل الى اعلى كالصعود على الجبل وعلى السلم ونحوه وللمفسرين في معنى الاية





قولان احدهما انه صعودهم في الجبل عند الهزيمة والثاني انه الابعاد في الارض في حال
الهزيمة ووقت الهرب **ولا تلوون على احد** اي لا تعرجون ولا تقيمون على احد ولا يلتفت
بعضكم الى بعض من شدة الهرب **والرسول يدعوكم في اخراكم** اي في اخركم ومن ورائكم
يقول الي عباد الله انا رسول الله من كر اي رجع فله الجنة **فاثابكم غما بغم** يعني
فجازاكم بفراركم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم وفشلكم من عدوكم غما بغم فسمى العقوبة
التي عاقبهم بها ثوابا على سبيل المجاز لان لفظ الثواب لا يستعمل في الاغلب الا في الخير
وقد يجوز استعماله في الشر لانه ماخوذ من ثاب اذا رجع فاصل الثواب كل ما يعود الى
الفاعل من جزا فعله سوا كان خيرا او شرا فمتى حملنا لفظ الثواب على اصل اللغة كان
الكلام صحيحا ومتى حملناه على الاغلب كان على سبيل المجاز فهو كقول الشاعر

اخاف زيادا ان يكون عطاوه ٭ اداهم سودا او محدرجة سمرا

فجعل العطا مكان العقاب لان الاداهم المسودة هي القيود الثقال والمحدرجة هي السياط
والبا في قوله غما بغم بمعنى مع او بمعنى على لان حروف الجر تنوب بعضها عن بعض وقيل
البا على بابها والمعنى غما متصلا بغم واختلفوا في معنى الغمين فقيل الغم الاول هو ما
فاتهم من الظفر والغنيمة والغم الثاني هو ما سمعوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل
فانساهم غمهم الاول وقيل الغم الاول هو انهم غموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخالفة
امره فجازاهم الله بذلك الغم القتل والهزيمة وقيل ان غمهم الاول بسبب اشراف
خالد بن الوليد مع خيل المشركين عليهم والغم الثاني حين اشرف ابو سفيان واصحابه
ووقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم غمهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم
فيقتلونهم فانساهم ذلك قوله تعالى **لكيلا** في لفظة لا قولان احدهما انها باقية
على اصلها ومعناها النفي فعلى هذا يكون الكلام متصلا بقوله ولقد عفا عنكم لكيلا
**تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم** لان عفوه يذهب كل غم وحزن وقيل معناه
فاثابكم غما انساكم الحزن على ما فاتكم وما اصابكم وقد روي انهم لما سمعوا ان النبي
صلى الله عليه وسلم قد قتل نسوا ما اصابهم وما فاتهم والقول الثاني ان لفظة لا صلة
ومعنى الكلام لكي تحزنوا على ما فاتكم واصابكم عقوبة لكم على مخالفتكم قال ابن عباس
الذي فاتكم الغنيمة والذي اصابهم القتل والهزيمة **والله خبير بما تعملون** اي
هو عالم بجميع اعمالكم خيرها وشرها فيجازيكم عليها قوله عز وجل **ثم انزل عليكم** يا معشر
المسلمين **من بعد الغم** الذي اصابكم **امنة نعاسا** يعني امنا والامنة والامن واحد وقيل
الامن يكون مع زوال الخوف والامنة مع بقا سبب الخوف وكان سبب الخوف بعد باق
والنعاس اخف من النوم والمعنى اعقبكم بما نالكم من الخوف والرعب ان امنكم امنا تنامون
بعده لان الخايف لا يكاد ينام فامنهم بعد خوفهم **يغشى طايفة منكم** قال ابن عباس
امنهم يومئذ بنعاس يغشاهم وانما ينعس من يامن والخايف لا ينام خ عن انس عن ابي طلحة
قال كنت فيمن تغشاه النعاس يوم احد حتى سقط سيفي من يدي مرارا واخذه اخرجه
الترمذي عنه قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد وذكر نحو رواية البخاري

وزاد والطايفة الاخرى المنافقين ليس لهم هم الا انفسهم اجبن قوم وارعبه واخذله
للحق وفي رواية اخرى له قال رفعت راسي يوم احد فجعلت انظر وما منهم يومئذ احد
الا يميد تحت حجفته من النعاس فذلك قوله تعالى ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا
وقال الزبير بن العوام لقد رايتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا
الخوف فارسل الله تعالى علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس
يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا فقوله
تعالى يغشى طايفة منكم يعني المومنين وطايفة قد اهمتهم انفسهم يعني المنافقين
اراد الله ان يميز المومنين من المنافقين فاوقع النعاس على المومنين حتى امنوا ولم
يوقع النعاس على المنافقين فبقوا في الخوف وفي القاء النعاس على المومنين دون المنافقين
اية عظيمة ومعجزة باهرة لان النعاس كان سبب امن المومنين وعدم النعاس عن المنافقين
كان سبب خوفهم حتى امنوا ولم يوقع وهو قوله تعالى وطايفة قد اهمتهم انفسهم يعني
حملتهم انفسهم على الهم لان اسباب الخوف وهي قصد الاعدا كانت حاصلة عندهم يظنون
بالله غير الحق يعني يظنون ان الله لا ينصر محمدا واصحابه وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم
قد قتل وان امره يضمحل والمعنى يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به ظن
الجاهلية اي كظن اهل الجاهلية يقولون يعني المنافقين هل لنا اي ما لنا من الامر
من شيء وذلك انه لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين
في هذه الواقعة واشار اليه ان لا يخرج من المدينة فلما خالفه النبي صلى الله عليه وسلم وخرج
وقتل من قتل قيل لعبد الله بن ابي قد قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الامر من شيء
وهو استفهام على سبيل الانكار اي ما لنا امر يطاع وقيل المراد بالامر النصر والظفر
يعني ما لنا من هذا الذي يعدنا محمد به من النصر والظفر من شيء انما هو للمشركين قل
يا محمد لهولا المنافقين ان الامر كله لله يعني النصر والظفر والقضا والقدر كله لله
وبيده يصرفه كيف يشا ويدبره كيف احب يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يعني من
الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل
الذي اخفوه قوله تعالى حكاية عنهم يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا
وذلك ان المنافقين قال بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال اهل مكة
ولم يقتل روساونا وقيل كانوا يقولون لو كنا على الحق ما قتلنا هاهنا وعن ابن عباس
في قوله تعالى يظنون بالله غير الحق يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الامر
شيء ما قتلنا هاهنا قيل ان الذي قال ليس من الامر شيء هو عبد الله بن ابي بن سلول
المنافق والذي قال لو كان لنا من الامر شيء هو معتب بن قشير قل اي قل يا محمد لهولا
المنافقين لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل اي قضي عليهم القتل وقدر
عليهم الى مضاجعهم يعني الى مصارعهم التي يصرعون بها وقت القتل ومعنى الاية ان الحذر
لا ينفع مع القدر والتدبير لا يقاوم التقدير فالذين قدر عليهم القتل وقضاه وحكم
به عليهم لا بد وان يقتلوا والمعنى لو جلستم في بيوتكم لخرج منها والظهر الذين قضى الله

عليهم



عليهم بالقتل وقضاه الى حيث يقتلوا فيه وليبتلي الله ما في صدوركم اي وليختبر ما
في صدوركم ليعلمه مشاهدة كما علمه غيبا لان المجازاة انما تقع على علمه مشاهدة وقيل
معناه ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر لكم وقيل معناه ليبتلي اوليا الله ما في صدوركم
فاضاف الابتلا اليه تعظيما لشانهم اوليا به المومنين وليمحص ما في قلوبكم قال قتادة
اي يطهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجايب صنعه في القا الامنة وصرف العدو
واظهار سراير المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب للمومنين خاصة وقيل معناه وليبين
ويظهر ما في قلوبكم يعني من الاعتقاد لله ولرسوله وللمومنين من العداوة فعلى هذا
يكون الخطاب للمنافقين خاصة والله عليم بذات الصدور يعني بالاشيا الموجودة
في الصدور وهي الاسرار والضماير لانه عالم بجميع المعلومات قوله عز وجل ان
الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان اي انهزموا وهربوا يا معشر المسلمين فهو
خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم من المومنين يوم احد باحد وكان قد انهزم اكثر
المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا وقيل اربعة عشر
من المهاجرين سبعة ومن الانصار سبعة فمن المهاجرين ابو بكر وعمر وعلي وطلحة بن
عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم انما
استزلهم الشيطان اي طلب زللهم كما يقال استعجله اي طلب عجلته وقيل حملهم
على الزلة وهي الخطيئة وذلك بالقا الوسوسة في قلوبهم لانه امرهم بها ببعض ما
كسبوا يعني لمعصيتهم النبي صلى الله عليه وسلم وتركهم المركز وقيل استزلهم الشيطان
بتذكير خطايا سبقت لهم فكرهوا ان يقتلوا قبل اخلاص التوبة منها وهو اختيار
الزجاج لانه قال لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على الفرار من الزحف رغبة
في الدنيا وانما اذكرهم الشيطان خطايا سلفت لهم فكرهوا لقا الله الا على حالة
يرضاها ولقد عفا الله عنهم يعني ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقى الجمعان
فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم قيل ان عثمان عوتب في هزيمته يوم احد فقال ان ذلك
وان كان خطا لكن الله قد عفا عنه وقرا هذه الاية ان الله غفور يعني لمن تاب واناب
حليم لا يعجل بالعقوبة ولم يستاصلهم بالقتل قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه وقالوا لاخوانهم
يعني في النفاق والكفر وقيل لاخوانهم في النسب وكانوا مسلمين اذا ضربوا في الارض
يعني اذا سافروا في الارض لتجارة وغيرها او كانوا غزى جمع غاز اي غزاة في الكلام
حذف دل المعنى عليه اذ لك الحذف وهو اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا
لو كانوا عندنا يعني مقيمين ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك يعني قولهم وظنهم
حسرة في قلوبهم يعني غما واسفا والله يحيي ويميت هذا رد لقول المنافقين لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا والمعنى ان الامر بيد الله وانه المحيي والمميت هو الله فقد
يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد عن الغزو كما يشا فكيف ينفع الجلوس
في البيت وهل يحيي احد من الموت والله بما تعملون بصير يعني انه تعالى مطلع على ما

تعملون من خير او شر فيجازيكم فاتقوه ولا تكونوا مثل المنافقين لان مقصودهم
تنفير المؤمنين عن الجهاد بقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فان الله هو
المحيي المميت فمن قدر له البقا لم يقتل في الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وان اقام
في بيته عند اهله فلا تقولوا انتم ايها المؤمنون لمن يريد الخروج الى الجهاد لا تخرج
فتقتل فلان يموت في الجهاد فيستوجب الثواب فان ذلك خير له من ان يموت في بيته
بلا فايدة والية الاشارة بقوله تعالى **ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله
ورحمة خير** يعني في العاقبة خير **مما تجمعون** يعني من الغنايم والمعنى ولئن تم عليكم
ما تخافون من القتل في سبيل الله والهلاك بالموت فانما تنالون من المغفرة والرحمة
بالموت والقتل في سبيل الله خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا **ولئن
متم او قتلتم لالى الله تحشرون** يعني لالى الله الرحيم الواسع الرحمة والمغفرة
المثيب العظيم الثواب تحشرون في الاخرة فيجازيكم باعمالكم وقد قسم بعضهم مقام
العبودية ثلاثة اقسام فمن عبد الله خوفا من ناره امنه الله مما يخاف واليه
الاشارة بقوله لمغفرة من الله ورحمة ومن عبد الله تعالى شوقا الى جنته انا له ما يرجو
واليه الاشارة بقوله ورحمة لان الرحمة من اسما الجنة ومن عبد الله شوقا الى وجهه
الكريم لا يريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذي يتجلى له الحق سبحانه وتعالى في
دار كرامته واليه الاشارة بقوله لالى الله تحشرون قوله عز وجل **فبما رحمة من
الله لنت لهم** اي فبرحمة من الله وما صلة لنت لهم اي سهلت لهم اخلاقك وكثرت
احتمالك ولم تسرع اليهم بتعنيف على ما كان منهم يوم احد ومعنى فبما رحمة هو
توفيق الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم للرفق والتلطف بهم وان الله تعالى القى
في قلب نبيه صلى الله عليه وسلم داعية الرحمة واللطف حتى فعل ذلك معهم **ولو كنت
فظا** يعني جافيا **غليظ القلب** يعني قاسي القلب سيئ الخلق قليل الاحتمال **لانفضوا
من حولك** اي لتفرقوا عنك وتفرقوا حتى لا يبقى منهم احد عندك **فاعف عنهم** اي
تجاوز عن زلاتهم وما اتوا يوم احد **واستغفر لهم** اي واسال الله المغفرة لهم حتى
يشفعك فيهم وقيل فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحقوق الله
وذلك من تمام الشفقة عليهم **وشاورهم في الامر** اي استخرج اراءهم واعلم ما عندهم
واختلف العلما في المعنى الذي من اجله امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم
بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة رايه ونزول الوحي عليه ووجوب طاعته على
كافة الخلق فيما احبوا او كرهوا فقيل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم فيما
ليس عندك من الله فيه عهد وذلك في امر الحرب ونحوه من امور الدنيا لتستظهر
برايهم فيما تشاورهم فيه وقيل امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورتهم
تطييبا لقلوبهم فان ذلك اعطف لهم عليه واذهب لاضغانهم فان سادات العرب
كانوا اذا لم يشاوروا في الامور شق ذلك عليهم وقال الحسن قد علم الله تعالى
انه ما به الى مشاورتهم حاجة ولكن اراد ان يستن به من بعده من امته وقيل





انما امر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وافهامهم لا ليستفيد منهم رايا وروى
البغوي بسنده عن عايشة انها قالت ما رايت رجلا اكثر استشارة للرجال
من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق العلما على ان كل ما نزل فيه وحي من الله تعالى
لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشاور فيه الامة وانما امر ان يشاور
فيما سوى ذلك من امر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل ان يشاورهم
في امر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه شي لان النبي صلى الله عليه وسلم شاورهم في
اسارى بدر وهو من امر الدين قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الاستشارة عين
الهداية وقد خاطر من استغنى برايه والتدبير قبل العمل يومنك من الندم وقال
بعض الحكما ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ومن فوايد المشاورة انه قد
يعزم الانسان على امر فيشاور فيه فيتبين له الصواب في قول غيره فيعلم بذلك
عجز نفسه عن الاحاطة بفنون المصالح ومنها انه اذا لم ينجح امره علم ان امتناع
النجاح محض قدر فلم يلم نفسه وقال بعضهم في مدح المشاورة

| | |
|---|---|
| وشاور اذا شاورت كل مهذب | لبيب اخا حزم لترشد في الامر |
| ولا تك ممن يستبد برايه | فتعجز او لا تستريح من الفكر |
| الم تر ان الله قال لعبده | وشاورهم في الامر حتما بلا نكر |

وقوله تعالى **فاذا عزمت** يعني على المشاورة **فتوكل على الله** اي فاستعن
بالله في امورك كلها وثق به ولا تعتمد الا عليه فانه ولي الاعانة والعصمة والتسديد
والمقصود ان لا يكون للعبد اعتماد على شي الا على الله تعالى في جميع اموره وان
المشاورة لا تنافي التوكل **ان الله يحب المتوكلين** يعني المتوكلين عليه في جميع امورهم
قوله عز وجل **ان ينصركم الله** يعني ان يعنكم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل
يوم بدر **فلا غالب لكم** يعني من الناس لان الله هو المتولي نصركم **وان يخذلكم** كما
فعل يوم احد فلم ينصركم ووكلكم الى انفسكم لمخالفتكم امره وامر رسوله صلى الله
عليه وسلم **فمن ذا الذي ينصركم من بعده** اي من بعد خذلانه **وعلى الله فليتوكل
المؤمنون** لا على غيره لان الامر كله لله ولا راد لقضايه ولا دافع لحكمه فيجب ان يتوكل
العبد في كل الامور على الله تعالى لا على غيره وقيل التوكل ان لا تعصي الله من اجل رزقك
ولا تطلب لنفسك ناصرا غيره ولا لعملك شاهدا سواه عن عمران بن حصين قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب
قالوا ومن هم يا رسول الله قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون
وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني
منهم فقال انت منهم فقام اخر فقال يا نبي الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال
سبقك بها عكاشة عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو
انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح
بطانا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل **وما كان لنبي ان يغل**

قال ابن عباس نزلت هذه الآية وما كان لنبي أن يغل في قطيفة حمراء فقدت يوم
بدر فقال بعض القوم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فأنزل الله هذه
الآية إلى آخرها أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب وروي
عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم
فلم يقسم للطلائع فأنزل الله تعالى وما كان لنبي أن يغل وروى ابن جرير الطبري
عن ابن عباس في قوله وما كان لنبي أن يغل يقول ما كان لنبي أن يقسم لطائفة
من المؤمنين ويترك طائفة ويجور في القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه
بأمر الله ويحكم فيه بما أنزل الله يقول ما كان الله ليجعل نبيا يغل من أصحابه
فإذا فعل ذلك النبي استنوا به وقال مقاتل والكلبي نزلت في غنائم أحد حين
ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ
شيئا فهو له وأن لا تقسم الغنائم كما لم تقسم يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا
في الغنائم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز حتى
يأتيكم أمري فقالوا تركنا بقية إخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
بل ظننتم أنا نغل فلا نقسم فأنزل الله هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا أنها نزلت
في طائفة غلت من أصحابه وقيل إن الأقوياء ألحوا عليه يسألونه من المغنم فأنزل
الله هذه الآية ما كان لنبي أن يغل يعني فيعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم
بينهم بالسوية وقال محمد بن كعب القرظي ومحمد بن إسحاق بن يسار هذا في شأن
الوحي يقول وما كان لنبي أن يكتم شيئا من الوحي رغبة أو رهبة أو مداهنة والغلول
هو الخيانة وأصله أخذ الشيء في خفية يقال غل فلان يغل فقرئ بفتح الياء وضم
الغين أي وما كان لنبي أن يخون لأن النبوة والخيانة لا يجتمعان لأن منصب النبوة
أعظم المناصب وأشرفها وأعلاها فلا يليق به الخيانة لأنها في نهاية الدناءة
والخسة والجمع بين الضدين محال فثبت بذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخن
أمته شيئا لا من الغنائم ولا من الوحي وقيل المراد به الأمة لأنه قد ثبتت براءة
ساحة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة فدل ذلك على أن المراد بالغلول
غيره وقيل اللام فيه منقولة معناه ما النبي ليغل على نفي الغلول عن الأنبياء
وقيل معناه ما كان لنبي الغلول أراد ما غل نبي قط فنفى عن الأنبياء الغلول وقيل
معناه وما كان يحل لنبي الغلول وإذا لم يحل له لم يفعله ووجه هذه القراءة أنهم
نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغلول في بعض الروايات فبين الله تعالى بهذه
الآية أن هذه الخصلة لا تليق به ونفى عنه ذلك بقوله وما كان لنبي أن يغل وقرئ
يغل بضم الياء وفتح الغين ولها معنيان أحدهما أن يكون من الغلول أيضا ومعناه
وما كان لنبي أن يخان أي تخونه أمته والثاني أن يكون من الإغلال ومعناه وما
كان لنبي أن يخون أي ينسب إلى الخيانة **ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة**
يعني بالشيء الذي غله بعينه يحمله على ظهره يوم القيامة ليزداد فضيحة بما

يحمله



يحمله يوم القيامة وقيل يمثل له ذلك الشيء في النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل
فيحمله على ظهره فإذا بلغ موضعه وقع ذلك الشيء في النار فيكلف أن ينزل إليه
ليخرجه يفعل به ذلك ما شاء الله وقيل معناه أنه يأت بإثم ما غله فيجازى به يوم
القيامة وهو قوله تعالى **ثم توفى كل نفس ما كسبت** يعني من خير أو شر والمعنى أن كل
كاسب خيرا كان ذلك الكسب أو شرا فهو مجزي به يوم القيامة وهو في جزاء عمله
**وهم لا يظلمون** يعني بل يعدل بينهم يوم القيامة في الجزاء فيجازي كل على عمله ه

**فصل** في ذكر أحاديث وردت في الغلول ووعيد الغال وقد
تقدم أن أصل الغلول هو أخذ الشيء في خفية وأنه الخيانة إلا أنه قد صار في الشرع
مخصوصا بالخيانة في الغنيمة وبهذا وردت الأحاديث **ق** عن أبي هريرة قال
قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم
أمره حتى قال لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا
رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة
على رقبته فرس له حمحمة فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئا
قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا
رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم
القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك
لك من الله شيئا قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق
فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا لا ألفين أحدكم يجيء يوم
القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا
قد أبلغتك لفظ مسلم الرغاء صوت البعير والثغاء صوت الشاة والرقاع الثياب
والصامت الذهب والفضة **ق** عن أبي هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم إلى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا ورقا غنمنا المتاع والطعام
والثياب ثم انطلقنا إلى الوادي يعني وادي القرى ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب فلما نزلنا الوادي
قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمي بسهم فكان فيه حتفه فقلنا
هنيئا له الشهادة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي
نفس محمد بيده إن الشملة لتلتهب عليه نارا أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها
المقاسم قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال أصبتها يوم خيبر فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم شراك من نار أو شراكان من نار وفي رواية نحوه وفيه ومعه عبد
يقال له مدعم أهداه له أحد بني الضباب وفيه إذ جاءه سهم عائر الشراك سير النعل
الذي يكون على ظهر القدم ومثاله شسع النعل والسهم العائر هو السهم الذي
لا يدرى من رماه **خ** عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كان على ثقل رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في النار

فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عباءة قد غلها عن زيد بن خالد الجهني ان رجلا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم توفي فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم
فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا متاعه
فوجدنا خرزا من خرز اليهود لا يساوي درهمين اخرجه ابو داود والنسائي عن عمر
ابن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غل فاحرقوا متاعه واضربوه اخرجه
ابو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر
وعمر حرقوا متاع الغال وضربوه زاد في رواية ومنعوه سهمه اخرجه ابو داود قوله
تعالى **أفمن اتبع رضوان الله** يعني فترك الغلول فلم يغل **كمن باء** اي رجع **بسخط من
الله** يعني بغضب من الله والمعنى فغل والسخط الغضب الشديد المقتضي للعقوبة
وهو من الله انزال العقوبة بمن سخط عليه وقيل في معنى الاية لان النبي صلى الله
عليه وسلم لما امر المسلمين باتباعه والخروج معه يوم احد اتبعه قوم له افمن اتبع رضوان
الله وتخلف عنه كمن باء بسخط من الله **ومأواه جهنم وبئس المصير** يعني الغال
او المتخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم **هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون** يعني
هم ذوو درجات عند الله قال ابن عباس يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من
الله مختلفوا المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء بسخط من
الله العذاب الاليم والمعنى افمن اتبع رضوان كمن باء بسخط من الله ليسوا سواء بل هم درجات
عند الله على حسب اعمالهم قيل الضمير في قوله هم درجات عائد على قوله افمن اتبع
رضوان الله فقط لان الغالب في العرف استعمال الدرجات لاهل الثواب والدركات
لاهل النار ولان الله وصف من باء بسخط من الله ان مأواه جهنم وبئس المصير فدل
على ان الضمير في قوله هم درجات عند الله وفيه تحريض على العمل بطاعته وتحذير
عن العمل بمعاصيه قوله عز وجل **لقد من الله على المؤمنين** يعني احسن اليهم وتفضل
عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك في الحقيقة لا يكون الا من الله وقوله تعالى لقد
من الله على المؤمنين **اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم** يعني من جنسهم عربيا مثلهم
ولد ببلدهم ونشا بينهم يعرف نسبه وليس حي من احياء العرب الا وقد ولده وله فيهم
نسب الا بني تغلب فانهم كانوا نصارى وقد ثبتوا على النصرانية فطهر الله رسوله
صلى الله عليه وسلم من ان يكون له فيهم نسب وقيل اراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعنى
قوله تعالى من انفسهم اي بالايمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا
احد من غير بني ادم وقيل من انفسهم يعني انه ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام
ووجه المنة والانعام على المؤمنين ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونه داعيا لهم
الى ما يخلصهم من العذاب الاليم ويوصلهم الى الثواب في جنات النعيم وكونه من انفسهم
ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين
على جميع احواله وافعاله يعرفون صدقه وامانته فكان ذلك اقرب الى تصديقه والوثوق
به وفي كونه من انفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به ابو طالب حين زوج رسول الله

صلى الله



صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها وقد حضر ذلك بنو هاشم
ورؤساء مضر فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ
معد وعنصر مضر وجعلنا سدنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما
امنا وجعلنا الحكام على الناس وان ابني هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى الا رجح
وهو والله بعد هذا له نبا عظيم وخطب جليل وقيل في وجه المنة ببعثة الرسول
صلى الله عليه وسلم ان الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية
فمن الله تعالى على خلقه وانعم عليهم واحسن اليهم بان بعث فيهم رسولا من انفسهم
انقذهم به من الضلالة وبصرهم به من الجهالة وهداهم به الى صراط مستقيم وانما خص
المؤمنين بالذكر لانهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم **يتلو عليهم اياته** يعني يقرأ
عليهم كتابه الذي انزل عليه بعد ان كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي
السماوي **ويزكيهم** اي ويطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبائث **ويعلمهم
الكتاب والحكمة** يعني القران والسنة التي سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم
**وان كانوا من قبل** يعني من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم **لفي ضلال مبين** يعني
لفي جهالة وحيرة عن الهدى عميا لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فهداهم
الله بنبيه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **اولما اصابتكم** يعني ما اصابهم يوم احد **قد
اصبتم مثليها** يعني ببدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين يوم احد سبعين وقتل
المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين واسروا سبعين وقيل ان المسلمين هزموا
المشركين يوم بدر وهزموهم في اول الامر يوم احد فلما عصوا الله ورسوله هزمهم
المشركون فحصل انهزام المشركين مرتين وانهزام المسلمين مرة واحدة **قلتم انى
هذا** اي من اين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم
فينا وهو استفهام انكار **قل هو من عند انفسكم** يعني انما وقعتم فيما وقعتم فيه بشؤم
ذنوبكم وهو مخالفتكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه صلى الله عليه وسلم
اختار الاقامة في المدينة على الخروج على العدو واختاروا هم الخروج اليه وايضا
امر الرماة بالاقامة في الموضع الذي عينه لهم فخالفوه وتركوا المركز لاجل الغنيمة
فكان ذلك سبب القتل والهزيمة وروى عبيدة بن السلماني عن علي بن ابي طالب
قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كره ما صنع قومك في
اخذهم الفداء من الاسارى وقد امرك ان تخيرهم بين ان يضربوا اعناق الاسارى
وبين ان ياخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
للناس فقالوا يا رسول الله عشايرنا واخواننا بل ناخذ فداءهم فنتقوى به على قتال
عدونا ويستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم احد سبعون عدد اسارى اهل بدر
لم يسنده البغوي واسنده ابن جرير الطبري فذلك معنى قوله قل هو من عند انفسكم
يعني باخذكم الفداء واختياركم القتل لانفسكم **ان الله على كل شيء قدير** يعني من نصركم
مع الطاعة وترك نصركم مع المخالفة قوله عز وجل **وما اصابكم** يعني من القتل والجراح

والهزيمة **يوم التقى الجمعان** يعني جمع المؤمنين وجمع المشركين وذلك باحد يوم احد **فباذن الله** يعني فبعلمه وقضائه وقدره وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين بما حصل لهم يوم احد من القتل والهزيمة ولا تنفع التسلية الا اذا علموا ان ذلك كان واقعا بقضاء الله وقدره فحينئذ يرضون بما قضى الله عليهم **وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا** اي ليظهر ايمان المؤمنين بثبوتهم على ما نالهم ويظهر نفاق المنافقين بقلة صبرهم على ما نزل بهم فالمراد من العلم المعلوم والتقدير ليتبين المؤمن من المنافق وليتميز احدهما من الاخر والمنافق هو الذي اظهر الايمان بلسانه واضمر خلافه واشتقاقه من النفق وهو السرب في الارض له منفذ ومنه نفاق اليربوع لان له جحرا في الارض له بابان اذا طلب من احدهما خرج من الاخر فكذلك المنافق صنع له طريقان احدهما اظهار الايمان بلسانه والاخر اضمار الكفر بقلبه فمن ايهما طلب خرج من الاخر وقيل لانه دخل في الايمان من باب وخرج من باب اخر والنفاق اسم اسلامي لم تكن العرب تعرفه قبل الاسلام **وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا** المقول له عبد الله ابن ابي بن سلول المنافق واصحابه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى احد في الف رجل حتى اذا كان بالشوط بين احد والمدينة انخذل عبد الله بن ابي بن سلول بثلث الناس وقال ما ندري على ما نقتل انفسنا فرجع بمن معه من المنافقين فتبعهم ابو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري اخو بني سلمة وهو يقول يا قوم اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم عند حضور عدوهم فذلك قوله تعالى وقيل لهم يعني المنافقين عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه تعالوا قاتلوا في سبيل الله اي لاجل دين الله وطاعته او ادفعوا يعني عن اموالكم واهليكم وقيل معناه تعالوا كثروا سواد المسلمين ان لم تقاتلوا ليكون ذلك دفعا وقمعا للعدو **قالوا** يعني المنافقين **لو نعلم قتالا لاتبعناكم** اي لو نعلم ان اليوم يجري فيه قتال لاتبعناكم ولم نرجع ولو علموا ما يقولون وقيل معناه لو نحسن قتالا لاتبعناكم **هم للكفر** يعني المنافقين الى الكفر **يومئذ اقرب منهم للايمان** اي الى الايمان وانما قال تعالى يومئذ لانهم قبل ذلك اليوم لم يظهروا ما اظهروه من المعاندة والرجوع عن المسلمين وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وانما كانوا قبل ذلك يظهرون كلمة الاسلام ويخفون الكفر **يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم** يعني يظهرون بالسنتهم الايمان وليس هو في قلوبهم انما في قلوبهم الكفر والنفاق وهذه صفة المنافقين لا صفة المؤمنين لان صفة المؤمن المخلص مواطاة القلب اللسان على شيء واحد وهو التوحيد **والله اعلم بما يكتمون** يعني من النفاق **الذين قالوا لاخوانهم** نزلت في عبد الله بن ابي المنافق واصحابه وفي المراد باخوانهم قولان احدهما ان المراد باخوانهم الذين استشهدوا باحد فيكون اخوانهم في النسب لا في الدين والقول الثاني ان المراد باخوانهم المنافقين فعلى القول الاول يكون معنى الاية الذين قالوا في اخوانهم وعن اخوانهم الذين قتلوا باحد لو اطاعونا ما قتلوا لانهم بعد





ان قتلوا لا يخاطبون وعلى القول الثاني يكون معنى الاية الذين قالوا وهم عبد الله ابن ابي واصحابه لاخوانهم يعني في النفاق **وقعدوا** يعني عن الجهاد **لو اطاعونا** يعني محمدا او الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اطاعونا في القعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او الانصراف عنه **ما قتلوا** يومئذ فرد الله تعالى عليهم بقوله **قل** يعني قل لهم يا محمد **فادرءوا** اي فادفعوا **عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين** يعني ان الحذر لا ينفع من القدر وفي الاية دليل على ان المقتول يموت باجله خلافا لمن يزعم ان القتل قطع على المقتول اجله **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا** قيل نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وقال اكثر المفسرين انها نزلت في شهداء احد ويدل على ذلك ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انه لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في جوف طير خضر ترد انهار الجنة تاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا احياء في الجنة لئلا يزهدوا في الجنة ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون الى اخر الاية ..

اخرجه ابو داود م عن مسروق قال سالنا عبد الله عن هذه الاية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فقال اما انا قد سالنا عن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تاوي الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا قالوا اي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل بهم ذلك ثلاث مرات فلما راوا انهم لن يتركوا من ان يسالوا قالوا يا رب نريد ان ترد ارواحنا في اجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة اخرى فلما راى ان ليس لهم حاجة تركوا **ذكر** ما يتعلق بهذا الحديث قول مسروق سالنا عبد الله كذا جاء عبد الله غير منسوب وقد نسبه بعض الناس فقال عبد الله بن عمرو وقد ذكره ابو مسعود الدمشقي والحميدي في مسند عبد الله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث مرفوع لقوله اما انا قد سالنا عن ذلك فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث دليل على ان الجنة مخلوقة الان خلافا للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة حيث شاءت وهو مذهب اهل السنة وفيه دليل على ان الارواح باقية لا تفنى بفناء الجسد وان المحسن ينعم ويجازى بالثواب وان المسيء يعذب ويجازى بالعقاب قبل يوم القيامة وهو مذهب اهل السنة ايضا قوله ارواحهم في جوف طير خضر اي يجعل الله ارواح الشهداء في جوف طير خضر وهذا ليس ببعيد لا سيما مع القول بان الارواح اجسام لطيفة وقيل ان المنعم والمعذب من الارواح جزء من الجسد يبقى فيه الروح وهو الذي يتلذذ بالنعيم ويتالم

بالعذاب فغير مستحيل ان يصور الله تعالى ذلك الجزء طائرا او يجعل في جوف طير
فتسرح في الجنة وتأوي الى تلك القناديل وقد تعلق بهذا الحديث من يقول
بالتناسخ من المبتدعة وتوهموا انتقال الارواح وتنعيمها في الصور الحسان
المرفهة وتعذيبها في الصور القبيحة المسخرة ويزعمون ان هذا هو الثواب والعقاب
وهذا ضلال بين وقول سخيف وبدعة باطلة لما في هذا القول من ابطال ما جاءت
به الشرايع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد جاء في بعض روايات
هذا الحديث ما يرد عليهم وهو قوله حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه يعني يحيى
جميع جسده يوم يبعثه وهو يوم القيامة والله اعلم عن جابر قال لقيني رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا مهتم فقال ما لي اراك منكسرا قلت يا رسول الله استشهد
ابي يوم احد وترك عيالا ودينا فقال الا ابشرك بما لقي الله به اباك قلت بلى قال
ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وانه احيا اباك وكلمه كفاحا وقال يا عبدي تمن
علي اعطيك قال يا رب تحييني فاقتل ثانية قال سبحانه انه قد سبق مني انهم لا
يرجعون فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الاية اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب وقيل ان الاية نزلت في شهداء بير معونة وهي بير بين
مكة وعسفان وارض هذيل قال محمد بن اسحاق عن اشياخه من اهل العلم قال قدم
ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بني عامر بن صعصعة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له هدية فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقبلها وقال اني لا اقبل هدية مشرك ثم عرض عليه الاسلام واخبره بما له فيه
وما اعد الله للمومنين وقرئ عليه القران فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد ان الذي
تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد يدعونهم الى
امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اخشى
عليهم اهل نجد فقال ابو براء انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو اخا بني ساعدة في سبعين
رجلا من خيار المسلمين وكان يقال لهم القراء منهم الحارث بن الصمة وحرام
بن ملحان وعروة بن اسماء بن الصلت ونافع بن بديل بن ورقا الخزاعي وعامر بن فهيرة
مولى ابي بكر وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة بعد احد باربعة اشهر فساروا حتى
نزلوا بير معونة وهي ارض بين ارض بني عامر وحرة بني سليم فلما نزلوها
قال بعضهم لبعض ايكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل هذا الما
فقال حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن
الطفيل وكان على ذلك الما فلما اتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل في
كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا اهل بير معونة
اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم واني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
عبده ورسوله فامنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح





فضربه به في جنبه حتى خرج من الشق الاخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ
عامر بن الطفيل بني عامر على المسلمين فابوا ان يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا لن نخفر
ابا براء فقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبايل بني سليم عصية ورعلا وذكوان
فاجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما راوهم اخذوا
السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا عن اخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث
بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح القوم عمرو بن امية الضمري ورجل
من الانصار احد بني عمرو بن عوف فلم يعلما بمصاب اصحابهما الا الطير تحوم على العسكر
فقالا والله ان لهذا الطير لشانا فاقبلا لينظرا فاذا القوم في دمائهم واذا الخيل
التي اصابتهم واقفة فقال الانصاري لعمرو بن امية ماذا ترى قال نلحق برسول الله
ونخبره فقال الانصاري لكني لا ارغب عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم
حتى قتل واخذ عمرو بن امية الضمري اسيرا فلما اخبرهم انه من مضر اطلقه عامر بن الطفيل
وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على امه فقدم عمرو بن امية على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل ابي براء وقد
كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا براء فشق عليه اخفار عامر بن الطفيل وما اصاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان فيمن اصيب عامر بن فهيرة مولى ابي بكر
الصديق فروى محمد بن اسحاق عن هشام بن عروة عن ابيه ان عامر بن الطفيل كان يقول
من الرجل منهم لما قتل رايته رفع بين السما والارض حتى رايت السما من دونه قالوا هو
عامر بن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة بن ابي برا ان عامر بن الطفيل اخفر ذمة ابيه فحمل على
عامر بن الطفيل فطعنه فخر عن فرسه قلت وذكر ابن الاثير الجزري في كتاب جامع
الاصول له في قسم الاسما في ترجمة عامر بن الطفيل ان عامر بن الطفيل قدم على النبي
صلى الله عليه وسلم وهو ابن بضع وثمانين سنة ولم يسلم وعاد من عنده فخرج له خراج
في اصل اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه ومات منه ق عن انس قال بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقواما من بني سليم الى بني عامر في سبعين وفي رواية ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث خالا لام سليم واسمه حرام في سبعين راكبا فلما قدموا
قال لهم خالي انقدمكم فان امنوني حتى ابلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والا
كنتم مني قريبا فتقدم فامنوه فبينما يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ
اوموا الى رجل منهم فطعنه فانفذه فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا على بقية
اصحابه فقتلوهم الا رجلا اعرج صعد الجبل قال همام واراه اخر معه فاخبر جبريل عليه
السلام النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وارضاهم قال فكنا نقرا ان بلغوا
قومنا انا قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم اربعين صباحا على
رعل وذكوان وبني عصية الذين عصوا الله ورسوله وفي رواية ان رعلا وذكوان وبني
لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامدهم بسبعين رجلا من الانصار كنا
نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا كانوا ببير معونة

قتلوهم وغدروا بهم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقنت عليهم شهرا يدعو في الصبح
على احيا من احيا العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان قال انس فقرانا فيهم قرانا
ثم ان ذلك رفع بلغوا قومنا انا قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ولمسلم قال جاء ناس
الى النبي صلى الله عليه وسلم فسالوه ان ابعث معنا رجالا يعلمونا القران والسنة فبعث
اليهم سبعين رجلا من الانصار وذكر نحو ما تقدم وقيل ان اوليا الشهدا واهليهم
كانوا اذا اصابتهم نعمة وخير تحسروا على الشهدا وقالوا نحن في النعمة والرخا واباونا
واخواننا في القبور فانزل الله هذه الاية تطييبا لقلوبهم وتنفيسا عنهم واخبارا عن
حال قتلاهم فقال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله اي ولا تظنن الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد من امته والمعنى لا يظنن ظان بان الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا يعني كاموات غيرهم ممن لم يقتل في سبيل الله **بل احيا** اي بل هم
احيا وظاهر الاية يدل على كونه من قتل في سبيل الله حي فاما ان يكون المراد انهم سيصيرون
احيا في الاخرة او يكون المراد انهم احيا في الحال وهل يكون المراد اثبات الحياة الروحانية
او اثبات الحيا الجسمانية فهذه ثلاثة اوجه في معنى احتمال الحياة فمن قال بالوجه الاول
وهو انهم سيصيرون احيا في الاخرة قال معنى الاية بل هم احيا في الذكر وانهم يذكرون
بخير اعمالهم وانهم استشهدوا في سبيل الله وقيل بل هم احيا في الدين وهذا القول
ليس بصواب لان الله اثبت لهم الحياة في الحال لقوله بل احيا يعني في حال ما يقتلوا
فانهم يحيون وهو الاحتمال الثاني واختلفوا في معنى هذه الحياة هل هي للروح او الجسم
والروح معا فمن اثبت الحياة للروح دون الجسم قال يدل على ذلك قوله صلى الله
عليه وسلم ارواح الشهدا في حواصل طير خضر فخص الارواح دون الاجساد وقال بعض
المفسرين ان ارواح الشهدا تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة ومن
اثبت الحياة للروح والجسم قال يدل عليه سياق الاية وهو قوله عند ربهم يرزقون
فاخبر الله سبحانه وتعالى انهم يرزقون وياكلون ويتنعمون كالاحيا وقيل ان الشهيد
لا يبلى في قبره ولا تاكله الارض كغيره وروي انه لما اراد معاوية ان يجري الما على
قبور الشهدا امر ان ينادى من كان له قتيل فليخرجه وليحوله من هذا الموضع
قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطابا الابدان فاصاب المسحاة اصبع رجل منهم
فانبعثت دما عن عبيد الله بن عمير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف
من احد على مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرا من المومنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان هولاء شهدا
عند الله يوم القيامة فاتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده لا يسلم
عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا عليه وقوله تعالى **عند ربهم** يعني في محل كرامته
وفضله **يرزقون** يعني من ثمار الجنة وتحفها **فرحين بما اتاهم الله من فضله** يعني
بما اعطاهم من الثواب والكرامة والاحسان والافضال في دار النعيم **ويستبشرون**
اي يفرحون والاستبشار هو الفرح والسرور الذي يحصل للانسان عند البشارة





**بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم** يعني من اخوانهم الذين تركوا احيا في الدنيا على منهج الايمان
والجهاد ولعلمهم بانهم اذا استشهدوا ولحقوا بهم ونالوا من الكرامة مثل ما نالوا
فهم بذلك مستبشرون وقيل ان الشهدا سالوا الله عز وجل ان يخبر اخوانهم بما نالوا
من الخير والكرامة ليرغبوا في الجهاد فاخبرهم الله عز وجل اني قد انزلت على نبيي محمد صلى الله
عليه وسلم واخبرته بحالكم وما صرتم اليه من الكرامة وان محمدا صلى الله عليه وسلم قد اخبر
اخوانكم بذلك ففرحوا بذلك واستبشروا **ان لا خوف عليهم** يعني في الاخرة **ولا هم
يحزنون** يعني على ما فاتهم من نعيم الدنيا **يستبشرون بنعمة من الله وفضل** لما بين الله
ان الشهدا يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم فهم ايضا يستبشرون
لانفسهم بما رزقوا من النعيم والفضل فالاستبشار الاول كان بغيرهم والاستبشار
الثاني لانفسهم خاصة **وان الله لا يضيع اجر المومنين** يعني كما انه تعالى لا يضيع اجر المجاهدين
والشهدا كذلك لا يضيع اجر المومنين **فصل** في فضل الجهاد والشهادة
في سبيل الله **ق** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي
فهو علي ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من
اجر وغنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله الا جا يوم القيامة
كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا ان
اشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله ابدا ولكن لا اجد
سعة فاحملهم ولا يجدون سعة ويشق عليهم ان يتخلفوا عني والذي نفس محمد
بيده لوددت اني اغزو في سبيل الله فاقتل ثم اغزو فاقتل ثم اغزو فاقتل
لفظ مسلم **ق** عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لغزوة في سبيل الله
او روحة خير من الدنيا وما فيها **ق** عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها عن فضالة بن
عبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا المرابط
في سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويامن من فتنة القبر اخرجه ابو داود
والترمذي عن معاذ بن جبل انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قاتل
في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ومن سال الله القتل في سبيل الله
صادقا من نفسه ثم مات او قتل كان له اجر شهيد ومن جرح جرحا في سبيل الله
او نكب نكبة فانها تجي يوم القيامة كاغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها
ريح المسك ومن خرج به خراج في سبيل الله فان عليه طابع الشهدا اخرجه ابو داود
والنساي واخرجه الترمذي مفرقا في موضعين **ق** عن ابي سعيد قال اتى
رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي الناس افضل قال مومن مجاهد بنفسه
وماله في سبيل الله قال ثم من قال رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية
يتقي الله ويدع الناس من شره **خ** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا بوعده فان شبعه وريه
وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات ق عن انس بن مالك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما احد يدخل الجنة فيحب ان يرجع الى الدنيا وله ما على الارض
من شيء الا الشهيد يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفي
رواية لما يرى من فضل الشهادة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يغفر للشهيد كل ذنب الا الدين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما يجد الشهيد من مس القتال الا كما يجد احدكم من القرصة اخرجه الترمذي
وللنسائي نحوه عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد
في سبعين من اهل بيته اخرجه ابو داود قوله عز وجل الذين استجابوا لله والرسول
الاية قال اكثر المفسرين ان ابا سفيان واصحابه لما ارتحلوا من احد فبلغوا الروحاء
ندموا على انصرافهم وتلاوموا فقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم فقتلتموهم
حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهب العدو ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه
للخروج في طلب ابي سفيان فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من الم الجراح والقرح
الذي اصابهم يوم احد ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يخرجن
معنا احد الا من حضرنا بالامس فكلمه جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله ان ابي
كان خلفني على اخوات لي سبع وقال لي يا بني انه لا ينبغي لي ولك ان نترك هؤلاء
النسوة ولا رجل فيهن ولست بالذي اوثرك على نفسي بالجهاد مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فتخلف على اخواتك فتخلفت عليهن فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج
في طلبهم فيظنوا به قوة وان الذي اصابهم لم يوهنهم فخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن
ابن عوف وابو عبيدة بن الجراح وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان في سبعين
رجلا من اصحابه حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال ق عن عائشة
في قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم
واتقوا اجر عظيم قالت لعروة يا ابن اختي كان ابواك منهم الزبير وابو بكر لما اصاب
نبي الله ما اصاب يوم احد فانصرف المشركون خاف ان يرجعوا فقال من يذهب
في اثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا كان فيهم ابو بكر والزبير قال فمر برسول
الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه شيئا كان بها
ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما اصابك في اصحابك
ولوددنا ان الله قد اعفاك فيهم ثم خرج معبد من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى لقي ابا سفيان ومن معه بالروحاء وقد اجمعوا على الرجعة الى رسول الله صلى الله

عليه وسلم

190

عليه وسلم وقالوا قد اصبنا جل اصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم ولنفرغن منهم فلما رأى
ابو سفيان معبدا قال له ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في اصحابه يطلبكم في
جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم
وندموا على صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم شيء لم ار مثله قط قال ابو سفيان ويلك
ما تقول قال والله ما اراك ترحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة
عليهم لنستأصل بقيتهم فقال والله اني انهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رأيت
على ان قلت ابياتا قال وما قلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتي • اذ سالت الارض بالجرد الابابيل
تردي باسد كرام لا تنابلة • عند اللقاء ولا ميل معازيل
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم • اذا تغطمطت البطحاء بالخيل
اني نذير لاهل البسل ضاحية • لكل ذي اربة منهم ومعقول
من جيش احمد لا وخش تنابلة • وليس يوصف ما انذرت بالقيل

قال فثنى ذلك ابا سفيان ومن معه ومر ركب من عبد القيس فقال اين تريدون
قالوا نريد المدينة لاجل الميرة قال فهل انتم مبلغون عني محمدا رسالة واحمل لكم زبيبا
بعكاظ اذا وافيتموه قالوا نعم قال اذا وافيتموه فاخبروه انا قد اجمعنا المسير اليه
والى اصحابه لنستأصل بقيتهم وانصرف ابو سفيان الى مكة ومر الركب برسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فاخبره بالذي قال ابو سفيان فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله
واصحابه راجعا الى المدينة بعد ثالثة وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الاية
في غزوة بدر الصغرى وذلك ان ابا سفيان يوم احد حين اراد ان ينصرف قال يا
محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان العام المقبل خرج ابو
سفيان في اهل مكة حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران ثم القى الله الرعب في
قلبه فبدا له الرجوع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له
ابو سفيان يا نعيم اني قد واعدت محمدا واصحابه ان نلتقي بموسم بدر الصغرى وهذا
عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب اللبن وقد بدا لي ان لا اخرج
اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك جراءة ولان يكون الخلف من قبلهم
احب الي من ان يكون من قبلي فالحق بالمدينة فثبطهم واعلمهم اني في جمع كثير
لا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة من الابل اضعها لك على يد سهيل بن عمرو ويضمنها
لك قال وجاء سهيل فقال له نعيم يا ابا يزيد اتضمن لي هذه القلائص وانطلق الى محمد
فاثبطه قال نعم فخرج نعيم حتى اتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابي
سفيان فقال نعيم اين تريدون قالوا واعدنا ابو سفيان ان نلتقي بموسم بدر
الصغرى فقال نعيم بئس الرأي رأيتم اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا

السنة بدرا فنزيد ونأن تخرجوا اليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لا يفلت منكم
احد فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو وحدي فاما الجبان فانه رجع واما الشجاع
فانه تاهب للقتال وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم في اصحابه حتى وافوا بدر الصغرى فجعلوا يلقون المشركين فيسالونهم عن
قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون بذلك ان يرعبوا المسلمين فيقول المومنون
حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدر الصغرى وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية
يجتمعون اليها كل عام ثمانية ايام فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر
ابا سفيان وقد انصرف ابو سفيان في مجنة الى مكة فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
احدا من المشركين ووافوا السوق وكان معهم تجارات ونفقات فباعوا فاصابوا
بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا
لله والرسول اي اجابوا الله واطاعوه في جميع اوامره واطاعوا الرسول ايضا من بعد
ما اصابهم القرح يعني من بعد ما نالهم من الم الجراح **للذين احسنوا منهم واتقوا**
يعني احسنوا بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابوه الى الغزو واتقوا معصيته
والتخلف عنه **اجر عظيم** يعني لهم ثواب جزيل وهو الجنة قوله عز وجل **الذين قال
لهم الناس** هذه الاية متعلقة بالاية التي قبلها لان المراد بالذين من تقدم ذكره
وهم الذين استجابوا لله والرسول وفي المراد بالناس وجوه احدها انه نعيم بن مسعود
الاشجعي فيكون اللفظ عاما اريد به الخاص وانما جاز اطلاق لفظ الناس على الانسان
الواحد لان ذلك الواحد اذا فعل فعلا او قال قولا ورضي به غيره حسن اضافة ذلك
الفعل والقول الى الجماعة وان كان الفاعل واحدا فهو كقوله واذ قتلتم نفسا والقاتل
واحد والوجه الثاني ان المراد بالناس المنافقون وذلك انهم لما راوا النبي صلى الله
عليه وسلم يتجهز لميعاد ابي سفيان نهوا اصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم ان القوم
قد اتوكم في دياركم فقتلوا الاكثر منكم فان خرجتم اليهم لم يبق احد منكم **ان الناس**
يعني ابا سفيان واصحابه من روسا المشركين **قد جمعوا لكم** يعني الجموع الكثيرة
لان العرب تسمي الجيش جمعا ويجمعونه جموعا **فاخشوهم** اي خافوهم واحذروهم فانه
لا طاقة لكم بهم **فزادهم ايمانا** يعني فزاد المسلمين ذلك التخويف تصديقا ويقينا
وقوة في دينهم وثبوتا على نصر نبيهم صلى الله عليه وسلم وفي هذه الاية دليل لمن يقول
بزيادة الايمان ونقصانه لان الله تعالى نص على وقوع الزيادة في الايمان **وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل** اي كافينا الله هو الذي يكفينا امرهم فهو كقول امرئ القيس
وحسبك من غنى شبع وري اي يكفيك الشبع والري ونعم الوكيل يعني ونعم
الموكول اليه في الامور كلها وقيل الوكيل هو الكافي والمعنى يكفينا الله ونعم الكافي
هو وقيل الوكيل هو الكفيل ووكيل الرجل في ماله هو الذي يكفله ويقوم به والوكيل
في صفة الله هو الكفيل بارزاق العباد ومصالحهم وانه الذي يستقل بامورهم كلها





خ عن ابن عباس قال في قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم الى قوله وقالوا حسبنا
الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال
لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قوله تعالى **فانقلبوا** اي فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم
والمعنى وخرجوا فانقلبوا فحذف الخروج لان الانقلاب يدل عليه **بنعمة من الله** اي بعافية
لم يلقوا عدوا **وفضل** اي تجارة وربح وهو ما اصابوا في سوق بدر من الربح وقيل
النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الاخرة **لم يمسسهم سوء** اي لم يصبهم اذى ولا
مكروه من قتل وجراح **واتبعوا رضوان الله** يعني في طاعة الله وطاعة رسوله وقيل
انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم بخروجهم مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم **والله ذو فضل عظيم** يعني انه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق
لما فعلوا وقيل تفضل عليهم بالقاء الرعب في قلوب المشركين حتى رجعوا قوله عز وجل
**انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه** يعني انما ذلكم التخويف والمثبط هو الشيطان
يخوف بالوسوسة بان القى ذلك في افواههم ليرهبوا المومنين ويخوفوهم ويجبنوهم
وقوله اولياءه يعني الشيطان يخوفكم يا معشر المومنين باوليائه وقيل معناه يعظم
اولياءه في صدوركم لتخافوه وقيل معناه يخوف اولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال
المشركين واولياء الشيطان هم الكفار والمنافقون الذين يطيعونه ويوثرون امره
واولياء الله هم المومنون الذين لا يخافون الشيطان اذا خوفهم ولا يطيعونه اذا امرهم
**فلا تخافوهم** يعني فلا تخافوا اولياء الشيطان ولا تقعدوا عن قتالهم ولا تجبنوا
عنهم **وخافون** اي تجاهدوا في سبيلي مع رسولي فاني وليكم وناصركم **ان كنتم مومنين**
اي مصدقين بوعدي اني متكفل لكم بالنصر والظفر قوله تعالى **ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر** قيل هم كفار قريش وقيل هم المنافقون وروسا اليهود وقيل هم قوم
ارتدوا واعن الاسلام والمعنى ولا يحزنك يا محمد من يسارع في الكفر ويجمع الجموع
لمحاربتك فان هذا المقصود لا يحصل لهم وقيل مسارعتهم في الكفر مظاهرتهم
الكفار على النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى يسارعون في نصرة الكفر فلا يحزنك
فعلهم فانك منصور عليهم **انهم لن يضروا الله شيئا** يعني بمسارعتهم في الكفر انما
يضرون انفسهم بذلك وقيل معناه لن يضروا اولياء الله شيئا **يريد الله الا يجعل
لهم حظا في الاخرة** يعني لا يجعل لهم نصيبا في ثواب الاخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا
في الكفر وفي الاية دليل على ان الخير والشر بارادة الله تعالى وفيه رد على القدرية
والمعتزلة **ولهم عذاب عظيم** يعني في الاخرة **ان الذين اشتروا الكفر بالايمان** يعني المنافقين
امنوا ثم كفروا والمعنى انهم استبدلوا الكفر بالايمان فكانهم اعطوا الايمان واخذوا الكفر
كما يفعل المشتري من اعطاء شيء واخذ غيره بدلا عنه انهم **لن يضروا الله شيئا** يعني
باستبدالهم الكفر بالايمان وانما ضروا انفسهم بذلك **ولهم عذاب اليم** يعني في الاخرة
قوله عز وجل **ولا يحسبن الذين كفروا** قرئ تحسبن بالتاء والياء فمعناه ولا تحسبن
يا محمد املاءنا الكفار خيرا لانفسهم ومن قرا بالياء قال معناه ولا يحسبن الكفار

املاؤنا لهم خير نزلت في مشركي مكة وقيل نزلت في يهود بني قريظة والنضير **انما
نملي لهم** الاملاء الامهال والتاخير واصله من الملوة وهي المدة من الزمان والمعنى ولا
يظن الذين كفروا ان امهالنا اياهم بطول العمر والانساء في الاجل **خير لانفسهم**
ثم قال تعالى **انما نملي لهم ليزدادوا اثما** يعني انما نمهلهم ونؤخرهم في اجالهم ليزدادوا
اثما **ولهم عذاب مهين** يعني في الاخرة وروى البغوي بسنده عن عبد الرحمن بن
ابي بكرة عن ابيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الناس خير قال من طال
عمره وحسن عمله قيل فاي الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وروى ابن
جرير الطبري بسنده عن الاسود قال عبد الله ما من نفس برة ولا فاجرة الا
والموت خير لها وقرأ ولا تحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي
لهم ليزدادوا اثما وقرأ نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وقال ابن
الانباري قال جماعة من اهل العلم انزل الله هذه الاية في قوم يعاندون الحق
سبق في علمه انهم لا يؤمنون فقال انما نملي لهم ليزدادوا اثما بمعاندتهم الحق وخلافهم
الرسول وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايت الله يعطي على المعاصي
فان ذلك استدراج من الله لخلقه ثم تلا هذه الاية وقال الزجاج هؤلاء قوم اعلم
الله نبيه صلى الله عليه وسلم انهم لا يؤمنون ابدا وان نفاقهم يزيدهم كفرا واثما
وهذه الاية حجة ظاهرة على القدرية حيث اخبر الله تعالى انه يطيل اعمارهم ويمهلهم
ليزدادوا كفرا واثما وغيا قوله تعالى **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى
يميز الخبيث من الطيب** اختلف العلماء في سبب نزول هذه الاية فقال الكلبي قالت
قريش يا محمد تزعم ان من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وان من طاعك
وتبعك على دينك فهو في الجنة والله عليه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك
فانزل الله هذه الاية وقال السدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت
على امتي في صورها في الطين كما عرضت على ادم واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر بي فبلغ
ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد انه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق
بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله
تعالى واثنى عليه ثم قال ما بال اقوام طعنوا في علمي لا تسألوني عن شيء فيما بينكم
وبين الساعة الا انبأتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من ابي يا رسول الله
فقال حذافة فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقران
اماما وبك نبيا فاعف عنا عفى الله عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل انتم منتهون
فهل منتهون ثم نزل عن المنبر فانزل الله هذه الاية وقيل ان المؤمنين سألوا ان
يعطوا اية يفرقون بها بين المؤمن والكافر فنزلت هذه الاية وقيل ان قوما من
المنافقين ادعوا ان ايمانهم كايمان المؤمنين فاظهر الله تعالى نفاقهم يوم احد
وانزل هذه الاية واختلفوا في معنى الاية وحكمها فقال ابن عباس واكثر المفسرين
الخطاب للكفار والمنافقين والمعنى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه

يا معشر

يا معشر المؤمنين على ما انتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق والتباس بعضهم ببعض
حتى يميز الخبيث من الطيب يعني المنافق من المؤمن الخالص فميز الله المؤمنين من
المنافقين يوم احد فاظهر المنافقون النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل انما حصل التمييز يوم احد بالقاء الجميع في الحرب والقتل والهزيمة
فمن كان مؤمنا ثبت على ايمانه وتصديقه ولم يتزلزل ومن كان منافقا ظهر نفاقه
وكفره وقيل في معنى الاية حتى يميز المؤمن من المنافق والكافر بالجهاد والهجرة
وقيل في معنى الاية ما كان الله ليذر المؤمنين في اصلاب الرجال المشركين
وارحام النساء المشركات والمعنى ما كان الله ليدع اولادكم الذين جرى لهم
الحكم بالايمان على ما انتم عليه من الشرك حتى يميز الخبيث من الطيب يعني يفرق
بينكم وبين ما في اصلابكم وارحام نسائكم من المؤمنين فيحكم لاهل الايمان بالجنة
ولاهل الشرك والكفر والنفاق بالنار **وما كان الله ليطلعكم على الغيب** الخطاب
في قوله ليطلعكم لكفار قريش الذين قالوا يا محمد اخبرنا عن من يؤمن بك ومن
لا يؤمن والمعنى وما كان الله ليبين لكم ايها الكفار المؤمن من الكافر فيقول فلان
مؤمن وفلان كافر ومنافق لانه لا يعلم الغيب احد غيره وان سنة الله جارية انه
لا يطلع على غيبه احدا الناس فلا سبيل الى معرفة المؤمن من الكافر والمنافق الا
بالامتحان بالافات والمصائب فيتميز المؤمن المخلص بثباته على ايمانه ويتزلزل المنافق
عند المحن والبلايا وقيل في معنى الاية وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب فيخبركم
بالمؤمن من الكافر **ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء** يعني ولكن الله يصطفي ويختار
من رسله من يشاء فيطلعه على من يشاء من غيبه **فامنوا بالله ورسله** يعني لما
قامت الدلائل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا الايمان بالله ورسوله
محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال ورسله على الجمع ولم يقل ورسوله على التوحيد
لقوله والله يجتبي من رسله من يشاء ولانه اذا اقر بجميع الرسل كان مقرا بمحمد
وهذه صفة المؤمنين لانهم امنوا بجميع الرسل **وان تؤمنوا وتتقوا** يعني وان تصدقوا
من اجتبيته برسالتي واطلعته على ما اشاء من غيبي واعلمته بالمنافق منكم والمؤمن
المخلص وتتقوا ربكم فيما امركم به ونهاكم عنه **فلكم اجر عظيم** يعني فلكم بايمانكم واتقائكم
ثواب جزيل وهو الجنة قوله عز وجل **ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله
هو خيرا لهم** يعني ولا يحسبن الذين يبخلون خيرا لهم **بل هو** يعني البخل **شر لهم**
والبخل هو امساك المقتنيات عما لا يستحق حبسها عنه والبخيل هو الذي يكثر
منه البخل والاية دالة على ذم البخل عن عبد الله بن عمر قال خطب رسول الله
صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح امرهم بالبخل فبخلوا
وامرهم بالفجور ففجروا اخرجه ابو داود وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الاية فقال عبد الله

ابن مسعود وابي هريرة وابن عباس في رواية ابي صالح لهم عنه والشعبي ومجاهد نزلت
هذه الاية في الذين يبخلون ان يودوا زكاة اموالهم ووجه هذا القول ان اكثر العلما
ذهبوا الى ان البخل عبارة عن منع الواجب وان منع من التطوع لا يكون بخيلا ويدل
عليه الوعيد الشديد في سياق الاية وهو قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به وهذا
لا يكون الا في ترك الواجب لا في التطوع وقال ابن عباس في رواية عطية عنه وابن
جريج عن مجاهد انها نزلت في احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم
ونبوته وهذا القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول ان البخل عبارة عن منع
الحق المقصود يدخل فيه بعد العلم كما يقال يبخل بعلمه ورجح الطبري على القول الاول
واختاره قوله **سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة** اي سيلزمون وبال ما بخلوا به
الزام الطوق فان حملنا معنى الاية على منع الزكاة والبخل بها فقال ابن مسعود
وابن عباس يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوق في عنقه يوم القيامة تنهشه
من فوقه الى قدمه ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم يود زكاته مثل له يوم القيامة
شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم ياخذ بلهزمته يعني شدقيه ثم
يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله الاية
اخرجه البخاري قوله له زبيبتان قيل هما النكتتان السوداوان فوق عيني
الحية وقيل هما نقطتان يكتنفان فاها وقيل هما زبدتان في شدقيها وقد جا في الحديث
تفسير لهزمتيه بانها شدقيه وقيل انهما مضيغتان في اصل الحنك وقيل هما منحنى
اللحيين اسفل من الاذنين وكله متقارب ق عن ابي ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله
عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما راني قال هم الاخسرون ورب الكعبة
قال فجئت حتى جلست فلم اتقار ان قمت فقلت يا رسول الله فداك ابي وامي
من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه
وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يودي زكاتها
الا جاءت يوم القيامة اعظم ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطوه باظلافها كلما
نفذت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس لفظ مسلم وفرقه البخاري
بمعناه في موضعين وقيل في معنى الاية انه يجعل في اعناقهم اطواق من النار وقيل
يكلفون يوم القيامة ان ياتوا بما بخلوا به من اموالهم في الدنيا وان حملنا تفسير
البخل على البخل بالعلم وكتمانه فقال ابن عباس في قوله سيطوقون ما بخلوا به
اي يحملون وزره واثمه فيكون على طريق التمثيل كما يقال قلدتك هذا الامر وجعلته
في عنقك وقيل يجعل في رقابهم طوقا من نار ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار اخرجه
الترمذي وفي رواية ابي داود من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم
القيامة وقيل في معنى الحديث انهم لما سئلوا عن العلم فكتموه ولم ينطقوا به بالسنتهم

ولم

ولم يخرجوه من افواههم عوضوا عن ذلك بلجام من نار في افواههم عقوبة لهم والله
اعلم قوله تعالى **ولله ميراث السموات والارض** يعني انه سبحانه وتعالى الباقي الدائم
بعد فنا خلقه وزوال املاكهم فيموتوا ويبقى املاكهم فيرثها سبحانه والمقصود
من الاية انه يبطل ملك جميع المالكين ويبقى الملك تعالى وقيل في معنى الاية
وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وعلم وغير ذلك فما لهولا البخلا يبخلون
عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله **والله بما تعملون خبير** قرئ يعملون بالياء على الغيبة
على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والمعنى والله بما يعملون البخلا من
منعهم الحقوق خبير فيجازيهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب الحاضرين قوله عز
وجل **لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا** قال الحسن وقتادة
لما نزلت هذه الاية من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله
فقير يستقرض منا ونحن اغنيا وذكر الحسن ان القائل هذه المقالة هو
حيي بن اخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحاق كتب النبي صلى الله
عليه وسلم مع ابي بكر الصديق الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقامة
الصلاة وايتا الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر ذات يوم
بيت مدارسهم فوجد ناسا كثيرا قد اجتمعوا على فنحاص بن عازورا وكان من
علمائهم ومعه حبر اخر يقال له اشيع فقال ابو بكر لفنحاص اتق الله واسلم
فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاكم بالحق من عند الله
تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فامن وصدق واقرض الله قرضا حسنا
يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب قال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض
اموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان ما تقول حقا فان الله
اذا فقير ونحن اغنيا فغضب ابو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذي
نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك يا عدو الله فذهب
فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله
فقير وانهم اغنيا فغضبت لله وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فانزل الله
تصديقا لابي بكر وتكذيبا لفنحاص وردا عليه لقد سمع الله قول الذين قالوا
ان الله فقير ونحن اغنيا وهذه المقالة كانت وان قد صدرت من واحد من اليهود
لكنهم يرضون بمقالته فنسبت هذه الى جميعهم ولا يخلوا ان يكونوا قالوا هذه
المقالة عن اعتقاد لذلك القول او قالوه استهزاء وايهما كان فهذه المقالة
عظيمة القبح لا تصدر عن عاقل وانما صدرت عن كافر متمرد في كفره وضلاله
**سنكتب ما قالوا** يعني قولهم ان الله فقير ونحن اغنيا لان ذلك كذب
وافترا والمعنى سنحفظ عليهم ما قالوا وقيل سنثبت ذلك القول في صحايف
اعمالهم التي تكتبها الحفظة عليهم حتى يوافوا بها يوم القيامة فهو وعيد وتهديد

لهم **وقتلهم الانبيا بغير حق** قيل معناه سنكتب ما قاله هولا اليهود ونكتب ما قالوا
اسلافهم فنجازي كلا الفريقين بما هو اهله وانما نسب قتل الانبيا الى اليهود الذين
كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما فعله اسلافهم واوايلهم لانهم رضوا بفعلهم
فنسب اليهم وقيل في معنى الاية سنكتب على هولا ما قالوا بانفسهم ونكتب عليهم
ايضا رضاهم بقتل ابايهم الانبيا والفايدة في ضم قتلهم الانبيا الى ما وصفوا الله
بالفقر اعلاما بذلك انهم اخوان في العظم وان هذا القول منهم ليس باول ما ارتكبوه
من العظايم وانهم اصل في الكفر والجهل والضلال ولهم في ذلك سوابق وان من قتل
الانبيا لا يبعد منه الاجترا على مثل هذا القول العظيم الفحش والقبح **ونقول**
يعني لهولا الذين قالوا هذه المقالة **ذوقوا عذاب الحريق** اي ننتقم منهم
بان نقول لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص
في الدنيا **ذلك** اي ذلك العذاب المحرق جزاء فعلكم حيث وصفتم الله بالفقر
واقدمتم على قتل الانبيا **بما قدمت ايديكم** انما ذكر الايدي على سبيل المجاز لان
الفاعل هو الانسان لا اليد لا ان اليد لما كانت آلة الفعل حسن اسناد الفعل
اليها ولان اكثر الاعمال تكون باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل
التغليب **وان الله ليس بظلام للعبيد** فيعذب بغير ذنب بل هو سبحانه وتعالى عادل
ومن العدل ان يعاقب المسيء ويثيب المحسن قوله عز وجل **الذين قالوا ان الله**
**عهد الينا** قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن
يهودا وزيد بن تابوت وفنحاص بن عازورا وحيي بن اخطب من اليهود اتوا النبي
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وانزل عليك كتابا
وان الله عهد الينا في التوراة ان لا نومن لرسول يزعم انه جا من عند الله حتى ياتينا
بقربان تاكله النار فان جيتنا به صدقناك فانزل الله تعالى الذين قالوا يعني
قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا يعني امرنا واوصانا في كتبه **ان لا**
**نومن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار** يعني فيكون ذلك دليلا على صدقه
وذكر الواحدي عن السدي انه قال ان الله تعالى امر بني اسرايل في التوراة
من جاكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى ياتيكم بقربان تاكله النار حتى
ياتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم فامنوا بهما فانهما ياتيان بغير قربان زاد غيره
الواحدي عنه قال وكانت هذه العادة باقية فيهم الى مبعث المسيح عليه السلام
ثم ارتفعت وزالت وقيل ان ادعا هذا الشرط كذب على التوراة وهو من كذب
اليهود وتحريفهم ويدل على ذلك ان المقصود من الدلالة على صدق النبي هو ظهور
المعجزة الخارقة للعادة فاي معجزة اتى بها النبي صلى الله عليه وسلم قبلت منه
وكانت دليلا على صدقه وقد اتى النبي صلى الله عليه وسلم بالمعجزات الباهرات
الدالة على صدقه فوجب على كافة الخلق اتباعه وتصديقه والقربان كل ما
يتقرب به العبد الى الله عز وجل من اعمال البر من نسك وصدقة وذبح وكل عمل

صالح

صالح ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة والصلاة قربان يعني انها
مما يتقرب بها الى الله عز وجل وكانت القرابين والغنايم لا تحل لبني اسرايل
وكانوا اذا قربوا قربانا او غنموا غنيمة جمعوا ذلك وجات نار بيضا من السما
لا دخان لها ولها دوي وحفيف فتاكل ذلك القربان والغنيمة وتحرقه
فيكون ذلك دليلا وعلامة على القبول واذا لم يقبل بقي على حاله ولم تنزل نار
وقال عطا كانت بنو اسرايل يذبحون لله فياخذون الثروب واطايب اللحم
فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم نبيهم عليه السلام في
البيت ويناجي ربه عز وجل وبنو اسرايل خارجون حول البيت فتنزل
نار بيضا لها دوي وحفيف ولا دخان لها فتاكل ذلك القربان ثم قال الله
تعالى عز وجل مجيبا عن هذه الشبهة التي ذكرها هولا اليهود واقامة الحجة عليهم
**قل** يعني قل يا محمد لهولا اليهود **قد جاكم** يعني يا معشر اليهود **رسل من قبلي**
يعني مثل زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام **بالبينات** يعني بالدلالات الواضحات
الدالة على صدقهم **وبالذي قلتم** يعني ما طلبوا من القربان **فلم قتلتموهم**
يعني فلم قتلتم الانبيا الذين اتوا بما طلبتم منهم مثل زكريا ويحيى وساير
من قتلوا من الانبيا واراد بذلك فعل اسلافهم وانما خاطب بذلك اليهود
الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا راضين بفعل اسلافهم
**ان كنتم صادقين** يعني في دعواكم ومعناه تكذيبهم بانه يا محمد مع علمهم بصدقك
كقتل ابايهم الانبيا مع اتيانهم بالقربان ثم قال تعالى مسليا لنبيه صلى الله
عليه وسلم **فان كذبوك** يعني هولا اليهود **فقد كذب رسل من قبلك** يعني مثل
نوح وهود وصالح وابراهيم وغيرهم من الرسل **جاوا بالبينات** يعني بالدلالات
الواضحات والمعجزات الباهرات **والزبر** اي الكتب واحدها زبور وكل كتاب
فيه حكمة زبور واصله من الزبر وهو الزجر وسمي الكتاب الذي فيه الحكمة
زبورا لانه يزبر اي يزجر عن الباطل ويدعو الى الحق **والكتاب المنير** اي الواضح
المضي وانما عطف الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله وقيل اراد بالزبر
الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل قوله عز وجل **كل نفس ذايقة الموت**
يعني ان كل نفس مخلوقة ذايقة الموت ولا بد لها منه قيل لما نزل قل يتوفاكم
ملك الموت قالوا يا رسول الله انما نزلت في بني ادم فاين ذكر الموت للجن والانعام
والوحوش والطير فنزلت هذه الاية وقيل لما خلق الله ادم عليه السلام اشتكت
الارض الى ربها عز وجل لما اخذ منها فوعدها ان يرد فيها ما اخذ منها فما احد
يموت الا ويدفن في التربة التي خلق منها فان قلت الحور والولدان نفوس
مخلوقة في الجنة لا تذوق الموت فما حكم لفظ كل في قوله كل نفس ذايقة
الموت قلت لفظة كل لا تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت من
كل شي ولم تؤت ملك سليمان فتكون الاية من العام المخصوص ويحتمل ان يكون

المراد بهم المكلفين بدليل سياق الآية وهو قوله **وإنما توفون أجوركم** يعني توفون
جزاء أعمالكم **يوم القيامة** إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشر **فمن زحزح عن النار**
**وأدخل الجنة فقد فاز** يعني فمن نجا وأبعد عن النار وأدخل الجنة فقد ظفر بالنجاة
ونجى من الخوف **وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** يعني أن العيش في هذه الدار
الفانية يغر الإنسان بما تمنيه من طول البقاء وسينقطع عن قريب فوصفها بأنها
متاع الغرور لأنها تغر بلذاتها المحبوب وتخيل للإنسان أنه يدوم وليس بدائم
والمتاع كل ما استمتع به الإنسان من مال وغيره وقيل المتاع كالفاس والقدر
والقصعة ونحوهم والغرور ما يغر الإنسان مما لا يدوم وقيل الغرور الباطل
ومعنى الآية أن منفعة الإنسان بالدنيا كمنفعته بهذه الأشياء التي يستمتع بها
ثم تزول عن قريب وقيل متاع متروك يوشك أن يضمحل ويزول فخذوا من هذا
المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما استطعتم قال سعيد بن جبير هي متاع الغرور
لمن لم يشتغل بطلب الآخرة فهي له متاع وبلاغ إلى ما هو خير منها **ق** عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاقرؤوا إن شئتم فلا تعلم نفس
ما أخفي لهم من قرة أعين زاد الترمذي وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة
عام لا يقطعها واقرؤوا إن شئتم وظل ممدود وموضع سوط في الجنة خير من الدنيا
وما فيها واقرؤوا إن شئتم فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا
إلا متاع الغرور **لتبلون** اللام لام القسم تقديره والله لتبلون أي لتختبرن
فتوقع عليكم المحن ليعلم المؤمن من غيره والاختبار طلب المعرفة ليعرف الجيد من الردي
وذلك في وصف الله محال لأن الله تعالى عالم بحقائق الأشياء كلها قبل أن يخلقها
فعلى هذا يكون معنى الاختبار في وصف الله تعالى أنه يعامل العبد معاملة المختبر
**في أموالكم** يعني بالابتلاء في الأموال بالنقصان منها وقيل بأداء ما فرض فيها من
الحقوق **وأنفسكم** يعني بالمصائب والأمراض والقتل وفقد الأقارب والعشائر
خوطب بهذه الآية المسلمون ليوطنوا أنفسهم على احتمال الأذى وما سيلقون من
الشدائد والمصائب ليصبروا على ذلك حتى إذا لقوها وهم مستعدون
بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق غيرهم ممن تصيبه الشدة بغتة فينكرها ويشمئز منها
**ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا**
قال عكرمة نزلت في أبي بكر الصديق وفنحاص بن عازوراء وذلك أن النبي صلى الله
عليه وسلم بعث أبا بكر إلى فنحاص سيد بني قينقاع يستمده وكتب إليه معه كتابا
وقال لأبي بكر لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع فجاء أبو بكر وهو متوشح بالسيف إلى فنحاص
وأعطاه الكتاب فلما قرأه قال فنحاص قد احتاج ربك حتى نمده فهم أبو بكر
أن يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن علي بشيء حتى
ترجع فنزلت الآية وقال الزهري نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم

وكعب

وكعب بن الأشرف اليهودي وذلك أنه كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسب
المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم في شعره **ق** عن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة
أتحب أن أقتله قال نعم قال ائذن لي فلأقل قال قل فقال له وذكر ما بينهم وقال
إن هذا الرجل قد أراد الصدقة وقد عنانا فلما سمعه قال وأيضا والله لتملنه
قال إنا قد اتبعناه ونكره أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير أمره قال وقد
أردت أن تسلفني سلفا قال فما ترهنني ترهنني نساءكم قال أنت أجمل العرب
أنرهنك نساءنا قال له ترهنون أولادكم قال يسب ابن أحدنا فيقال رهن
في وسقين من تمر ولكن نرهنك اللأمة يعني السلاح قال نعم وواعده أن يأتيه
بالحارث وأبي عبس بن جبير وعباد بن بشر قال فجاؤوا فدعوه ليلا فنزل إليهم قالت
امرأته إني لأسمع صوتا كأنه صوت دم قال إنما هو محمد ورضيعي أبو نائلة إن الكريم
لو دعي إلى طعنة ليلا لأجاب قال محمد إني إذا جاء فسوف أمد يدي إلى رأسه فإذا
استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل نزل وهو متوشح فقالوا نجد منك ريح الطيب
قال نعم تحتي فلانة أعطر نساء العرب قال فتأذن لي أن أشم منه قال نعم فشم
فتناول فشم ثم قال أتأذن لي أن أعود قال فاستمكن من رأسه ثم قال دونكم
فقتلوه زاد في رواية ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه وزاد أصحاب
السير والمغازي فاختلف عليهم أسيافهم فلم تغن شيئا قال محمد بن مسلمة فذكرت
معولا في سيفي فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقد
عليه نار قال فوضعته في مندوبه ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع
عدو الله وقد أصيب الحارث بن أوس بجرح في رأسه أصابه بعض أسيافنا فخرجنا
وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث ونزفه الدم فوقفنا له ساعة حتى أتانا
يتبع آثارنا فحملناه وجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم
يصلي فسلمنا عليه فخرج علينا فأخبرناه بقتل كعب بن الأشرف وجئنا برأسه
إليه وتفل على جرح صاحبنا ورجعنا إلى أهلنا وأصبحنا وقد خافت اليهود وقعتنا
بعدو الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال اليهود
فاقتلوه وأنزل الله في شأن كعب بن الأشرف اليهودي لتبلون في أموالكم وأنفسكم
ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى ومن الذين أشركوا
يعني مشركي العرب أذى كثيرا يعني بالأذى قول اليهود إن الله فقير ونحن
أغنياء وما أشبه ذلك من افترائهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب بن
الأشرف يهجو النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فهذا هو الأذى الكثير **وإن**
**تصبروا وتتقوا** الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين يعني وإن تصبروا
على أذاهم وتتقوا فيما أمركم به ونهاكم عنه لأن الصبر عبارة عن احتمال الأذى والمكروه
والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي **فإن ذلك من عزم الأمور** أي من صواب

التدبير اي لا شك ان الرشد فيه ولا ينبغي لعاقل تركه واصله من قولك عزمت
عليك ان تفعل كذا اي الزمتك ان تفعله لا محالة ولا تتركه وقيل معناه فان
ذلك مما قد عزم عليكم فعله اي الزمتم الاخذ به قوله تعالى **واذ اخذ الله** اي واذكر
يا محمد اذ اخذ الله **ميثاق الذين اوتوا الكتاب** يعني اليهود والنصارى المراد منهم
العلما خاصة وقيل المراد بالذين اوتوا الكتاب العلما والاحبار من اليهود خاصة
واخذ الميثاق هو التوكيد والالزام لبيان ما اوتوه من الكتاب وهو قوله عز
وجل **لتبيننه للناس** يعني لتبينن ما في الكتاب ولتظهرنه للناس حتى
يعلمونه وذلك ان الله اوجب على علما التوراة والانجيل ان يشرحوا للناس ما
في هذين الكتابين من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **ولا تكتمونه**
يعني ولا يخفون ذلك عن الناس **فنبذوه** يعني الكتاب وقيل الميثاق **وراء ظهورهم**
اي فطرحوه وضيعوه وتركوا العمل به **واشتروا به ثمنا قليلا** يعني المآكل
والرشى التي كانوا ياخذونها من عوامهم وسفلتهم **فبئس ما يشترون** ذمهم
الله تعالى على فعلهم ذلك واعلم ان ظاهر هذه الاية وان كان مخصوصا بعلما اهل
الكتاب وهم اليهود والنصارى فلا يبعد ان يدخل فيه علما هذه الامة الاسلامية
لانهم اهل كتاب وهو القرآن وهو اشرف الكتب قال قتادة هذا ميثاق اخذه الله
تعالى على اهل العلم فمن علم شيئا فليعلمه واياكم وكتمان العلم فانه هلكة وقال
ايضا مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم لا ياكل
ولا يشرب وقال ايضا طوبى لعالم ناطق ومستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا
سمع خيرا فوعاه فقبله عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل
عما يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار اخرجه الترمذي ولابي داود من سئل عن علم
فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة وقال ابو هريرة لولا ما اخذ الله عز
وجل على اهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الاية واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب الاية وقال الحسن بن عمارة اتيت الزهري بعد ان ترك الحديث
فالفيته على بابه فقلت اريد ان تحدثني فقال اما علمت اني قد تركت الحديث
فقلت اما ان تحدثني واما ان احدثك قال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عتيبة
عن يحيى بن الجزار قال سمعت علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول ما اخذ الله على
اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثني اربعين حديثا
قوله عز وجل **لا يحسبن الذين يفرحون** قرئ بالتاء على الخطاب اي ولا تحسبن يا محمد
الفارحين الذين يفرحون وقرئ بالياء على الغيبة ولا يحسبن الفارحين وقرئ
بالياء يعني ولا يحسبن الفارحون والمعنى ولا يحسبن الذين يفرحون فرحهم منجيا
لهم من العذاب نزلت هذه الاية في المنافقين **ق** عن ابي سعيد الخدري ان رجالا
من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذا خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله فاذا

قدم

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا وحلفوا له واحبوا ان يحمدوا بما لم
يفعلوا فنزلت لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا الاية وقيل نزلت في اليهود
**ق** عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ان مروان قال اذهب يا رافع لبوابه الى ابن
عباس فقل لئن كان كل امرئ منا فرح بما اتى واحب ان يحمد بما لا يفعل معذبا
لنعذبن اجمعون قال ابن عباس ما لكم ولهذه الاية انما نزلت هذه الاية في اهل
الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه
للناس الاية وتلا ابن عباس لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان
يحمدوا بما لم يفعلوا وقال ابن عباس سالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن شيء فكتموه اياه واخبروه بغيره فخرجوا وقد اروه ان قد اخبروه بما سالهم
عنه واستحمدوا اليه بذلك وفرحوا بما اتوا من كتمانهم اياه ما سالهم عنه
**بما اتوا** يعني يفرحون بما فعلوا **ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا** اي ويحبون
ان يحمدهم الناس على شيء لم يفعلوه قيل عنى بذلك قوما من احبار اليهود كانوا
يفرحون باضلالهم الناس وبنسبة الناس اياهم الى العلم قال ابن عباس واذ
اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب اليم يعني فنحاص واشيع
واشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس
من الضلالة ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ان يقول الناس لهم علما وليسوا
باهل علم وقيل ان اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم
وذلك انهم كتبوا الى يهود العراق والشام واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود
في الارض كلها ان محمدا ليس بنبي فاثبتوا على دينكم فاجتمعت كلمتهم على الكفر ففرحوا
بذلك وقالوا نحن اهل صوم وصلاة واحبوا ان يحمدوا على ذلك وقيل فرحوا بما اتوا
بتبديلهم التوراة واحبوا ان يحمدهم الناس على ذلك وقيل ان يهود خيبر اتت الى
النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا نحن نعرفك ونصدقك وقالوا لاصحابه نحن على
رايكم ونحن لكم ردء وليس ذلك في قلوبهم واحبوا ان يحمدهم النبي صلى الله عليه وسلم
والمسلمون على ذلك **فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب** اي فلا تظننهم بمنجاة من
العذاب الذي اعد الله لهم في الدنيا من القتل والاسر وضرب الجزية والذلة
والصغار **ولهم عذاب اليم** يعني في الاخرة وهذه الاية وان كانت قد نزلت في اليهود
والمنافقين خاصة فان حكمها عام في كل من احب ان يحمد بما لم يفعل من الخير والصلاح
او ينسب الى العلم وليس هو كذلك قوله عز وجل **ولله ملك السموات والارض**
يعني انه تعالى مالك لهما فهما جميعا يتصرف فيه كيف يشا وفيه تكذيب لمن قال ان الله
فقير ونحن اغنيا يقول الله عز وجل ان من له جميع ما حوته السموات والارض من شيء
فكيف يكون من هذا ملكه فقيرا **والله على كل شيء قدير** يعني انه تعالى قادر على تعجيل
العقوبة لهم على ذلك القول ولكنه تفضل على خلقه بامهالهم قوله عز وجل **ان في
خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب**

قال ابن عباس ان اهل مكة سالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم باية فنزلت
هذه الاية والمعنى تفكروا واعتبروا ايها الناس فيما خلقته وانشاته من السموات
والارض لمعاشكم وارزاقكم وفيما عقبته من ذلك بين الليل والنهار واختلافهما
في الطول والقصر فجعلهما يختلفان ويتعقبان عليكم لكي تنصرفوا فيهما لمعاشكم
وطلب ارزاقكم في النهار وتسكنون بالليل لراحة اجسادكم فاعتبروا وتفكروا
يا اولي الالباب يعني يا ذوي العقول الصافية الذين يفتحون بصائرهم للنظر
والاستدلال والاعتبار لا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب
مخلوقاته وغرائب مبتدعاته **ق** عن ابن عباس انه بات عند ميمونة ام المومنين وهي
خالته قال فقلت لانظرن الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطرحت لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وسادة فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم واهله في طولها فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى انتصف الليل او قبله بقليل او بعده بقليل ثم استيقظ رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجلس يمسح النوم عن وجهه بيديه ثم قرا العشر ايات الخواتم
من سورة ال عمران ثم قام الى شن معلقة فتوضا منها فاحسن الوضوء ثم قام
يصلي قال عبد الله بن عباس فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت فقمت الى جنبه
فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على راسي فاخذ باذني يفتلها فصلى
ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم اوتر ثم اضطجع حتى جا المؤذن فقام
فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح وفي رواية فقمت عن يساره فاخذني
فجعلني عن يمينه وفي رواية قال بت في بيت خالتي ميمونة فتحدث رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الاخر قعد فنظر
الى السما فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي
الالباب وذكره قوله تعالى **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم**
قال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة هذا في الصلاة يعني الذين
يصلون قياما فان عجزوا فقعودا فان عجزوا فعلى جنوبهم والمعنى انهم لا يتركون
الصلاة في حال من الاحوال بل يصلون في كل حال **خ** عن عمران بن حصين قال كانت
بي بواسير فسالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قائما فان لم
تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب اخرجه الترمذي وقال فيه سالته
عن صلاة المريض وذكر نحوه فقال الشافعي رضي الله عنه اذا صلى المريض مضطجعا
وجب عليه ان يصلي على جنب ويومي براسه ايما وقال ابو حنيفة رحمه الله بل يصلي
مستلقيا على ظهره فان وجد خفة قعد وحجة الشافعي ظاهر الاية وهو قوله وعلى
جنوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين فان لم تستطع فعلى جنب فنص
على الجنب دون غيره وقال اكثر المفسرين المراد به المداومة على الذكر في غالب
الاحوال لان الانسان قل ان يخلو من احدى هذه الثلاث حالات وهي القيام والقعود

وكونه



وكونه نايما على جنبه **م** عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر
الله عز وجل في كل احيانه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد
مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضجعا لا يذكر الله
فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى احد ممشى لا يذكر الله فيه الا كانت عليه من
الله ترة اخرجه ابو داود والترة النقص وقيل هنا التبعة وقوله تعالى **ويتفكرون
في خلق السموات والارض** اصل الفكر اعمال الخاطر في الشي وتردد القلب في ذلك
الشي وهو قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر
العقل ولا يمكن التفكر الا فيما له صورة في القلب ولهذا قيل تفكروا في الا الله
ولا تفكروا في الله اذ كان الله منزها ان يوصف بصورة فلذلك اخبر عباده الصالحين
بانهم يتفكرون في خلق السموات والارض وما ابدع فيهما من عجائب مصنوعاته
وغرائب مبتدعاته ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه وتعالى ليعلمون
ان لهما خالقا قادرا مدبرا حكيما لان عظم اثاره وافعاله تدل على عظم خالقها سبحانه
وتعالى كما قيل

وفي كل شي له اية • تدل على انه واحد

وقيل ان الفكر مقلوب عن الفرك لان الفكر مستعمل في المعاني وهو فرك الامور
وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية
كما يحدث الما للزرع النما وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل
الفكرة **ربنا** ويقولون ربنا وقيل معناه ويتفكرون في خلق السموات والارض
قائلين ربنا **ما خلقت هذا باطلا** يعني عبثا وهزلا بل خلقته دليلا على وحدانيتك
وكمال قدرتك **سبحانك** تنزيها لك عن ان تخلق شيا عبثا لغير حكمة **فقنا عذاب
النار** يعني انا قد صدقنا بوحدانيتك وان لك جنة ونارا فقنا عذاب النار
والمقصود من قوله سبحانك فقنا عذاب النار تعليم عباده كيفية الدعا لمن اراد
ان يدعو فليقدم الثنا على الله اولا ويدل عليه قوله سبحانك وبعد ذلك الثنا
ياتي بالدعا ويدل عليه قوله فقنا عذاب النار **ربنا انك من تدخل النار فقد
اخزيته** اي اهنته واذللته وقيل اهلكته وقيل فضحته والعرب في الخزاية والخزي
ضرب من الاستخفاف وانكسار يلحق الانسان وهو الحيا المفرط فان قلت قد
تمسكت المعتزلة بهذه الاية وقالوا قد اخبر الله انه لا يخزي الله النبي والذين
امنوا معه فوجب ان كل من لا يدخل النار يكون مومنا لقوله انك من تدخل النار
فقد اخزيته والمومن لا يخزي قلت قد ذكر العلما في الجواب وجوها احدها ما روي
عن انس في تفسير قوله تعالى انك من تدخل النار فقد اخزيته قال من تخلد وروي
نحوه عن سعيد بن المسيب قال هي خاصة لمن لا يخرج منها وهذا الجواب انما يصح
على مذهب اهل السنة الذين يرون اخراج الموحدين من النار اما على مذهب
المعتزلة فلا يصح هذا الجواب لان مذهبهم ان الفاسق مخلد في النار فهو داخل

في قوله تعالى فقد اخزيته الوجه الثاني في الجواب ان المدخل في النار مخزي في حال
دخوله وان كانت عاقبته ان يخرج منها ومعنى الاية على هذا فقد اخزيته بدخوله فيها
وتعذيبه بها ويدل على صحة هذا المعنى ما روي عن عمرو بن دينار قال قدم علينا جابر
ابن عبد الله في عمرة فانتهيت اليه انا وعطا فسالته عن هذه الاية ربنا انك من تدخل
النار فقد اخزيته فقال وما اخزاه حين احرقه بالنار ان دون ذلك الخزي وهذا
الوجه هو اختيار ابن جرير الطبري لان من ادخل النار فقد خزي بدخوله اياها وان
اخرج منها وذلك الخزي هو هتك المخزي وفضيحته وقال ابن الانباري حمل الاية
على العموم اولى من نقلها الى الخصوص لا دليل عليه الوجه الثالث في الجواب ما قاله
اهل المعاني ان الخزي يحتمل معان منها الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكفار
ومنها الاخجال يقال خزي خزاية اذا استحيى واذا عمل عملا يستحيي منه ويخجل
فيكون خزي المومن الذي يدخل النار الحيا من المومنين بدخوله النار الى ان يخرج
منها وخزي الكافر الاهلاك بالخلود في النار وحاصل هذا الجواب ان لفظ الاخزا
مشترك بين التخجيل والاهلاك واللفظ المشترك لا يمكن حمله في طرفي النفي
والاثبات على معنييه جميعا وبهذا يسقط الاستدلال الوجه الرابع في الجواب
وهو الذي اختاره الفخر الرازي وصححه ان قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي
والذين امنوا معه لا يقتضي نفي الاخزا مطلقا وانما يقتضي ان لا يحصل الاخزا
حال ما يكونوا مع النبي وهذا النفي لا ينافيه اثبات الاخزا في الجملة لاحتمال
ان يحصل ذلك الاثبات في وقت اخر والله اعلم وقوله تعالى **وما للظالمين** يعني
المشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها من انصار يعني ينصرونهم يوم القيامة
او يمنعونهم من العذاب قوله عز وجل **ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان**
قال ابن عباس واكثر المفسرين المنادي هو محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا
قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة وقوله وداعيا الى الله باذنه وقال محمد بن
كعب القرظي المنادي هو القران قال اذ ليس كل احد يلقى النبي صلى الله عليه وسلم فوجه
هذا القول ان كل احد يسمع القران ويفهمه فاذا وفقه الله تعالى للايمان به فقد
فاز به وذلك لان القران مشتمل على الرشد والهدى وانواع الدلايل
الدالة على الوحدانية وصار كالداعي اليها واللام في للايمان بمعنى الى يعني
ينادي الى الايمان **ان امنوا بربكم فامنا** اي فصدقنا ربنا **ربنا فاغفر لنا ذنوبنا**
اي كباير ذنوبنا **وكفر عنا سياتنا** اي صغاير ذنوبنا وقيل ان الغفر هو الستر والتغطية
وكذلك التكفير فهما بمعنى واحد وانما ذكرهما للتاكيد لان الالحاح في الدعا
والمبالغة فيه مندوب اليه وقيل معناه اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر
عنا سياتنا في المستقبل وقيل يريد بالغفران ما يزول بالتوبة من الذنوب
وبالتكفير ما يكفر بالطاعات من الذنوب **وتوفنا مع الابرار** يعني في جملتهم
وزمرتهم والابرار هم الانبيا والصالحون والمعنى توفنا على مثل اعمالهم حتى نكون



في درجتهم يوم القيامة وقيل توفنا في جملة اتباعهم واشياعهم **ربنا واتنا ما**
**وعدتنا على رسلك** يعني على السنة رسلك وقيل معناه واتنا ما وعدتنا على تصديق
رسلك فان قلت كيف سالوا الله انجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه
انهم طلبوا من الله تعالى التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد وقيل هو من
باب اللجا الى الله تعالى والتذلل له واظهار الخضوع والعبودية كما ان الانبيا عليهم
السلام يستغفرون الله مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل
لربهم سبحانه وتعالى والتضرع اليه واللجا اليه الذي هو سيما العبودية وقيل
معناه ربنا واجعلنا ممن يستحق ثوابك وتوتيهم ما وعدتهم على السنة رسلك
لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة فسالوه ان يجعلهم مستحقين لها وقيل
انما سالوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الاعدا قالوا قد علمنا انك لا تخلف الميعاد
ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل هلاكهم وانصرنا عليهم **ولا تخزنا يوم القيامة** يعني ولا
تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا في ذلك اليوم فان قلت قوله واتنا ما وعدتنا على رسلك
يدل على طلب الثواب ومتى حصل الثواب اندفع العقاب لا محالة فما معنى قوله ولا
تخزنا وهو طلب دفع العقاب عنهم قلت المقصود من الاية طلب التوفيق على الطاعة
والعصمة عن فعل المعصية كانهم قالوا وفقنا للطاعات واذا وفقتنا لها فاعصمنا
عن فعل ما يبطلها ويوقعنا في الخزي وهو الهلاك ويحتمل ان يكون قوله ولا تخزنا يوم
القيامة سببه لقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانه ربما يظن
الانسان انه على عمل صالح فاذا كان يوم القيامة ظهر انه على غير ما يظن فيحصل
الخجل والحسرة والندامة في موقف القيامة فسالوا الله تعالى ان يزيل ذلك عنهم فقالوا
ولا تخزنا يوم القيامة **انك لا تخلف الميعاد** قوله تعالى **فاستجاب لهم ربهم** يعني
اجاب دعاهم واعطاهم ما سالوه **اني** اي وقال لهم **لا اضيع عمل عامل منكم** يعني لا
احبط عمل كلكم ايها المومنون بل اثيبكم عليها **من ذكر او انثى** يعني لا اضيع عمل عامل
ذكرا كان او انثى عن ام سلمة قالت قلت يا رسول الله لا اسمع الله ذكر النسا في الهجرة
بشي فانزل الله تعالى اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض
الى والله عنده حسن الثواب اخرجه الترمذي وقوله تعالى **بعضكم من بعض** يعني في
الدين والنصرة والموالاة وقيل كلكم من ادم وحوي وقيل من بمعنى الكاف اي بعضكم
كبعض في الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية فهو كما يقال فلان مني يعني على
خلقي وسيرتي وقيل ان الرجال والنسا في الطاعة على شكل واحد **فالذين هاجروا**
**واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي** يعني المهاجرين الذين هجروا اوطانهم واهليهم
واذاهم المشركون بسبب اسلامهم ومتابعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا
مهاجرين الى الله ورسوله وتركوا اوطانهم وعشيرتهم لله ورسوله ومعنى في سبيلي
في طاعتي وديني وابتغا مرضاتي وهم المهاجرون الذين اخرجهم المشركون من مكة فهاجر
طايفة الى الحبشة وطايفة الى المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد هجرته

فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة رجع اليه من كان هاجر الى الحبشة من
المسلمين **وقاتلوا وقتلوا** يعني وقاتلوا العدو واستشهدوا في جهاد الكفار **لأكفرن
عنهم سيئاتهم** يعني لأمحون عنهم ذنوبهم ولأغفرنها لهم **ولأدخلنهم جنات تجري
من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله** يعني ذلك الذي أعطاهم من تكفير سيئاتهم
وإدخالهم الجنة ثوابا من فضل الله وإحسانه إليهم **والله عنده حسن الثواب**
وهذا تأكيد لكون ذلك الثواب الذي أعطاهم من فضله وكرمه لأنه جواد كريم
روى ابن جرير الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول إن أول ثلاثة تدخل الجنة فقراء المهاجرين الذين يتقى بهم
المكاره إذا أمروا سمعوا وأطاعوا وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تقض له
حتى يموت وهي في صدره فإن الله عز وجل يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها
وزينتها فيقول أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا وأوذوا في سبيلي
وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وتأتي
الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من
هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول الرب عز وجل هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي
وأوذوا في سبيلي فتدخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم
عقبى الدار قال بعضهم في هذه الآيات تعليم من الله تعالى لعباده كيف يدعو وكيف
يبتهل إليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال وإعلام بما يوجب حسن الإجابة
وقال جعفر الصادق من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه
ما أراد وقرأ هذه الآيات وقال الحسن حكى الله عنهم أنهم قالوا خمس مرات ربنا ثم
أخبر أنه استجاب لهم قوله عز وجل **لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد**
نزلت في المشركين وذلك أنهم كانوا في رخاء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون فقال
بعض المؤمنين إن أعداء الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد فأنزل الله هذه الآية
لا يغرنك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الأمة لأنه صلى الله
عليه وسلم لم يغتر قط والمعنى لا يغرنك أيها السامع تقلب الذين كفروا في البلاد يعني
ضربهم في الأرض وتصرفهم في البلاد للتجارات وطلب الأرباح والمكاسب **متاع
قليل** أي ذلك متاع قليل وبلغة فانية ونعمة زائلة **ثم مأواهم** يعني مصيرهم
في الآخرة **جهنم وبئس المهاد** أي وبئس الفراش هي قوله تعالى **لكن الذين
اتقوا ربهم** فيما أمرهم به من العمل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب ما نهاهم
عنه من معاصيه **لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا**
أي جزاء وثوابا والنزل ما يهيأ للضيف عند قدومه **من عند الله** يعني من
فضل الله وكرمه وإحسانه **وما عند الله** يعني من الخير والكرامة والنعيم
الدائم الذي لا ينقطع **خير للأبرار** يعني ذلك الفضل والنعمة الذي أعدها
الله للمطيعين الأبرار خير مما يتقلب فيه هؤلاء الكفار من نعيم الدنيا ومتاعها





فانه قليل زائل **ق** عن عمر بن الخطاب قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو
في مشربة وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها
ليف وعند رجليه قرظ مصبور وعند رأسه أهب معلقة فرأيت أثر الحصير في جنبه
فبكيت فقال ما يبكيك قلت يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هم فيه وأنت يا رسول
الله فقال أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة لفظ البخاري المشربة الغرفة والعلية
والمشارب العلالي قوله عز وجل **وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل
إليكم وما أنزل إليهم** قال ابن عباس نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه
أصحمة ومعناه بالعربية عطية وذلك أنه لما مات نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه
اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم النجاشي فخرج إلى البقيع فكشف له إلى أرض
الحبشة فأبصر سرير النجاشي فصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له فقال
المنافقون انظروا إلى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فأنزل
الله هذه الآية وقيل نزلت في أربعين رجلا من أهل نجران اثنين وثلاثين من الحبشة
وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم
وصدقوه وقيل نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم
وقيل نزلت في جميع مؤمني أهل الكتاب وهذا القول أولى لأنه لما ذكر أحوال الكفار
وأحوال أهل الكتاب وأن مصيرهم إلى النار ذكر حال من آمن من أهل الكتاب وأن
مصيرهم إلى الجنة فقال تعالى وإن من أهل الكتاب يعني بعض اليهود والنصارى
أهل التوراة والإنجيل لمن يؤمن بالله يعني من يقر بوحدانية الله وما أنزل إليكم
يعني ويؤمن بما أنزل إليكم أيها المؤمنون يعني القرآن وما أنزل إليهم يعني من
الكتب المنزلة مثل التوراة والإنجيل والزبور **خاشعين لله** يعني خاضعين
لله ومتواضعين له غير مستكبرين **لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا** يعني
لا يغيرون كتبهم ولا يحرفونها ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لأجل الرياسة
والمأكل والرشى كما يفعله غيرهم من رؤساء اليهود **أولئك** إشارة إلى من هذه صفته
من أهل الكتاب **لهم أجرهم عند ربهم** يعني لهم ثواب أعمالهم التي عملوها لله
ذلك الثواب لهم مدخر عند الله يوفيهم إياه يوم القيامة **إن الله سريع الحساب**
يعني أنه تعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده فيجازي كل أحد
على قدر عمله لأنه سريع قوله تعالى **يا أيها الذين آمنوا اصبروا** يعني على دينكم
الذي أنتم عليه ولا تدعوه لشدة ولا لغيرها وأصل الصبر حبس النفس عما لا يقتضيه
شرع ولا عقل والصبر لفظ عام تحته أنواع من المعاني قال بعض الحكماء الصبر على ثلاثة
أقسام ترك الشكوى وقبول القضاء وصدق الرضا وقيل في معنى الآية اصبروا على
طاعة الله وقيل على أداء الفرائض وقيل على تلاوة القرآن وقيل اصبروا على ما أمر الله
وقيل اصبروا على البلاء وقيل اصبروا على الجهاد وقيل اصبروا على أحكام الكتاب والسنة

وصابروا يعني الكفار والأعداء وجاهدوهم ورابطوا يعني وداوموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه وأصل المرابطة أن يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم بحيث يكون كل من الخصمين مستعدا لقتال الآخر ثم قيل لكل مقيم بثغر يدفع من وراءه مرابط وإن لم يكن له مركب مربوط ق عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها عن سلمان الخير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وأمن من الفتان وقيل المراد بالمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة قال أبو سلمة ابن عبد الرحمن لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط أخرجه مسلم واتقوا الله لعلكم تفلحون قال محمد بن كعب القرظي يقول الله عز وجل واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا إذا لقيتموني وقال أهل المعاني في معنى هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اصبروا على بلائي وصابروا على نعمائي ورابطوا على مجاهدة أعدائي واتقوا محبة سواي لعلكم تفلحون بلقائي وقيل اصبروا على النعماء وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا في دار الأعداء واتقوا إله الأرض والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء وقيل اصبروا على الدنيا ومحنتها رجاء السلامة وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا على مجاهدة النفس اللوامة واتقوا ما يعقبكم الندامة لعلكم تفلحون غدا في دار الكرامة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

تفسير سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية وثلاثة آلاف وخمس وأربعون كلمة وستة عشر ألف حرف وثلاثون حرفا.

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا أيها الناس خطاب للكافة فهو كقوله يا بني آدم اتقوا ربكم أي احذروا أمر ربكم أن تخالفوه فيما أمركم به أو نهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال القدرة الذي خلقكم من نفس واحدة يعني من أصل واحد وهو آدم أبو البشر عليه السلام وإنما أنث الوصف على لفظ النفس وإن كان المراد به الذكر فهو كما قال بعضهم

أبوك خليفة ولدته أخرى • وأنت خليفة ذاك الكمال

إنما قال ولدته أخرى لتأنيث الخليفة وخلق منها زوجها يعني حواء وذلك أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام ألقى عليه النوم ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى

وهو

وهو قصير فلما استيقظ رآها جالسة عند رأسه فقال لها ما أنت قالت امرأة قال لماذا خلقت قالت خلقت لتسكن إلي فمال إليها وألفها لأنها خلقت منه واختلفوا في أي وقت خلقت حواء فقال كعب الأحبار ووهب وابن إسحاق خلقت قبل دخوله الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس إنما خلقت في الجنة بعد دخوله إياها وبث منهما يعني نشر وأظهر من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء إنما وصف الرجال بالكثرة دون النساء لأن حال الرجال أتم وأكمل وهذا كالتنبيه على أن اللائق بحال الرجال الظهور والاشتهار وبحال النساء الاختفاء والخمول واتقوا الله الذي تساءلون به إنما كرر ذكر التقوى للتأكيد وأنه أهل أن يتقى والتساؤل بالله هو كقولك أسألك بالله وأحلف عليك وأستشفع إليك بالله والأرحام قرئ بفتح الميم ومعناه واتقوا الأرحام أن تقطعوها وقرئ بكسر الميم فهو كقولك سألتك بالله وبالرحم وناشدتك بالله وبالرحم لأن العرب كان من عادتهم أن يقولون ذلك والرحم القرابة وإنما استعير اسم الرحم للقرابة لأنهم خرجوا من رحم واحد وقيل هو مشتق من الرحمة لأن القرابة يتراحمون ويعطف بعضهم على البعض وفي الآية دليل على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها ويدل على ذلك أيضا الأحاديث الواردة في ذلك ق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ق عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره أن يبسط عليه من رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه قوله ينسأ في أثره أي يؤخر له في أجله ق عن جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع[2] رحم وعن الحسن قال من سألك بالله فأعطه وعن ابن عباس قال الرحم معلقة بالعرش فإذا أتاها الواصل بشت به وكلمته وإذا أتاها القاطع احتجبت عنه إن الله كان عليكم رقيبا يعني حافظا والرقيب في صفة الله تعالى هو الذي لا يغفل عما خلق فيلحقه نقص ويدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء من أمر خلقه فبين بقوله إن الله كان عليكم رقيبا أنه يعلم السر وأخفى وإذا كان كذلك فهو جدير بأن يخاف ويتقى قوله عز وجل وآتوا اليتامى أموالهم نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم كان في حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذي له فمنعه عمه فترافعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير ودفع إلى اليتيم ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فإنه يحل داره يعني جنته فلما قبض الصبي ماله أنفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الأجر وبقي الوزر فقالوا كيف بقي الوزر فقال ثبت الأجر للغلام وبقي الوزر على أبيه والخطاب في قوله تعالى وآتوا للأولياء والأوصياء واليتامى جمع يتيم وهو الصبي الذي مات أبوه واليتم في اللغة الانفراد ومنه الدرة اليتيمة لانفرادها واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقاء معنى الانفراد عن الآباء لكن في العرف اختص اسم

[2] قال سفيان الثوري في رواية يعني قاطع

اليتيم من لم يبلغ مبلغ الرجال فاذا بلغ الصبي وصار يستغني بنفسه عن غيره زال
عنه اسم اليتيم وسئل ابن عباس عن اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليتيم قال اذا اونس
منه الرشد وانما سماهم يتامى بعد البلوغ على مقتضى اللغة او لقرب عهدهم باليتم
وان كان قد زال عنهم بالبلوغ وقيل المراد باليتامى الصغار الذين لم يبلغوا والمعنى
وآتوا اليتامى اموالهم بعد البلوغ وتحقق الرشد وقيل معناه وآتوا اليتامى الصغار
ما يحتاجون اليه من نفقة وكسوة والقول الاول هو الصحيح ان المراد باليتامى
البالغين لانه لا يجوز دفع المال الى اليتيم الا بعد البلوغ وتحقق الرشد **ولا تتبدلوا**
اي لا تستبدلوا **الخبيث بالطيب** يعني الخبيث الذي هو حرام عليكم بالحلال الذي هو
اموالكم واختلفوا في هذا التبديل فقال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري
والسدي كانوا اولياء اليتامى يأخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردي
فربما كان احدهم يأخذ الشاة السمينة ويجعل مكانها المهزولة ويأخذ الدرهم
ويجعل مكانه الزيف ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك تبديلهم فنهوا
عنه وقال عطاء هو الربح في مال اليتيم وهو غمر لا علم له بذلك وقيل انه ليس بابدال
حقيقة وانما هو اخذه مستهلكا وذلك ان اهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء
والصغار وانما كان يأخذ الميراث الاكابر من الرجال وهو هو اكل مال اليتيم عوضا
عن اكل اموالهم فنهوا عن ذلك **ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم** يعني مع اموالكم وقيل
معناه ولا تضموا اموالهم الى اموالكم في الانفاق واعلم ان الله تعالى نهى عن اكل مال
اليتيم واراد به جميع التصرفات المهلكة للمال وانما ذكر الاكل لانه معظم المقصود
**انه كان حوبا كبيرا** يعني ان اكل مال اليتيم بغير حق اثم عظيم والحوب الاثم
قوله عز وجل **وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى** يعني وان خفتم يا اولياء اليتامى
ان لا تعدلوا فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب **ق** عن عروة انه سأل
عائشة عن قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من
النساء الى قوله او ما ملكت ايمانكم قالت يا ابن اختي هذه اليتيمة تكون في حجر
وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد ان ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان
يقسطوا لهن في اكمال الصداق فامروا بنكاح من سواهن قالت عائشة فاستفتى
الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عز وجل ويستفتونك
في النساء الى وترغبون ان تنكحوهن فبين الله لهم في هذه الآية ان اليتيمة اذا
كانت ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في اكمال الصداق
واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال
فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا
لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق وقال الحسن كان الرجل من اهل المدينة
تكون عنده الايتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لاجل مالها وهي لا تعجبه
كراهية ان يدخل غريب فيشاركه في مالها ثم يسيء صحبتها ويتربص بها الى ان تموت



فيرثها فعاب الله ذلك عليهم وانزل هذه الآية وقال عكرمة في رواية عن ابن عباس
كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء او اكثر فاذا صار معدما من مؤن نسائه
مال الى مال اليتيمة الذي في حجره فانفقه فقيل لهم لا تزيدوا على اربع حتى لا يحوجكم
الى اخذ مال اليتامى وقيل كانوا يتحرجون عن اموال اليتامى ويترخصون في النساء
فيتزوجون ما شاؤوا فربما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما انزل الله تعالى في اموال اليتامى
وآتوا اليتامى اموالهم انزل هذه الآية وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى يقول
فكما خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء ان لا تعدلوا فيهن
فلا تتزوجوا اكثر مما يمكنكم القيام بحقهن لان النساء في الضعف كاليتامى
وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي ثم رخص الله تعالى في
نكاح اربع فقال **فانكحوا ما طاب لكم من النساء** يعني ما حل لكم من النساء
واستدلت الظاهرية بهذه الآية على وجوب النكاح قالوا لان قوله فانكحوا
امر والامر للوجوب واجيب عنه بان قوله تعالى فانكحوا انما هو بيان لما يحل
من العدد في النكاح وتمسك الشافعي في بيان ان النكاح ليس بواجب بقوله ومن لم
يستطع منكم طولا ان ينكح الى قوله ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم
الآية فحكم في هذه الصورة بان ترك النكاح خير من فعله وذلك يدل على انه ليس
بواجب ولا مندوب وقوله تعالى **مثنى وثلاث ورباع** معناه اثنين اثنين
وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وهو غير منصرف لانه اجتمع فيها امران العدل والوصف
والواو بمعنى او وفي هذا الفصل لانه لما كانت او بمنزلة واو النسق جاز ان تكون الواو
بمنزلة او وقيل ان الواو افادت انه يجوز لكل احد ان يختار لنفسه قسما من هذه
الاقسام بحسب حاله فان قدر على نكاح اثنتين فاثنتين فان قدر على ثلاث فثلاث
وان قدر على اربع فاربع لانه نص عددا واجمعت الامة على انه لا يجوز لاحد ان يزيد
على اربع نسوة وان الزيادة على اربع من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذي لا يشاركه فيه احد من الامة ويدل على ان الزيادة على اربع غير جائز وانه
حرام ما روي عن الحرث بن قيس او قيس بن الحارث قال اسلمت وعندي ثمان نسوة
فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن اربعا اخرجه ابو داود
عن ابن عمر ان غيلان بن سلمة الثقفي اسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فاسلمن
معه فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يختار منهن اربعا اخرجه الترمذي وقال
العلماء يجوز للحر ان يجمع بين اربع نسوة حرائر ولا يجوز للعبد ان ينكح اكثر من
امرأتين وهو قول اكثر العلماء لانه خطاب لمن ولي وملك وذلك للاحرار دون العبيد
وقال مالك في احدى الروايتين عنه وربيعة يجوز للعبد ان يتزوج باربع نسوة
واستدل بهذه الآية واجاب الشافعي بان هذه الآية مختصة بالاحرار
ويدل عليه آخر الآية وهو قوله فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم
والعبد لا يملك شيئا فثبت بذلك ان المراد من حكم الآية الاحرار دون العبيد وقوله

تعالى **فان خفتم** يعني فان خشيتم وقيل فاعلمتم **ان لا تعدلوا** يعني بين الازواج
الاربع **فواحدة** يعني فانكحوا واحدة **او ما ملكت ايمانكم** يعني وما ملكت من السراري
لانه لا يلزم فيهن من الحقوق مثل ما يلزم في الحراير ولا قسم لهن **ذلك ادنى** اي اقرب
**ان لا تعولوا** معناه اقرب من ان لا تعولوا فحذف لفظة من لدلالة الكلام عليه ومعنى
الاية لا تعولوا اي لا تميلوا ولا تجوروا وهو قول اكثر المفسرين لان اصل العول الميل
يقال عال الميزان اذا مال وقيل معناه لا تجاوزوا ما فرض الله عليكم ومنه عول الفرايض
اذا جاوزت سهامها وقيل معناه ذلك ادنى ان لا تضلوا وقال الشافعي معناه ان لا تكثر
عيالكم وقد انكر على الشافعي من ليس له احاطة بلغة العرب فقال انما يقال من كثرة
العيال اعال الرجل يعيل اعالة اذا كثر عياله قال وهذا من خطا الشافعي لانه انفرد
به ولم يوافقه عليه احد وانما قال هذه المقالة من انكر على الشافعي وخطاه من لا علم
له بلغة العرب فقد روى الازهري في كتابه تهذيب اللغة عن عبد الرحمن بن زيد بن
اسلم في قوله ان لا تعولوا اي لا تكثر عيالكم وروى الازهري عن الكسائي قال عال
الرجل اذا افتقر واعال اذا كثر عياله قال ومن العرب الفصحاء من يقول عال يعول اذا
كثر عياله قال الازهري وهذا يقوي قول الشافعي لان الكسائي لا يحكي عن العرب
الا ما حفظه وضبطه وقول الشافعي نفسه حجة لانه عربي فصيح والذي اعترض
عليه وخطاه عجل ولم يتثبت فيما قال ولا ينبغي للحضري ان يعجل الى انكار ما لا يحفظ
من لغات العرب هذا اخر كلام الازهري وبسط الامام فخر الدين الرازي في هذا
الموضع من تفسيره ورد على ابي بكر الرازي ثم قال الطعن لا يصدر الا عن كثرة
الغباوة وقلة المعرفة وحكى البغوي عن ابي حاتم قال كان الشافعي اعلم بلسان
العرب منا ولعله لغة ويقال هي لغة حمير وقرا طلحة بن مصرف ان لا تعيلوا بضم
التاء وهو حجة للشافعي **وآتوا النساء صدقاتهن نحلة** قال الكلبي وجماعة
هذا خطاب للاولياء قال ابو صالح كان الرجل اذا زوج ايمه اخذ صداقها دونها فنهاهم
الله عن ذلك وقيل ان ولي المراة اذا زوجها فان كانت معهم في العشيرة لم يعطها
من مهرها لا قليلا ولا كثيرا وان كان زوجها غريبا حملوها اليه على بعير ولا يعطوها
من مهرها غير ذلك فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يدفعوا الحق الى اهله وقال الحضرمي
كان اولياء النساء يعطي هذا اخته على ان يعطيه الاخر اخته ولا مهر بينهما وهذا هو
الشغار فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بتسمية المهر في العقد **ق** عن ابن عمر ان النبي
صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار في العقد والشغار ان يزوج الرجل ابنته على ان
يزوجه الرجل ابنته وليس بينهما صداق وقيل الخطاب للازواج وهذا اصح وهو قول
الاكثرين لان الخطاب فيما قبل مع الناكحين وهم الازواج امرهم الله تعالى بان يؤتوا
نساءهم الصداق والصدقات المهور واحدها صدقة بفتح الصاد وضم الدال
نحلة يعني فريضة مسماة وقيل عطية وهبة وقيل نحلة عن طيب نفس واصل
النحلة العطية على سبيل التبرع وهو اخص من الهبة وسمي الصداق نحلة من حيث

انه

انه لا يجب في مقابلته غير التمتع دون عوض مالي **ق** عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله
احق الشروط ان يوفوا بها ما استحللتم به الفروج وقوله تعالى **فان طبن** يعني
النساء المتزوجات **لكم** يعني للازواج **عن شيء منه** يعني من الصداق ومن هنا
لبيان الجنس لا للتبعيض لانها لو وهبت المراة لزوجها جميع صداقها جاز **نفسا**
نصب على التمييز والمعنى فان طابت نفوسهن عن شيء من ذلك الصداق المعين
فوهبن ذلك لكم فنقل الفعل من النفوس الى اصحابها فخرجت النفس مفسرا
فلذلك وحد النفس وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع **فكلوه** يعني ما وهبنه لكم
**هنيئا مريئا** يعني طيبا سائغا وقيل الهنيء الطيب المساغ الذي لا ينغصه
شيء والمريء المحمود العاقبة وفي الاية دليل على اباحة هبة المراة صداقها
وانها تملكه ولا حق للولي فيه قوله تعالى **ولا تؤتوا السفهاء اموالكم** اختلفوا في
هؤلاء السفهاء من هم فقيل هم النساء نهى الله الرجال ان يؤتوا النساء اموالهم
سواء كن ازواجا او بنات او امهات وقيل هم الاولاد خاصة يقول لا تعطي
ولدك السفيه مالك الذي هو قيامك بعد الله فيفسده عليك وقيل
من امراتك وابنك السفيه قال ابن عباس لا تعمد الى مالك الذي خولك الله
وجعله لك معيشة فتعطيه امراتك وابنك فيكونوا هم الذين يقومون
عليك ثم تنظر الى ما بين ايديهم امسك مالك واصلحه وكن انت الذي تنفق عليهم
في رزقهم ومؤنتهم وقال الكلبي اذا علم الرجل ان امراته سفيهة مفسدة
وان ولده سفيه مفسد لا ينبغي له ان يسلط واحدا منهما على ماله فيفسده
وقال سعيد بن جبير هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤته اياه وانفق عليه
منه حتى يبلغ وانما اضاف المال الى الاولياء لانهم قوامها ومدبروها واصل
السفه الخفة واستعمل في خفة النفس لنقصان العقل من الامور الدنيوية
والسفيه المستحق للحجر هو الذي يكون مبذرا في ماله ومفسدا في دينه فلا
يجوز لوليه ان يدفع اليه ماله وقيل ان السفه المذكور في هذه الاية ليس هو
صفة ذم لهؤلاء وانما سموا سفهاء لخفة عقولهم ونقصان تمييزهم وضعفهم عن
القيام بحفظ المال فقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء يعني الجهال بموضع الحق
اموالكم **التي جعل الله لكم قياما** يعني قوام معايشكم يقول المال هو قوام الناس
وقوام معايشهم كن انت قيم اهلك انفق عليهم ولا تؤتي مالك امراتك
وولدك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ولما كان المال سببا للقيام بالمعاش
سمي به اطلاقا لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة لانه به يقام
الحج والجهاد واعمال البر وفكاك الرقاب من النار **وارزقوهم فيها** اي اطعموهم
**واكسوهم** يعني لمن يجب عليكم رزقه وكسوته وذلك لما نهى عن ايتاء المال السفيه
امر ان يجري رزقه وكسوته وانما قال وارزقوهم فيها لانه اراد اجعلوا لهم
فيها رزقا والرزق من الله تعالى هو العطية من غير حد ولا قطع ومعنى الرزق

من العباد وهو الاجر الموظف المعلوم لوقت معلوم محدود وقولوا لهم قولا معروفا
يعني قولا جميلا لان القول الجميل يؤثر في القلب ويزيل السفه وقيل معناه عدوهم
عدة جميلة من البر والصلة فالعطا يقول اذا ربحت اعطيتك وان غنمت قسمت لك
حظا وقيل معناه الدعا اي ادعوا لهم فقال ابن زيد ان لم يكن ممن يجب عليك نفقته
فقل له عافانا الله واياك بارك الله فيك وقيل معناه قولوا لهم قولا تطيب به
انفسهم وهو ان يقول الولي لليتيم السفيه مالك عندي وانا امين عليك فاذا بلغت
ورشدت اعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم
امر دينهم وما يصلحهم مما يتعلق بالعلم والعمل قوله عز وجل وابتلوا اليتامى
الاية نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه وذلك ان رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو
صغير فجاء عمه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ان ابن اخي يتيم في حجري فما يحل لي من
ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله هذه الاية وابتلوا اليتامى يعني اختبروهم في
عقولهم واديانهم وحفظهم اموالهم حتى اذا بلغوا النكاح اي مبلغ الرجال
والنسا فان انستم اي ابصرتم وعرفتم منهم رشدا يعني عقلا وصلاحا في
وحفظا للمال وعلما بما يصلحه فصل في احكام تتعلق بالحجر وفيه مسائل المسيلة
الاولى الابتلا يختلف باختلاف احوال اليتامى فان كان ممن يتصرف بالبيع والشرا
في الاسواق يدفع اليه شيا يسيرا من المال وينظر في تصرفه وان كان ممن لا يتصرف
في الاسواق فيختبر بنفقته على اهله وعبيده واجرائه وتصرفه في احوال داره
وتختبر المراة في امر بيتها وسقط متاعها وغزلها واستغزالها فاذا راى حسن
تدبير اليتيم وحسن تصرفه في الامور مرارا يغلب على الظن رشده دفع اليه
ماله بعد بلوغه ولا يدفع اليه ماله وان كان شيخا يغلب عليه السفه حتى يونس
منه الرشد المسيلة الثانية قال الامام ابو حنيفة تصرفات الصبي العاقل
المميز باذن الولي صحيحة وقال الشافعي هي غير صحيحة واحتج ابو حنيفة على قوله
بهذه الاية وذلك لان قوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح يقتضي ان هذا الابتلا
انما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلا اختبار حاله في جميع تصرفاته فثبت
ان قوله وابتلوا اليتامى امر للاوليا بالاذن لهم في البيع والشرا قبل البلوغ احتج
الشافعي بان قال ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى الاذن لهم في التصرف حال
الصغر بدليل قوله فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وانما يدفع
اليهم اموالهم بعد البلوغ وايناس الرشد فثبت بموجب هذه الاية انه لا يدفع اليه
ماله حال الصغر فوجب ان لا يصح تصرفه حال الصغر وانما المراد من الابتلا هو اختبار
عقله واستبرا حاله في معرفة المصالح والمفاسد المسيلة الثالثة في بيان البلوغ
وذلك باربعة اشيا اثنان يشترك فيهما الرجال والنسا واثنان يختصان بالنسا
اما الذي يشترك فيهما الرجال والنسا فاحدهما السن فاذا استكمل المولود خمس
عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان او جارية ويدل عليه ما روي عن ابن عمر قال عرضت

على رسول الله

على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام احد وانا ابن اربع عشرة سنة فردني ثم عرضت
عليه عام الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فاجازني اخرجاه في الصحيحين وهذا
قول اكثر اهل العلم وقال ابو حنيفة بلوغ الجارية باستكمال سبع عشرة سنة والثاني
الاحتلام وهو انزال المني الدافق سوا انزل باحتلام او جماع واذا وجد ذلك من
الصبي والجارية حكم ببلوغه لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم ولقوله صلى الله
عليه وسلم لمعاذ خذ من كل حالم دينارا اما انبات الشعر الخشن حول الفرج فهو
يدل على البلوغ في اولاد المشركين لما روي عن عطية القرظي قال كنت من سبي
قريظة فكانوا ينظرون فمن انبت الشعر قتل ومن لم ينبت لم يقتل فكنت ممن لم
ينبت وهل يكون ذلك علامة على البلوغ في اولاد المسلمين فيه قولان احدهما انه
يكون بلوغا كما في اولاد المشركين والثاني لا يكون ذلك بلوغا في حق اولاد المسلمين
لانه يمكن الوقوف على مواليد اولاد المسلمين والرجوع الى قول ابائهم بخلاف
الكفار لانه لا يوقف على مواليدهم ولا يقبل في ذلك قول ابائهم لكفرهم فجعل الانبات
الذي هو امارة البلوغ بلوغا في حقهم واما الذي يختص بالنسا فهو الحيض والحبل
فاذا حاضت الجارية بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت
حكم ببلوغها قبل الوضع بستة اشهر لانها اقل مدة الحمل المسيلة الرابعة
في بيان الرشد وهو ان يكون مصلحا في دينه وماله فالصلاح في الدين هو اجتناب
الفواحش والمعاصي التي تسقط بها العدالة والصلاح في المال هو ان لا يكون
مبذرا والتبذير ان ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمدة دنياوية ولا مثوبة اخروية
او لا يحسن التصرف فيغبن في البيع والشرا فاذا بلغ الصبي وهو مفسد لماله ودينه
لم ينفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه في ماله وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة اذا
كان مصلحا لماله زال عنه الحجر وان كان مفسدا لدينه لا يدفع اليه المال حتى يبلغ
خمسة وعشرين سنة غير انه ينفذ تصرفه قبله والقران حجة للشافعي في
استدامة الحجر عليه لان الله تعالى قال فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم
امر بدفع المال بعد البلوغ امر بدفع المال بعد البلوغ وايناس الرشد والفاسق
لا يكون رشيدا وبعد بلوغه خمسا وعشرين سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق
غير رشيد فوجب ان لا يجوز دفع المال اليه كما قبل بلوغ هذا السن المسيلة
الخامسة اذا بلغ الصبي والجارية وانس منه الرشد زال عنه الحجر ودفع اليه
ماله سوا تزوج او لم يتزوج وقال مالك ان كانت امراة لا يدفع اليها المال
ما لم تتزوج فاذا تزوجت دفع اليها مالها ولا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج
ما لم تكبر وتجرب المسيلة السادسة اذا بلغ الصبي رشيدا وزال عنه الحجر
فلو عاد سفيها ينظر فان كان مبذرا لماله حجر عليه وان كان مفسدا في دينه فعلى
وجهين احدهما ان يعاد عليه الحجر كما يستدام اذا بلغ وهو بهذه الصفة والثاني لا
يحجر عليه لان حكم الدوام اقوى من حكم الابتدا وعند ابي حنيفة لا حجر على الحر العاقل

البالغ بحاله والدليل على اثبات الحجر من اتفاق الصحابة ما روي عن هشام بن عروة عن
ابيه ان عبد الله بن جعفر ابتاع ارضا سبخة بستين الف درهم فقال علي لآتين عثمان
ولاحجرن عليك فاتى ابن جعفر الزبير فاعلمه بذلك فقال الزبير انا شريكك
في بيعك فاتى علي عثمان فقال احجر على هذا فقال الزبير انا شريكه فقال عثمان كيف
احجر على رجل في بيع شريكه فيه الزبير فكان ذلك اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير
لدفعه وقوله تعالى فادفعوا اليهم اموالهم قوله تعالى **ولا تاكلوها اسرافا** الخطاب
للاولياء يقول يا معشر الاولياء لا تاكلوا اموال اليتامى بغير حق **وبدارا ان يكبروا**
يعني لا تبادروا كبرهم ورشدهم فتسرفون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي
قبل ان يكبروا فيلزمكم تسليمها اليهم ثم بين تعالى حال الاوليا وقسمهم قسمين
فقال **ومن كان غنيا فليستعفف** اي فليمتنع اي من اكل مال اليتيم ولا يرزاه
قليلا ولا كثيرا **ومن كان فقيرا** يعني محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه **فلياكل
بالمعروف** روى ابو داود عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رجلا اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اني فقير وليس لي شي ولي يتيم فقال كل من مال يتيمك
غير مسرف ولا مبادر ولا متاثل واختلف العلماء في حكم هذه الاية فروي عن
عمر وابن عباس وابن جبير وابي العالية وعبيدة السلماني وابي وايل ومجاهد
ومقاتل انه ياخذ من مال اليتيم على وجه القرض واختلفوا في انه هل يلزمه
القضاء فذهب قوم الى انه يلزمه القضاء اذا ايسر وهو المراد من قوله تعالى
فلياكل بالمعروف القرض اي يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه
فاذا ايسر قضاه وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب اني
انزلت نفسي من مال الله بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان
افتقرت اكلت بالمعروف فاذا ايسرت قضيت وقال قوم لا ضمان عليه ولا قضا
بل يكون ما ياكل كالاجرة له على عمله وهو قول الحسن والشعبي والنخعي وقتادة
قال الشعبي لا ياكله الا ان يضطر اليه كما يضطر الى الميتة ثم القائلون بجواز
الاكل اختلفوا في قوله فلياكل بالمعروف فقال عطا وعكرمة ياكل باطراف
اصابعه ولا يسرف ولا يكتسي ولا يلبس الكتان ولا الحلل لكن ياكل ما يسد
به الجوع ويلبس ما يستر به العورة وقال الحسن ياكل من ثمر نخله ولبن مواشيه
بالمعروف ولا قضا عليه فاما الذهب والفضة فلا ياخذ منه شيا فان اخذ وجب
عليه رده وقال الكلبي المعروف هو ركوب الدابة وخدمة الخادم وليس له ان
ياكل من ماله شيا وروي ان رجلا قال لابن عباس ان لي يتيما وان له ابلا افاشرب
من لبن ابله فقال ابن عباس ان كنت تبغي ضالة ابله وتهنا جرباها وتليط حوضها
وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وقال قوم
المعروف ان ياخذ من ماله بقدر قيامه واجرة عمله ولا قضا عليه وهو قول
عايشة وجماعة من اهل العلم وقوله تعالى **فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم**

هذا

هذا امر ارشاد وليس بواجب امر الله تعالى الولي بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم
بعد البلوغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة لانه اذا كانت عليه بينة كان ابعد
من ان يدعي عدم القبض وظهر بذلك امانة الوصي ويسقط عنه اليمين عند انكار
اليتيم القبض **وكفى بالله حسيبا** يعني محاسبا ومجازيا وشاهدا به قوله
تعالى **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون** نزلت هذه الاية في
اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امراته يقال لها ام كجة وثلاث بنات منها
فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فاخذا ماله
ولم يعطيا امراته ولا بناته شيا من ماله وذلك انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون
النسا ولا الصغير من الذكور وانما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا يعطي الارث الا
من قاتل وحاز الغنيمة وحمى الحوزة فجاءت ام كجة امراة اوس الى رسول الله صلى الله
فقالت يا رسول الله ان اوس بن ثابت مات وترك ثلاث بنات وانا امراته وليس
عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم
يعطياني ولا بناته منه شيا وهن في حجري ولا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ان ولدها لا يركبن فرسا ولا يحملن كلا
ولا ينكين عدوا فانزل الله هذه الاية وبين ان الارث ليس مختصا بالرجال بل
هو امر مشترك فيه الرجال والنسا فقال تعالى للرجال يعني الذكور من اولاد الميت
وعصبته نصيب اي حظ مما ترك الوالدان والاقربون يعني من الميراث **وللنسا
نصيب** يعني وللاناث من اولاد الميت حظ **مما ترك الوالدان والاقربون مما
قل منه او كثر** يعني من المال المخلف عن الميت **نصيبا مفروضا** يعني معلوما والفرض
ما فرضه الله تعالى وهو اكد من الواجب فلما نزلت هذه الاية مجملة ولم يبين كم هو
النصيب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة لا تفرقا من المال
شيا فان الله قد جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى انظر ما ينزل
فيهن فانزل الله تعالى يوصيكم الله في اولادكم الاية فلما نزلت ارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة ان ادفعا الى ام كجة الثمن مما ترك والى بناته الثلثين
ولكما باقي المال قوله عز وجل **واذا حضر القسمة** يعني قسمة الميراث فعلى هذا القول
يكون الخطاب للوارثين **اولوا القربى** يعني القرابة الذين لا يرثون **واليتامى
والمساكين** انما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم **فارزقوهم منه** اي فارضخوا
لهم من المال قبل القسمة فاختلف العلماء في حكم هذه الاية فقال قوم هذه الاية منسوخة
باية المواريث وهذا قبل نزول اية المواريث فلما نزلت اية المواريث جعلت لاهلها
ونسخت هذه الاية وهي رواية مجاهد عن ابن عباس وقول سعيد بن المسيب وعكرمة
والضحاك وقتادة وقال قوم هي محكمة غير منسوخة وهي الرواية الاخرى عن
ابن عباس وهو قول ابي موسى الاشعري والحسن وابي العالية والشعبي وعطا
ابن ابي رباح وسعيد بن جبير ومجاهد والنخعي والزهري ثم اختلف العلما بعد القول

بانها محكمة فهذا الامر امر وجوب او ندب على قولين احدهما واجب فقيل ان كان
الوارث كبيرا عليه ان يرضخ لمن حضر القسمة شيئا من المال بقدر ما تطيب به نفسه
وان كان الوارث صغيرا وجب على الولي ان يعتذر اليهم ويقول اني لا املك هذا المال
وهو لهولاء الضعفاء قال ابن عباس ان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كان الورثة
صغارا اعتذر اليهم فيقول الولي والوصي اني لا املك هذا المال وانما هو للصغار
ولو كان لي منه شيء لاعطيتكم وان يكبروا فسيعرفون حقكم هذا هو القول المعروف
وقال بعضهم هذا حق واجب في مال الصغار والكبار فان كانوا الورثة كبارا تولوا
اعطاءهم بانفسهم وان كانوا صغارا اعطى وليهم وروى محمد بن سيرين ان عبيدة
السلماني قسم اموال الايتام فامر بشاة فذبحت وصنعت طعاما لاجل هذه الاية
قال ولولا هذه الاية لكان هذا من مالي وقال الحسن والنخعي هذا الرضخ مختص بقسمة
الاعيان فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما اشبه ذلك **وقولوا
لهم قولا معروفا** وقيل كانوا يعطون التابوت والاواني ورث الثياب والمتاع
الذي يستحيى من قسمته والقول الثاني ان هذا الامر ندب واستحباب لا على
سبيل الفرض والايجاب وهذا القول هو الاصح الذي عليه العمل اليوم واحتجوا
لهذا القول بانه لو كان هو لاحق معين لبينه الله تعالى كما بين سائر الحقوق
فحيث لم يبين علمنا ان ذلك غير واجب وقيل في معنى الاية ان المراد بالقسمة
الوصية فاذا حضر الوصية من لا يرث من الاقرباء واليتامى والمساكين امر الله
الوصي ان يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية ويقولوا لهم مع ذلك قولا معروفا وهو
ان لا يتبع العطية بالمن والاذى قوله تعالى **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم
ذرية ضعافا** يعني اولادا صغارا **خافوا عليهم** يعني الفقر قيل هذا خطاب للذين
يجلسون عند المريض وقد حضره الموت فيقولون له انظر لنفسك فان اولادك
لا يغنون عنك شيئا قدم لنفسك اعتق وتصدق واعط فلانا فلا يزالون به حتى
ياتي على عامة ماله فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بان يامروه بالنظر لولده ولا يزيد
على الثلث في وصيته ولا يجحف والمعنى كما انكم تكرهون بقاء اولادكم في الضعف
والجوع من غير مال فاخشوا الله ولا تحملوا المريض ان يحرم اولاده الصغار من
ماله وحاصل هذا الكلام كما انك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لاخيك
المسلم وكما انه لو كان هذا القائل هو الوصي لسره ان يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده
ولا يدعهم عالة يتكففون الناس مع ضعفهم وعجزهم وقيل هو الرجل يحضره الموت
ويريد ان يوصي بشيء فيقول له من حضره من الرجال اتق الله وامسك اموالك لولدك
فيمنعوه من الوصية لاقاربه المحتاجين وقيل الاية تحتمل ان تكون خطابا لمن
حضر اجله ويكون المقصود نهيه عن تكثير الوصية لئلا يبقى ورثته فقراء ضعافا
ضائعين بعد موته ثم ان كانت هذه الاية نزلت قبل تقدير الثلث كان المراد منها
ان لا يجعل الوصية مستغرقة للتركة وان كانت قد نزلت بعد تقدير الثلث

كان

كان المراد منها ان يوصي بالثلث او باقل منه ان خاف على ورثته كما روي عن كثير من
الصحابة انهم اوصوا بالتقليل لاجل ذلك وكانوا يقولون الخمس في الوصية افضل
من الربع والربع افضل من الثلث وقد ورد في الصحيح الثلث والثلث كثير
لان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس يعني يسالونهم
باكفهم وقيل هو خطاب لاولياء اليتامى والمعنى وليخش من خاف على ولده من بعد
موته ان يضيع مال اليتيم الضعيف الذي هو ذرية غيره اذا كان في حجره والمقصود
من الاية ان من كان في حجره يتيم فليحسن اليه وليه او وصيه وليفعل به ما يجب
ان يفعل باولاده من بعده **فليتقوا الله** يعني في الامر الذي تقدم ذكره
**وليقولوا قولا سديدا** يعني عدلا وصوابا فالقول السديد من الجالسين
عند المريض هو ان يامروه ان يتصدق بدون الثلث ويترك الباقي لولده وورثته
وان لا يحيف في وصيته والقول السديد من الاوصياء واولياء اليتامى ان
يكلموهم كما يكلمون اولادهم ولا يؤذوهم بقول ولا فعل قوله عز وجل **ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما** قال مقاتل وابن حيان نزلت في رجل من غطفان
يقال له مرثد بن زيد ولي مال ابن اخيه وكان اليتيم ابن اخيه فاكله فانزل الله هذه
الاية ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما يعني حراما بغير حق **انما ياكلون في
بطونهم نارا** يعني سياكلون يوم القيامة فسمي الذي ياكلونه نارا بما يؤول
اليه امرهم يوم القيامة قال السدي يبعث اكل اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار
يخرج من فيه ومن مسامعه واذنيه وعينيه وانفه يعرفه من راه باكل مال
اليتيم وفي حديث ابي سعيد الخدري قال حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة
اسري به قال نظرت فاذا انا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم
من ياخذ بمشافرهم ثم يجعل في افواههم صخرا من نار فقلت يا جبريل من هؤلاء
قال الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وقيل انما ذكر
الاكل النار على سبيل التمثيل والتوسع في الكلام والمراد ان اكل مال اليتيم ظلما
يفضي به الى النار وانما خص الاكل بالذكر وان كان المراد سائر انواع الاتلافات
وجميع التصرفات الردية المتلفة للمال لان الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فعبر
عن جميع ذلك بالاكل لانه معظم المقصود وانما ذكر البطون للتاكيد فهو كقولك
رايت بعيني وسمعت باذني **وسيصلون سعيرا** يعني باكلهم اموال اليتامى ظلما
والسعير النار الموقدة المسعرة فلما نزلت هذه الاية ثقل ذلك على الناس واحترزوا
من مخالطة اليتامى واموالهم بالكلية فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله وان
تخالطوهم فاخوانكم وقد توهم بعضهم ان قوله وان تخالطوهم ناسخ لهذه الاية
وهذا غلط ممن توهمه لان هذه الاية واردة في المنع من اكل اموال اليتامى ظلما وهذا
لا يصير منسوخا لان اكل مال اليتيم بغير حق من اعظم الاثام وقوله وان تخالطوهم
فاخوانكم فانها واردة على سبيل الاصلاح في اموال اليتامى والاحسان اليهم ومن

اعظم الغرب قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين اختلف
العلما في سبب نزول هذه الاية فروي عن جابر قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعودني وابو بكر وهما يمشيان فوجداني اغمي علي فتوضا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم صب وضوءه علي فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم جالس فقلت يا
رسول الله كيف اصنع في مالي كيف اقضي في مالي فلم يجبني بشي حتى نزلت اية الميراث
وفي رواية فقلت لا يرثني الا كلالة فكيف الميراث فنزلت اية الفرايض وفي رواية
اخرى فلم يرد علي بشي حتى نزلت اية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم اخرجه
البخاري ومسلم وقال مقاتل والكلبي نزلت في ام كجة امراة اوس بن ثابت وبناته
وقال عطا نزلت في سعد بن الربيع النقيب استشهد يوم احد وترك امراة وبنتين
واخا و عن جابر رضي الله عنه قال جاءت امراة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع
قتل ابوهما معك يوم احد شهيدا وان عمهما اخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا تنكحان
الا ولهما مال قال يقضي الله في ذلك فنزلت اية الميراث فبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى عمهما فقال اعط ابنتي سعد الثلثين واعط امهما الثمن وما بقي فهو لك
اخرجه الترمذي وقال السدي كان اهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفا
من الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من اطاق القتال فمات عبد الرحمن اخو حسان
الشاعر وترك امراة وخمس بنات فجاءت الورثة واخذوا ماله فشكت امراته الى
النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية الكريمة وقبل الشروع في تفسير هذه
الاية الكريمة نقدم فصولا تتضمن احكام الفرايض واصول قواعدها **فصل**
في الحث على تعليم الفرايض اعلم ان علم الفرايض من اعظم العلوم قدرا واشرفها
ذخرا وافضلها ذكرا وهو ركن من اركان الشريعة وفرع من فروعها في الحقيقة
اشتغل الصدر الاول من الصحابة بتحصيلها وتكلموا في فروعها واصولها ويكفي في
فضلها ان الله عز وجل تولى قسمتها بنفسه وانزلها في كتابه مبينة في محكم
قدسه وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيما رواه ابو هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرايض والقران وعلموا الناس فاني
مقبوض اخرجه الترمذي وقال فيه اضطراب واخرجه احمد بن حنبل وزاد فيه
فاني امرؤ مقبوض والعلم مرفوع ويوشك ان يختلف اثنان في الفريضة فلا
يجدان احدا يخبرهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرايض
وعلموها فانه نصف العلم وانه اول علم ينسى وهو اول شي ينزع من امتي اخرجه ابن ماجه
والدارقطني **فصل** في بيان احكام الفرايض اذا مات الميت وله مال يبدو
بتجهيزه من ماله ثم تقضى ديونه ان كان عليه دين ثم انفاذ وصاياه وما فضل
بعد ذلك من ماله يقسم بين ورثته والوارثون من الرجال عشرة الابن وابن
الابن وان سفل والاب والجد وان علا والاخ سوا كان لاب وام او لاب او لام وابن





الاخ للاب والام او للاب وان سفل والعم للاب والام او للاب وابناهما وان سفلوا
والزوج والمعتق والوارثات من النسا سبع البنت وبنت الابن وان سفلت
والام والجدة وان علت والاخت من كل الجهات والزوجة والمعتقة وستة من
هولا لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير وهم الابوان والولدان والزوجان لانه
ليس بينهم وبين الميت واسطة ثم الورثة ثلاثة اصناف صنف يرث بالفرض المجرد
وهم الزوجان والبنات والاخوات والامهات والجدات واولاد الام وصنف
يرث بالتعصيب وهم البنون والاخوة وبنوهم والاعمام وبنوهم وصنف
يرث بالتعصيب تارة وبالفرض اخرى وهما الاب والجد فيرث بالتعصيب اذا لم
يكن للميت ولد فان كان له ابن ورث الاب بالفرض السدس وان كانت بنت ورث
السدس بالفرض واخذ الباقي بالتعصيب والعصبة اسم لمن ياخذ جميع المال
اذا انفرد وياخذ ما فضل عن اصحاب الفرايض **فصل** واسباب الارث
ثلاثة نسب ونكاح وولا فالنسب القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح هو ان
يرث احد الزوجين من صاحبه بسبب النكاح والولا ان المعتق وعصباته يرثون
المعتق والاسباب التي تمنع الميراث اربعة اختلاف الدين فالكافر لا يرث المسلم
ولا المسلم يرث الكافر لما روي عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر اخرجاه في الصحيحين فاما الكفار
فيرث بعضهم بعضا مع اختلاف مللهم واديانهم لان الكفر كله ملة واحدة وذهب
بعضهم الى ان اختلاف الملل والكفر يمنع التوارث ايضا حتى لا يرث اليهودي من
النصراني ولا النصراني من المجوسي والى هذا ذهب الزهري والاوزاعي واحمد
واسحاق لما روي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث بين اهل
ملتين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث اهل ملتين شتى اخرجه ابو داود
حمله اخرون على الاسلام والكفر لان الكفر عندهم ملة واحدة فتورث بعضهم
من بعض لا يكون فيه اثبات التوارث بين ملتين شتى والرق يمنع الارث
لان الرقيق ملك ولا ملك له فلا يرث ولا يورث والقتل يمنع الارث عمدا كان
القتل او خطا لما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاتل لا يرث
اخرجه الترمذي وقال هذا حديث لا يصح والعمل عليه عند اهل العلم ان القاتل
لا يرث سوا كان القتل عمدا او خطا وقال بعضهم اذا كان القتل خطا فانه يرث وهو
قول مالك وعمي الموت وهو ان يخفى موت المتوارثين وذلك بان غرقا او انهدم عليهما
بنا فلم يدر ايهما سبق موته فلا يرث احدهما الاخر بل يكون كل واحد منهما لمن كان في
حياته يقينا بعد موته من ورثته **فصل** والسهام المحدودة في
الفرايض المذكورة في كتاب الله عز وجل ستة النصف والربع والثمن والثلثان
والثلث والسدس فالنصف فرض خمسة فرض الزوج عند عدم الولد وفرض

وفرض البنت الواحدة للصلب او بنت الابن عند عدم بنت الصلب وفرض الاخت الواحدة
للاب والام اذا لم يكن ولد لاب وام والربع فرض الزوج مع الولد وفرض الزوجة مع
عدم الولد والثمن فرض الزوجة مع الولد والثلثان فرض البنتين فصاعدا او بنات
الابن عند عدم ولد الصلب وفرض الاختين فصاعدا للاب والام او للاب والثلث
فرض ثلاثة فرض الام اذا لم يكن للميت ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا في
مسئلتين احداهما زوج وابوان والاخرى زوجة وابوان فان للام فيهما ثلث الباقي
بعد نصيب الزوج او الزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من اولاد الام ذكرهم وانثاهم
فيه سوا وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن في المسئلة صاحب فرض وكان الثلث
للجد خيرا من المقاسمة مع الاخوة والسدس فرض سبعة فرض الاب اذا كان للميت
ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد او ولد ابن او اثنان من الاخوة والاخوات وفرض
الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة اذا كان في المسئلة صاحب فرض وكان السدس
خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من ولد
الام ذكرا كان او انثى وفرض بنات الابن مع بنت الصلب تكملة الثلثين وفرض
الاخوات للاب مع الاخت للاب والام تكملة الثلثين ق عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى رجل ذكر خ عن
ابن عباس قال كان المال للولد والوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما احب
فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس والثلث
وجعل للمراة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع **فصل** روي عن زيد
ابن ثابت قال ولد الابناء بمنزلة الابناء اذا لم يكن دونهم ابن ذكرهم كذكرهم وانثاهم
كانثاهم يرثون كما يرثون ويحجبون كما يحجبون ولا يرث ولد ابن مع ابن ذكر فان ترك
ابنة وابن ابن ذكر كان للبنت النصف ولابن الابن ما بقي لقوله صلى الله عليه وسلم الحقوا
الفرائض باهلها فما بقي فهو لاولى رجل ذكر ففي هذا الحديث دليل على ان بعض الورثة
يحجب البعض والحجب حجبان حجب نقصان وحجب حرمان اما الاول وهو حجب النقصان
فهو ان الولد وولد الابن يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى
الثمن والام من الثلث الى السدس وكذلك الاثنان من الاخوة والاخوات يحجبون
الام من الثلث الى السدس واما الثاني وهو حجب الحرمان فهو ان الام تسقط
الجدات واولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون باربعة بالاب والجد وان علا وبالولد
وولد الابن واولاد الاب والام وهم الاخوة للاب والام يسقطون بثلاثة
بالاب والابن وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد بن ثابت
وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال مالك والاوزاعي والشافعي
والجد واولاد الاب يسقطون بهولاء الثلاثة وبالاب والاخ للاب والام وذهب قوم
الى ان الاخوة يسقطون جميعا بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول ابي بكر الصديق
وابن عباس ومعاذ وابي الدرداء وعايشة وبه قال الحسن وعطاء وطاوس وابو حنيفة



والاقرب من العصبات يسقط الابعد منهم فاقربهم الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب
ثم الجد وان علا فان كان مع الجد احد من الاخوة والاخوات للاب والام او للاب يشتركان
في الميراث فان لم يكن جد فللاخ للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنوا الاخوة يقدم اقربهم
سوا كان لاب وام او لاب فان استويا في الدرجة فالذي هو لاب وام اولى ثم العم لاب
وام ثم لاب ثم بنوهم على ترتيب بني الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد على هذا الترتيب فان لم
يكن احد من عصبات النسب وعلى الميت ولاء فالميراث للمعتق فان لم يكن حيا فلعصبات
المعتق واربعة من الذكور يعصبون الاناث الابن وابن الابن والاخ للاب فلو مات عن ابن
وبنت او عن اخ واخت لاب وام او لاب يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ولا
يفرض للبنت والاخت وكذلك ابن الابن يعصب من في درجته من الاناث ومن فوقه اذا لم
ياخذ من الثلثين شيئا حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان ولا شي لبنت
الابن فان كان في درجتها ابن ابن او اسفل منها ابن ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ
الانثيين والاخت للاب والام او للاب تكون مع البنت عصبة حتى لو مات عن بنت واخت
كان للبنت النصف والباقي وهو النصف للاخت ولو مات عن بنتين واخت كان للبنتين
الثلثان والباقي للاخت ويدل عليه ما روي عن هزيل بن شرحبيل قال سئل ابو موسى
عن ابنة وابنة ابن واخت فقال للابنة النصف وللاخت النصف وات ابن مسعود
فسيتابعني فسئل ابن مسعود واخبر بقول ابي موسى فقال ابن مسعود لقد ضللت
اذا وما انا من المهتدين ثم قال اقضي فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم للابنة النصف
ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللاخت فاخبر ابو موسى بقول ابن مسعود
فقال لا تسالوني ما دام هذا الحبر فيكم اخرجه البخاري واما التفسير فقوله تعالى
يوصيكم الله اي يعهد اليكم ويفرض عليكم في اولادكم يعني في امر اولادكم اذا متم والوصية
من الله ايجاب وانما بدا الله تعالى بذكر ميراث الاولاد لان تعلق قلب الانسان بولده
اشد من تعلقه بغيره فلهذا قدم الله ذكر ميراثهم للذكر مثل حظ الانثيين يعني
ان الولد الذكر له من الميراث ضعف سهام الانثى فللذكر سهمان وللانثى سهم فلو حصل
مع الاولاد غيرهم من الورثة من اهل الفروض كالابوين اخذوا فروضهم وما بقي بعد
ذلك كان بين الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين فان كن يعني المتروكات من الاولاد
نساء فوق اثنتين يعني بنتين فصاعدا فلهن ثلثا ما ترك واجمعت الامة
على ان للبنتين الثلثين الا ما روي عن ابن عباس انه ذهب الى ظاهر الاية وقال الثلثان
فرض الثلاث من البنات لان الله تعالى قال فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك
فجعل الثلثين للنساء اذا زدن على البنتين وعنده ان فرض البنتين النصف كفرض
الواحدة واجيب عنه بوجوه فيها حجة لمذهب الجمهور ايضا الوجه الاول ان الله
تعالى قال وان كانت واحدة فلها النصف فجعل النصف للواحدة وذلك ينفي حصول
النصف نصيبا للبنتين الوجه الثاني ان في الاية تقديما وتاخيرا فالتقدير
فان كن نساء اثنتين فما فوقهما فلهن الثلثان الوجه الثالث ان لفظة فوقهما

صلة والتقدير فان كن نساء اثنتين فهو كقوله فاضربوا فوق الاعناق يعني
فاضربوا الاعناق وانما سمي الاثنتين نساء بلفظ الجمع لان العرب تطلق على الاثنين
جماعة بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما الوجه الرابع قال علماء الجمهور انما اعطينا
البنتين الثلثين ثبتا وبدا القران لان الله تعالى جعل للبنت الواحدة النصف
بقوله تعالى وان كانت واحدة فلها النصف وجعل للاخت الواحدة النصف بقوله
ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ثم جعل للاختين الثلثين
بقوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان فلما جعل للاختين الثلثين علمنا ان
للبنتين الثلثين قياسا على الاختين الوجه الخامس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قضى بالثلثين لابنتي سعد بن الربيع وهذا نص واضح في المسئلة وقوله تعالى
**وان كانت واحدة** يعني البنت واحدة **فلها النصف** يعني فرضا لها **ولابويه**
يعني ابوي الميت كناية عن غير مذكور وهما والداه **لكل واحد منهما السدس مما**
**ترك ان كان له ولد** يعني ان للاب والام مع وجود الولد وولد الابن لكل واحد منهما
سدس الميراث واعلم ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى فاذا مات الميت وترك
ابوين وولدا ذكرا واحدا كان او اكثر او ترك بنات فان للام السدس بالفرض وللاب
السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالتعصيب وهو الباقي
من التركة وله مع البنت الواحدة السدس بالفرض والباقي بالتعصيب **فان لم يكن**
**له ولد** يعني الميت **وورثه ابواه فلامه الثلث** يعني ان الميت اذا مات عن ابوين
وليس له وارث سواهما فان للام تاخذ الثلث بالفرض وياخذ الاب الباقي المال
بالفرض والتعصيب فيكون المال بينهما اثلاثا للذكر مثل حظ الانثيين فان كان
مع الابوين احد الزوجين فيفرض للام ثلث الباقي بعد نصيب الزوج والزوجة **فان**
**كان له** يعني للميت **اخوة** يعني ذكورا او اناثا **فلامه السدس** يعني لام الميت
سدس التركة اذا كان معها اب واجمع العلماء على ان الثلاثة يحجبون الام من الثلث
الى السدس وان الاخ الواحد والاخت الواحدة لا تحجب الام من الثلث الى السدس
واختلفوا في الاخوين فالاكثرون من الصحابة يقولون ان الاخوين يحجبان الام من
الثلث الى السدس وهذا قول عمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس
لا تحجب الاخوة الام من الثلث الى السدس الا ان يكونوا ثلاثة قال ابن عباس
لعثمان لم صار الاخوان يردان الام من الثلث الى السدس وانما قال الله تعالى
فان كان له اخوة والاخوان في لسان قومك ليسا باخوة فقال عثمان يا بني ان
قومك حجبوها باخوين ولا استطيع نقض امر قد كان قبلي وانما نشا هذا الخلاف
لانهم اختلفوا في اقل الجمع وفيه قولان احدهما ان اقل الجمع اثنان وهو قول
القاضي ابو بكر الباقلاني ووجه هذا القول انك اذا جمعت واحدا الى واحد
فهما جماعة لان اصل الجمع ضم شيء الى شيء وقال ابن الانباري التثنية عند
العرب اول الجمع ومشهور في كلامهم ايقاع الجمع على التثنية فمن ذلك قوله

تعالى



تعالى وكنا لحكمهم شاهدين وهما داود وسليمان ومنه قوله تعالى فقد صغت قلوبكما
يريد قلباكما والقول الثاني ان اقل الجمع ثلاثة وهو قول جمهور العلماء وهو الاصح انما
حجب العلماء الام بالاخوين لدليل اتفقوا عليه وهو ان لفظ الاخوة يطلق على الاخوين
فما زاد وذلك جائز في اللغة كما تقدم ثم ان الاخوة اذا حجبوا الام من الثلث الى السدس
فانهم لا يرثون شيئا البتة بل ياخذ الاب الباقي كرجل مات عن ابوين واخوين فان للام
السدس والباقي وهو خمسة اسداس للاب سدس بالفريضة والباقي بالتعصيب
قال قتادة وانما حجبت الاخوة الام من غير ان يرثوا مع الاب شيئا معونة للاب لانه
يقوم بشانهم وينفق عليهم دون الام **من بعد وصية يوصي بها او دين** يعني ان هذه
الانصبة والسهام انما تقسم بعد قضاء الدين وانفاذ وصية المومن في ثلثه وذكر
الوصية مقدم على الدين في اللفظ لا في الحكم لان لفظة او لا توجب الترتيب وانما هي
لاحد الشيئين كانه قال من بعد احد هذين مفردا او مضموما الى الاخر قال علي رضي الله
عنه انكم تقرون الوصية قبل الدين وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين قبل
الوصية وهذا اجماع ان الدين مقدم على الوصية والارث موخر عنهما لان الدين
حق على الميت والوصية حق له وهما يتقدمان على حق الورثة قوله تعالى **اباؤكم**
**وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا** قيل هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم
وبين قوله فريضة من الله ولا تعلق لمعناه بمعنى الاية ومعنى هذا الكلام في قول ابن
عباس ان الله عز وجل يشفع المومنين بعضهم في بعض فاطوعكم لله من الاباء والابناء
ارفعكم درجة فان كان الوالد ارفع درجة من ولده رفع الله ولده وان كان الولد
ارفع درجة من والديه رفع الله اليه والديه لتقر بذلك اعينهم ثم
قال تعالى لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا لان احدهما لا يعرف منفعة صاحبه له في
الجنة وسيفتقد الى منزلة عالية تكون سببا لرفعته اليها وقيل ان هذا كلام ليس
معترضا بينهما ومعناه متعلق بمعنى الاية يقول اباؤكم وابناؤكم يعني الذين يرثونكم
لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون ايهم انفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من
يظن ان الاب انفع له فيكون الابن انفع له ومنكم من يظن ان الابن انفع له فيكون
الاب انفع له ولكن الله تعالى هو الذي دبر امركم على ما فيه المصلحة لكم فاتبعوه ولو
وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم فتعطون من لا يستحق ما لا يستحق من الميراث
ومنعتم من يستحق الميراث **فريضة من الله** يعني ما قدر من المواريث لاهلها
فريضة واجبة **ان الله كان عليما حكيما** يعني كان عليما بالاشياء قبل خلقها
حكيما فيما قدر من الفرايض وفرض من الاحكام وقيل معناه عليما بخلقه قبل ان يخلقهم
حكيما حيث فرض للصغار مع الكبار ولم يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل
وفي معنى لفظة كان ثلاثة اقوال احدها ان الله تعالى كان عليما بالاشيا قبل خلقها
ولم يزل كذلك الثاني حكى الزجاج عن سيبويه انه قال ان القوم لما شاهدوا
علما وحكمة ومغفرة وفضلا قيل لهم ان الله كان كذلك ولم يزل الله على ما شاهدتم

الثالث قال الخليل الخبر عن الله عز وجل بمثل هذه الاشيا كالخبر بالحال والاستقبال
لان صفات الله تعالى لا يجوز عليها الزوال والتقلب قوله عز وجل ولكم نصف ما
ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد
وصية يوصين بها او دين هذا ميراث الازواج من الزوجات وقال تعالى في ميراث
الزوجات من الازواج ولهن يعني للزوجات الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد
فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين لما جعل الله
في الموجب النسبي للرجل مثل حظ الانثيين جعل الله في الموجب السببي للرجل مثل
حظ الانثيين واعلم ان الواحدة من النسا لها الربع او الثمن وكذلك لو كن اربع
زوجات فانهن يشتركن في الربع او الثمن واسم الولد يطلق على الذكر والانثى ولا فرق بين
الولد وولد الابن وولد البنت في ذلك وسوا كان الولد للرجل من الزوجة او
من غيرها قوله تعالى وان كان رجل يورث كلالة او امراة تقدير الاية وان كان
رجل او امراة يورث كلالة واختلفوا في الكلالة فذهب اكثر الصحابة على
ان الكلالة من لا ولد له ولا والد روي الشعبي قال سيل ابو بكر الصديق عن
الكلالة فقال ساقول فيها قولا برايي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطا
فمني ومن الشيطان اراه ما خلا الولد والوالد فلما استخلف عمر قال اني لاستحي
الله ان ارد شيا قاله ابو بكر وهذا قول علي وابن مسعود وزيد بن ثابت واحدى
الروايتين عن عمر وابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل على صحته
ان اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة بينهم
فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه وقيل ان الكلالة في اصل اللغة
عبارة عن الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطته بالراس فمن عدا الوالد والولد
من القرابة انما سموا كلالة لانهم كالدايرة المحيطة بالانسان اما نسبة
الولادة فليست كذلك لان فيها تفرع البعض عن البعض وتولد البعض عن البعض
فهو كالشي الواحد الذي يتزايد على نسق واحد فاما القرابة المغايرة لقرابة
الولادة وهم الاخوة والاخوات والاعمام والعمات وغيرهم فانما يحصل نسبهم
انفا للاحاطة بالمنسوب اليه فثبت بذلك ان الكلالة عبارة عمن عدا
الوالد والولد والرواية الاخرى عن عمر وابن عباس ان الكلالة من لا ولد له
وبه قال طاوس واحتج لهذا القول بقوله تعالى قل الله يفتيكم في الكلالة
ان امرو هلك ليس له ولد وبيانه عند عامة العلما ماخوذ من حديث جابر بن عبد الله
لان الاية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها اب ولا ابن لان اباه قتل يوم
احد واية الكلالة نزلت في اخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم فصار شان
جابر بيانا لمراد الاية التي نزلت في اخر السورة لنزولها فيه واختلفوا في
ان الكلالة اسم لمن فمنهم من قال هو اسم للميت وهو قول علي بن ابي طالب
وابن مسعود وابن عباس لانه مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه وقيل





هو اسم للحي من الورثة وهو قول ابي بكر الصديق وعليه جمهور العلما الذين قالوا
ان الكلالة من دون الوالد والولد ويدل عليه حديث جابر انما ترثني كلالة
اي يرثني ورثة ليسوا بولد ولا والد فان كان المراد بالكلالة الميت الموروث
فالمراد به غير الوالد والولد وان كان المراد الوارثين فهم غير الوالد
والولد وقال ابن زيد الكلالة الذي لا ولد له ولا والد والحي والميت كلهم
كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة وقال ابو الخير سال رجل عقبة
عن الكلالة فقال الا تعجبون من هذا يسالني عن الكلالة وما اعضل باصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم شي ما اعضلت بهم الكلالة ق عن عمر قال ثلاث وددت
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ننتهي اليه الجد والكلالة
وابواب من ابواب الربا وهذا طرف حديث ذكر في الخمر ق عن معدان بن ابي طلحة
قال خطب عمر بن الخطاب فقال اني لا ادع بعدي شيا اهم عندي من الكلالة ما
راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شي ما راجعته في الكلالة وما اغلظ لي
في شي ما اغلظ لي في الكلالة حتى طعن باصبعه في صدري وقال يا عمر الا تكفيك
اية الصيف التي في اخر النسا واني ان اعش اقض فيها بقضية يقضي بها من يقرا
القران ومن لا يقرا القران لفظ مسلم قوله الا تكفيك اية الصيف اراد ان الله
انزل في الكلالة ايتين احداهما في الشتا وهي التي في اول سورة النسا والاية
الاخرى في الصيف وهي التي في اخر السورة وفيها من البيان ما ليس في اية الشتا
فلذلك احاله عليها وقوله تعالى وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس
اراد به الاخ والاخت للام باتفاق العلما وقرا سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت
من ام فان قلت ان الله تعالى قال فان كان رجل يورث كلالة او امراة ثم قال
تعالى وله اخ فذكر الرجل ولم يذكر المراة فما السبب فيه قلت هذا على عادة
العرب فانهم اذا ذكروا اسمين ثم اخبروا عنهما فكانا في الحكم سوا ربما اضافوا
احدهما الى الاخر وربما اضافوا اليهما فهو كقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة
ثم قال تعالى وانها لكبيرة وقال الفرا اذا جا حرفان بمعنى واحد جاز اسناد التفسير
الى ايهما اريد ويجوز اسناده اليهما ايضا فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركا في الثلث
وهذا اجماع العلما ان اولاد الام اذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون في الثلث
ذكرهم وانثاهم فيه سوا قال ابو بكر الصديق في خطبته الا ان الاية التي انزل الله
في اول سورة النسا في شان الفرايض انزلها في الولد والوالد والام والاية
الثانية في الزوج والزوجة والاخوة من الام والاية الثالثة التي ختم الله
بها سورة النسا في الاخوة والاخوات من الاب والام والاية التي ختم بها
سورة الانفال انزلها الله في اولي الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله
وقوله تعالى من بعد وصية يوصى بها او دين تقدم تفسيره وبقي شي من الاحكام
نذكره هنا وذلك ان ظاهر الاية يدل على جواز الوصية بكل المال وببعضه وفي

معنى الآية ما روي عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد ان يوصي به ان
يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع
سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ذلك الا وعندي وصيتي مكتوبة اخرجاه في الصحيحين فظاهر الآية
والحديث ما يدل على اطلاق الوصية لكن ورد في السنة ما يدل على تقييد هذا
المطلق وتخصيصه وهو قوله صلى الله عليه وسلم في حديث سعد بن ابي وقاص فقال
الثلث والثلث كثير انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون
الناس اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان الوصية لا تجوز باكثر من
الثلث وان النقصان عن الثلث جائز ولا تجوز الوصية لوارث ويدل عليه ما
روي عن عمرو بن خارجة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله
عز وجل اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر اخرجه
الترمذي والنسائي عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث اخرجه ابو داود وقوله
تعالى **غير مضار** يعني غير مدخل الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية
وهو ان يوصي باكثر من الثلث وقيل هو ان يوصي بدين ليس عليه ويقر بماله
او اكثر ماله لاجنبي ويترك ورثته عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما
الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرأ ابو هريرة من بعد وصية
يوصى بها او دين الى قوله ذلك الفوز العظيم اخرجه ابو داود والترمذي
وقال قتادة كره الله تعالى الضرار في الحياة وعند الموت فنهى عنه وقدم فيه
وقيل ان الاضرار في الوصية من الكبائر لان مخالفة امر الله عز وجل كبيرة
وقد نهى الله عن الاضرار في الوصية فدل على ان ذلك من الكبائر واعلم ان الاولى
بالانسان ان ينظر عند الموت في قدر ما يخلف من المال ومن يخلف من الورثة
ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان كان ماله قليلا وفي الورثة كثرة فالاولى
به ان لا يوصي بشيء لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابي وقاص انك ان تذر
ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس وان كان في المال كثرة
اوصى بحسب المال وبحسب الورثة وحاجتهم بعده في القلة والكثرة وقوله
تعالى **وصية من الله** اي فريضة من الله وقيل عهدا من الله اليكم فيما يجب لكم
من ميراث من مات منكم **والله عليم** يعني انه تعالى عالم بمصالح عباده ومضارهم
وما يفرض عليهم من الاحكام وقيل عليم بمن يجور في وصيته وبمن لا يجور **حليم**
يعني انه تعالى ذو حلم وذو اناة في ترك العقوبة عمن جار في وصيته وقال ابو
سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه

جهل





جهل جاهل والحليم هو الصفوح مع القدرة المتاني الذي لا يعجل بالعقوبة قوله
عز وجل **تلك حدود الله** يعني الاحكام التي تقدم ذكرها في هذه السورة
من مال اليتامى والوصايا والانكحة والمواريث وانما سماها حدودا لان الشرائع
كالحدود المضروبة للمكلفين فلا يجوز لهم ان يتجاوزها وقال ابن عباس يريد
ما حد الله من فرايضه **ومن يطع الله ورسوله** يعني في شان المواريث ورضي
بما قسم الله وحكم عليه **يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله** يعني في شان المواريث ولم يرض بقسمة
الله ورسوله **ويتعد حدوده** يعني ويتجاوز ما امر الله تعالى **يدخله نارا خالدا
فيها وله عذاب مهين** فان قلت كيف قطع للعاصي بالخلود في النار في
هذه الآية وهل فيها دليل للمعتزلة على ان قولهم ان العصاة والفساق من اهل
الايمان يخلدون في النار قلت قال الضحاك المعصية هنا الشرك وروي
عكرمة عن ابن عباس في معنى الآية من لم يرض بقسمة الله ويتعد ما قال الله
يدخله نارا وقال الكلبي يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدود الله استحلالا
اذا ثبت ذلك فمن رد حكم الله ولم يرض بقسمته كفر بذلك فان كفر كان
حكمه حكم الكفار في الخلود في النار اذا لم يتب قبل موته واذا مات وهو
مصر على ذلك كان مخلدا في النار بكفره فلا دليل في الآية للمعتزلة والله
اعلم قوله تعالى **واللاتي** هو جمع التي وهي كلمة يخبر بها عن المؤنث خاصة ..
**يأتين الفاحشة** يعني يفعلن الفاحشة يقال اتيت امرا قبيحا اذا فعلته
والفاحشة في اللغة الفعلة القبيحة وقيل الفاحشة عبارة عن كل فعل
او قول يعظم قبحه في النفوس ويقبح ذكره في الالسنة حتى يبلغ الغاية
في جنسه وذلك مخصوص بشهوة الفرج الحرام ولذلك اجمعوا على ان الفاحشة
هاهنا هي الزنا وانما سمي الزنا فاحشة لزيادة قبحه **من نسائكم** قيل من الزوجات
وقيل المراد بهن جنس النساء **فاستشهدوا عليهن اربعة منكم** يعني
من المسلمين وهذا خطاب للازواج اي اطلبوا اربعة من الشهود يشهدوا عليهن
وقيل هو خطاب للحكام اي اسمعوا شهادة اربع عليهن ويشترط في هذه الشهود
العدالة والذكورة قال عمر ابن الخطاب انما جعل الله الشهود اربعة سترا يستركم
به دون فواحشكم **فان شهدوا** يعني الشهود بالزنا **فامسكوهن في البيوت**
اي فاحبسوهن في البيوت والحكمة في حبسهن ان المرأة انما تقع في الزنا
عند الخروج والبروز للرجال فاذا حبست في البيت لم تقدر على الزنا
**حتى يتوفاهن الموت** يعني يتوفاهن ملائكة الموت عند انقضاء اجالهن
**او يجعل الله لهن سبيلا** وهذا الحكم كان في اول الاسلام قبل نزول الحد
وكانت المرأة اذا زنت حبست في البيت حتى تموت ثم نسخ الحبس بالحدود
وجعل الله لهن سبيلا **م** عن عبادة بن الصامت ان نبي الله صلى الله عليه وسلم

اذا نزل عليه حكم كرب لذلك وتربد وجهه فانزل الله عليه ذات يوم فبقي كذلك
فلما سري عنه قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة
ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم **فصل** اتفق العلما
على ان هذه الاية منسوخة ثم اختلفوا في ناسخها فذهب بعضهم الى ان ناسخها
هو حديث عبادة بن الصامت المتقدم وعلى هذا مذهب من يرى نسخ القران
بالسنة وذهب بعضهم الى ان الاية منسوخة باية الحد التي في سورة النور
وقيل ان الاية منسوخة بالحديث والحديث منسوخ باية الجلد وقال ابو
سليمان الخطابي لم يحصل النسخ في هذه الاية ولا في الحديث وذلك لان قوله
تعالى فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا يدل
على امساكهن في البيوت ممدود الى غاية ان يجعل الله لهن سبيلا وان ذلك
السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا
الحديث فصار هذا الحديث بيانا لتلك الاية المجملة لا ناسخا لها واجمع العلما
على جلد البكر الزاني مائة ورجم المحصن وهو الذي اجتمع فيه اربعة اوصاف البلوغ
والعقل والحرية والاصابة في نكاح صحيح وهو الثيب واختلفوا في جلد الثيب
ورجمه فذهب طايفة الى انه يجب الجمع بينهما وبه قال علي ابن ابي طالب رضي
الله عنه والحسن واسحاق بن راهويه وداود واهل الظاهر وروي عن علي
ابن ابي طالب انه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة وقال
جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماهير
العلما الواجب على المحصن الزاني الرجم وحده لان النبي صلى الله عليه وسلم رجم
ماعزا والغامدية ولم يجلدهما واما تغريب البكر الزاني ونفيه سنة فمذهب
الشافعي وجماهير العلما وجوب ذلك وقال ابو حنيفة وحماد لا يقضي بالنفي
لحد الا ان يراه الحاكم تعزيرا وقال مالك والاوزاعي لا نفي على النسا ويروي
مثله عن علي قال لان المراة عورة وفي نفيها تضييع لها وتعريض لها للفتنة وحجة
الشافعي وجماهير العلما ظاهر حديث عبادة بن الصامت وهو قوله صلى الله
عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة وروي نافع عن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وان ابا بكر ضرب وغرب وان عمر ضرب وغرب
وان كان الزاني عبدا فعليه خمسين وفي تغريبه قولان فان قلنا انه يغرب
ففيه قولان اصحهما انه يغرب نصف سنة قياسا على حده وان كان الزاني
مجنونا او غير بالغ فلا حد عليه قوله عز وجل **واللذان** فهو تثنية الذي
**ياتيانها** يعني ياتيان الفاحشة **منكم** يعني من رجالكم ونسايكم وقيل هما
البكران اللذان لم يحصنا وهما غير المعنيين بالاية الاولى وقيل المراد
بمن ذكر في الاولى النسا وهذه للرجال لان الله تعالى حكم في الاية الاولى
بالحبس في البيت على النسا وهو اللايق بحالهن لان المراة انما تفعل الفاحشة

عند الخروج

عند الخروج فاذا حبست في البيت انقطعت مادة المعصية واما الرجل فلا يمكن
حبسه في البيت لانه يحتاج الى الخروج في صلاح معاشه واكتساب قوت عياله
فجعل عقوبة الرجل الزاني بالقول والفعل **فاذوهما** يعني عيروهما بالقول واللسان
وهو ان يقال لهما اما خفتما الله اما استحييتما من الله حتى زنيتما وقال ابن عباس سبوهما
واشتموهما وفي رواية عنه قال هو باللسان واليد يوذي بالتعيير ويضرب بالنعال
**فان تابا** يعني من الفاحشة **واصلحا** يعني العمل فيما بعد **فاعرضوا عنهما** اي
اتركوهما ولا تؤذوهما **ان الله كان توابا رحيما** يعني انه تعالى يعود على عبده بفضله
ومغفرته ورحمته اذا تاب اليه وهذا الحكم كان في ابتدا الاسلام كان حد الزاني التوبيخ
والتعيير بالقول باللسان فلما نزلت الحدود وثبتت الاحكام نسخ ذلك الاذى
بالاية في سورة النور وهو قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما
مائة جلدة ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله فثبت الجلد على البكر بنص الكتاب
وثبت الرجم على الثيب المحصن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وكان قد احصن وسواء في هذا الحكم المسلم واليهودي لانه
ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وكانا قد احصنا وقال
ابو حنيفة لا رجم على اليهودي لان المشرك ليس بمحصن واجيب عنه بان المراد
بهذا الاحصان احصان العفاف لا احصان الفرج قوله تعالى **انما التوبة**
**على الله** يعني التوبة التي يقبلها الله تعالى فيكون على بمعنى عند وقيل على
بمعنى من الله وقال اهل المعاني ان الله تعالى وعد قبول التوبة من المومنين
في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة واذا وعد الله شيئا انجز ميعاده وصدق
فيه فمعنى قوله على الله اوجب على نفسه من غير ايجاب لاحد عليه لانه تعالى يفعل
ما يريد **للذين يعملون السوء** يعني الذنوب والمعاصي سميت سوا لسوء عاقبتها
اذا لم يتب منها **بجهالة** قال قتادة اجمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ان كل شي عصي الله به فهو جهالة عمدا كان او غيره وكل من عصى الله فهو جاهل
وقال ابن عباس من عمل السوء فهو جاهل من جهالته عمل السوء فكل من عصى الله
يسمى جاهلا ويسمى فعله جهالة وانما سمي من عصى الله جاهلا لانه لم يستعمل ما معه
من العلم بالثواب والعقاب واذا لم يستعمل ذلك سمي جاهلا بهذا الاعتبار وقيل
معنى الجهالة ان ياتي الانسان بالذنب مع العلم بانه ذنب لكنه يجهل عقوبته
وقيل معنى الجهالة هو اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية **ثم**
**يتوبون من قريب** يعني يتوبون بعد الاقلاع عن الذنب بزمان قريب لئلا
يعد في زمرة المصرين وقيل القريب ان يتوب في صحته قبل مرض موته
وقيل قبل موته وقيل قبل معاينة ملك الموت ومعاينة اهوال الموت وانما
سميت هذه المدة قريبة لان كل ما هو ات فهو قريب وفيه تنبيه على ان عمر الانسان
وان طال فهو قليل وان الانسان يتوقع في كل ساعة ولحظة نزول الموت به عن ابن عمر

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اخرجه الترمذي
الغرغرة ان يجعل المشروب في فم المريض فيرده في الحلق ولا يصل اليه ولا يقدر على
بلعه وذلك عند بلوغ الروح الى الحلقوم وروى البغوي بسنده عن ابي
سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك
يا رب لا ابرح اغوي عبادك ما دامت ارواحهم في اجسادهم فقال الرب تبارك
وتعالى وعزتي وجلالي وارتفاعي في مكاني لا ازال اغفر لهم ما استغفروني
وقيل في معنى الاية ان القريب هو ان يتوب الانسان قبل ان يحيط السوء بحسناته
فيحبطها **فاولئك يتوب الله عليهم** يعني يقبل توبتهم **وكان الله عليما حكيما**
قال ابن عباس علم ما في قلوب عباده المومنين من التصديق واليقين فحكم بالتوبة
قبل الموت ولو بقدر فواق ناقة وقيل في معنى الاية علم انه انما يأتي المعصية
باستيلاء الشهوة والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها وانابه عن قرب قوله
عز وجل **وليست التوبة للذين يعملون السيئات** قال ابن عباس يريد الشرك
وقال ابو العالية وسعيد بن جبير هم المنافقون وقال سفيان الثوري هم
المسلمون الا ترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار **حتى اذا حضر احدهم الموت**
يعني وقع في النزع وعاين ملائكة الموت وهو حالة السوق حين تساق الروح
للخروج من جسده **قال اني تبت الان** قال المحققون قرب الموت لا يمنع من قبول
التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاحوال التي لا يمكن معها الرجوع الى الدنيا
بحال ولذلك لم يقبل توبة فرعون ولا ايمانه وهو قوله تعالى حتى اذا ادركه الغرق
قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين الان
وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ويدل على ذلك ايضا قوله تعالى فلم يك
ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا فان قلت قد تعلقت الوعيدية بهذه الاية وقالوا
اخبر الله تعالى ان عصاة المومنين اذا اهملوا امرهم الى انقضاء اجالهم حصلوا عذاب
الاخرة مع الكفار لان الله تعالى جمعهم في قوله اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما
وايضا انه تعالى اخبر انه لا توبة لهم عند معاينة الموت واسبابه قلت ليس
الامر على ما زعموا فقد روي عن ابن عباس في قوله وليست التوبة للذين
يعملون السيئات يريد الشرك وقال سعيد بن جبير نزلت الاية الاولى في المومنين
يعني قوله انما التوبة على الله والوسطى في المنافقين يعني قوله وليست التوبة
والاخرى في الكافرين يعني قوله ولا الذين يموتون وهم كفار واذا كانت الاية
نازلة في المنافقين والكفار فلا وجه لحملها على المومنين وعلى تقدير ان تكون
الاية نازلة في عصاة المومنين فقد روي عن ابن عباس في قوله تعالى وليست
التوبة للذين يعملون السيئات الاية ثم انزل الله تعالى بعد ذلك ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فحرم الله المغفرة على من مات وهو كافر
وارجا اهل التوحيد الى مشيئته ولم يويسهم من المغفرة فعلى هذا القول تكون





الاية منسوخة في حق المومنين وقوله تعالى **وللذين يموتون وهم كفار** معناه
لا توبة للكفار اذا تابوا على كفرهم وانما لم تقبل توبتهم في الاخرة لرفع التكليف في الاخرة
ومعاينة ما وعدوا به من العقاب **اولئك اعتدنا لهم** اي هيئنا لهم **عذابا اليما**
قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها** نزلت في اهل المدينة
وذلك انهم كانوا في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا مات الرجل وخلف امراة جاء ابنه
من غيرها او قريبه من ذوي عصبته فالقى ثوبه على تلك المراة او على خبائها فصار احق
بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذي اصدقها
الميت وان شاء زوجها غيره واخذ هو صداقها وان شاء عضلها ومنعها من الازواج يضارها
بذلك لتفتدي منه بما ورثت من الميت او تموت هي فيرثها فاذا ذهبت المراة الى اهلها
قبل ان يلقي عليها ولي زوجها ثوبه كانت احق بنفسها وكانوا على ذلك حتى توفي ابو قيس
ابن الاسلت الانصاري وترك امراته كبيشة بنت معن الانصارية فقام ابن له من غيرها
يقال له حصن وقيل اسمه قيس بن ابي قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها
فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدي منه فاتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله ان ابا قيس توفي وورث نكاحي ابنه فلا هو ينفق علي ولا هو يدخل
بي ولا يخلي سبيلي فقال اقعدي في بيتك حتى ياتي امر الله فيك فانزل الله عز وجل يا ايها
الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها بغير ميراث نكاح النساء وقيل معناه ان
ترثوا اموالهن كرها يعني وهن كارهات **ولا تعضلوهن** اي ولا تمنعوهن من
الازواج واصل العضل المنع **لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن** يعني لتضجر فتفتدي
ببعض مالها قيل هو خطاب للازواج قال ابن عباس هذا في الرجل تكون له امراة وهو
كاره لها ولصحبتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي منه وترد اليه ما ساق اليها من
المهر فنهى الله عن ذلك وقيل كان الرجل يطلق امراته ثم يراجعها ثم يطلقها ثم يفعل
بها كذلك فنهوا عن ذلك وقيل هو خطاب لاولياء الميت فنهاهم الله عن عضل المراة ثم
قال تعالى **الا ان ياتين بفاحشة مبينة** يعني فحينئذ يحل لكم اضرارهن لتفتدي
منكم واختلفوا في الفاحشة المبينة فقيل هو النشوز وسوء الخلق واذى الزوج
واهله وقيل الفاحشة هي الزنا يعني المراة اذا نشزت او زنت حل للزوج ان يسالها
الخلع وقيل كانت المراة اذا اصابت فاحشة اخذ منها زوجها ما ساق اليها واخرجها
فنسخ الله ذلك بالحدود **وعاشروهن بالمعروف** قيل هو راجع للكلام الذي قبله
والمعنى واتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعاشرة بالمعروف
هو الاجمال في القول والمبيت والنفقة وقيل هو ان تصنع لها كما تحب ان تصنع لك
**فان كرهتموهن** فان كرهتم عشرتهن وصحبتهن واثرتم فراقهن **فعسى ان تكرهوا
شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** قال ابن عباس ربما رزق منها ولدا فجعل
الله في ولدها خيرا كثيرا فتنقلب تلك الكراهة محبة والنفرة رغبة وقيل في
الاية ندب الى امساك المراة مع الكراهية لها لانه اذا كره صحبتها وتحمل ذلك المكروه

طلبًا للثواب وانفق عليها واحسن صحبتها استحق الثنا الجميل في الدنيا والثواب
الجزيل في العقبى وقيل في معنى الاية انكم ان كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فربما جعل
الله في تلك المفارقة لهن خيرًا كثيرًا وذلك بان تخلص من هذا الزوج الكاره لها وتتزوج
غيره خيرًا منه **وان اردتم استبدال زوج مكان زوج** الخطاب للرجال وارادوا بالزوج الزوجة
قال المفسرون لما ذكر الله في الاية الاولى مضارة الزوجات اذا اتين بفاحشة
وهي اما النشوز او الزنا بين في هذه الاية تحريم المضارة ان لم يكن من قبلها نشوز
ولا زنا ونهى عن بخس الرجل حق المراة اذا اراد طلاقها واستبدال غيرها **واتيتم
احداهن قنطارًا** يعني وان كان ذلك الصداق مالًا كثيرًا وفي الاية دليل على
جواز المغالاة في المهور روي عن عمر قال على المنبر لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت
امراة فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وانت تمنعنا وتلت الاية فقال كل الناس
افقه منك يا عمر وفي رواية امراة اصابت وامير اخطا ورجع عن كراهة المغالاة
وقد تغالا الناس في صدقات النساء حتى بلغوا الالوف وقيل ان خير المهور ايسرها
واسهلها **فلا تاخذوا منه شيا** يعني من القنطار الذي اتيتموهن لو جعلتم ذلك
القدر لهن صداقًا فلا تاخذوا منه شيًا وذلك ان سوء العشرة اما ان يكون من قبل
الزوج او من قبل الزوجة فان كان من قبل الزوج واراد طلاق المراة فلا يحل له ان
ياخذ شيًا من صداقها وان كان النشوز من قبل المراة جاز له ذلك **اتاخذونه**
استفهام بمعنى التوبيخ **بهتانًا** يعني ظلمًا وقيل باطلًا **واثمًا مبينًا** يعني
اتاخذونه مباهتين اثمين فلا تفعلوا مثل هذا الفعل مع ظهور قبحه في الشرع
والعقل ثم قال تعالى **وكيف تاخذونه** كلمة تعجب والمعنى لاي وجه تفعلون مثل
هذا الفعل وكيف يليق بالعاقل ان يسترد شيًا بذله لزوجته عن طيب نفس وقيل
هو استفهام معناه التوبيخ والتعظيم لاخذ المهر بغير حله ثم ذكر السبب
في ذلك فقال تعالى **وقد افضى بعضكم الى بعض** اصل الافضاء في اللغة الوصول
يقال افضى اليه اي وصل اليه ثم للمفسرين في معنى الافضاء في هذه الاية قولان
احدهما انه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدي واختيار الزجاج
وابن قتيبة ومذهب الشافعي لان عنده ان الزوج اذا طلق قبل المسيس فله ان
يرجع بنصف المهر وان خلا بها والقول الثاني في معنى الافضاء هو ان يخلو بها وان لم
يجامعها وقال الكلبي الافضاء ان يكونا معًا في لحاف واحد جامعها او لم يجامعها
وهو القول هو اختيار الفراء ومذهب ابي حنيفة ان الخلوة الصحيحة عنده تقرر المهر
**واخذن منكم ميثاقًا غليظًا** قيل هو قول العاقد عند العقد زوجتكها على ما اخذ
الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل هي كلمة النكاح المعقودة
على الصداق وهي الكلمة التي يستحل بها فروج النساء ويدل على ذلك ما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم
فروجهن بكلمة الله تعالى **ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء** قال المفسرون كان اهل



الجاهلية يتزوجون ازواج ابائهم فنهاهم الله عن ذلك بهذه الاية روي انه لما توفي قيس
وكان من صالحي الانصار خطب ابنه قيس امراة ابيه فقالت اني اتخذك ولدًا وانت من
صالحي قومك ولكني اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره فاتته فاخبرته فانزل
الله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف الا ما مضى في الجاهلية قبل
نزول التحريم فانه معفو عنه **انه كان فاحشة** انما سماه فاحشة لان زوجة
الاب في منزلة الام ونكاح الامهات حرام فلما كان ذلك كذلك سماه الله فاحشة
لانه من اقبح المعاصي **ومقتًا** يعني انه يورث المقت من الله وهو اشد البغض وغاية
الخزي والخسارة **وساء سبيلًا** اي وبئس ذلك طريقًا لانه يؤدي الى مقت الله
والعرب تسمي ولد الرجل من امراة ابيه مقيت وكان منهم الاشعث بن قيس وابو معيط
ابن ابي عمرو بن امية روى البغوي بسنده عن البراء بن عازب قال لقيت خالي ومعه لواء
فقلت اين تذهب قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امراة ابيه اتيه
براسه قوله عز وجل **حرمت عليكم امهاتكم** بين الله عز وجل في هذه الاية المحرمات
من النساء بسبب الوصلة اما بسبب او نسب خ عن ابن عباس قال حرم من النسا
سبع ومن الصهر سبع ثم قرا حرمت عليكم امهاتكم الاية فجملة المحرمات بالنسب فقوله
حرمت عليكم امهاتكم جمع ام واصل امهات امات وانما زيدت الها للتوكيد والام هي
الوالدة القريبة ويرجع في حكمها كل امراة رجع النسب اليها من جهة الاب او من جهة
الام بدرجة او درجات ومن جميع الجدات وان علون فيحرم نكاح الام وجميع الجدات
**وبناتكم** والبنت عبارة عن كل انثى رجع نسبها اليك بالولادة بدرجة او درجات
بانات كبنت البنت وان سفلت وكذا بنت الابن **واخواتكم** جمع اخت وهي عبارة
عن كل امراة شاركتك في اصليك فيدخل فيه الاخوات من الاب والام والاخوات
من الاب والاخوات من الام **وعماتكم** جمع عمة وهي كل امراة شاركت اباك في اصله
ومن جميع اخوات الاب واخوات ابائه وان علون وقد تكون العمة من جهة الام ايضًا
وهي اخت ابي الام **وخالاتكم** جمع خالة وهي كل امراة شاركت الام في اصلها فيدخل
فيهن جميع اخوات الام واخوات امهاتها وقد تكون الخالة من جهة الاب ايضًا وهي
اخت ام الاب **وبنات الاخ وبنات الاخت** وهي عبارة عن كل امراة لاخيك او لاختك
عليها ولادة ويرجع نسبها الى الاخ او الاخت فيدخل فيهن جميع بنات اولاد الاخ
والاخت وان سفلن فهذه الاصناف السبعة محرمة بسبب النسب بنص الكتاب
وجملته انه يحرم على الرجل اصوله وفصوله وفصول اول اصوله واول فصل من كل اصل
بعده اصل فالاصول هن الامهات والجدات والفصول هن البنات وبنات الاولاد وفصول
اول اصوله هن الاخوات وبنات الاخوة والاخوات واول فصل من كل اصل بعده هن
العمات والخالات وان علون قال العلما كل امراة حرم الله نكاحها بالنسب والرحم
فحرمته مؤبدة لا تحل بوجه من الوجوه الصنف الثاني المحرمات بالسبب ومن سبع
الاول والثاني المحرمات بالرضاع وذلك في قوله تعالى **وامهاتكم اللاتي ارضعنكم**

وَاَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ كل انثى انتسبت باللبن اليها فهي امك وبنتها اختك وانما
نص الله على ذكر الام والاخت لينبه بذلك على جميع الاصول والفروع ففيه دليل انه تعالى
اجرى الرضاع مجرى النسب ويدل على ذلك ما روي عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة اخرجاه في الصحيحين ق عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنت حمزة انها لا تحل لي يحرم من الرضاع ما يحرم
من النسب وانها ابنة اخي من الرضاعة فكل من حرمت بسبب النسب حرمت نظيرها بسبب
الرضاعة وانما سمى الله تعالى المرضعات امهات لاجل الحرمة فتحرم عليه نكاحها ويحل له
النظر اليها والخلوة بها والسفر معها ولا يترتب عليه جميع احكام الامومية من كل وجه
فلا يتوارثان ولا يجب على كل واحد منهما نفقة الاخر وغير ذلك من الاحكام وانما تثبت
حرمة الرضاع بشرطين احدهما ان يكون ارضاع الصبي في حال الصغر وذلك الى انتهاء
سنتين من ولادته لقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين
وقوله تعالى وفصاله في عامين عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء في الثدي وكان قبل الفطام اخرجه الترمذي
عن ابن مسعود قال لا رضاعة الا ما كان في الحولين اخرجه مالك في الموطا باطول
من هذا واخرجه ابو داود مختصرا قال قال عبد الله بن مسعود لا رضاع الا ما شد
اللحم وقال ابو حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون
شهرا وحمله الجمهور على اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لان مدة الحمل داخلة فيه
واقله ستة اشهر الشرط الثاني ان يوجد خمس رضعات متفرقات روي ذلك عن
عايشة وبه قال عبد الله بن الزبير واليه ذهب الشافعي ويدل على ذلك ما روي
عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم الاملاجة والاملاجتان وفي
رواية ان رجلا من بني عامر بن صعصعة قال يا نبي الله هل تحرم الرضعة الواحدة
قال لا م عن عايشة قالت كان فيما انزل من القران عشر رضعات معلومات يحرمن
ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرا من
القران يحتمل انه لم يبلغها نسخ ذلك واجمعوا على ان هذا لا يتلى فهو فيما نسخ تلاوته
وبقي حكمه وذهب جمهور العلما الى ان قليل الارضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس
وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب واليه ذهب الثوري والاوزاعي ومالك وابن المبارك
وابو حنيفة واحمد في احدى الروايتين عنه والرواية الاخرى لمذهب الشافعي واحتج
مذهب الجمهور باطلاق الاية لانه عمل بعموم القران وظاهره ولم يذكر عددا واجاب
الشافعي ومن وافقه في هذه المسالة بان السنة مبينة للقران مفسرة له وقوله
تعالى وَاُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ يعني اذا تزوج الرجل بامراة حرمت عليه امها الاصلية وجميع
جداتها من قبل الاب والام كما في النسب والرضاع ايضا وهذا مذهب اكثر الصحابة وجميع
التابعين وكل العلما ان من تزوج امراة حرمت عليه امها بسبب العقد سوا دخل
بها او لم يدخل بها وذهب جمع من الصحابة الى ان ام المراة انما تحرم بالدخول بابنتها

وهو



وهو قول علي وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر واظهر الروايات عن ابن عباس
والعمل اليوم على القول الاول وهو مذهب الجمهور ويدل على ذلك ما روي عن عمرو
ابن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل نكح امراة
فلا يحل له نكاح ابنتها وان لم يكن دخل بها فلينكح ابنتها وايما رجل نكح امراة فلا يحل
له ان ينكح امها دخل بها او لم يدخل اخرجه الترمذي وقوله تعالى وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي
حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَاِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
الربايب جمع ربيبة وهي بنت المراة من رجل اخر سميت ربيبة لتربيته اياها في حجره
وقوله دخلتم بهن كناية عن الجماع لا نفس العقد فيحرم على الرجل بنات امراته
وبنات اولادها وان سفلت من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فلو
فارق زوجته قبل الدخول بها او ماتت قبل دخوله بها جاز له ان يتزوج بنتها
ولا يجوز له ان يتزوج امها لان الله تعالى اطلق تحريم الامهات وعلق تحريم
البنات بالدخول بالام وقوله تعالى وَحَلَائِلُ اَبْنَائِكُمْ يعني ازواج ابنائكم واحدتها
حليلة والرجل حليل سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل لصاحبه وقيل لان كل واحد
منهما يحل حيث يحل صاحبه في ازار واحد وقيل لان كل واحد منهما يحل ازار صاحبه
من الحل بفتح الحا وجملته انه يحرم على الرجل ازواج ابنايه وابناء اولاده وان
سفلوا من النسب والرضاعة وذلك بنفس العقد اَلَّذِيْنَ مِنْ اَصْلَابِكُمْ
انما قال من اصلابكم احترازا من التبني ليعلم ان زوجة المتبنى لا تحرم على الرجل
الذي تبناه لانه كان في صدر الاسلام بمنزلة الابن فنسخ الله ذلك وقال
الله تعالى ادعوهم لابايهم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة زيد بن حارثة
وكان قد تبناه فقال المشركون تزوج زوجة ابنه فانزل الله تعالى وما جعل
ادعياءكم وقال تعالى لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيايهم وقوله
وَاَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْاُخْتَيْنِ يعني انه لا يجوز للرجل ان يجمع بين الاختين في نكاح
واحد سوا كانت الاخوة بينهما نسب او رضاع والجمع بين الاختين يقع على ثلاثة
اوجه احدها ان يجمع بينهما بعقد واحد فهذا العقد فاسد لا يصح فلو تزوج احدى
الاختين ثم تزوج الاخرى بعدها فالحكم ببطلان نكاح الثانية فلو طلق
الاولى طلاقا باينا جاز له نكاح اختها الوجه الثاني في صور الجمع بين الاختين وهو
ان يجمع بينهما بملك اليمين فلا يجوز ان يجمع بينهما في الوطي فاذا وطي احداهما حرمت
عليه الثانية حتى يحرم الاولى ببيع او هبة او عتق او كتابة الوجه الثالث من صور
الجمع بين الاختين وهو ان يتزوج احداهما ويستبري الاخرى فيما ملكه بملك اليمين
فذهب بعض العلما الى انه لا يجوز الجمع بينهما لان ظاهر هذه الاية يقتضي تحريم
الجمع مطلقا فوجب ان يحرم الجمع بينهما على جميع الوجوه وذهب بعضهم الى جوازه والقول
الاول اصح واولى لما روي قبيصة بن ذويب ان رجلا سال عثمان عن اختين مملوكتين
لرجل هل يجمع بينهما فقال عثمان احلتهما اية وحرمتهما اية فاما انا فلا احب ان اصنع

ذلك فخرج من عنده فلقي رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنه فقال
اما انا فلو كان لي من الامر شيء ثم لم اجد احدا فعل ذلك الا جعلته نكالا قال ابن شهاب
اراه علي بن ابي طالب قال مالك انه بلغه عن الزبير بن العوام مثل ذلك اخرجه مالك
في الموطا وقوله تعالى **الا ما قد سلف** يعني لكن ما قد مضى فانه معفو عنه بدليل
قوله تعالى **ان الله كان غفورا رحيما** وقيل ان فائدة هذا الاستثناء ان انكحة
الكفار صحيحة فلو اسلم عن اختين قيل له اختر ايتهما شئت ويدل على ذلك ما روي عن
الضحاك بن فيروز قال قلت يا رسول الله اني اسلمت وتحتي اختان قال طلق
ايتهما شئت اخرجه ابو داود فروع تتعلق بحكم الاية الاول لا يجوز الجمع بين المراة
وعمتها ولا بين المراة وخالتها ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لا يجمع بين المراة وعمتها ولا بين المراة وخالتها اخرجاه في الصحيحين
قال بعض العلماء في حد ما يحرم الجمع كل امراتين بينهما قرابة او لبن لو كان ذلك بينك
وبين المراة لم يجز لك نكاحها لم يجز لك الجمع بينهما الفرع الثاني المحرمات بالنسب
ذكرت في الاية نسقا والمحرمات بالسبب صنفان صنف يحرم بالرضاع وهن الامهات
والاخوات على ما تقدم ذكره وصنف يحرم بالمصاهرة وهن ام المراة وحليلة الابن
وزوج الاب وقد تقدم ذكرها في قوله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الاية
والربائب على التفصيل المذكور والجمع بين الاختين الفرع الثالث التحريم الحاصل
بسبب المصاهرة انما يحصل بنكاح صحيح فلو زنا بامراة لم تحرم عليه امها ولا ابنتها لو
اراد ان يتزوج بهن وكذلك لا تحرم المزني بها على ابا الزاني ولا ابنايه انما تتعلق الحرمة
بنكاح صحيح او بنكاح فاسد يجب بما به الصداق وتجب عليها العدة وتلحق به الولد
وهذا قول علي وابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهري
واليه ذهب مالك والشافعي وفقها الحجاز وذهب قوم الى ان الزنا يتعلق به تحريم
المصاهرة يروى ذلك عن عمران بن حصين والى هريرة وبه قال جابر بن زيد والحسن
واهل العراق ولو لمس امراة اجنبية بشهوة او قبلها بشهوة هل يجعل ذلك
كالدخول في اثبات تحريم المصاهرة وكذلك لو لمس المراة بشهوة هل يجعل كالوطي
في تحريم الربيبة فيه قولان احدهما انه يثبت به حرمة المصاهرة وهو قول اكثر
اهل العلم والثاني لا يثبت به كما لا يثبت بالنظر بشهوة قوله تعالى **والمحصنات**
يعني حرمت المحصنات **من النسا** واصل الاحصان في اللغة المنع والاحصان
بالفتح المراة العفيفة ويطلق الاحصان على المراة ذات الزوج والحرة والعفيفة
والمراة المسلمة والمراد من الاحصان في قوله المحصنات ذات الازواج من النسا
فلا يحل لاحد نكاحهن قبل مفارقة ازواجهن ومذه هي السابعة من النسا اللاتي
حرمن بالسبب قال ابو سعيد الخدري نزلت هذه الاية في نسا كن هاجرن
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجهن بعض المسلمين ثم قدم
ازواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال تعالى



**الا ما ملكت ايمانكم** يعني السبايا اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الحرب
فيحل لمالكهن وطيهن بعد الاستبرا لان السبي يرتفع به النكاح بينها وبين زوجها
قال ابو سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا الى اوطاس فاصابوا
سبايا لهن ازواج من المشركين فكرهوا غشيانهن فانزل الله هذه الاية وقال
ابو مسعود اراد انه اذا باع الجارية المزوجة وقعت الفرقة بينها وبين زوجها
ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشتري وطيها وقال عطا اراد بقوله الا ما ملكت ايمانكم
ان تكون امته في نكاح عبده فيجوز له ان ينزعها منه وقيل اراد بالمحصنات من النسا
الحراير ومعناه ان ما فوق الاربع منهن فانه عليكم حرام الا ما ملكت ايمانكم
فانه لا عدد عليكم في الجواري ولا حصر **كتاب الله عليكم** يعني حرمت عليكم امهاتكم
وكتب عليكم هذا كتابا وقيل معناه الزموا كتاب الله وقيل معناه كتب الله
عليكم بمعنى كتب الله تحريم ما حرم عليكم من ذلك وتحليل ما احل كتابا **واحل
لكم ما وراء ذلكم** يعني واحل لكم ما سوى ذلكم الذي ذكر من المحرمات وظاهر
هذه الاية تقتضي حل ما سوى المذكورين من الاصناف المحرمات لكن قد دل الدليل
من السنة بتحريم اصناف اخر سوى ما ذكر فمن ذلك انه يحرم الجمع بين المراة وعمتها
وبين المراة وخالتها ومن ذلك المطلقة ثلاثا لا تحل لزوجها الاول حتى تنكح زوجا
غيره ومن ذلك نكاح المعتدة فلا تحل للازواج حتى تنقضي عدتها ومن ذلك ان من
كان في نكاحه حرة لم يجز له ان يتزوج بامة والقادر على طول الحرة لم يجز له ان
يتزوج بالامة ومن ذلك ان من كان عنده اربع نسوة تحرم عليه ان يتزوج بخامسة
ومن ذلك الملاعنة فانها محرمة على الملاعن ابدا فهذه اصناف من المحرمات
سوى ما ذكر في الاية فعلى هذا يكون قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلك ورد بلفظ العموم
لكن العموم دخله التخصيص فيكون عاما مخصوص وقوله تعالى **ان تبتغوا باموالكم**
فيه اضمار تقديره واحل لكم ان تبتغوا اي تطلبوا باموالكم ان تنكحوا بصداق او
تشتروا بثمن وفي الاية دليل على ان الصداق لا تقدير بشي فيجوز على القليل
والكثير لاطلاق قوله تعالى ان تبتغوا باموالكم **محصنين** يعني متزوجين
وقيل متعففين **غير مسافحين** يعني غير زانين والسفاح الفجور واصله من السفح
وهو الصب وانما سمي الزنا سفاحا لان الزاني لا غرض له الا صب النطفة فقط
وقوله تعالى **فما استمتعتم به منهن** اختلفوا في معناه فقال الحسن ومجاهد
اراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النسا بنكاح صحيح لان اصل الاستمتاع في
اللغة الانتفاع وكل ما انتفع به فهو متاع **فاتوهن اجورهن** يعني مهورهن
وانما سمي المهر اجرا لانه بدل منافع البضع كما سمي بدل منافع الدار والدابة اجرا وقال قوم المراد من حكم
الاية هو نكاح المتعة وهو ان ينكح امراة الى مدة معلومة بشي معلوم فاذا انقضت
تلك المدة بانت منه من غير طلاق ويستبري رحمها وليس بينهما ميراث وكان هذا
في ابتدا الاسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة فحرم (م) عن سبرة

ابن معبد الجهني انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس اني كنت اذنت
لكم في الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيامة فمن كان عنده
منهن شيء فليخل سبيله ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا والى هذا ذهب جمهور العلما
من الصحابة فمن بعدهم ان نكاح المتعة حرام وان الاية منسوخة واختلفوا في ناسخها
فقيل نسخت بالسنة وهو ما تقدم من حديث سبرة الجهني ق وعن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر
وعن اكل لحوم الحمر الانسية وهذا مذهب من يقول ان السنة تنسخ القران ومذهب
الشافعي ان السنة لا تنسخ القران فعلى هذا يقول ان ناسخ الاية قوله تعالى في
سورة المؤمنون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
فانهم غير ملومين والمنكوحة في المتعة ليست بزوجة ولا ملك يمين واختلفت الرواة
عن ابن عباس في المتعة فروي عنه ان الاية محكمة وكان يرخص في المتعة قال عمارة
سألت ابن عباس عن المتعة اسفاح هي ام نكاح فقال لا سفاح ولا نكاح قلت فما هي
قال المتعة قال الله تعالى فما استمتعتم به منهن قلت هل لها عدة قال نعم حيضة
قلت يتوارثان قال لا وروي ان الناس لما ذكروا الاشعار في فتيا ابن عباس في
المتعة فقال قاتلهم الله اني ما افتيت باباحتها على الاطلاق لكن قلت انما تحل
للمضطر كما تحل الميتة له وروي انه رجع عنه وقال بتحريمها وروى عطاء الخراساني
عن ابن عباس في قوله فما استمتعتم به منهن انها صارت منسوخة بقوله يا ايها
النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وروى سالم بن عبد الله بن عمر ان عمر بن
الخطاب صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال اقوام ينكحون هذه المتعة
وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لا اجد رجلا نكحها الا رجمته بالحجارة وقال
هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث قال الشافعي لا اعلم في الاسلام
شيئا احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة وقال ابو عبيد المسلمون اليوم مجمعون
على ان متعة النساء قد نسخت بالتحريم نسخها الكتاب والسنة هذا قول اهل العلم
جميعا من اهل الحجاز والشام والعراق من اصحاب الاثر والراي انه لا رخصة فيها لمضطر
ولا لغيره قال ابن الجوزي في تفسيره وقد تكلف قوم من مفسري القران فقالوا
المراد بهذه الاية نكاح المتعة ثم نسخت بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى
عن متعة النساء وهذا تكلف لا يحتاج اليه لان النبي صلى الله عليه وسلم اجاز المتعة
ثم منع منها فحرمها فكان قوله منسوخا بقوله واما الاية فانها لم تتضمن جواز المتعة
لانه تعالى قال فيها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فدل ذلك على النكاح
الصحيح قال الزجاج ومعنى قوله فما استمتعتم به منهن فما نكحتموه على الشرايط التي
جرت وهو قوله محصنين غير مسافحين اي عاقدين التزويج وقال ابن جرير
الطبري اولى التاويلين في ذلك بالصواب تاويل من تاوله فما نكحتموه منهن فجامعتموهن
فآتوهن اجورهن لقيام الحجة بتحريم الله تعالى متعة النساء على لسان رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **فريضة** يعني لازمة وواجبة **ولا جناح عليكم**
**فيما تراضيتم به من بعد الفريضة** اختلفوا فيه فمن حمل ما قبله على نكاح
المتعة قال اراد انهما اذا عقدا الى اجل على مال فاذا تم الاجل فان شاءت المراة
زادت في الاجل وزاد الرجل في الاجر وان لم يتراضيا فارقها وقد تقدم ان هذا
كان جائزا ثم نسخ وحرم ومن حمل الاية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال
المراد بقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به يعني من الابراء من المهر والافتداء
والاعتياض وقال الزجاج معناه لا جناح عليكم ان تهب المراة للزوج مهرها
وان يهب الرجل للمراة التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه **ان الله**
**كان عليما** يعني بما يصلحكم ايها الناس في مناكحكم وغيرها من ساير اموركم
**حكيما** يعني فيما يدبر لكم من التدبير فيما يامركم به وينهاكم عنه ولا يدخل حكمه خلل
ولا زلل **فصل** في قدر الصداق وما يستحب منه اعلم انه لا تقدير
لاكثر الصداق لقوله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا
وانه والمستحب انه لا يغالى فيه قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الا لا
تغلوا في اصدقة النساء فانها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله
لكان اولاكم بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح
شيئا من نسائه ولا انكح شيئا من بناته على اكثر من اثنتي عشرة اوقية اخرجه الترمذي
ولابي داود نحوه م عن ابي سلمة قال سالت عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
قالت كان صداقه لازواجه ثنتي عشرة اوقية ونشا قالت اتدري ما النش
قلت لا قالت نصف اوقية فذلك خمسماية درهم واختلف العلما في اقل الصداق
فذهب جماعة انه لا تقدير لاقله بل كل ما جاز ان يكون مبيعا او ثمنا جاز ان يكون
صداقا وهو قول ربيعة وسفيان الثوري والشافعي واحمد واسحاق وقال قوم
يتقدر الصداق بنصاب السرقة وهو قول مالك وابي حنيفة غير ان نصاب السرقة عند
مالك ثلاثة دراهم وعند ابي حنيفة عشرة دراهم والدليل على ان الصداق لا يتقدر
ما روي عن سهل بن سعد الساعدي قال جاءت امراة الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله قد وهبت نفسي لك فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصعد النظر اليها وصوبه ثم طاطا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رات المراة انه
لم يقض فيها شيئا جلست فقام رجل من اصحابه فقال يا رسول الله ان لم يكن لك
حاجة فزوجنيها فقال هل عندك من شيء قال لا والله يا رسول الله فقال اذهب الى
اهلك فانظر هل تجد شيئا فذهب ثم رجع فقال لا والله ما وجدت شيئا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انظر ولو خاتما من حديد فذهب ثم رجع فقال لا
والله يا رسول الله ولا خاتما من حديد ولكن ازاري هذا قال سهل ما له رداء
فلها نصفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصنع بازارك ان لبسته
لم يكن عليها منه شيء وان لبسته لم يكن عليك منه شيء فجلس الرجل حتى اذا طال

مجلسه قام فرآه النبي صلى الله عليه وسلم موليا فامر به فدعا فلما جاء قال ما معك
من القران قال معي سورة كذا وسورة كذا عددها تقرؤهن عن ظهر قلبك قال نعم
قال اذهب فقد ملكتها بما معك وفي رواية فقد زوجتكها تعلمها من القران وفي
رواية فقد انكحتكها بما معك من القران اخرجاه في الصحيحين وهذا لفظ الحميدي
ففي هذا الحديث دليل على انه لا تقدير لاقل الصداق لانه قال التمس شيئا فهذا
يدل على جواز اي شي كان من المال ثم قال ولو خاتما من حديد ولا قيمة له الا
القليل التافه وفيه دليل على انه يجوز ان يجعل تعليم القران صداقا وهو
قول الشافعي ومنعه اصحاب الراي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اعطى في صداق امراة ملء كفيه سويقا او تمرا فقد استحل اخرجه ابو
داود عن عبد الله بن عامر عن ابيه ان امراة من بني فزاره تزوجت على نعلين
فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضيت من نفسك ومالك بنعلين قالت
نعم فاجازه اخرجه الترمذي وقال عمر بن الخطاب ثلاث قبضات من زبيب
مهر قوله عز وجل **ومن لم يستطع منكم طولا** يعني فضلا وسعة وانما سمي
الغنى طولا لانه لا ينال به المراد ما لا ينال مع الفقر والطول هنا كناية عما
يصرف الى المهر والنفقة **ان ينكح المحصنات** يعني الحراير **المومنات فمما ملكت
ايمانكم** يعني جارية اخيك المومن فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج بجارية
نفسه **من فتياتكم المومنات** المعنى من لم يقدر على مهر الحرة المومنة فليتزوج
الامة المومنة والفتيات الجواري المملوكات جمع فتاة يقال للامة فتاة
وللعبد فتى وفي الاية دليل على انه لا يجوز للحر نكاح الامة الا بشرطين احدهما
انه لا يجد مهر حرة لانه جرت العادة في الاماء بتخفيف مهورهن ونفقتهن بسبب
ذلك اشتغالهن بخدمة ساداتهن والشرط الثاني هو خوف العنت على نفسه
وهو قوله تعالى ذلك لمن خشي العنت منكم قال ابن عباس هو الزنا وهذا قول
جابر وابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ومسروق ومكحول وعمرو بن
دينار واليه ذهب مالك والشافعي واحمد وروي عن علي والحسن البصري وابن
المسيب ومجاهد والزهري انه يجوز للحر ان ينكح الامة وان كان موسرا وهو
مذهب ابي حنيفة الا ان يكون في نكاحه حرة والسبب في منع الحر من نكاح
الامة الا عند خوف العنت ان الولد يتبع الام في الرق والحرية واذا كانت
الام رقيقة كان الولد رقيقا وذلك نقص في حق الحر وفي حق ولده ولان حق
السيد اعظم من حق الزوج فربما احتاج الزوج اليها فلا يجد اليها سبيلا
لان للسيد حبسها للخدمة ولانه ربما ملك السيد فلا تقدر على هيئة من
زوجها ولا ان تبريه منه بخلاف الحرة ولهذا السبب منع الله من نكاح الامة
الا على سبيل الرخصة والاضطرار ويجوز للعبد نكاح الامة وان كان في نكاحه
حرة وعند ابي حنيفة لا يجوز له اذا كان تحته حرة كما يقول في الحر وفي الاية

دليل



دليل على انه لا يجوز للمسلم حرا كان او عبدا نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى من
فتياتكم المومنات يفيد جواز نكاح الامة المومنة دون الكتابية لان فيها نوعان
من النقص وهما الرق والكفر بخلاف الامة لان فيها نقص واحد وهو الرق وهذا
قول مجاهد والحسن واليه ذهب مالك والشافعي وقال ابو حنيفة يجوز التزويج
بالامة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطي الكتابية بملك اليمين وقوله تعالى
**والله اعلم بايمانكم** قال الزجاج اي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم متعبدون
بما ظهر والله يتولى السراير والحقايق وقيل معناه لا تتعرضوا للباطن في الايمان
وخذوا بالظاهر فان الله اعلم بايمانكم **بعضكم من بعض** يعني انكم كلكم من نفس
واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الاما عند الضرورة وانما قيل لهم ذلك لان العرب
كانت تفتخر بالانساب والاحساب ويسمون ابن الامة الهجين فاعلم الله تعالى
ان ذلك امر لا يلتفت اليه فلا يتداخلنكم شموخ وانفة من التزويج بالاماء
فانكم متساوون في النسب الى ادم وقيل ان معناه ان دينكم واحد وهو
الايمان وانتم مشتركون فيه فمتى وقع لاحدكم الضرورة جاز له ان يتزوج
بالامة عند خوف العنت وقال ابن عباس يريد ان المومنين بعضهم اكفاء بعض
**فانكحوهن باذن اهلهن** يعني اخطبوا الاما باذن ساداتهن واتفق العلما
على ان نكاح الامة بغير اذن سيدها باطل لان الله تعالى جعل اذن السيد
شرطا في جواز نكاح الامة **واتوهن اجورهن** يعني مهورهن **بالمعروف**
يعني من غير مطل ولا اضرار وقيل معناه واتوهن مهور امثالهن واجمعوا على
ان المهر للسيد لانه ملكه وانما اضيف ايتا المهر الى الاما لانه ثمن بضعهن
**محصنات** يعني عفايف **غير مسافحات** يعني غير زانيات **ولا متخذات
اخدان** جمع خدن وهو الصاحب الذي يكون معك في كل امر ظاهر وباطن
واكثر ما يستعمل فيمن يصاحب بشهوة يقال خدن المراة وخدينها يعني
ان الذي يزني بها في السر قال الحسن المسافحة هي التي كل من دعاها تبعته
وذات اخدان هي التي تختص بواحد ولا تزني مع غيره وكانت العرب في الجاهلية
تحرم الاولى وتجوز الثانية فلما كانت هذه العرف معتبرا عندهم لا جرم ان الله
تعالى افرد كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على تحريمهما معا **فاذا
احصن** وقرى بالالف والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه اسلمن
وقرى حفص بضم الالف وكسر الصاد ومعناه زوجن **فان اتين بفاحشة**
يعني بزنا **فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب** يعني فعلى الاما اللاتي زنين
نصف ما على الحراير الابكار اذا زنين من الجلد فيجلد العبد للزنا اذا زنا خمسين
جلدة ولا فرق بين المملوك المتزوج وغير المتزوج فانه يجلد خمسين ولا رجم
عليه هذا قول اكثر العلماء ويروى عن ابن عباس وقال طاوس انه لا حد على من لم
يتزوج من المماليك اذا زنا لان الله تعالى قال فاذا احصن والذي لم يتزوج ليس

ليس بمحصن واجيب عنه بان معنى الاحصان عند الاكثرين الاسلام وان كان المراد منه التزويج فليس المراد منه ان التزويج شرط لوجوب الحد عليها بل المراد منه التنبيه على ان المملوك وان كان محصنا فلا رجم عليه انما حده الجلد بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الاية وبيان انه الجلد لا الرجم ثابت بالحديث وهو ما روي عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت امة احدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا يثرب ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر اخرجاه في الصحيحين قوله ولا يثرب عليها اي لا يعيرها والتثريب التانيب والتعيير والاستقصاء في اللوم قال الشيخ محيي الدين النووي وهذا البيع المامور به مستحب وليس بواجب عندنا وعند الجمهور وقال داود واهل الظاهر هو واجب وفيه جواز بيع الشيء الثمين بالثمن الحقير وهذا البيع المامور به يلزم صاحبه ان يبين حالها للمشتري لانه عيب والاخبار بالعيب واجب فان قيل كيف يكره شيئا ويرتضيه لاخيه المسلم فالجواب لعلها تستعف عند المشتري بان يعفها بنفسه او يصونها لهيبته او بالاحسان اليها او يزوجها او غير ذلك والله اعلم **ذلك** اشارة الى نكاح الامة **لمن خشي العنت منكم** يعني الزنا والمعنى ذلك لمن خاف ان تحمله شدة الشبق والغلمة وشدة الشهوة على الزنا وانما سمي الزنا بالعنت لما تعقبه من المشقة وهي شدة العقوبة فاباح الله تعالى نكاح الامة بثلاثة شروط عدم القدرة على نكاح الحرة وخوف العنت وكون الامة مومنة **وان تصبروا** يعني عن نكاح الاما متعففين **خير لكم** يعني كيلا يكون الولد عبدا رقيقا **والله غفور رحيم** وهذا كالتوكيد لما تقدم يعني انه تعالى غفر لكم ورحمكم حيث اباح لكم ما انتم محتاجون اليه قوله تعالى **يريد الله ليبين لكم** اللام في قوله ليبين معناه ان يبين وقيل معناه يريد انزال هذه الايات من اجل ان يبين لكم دينكم ويوضح لكم شرعكم ومصالح اموركم وقيل يبين لكم ما يقربكم منه وقيل يبين ان الصبر على نكاح الاما خير لكم **ويهديكم** اي ويرشدكم **سنن الذين من قبلكم** اي شرايع من قبلكم في تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة على من قبلكم وقيل معناه يرشدكم الى ما لكم فيه مصلحة كما بينه لمن كان قبلكم وقيل معناه ويهديكم الى الملة الحنيفية وهي ملة ابراهيم عليه السلام **ويتوب عليكم** يعني ويتجاوز عنكم ما اصبتم قبل ان يبين لكم ويرجع بكم عن المعصية التي كنتم عليها الى طاعته وقيل لما بين لنا امر الشرايع والمصالح وارشدنا الى طاعته فربما وقع منا تقصير وتفريط فيما امر به وبينه فلا جرم انه تعالى قال ويتوب عليكم **والله عليم** يعني بمصالح عباده في امر دينهم ودنياهم **حكيم** يعني فيما دبر من امورهم **والله يريد ان يتوب عليكم** قال ابن عباس معناه يريد ان يخرجكم من كل ما يكره الى ما

يحب

يحب ويرضى وقيل معناه يدلكم على ما يكون سببا لتوبتكم التي يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم وقيل معناه ان وقع منكم تقصير في دينه فيتوب عليكم ويغفر لكم **ويريد الذين يتبعون الشهوات** قيل هم اليهود والنصارى وقيل هم اليهود خاصة لانهم يقولون ان نكاح بنت الاخت من الاب حلال وقيل هم المجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخوة فلما حرمهن الله قالوا انكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت هذه الاية وقيل هم الزناة يريدون ان تكونوا مثلهم **ان تميلوا** يعني عن الحق وقصد السبيل بالمعصية **ميلا عظيما** يعني باتيانكم ما حرم الله عليكم **يريد الله ان يخفف عنكم** يعني يسهل عليكم احكام الشرايع فهو عام في كل احكام الشرع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا احسانا منه الينا وتفضلا ولطفا علينا ولم يثقل التكاليف علينا كما ثقلها على بني اسرايل فهو كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وكما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وقوله تعالى **وخلق الانسان ضعيفا** يعني في قلة الصبر على النسا فلا صبر له عنهن وقيل انه لضعفه تستميله هواه فهو ضعيف العزم عن قهر الهوى وقيل هو ضعيف في اصل الخلقة لانه خلق من ماء مهين قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل** يعني بالحرام الذي لا يحل في الشرع كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور واخذ المال باليمين الكاذبة ونحو ذلك وانما خص الاكل بالذكر ونهى عنه تنبيها على غيره من جميع التصرفات الواقعة على وجه الباطل لان معظم المقصود من المال الاكل وقيل يدخل فيه اكل مال نفسه بالباطل ومال غيره اما اكل ماله بالباطل فهو انفاقه في المعاصي واما اكل مال غيره فقد تقدم معناه وقيل يدخل في اكل المال بالباطل جميع العقود الفاسدة وقوله تعالى **الا ان تكون تجارة عن تراض منكم** هذا الاستثناء منقطع لان التجارة عن تراض ليست من جنس اكل المال بالباطل فكان الا هاهنا بمعنى لكن يحل اكله بالتجارة عن تراض يعني بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو ان يخير كل واحد من المتبايعين صاحبه بعد البيع فيلزم لانهما بالخيار ما لم يتفرقا لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعا او يخير احدهما الاخر فان خير احدهما الاخر فتبايعا على ذلك فقد وجب وان تفرقا بعد ان تبايعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب البيع اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى **ولا تقتلوا انفسكم** اي لا تقتلوا بعضكم بعضا وانما قال انفسكم لانهم اهل دين واحد فهم كنفس واحدة وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في حجة الوداع لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل ان هذا نهي للانسان عن قتل نفسه فعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما

فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا قوله يتردى التردي هو الوقوع من موضع عال الى اسفل قوله يتوجأ يقال وجأته بالسكين اذا ضربته وهو يتوجأ بها اي يضرب بها نفسه ق عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان برجل جراح فقتل نفسه فقال الله تبارك وتعالى بدرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة وفي رواية قال فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فاخذ سكينا فحز بها يده فما رقا الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة وقيل في معنى قتل الانسان نفسه ان لا يفعل شيئا يستحق به القتل مثل ان يقتل فيقتل به فيكون هو الذي تسبب في قتل نفسه وقيل معناه ولا تقتلوا انفسكم باكل المال بالباطل ولا تهلكوا انفسكم بان تعملوا عملا ربما ادى الى قتلها ان الله كان بكم رحيما يعني انه تعالى من رحمته بكم نهاكم عن كل شيء تستوجبون به مشقة او محنة وقيل انه تعالى امر بني اسرائيل بقتل انفسهم ليكون ذلك توبة لهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف المشقة الصعبة ومن يفعل ذلك يعني ما سبق ذكره من قتل النفس المحرمة لان الضمير يعود الى اقرب المذكورات وقيل انه يعود الى قتل النفس واكل المال بالباطل لانهما مذكوران في اية واحدة وقيل انه يعود الى ما نهى الله عنه من اول السورة الى هنا عدوانا وظلما يعني يتجاوز الحد فيضع الشيء في غير موضعه فلذلك قيده بالعدوان والظلم لانه قد يكون القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون اخذ المال بحق فلهذا السبب قيده بالوعيد وما كان على وجه العدوان والظلم وهو قوله تعالى فسوف نصليه نارا اي ندخله نارا في الاخرة فانه يصلى فيها وكان ذلك على الله يسيرا اي هينا لانه تعالى قادر على ما يريد قوله عز وجل ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اجتناب الشيء المباعدة عنه وتركه جانبا والكبيرة ما كبر وعظم من الذنوب وعظمت عقوبته وقبل ذكر التفسير نذكر الاحاديث الواردة في الكبائر عن ذلك مما روي عن ابي بكرة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا انبئكم باكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين الا وشهادة الزور وقول الزور وكان متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت اخرجاه في الصحيحين ق عن انس بن مالك قال ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقال الا انبئكم باكبر الكبائر قول الزور او قال شهادة الزور ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم والزنا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات عن ابن مسعود قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الذنب اعظم عند الله قال



ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ان ذلك لعظيم قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس وفي رواية ان اعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الكبائر قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس قال الذي يقتطع مال امرئ مسلم بيمين هو فيها كاذب ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب الرجل ابا الرجل او امه فيسب اباه وامه وفي رواية من اكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه وذكر الحديث وقال عبد الله بن مسعود اكبر الكبائر الاشراك بالله والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله والياس من روح الله وعن سعيد ابن جبير ان رجلا سال ابن عباس عن الكبائر اسبع هي قال هي الى السبعمائة اقرب وفي رواية الى السبعين اقرب الا انه لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار وقال كل شيء عصي الله به فهو كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد في النار من هذه الامة الا من كان راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او مكذبا بقدر وقال علي بن ابي طالب كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب فهو كبيرة وقال سفيان الثوري الكبائر ما كان فيه المظالم فيما بينك وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى كريم يغفر ويعفو واحتج لذلك بما روي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا امة محمد ان الله قد عفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي وقال مالك بن مغول الكبائر ذنوب اهل البدع والسيئات ذنوب اهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمد والسيئات الخطا والنسيان وما اكره عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه الامة وقال السدي الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب الكبائر والسيئات مقدماتها وتوابعها الذي يقع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة والقبلة واشباه ذلك ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن ادم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه لفظ مسلم وقيل الكبائر الشرك وما يؤدي اليه وما دونه فهو من السيئات فقد ثبت بما تقدم من الادلة ان من الذنوب كبائر وصغائر والى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف وثبت بدلالة الكتاب والسنة واذا ثبت انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر فقوله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وهي كل ذنب عظم قبحه وعظمت عقوبته اما في الدنيا بالحد واما في الاخرة بالعذاب عليه نكفر عنكم سيئاتكم يعني

تسترها عليكم حتى تصير بمنزلة ما لم تعمل لأن أصل التكفير الستر والتغطية فصغائر
الذنوب تكفر بالحسنات ولا يكفر كبائرها إلا بالتوبة والإقلاع عنها كما ورد في
الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة
إلى الجمعة كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم تغش الكبائر وزاد في رواية
أخرى ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر أخرجه مسلم
وقوله تعالى **ويدخلكم مدخلا كريما** يعني حسنا شريفا وهو الجنة والمعنى إذا
اجتنبتم الكبائر وأتيتم بالطاعات ندخلكم مدخلا تكرمون فيه قوله عز وجل
**ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض** أصل التمني إرادة الشيء وتشهي حصول
ذلك الأمر المرغوب فيه ومنه حديث النفس بما يكون وبما لا يكون وقيل التمني
تقدير الشيء في النفس وتصويره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد
يكون عن روية وأكثر التمني تصور ما لا حقيقة له وقيل التمني عبارة عن إرادة
ما يعلم أو يظن أنه لا يكون عن مجاهد عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله يغزو
الرجال ولا يغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث فأنزل الله ولا تتمنوا ما فضل الله
به بعضكم على بعض قال مجاهد وأنزل إن المسلمين والمسلمات وكانت أم سلمة
أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة أخرجه الترمذي وقال هذا حديث مرسل
وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الأنثيين من الميراث قالت النساء نحن أحق
وأحوج إلى الزيادة من الرجال لأنا ضعفاء وهم أقوى وأقدر على طلب المعاش منا
فأنزل الله هذه الآية وقيل لما نزلت للذكر مثل حظ الأنثيين قالت الرجال
إنا لنرجو أن نفضل على النساء في الحسنات في الآخرة فيكون لنا الأجر على ضعف
أجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث وقالت النساء إنا لنرجو أن يكون الوزر علينا
نصف ما على الرجال كما لنا في الميراث النصف من نصيبهم فنزلت هذه الآية
والتمني على قسمين أحدهما أن يتمنى الإنسان أن يحصل له ما لغيره مع زوال تلك
النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم هو الحسد وهو مذموم لأن الله تعالى يفيض
نعمه على من يشاء من عباده وهذا الحاسد يعترض على الله تعالى فيما يفعل وربما
اعتقد في نفسه أنه أحق بتلك النعمة من ذلك الإنسان أيضا فهذا اعتراض
على الله أيضا وهو مذموم القسم الثاني أن يتمنى مثل ما لغيره ولا يحب أن
يزول ذلك المال عن الغير وهذا هو الغبطة وهذا ليس بمذموم ومن الناس من منع
منه أيضا قال لأن تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين أو الدنيا قال
الحسن لا تتمن مال فلان ولا مال فلان وما يدريك لعل هلاكه في ذلك المال فليعلم
العبد أن الله أعلم بمصالح عباده فليرض بقضائه ولتكن أمنيته الزيادة من عمل
الآخرة وليقل اللهم أعطني ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعادي وقوله تعالى
**للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن** قال ابن عباس يعني مما ترك الوالدان
والأقربون من الميراث لقوله للذكر مثل حظ الأنثيين وقيل هذا الاكتساب في

الأجر



الأجر يعني أن الرجال والنساء في الأجر في الآخرة سواء لأن الحسنة بعشر أمثالها
والسيئة بمثلها يستوي في ذلك الرجال والنساء وإن فضل الرجال في الدنيا
على النساء وقيل للرجال نصيب مما اكتسبوا من الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن
يعني من طاعة الأزواج وحفظ الفروج **واسألوا الله من فضله** قال ابن عباس
يعني من رزقه وقيل من عبادته وفيه سؤال التوفيق للعبادة وقيل لم يأمر الله
عباده بالمسألة إلا ليعطيهم وفيه تنبيه على أن العبد لا يعين شيئا في الدعاء والطلب
ولكن يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاح دينه ودنياه وآخرته وقيل لما
تمنى النساء أن يكونوا رجالا أو أن يكون لهن مثل ما للرجال نهاهن الله عن ذلك
وأمرهن أن يسألوه من فضله فإنه أعلم بمصالح عباده **إن الله كان بكل شيء عليما**
يعني أنه تعالى عليم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل
في الطلب فإن الله تعالى عليم بما يصلحه فلا يتمنى غير الذي قدر له قوله
تعالى **ولكل** من الرجال والنساء **جعلنا موالي** يعني ورثة من عم وأخوة وسائر
العصبات **مما ترك** يعني يرثون مما ترك **الوالدان والأقربون** من ميراثهم
فعلى هذا الوالدان والأقربون هم الوارثون وقيل إن قوله موالي مما ترك
يعني من تركهم الميت ثم فسر الموالي فقال الوالدان والأقربون فعلى هذا
الوالدان والأقربون هم الوارثون والمعنى ولكل شخص جعلنا ورثة ممن تركهم
وهم الوالدان والأقربون والقول الأول أصح لأنه مروي عن ابن عباس وغيره
**والذين عاقدت أيمانكم** وقرئ عقدت بغير ألف مع التخفيف والمعاقدة
المحالفة والمعاهدة والأيمان جمع يمين يحتمل أن يراد بها القسم أو اليد أو
هما جميعا وذلك أنهم كانوا إذا تحالفوا أخذ كل منهما بيد صاحبه وتحالفوا على
الوفاء بالعهد والتمسك بذلك العقد وكان الرجل يحالف الرجل في الجاهلية
ويعاقده فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك
وسلمي سلمك ترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك
فيكون لكل واحد من الحليفين السدس في مال الآخر وكان الحكم ثابتا في
الجاهلية وابتداء الإسلام فذلك قوله تعالى **فآتوهم نصيبهم** يعني أعطوهم
حظهم من الميراث ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى
ببعض في كتاب الله وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار لما قدموا المدينة وكانوا يتوارثون
بتلك المواخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك
نسختها ثم قال والذين عاقدت أيمانكم من النصر والرفادة والنصيحة وقد
ذهب الميراث ويوصي له وفي رواية أخرى عنه قال والذين عاقدت أيمانكم
فآتوهم نصيبهم كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث
أحدهما الآخر فنسخ ذلك سورة الأنفال فقال وأولوا الأرحام بعضهم أولى

ببعض في كتاب الله وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبني بهذه الاية ثم نسخ ذلك وذهب قوم الى ان الاية ليست بمنسوخة بل حكمها باق والمراد بقوله والذين عاقدت ايمانكم الحلفا والمراد من قوله فاتوهم نصيبهم يعني من النصر والنصيحة والموافاة والمصافاة ونحو ذلك فعلى هذا لا تكون منسوخة وقيل نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق عن داود بن الحصين قال كنت اقرأ على ام سعد بنت الربيع وكانت يتيمة في حجر ابي بكر الصديق فقرأت والذين عاقدت ايمانكم فقالت لا تقرأ والذين عقدت ايمانكم انما نزلت في ابي بكر وابنه عبد الرحمن حين ابا الاسلام فحلف ابو بكر لا يورثه فلما اسلم امره الله ان يوتيه نصيبه اخرجه ابو داود وعلى هذا فلا نسخ ايضا فمن قال ان حكم الاية باق قال انما كانت المعاقدة في الجاهلية على النصرة لا غير والاسلام لم يغير ذلك ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام وايما حلف كان في الجاهلية لم يرده الاسلام الا شدة اخرجه مسلم وقوله تعالى **ان الله كان على كل شيء شهيدا** قال عطا يريد انه لم يغب عنه ما خلق وبرا فعلى هذا الشهيد بمعنى المشاهد والمراد منه علمه بجميع الاشيا وقيل الشهيد هو الشاهد على الخلق يوم القيامة بكل ما عملوه فعلى هذا الشاهد بمعنى المخبر وفيه وعد للطايعين ووعيد للعصاة المخالفين قوله عز وجل **الرجال قوامون على النسا** نزلت في سعد بن الربيع وكان من النقبا وفي امراته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير ويقال امراته بنت محمد بن سلمة وذلك انها نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افرشته كريمتي فلطمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل اتاني فانزل الله هذه الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص فقوله تعالى الرجال قوامون على النسا اي مسلطون على تاديب النسا والاخذ على ايديهن قال ابن عباس امروا عليهن فعلى المراة ان تطيع زوجها في طاعة الله والقوام هو القيام بالمصالح والتدبير والتاديب والرجل يقوم بامر المراة ويجتهد في حفظها ولما اثبت القيام للرجال على النسا بين السبب في ذلك فقال تعالى **بما فضل الله بعضهم على بعض** يعني ان الله تعالى فضل الرجال على النسا بامور منها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة والجهاد والجمعة والجماعات وبالامامة لان منهم الانبيا والخلفا والايمة ومنها ان الرجل يتزوج باربع نسوة ولا يجوز للمراة غير زوج واحد ومنها زيادة التعصيب في الميراث وبيده الطلاق والنكاح والرجعة واليه الانتساب فكل هذا يدل على فضل الرجال على النسا ثم قال تعالى **وبما انفقوا من اموالهم** يعني وبما اعطوا مهور النسا والنفقة عليهن عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت امر احدا ان يسجد لاحد لامرت الزوجة ان تسجد لزوجها اخرجه الترمذي **فالصالحات** يعني المحسنات العاملات بالخير





**قانتات** اي مطيعات لازواجهن وقيل مطيعات لله **حافظات للغيب** لفروجهن في غيبة ازواجهن لئلا يلحق الزوج العار بسبب زناها ويلحق به الولد الذي هو من غيره وقيل معناه حفظ سر زوجها وحفظ ماله وما يجب على المراة من حفظ متاع البيت في غيبة زوجها عن ابي هريرة قال قيل يا رسول الله اي النسا خير قال التي تسره اذا نظر اليها وتطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره اخرجه النسائي ورواه البغوي بسنده الثعلبي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النسا امراة اذا نظرت اليها سرتك واذا امرتها طاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها ثم تلى الرجال قوامون على النسا الاية وقوله تعالى **بما حفظ الله** يعني بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج وامرهم باداء المهر والنفقة اليهن **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنسا خيرا فان المراة خلقت من ضلع وان اعوج ما في الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنسا وقيل في معنى الاية بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب وقيل بما حفظ الله من حقوقهن على ازواجهن حيث امرهم بالعدل فيهن وامساكهن بمعروف او تسريحهن باحسان **واللاتي تخافون** اي تعلمون وقيل تظنون **نشوزهن** اي نشوزهن واصل النشوز الارتفاع ونشوز المراة هو بغضها لزوجها ورفع نفسها عن طاعته والتكبر عليه وقيل دلالات النشوز قد تكون بالقول والفعل فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له اذا خاطبها والفعل مثل ان كانت تقوم له اذا دخل عليها وتسرع الى امره اذا امرها دل ذلك على نشوزها على زوجها **فعظوهن** يعني اذا ظهر منهن امارات النشوز فعظوهن بالتخويف بالقول وهو ان يقول لها اتق الله وخافيه فان لي عليك حقا وارجعي عما انت عليه واعلمي ان طاعتي فرض عليك ونحو ذلك فان اصرت على ذلك هجرها في المضجع وهو قوله تعالى **واهجروهن في المضاجع** يعني ان لم ينزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن في المضاجع قال ابن عباس هو ان يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها وقيل هو ان يعتزل عنها الى فراش اخر **واضربوهن** يعني ان لم ينزعن بالهجران فاضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شاين وقيل هو ان يضربها بالسواك ونحوه قال الشافعي الضرب مباح وتركه افضل عن عمرو بن الاحوص انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد ان حمد الله واثنى عليه وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة فقال الا فاستوصوا بالنسا خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيا غير ذلك الا ان ياتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اخرجه الترمذي بزيادة فيه قوله عوان جمع عانية اي اسيرة شبه المراة ودخولها تحت حكم زوجها بالاسير والضرب المبرح الشديد الشاق **فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا** اي لا تطلبوا عليهن طريقة تحتجون بها عليهن اذا قمن بواجب حقكم عن حكيم بن معاوية عن ابيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة احدنا عليه

قال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت
اخرجه ابو داود قوله ولا تقبح اي لا تقل قبحك الله عن عبد الله بن زمعة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد احدكم امراته جلد العبد ثم لعله يجامعها او قال
يضاجعها من اخر اليوم عن اياس بن عبد الله بن ابي ذباب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تضربوا النساء فجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرن النساء على
ازواجهن فرخص في ضربهن فاطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون
ازواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون ازواجهن
ليس اولئك بخياركم اخرجه ابو داود واياس بن عبد الله هذا قد اختلف في صحبته
وقال البخاري لا تعرف له صحبة قوله ذئرن يقال ذئرت المراة على زوجها اذا نشزت
واجترأت عليه واطاف بالشيء احاط به ففي هذه الاحاديث دليل على ان الاولى ترك
الضرب للنساء فان احتاج الى ضربها للتاديب فلا يضربها ضربا شديدا وليكن ذلك
مفرقا ولا يوالي بالضرب على موضع واحد من بدنها وليتق الوجه لانه مجمع المحاسن
ولم يبلغ بالضرب عشرة اسواط وقيل ينبغي ان يكون الضرب بالمنديل واليد ولا
يضرب بالسوط والعصا وبالجملة فالتخفيف بابلغ شيء اولى في هذا الباب واختلف
العلماء فقال بعضهم حكم الاية مشروع على الترتيب قال علي بن ابي طالب رضي الله
عنه يعظها بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها فان ابت هجر مضجعها فان ابت ضربها
فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكم وقال الاخرون هذا الترتيب مراعى عند خوف النشوز
اما عند تحقق النشوز فلا باس بالجمع بين الكل وقيل له ان يعظها عند خوف النشوز
وهل له ان يهجرها فيه احتمال ذلك وله عند ظهور النشوز ان يعظها وان يهجرها
او يضربها عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسال الرجل فيما ضرب امراته اخرجه
ابو داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل امراته
الى فراشه فابت ان تجيء فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي رواية
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امراته الى فراشها
فتابى عليه الا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها وفي رواية اذا باتت
مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي اخرى حتى ترجع عن طلق بن
علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا الرجل امراته الى حاجته فلتاته ولو
كانت على التنور اخرجه الترمذي وله عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا تؤذي امراة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين
لا تؤذيه قاتلك الله انما هو دخيل عندك يوشك ان يفارقك الينا وله عن ام سلمة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امراة ماتت وزوجها راض عنها
دخلت الجنة وقوله تعالى **فان اطعنكم** يعني فان رجعن عن النشوز الى طاعتكم
عند هذا التاديب **فلا تبغوا عليهن سبيلا** يعني فلا تطلبوا عليهن الضرب
والهجران على سبيل التعنت والايذاء وقيل معناه ازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ



ولا تجنوا عليهن الذنوب وقيل معناه لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بايديهن
**ان الله كان عليا كبيرا** العلي في صفة الله تعالى معناه الرفيع الذي يعلو عن
وصف الواصفين ومعرفة العارفين العلي بالاطلاق الذي يستحق جميع صفات
المدح والكبير هو المستغني عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال
والعظمة والكبرياء وكبر الشان الذي يصغر كل احد لكبريائه وعظمته والمعنى
ان الله متعال من ان يكلف عباده ما لا يطيقونه وقيل وان النساء وان ضعفن
عن دفع ظلم الرجال عنهن فان الله كبير قادر على ان ينتصف لهن ممن ظلمهن
من الرجال وقيل معناه ان الله مع علوه وكبريائه يقبل توبة العاصي اذا تاب
ويغفر له فاذا تابت المراة من نشوزها فالاولى بكم ان تقبلوا توبتها وتتركوا
معاتبتها واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم فانتم
احق بالعفو عن من جنى عليكم قوله تعالى **وان خفتم** يعني وان علمتم وتيقنتم وقيل
معناه الظن اي ظننتم **شقاق بينهما** يعني بين الزوجين واصل الشقاق
المخالفة وكون كل واحد من المتخالفين في شق غير شق صاحبه او يكون اصله
من شق العصا وهو ان يقول كل واحد من الزوجين ما يشق على صاحبه سماعه
وذلك انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة واشتبه حالهما ولم يفعل
الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة وكذلك الزوجة لا تؤدي الحق ولا الفدية
وخرجا الى ما لا يحل قولا وفعلا وقوله تعالى **فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها**
اختلفوا في المخاطبين بهذا ومن المامور ببعثة الحكمين فقيل المخاطب بذلك
هو الامام او نائبه لان تنفيذ الاحكام الشرعية اليه وقيل المخاطب بذلك كل
احد من صالحي الامة لان قوله تعالى فابعثوا خطاب الجمع وليس حمله على البعض
اولى من حمله على البقية فوجب حمله على الكل فعلى هذا يجب ان يكون امرا لاحاد
الامة سواء وجد الامام او لم يوجد فللصالحين ان يبعثوا حكما من اهله وحكما
من اهلها وايضا فهذا يجري مجرى دفع الضرر فلكل واحد ان يقوم به وقيل هو
خطاب للزوجين فاذا حصل بينهما شقاق بعثا حكمين حكما من اهله وحكما من اهلها
**ان يريدا اصلاحا** يعني الحكمين وقيل الزوجين **يوفق الله بينهما** يعني
بالصلاح والالفة روى الشافعي بسنده عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
انه جاءه رجل وامراة ومع كل واحد منهما فئام من الناس فقال علي ما شان هذين
قالوا وقع بينهما شقاق فقال علي فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ثم قال للحكمين
تدريان ما عليكما ان رايتما ان تجمعا جمعتما وان رايتما ان تفرقا فرقتما فقالت
المراة رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي وقال الرجل اما الفرقة فلا فقال علي
كذبت والله حتى تقر بمثل ما اقرت به قال الشافعي والمستحب ان يبعث الحاكم
عدلين ويجعلهما حكمين والاولى ان يكون واحدا من اهله وواحدا من اهلها لان
اقاربهما اعرف بحالهما من الاجانب واشد طلبا للاصلاح فان كانا اجنبيين

جاز وفايدة الحكمين ان كل واحد منهما يخلو بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف
ان رغبته في الاقامة على النكاح او في المفارقة ثم يجتمعان فيفعلان ما هو الصواب
من ايقاع طلاق او خلع والحكمان وكيلان للزوجين وهل يجوز لهما تنفيذ امر
يلزم الزوجين دون رضاهما وان رايا في مثل ذلك ان يطلق حكم الرجل ويفتدي
حكم المراة منه بما لها فلا تنافي في ذلك فقولان احدهما لا يجوز الا برضاهما
وليس لحكم الزوج ان يطلق الا باذنه ولا لحكم المراة ان يختلع منه بمالها الا
باذنها وهو مذهب ابي حنيفة واحمد لان عليا توقف حين قال اما الفرقة فلا فقال
له كذبت حتى تقر بمثل ما اقرت به فثبت ان تنفيذ الامر موقوف على اقراره ورضاه
ومعنى قول علي للزوج كذبت اي لست بمنصف في دعواك حيث لم تقر بمثل ما
اقرت به من الرضى بحكم كتاب الله لها وعليها والقول الثاني انه يجوز بعث الحكمين
دون رضاهما ويجوز لحكم الزوج ان يطلق دون رضاه ولحكم الزوجة ان يختلع دون
رضاها اذا رايا الصلاح في ذلك كالحاكم يحكم بين الخصمين وان لم يكن على وفق مرادهما
وبه قال مالك ومن قال بهذا القول قال ليس المراد من قول علي للزوج حتى تقر
ان رضاه شرط بل معناه ان المراة لما رضيت بما في كتاب الله فقال الرجل اما الفرقة
فلا يعني ليست الفرقة في كتاب الله فقال له علي كذبت حيث انكرت ان تكون
الفرقة في كتاب الله بل هي في كتابه فان قوله تعالى يوفق الله بينهما يشتمل على الفراق
وعلى غيره لان التوفيق ان يخرج كل واحد منهما من الاثم والوزر ويكون ذلك تارة
بالفراق وتارة بصلاح حاليهما في الوصلة وقوله تعالى **ان الله كان عليما خبيرا**
يعني ان الله تعالى يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين وفيه وعيد
شديد للزوجين والحكمين ان سلكوا غير طريق الحق قوله عز وجل **واعبدوا الله**
يعني وحدوه واطيعوه وعبادة الله عبارة عن كل فعل ياتي به العبد لمجرد امر الله ويدخل
فيه جميع اعمال القلوب واعمال الجوارح **ولا تشركوا به شيئا** يعني ولا تخلصوا
له في العبادة ولا تجعلوا له في الربوبية والعبادة شريكا لان من عبد مع الله غيره
او اراد بعمله غير الله فقد اشرك به ولا يكون مخلصا ق عن معاذ بن جبل قال
كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار يقال له عفير واسمه يعفور فقال
يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله
اعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله
ان لا يعذب من لا يشرك به شيئا فقلت يا رسول الله افلا ابشر الناس قال لا تبشرهم
فيتكلوا قوله هل تدري ما حق الله على عباده معناه ما يستحقه مما اوجبه وجعله
متحتما عليهم ثم فسر ذلك الحق بقوله ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وقوله وما
حق العباد على الله انما قال حقهم على سبيل المقابلة لحقه عليهم لا لانهم يستحقون
عليه شيئا ويجوز ان يكون من قول الرجل لصاحبه حقك علي واجب اي متاكد قيامي
به وقوله افلا ابشر الناس الخ انما قال لا تبشرهم فيتكلوا لانه صلى الله عليه وسلم



راي ذلك اصلح لهم واحرى ان لا يتكلوا على هذه البشارة ويتركوا العمل الذي يرفع
لهم به هذه الدرجات في الجنة وقوله تعالى **وبالوالدين احسانا** تقديره
واحسنوا بالوالدين احسانا يعني برا بهما وعطفا عليهما وانما قرن بر الوالدين
بعبادته وتوحيده لتاكد حقهما على الولد واعلم ان الاحسان الى الوالدين
هو ان يقوم بخدمتهما ولا يرفع صوته عليهما ويسعى في تحصيل مرادهما والانفاق
عليهما بقدر القدرة ق عن ابي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي قال امك قال ثم من قال امك
قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم ابوك وفي رواية قال امك ثم امك ثم
اباك ثم ادناك ثم ادناك قوله ثم اباك فيه حذف تقديره ثم بر اباك
م عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه
رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر احدهما او كلاهما ثم
لم يدخل الجنة **وبذي القربى** اي واحسنوا الى ذوي القرابة وهم ذو رحمه
من قبل امه وابيه ق عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من سره ان يبسط له رزقه وينسا له في اثره فليصل رحمه معنى ينسا له في
اثره يؤخر له في اجله وعمره وقوله تعالى **واليتامى والمساكين** اي واحسنوا الى
اليتامى وانما امر بالاحسان اليهم لان اليتيم مخصوص بنوعين من العجز الصغر وعدم
المنفق والمسكين هو الذي ركبه ذل الفاقة والفقر فتمسكن لذلك خ عن سهل
ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا
واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله واحسبه
واحسبه قال وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم لا يفطر وقوله تعالى **والجار
ذي القربى والجار الجنب** اي واحسنوا الى الجار ذي القربى وهو الذي قرب جواره
منك والجار الجنب هو الذي بعد جواره عنك وقيل الجار ذي القربى هو القريب
والجار الجنب هو الاجنبي الذي ليس بينك وبينه قرابة ق عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد
جيرانك وفي رواية قال اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم قال اذا طبخت مرقة فاكثر
ماءها ثم انظر الى اهل بيت من جيرانك فاصبهم منها بمعروف ق عن ابي هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لا يؤمن احدكم والله لا يؤمن احدكم قيل من يا
رسول الله قال الذي لا يامن جاره بوائقه ولمسلم لا يدخل الجنة من لا يامن جاره
بوائقه البوائق الغوائل والشرور م عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة معناه ولو ان تهدي
اليها فرسن شاة وهو الظلف واراد به الشيء الحقير ق عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله

ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه خ عن عائشة
قالت قلت يا رسول الله ان لي جارين فالى ايهما اهدي
قال الى اقربهما منك بابا م عن
ابي ذر قال قال رسول
صلى الله عليه وسلم

والبوم الاخر فلا يوذي جاره ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت
وقوله تعالى **والصاحب بالجنب** قال ابن عباس هو الرفيق في السفر وقيل هي المراة
تكون معك الى جنبك وقيل هو الذي يصحبك رجا نفعك عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله تعالى
خيرهم لجاره اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقوله تعالى **وابن السبيل** يعني
المسافر المجتاز الذي قد انقطع به وقال الاكثرون المراد بابن السبيل الضيف
يمر بك فتكرمه وتحسن اليه ق عن ابن شريح خويلد بن عمرو العدوي قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه
جايزته قالوا وما جايزته يا رسول الله قال يومه وليلته والضيافة ثلاثة ايام
فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه وقال من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا
او ليصمت زاد في رواية ولا يحل لرجل مسلم ان يقيم عند اخيه حتى يوثمه قالوا يا رسول الله
وكيف يوثمه قال يقيم عنده ولا شي عنده يقريه به قوله جايزته يوم وليلة الجايزة
العطية ان يقري الضيف ثلاثة ايام ثم يعطيه ما يجوز به من منهل الى منهل وقيل هو
ان يكرم الضيف فاذا سافر اعطاه ما يكفيه يوم وليلة حتى يصل الى موضع اخر وقوله
ولا يقيم عنده حتى يوثمه اي يوقعه في الاثم لانه اذا اقام عنده ولم يقره اثم بذلك
وقوله تعالى **وما ملكت ايمانكم** يعني المماليك فاحسنوا اليهم والاحسان اليهم
ان لا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يوذيهم بالكلام الخشن وان يعطيهم من الطعام والكسوة
وما يحتاجون اليه بقدر الكفاية عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا يدخل الجنة سيي الملكة اخرجه الترمذي عن رافع بن مكيث ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال حسن الملكة نما وسوء الخلق شوم اخرجه ابو داود وله عن علي بن ابي طالب
قال كان اخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت
ايمانكم ق عن المعرور بن سويد قال رايت ابا ذر وعليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها فسالته
عن ذلك فذكر انه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بامه فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك امرو فيك جاهلية
قلت على ساعتي هذه من كبر السن قال نعم هم اخوانكم وخولكم جعلهم الله تحت ايديكم
فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان
كلفتموهم فاعينوهم عليه قوله تعالى **ان الله لا يحب من كان مختالا** المختال المتكبر
العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الناس **فخورا** الفخور هو الذي يفتخر على الناس
ويعدد مناقبه تكبرا وتطاولا ولا يعلي من دونه وقيل هو الذي يفتخر على عباد الله بما اعطاه
الله من نعمه ولا يشكر الله عليها وانما ختم الله هذه الاية بهذين الوصفين المذمومين
لان المختال والفخور يانف من اقاربه الفقرا ومن جيرانه الضعفا فلا يحسن اليهم
ولا ياوي ينظر عليهم لان المختال هو المتكبر ومن كان متكبرا فلا يقوم بحقوق الناس
عن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من

جر

جر ثوبه خيلا خ عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله الى من جر
ازاره بطرا ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي في حلة
تعجبه نفسه مرجل شعر راسه يختال في مشيته اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل
في الارض الى يوم القيامة خ عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل
ممن كان قبلكم يجر ازاره من الخيلا خسف به فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيامة ق
عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر والخيلا في الفدادين
من اهل الوبر والسكينة في اهل الغنم الفدادون هم الفلاحون والحراثون واصحاب
الابل والبقر المستكثرون منها المتكبرون على الناس بها قوله عز وجل **الذين
يبخلون ويامرون الناس بالبخل** نزلت في اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله
عليه وسلم فكتموها وعلى هذا يكون المراد بالبخل كتمان العلم وقال ابن عباس نزلت في
كردم بن زيد وحيي بن اخطب ورفاعة بن زيد بن التابوه واسامة بن حبيب ونافع
ابن ابي نافع وبحري بن عمرو وكانوا ياتون رجالا من الانصار ويخالطونهم ويقولون
لهم لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون فانزل الله
عز وجل هذه الاية وقيل ان ذلك يحتمل ان يكون المراد بالبخل كتمان العلم ومنع
المال لان البخل في كلام العرب منع السايل من فضل ما لديه وامساك المقتنيات
وفي الشرع البخل عبارة عن امساك الواجب ومنعه واذا كان كذلك امكن حمله
على منع المال ومنع العلم **ويكتمون ما اتاهم الله من فضله** يعني اليهود كتموا
صفة محمد صلى الله عليه وسلم وما عندهم من العلم وقيل هم الاغنيا الذين كتموا
الغنا واظهروا الفقر وبخلوا بالمال **واعتدنا للكافرين** يعني الجاحدين نعم الله
عليهم **عذابا مهينا** يعني في الاخرة عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مومن البخل وسوء الخلق اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب قوله عز وجل **والذين ينفقون اموالهم رئاء
الناس** يعني للفخار والسمعة وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا يريدون
بما انفقوا وجه الله عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركا عن الشرك من عمل عملا اشرك
معي فيه غيري تركته وشركه نزلت هذه الاية في اليهود وقيل في المنافقين لان
الريا ضرب من النفاق وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم **ولا يومنون بالله ولا باليوم الاخر** يعني ولا يصدقون
بتوحيد الله ولا بالمعاد الذي فيه جزا الاعمال انه كاين **ومن يكن الشيطان
له قرينا فسا قرينا** يعني من يكن الشيطان صاحبه وخليله فبيس الصاحب
وبيس الخليل الشيطان وانما اتصل الكلام هنا بذكر الشيطان تقريعا
لهم على طاعة الشيطان والمعنى من يكن عمله بما سول له الشيطان فبيس
العمل عمله وقيل هذا في الاخرة يجعل الله الشياطين قرناهم في النار يقرن مع

كل كافر شيطان في سلسلة من النار ثم وبخهم الله تعالى وعيرهم على ترك الايمان فقال
تعالى وماذا عليهم يعني واي شيء عليهم واي وبال وتبعة تلحقهم لو آمنوا بالله
واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي اي وبال عليهم في الايمان بالله والانفاق
في سبيله وابتغاء مرضاته وكان الله بهم عليما يعني لا يخفى عليه شيء من اعمال هؤلاء
الذين ينفقون اموالهم لاجل الريا والسمعة ففيه وعيد وتهديد لهم قوله عز وجل
ان الله لا يظلم مثقال ذرة نظم الكلام وماذا عليهم لو آمنوا وانفقوا فان الله لا
يظلم يبخس ولا ينقص احدا من ثواب عمله مثقال ذرة يعني وزن ذرة وقال ابن عباس
الذرة راس نملة حمرا وقيل الذرة كل جزء من اجزاء الهبا الذي يكون في الكوة اذا
كان فيها ضوء الشمس لا وزن لها وهذا مثل ضربه الله تعالى لاقل الاشيا والمعنى ان الله
تعالى لا يظلم احدا شيئا من قليل ولا كثير فخرج الكلام على اصغر شيء يعرفه الناس
وان تك حسنة يضاعفها يعني الحسنة بعشر امثالها وقيل هذا عند الحساب فمن بقي
له من الحسنات مثقال ذرة ضاعفها الله الى سبعمائة والى اجر عظيم قال قتادة لان تفضل
حسناتي على سيئاتي بمثقال ذرة احب الي من الدنيا وما فيها م عن انس بن مالك في قوله تعالى
ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله لا يظلم مومنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة واما الكافر فيطعم
بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي
بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى
سيخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون
سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون
فيقول لا يا رب فيقول الك عذر فيقول لا يا رب فيقول تعالى بلى ان لك عندنا حسنة
فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات
فقال فانك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات
وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء اخرجه الترمذي ق عن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة
ويقولون اللهم سلم سلم فقيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه
خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شوكة يقال لها السعدان فيمر
المومنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج
مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم حتى اذا خلص المومنون من النار فوالذي
نفسي بيده ما من احد منكم باشد مناشدة لله في استيفا الحق من المومنين لله
يوم القيامة لاخوانهم الذين في النار وفي رواية فما انتم باشد مناشدة في الحق
قد تبين لكم من المومنين يومئذ للجبار اذا راوا انهم قد نجوا في اخوانهم فيقولون
ربنا انهم كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم

فتحرم



فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه
ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقال ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال
دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا
احدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون
خلقا كثيرا فيقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني
بهذا الحديث فاقروا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها
ويوت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون ولم
يبق الا ارحم الراحمين فيقبض الله قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط
قد عادوا حمما فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج
الحبة في حميل السيل الا ترونها الا الحجر او الى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر
وما يكون منها الى الظل يكون ابيض فقالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية
قال فيخرجون كاللولو في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة هولا عتقا الله الذين
ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رايتموه
فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندي
افضل من هذا فيقولون ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم
ابدا لفظ مسلم وهو بعض حديث وقال بعضهم هذه الاية واردة في الخصوم ويدل عليه
ما روي عن ابن مسعود قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين ثم نادى
مناد من عند الله الا من كان يطلب مظلمة فليجي الى حقه فلياخذه قال فيفرح المرء
ان يكون له الحق على والده او ولده او زوجته او اخيه فياخذ منه وان كان صغيرا ⁘
ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم
يومئذ ولا يتساءلون ويوتى بالعبد وينادي مناد على رؤوس الاولين والآخرين
هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فلياتي الى حقه ثم يقال له ات هولا حقوقهم
فيقول اي رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله تعالى للملائكة انظروا الى اعماله
الصالحات فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من حسنة قالت الملائكة يا ربنا وهو
اعلم بذلك اعطينا كل ذي حق حقه وبقي له مثقال ذرة من حسنة فيقول للملائكة
ضعفوها لعبدي وادخلوه بفضل رحمتي الجنة ومصداق ذلك في كتاب الله ان الله
لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما اي في الجنة
وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة الهنا فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقول
الله تعالى خذوا من سيئاتهم فاضيفوها الى سيئاته ثم اكتبوا له كتابا الى النار اخرجه
البغوي بغير سند عن ابن مسعود موقوفا عليه واسنده ابن جرير الطبري عن ابن
مسعود فمعنى الاية على هذا التاويل ان الله لا يظلم مثقال ذرة للخصم على خصمه
بل ياخذها له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له بل يثيبه عليها ويضاعفها له فذلك
قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها اي يجعلها اضعافا كثيرة ويوت من لدنه يعني

من عنده اجرا عظيما يعف الجنة والمعنى ويعطي من عنده اجرا عظيما يعني عوضا من
حسنة وذلك العوض هو الجنة وقال ابو هريرة اذا قال الله عز وجل اجرا عظيما فمن
يقدر قدره قوله تعالى **فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد** يعني فكيف يكون
حال هولاء المشركين والمنافقين يوم القيامة اذا جئنا من كل امة بشهيد قال ابن
عباس يريد نبيها والمعنى انه يوتى بنبي كل امة يشهد عليها ولها **وجئنا بك** يا محمد
**على هولاء شهيدا** يعني تشهد على هولاء الذين سمعوا القران وخطبوا به بما عملوا
ق عن ابن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا علي القران فقلت
يا رسول الله اقرا عليك وعليك انزل قال اني احب ان اسمعه من غيري قال فقرات
عليه سورة النساء حتى جئت الى هذه الاية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
بك على هولاء شهيدا قال حسبك الان قال فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان زاد
مسلم شهيدا ما دمت فيهم او قال ما كنت فيهم شك احد رواته وقوله تعالى **يومئذ**
يعني يوم القيامة **يود** اي يتمنى **الذين كفروا** يعني جحدوا وحدانية الله تعالى
**وعصوا الرسول** يعني فيما امرهم به من توحيد الله عز وجل **لو تسوى بهم الارض**
يعني لو صاروا فيها وسويت عليهم وقيل لهم ودوا لن يبعثوا لانهم انما كانوا في
الارض وهي مستوية عليهم وقال الكلبي يقول الله تعالى للبهايم والوحوش والطيور
كونوا ترابا فتسوى بهن الارض فعند ذلك يتمنى الكافر لو يكون ترابا **ولا يكتمون
الله حديثا** قال ابن عباس في رواية عطا ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم
يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا كفروا به ولا نافقوه فعلى هذا القول يكون
كتمانا ما كتموه في الدنيا من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وهو كلام متصل بما قبله
وقيل هو كلام مستانف قال سعيد بن جبير قال رجل لابن عباس فقال اني اجد
في القران اشيا تختلف علي قال هات ما يختلف عليك قال منها قوله ولا يكتمون
الله حديثا ومنها قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا فقال ابن عباس يغفر الله
تعالى لاهل الاخلاص ذنوبهم ويدخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول
ما كنا مشركين فيقولون والله ما كنا مشركين رجاء ان يغفر لهم فيختم على افواههم
وتنطق ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك عرفوا ان الله لا يكتم حديثا وعنده
يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض فلا يختلف عليك القران
فانه كلام عند الله وقال الحسن انها مواطن ففي موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا
وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وما كنا نعمل
من سوء وفي موطن يعترفون على انفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنوبهم وفي موطن
لا يتساءلون وفي موطن يسالون الرجعة واخر تلك المواطن يختم على افواههم وتتكلم
جوارحهم فهو قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا
لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى** جمع سكران **حتى تعلموا ما تقولون** سبب
نزول هذه الاية ما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال صنع لنا ابن عوف

طعاما



طعاما فدعانا فاكلنا واسقانا الخمر قبل تحريم الخمر فاخذت منا وحضرت الصلاة
فقدموني فقرات قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون
قال فخلطت فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح واخرجه ابو داود ولفظه ان رجلا من الانصار
دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاهما قبل ان تحرم الخمر فحضرت الصلاة فامهم علي
في المغرب فقرا قل يا ايها الكافرون فخلط فيها فنزلت الاية لا تقربوا الصلاة
وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس ان رجالا
كانوا ياتون الصلاة وهم سكارى قبل ان تحرم الخمر فقال الله عز وجل يا ايها
الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى الاية فصل اختلفوا في المراد بالصلاة
قولان احدهما انه نفس الصلاة ذات الركوع والسجود وهو قول الاكثرين والمعنى
لا تصلوا وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون والقول الثاني ان المراد بالصلاة
موضع الصلاة وهو المسجد واطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل فيكون من باب
حذف المضاف والمعنى لا تقربوا موضع الصلاة وانتم سكارى وحذف المضاف
سائغ ويدل على هذا قوله تعالى لهدمت صوامع وبيع وصلوات والمراد بالصلاة
مواضعها فثبت ان اطلاق لفظ الصلاة والمراد موضعها جائز واعلم ان هذا
النهي عن قربان الصلاة في حال السكر انما كان قبل تحريم الخمر فكانوا يشربونها
في غير اوقات الصلاة ثم نزل تحريم الخمر بعد ذلك ونسخت هذه الاية وقال
الضحاك المراد بالسكر سكر النوم يعني لا تقربوا الصلاة عند غلبة النوم
ويدل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا
نعس احدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا صلى وهو ناعس
لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه لفظه اخرجاه في الصحيحين **ولا جنبا**
يعني ولا تقربوا الصلاة وانتم جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب واصل الجنابة البعد وسمي
الذي اصابته الجنابة جنبا لانه يجتنب الصلاة والمسجد وقيل لمجانبته الناس حتى
يغتسل **الا عابري سبيل** العابر هو هاهنا فاعل العبور وهو قطع الطريق من هذا الجانب
الى الجانب الاخر واختلف العلماء في معنى قوله الا عابري سبيل على قولين احدهما
ان المراد بالعبور هو العبور في المسجد وذلك ان قوما من الانصار كانت ابوابهم
في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا ممر لهم الا في المسجد فرخص لهم
العبور فيه فعلى هذا القول يكون المراد بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لا تقربوا
المسجد وانتم جنب الا مجتازين فيه اما للخروج منه او للدخول فيه مثل ان يكون
فنام فاحتلم فيجب الخروج منه او يكون الماء في المسجد فيدخل اليه او يكون طريقه
عليه فيمر فيه من غير اقامة وهذا قول ابن مسعود وانس بن مالك والحسن
وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وعطا الخراساني والنخعي والزهري قالوا

ذهب الشافعي ولحجة القول الثاني ان المراد من قوله الا عابري سبيل المسافرين
والمعنى ولا تقربوا الصلاة وانتم جنب الا ان تكونوا مسافرين ولم تجدوا الما فتيمموا
فمنع الجنب من الصلاة حتى يغتسل الا ان يكون في سفر ولا ما معه فيتيمم ويصلي
الا ان يجد الما فيغتسل وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة
فمن جعل عابري سبيل المسافر منع الجنب من العبور في المسجد وهو مذهب ابي حنيفة وصحح
الطبري قول اصحاب القول الاول ويدل على صحته وجهان احدهما ان المسافر
الجنب لا تصح صلاته بدون التيمم ولم يذكر التيمم هاهنا فيحتاج الى اضمار شي
عن الما وذكر التيمم وعلى القول الاول لا يحتاج الى اضمار شي الوجه الثاني ان الله
تعالى ذكر حكم السفر وعدم الما وجواز التيمم بعد هذا فلا يحمل هذا على حكم معاد
في الاية ويدل عليه ان جميع القرا استحسنوا الوقوف على قوله **حتى تغتسلوا**
يعني ان تغتسلوا وفيه دليل على ان حكم الجنابة باق على الجنب الى غاية هي الاغتسال

**فصل** في احكام تتعلق بالاية اختلف العلما في العبور في المسجد[2]
واختلف العلما في المكث في المسجد ايضا للجنب فمنعه اكثر اهل العلم وقالوا لا يجوز
للجنب المكث في المسجد بحال لما روي عن عايشة قالت جا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ووجوه بيوت اصحابه شارعة في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن
المسجد ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيئا رجا ان ينزل
لهم رخصة فخرج اليهم بعد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فاني لا احل المسجد
لحايض ولا جنب اخرجه ابو داود وجوز احمد المكث في المسجد بشرط الوضو وبه قال
المزني من اصحاب الشافعي واجاب احمد عن حديث عايشة بانه في بعض رواته مجهول
وقال عبد الحق لا يثبت من قبل اسناده واستدل احمد لمذهبه بما روي عن عطا
ابن يسار قال رايت رجالا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون في
المسجد وهم مجنبون اذا توضوا وضو الصلاة اخرجه سعيد بن منصور في مسنده
واحتج لمذهب الجمهور بعموم الاية وبما روي عن ام سلمة قالت دخل النبي صلى الله
عليه وسلم صرحة هذا المسجد فنادى باعلى صوته ان المسجد لا يحل لجنب ولا لحايض
اخرجه ابن ماجه ويحرم على الجنب ايضا الطواف وقراة القران كما يحرم عليه فعل
الصلاة ويدل على ذلك ايضا ما روي عن علي بن ابي طالب قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقضي حاجته ثم يخرج فيقرا القران وياكل معنا اللحم ولا يحجبه وربما قال
ولا يحجزه من القران ليس من الجنابة اخرجه ابو داود والنسايي والترمذي ولفظه
كان يقرينا القران على كل حال ما لم يكن جنبا وقال حديث حسن صحيح عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرا الجنب ولا الحايض ولا النفسا من القران
شيئا اخرجه الدارقطني ويجب الغسل باحد شيئين بانزال المني وهو الما الدافق او
بايلاج الحشفة في الفرج وان لم ينزل ويدل على ذلك ايضا ما روي عن علي بن ابي طالب
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته ثم يخرج فيقرا القران الى قوله

ولا

[2] فالحاصل ان فيه اقوال الاطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعي
والمنع مطلقا وهو قول اصحاب الراي وقال قوم يمنع الا العبور



ولا النفسا روي عن عايشة قالت سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجد البلل
ولا يذكر احتلاما قال يغتسل وعن الرجل يرى انه احتلم ولا يجد بللا قال لا غسل عليه
قالت ام سلمة والمراة ترى ذلك اعليها غسل قال نعم اخرجه ابو داود والترمذي **ق**
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جلس بين شعبها الاربع ثم جهدها فقد
وجب الغسل زاد في رواية وان لم ينزل قوله تعالى **وان كنتم مرضى** جمع مريض واراد
به المرض الذي يضر معه امساس الما مثل الجدري واحراق النار ونحو ذلك وان كان على
بعض اعضايه جراحة او به قروح يخاف من استعمال الما التلف او زيادة الوجع فانه يتيمم
ويصلي مع وجود الما وان كان بعض اعضايه صحيحا وبعضها جريحا غسل الصحيح وتيمم للجريح
في الوجه واليدين لما روي عن جابر قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في
راسه ثم احتلم فسال اصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة
وانت تقدر على الما فاغتسل فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك
فقال قتلوه قتلهم الله الا سالوا اذا لم يعلموا فانما شفا العي السوال انما كان يكفيه
ان يتيمم ويعصب وقال يعصب شك الراوي على جرحه خرقة ثم يمسح عليه ويغسل ساير
جسده اخرجه ابو داود والدارقطني ولم يجوز اصحاب الراي الجمع بين الغسل والتيمم قالوا
اذا كان اكثر اعضايه او بدنه صحيحا غسل الصحيح ولا يتيمم عليه وان كان الاكثر جريحا
اقتصر على التيمم والحديث حجة لمن اوجب الجمع بين الغسل والتيمم قوله تعالى **او على سفر**
يعني او كنتم مسافرين واراد به السفر الطويل والقصير وعدم الما فانه يتيمم ويصلي
ولا اعادة عليه لما روي عن ابي ذر قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا ابا ذر ابد فيها فبدرت الى الربذة فكانت تصيبني الجنابة فامكث الخمس والست
فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو ذر فسكت فقال ثكلتك ابا ذر امك
الويل فدعا بجارية سودا فجات بعس فيه ما فسترتني بثوب واستترت بالراحلة
فاغتسلت فكاني القيت عني جبلا فقال الصعيد الطيب وضو المسلم ولو الى عشر سنين
فاذا وجدت الما فامسه جلدك فان ذلك خير اخرجه ابو داود العس قدح من خشب
يجعل فيه الما للوضو والاغتسال اما اذا لم يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم
الما في موضع لا يعدم فيه غالبا فانه يتيمم ويصلي ثم يعيد اذا وجد الما وقدر
عليه وبه قال الشافعي وقال مالك والاوزاعي لا اعادة عليه وقال ابو حنيفة
يوخر الصلاة حتى يجد الما وقوله تعالى **او جا احد منكم من الغايط** الغايط المكان
المطمين من الارض وجمعه الغيطان وكانت عادة العرب اتيان الغايط للحدث فكنوا
به عن الحدث وذلك ان الرجل منهم كان اذا اراد قضا الحاجة طلب غايطا من الارض
يعني مكانا منخفضا من الارض يحجبه عن اعين الناس فسمي الحدث بهذا الاسم
وهو من باب تسمية الشي باسم مكانه وقوله تعالى **او لامستم النسا** قري
هنا وفي سورة المايدة لامستم النسا ولمستم بغير الف واختلف العلما في معنى
الملامسة على قولين احدهما انه الجماع وهو قول علي وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة

ووجه هذا القول ان الله تعالى كنى باللمس عن الجماع لانه باللمس يتوصل اليه قال ابن عباس
ان الله حي كريم يكني عن الجماع بالملامسة والقول الثاني ان المراد باللمس هنا التقاء
البشرتين سواء كان بجماع او بغير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي والنخعي
ووجه هذا القول ان اللمس حقيقة في اللمس باليد فاما حمله على الجماع فمجاز والاصل
حمل الكلام على الحقيقة لا المجاز واما قراءة من قرا او لامستم والملامسة مفاعلة
من اللمس لانه لا يدل على الجامعة ايضا على الاطلاق لانه قد ورد في الحديث النهي عن الملامسة
قال ابو عبيدة في معناها هي ان يقول اذا لمست ثوبي او لمست ثوبك فقد وجب البيع
فالملامسة في الحديث بمعنى اللمس باليد وان كانت مستعملة في غير الجامعة لم يدل
قوله تعالى او لامستم النسا على صريح الجماع بل يحمل على الاصل الموضوع له وهو اللمس
باليد **فصل** في احكام تتعلق بالاية وفيه مسايل المسيلة الاولى اذا
افضى الرجل بشي من بدنه الى شي من بدن المراة ولا حايل بينهما انتقض وضوهما
وهو قول ابن مسعود وابن عمر وبه قال الزهري والاوزاعي والشافعي لما روى الشافعي
بسنده عن ابن عمر انه قال قبلة الرجل امراته وجسها بيده من الملامسة فمن قبل
امراته او جسها بيده فعليه الوضوء اخرجه مالك في الموطا قال الشافعي وبلغنا عن
ابن مسعود مثله وقال مالك والليث بن سعد واحمد واسحاق اذا كان اللمس بشهوة
انتقض الوضوء وان لم يكن بشهوة فلا ويدل عليه ما روي عن عايشة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل امراة من نسايه ثم خرج الى الصلاة ولم يتوضا قال عروة
من هي الا انت فضحكت اخرجه ابو داود ويجيب عن هذا الحديث بانه ليس بثابت
قال الترمذي انه لا يصح اسناده بحال وسمعت محمد بن اسماعيل يضعف هذا الحديث
وقال حبيب بن ثابت لم يسمع من عروة وضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث
وقال هو شبه لا شي وفيه ضعف من وجه اخر وهو ان عروة هذا ليس بعروة بن الزبير
ابن اخت عايشة انما هو شيخ مجهول قال البيهقي يعرف بعروة المزني وانما المحفوظ
عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صايم كذا رواه الثقة عن عايشة
وقال ابو حنيفة لا ينتقض الوضوء باللمس الا ان يحدث الانتشار وقال قوم لا
ينقض بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري واحتج من لم يوجب
الوضوء باللمس بما روي عن عايشة انها قالت كنت انام بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورجلاي في قبلته فاذا سجد غمزني فقبضت رجلي فاذا قام بسطتهما
والبيوت يوميذ ليس فيها مصابيح اخرجاه في الصحيحين واجاب من اوجب الوضوء
باللمس عن هذا الحديث بانه يحتمل ان يكون غمزها على حايل المسيلة الثانية
اختلف قول الشافعي في لمس المحرم كالام والبنت والاخت او اجنبية صغيرة فاصح
القولين عنه انه لا ينتقض الوضوء به وماخذ القولين عند اصحاب الشافعي
التردد بين التعلق بعموم الاية في قوله او لامستم النسا والنظر الى المعنى في التعلق
باللمس وهو تحرك الشهوة فان اخذنا بعموم الاية فينتقض الوضوء بلمس المحارم

وان



وان اخذنا بالمعنى فلا ينتقض وفي الملموس قولان والملموس هو الذي لا وقع منه في
المباشرة رجلا كان او امراة واللامس هو الفاعل للمس وان لم يقصد المباشرة
فاحد القولين انه ينتقض وضوء اللامس والملموس لعموم الاية لانه لمس وقع بين
الرجل والمراة فينتقض وضوهما معا والقول الثاني انه ينتقض وضوء اللامس
دون الملموس لما روي عن عايشة قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
من الفراش فالتمسته فوضعت يدي على اخمص قدميه وهو ساجد وهما منصوبتان
وهو يقول اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك واعوذ بك منك
لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت على نفسك اخرجه مسلم فلو انتقض وضوءه صلى الله
عليه وسلم لقطع الصلاة ولو لمس شعر امراة او سنها او ظفرها فلا وضوء عليه المسيلة
الثالثة في الحدث وهو الخارج من السبيلين عينا كان كالبول والغايط او اثرا كالريح
ونحوها فاذا حصل شي من ذلك فلا تصح صلاته ما لم يتوضا او يتيمم عند عدم
الما لما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة
احدكم اذا احدث حتى يتوضا فقال رجل من اهل حضرموت ما الحدث يا ابا هريرة قال
فسا او ضراط اخرجاه في الصحيحين اما خروج النجاسة من غير السبيلين كالفصد
والحجامة والرعاف والقي ونحوها فذهب قوم الى انه لا وضوء من خروج هذه الاشيا
يروى ذلك عن ابن عمر وابن عباس وبه قال عطا وطاوس والحسن وابن المسيب واليه
ذهب مالك والشافعي لما روي عن انس قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى
ولم يتوضا ولم يزد على غسل محاجمه اخرجه الدارقطني وذهب قوم الى ايجاب
الوضوء من ذلك منهم سفيان الثوري وابن المبارك واصحاب الراي واحمد واسحاق
واتفقوا على ان خروج القليل منه لا ينقض الوضوء ويدل على انتقاض الوضوء
بخروج هذه الاشيا ما روي عن معدان بن ابي طلحة عن ابي الدردا ان النبي صلى الله
عليه وسلم قا فتوضا قال معدان فلقيت ثوبان في مسجد دمشق فذكرت له ذلك
فقال صدق انا صببت له وضوءه اخرجه الترمذي وقال هو اصح شي
في هذا الباب المسيلة الرابعة من نواقض الوضوء زوال العقل بجنون او اغما
او نوم لما روي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين وكا السه
فمن نام فليتوضا اخرجه ابو داود وابن ماجه ويستثنى من ذلك النوم اليسير
قاعدا مفضيا بمحل الحدث الى الارض ويدل على ذلك ما روي عن انس قال كان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون العشا الاخيرة حتى تخفق روسهم ثم يصلون
ولا يتوضون اخرجه ابو داود وذهب قوم الى ان النوم لا ينقض الوضوء بكل حال وهو
قول ابي هريرة وعايشة وبه قال الحسن واسحاق والمزني وذهب قوم الى انه لو نام
قايما او قاعدا او ساجدا او هو في الصلاة فلا وضوء عليه حتى يضطجع وبه قال سفيان
الثوري وابن المبارك واصحاب الراي لما روي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ليس على من نام ساجدا وضوء حتى يضطجع فانه اذا اضطجع استرخت مفاصله

اخرجه احمد بن حنبل وضعف بعضهم هذا الحديث المسيلة الخامسة من نواقض الوضوء مس الفرج من نفسها وغيره فذهب قوم الى انه يوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عباس وسعيد بن ابي وقاص وابي هريرة وعايشة وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار واليه ذهب الاوزاعي والشافعي واحمد واسحاق غير ان الشافعي قال ينتقض الوضوء اذا المس ببطن الكف والرجل والمراة في ذلك سوا ويدل على ذلك ما روي عن بسرة بن صفوان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مس ذكره فلا يصلي حتى يتوضا اخرجه الترمذي وقال الحديث صحيح ولابي داود والنسا نحوه وعن ام حبيبة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مس فرجه فليتوضا اخرجه ابن ماجة وصححه ابو زرعة وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من افضى بيده الى ذكره وليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء اخرجه احمد بن حنبل وذهب قوم الى ان مس الذكر لا يوجب الوضوء وهو قول علي وابن مسعود وابي الدردا وحذيفة وبه قال الحسن واليه ذهب الثوري وابن المبارك واصحاب الراي واحتجوا بما روي عن طلق ابن علي قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه رجل كانه بدوي فقال يا نبي الله ما ترى في مس الرجل ذكره بعدما توضا فقال هل هو الا مضغة او بضعة منه اخرجه ابو داود وللترمذي والنسائي نحوه بمعناه واجاب من اوجب الوضوء من مس الذكر عن حديث طلق بن علي بان قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في اول الهجرة وهو يبني المسجد وابو هريرة من اخرهم اسلاما وقد روي انتقاض الوضوء بمس الذكر فصار حديث ابي هريرة ناسخا لحديث طلق بن علي وايضا فان حديث طلق رواه عنه ابنه قيس بن طلق وهو ليس بالقوي عند اهل الحديث وقوله **فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا** اعلم ان التيمم من خصايص هذه الامة خصها الله تعالى به تسهيلا عليهم اسباب العبادة ويدل على ذلك ما روي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملايكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الما اخرجه مسلم وكان سبب بدو التيمم ما روي عن عايشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيدا او بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ما وليس معهم ما فاتى الناس الى ابي بكر فقالوا الا ترى الى ما صنعت عايشة اقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس معه وليسوا على ما وليس معهم ما فجا ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع راسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ما وليس معهم ما قالت عايشة فعاتبني ابو بكر وقال ما شا الله ان يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اصبح على غير ما فانزل الله عز وجل اية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن حضير وهو احد النقبا



ما هي باول بركتكم يا ال ابي بكر قالت عايشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا العقد تحته اخرجاه في الصحيحين قوله بالبيدا البيدا المفازة والقفر وكل صحرا فهي بيدا وجمعها بيد وذات الجيش اسم موضع وهي على بريد من المدينة وقولها فبعثنا البعير اي اثرناه قوله تعالى فلم تجدوا ما هذا معطوف على ما قبله والمعنى او جاء احد منكم من الغايط او لامستم النسا فطلبتم الما لتطهروا به فلم تجدوه يعني فاعوزكم فلم تجدوه بثمن ولا بغير ثمن لان المحدث مامور بالتطهير بالما فاذا اعوزه الما عدل عنه الى التيمم بعد طلب الما قال الشافعي اذا دخل وقت الصلاة طلب الما فان لم يجده تيمم وصلى ثم اذا دخل وقت الصلاة الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى وقال ابو حنيفة لا يجب عليه الطلب للصلاة الثانية حجة الشافعي قوله تعالى فلم تجدوا ما فعدم الوجدان مشعر بسبق الطلب فلا بد في كل مرة من سبق الطلب واجمعوا على انه لو وجد الما لكنه يحتاج اليه لعطشه او عطش حيوان محترم فانه يجوز له التيمم مع وجدان ذلك الما وقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اصل التيمم في اللغة القصد يقال تيممت فلانا اذا قصدته وهو في الشرع عبارة عن افعال مخصوصة عند عدم الما لتادية الصلاة واختلفوا في الصعيد الطيب فقال قتادة الصعيد الارض التي ليس فيها شجر ولا نبات وقال ابن زيد الصعيد المستوي من الارض وكذلك قال الليث الصعيد الارض المستوية التي لا شي فيها وقال الفرا الصعيد هو التراب وكذلك قال ابو عبيد في قوله صلى الله عليه وسلم اياكم والقعود بالصعدات قال الصعدات الطرق ماخوذ من الصعيد وهو التراب وقيل الصعيد وجه الارض البارز وهو اختيار الزجاج قال الصعيد وجه الارض ولا ابالي كان في الموضع ترابا ولا لان الصعيد ليس هو التراب انما هو وجه الارض ونقل الربيع عن الشافعي في تفسير الصعيد فقال لا يقع اسم الصعيد الا على تراب ذي غبار فاما البطحا الغليظة والرقيقة فلا يقع عليها اسم الصعيد فان خالطه تراب او مدر يكون له غبار كان الذي خالطه هو الصعيد قال ولا يتيمم بنورة ولا كحل ولا زرنيخ كل هذا حجارة هذا كلام الشافعي في تفسير الصعيد وهو القدوة في اللغة وقوله في ذلك حجة وقد وافقه على ذلك الفرا وابو عبيد في انه التراب وجميع الاقوال في الصعيد صحيحة في اللغة لكن المراد به هنا التراب وقد قال ابن عباس في قوله صعيدا هو التراب واختلف اهل العلم فيما يجوز به التيمم فذكر الشافعي انه يختص بما وقع عليه اسم التراب مما له غبار يعلق بالوجه واليدين لان النبي صلى الله عليه وسلم قال جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا فخص التراب بالطهور ولان الله تعالى وصف الصعيد بالطيب والطيب من الارض هو الذي ينبت فيها بدليل قوله والبلد الطيب يخرج نباته فعلى هذا ما لا ينبت فليس بطيب ولنا ايضا قوله تعالى في سورة المايدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه وكلمة من للتبعيض هنا ولا يتاتى ذلك في الصخر الذي لا تراب عليه وايضا فانه يقال للغبار صعيد لانه ماخوذ من الصعود

وهو الارتفاع ولا يكون ذلك في الحصى وما اشبهه وذهب ابو حنيفة ومالك الى انه
يجوز التيمم بكل ما هو من جنس الارض كالرمل والجص والنورة والزرنيخ ونحو ذلك
حتى لو ضرب بيده على صخرة ملساء لا غبار عليها صح تيممه عندهم واحتج ابو حنيفة ومن
وافقه بظاهر الاية قالوا لان التيمم هو القصد والصعيد اسم لما تصاعد من الارض
فقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اي اقصدوا ارضا فوجب ان يكون هذا القدر كافيا
واجيب عنه بما تقدم من الدليل في قوله منه وان لفظة من تكون للتبعيض قالوا
ولما روي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا واجيب
عنه بان هذا مجمل يفسره ما تقدم من حديث حذيفة في تخصيص التراب والمفسر
يقضي على المجمل وجوز بعضهم التيمم بكل ما هو متصل بالارض من شجر ونبات وملح
ونحو ذلك قالوا لان اسم الصعيد يقع على ما تصاعد على الارض عنده بما تقدم
من الادلة وقوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم الوجه الممسوح في التيمم
هو المحدود في الوضوء واختلف العلماء فيما يجب مسحه من اليد فذهب اكثر اهل
العلم منهم ابن عمر وابنه سالم والحسن وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي انه يمسح
الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين وصورة ذلك ان يضرب كفيه على التراب
ويمسح بهما وجهه ولا يجب ايصال التراب الى منابت الشعور ثم يضرب ضربة اخرى
ويفرق اصابعه فيمسح يديه الى المرفقين ويدل على ذلك ما روي عن جابر عن النبي
صلى الله عليه وسلم التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين رواه
البيهقي ولم يضعفه وروى الشافعي عن ابراهيم بن محمد عن ابي الحويرث عن الاعرج
عن ابن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد
علي حتى قام الى الجدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجهه
وذراعيه ثم رد علي هذا حديث منقطع لان الاعرج وهو عبد الرحمن بن هرمز لم
يسمع هذا من ابن الصمة وانما سمعه من عمير مولى ابن عباس عن ابن الصمة وكذا هو مخرج
في الصحيحين عن عمير مولى ابن عباس قال دخلنا على ابي جهيم بن الحارث فقال ابو
جهيم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من نحو بئر جمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد
النبي صلى الله عليه وسلم حتى اقبل على الجدار فوضع يده على الحائط فمسح بوجهه ويديه
ثم رد عليه السلام ولابي داود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر في حاجة الى ابن عباس
فلما قضى حاجته وكان من حديثه يومئذ ان قال مر رجل في سكة من سكك المدينة
فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج من غائط او بول فسلم عليه الرجل
فلم يرد عليه السلام حتى كاد الرجل ان يتوارى في السكة ضرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيديه على الحائط ومسح بها وجهه ثم ضرب ضربة اخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد
عليه السلام وقال انه لم يمنعني ان ارد عليك الا اني لم اكن على طهر وفي رواية
فمسح ذراعيه الى المرفقين وهذا اجود ما في هذا الباب فان البيهقي اشار الى صحة
اسناده وفيه دليل على الحكمين يعني مسح الوجه واليدين بضربتين وايصال المسح الى

المرفقين





وفيه دليل على ان التيمم لا يصح ما لم يعلق بالوجه واليدين غبار التراب لان النبي صلى الله
عليه وسلم حت الجدار بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافيا لما حته وذهب الزهري الى انه يمسح
اليدين الى المنكبين ويدل عليه ما روي عن عمار بن ياسر قال تمسحوا وهم مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا باكفهم الصعيد مرة اخرى فمسحوا ايديهم
كلها الى المناكب والاباط ثم بطون ايديهم اخرجه ابو داود وذهب جماعة الى ان التيمم ضربة
واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس وبه قال الشعبي وعطا ومكحول واليه
ذهب الاوزاعي ومالك واحمد واسحاق وداود الظاهري واحتجوا بما روي عن عمار بن
ياسر قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة فاجنبت فلم اجد الما فتمرغت في الصعيد
كما تمرغ الدابة ثم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما يكفيك
ان تقول بيديك هكذا ثم ضرب بيديه الارض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر
كفيه وباطنهما ووجهه وفي رواية ان يقول هكذا فضرب بيديه الارض فنفض يديه فمسح
وجهه وكفيه اخرجاه في الصحيحين وحملته ان اليد اسم لهذه الجارحة وحدها عند بعض
اهل اللغة من اطراف الانامل الى الكوع فهذا المقطوع في حد السرقة وقال ابو اسحاق
الزجاج حدها من اطراف الانامل الى الكتف فمن ذهب الى ان الممسوح في التيمم الى
المرفقين قال ان التيمم بدل عن الوضوء واليد المغسولة في الوضوء هي الممسوحة في
التيمم فيحمل المطلق على الذي في قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم على المقيد الذي
في قوله تعالى في اية الوضوء فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق واجاب من ذهب الى هذا
من حديث عمار بان المراد منه بيان صورة الضرب وليس المراد منه جميع ما يحصل به التيمم

**فصل** واركان التيمم خمسة الاول تراب طاهر خالص له غبار يعلق بالوجه
واليدين ويجوز بالرمل اذا كان عليه غبار الثاني قصد الصعيد فلو تعرض بمهب الريح
لم يكفه ولو يممه غيره باذنه مع عجزه جاز وان كان قادرا فوجهان الثالث نقل التراب
الى الوجه واليدين الرابع نية استباحة الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يصح والكمال
ان ينوي استباحة الفرض والنفل الخامس مسح الوجه واليدين الى المرفقين بضربتين
والترتيب ولا يصح التيمم لصلاة الا بعد دخول وقتها ولا يجوز الجمع بين صلاتي فرض
بتيمم واحد وهو قول علي وابن عباس وابن عمر وبه قال الشعبي والنخعي وقتادة واليه
ذهب مالك والشافعي واسحاق وذهب جماعة الى ان التيمم كالوضوء فيجوز تقديمه
على الوقت ويجوز ان يصلي به ما شاء من الفرائض ما لم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب
والحسن والزهري والثوري واصحاب الراي واتفقوا على انه يجوز ان يصلي بتيمم واحد
ما شاء من النوافل قبل الفرض وبعده الى ان يدخل وقت الصلاة الاخرى وان يقرا القران
ان كان جنبا ويشترط طلب الماء في السفر بان يطلبه في رحله وعند رفقائه وان كان في
صحراء ولا حائل دون نظره نظر حواليه وان كان دون نظره حائل قريب من تل او جدار ونحوه
عدل عنه لان الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال لم يجد الا لمن طلب ولا
يشترط طلبه عند ابي حنيفة فان راى الماء ولا يقدر عليه لمانع من عدو او سبع يمنعه

من الذهاب اليه او كان الماء في بئر وليس معه آلة الاستسقاء فهو كالعادم فيتيمم ويصلي
ولا اعادة عليه والله اعلم وقوله تعالى **ان الله كان عفوا** يعني يتجاوز عن ذنوب عباده
ويعفو ويصفح عنهم **غفورا** ستورا على عباده يغفر الذنوب ويسترها وفيه تنبيه
على ان الله تعالى رخص لعباده امر العبادة ويسرها عليهم لان من كان من عادته ان يغفر الذنوب
ويعفو عنها بان يرخص للعاجزين امر العبادة كان اولى قوله عز وجل **الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب** نزلت في يهود المدينة وقال ابن عباس نزلت في رفاعة بن زيد
ومالك بن دخشم اليهوديين كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا السنتهما
وعاباه فانزل الله الم تر يعني الم ينته علمك يا محمد الى هؤلاء الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يعني اعطوا حظا من علم التوراة وذلك انهم عرفوا نبوة موسى من التوراة وانكروا نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم منها فلذلك اتى بمن التي هي للتبعيض وقيل انهم علموا التوراة
ولم يوتوا العمل بها **يشترون الضلالة** يعني يوثرون تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم
لياخذوا ويبذلوا الرشا ويحصل لهم الرياسة وانما ذكره بلفظ الشراء لانه استبدال
بشيء بشيء وقيل فيه اضمار يعني يستبدلون الضلالة بالهدى **ويريدون** يعني
اليهود **ان تضلوا السبيل** يعني عن السبيل والمعنى انهم يتواصلوا الى اضلال
المومنين والتلبيس عليهم لكي يجتنبوا عن الاسلام **والله اعلم باعدائكم** يعني
انه سبحانه وتعالى اعلم بكنه ما في قلوب اليهود من العدوان والبغضاء لكم يا
معشر المومنين فلا تستنصحوهم فانهم اعداؤكم **وكفى بالله وليا** يعني متوليا امركم والقائم
به ومن كان الله تعالى وليه لم يضره عداوة احد **وكفى بالله نصيرا** يعني فهو ينصركم
عليهم فثقوا بولايته ونصره قوله تعالى **من الذين هادوا** قيل هو بيان للذين
اوتوا نصيبا من الكتاب والتقدير الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
من الذين هادوا وقيل هو متعلق بما قبله والتقدير وكفى بالله نصيرا من الذين
هادوا وقيل هو ابتداء كلام وفيه حذف تقديره من الذين هادوا قوم **يحرفون
الكلم** اي يزيلونه ويغيرونه ويبدلونه **عن مواضعه** يعني يغيرون صفة محمد
صلى الله عليه وسلم من التوراة وقال ابن عباس كانت اليهود ياتون رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيسالونه عن الامر فيخبرهم به فيرى انهم ياخذون بقوله فاذا خرجوا من
عنده حرفوا كلامه وقيل المراد بالتحريف القاء الشبهة الباطلة والتاويلات
الفاسدة وهو تحريف اللفظ من معناه الحق الى معنى باطل **ويقولون سمعنا وعصينا**
يعني سمعنا قولك وعصينا امرك وذلك انهم كانوا اذا امرهم النبي صلى الله عليه وسلم
بامر قالوا في الظاهر سمعنا وقالوا في الباطن عصينا وقيل انهم كانوا يظهرون
ذلك عنادا واستخفافا **واسمع غير مسمع** هذه كلمة تحتمل المدح والذم فاما
معناها في المدح اسمع غير مسمع مكروها واما معناها في الذم فانهم كانوا يقولون
اسمع منا ولا نسمع منك وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اسمع ثم
يقولون في انفسهم لا سمعت وقيل معناه غير مقبول منك ما تدعوا اليه وقيل معناه

غير



غير مسمع جوابا يوافقك ولا كلاما ترتضيه **وراعنا** اي ويقولون راعنا يريدون
بذلك نسبته الى الرعونة وقيل معناه ارعنا سمعك اي كلامنا وانصت الى قولنا
ومثل هذا لا يخاطب به الانبياء بل انما يخاطبون بالاجلال والتعظيم والتفخيم
والتبجيل **ليا بالسنتهم وطعنا في الدين** اصله لويا لانه من لويت الشيء
اذا فتلته والمعنى انهم يفتلون الحق فيجعلونه باطلا لان راعنا من المراعاة فيجعلونه
من الرعونة وكانوا يقولون لاصحابهم انما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك
فاظهره الله تعالى على خبث ضمائرهم من العداوة وما في قلوبهم من العداوة والبغضاء
ثم قال تعالى **ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا** يعني ولو انهم قالوا بدل سمعنا وعصينا
سمعنا واطعنا **واسمع** يعني بدل قولهم لا سمعت **وانظرنا** يعني بدل قولهم راعنا
اي انظر الينا **لكان خيرا لهم** يعني عند الله **واقوم** يعني اعدل واصوب **ولكن
لعنهم الله** يعني طردهم وابعدهم من رحمته **بكفرهم** يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم
**فلا يومنون الا قليلا** يعني فلا يومن من اليهود الا نفر قليل مثل عبد الله بن سلام
واصحابه وقيل اراد بذلك القليل هو اعترافهم بان الله خلقهم ورزقهم قوله تعالى
**يا ايها الذين اوتوا الكتاب** خطاب لليهود **امنوا بما نزلنا** يعني القرآن **مصدقا
لما معكم** يعني التوراة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم احبار اليهود عبد الله
ابن صوريا وكعب بن الاشرف فقال يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فوالله انكم
لتعلمون ان الذي جئتكم به الحق قالوا ما نعرف ذلك واصروا على الكفر فانزل الله
عز وجل هذه الاية وامرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد فقال تعالى
**من قبل ان نطمس وجوها** اصل الطمس ازالة الاثر بالمحو وذكروا في المراد بالطمس
هاهنا وجهين احدهما ان يحمل على الحقيقة والثاني ان يحمل على المجاز ولما حمله على الحقيقة
فقال هو محو تخطيط صور الوجوه قال ابن عباس نجعلها كخف البعير وقيل نعميها
فيكون المراد من الوجه العين **فنردها على ادبارها** يعني فنجعلها على هيئة
ادبارها وهي الاقفاء وقيل نديرها فنجعل الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وانما
جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة وعند هذا
يحصل لهم الغم وتكثر الحسرات فعلى هذا يكون هذا الوعيد مختصا بيوم القيامة
واما من حمل الطمس على المجاز فقال المراد بها نطمسها عن الهدى فنردها على ادبارها
يعني على ضلالتها وقيل المراد بالطمس طمس القلب والبصيرة فنردها على ادبارها
يعني بتغيير احوالهم فنلبسهم الصغار والذلة بعد العز وقيل المراد بالطمس محو
اثارهم من المدينة وردهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام من حيث جاءوا وهو جلاء
اجلاء بني النضير فان قلت قد اوعدهم وهددهم بطمس الوجوه ان لم يومنوا ولم يومنوا
فلم يفعل بهم ذلك قلت هذا الاشكال انما يرد على من فسر الطمس بتغيير
الوجوه ومحو تخطيطها وحمله على حقيقته والجواب ان هذا مشروط بعدم الايمان
وقد امن منهم ناس فرفع عن الباقين وروي ان عبد الله بن سلام لما سمع هذه الاية

جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتي اهله فاسلم وقال يا رسول الله ما كنت ارى
ان اصل اليك حتى يتحول وجهي الى قفاي ولذلك روي عن كعب الاحبار انه لما سمع هذه
الاية في خلافة عمر بن الخطاب اسلم وقال يا رب اسلمت مخافة ان يصيبني وعيد هذه
الاية فكان هذا الوعيد مشروطا بان لا يؤمن احد منهم وهذا الشرط لم يوجد لانه امن
منهم جمع كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام واصحابه ففات الشرط
لفوات المشروط وقيل ان الطمس باق في اليهود فيكون فيهم طمس ومسخ قبل القيامة
وقيل انه تعالى جعل الوعيد باحد شيئين اما بالطمس او باللعنة وهو قوله تعالى **او نلعنهم
كما لعنا اصحاب السبت** اي نجعلهم قردة كما فعلنا باوائلهم وقيل المراد من لعنتهم الطرد
وهذا على طريقة الالتفات كما في قوله اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقد يحتمل
ان يكون معناه من قبل ان نطمس وجوها ونلعن اصحاب الوجوه فيحتمل الكناية في قوله
او نلعنهم من ذكر اصحاب الوجوه اذ كان في الكلام دلالة عليه وقوله تعالى **وكان امر
الله مفعولا** يعني لا بد وان يقع بهم ذلك ان لم يؤمنوا فلا راد لحكمه ولا ناقض
لامره على معنى انه لا يمتنع عليه شيء يريد ان يفعله وقيل معناه وكان مامور الله مفعولا
والامر هنا في موضع المامور سمي امرا لانه عن امره كان والمعنى وكان امر الله مفعولا
قوله عز وجل **ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** قال
ابن جرير الطبري معناه يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا فان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فعلى هذا يكون في الاية دلالة على ان
اليهود تسمى مشركا في عرف الشرع وقيل ان الاية نزلت في وحشي واصحابه وذلك
لما قتل حمزة رضي الله عنه ورجع الى مكة ندم على صنيعه هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا
سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله الها اخر الاية وقد دعونا مع الله
الها اخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فلولا هذه الايات لاتبعناك فنزلت
الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا الايتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليهم فلما قرؤا كتبوا اليه ان هذا شرط شديد ونخاف ان لا نعمل عملا صالحا فنزلت
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا انا
نخاف ان لا نكون من اهل المشيئة فنزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا
تقنطوا من رحمة الله الاية فبعث بها اليهم فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال
ويحك غيب وجهك عني فلحق بالشام فكان به الى ان مات وقيل لما نزلت قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم الاية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك فسكت ثم
قام اليه مرتين او ثلاثا فنزلت هذه الاية ومعنى الاية ان الله لا يغفر لمشرك مات
على شركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يعني ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء من اصحاب
الذنوب والاثام ففي الاية دليل على ان صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه

في خطر

في خطر المشيئة ان شاء عفى عنه وادخله الجنة بفضله وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم يدخله
الجنة برحمته واحسانه لان الله وعد المغفرة لما دون الشرك فان مات على الشرك فهو
مخلد في النار لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي الاية
رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز في الحكمة ان يغفر لصاحب الكبيرة
وعند اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء ولا اعتراض له ولا حجر عليه ويدل على ذلك
ايضا ما روي عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل
على كبيرة نشهد انه من اهل النار حتى نزلت هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب
يا امير المؤمنين الرجل يعمل من الصالحات لم يدع من الخير شيئا الا عمله غير انه مشرك
قال عمر هو في النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيئا من الشر الا عمله غير انه لم
يشرك بالله شيئا فقال عمر الله اعلم قال ابن عباس اني لارجو له كما انه لا ينفع
مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر عن علي بن ابي طالب
قال ما في القران احب الي من هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب م عن جابر قال جاء اعرابي
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك
بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار وقوله تعالى **ومن يشرك
بالله** يعني يجعل معه شريكا غيره **فقد افترى** اي اختلق **اثما عظيما** يعني
ذنبا عظيما غير مغفور ان مات عليه قوله عز وجل **الم تر الى الذين يزكون انفسهم**
نزلت في رجال من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد
هل على هؤلاء من ذنب قال لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار يكفر عنا بالليل
وما عملناه بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل نزلت في اليهود
والنصارى حين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقولهم لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى والتزكية هنا عبارة عن مدح الانسان نفسه بالصلاح والدين
ومنه تزكية الشاهد حتى يصير عدلا قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم
بمن اتقى وذلك لان التزكية متعلقة بالتقوى وهي صفة في الباطن فلا يعلم
حقيقتها الا الله تعالى ولا تصلح التزكية الا من عند الله تعالى فلهذا قال الله
تعالى بل الله يزكي من يشاء ويدخل في هذا المعنى كل من زكى نفسه بصلاح او وصفها
بزكاة العمل او بزيادة الطاعة والتقوى وبزيادة الزلفى عند الله ومثل هذا لا
يعلمها الا الله تعالى فلهذا قال فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى ومعنى
يزكون يزعمون انهم ازكياء لانهم برؤا انفسهم من الذنوب فقال الله تعالى ردا
عليهم **بل الله يزكي من يشاء** فيجعله زكيا **ولا يظلمون فتيلا** يعني ان الذين
يزكون انفسهم يعاقبون على تلك التزكية من غير ظلم وقيل معناه ان الذين زكاهم
الله لا ينقصون من ثواب طاعتهم شيئا والفتيل المفتول فسمي ما يكون في شق

النواة فتيلا لكونه على هيئته وقيل الفتيل هو ما تفتله بين اصابعك من وسخ وغيره
ويضرب به المثل في الشيء الحقير الذي لا قيمة له انظر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
انظر يا محمد الى هؤلاء اليهود كيف يفترون على الله الكذب يعني في قولهم انهم لا ذنوب
لهم وتزكيتهم انفسهم وكفى به اي بهذا الكذب اثما مبينا قوله عز وجل الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في كعب بن الاشرف وسبعين
راكبا من اليهود قدموا مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل كعب
ابن الاشرف على ابي سفيان فاحسن مثواه ونزلت باقي اليهود على قريش في دورهم فقال
لهم اهل مكة انتم اهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن ان يكون هذا مكرا منكم
فان اردتم ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى
يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليجيء منكم ثلاثون
رجلا ومنا ثلاثون ونلصق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على
قتال محمد ففعلوا ثم قال ابو سفيان لكعب بن الاشرف انك امرؤ تقرأ الكتاب
وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى سبيلا نحن ام محمد فقال كعب اعرض علي
دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك
العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين
آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم
والله اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله الم تر يعني يا محمد الى الذين اوتوا نصيبا من
الكتاب يعني كعب بن الاشرف واصحابه اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت يعني به
سجودهم للصنمين واختلف العلماء فيهما فقيل الجبت والطاغوت كل معبود دون
الله عز وجل وقيل هما صنمان كانا لقريش وهما اللذان سجد اليهود لهما طلبا
لمرضاة قريش وقيل الجبت اسم للاصنام والطاغوت الشياطين الاصنام فلكل
صنم شيطان يعبر عنها ويكلم الناس فيغترون بذلك وقيل الجبت الكاهن والطاغوت
الساحر عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو داود وقال الطرق الزجر والعيافة
الخط وقيل العيافة هو زجر الطير وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا خرج للسير
نجر طيرا فان اخذ ذات اليمين مضى في حاجته وان اخذ ذات الشمال رجع فنهوا عن ذلك
والطرق هو ضرب الحجارة والحصى على طي توالدها تكهنا فنهوا عنه والطيرة هو ان يتطير
بالشيء فيرى الشؤم فيه والشر منه وقيل هو من التطير وهو زجر الطير والخط
هو ضرب في الرمل لاستخراج الضمير وقيل الجبت كل ما حرم الله تعالى والطاغوت
كل ما يطغي الانسان وقيل الجبت حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف اليهوديان
وكانا طاغيتي اليهود ويقولون يعني كعب بن الاشرف واصحابه للذين كفروا
يعني لكفار قريش هؤلاء يعني انتم يا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا يعني

طريقا



طريقا اولئك الذين لعنهم الله يعني كعب بن الاشرف واصحابه ومن يلعن الله
يعني يطرده من رحمته فلن تجد له نصيرا يعني ينصره قوله تعالى ام لهم نصيب
من الملك هذا استفهام انكار يعني ليس لهم من الملك شيء البتة وذلك
ان اليهود كانوا يقولون نحن اولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فاكذبهم
الله تعالى وابطل دعواهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا هذا جواب الجزاء مضمر
تقديره ولئن كان لهم نصيب وحظ من الملك فلا يؤتون الناس منه نقيرا وصفهم
بالبخل في هذه الاية ووصفهم بالجهل في الاية المتقدمة ووصفهم بالحسد في الاية
الاتية وهذه الخصال كلها مذمومة فكيف يدعون الملك وهي حاصلة فيهم
والنقير هي النقطة التي تكون على النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب به المثل
في الشيء الحقير التافه الذي لا قيمة له قوله عز وجل ام يحسدون الناس على
ما آتاهم الله من فضله اصل الحسد تمني زوال النعمة عمن هو مستحقها
وربما يكون ذلك مع سعي في زوالها ووصف الله اليهود بشر خصلة وهي الحسد
والمراد بالناس محمد صلى الله عليه وسلم وحده وانما جاز ان يقع عليه لفظ الجمع وهو
واحد لانه صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثله
في جماعة ومن هذا القبيل يقال فلان امة وحده يعني انه يقوم مقام امة
وقيل المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لان لفظ الناس جمع وحمله
على الجمع اولى والمراد بالفضل النبوة لانها اعظم المناصب واشرف المراتب
وقيل حسدوه على ما احل الله له من النساء وكان له يومئذ تسع نسوة وقالت
اليهود لو كان نبيا لشغله امر النبوة عن الاهتمام بامر النساء فاكذبهم الله
ورد عليهم بقوله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة يعني انه قد حصل في اولاد ابراهيم
صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة مثل داود وسليمان
عليهما السلام فلم يشغلهم الملك عن امر النبوة والمعنى كيف تحسدون محمدا
صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله وقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة
وانتم لا تحسدونهم والمراد بالكتاب التوراة وبالحكمة النبوة وآتيناهم
ملكا عظيما يعني فلم يشغلهم عن النبوة فمن فسر الفضل بكثرة النساء
فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان بكثرة النساء فانه كان لداود مائة امرأة ولسليمان
الف امرأة ثلاثمائة حرة وسبعمائة سرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ الا تسع نسوة ولما لم يكن ذلك مستبعدا في حقهم ولا نقصا في نبوتهم
فلم يكون مستبعدا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ولا نقصا في نبوته فمنهم يعني
من اليهود من آمن به بالنبي صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه كعبد الله بن سلام
واصحابه ومنهم من صد عنه اي اعرض عنه ولم يؤمن به وكفى بجهنم سعيرا
يعني وكفى في عذاب من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم سعيرا قوله تعالى ان
الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا هذا وعيد من الله عز وجل للذين

اقاموا على كفرهم وتكذيبهم بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم من سائر الكفار والمعنى ان الذين جحدوا ما انزلت على رسولي محمد من اياتي الدالة على توحيدي وصدق رسولي محمد صلى الله عليه وسلم سوف نصليهم نارا اي ندخلهم نارا نشويهم فيها **كلما نضجت جلودهم** يعني احترقت **بدلناهم جلودا غيرها** يعني غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وروي ان هذه الاية قريت عند عمر بن الخطاب فقال عمر للقاري اعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ بن جبل عندي تفسيرها تبدل في كل ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره البغوي بغير سند وقال الحسن تاكلهم النار في كل يوم سبعين الف مرة ق عن ابي هريرة يرفعه ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلثة ايام للراكب المسرع م عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر او قال ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلثة ايام فان قلت كيف يعذب جلودا لم تكن في الدنيا ولم تعص قلت يعاد الجلد الاول في كل مرة وانما قال جلودا غيرها لتبديل صفتها كما يقول صنعت من خاتمي خاتما غيره فالثاني هو الاول غير ان الصياغة بدلت الصفة وقيل ان العذاب بالجملة للحساسة وهي النفس التي عصت واذا كان كذلك فغير مستحيل ان يخلق الله للكافر في ساعة من الجلود ما لا يحصى لتحرق ويصل المها اليه وقيل المراد بالجلود السرابيل وهو قوله سرابيلهم من قطران والمعنى كلما نضجت سرابيلهم واحترقت بدلناهم سرابيل من قطران غيرها لان الجلود لو احترقت لفنيت وفي فنائها راحتها وقد اخبر الله عنهم انهم لا يموتون فيها ولا يخفف عنهم من عذابها ولان الجلد احد اجزاء الجسم فثبت ان التبديل انما هو للسرابيل وقيل يبدل الجلد من نفس الكافر فيخرج من لحمه جلدا وقيل ان الله تعالى يلبس اهل النار جلودا لا تالم لتكون زيادة في عذابهم كلما احترق جلد بدلهم جلدا غيره وقوله تعالى **ليذوقوا العذاب** اي انما فعلنا بهم ذلك ليجدوا الم العذاب وكربه وشدته وانما اتى بلفظ الذوق مع ما يناله من عظم العذاب الذي نا لوه اخبارا بان احساسهم في كل حال كاحساس الذايق في تجديد وجدان الذوق من غير نقصان في الاحساس **ان الله كان عزيزا** يعني في انتقامه ممن ينتقم من خلقه لا يغلبه شي ولا يمتنع عليه احد **حكيما** يعني في تدبيره وقضايه وانه لا يفعل الا ما هو الصواب **والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم** يعني سوف ندخلهم يوم القيامة **جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها** يعني باقين فيها **ابدا** يعني ذلك الخلود بغير نهاية ولا انقطاع **لهم فيها** يعني في الجنات **ازواج مطهرة** يعني مطهرات من الحيض والنفاس وسائر اقذار الدنيا **وندخلهم ظلا ظليلا** يعني كنينا ذلك الظل لا تنسخه الشمس ولا يوذيهم فيه حر ولا برد وذلك الظل هو ظل



الجنة فان قلت اذا لم يكن في الجنة شمس يوذي حرها فما فايدة وصفها بالظل الظليل قلت انما خاطبهم بما يعقلون ويعرفونه وذلك لان بلاد العرب في غاية الحرارة فكان الظل عندهم من اعظم اسباب الراحة واللذاذة فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قوله عز وجل **ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها** قال البغوي نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له انه مع عثمان فطلب منه فابى وقال لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم امنعه المفتاح فلوى علي بن ابي طالب يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله ان يعطيه المفتاح وان يجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله هذه الاية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر له ففعل ذلك فقال له عثمان اكرهت ثم جئت ترفق فقال علي لقد انزل الله في شانك قرانا وقرا عليه الاية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاسلم فكان المفتاح معه الى ان مات فدفعه الى اخيه شيبة فالمفتاح والسدانة في اولادهم الى يوم القيامة قلت وفيما ذكره البغوي من اسلام عثمان بن طلحة يوم الفتح ومنعه المفتاح وقوله لو اعلم انه رسول الله لم امنعه المفتاح والصحيح ما حكاه ابو عمر بن عبد البر وابن منده وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الى المدينة في هدنة الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن العاص مقبلا من عند النجاشي فوافقهما وهاجر معهما فلما راهم النبي صلى الله عليه وسلم قال رمتكم مكة بافلاذ كبدها يعني انهم وجوه اهل مكة فاسلموا وسلم عثمان بن طلحة المفتاح الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فرده النبي صلى الله عليه وسلم اليه وقال خذوها يا بني طلحة خالدة لا ينزعها منكم الا ظالم ولم يذكروا سوال العباس السدانة والله اعلم وثبت في الصحيحين من حديث ابن عمر قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف اسامة على القصوى ومعه بلال وعثمان حتى اناخ عند البيت ثم قال لعثمان ايتنا بالمفتاح فجاءه بالمفتاح ففتح الباب وذكر الحديث وذكر ابن الجوزي في تفسير هذه الاية من رواية ابي صالح عن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب ليعطيه اياه فقال العباس بابي انت وامي اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده مخافة ان يعطيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح فاعاد العباس قوله وكف عثمان يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان كنت تومن بالله واليوم الاخر فقال هاكه يا رسول الله بامانة الله واخذ المفتاح وفتح البيت ونزل جبريل عليه السلام بهذه الاية فدعى عثمان ودفعه اليه ففي هذه الرواية ايضا ما يدل على تقدم اسلام عثمان بن طلحة على فتح مكة لان في قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان ان كنت تومن بالله واليوم الاخر ما يدل على ذلك فعلى هذا القول يكون الخطاب في قوله ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها لولاة الامو

المسلمين من الامرا والحكام وغيرهم ويدل عليه سياق الاية وهو قوله اذا حكمتم بين الناس
ان تحكموا بالعدل ومعنى الاية ان الله يامركم يا اولات الامور ان تؤدوا ما ائتمنكم عليه من
امور رعيتكم وان توفوهم حقوقهم وان تعدلوا بينهم وقيل ان الاية عامة في جميع
الامانات ولا يمتنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل في ذلك جميع الامانات
التي يحملها الانسان وينقسم ذلك الى ثلاثة اقسام القسم الاول رعاية الامانة
في عبادة الله عز وجل وهو فعل المامورات وترك المنهيات قال ابن مسعود الامانة
لازمة في كل شي حتى في الوضوء والغسل من الجنابة والصلاة والزكاة والصوم
وسائر انواع العبادات القسم الثاني وهو رعاية الامانة مع نفسه وهو ما انعم الله
به عليه من سائر اعضائه فامانة اللسان حفظه من الكذب والغيبة والنميمة ونحو
ذلك وامانة العين غضها عن المحارم وامانة السمع ان لا يشتغل بسماع شي من اللهو
والفحش والاكاذيب ونحوه ثم سائر الاعضا على نحو ذلك القسم الثالث هو
رعاية امانة العبد مع سائر عباد الله تعالى فيجب عليه رد الودايع العواري الى اربابها
الذي ائتمنوه عليها ولا يخونهم فيها عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث
حسن غريب ويدخل في ذلك وفاء الكيل والميزان ولا يطفف فيهما ويدخل في ذلك
ايضا عدل الامرا والملوك في الرعية ونصح العلما للعامة فكل الاشيا من الامانات
التي امر الله عز وجل باداءها الى اهلها وروى البغوي بسنده عن انس قال قل ما
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له
وقوله تعالى **وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل** يعني وان الله يامركم ان
تحكموا بين الناس بالعدل فيجب على الحاكم ان ياخذ الحق ممن وجب عليه لمن وجب له
واصل العدل هو المساواة في الاشيا فكلما خرج عن الظلم والاعتدا سمي عدلا قال
بعض العلما ينبغي للقاضي ان يسوي بين الخصمين في خمسة اشيا في الدخول عليه
والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما والحكم بالحق فيما لهما وعليهما
وحاصل الامر فيه ان يكون مقصود الحاكم بحكمه ايصال الحق الى مستحقه وان لا يمتزج
ذلك بغرض اخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين
يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم احب الناس الى الله يوم القيامة وادناهم عنده مجلسا امام عادل وابغض
الناس الى الله وابعدهم منه مجلسا امام جائر اخرجه الترمذي وقوله **ان الله
نعما يعظكم به** اي نعم الشي الذي يعظكم به وهو اداء الامانات والحكم بالعدل
**ان الله كان سميعا بصيرا** يعني انه تعالى سميع لما يقولون وبصير بما يفعلون فاذا
حكمتم فهو سميع لحكمكم واذا اديتم الامانة فهو بصير بفعلكم قوله عز وجل **يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم** ق عن ابن عباس

قال



قال نزلت قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الاية نزلت في عبد الله
ابن حذافة بن قيس بن عدي السهمي اذ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية
وقال السدي نزلت في خالد بن الوليد وذلك انه بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل الى عمار فقد اسلم
فامنه عمار فرجع الرجل فجا خالد فاخذ ماله الرجل فقال عمار اني قد امنته وقد اسلم
فقال خالد اتجير علي وانا الامير فتنازعا وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاجاز امان عمار ونهاه ان يجير الثانية على امير فانزل الله تعالى اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم واصل الطاعة الانقياد وهو امتثال الامر
فطاعة الله عز وجل امتثال امره فيما امر والانقياد لذلك الامر وطاعة الله
واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة ايضا بقوله
تعالى واطيعوا الرسول فاوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم على الخلق واختلف
العلما في اولي الامر منكم الذين اوجب الله طاعتهم بقوله واولي الامر منكم يعني
واطيعوا اولي الامر منكم قال ابن عباس وجابر هم الفقها والعلما الذين يعلمون
الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال ابو هريرة هم الامرا
والولاة وهي رواية عن ابن عباس ايضا قال علي بن ابي طالب حق على الامام ان يحكم
بما انزل الله ويودي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا
ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله
ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن عصى الامير فقد عصاني
ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء المسلم السمع والطاعة
فيما احب وكره الا ان يامر بمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة خ عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي
كان راسه زبيبة ما اقام فيكم كتاب الله وقال ميمون بن مهران هم امرا السرايا والبعوث
وهي رواية عن ابن عباس ايضا ووجه القول ان الاية نزلت فيهم وقال عكرمة اراد
باولي الامر ابا بكر وعمر لما روي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا
ادري ما بقاي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر اخرجه الترمذي وقيل هم
جميع الصحابة لما روي عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم اخرجه رزين في كتابه وروى البغوي بسنده عن الحسن عن انس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي في امتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام
الا بالملح قال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف يصلح قال الطبري واولى الاقوال بالصواب
في ذلك من قال هم الامرا والولاة لصحة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الامر بطاعة الايمة والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة وللمسلمين مصلحة وقال
الزجاج وجملة اولي الامر من يقوم بشان المسلمين في امر دينهم وجميع ما ادى اليه
صلاحهم قال العلما طاعة الامام واجبة على الرعية ما دام على الطاعة فاذا زال

عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما يجب طاعته فيما وافق الحق وقوله تعالى **فان تنازعتم**
**في شيء** يعني اختلفتم في شيء من امر دينكم والتنازع اختلاف الآراء واصله من انتزاع الحجة
وهو ان كل واحد من المتنازعين ينتزع الحجة لنفسه **فردوه الى الله والرسول** اي ردوا
ذلك الامر الذي تنازعتم فيه الى كتاب الله عز وجل والى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما دام حيا وبعد وفاته فردوه الى سنته والرد الى كتاب الله وسنة رسوله واجب فان
وجد ذلك الحكم في كتاب الله اخذ به فان لم يوجد في كتاب الله ففي سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان لم يوجد في السنة فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الله ورسوله
ان يقول لما لا يعلم الله ورسوله اعلم **ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** يعني افعلوا
ذلك الذي امرتكم به ان كنتم تؤمنون بالله وان طاعته واجبة عليكم وتؤمنون باليوم
الذي فيه جزاء الاعمال قال العلماء في الآية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة
الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث الواردة عن النبي صلى الله
عليه وسلم لا يكون مؤمنا بالله واليوم الآخر **ذلك خير** يعني رد الحكم الى الله ورسوله
خير **واحسن تاويلا** يعني واحمد عاقبة وقيل معناه ذلك ان ردكم ما اختلفتم فيه
الى الله ورسوله احسن تاويلا منكم له واعظم اجرا قوله عز وجل **الم تر الى الذين**
**يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى**
**الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به** قال ابن عباس نزلت في رجل من المنافقين يقال
له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي ننطلق الى محمد وقال المنافق
بل ننطلق الى كعب بن الاشرف وهو الذي سماه الطاغوت فابى اليهودي ان يخاصمه
الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى المنافق ذلك اتى معه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق
وقال انطلق بنا الى عمر فاتيا عمر فقال اليهودي اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لي عليه
فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما عمر
رويدا حتى اخرج اليكما فدخل عمر البيت واخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به
المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت
هذه الآية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق وقال السدي
كان ناس من اليهود قد اسلموا ونافق بعضهم وكانت قريظة والنضير في الجاهلية وكانت
قريظة حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الاوس وكان اذا قتل رجل من بني قريظة رجلا من بني
النضير قتل به واخذ ديته مائة وسق من تمر واذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة
لم يقتل به واعطي ديته ستين وسقا فلما جاء الله بالاسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم
الى المدينة فقتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا في ذلك فقال بنو النضير
كنا وانتم قد اصطلحنا على ان نقتل منكم ولا تقتلون منا وديتنا مائة وسق وديتكم
ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك فقالت الخزرج هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية
لكثرتكم وقلتنا فقهرتمونا على ذلك فاليوم نحن اخوة في الدين فلا فضل لكم علينا

فقال

فقال المنافقون منهم ننطلق الى ابي بردة الكاهن الاسلمي وقال المسلمون من الفريقين
بل ننطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى المنافقون وانطلقوا الى ابي بردة الكاهن
ليحكم بينهم فقال اعطوا اللقمة يعني الخطر فقالوا لك عشرة اوسق فقال لا بل مائة
وسق ديتي فابوا ان يعطوه الا عشرة اوسق وابى ان يحكم بينهم فانزل الله عز وجل
القصاص وانزل هذه الآية الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل
من قبلك الزعم والزعم بضم الزاي وفتحها لغتان واكثر ما يستعمل الزعم بمعنى القول
الذي لا يتحقق وقيل هو حكاية قول يكون مظنة الكذب ولهذا قيل زعم مطية
الكذب والمراد به في هذه الآية الكذب لان الآية نازلة في المنافقين وظاهر الآية
انما تدل على انها نازلة في الذين نافقوا من مؤمني اهل الكتاب ويدل عليه قوله آمنوا
بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت يعني كعب بن الاشرف
في قول ابن عباس سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل هو ابو بردة الكاهن في قول السدي وقد امروا ان يكفروا به يعني
بالطاغوت ايمان بالله عز وجل **ويريد الشيطان ان يضلهم** يعني عن طريق الحق
والهدى **ضلالا بعيدا واذا قيل لهم** يعني المنافقين **تعالوا الى ما انزل الله والى**
**الرسول** يعني هلموا الى حكم الله الذي انزل في كتابه والى الرسول ليحكم بينكم **رأيت**
**المنافقين يصدون عنك صدودا** يعني عنك وعن حكمك اعراضا واي اعراض وانما
اعرض المنافقون عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم علموا ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحكم بينهم بالحق الصريح ولا يقبل الرشى قوله عز وجل **فكيف اذا اصابتهم**
**مصيبة** يعني فكيف حال هؤلاء المنافقين وكيف يصنعون اذا اصابتهم مصيبة
يعجزون عنها **بما قدمت ايديهم** يعني تصيبهم عقوبة بسبب ما قدمت ايديهم وهو
التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء صنيعهم ورضاهم
بحكم الطاغوت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المصيبة هي قتل عمر
لذلك المنافق وقيل هي كل مصيبة تصيب المنافقين في الدنيا والآخرة **ثم جاؤك**
يعني المنافقين حتى تصيبهم المصائب يعتذرون اليك **يحلفون بالله ان اردنا**
اي ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك شيء **الا احسانا** يعني في التحاكم الى غيرك لا اساءة
**وتوفيقا** يعني بين الخصمين لا مخالفة لك في حكمك وقيل جاء اولياء المنافق الذي قتله
عمر يطلبون ديته وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا في حكمه
ويوفق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم بما حكم به من قتل صاحبنا فاهدر الله
دم ذلك المنافق **اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم** يعني من النفاق **فاعرض**
**عنهم** يعني عن عقوبتهم وقيل عن قبول عذرهم **وعظهم** يعني باللسان والمراد به
زجرهم بالوعظ عن النفاق والكفر والكذب وتخويفهم بعذاب الآخرة **وقل لهم**
**في انفسهم قولا بليغا** يعني بليغا يؤثر في قلوبهم موقعه وهو التخويف بالله
عز وجل وقيل هو ان يوعدهم بالقتل ان لم يتوبوا من النفاق وقيل هو ان يقول لهم

ان اظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لان هذا القول يبلغ في نفوسهم كل مبلغ وقيل
معناه فاعرض عنهم في الملا وقل لهم في انفسهم اذا خلوت بهم قولا بليغا اي اغلظ لهم
في القول خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجح وقيل هذا
الاعراض منسوخ باية القتال وقد تكلم العلماء في حد البلاغة فقال بعضهم البلاغة
ايصال المعنى الى الفهم في احسن صورة من اللفظ وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة
المعنى وقيل البلاغة سرعة الايجاز مع الافهام وحسن التصرف من غير اضجار وقيل
احسن الكلام ما قلت الفاظه وكثرت معانيه وقيل خير الكلام ما شوق اوله الى سماع
اخره وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة الا اذا سابق لفظه معناه ومعناه
لفظه ولم يكن لفظه الى السمع اسبق من معناه الى القلب وقيل المراد بالقول البليغ
في الاية ان يكون حسن الالفاظ وحسن المعاني مشتملا على الترغيب والترهيب
والاعذار والانذار والوعد والوعيد بالثواب والعقاب وان الكلام اذا كان كذلك
عظم وقعه في القلوب واثر في النفوس قوله تعالى **وما ارسلنا من رسول** قال الزجاج
لفظة من هنا صلة مؤكدة والمعنى وما ارسلنا رسولا **الا ليطاع باذن الله**
يعني بامر الله والمعنى انما وجبت طاعة الرسول بامر الله لان الله اذن في ذلك وامر به
وقيل معناه بعلم الله وقضائه اي طاعته تكون باذن الله لانه اذن فيه فتكون طاعة
الرسول طاعة الله ومعصيته معصية الله والمعنى وما ارسلنا من رسول الا فرضت
طاعته على من ارسلته اليهم وانت يا محمد من الرسل الذي فرضت طاعته على من
ارسلتك اليهم ففيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت **ولو انهم اذ ظلموا انفسهم** يعني الذين تحاكموا
الى الطاغوت ظلموا انفسهم بالتحاكم اليها **جاؤك** يعني جاؤك تائبين من النفاق
والتحاكم الى الطاغوت متنصلين مما ارتكبوا من المخالفة **فاستغفروا الله** يعني
من ذلك الذنب بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد حكمك والتحاكم
الى غيرك **واستغفر لهم الرسول** يعني من مخالفته والتحاكم الى غيره وانما قال
واستغفر لهم الرسول ولم يقل واستغفرت لهم اجلالا للرسول صلى الله عليه وسلم
وتفخيما له وتعظيما لاستغفاره وانهم اذا جاؤه فقد جاؤا من خصه الله برسالته
وجعله سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فان الله تعالى لا يرد شفاعته فلهذا
السبب عدل الى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة **لوجدوا الله**
**توابا رحيما** يعني لو انهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعلموا ان الله
يتوب عليهم ويتجاوز عنهم ويرحمهم قوله عز وجل **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك**
**فيما شجر بينهم** نزلت هذه الاية في الزبير بن العوام ورجل من الانصار **ق** عن
عروة بن الزبير عن ابيه ان رجلا من الانصار خاصم الزبير عند النبي صلى الله عليه وسلم
في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال الانصاري سرح الماء يمر فابى عليه
فاختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير





اسق ثم ارسل الى جارك فغضب الانصاري ثم قال يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع
الى الجدر فقال الزبير والله اني لاحسب هذه الاية نزلت في ذلك فلا وربك لا
يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم زاد البخاري فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حينئذ للزبير حقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد اشار على
الزبير براي اراد فيه سعة له وللانصاري فلما احفظ الانصاري رسول الله صلى
الله عليه وسلم استوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه في صريح الحكم قال الزبير
ما احسب هذه الايات ما نزلت الا في ذلك فلا وربك الاية قوله اختصما في شراج
الحرة الشراج مسايل الماء التي تكون من الجبال وتنزل الى السهل الواحدة شرجة بسكون
الراء والحرة الارض ذات الحجارة الملتبسة بالحجارة السود وقوله فتلون وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني تغير وهو قوله فلما احفظ اي اغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله حتى يرجع الى الجدر وهو بفتح الجيم يعني اصل الجدار فاستوعى له اي استوفى له
حقه في صريح الحكم وهو ان من كان ذا ارض اقرب الى فم الوادي فهو اولى باول الوادي
وحقه تمام السقي فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن للزبير في السقي على وجه المسامحة
فلما ابى خصمه ذلك ولم يعترف بما اشار به رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسامحة
لاجله امر الزبير باستيفاء حقه على التمام وحمل خصمه على مر الحق فعلى هذا القول
تكون الاية مستانفة لا تعلق لها بما قبلها قال البغوي وروي انهما لما خرجا مرا
على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الانصاري لابن عمته ولوى شدقه ففطن
له يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم
يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا
موسى الى التوبة منه فقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا
في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم
مني الصدق ولو امرني محمد ان اقتل نفسي لفعلت وقال مجاهد والشعبي نزلت هذه
الاية في بشر المنافق واليهودي اللذين اختصما الى الطاغوت وعلى هذا القول
تكون الاية متصلة بما قبلها فلا وربك معناه فوربك فعلى هذا تكون لا مزيدة
لتاكيد معنى القسم وقيل ان لا رد لكلام سبق كانه قال ليس الامر كما يزعمون
انهم امنوا وهم يخالفون حكمك ثم استانف القسم فقال تعالى وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم يعني فيما اختلفوا فيه من الامور واشكل عليهم حكمه وقيل فيما
التبس عليهم يقال تشاجر في الامر اذا نازعه فيه واصله التداخل والاختلاط
وشجر الكلام اذا دخل بعضه على بعض واختلط **ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت**
يعني ضيقا مما قضيت بل يرضوا بقضائك **ويسلموا تسليما** يعني ينقادوا لامرك
انقيادا ولا يعارضونك في شيء من امرك وقيل معناه يسلموا ما تنازعوا فيه
لحكمك قوله عز وجل **ولو انا كتبنا عليهم** اي فرضنا واوجبنا عليهم الضمير يعود

الى المنافقين وقيل يعود الضمير الى الكافة فيدخل فيه المنافق وغيره ان اقتلوا انفسكم
او اخرجوا من دياركم يعني كما كتبنا على بني اسرائيل القتل والخروج من مصر ما فعلوه
الا قليل منهم معناه لم يفعله الا القليل منهم نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك
ان رجلا من اليهود قال والله لقد كتب الله علينا القتل والخروج ففعلنا فقال شماس
والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا وهو من القليل الذي استثنى الله وقيل لما نزلت
هذه الاية قال عمر وعمار بن يسار وابن مسعود وناس من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم القليل الذي ذكرهم الله والله لو امرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان من امتي لرجالا الايمان اثبت في قلوبهم
من الجبال الرواسي ومن قال ان الضمير في عليهم يعود الى المنافقين قال المعنى ما فعلوه
الا قليل منهم يعني رياء وسمعة والمعنى انا لما كتبنا عليهم الا طاعة الرسول صلى الله
عليه وسلم والرضى بحكمه ولو انا كتبنا عليهم القتل والخروج من الدور والوطن
ما كان فعله الا نفر يسير منهم وقرئ الا قليلا منهم بالنصب وتقديره الا يكون
قليلا منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به يعني ولو انهم فعلوا ما كلفوا به من
طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضى بحكمه لكان خيرا لهم يعني في الدنيا
والاخرة وانما سمي ذلك التكليف وعظا لان اوامر الله تعالى وتكاليفه مقرونة بالوعد
والوعيد والثواب والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا واشد تثبيتا يعني تحقيقا
وتصديقا لايمانهم والمعنى ان ذلك اقرب الى اثبات ايمانهم وتصديقهم واذا لاتيناهم
من لدنا اجرا عظيما يعني ثوابا وافرا جزيلا واذا جواب لسوال مقدر كانه قيل
ماذا يكون من هذا الخير والتثبيت قال واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم
صراطا مستقيما قال ابن عباس ولارشدناهم الى دين مستقيم يعني دين الاسلام
وقيل معناه ولهديناهم الى الاعمال الصالحة التي تؤدي الى الصراط المستقيم وهو الصراط
الذي يمر عليه المؤمنون الى الجنة لان الله تعالى ذكر الاجر العظيم اولا ثم ذكر الصراط
المستقيم بعده لانه المؤدي الى الجنة قوله عز وجل ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم الاية نزلت في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير
لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك قال يا
رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم ارك استوحشت وحشة شديدة حتى
القاك ثم اني اذا ذكرت الاخرة اخاف لا اراك لانك ترفع الى عليين مع النبيين واني
ان دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك
ابدا فنزلت هذه الاية وقيل ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال
وانت يا رسول الله في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف نراك فانزل الله هذه
الاية ومن يطع الله يعني في اداء الفرائض واجتناب النواهي والرسول اي ويطع
الرسول في السنن التي سنها فاولئك مع الذين انعم الله عليهم يعني بالهداية والتوفيق





في الدنيا وبدخول الجنة في الاخرة من النبيين يعني من المطيعين مع النبيين في الجنة
لا تفوتهم رؤية الانبياء في الجنة ومجالستهم لا انهم يكونون في درجتهم في الجنة لان
ذلك يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول والصديقين الصديق كثير
الصدق فعيل من الصدق والصديقون هم اتباع الرسل الذين اتبعوهم على منهاجهم
بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل الصديق هو الذي صدق بكل الدين حتى لا يخالطه فيه شك
والمراد بالصديقين في هذه الاية افاضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كابي بكر
فانه هو الذي سمي بالصديق من هذه الامة وهو افضل اتباع الرسل والشهداء هم الذين
استشهدوا في سبيل الله وقيل الذين استشهدوا يوم احد والصالحين جمع صالح
وهو الذي تستوي سريرته وعلانيته في الخير وقيل الصالح من اعتقاده صوابا وعمله
في سنة وطاعة وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالصديقين ابو بكر
وبالشهداء عمر وعثمان وعلي وبالصالحين ساير الصحابة وحسن اولئك يعني المشار
اليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وفيه معنى التعجب كانه قال
وما احسن اولئك رفيقا يعني في الجنة والرفيق الصاحب سمي رفيقا لارتفاقك به
وبصحبته وانما وحد الرفيق وهو صفة الجمع لان العرب تعبر به عن الواحد والجمع
وقيل معناه وحسن كل واحد من اولئك رفيقا ق عن انس ان رجلا سال النبي صلى الله
عليه وسلم عن الساعة قال متى الساعة قال وما اعددت لها قال لا شيء الا اني احب الله
ورسوله فقال انت مع من احببت قال انس فما فرحنا بشيء اشد فرحا بقول النبي صلى الله
عليه وسلم انت مع من احببت قال انس فانا احب النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وارجو
ان اكون معهم بحبي اياهم وان لم اعمل باعمالهم وقوله تعالى ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره
من وصف الثواب الفضل من الله يعني الذي اعطى الله المطيعين من الاجر العظيم وكفى
بالله عليما يعني بجزاء من اطاعه وقيل معناه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم
للطاعة وفيه دليل على انهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل انما نالوها بفضل الله
ورحمته ويدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن
يدخل احدا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني
الله منه بفضل ورحمة لفظ البخاري ولمسلم نحوه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
خذوا حذركم الحذر احتراز من مخوف والمعنى احذروا واحترزوا من عدوكم ولا
تمكنوه من انفسكم وقيل المراد بالحذر هاهنا السلاح يعني خذوا سلاحكم وعدتكم
وانما سمي السلاح حذرا لان به يتقى ويحذر وقيل معناه احذروا عدوكم ولقايل ان
يقول اذا كان المقدور كاينا فلا ينفع الحذر فالجواب عنه بانه لما كان الكل بقضاء الله
وقدره كان الامر باخذ الحذر من قضاء الله وقدره فانفروا ثبات اي اخرجوا سرايا
متفرقين سرية بعد سرية او انفروا جميعا يعني او اخرجوا كلكم مع نبيكم صلى الله
عليه وسلم الى جهاد عدوكم وان منكم لمن ليبطئن نزلت في المنافقين وانما قال
منكم لاجتماعهم مع اهل الايمان في الجنسية والنسب واظهار كلمة الاسلام لا في حقيقة

الايمان والمعنى وان منكم لمن ليبطئن وليتثاقلن عن الجهاد وهو عبد الله بن ابي سلول
المنافق وكان راس المنافقين **فان اصابتكم مصيبة** اي قتل وهزيمة **قال** يعني
هذا المنافق **قال قد انعم الله علي** يعني بالقعود **اذ لم اكن معهم** يعني مع المومنين
**شهيدا** يعني حاضرا لوقعة فيصيبني ما اصابهم **ولئن اصابكم فضل من الله**
اي فتح وغنيمة **ليقولن** يعني هذا المنافق **كان لم يكن بينكم وبينه مودة** اي
معرفة ومودة في الدين والمعنى كانه ليس من اهل دينكم وذلك ان المنافقين كانوا
يوادون المومنين في الظاهر **يا ليتني كنت معهم** في تلك الغزوة التي غنم فيها
المومنون **فافوز فوزا عظيما** اي فآخذ نصيبا وافرا من الغنيمة قوله عز وجل
**فليقاتل في سبيل الله** هذا خطاب للمنافق اي فليخلص الايمان وليقاتل
في سبيل الله وقيل هو خطاب للمومنين المخلصين اي فليقاتل المومنون في سبيل الله
**الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة** اي يبيعون يقال شريت بمعنى بعت لانه استبدال
عرض بعوض والمعنى فليقاتل المومنون الكافرين الذين يبيعون حياتهم في
الدنيا بثواب الاخرة وما وعد الله فيها لاهل الايمان والطاعة وقيل معناه
فليقاتل في سبيل الله المومنون الذين يبيعون الحياة الدنيا ويختارون
الاخرة وثوابها على الدنيا الفانية **ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل** اي فيستشهد
**او يغلب** يعني فيظفر بعدوه من الكفار **فسوف نوتيه** يعني في الحالتين
الشهادة او الظفر نوتيه فيهما **اجرا عظيما** يعني ثوابا وافرا **ق** عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه
الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة
او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة لفظ مسلم
قوله عز وجل **وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله** قال المفسرون هذا حض من الله على
الجهاد في سبيله لاستنقاذ المومنين المستضعفين من ايدي الكفار وفيه
دليل على ان الجهاد واجب والمعنى لا عذر لكم في ترك الجهاد وقد بلغ حال المستضعفين
ما بلغ من الضعف والاذى **والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان** قال ابن
عباس يريدان قوما من المومنين استضعفوا فحبسوا وعذبوا وقيل كان هولا
بمكة يلقون اذى شديدا وكان اهل مكة قد اجتهدوا ان يفتنوا قوما من
المومنين عن دينهم بالاذى لهم وكانوا مستضعفين في ايديهم ولم يكن لهم بمكة
قوة يمتنعون بها من المشركين فعلى هذا يكون معنى الاية وما لكم لا تقاتلون
في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين وقال ابن عباس معناه عن المستضعفين
لان المراد صرف الاذى عنهم **خ** عن ابن عباس في قوله وما لكم لا تقاتلون في
سبيل الله والمستضعفين الاية قال كنت انا وامي من المستضعفين وفي
رواية ابن ابي مليكة قال تلى ابن عباس الا المستضعفين من الرجال والنساء
والولدان قال كنت انا وامي ممن عذر الله انا من الولدان وامي من النساء فيها





هذه الرواية الثانية من حديث ابن عباس يكون معنى والمستضعفين الا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان فانهم ممن عذر الله في ترك القتال والولدان جمع وليد
وهو الصبي الصغير **الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية** يعني مكة **الظالم اهلها**
يعني الظالم اهلها انفسهم بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وذلك ان
المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة الى المدينة دعوا الله عز وجل
فقالوا ربنا اخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم اهلها بالشرك **واجعل لنا
من لدنك وليا** يعني وليا يلي امرنا **واجعل لنا من لدنك نصيرا** يعني ينصرنا ويمنعنا
من العدو فاستجاب الله دعاءهم وجعل لهم من لدنه خير ولي وخير ناصر وهو محمد
صلى الله عليه وسلم فتولى امرهم ونصرهم واستنقذهم من ايدي المشركين يوم فتح
مكة واستعمل عليهم عتاب بن اسيد وكان ابن ثمانية عشر سنة فكان ينصر المظلومين
على الظالمين وياخذ للضعيف من القوي قوله عز وجل **الذين امنوا يقاتلون في
سبيل الله** يعني في طاعة الله واعلا كلمته وابتغاء مرضاته **والذين كفروا يقاتلون
في سبيل الطاغوت** يعني في طاعة الشيطان **فقاتلوا اوليا الشيطان** اي فقاتلوا
ايها المومنون حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار **ان كيد الشيطان كان ضعيفا**
الكيد السعي في الفساد على جهة الاحتيال ويعني بكيده ما كاد المومنين به من
تحزيبه اوليا‌ءه الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لانه خذل اولياءه لما راى الملايكة
قد نزلت يوم بدر وكان النصر لاوليا الله وحزبه على اوليا الشيطان وحزبه
وادخال كان في قوله كان ضعيفا لتاكيد ضعف كيد الشيطان قوله عز وجل
**الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة** قال الكلبي
نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن
مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص وجماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا
يلقون من المشركين اذى كثيرا بمكة قبل ان يهاجروا فكانوا يقولون يا رسول الله
ايذن لنا في قتالهم فانهم قد اذونا فيقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كفوا ايديكم فاني لم اومر بقتالهم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة يعني قيل كفوا
ايديكم عن قتالهم وادوا ما افترض عليكم من الصلاة والزكاة كان قبل فرض
الجهاد **فلما كتب عليهم القتال** اي فرض عليهم جهاد المشركين وامروا بالخروج
اليه **اذا فريق منهم** يعني اذا جماعة من الذين سالوا ان يفرض عليهم الجهاد
**يخشون الناس** يعني يخافون مشركي مكة **كخشية الله او اشد خشية**
او بمعنى الواو يعني واشد خشية **وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال** يعني لم فرضت
علينا الجهاد **لولا اخرتنا الى اجل قريب** يعني هلا تركتنا ولم تفرض علينا
القتال حتى نموت باجالنا والقايلون بهذا القول هم المنافقون لان هذا القول
لا يليق بالمومنين وقيل قاله بعض المومنين وانما قالوا ذلك خوفا وجبنا لا اعتقادا
ثم انهم تابوا من هذا القول **قل** اي لهم يا محمد **متاع الدنيا قليل** يعني ان منفعتها والاستمتاع

بالدنيا قليل لانه زايل والاخرة يعني وثواب الاخرة خير لمن اتقى يعني اتقى الشرك
ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم ولا تظلمون فتيلا اي لا تنقصون من اجوركم قدر
فتيل عن المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في
الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه هذه واشار يعني بالسبابة في اليم فلينظر بم
ترجع قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت نزلت في المنافقين الذين قالوا
في قتلى احد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بهذه الاية وقيل
نزلت في الذين قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فرد الله عليهم بقوله تعالى
اينما تكونوا يدرككم الموت يعني ينزل بكم الموت فبين الله تعالى انه لا خلاص لهم
من الموت واذا كان لا بد لهم من الموت كان ان تقتل في سبيل الله وجهاد اعدايه افضل
من الموت على الفراش لان الجهاد موت يحصل به سعادة الاخرة ثم بين الله تعالى
انه لا بد لهم من الموت وانه لا ينجي منه شيء بقوله ولو كنتم في بروج مشيدة والبروج
في كلام العرب الحصون والقلاع والمشيدة المرفوعة المطولة وقيل هي المطينة
بالشيد وهو الجص وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله نزلت في المنافقين
واليهود وذلك ان المدينة كانت ذات خير وارزاق ونعم عند مقدم النبي صلى الله
عليه وسلم فلما ظهر نفاق المنافقين وعنادا اليهود امسك الله عنهم بعض الامساك
فقال المنافقون واليهود ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا حين قدم
علينا هذا الرجل واصحابه فقال الله تعالى وان تصبهم يعني المنافقين واليهود
حسنة اي خصب الثمار ورخص في السعر يقولوا هذه من عند الله يعني من قبل
الله وان تصبهم سيئة اي جدب في الثمار وغلاء في السعر يقولوا هذه من
عندك يعني من شوم محمد واصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة
يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم احد ومعنى من عندك انت الذي حملتنا
عليه يا محمد فعلى هذا القول يكون هذا اقرار عن المنافقين خاصة قل اي قل لهم
يا محمد كل من عند الله يعني الحسنة والسيئة والخصب والجدب والغنيمة والهزيمة
والظفر والقتل فاما الحسنة فانعام من الله واما السيئة فابتلاء من الله فما
لهؤلاء القوم اي فما شان هؤلاء القوم المنافقين واليهود الذين قالوا ما
قالوا لا يكادون يفقهون حديثا يعني لا يفقهون معاني القرآن وان الاشيا
كلها من الله تعالى خيرها وشرها قوله تعالى ما اصابك من حسنة يعني من خير
ونعمة فمن الله يعني من فضل الله عليك يتفضل به احسانا منه اليك وما
اصابك من سيئة يعني من شدة ومكروه ومشقة واذى فمن نفسك يعني فمن قبل
نفسك وبذنب اكتسبته نفسك استوجبت ذلك به وفي المخاطب بهذا الكلام قولان
احدهما انه عام وتقديره وما اصابك ايها الانسان والثاني انه خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمراد به غيره من الامة والنبي صلى الله عليه وسلم بري لان الله عز وجل قد
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وقد عصمه الله من حين ابتعث فهو معصوم

فيما



فيما يستقبل حتى يموت ويدل على ان المراد بهذا الخطاب غيره قوله عز وجل يا ايها
النبي اذا طلقتم النساء فخاطبه وحده ثم جمع الكل بقوله اذا طلقتم النساء فمعنى
قوله فمن نفسك اي عقوبة لذنبك يا ابن ادم كذا قال قتادة وقال الكلبي
ما اصابك من خير فالله هداك له واعانك عليه وما اصابك من امر تكرهه فبذنبك
عقوبة لك لذلك الذنب وقد تعلق بظاهر هذه الاية القدرية وقالوا نفى الله السيئة
عن نفسه ونسبها الى الانسان بقوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ولا
متعلق لهم بها لانه ليس المراد من الاية حسنة الكسب من الطاعات ولا السيئة
المكتسبة من فعل المعاصي بل المراد من الحسنة والسيئة في هذه الاية ما يصيب
الانسان من النعم والمحن وذلك ليس من فعل العبد لانه لا يقال في الطاعة
والمعصية اصابني وانما يقال اصبتها ويقال في النعم والمحن اصابني بدليل انه لم
لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا
هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ولما ذكر الله حسنات الكسب
وسيئاته وعد عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون فبطل بهذا قول القدرية
وقال بعضهم لو كانت الاية على معنى ما يقول اهل القدر لقال ما اصبت من حسنة
وما اصبت من سيئة ولم يقل ما اصابك لان العادة جرت بقول الانسان اصابني
خير او مكروه واصبت حسنة او سيئة وقيل في معنى الاية ما اصابك من حسنة
اي النصر والظفر يوم بدر فمن الله اي من فضل الله وما اصابك من سيئة اي
من قتل وهزيمة يوم احد فمن نفسك يعني فبذنوب اصحابك وهو مخالفتهم اياك
فان قلت كيف وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما
اصابك من سيئة فمن نفسك فاضاف السيئة الى فعل العبد في هذه الاية قلت
اما اضافة الاشيا كلها الى الله تعالى في قوله تعالى قل كل من عند الله فعلى الحقيقة
لان الله تعالى هو خالقها وموجدها واما اضافة السيئة الى فعل العبد فعلى
المجاز تقديره وما اصابك من سيئة فمن الله بذنب نفسك عقوبة لك وقيل
اضافة السيئة الى فعل العبد على سبيل الادب فهو كقوله تعالى واذا مرضت
فهو يشفين فاضاف المرض الى نفسه على طريق الادب ولا يشك عاقل ان الممرض
هو الله تعالى وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيه اضمار وتقديم وتاخير تقديره
فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ويقولون ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله وقال ابن الانباري
في معنى الاية ما اصابك الله به من حسنة وما اصابك به من سيئة فالفعلان راجعان
الى الله تعالى قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا يعني وارسلناك يا محمد
الى كافة الناس رسولا لتبلغهم رسالاتي وما ارسلتك به ولست رسولا
الى العرب خاصة كما قاله بعض اليهود بل انت رسول الى الخلق كافة العرب

وغيرهم **وكفى بالله شهيدا** يعني على ارسالك للناس كافة فما ينبغي لاحد ان يخرج
عن طاعتك واتباعك وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على تبليغك ما ارسلت به الى
الناس وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على ان الحسنة والسيئة من الله قوله عز وجل
**من يطع الرسول فقد اطاع الله** سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من اطاعني فقد اطاع الله ومن احبني فقد احب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا
الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم ربا فانزل الله هذه الآية
من يطع الرسول يعني فيما امر به ونهى عنه فقد اطاع الله يعني لان طاعة الرسول طاعة
الله تعالى لانه هو امر بها وقال الحسن جعل الله طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته
وقامت به الحجة على المسلمين وقال الشافعي ان كل فريضة فرضها الله في كتابه كالحج
والصلاة والزكاة لولا بيانات رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا نعرف كيفية اتيانها
• ولا كان يمكننا اداء شيء من العبادات واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة
الشريفة كانت طاعته على الحقيقة طاعة الله **ومن تولى** اي اعرض عن طاعتك **فما
ارسلناك عليهم حفيظا** يعني حافظا تحفظ اعمالهم عليهم بل كل امرهم الي سفا لك
المفسرون وكان هذا قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخ ذلك باية القتال قوله تعالى
**ويقولون طاعة** نزلت في المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون باللسان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم امنا بك وصدقناك فمرنا بامرك طاعة اي امرنا وشاننا
طاعة **فاذا برزوا من عندك** اي خرجوا من عندك **بيت طائفة منهم غير
الذي تقول** البيت التبييت كل امر يفعل بالليل يقال هذا امر مبيت اذا دبر
بليل وقضي بليل فقد بيت والمعنى انهم قالوا وقدروا امرا بالليل غير الذي اعطوك
بالنهار من الطاعة وقيل معنى بيت غير وبدل طائفة منهم غير الذي تقول
يعني غير الذي عهدت اليهم فعلى هذا يكون التبييت بمعنى التبديل وانما خص طائفة
من المنافقين بالتبييت في قوله منهم كلمة للتبعيض لانه تعالى علم ان منهم من يبقى
على كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه ويتوب فخص من يصر على النفاق بالذكر
وقيل ان طائفة منهم اجتمعوا بالليل وبيتوا ذلك القول فخصهم بالذكر **والله
يكتب** اي يثبت ويحفظ عليهم **ما يبيتون** يعني ما يزورون ويغيرون
ويقدرون وقال ابن عباس يكتب ما يسرون من النفاق **فاعرض عنهم** اي لا تعاقبهم
يا محمد ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وخلهم وضلالتهم فانا منتقم منهم وقيل
لا تغتر باسلامهم **وتوكل على الله** اي فوض امرك اليه في شانهم فان الله يكفيك
امرهم وينتقم لك منهم **وكفى بالله وكيلا** يعني ناصرا لك عليهم قوله عز وجل **افلا
يتدبرون القران** اصل التدبر النظر في عواقب الامور والتفكر في ادبارها ثم استعمل
في كل تفكر وتامل يقال تدبرت الشيء اي نظرت في عاقبته ومعنى تدبر القران تامل
معانيه والتفكر في حكمه وتبصر ما فيه من الايات قال ابن عباس افلا يتدبرون القران
فيتفكرون فيه فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والامر والنهي

وان احدا



وان احدا من الخلق لا يقدر عليه قال العلماء ان الله تعالى احتج بالقران والتدبر فيه
على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحجة في ذلك من ثلاثة اوجه احدها فصاحته
التي عجزت الخلائق عن الاتيان بمثله في اسلوبه الثاني اخباره عن الغيوب وهو
ما يطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على احوال المنافقين وما يخفون من مكرهم
وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن احوال الاولين واخبارهم وما
ياتي في المستقبل من امور الغيبة التي لا يعلمها الا الله تعالى الثالث سلامته
من الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى **ولو كان من عند غير الله لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا** قال ابن عباس يعني تفاوتا وتناقضا وفي رواية عنه لو كان
من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل معناه لوجدوا في اخباره عن
الغيب بما يكون وما قد كان اختلافا كثيرا لان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى ولما
كان كذلك ثبت انه من عند الله وانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لو
كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من حيث البلاغة والفصاحة والمعنى
لو كان من عند مخلوق لكان على قياس الكلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه
مردود ركيك فاسد فلما كان القران جميعه على منهاج واحد في الفصاحة والبلاغة
ثبت انه من عند الله والمعنى افلا يتفكرون في القران فيعرفوا بعدم التناقض
فيه وصدق ما يخبر به عن الغيوب انه كلام الله عز وجل وان ما يكون من عند غير الله
لا يخلو من تناقض واختلاف فلما كان القران ليس فيه تناقض واختلاف علم انه
من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه سواه قوله تعالى **واذا جاءهم
امر من الامن او الخوف اذاعوا به** وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث
البعوث والسرايا فاذا غلبوا او غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم
ثم يشيعونه ويحدثون به قبل ان يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيضعفون به قلوب المؤمنين فانزل الله هذه الاية واذا جاءهم يعني المنافقين
امر من الامن يعني جاءهم خبر بفتح وغنيمة او الخوف يعني القتل والهزيمة اذاعوا
به اي افشوا ذلك الخبر واشاعوه بين الناس يقال اذاع السر واذاع به اذا اشاعه
واظهره قال الشاعر •

• اذاع به في الناس حتى كانه • بعلياء نار اوقدت بثقوب •

**ولو ردوه** يعني الامر الذي تحدثوا به **الى الرسول** يعني انهم لم يتحدثوا
به حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يتحدث به ويظهره **والى اولي الامر
منهم** يعني ذوي العقول والراي والبصيرة بالامور منهم وهم كبار الصحابة كابي بكر
وعمر وعثمان وعلي وقيل هم امراء السرايا والبعوث وانما قال منهم على حسب الظاهر
لان المنافقين كانوا يظهرون الايمان فلهذا قال والى اولي الامر منهم **لعلمه
الذين يستنبطونه منهم** اي يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم وتجاربهم
ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وهم العلماء الذين علموا ما ينبغي ان يكتم من الامور

وما ينبغي ان يذاع منها والنبط الما الذي يخرج من البير اول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يخرجه الرجل بفضل ذكايه وصفا ذهنه وفطنته من المعاني والتدبير فيما يعضل ويهم يقال استنبط الفقيه المسئلة اذا استخرجها باجتهاده وفهمه وفي الاية دليل على جواز القياس وان من العلم ما يدرك بالنص وهو الكتاب والسنة ومنه ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليهما ومعنى الاية ولو ان هولا المنافقين والمذيعين ردوا الامر من الامن او الخوف الى الرسول والى اولي الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلموا حقيقة ذلك منهم وانهم اولى بالبحث عنه فانهم اعلم بما ينبغي ان يشاع او يكتم قوله تعالى **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** يعني ولولا فضل الله عليكم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القران ورحمته بالتوفيق والهداية **لاتبعتم الشيطان** يعني لبقيتم على الكفر والضلالة ثم اختلف العلماء في هذا الاستثنا والى ماذا يرجع فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به الا قليلا فاخرج بعض المنافقين والمومنين عن هذه الاية من هذه الاذاعة لانهم لم يذيعوا ما علموا من امر السرايا وهذا القول اختيار الفرا وابن جرير الطبري وقيل هو راجع الى المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة وتقديره لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا فعلى هذين القولين في الاية تقديم وتاخير وقيل انه راجع الى اتباع الشيطان وهو قول الضحاك واختاره الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثنا الى ما يليه ويتصل به اولى من صرفه الى الشيء البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا منكم وهم قوم امنوا واهتدوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وانزال القران مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وزيد بن ساعدة قوله تعالى **فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك** نزلت في مواعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده موسم بدر الصغرى بعد حرب احد وذلك في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله هذه الاية فقاتل في سبيل الله يعني لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المومنين لا تكلف الا نفسك يعني لا تكلف فرض غيرك بل جاهد في سبيل الله ولو وحدك فان الله ناصرك لا الجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو لا يخلف الميعاد فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا الى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال ورجعوا سالمين وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاية على سبيل ترك الجهاد والخروج معه وفي الاية دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اشجع الناس واعلمهم بامور القتال ومكايده لان الله تعالى امره بالقتال وحده ولو لم يكن اشجع الناس لما امره بذلك ولهذا اقتدى به ابو بكر الصديق في قتال اهل الردة من بني حنيفة الذين منعوا الزكاة فعزم على الخروج الى قتالهم ولو وحده **وحرض المومنين** يعني حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب وليس عليك في تركهم لا

الا قليلا

التحريض



التحريض فحسب لا التعنيف بهم **عسى الله** اي لعل الله **ان يكف باس الذين كفروا** يعني لعل الله ان يمنع باس الكفار وشدتهم وقد فعل وذلك ان ابا سفيان بدا له عن القتال فلم يخرج الى الموعد **والله اشد باسا** اي اعظم صولة **واشد تنكيلا** يعني واشد عذابا وعقوبة من غيره قوله عز وجل **من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها** الشفاعة ماخوذة من الشفع وهو ان يصير الانسان بنفسه شفيعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسئلة الى المشفوع اليه فعلى هذا قيل ان المراد بالشفاعة المذكورة في الاية هي شفاعة الانسان لغيره ليجلب له بشفاعته نفعا او يخلصه من بلا نزل به وقيل هي في الاصلاح بين الناس وقيل معنى الاية من يصير شفيعا لوتر اصحابك يا محمد فيشفعهم في جهاد عدوهم يكن له نصيب منها اي حظ وافر من اجر شفاعته وهو ثواب الله وكرامته **ومن يشفع شفاعة سيئة** قيل هي النميمة ونقل الحديث لايقاع العداوة بين الناس وقيل اراد بالشفاعة السيئة دعا اليهود على المسلمين وقيل معناه من يشفع كفره بقتال المومنين **يكن له كفل** اي ضعف وقيل نصيب **منها** اي من وزرها **وكان الله على كل شيء مقيتا** قال ابن عباس يعني مقتدرا ومجازيا وانشد على الشيء قد رعليه قال الشاعر

وذي ضغن كففت النفس عنه • وكنت على اساءته مقيتا •

يعني قادرا على الاساءة عليه وقيل معناه شاهدا وحفيظا على الاشيا **ق** عن ابي موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا اذا جا رجل يسال فاقبل علينا بوجهه وقال اشفعوا توجروا ويقضي الله على لسان رسوله ما شا وفي رواية كان اذا جاءه طالب حاجة اقبل على جلسايه وقال اشفعوا توجروا وذكره قوله عز وجل **واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها** التحية تفعلة من حيي واصلها من الحياة ثم جعل الاسلام تحية لكونه خارج عن حصول الحياة وسبب الحياة في الدنيا او في الاخرة والتحية ان يقال حياك الله اي جعل لك حياة وذلك اخبار ثم يجعل دعا هذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جا الاسلام بدل ذلك بالسلام وهو المراد به في الاية يعني اذا سلم عليكم المسلم فاجيبوه باحسن ما سلم عليكم به وانما اختير لفظ السلام على لفظ حياك الله لانه اتم واحسن واكمل لان معنى السلام السلامة من الافات فاذا دعا الانسان بطول الحياة بغير سلامة كانت حياته مذمومة منغصة واذا كان في حياته سليما كان اتم واكمل فلهذا السبب اختير لفظ السلام **او ردوها** يعني او ردوا عليه كما سلم عليكم **ان الله كان على كل شيء حسيبا** يعني محاسبا ومجازيا والمعنى انه تعالى على كل شيء من رد السلام بمثله او باحسن منه مجازيا عليه **فصل** في فضل السلام والحث عليه **ق** عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرا السلام على من عرفت ومن لم تعرف قوله اي الاسلام خير اي خصال الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرا السلام على من عرفت ومن لم تعرف **م** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم
افشوا السلام بينكم عن عبد الله بن سلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يا ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا الارحام وصلوا
والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح عن ابي امامة
قال امرنا نبينا صلى الله عليه وسلم ان نفشي السلام اخرجه ابن ماجه **فصل**
في احكام تتعلق بالسلام وفيه مسايل المسئلة الاولى في كيفية السلام ق عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله ادم عليه السلام قال اذهب فسلم
على اولئك نفر من الملايكة جلوس فاستمع ما يحيونك فانه تحيتك وتحية ذريتك فقال
السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله قال العلماء يستحب
لمن يبدا بالسلام ان يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فياتي بضمير الجمع وان
كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فياتي بواو
العطف في قوله وعليكم عن عمران بن حصين قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
السلام عليكم فرد عليه ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء اخر
فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه فجلس فقال عشرون ثم جاء اخر فقال السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه فجلس فقال ثلاثون اخرجه الترمذي وابو داود
وقال الترمذي حديث حسن وقيل اذا قال المسلم السلام عليكم فيقول المجيب
وعليكم السلام ورحمة الله فيزيد وبركاته واذا قال السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته فيرد عليه بمثله ولا يزيد عليه وروي ان رجلا سلم على ابن عباس فقال السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته ثم زاد شيا فقال ابن عباس ان السلام انتهى الى البركة ويستحب
للمسلم ان يرفع صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه ويشترط ان يكون الرد
على الفور فان اخره ثم رد لم يعد جوابا وكان اثما بترك الرد المسئلة الثانية في
حكم السلام الابتدا بالسلام سنة مستحبة ليس بواجب وهو سنة على الكفاية فان
كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفى عن جميعهم ولو سلم كلهم كان افضل واكمل قال القاضي
حسين من اصحاب الشافعي ليس لنا سنة على الكفاية الا هذا وفيه نظر لان تشميت
العاطس سنة على الكفاية ايضا كالسلام ولو دخل على جماعة في بيت او مجلس وجب
عليه ان يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم افشوا السلام والامر للوجوب
او يكون ذلك سنة موكدة لان السلام من شعار اهل الاسلام فيجب اظهاره او تاكد
استحبابه اما الرد على المسلم فقد اجمع العلماء على وجوبه ويدل عليه قوله تعالى واذا
حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها والامر للوجوب ولان في ترك الرد اهانة
للمسلم فيجب ترك الاهانة فان كان المسلم عليه واحدا وجب عليه الرد واذا كانوا جماعة
كان رد السلام في حقهم فرض كفاية فلو رد واحد منهم سقط فرض الرد عن الباقين وان
تركوه كلهم اثموا عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجزي
عن الجماعة اذا مروا ان يسلم احدهم ويجزي عن الجلوس ان يرد احدهم اخرجه ابو داود

المسئلة



المسئلة الثالثة في اداب السلام السنة ان يسلم الراكب على الماشي والماشي
على القاعد والقليل على الكثير ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير وفي رواية
للبخاري قال يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير واذا
تلاقى رجلان فالمبتدي بالسلام هو الافضل لما روي عن ابي امامة الباهلي
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بالله عز وجل من بداهم بالسلام
اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي ولفظه قال قيل يا رسول الله الرجلان
يلتقيان ايهما يبدا بالسلام فقال اولاهما بالله قال الترمذي حديث حسن ويستحب
ان يبدا بالسلام قبل الكلام والحاجة والسنة اذا مر بجماعة صبيان ان يسلم عليهم
لما روي عن انس انه مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفعله اخرجاه في الصحيحين وفي رواية لابي داود ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على
غلمان يلعبون فسلم عليهم واما السلام على النسا فان كن جمعا جالسا في
مسجد او موضع فيستحب ان يسلم عليهن اذا لم يخف على نفسه او عليهن فتنة
لما روي عن اسما بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة
فسلم علينا اخرجه ابو داود وفي رواية الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مر في المسجد يوما وعصبة من النسا قعود فالوى بيده بالتسليم قال الترمذي
حديث حسن واذا مر على امراة مفردة اجنبية فان كانت جميلة فلا يسلم عليها
ولو سلم فلا ترد هي عليه لانه لم يستحق الرد وان كانت عجوزا لا يخاف عليه ولا
عليها الفتنة سلم عليها وترد هي عليه وحكم النسا مع النسا كحكم الرجال
مع الرجال في السلام فيسلم بعضهن على بعض المسئلة الرابعة في الاحوال
التي يكره السلام فيها فمن ذلك الذي يبول او يتغوط او يجامع او نحو ذلك لا يسلم
عليه فلو سلم فلا يستحق المسلم جوابا لما روي عن ابن عمر ان رجلا مر ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يبول فسلم فلم يرد عليه اخرجه مسلم قال الترمذي انما
يكره هذا اذا كان على الغايط والبول ويكره التسليم على من في الحمام وقيل
ان كانوا متزرين بالميازر سلم عليهم والا فلا ويكره التسليم على النايم والناعس
والمصلي والموذن في حال الاذان والتالي في حال الصلاة والاذان والتلاوة
ويكره الابتدا بالسلام في حال الخطبة لان الجالسين مامورون بالانصات للخطبة
ويكره ان يبدا المبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسق وكذلك الظلمة
ونحوهم فلا يسلم على هولا المسئلة الخامسة في حكم السلام على اهل الذمة
اليهود والنصارى اختلف العلما فيه فذهب اكثرهم الى انه لا يجوز ابتداوهم بالسلام
وقال بعضهم انه ليس بحرام بل هو مكروه كراهية تنزيه ويدل على ذلك ما روي عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدوا اليهود ولا النصارى بالسلام
واذا لقيتم احدهم في طريق فاضطروه الى اضيقه اخرجه مسلم واذا سلم يهودي او نصراني

علي مسلم فيقول عليكم بغير واو العطف لما روي عن انس ان يهوديا اتى على رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما قال قالوا الله ورسوله اعلم سلم يا نبي الله قال
لا ولكنه قال كذا وكذا ردوه علي فردوه فقال قلت السام عليكم قال نعم قال
نبي الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم احد من اهل الكتاب فقولوا عليك
اي عليك ما قلت اخرجه الترمذي فلو اتى بواو العطف وميم الجمع فقال وعليكم
جاز لانا نجاب عليهم في الدعا ولا يجابون علينا ويدل على ذلك ما روي عن جابر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على ناس من يهود فقالوا السام عليك يا ابا
القاسم فقالت عايشة وغضبت الم تسمع ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم
وانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا اخرجه مسلم واذا مر المسلم على جماعة فيهم مسلمون
ويهود ونصارى يسلم عليهم ويقصد بتسليمه المسلمين لما روي عن اسامة بن
زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه اخلاط من المسلمين واليهود فسلم
عليهم اخرجه الترمذي والله اعلم قوله عز وجل **الله لا اله الا هو ليجمعنكم**
هذه لام القسم تقديره والله الذي لا اله الا هو ليجمعنكم الله في الموت وفي
القبور **الى يوم القيامة** يعني الى يوم الحشر والبعث سميت القيامة قيامة لقيام
الناس من قبورهم بعد الموت وقيل لقيامهم للحساب نزلت هذه الاية في منكري
البعث **لا ريب فيه** يعني لا شك في ذلك اليوم انه كاين **ومن اصدق من**
**الله حديثا** يعني لا احد اصدق من الله فانه لا يخلف الميعاد ولا يجوز عليه الكذب
والمعنى ان القيامة كاينة لا شك فيها ولا ريب قوله عز وجل **فما لكم في المنافقين**
**فئتين** اختلفوا في سبب نزول هذه الاية فقيل نزلت في الذين تخلفوا
يوم احد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم يا رسول الله فانهم منافقون وقال بعضهم
اعف عنهم فانهم قد تكلموا بكلمة الاسلام ق عن زيد بن ثابت قال لما خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى احد رجع ناس ممن خرج معه فقال اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيهم فئتين قالت فرقة نقتلهم وقالت فرقة لا نقتلهم فنزلت فما لكم في
المنافقين فئتين وقال النبي صلى الله عليه وسلم انها طيبة تنفي الرجال كما ينفي
الكير خبث الحديد وقيل نزلت في قوم خرجوا الى المدينة واسلموا ثم استاذنوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى مكة ليأتوا ببضايع لهم يتجروا فيها فخرجوا
واقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم فقايل يقول هم منافقون وقايل يقول
هم مومنون وقيل نزلت في ناس من قريش قدموا الى المدينة واسلموا ثم ندموا
على ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين فلما بعدوا عن المدينة كتبوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا على الذي فارقناك عليه من الايمان ولكنا اجتوينا المدينة
واشتقنا الى ارضنا ثم انهم خرجوا في تجارة الى الشام فبلغ ذلك المسلمين فقال





بعضهم نخرج اليهم ونقتلهم ونأخذ ما معهم لانهم رغبوا عن ديننا وقالت طايفة منهم
كيف تقتلون قوما على دينكم وان لم يذروا ديارهم وكان هذا بعين النبي صلى الله عليه وسلم
وهو ساكت لا ينهى احدا الفريقين فنزلت هذه الاية وقيل نزلت في قوم اسلموا بمكة
ولم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين وقيل نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول المنافق
لما تكلم في حديث الافك ومعنى الاية فما لكم يا معشر المؤمنين في المنافقين فئتين اي
صرتم في امرهم فئتين فرقة تذب عنهم وفرقة تباينهم وتعاديهم فنهى الله الفرقة
الذين يذبون عنهم وامر المومنين جميعا ان يكونوا على منهاج واحد في التباين لهم والتبري
منهم ثم اخبر عن كفرهم بقوله **والله اركسهم** يعني نكسهم في كفرهم وارتدادهم
وردهم الى احكام الكفار **بما كسبوا** اي بسبب ما اكتسبوا من اعمالهم الخبيثة
وقيل بما اظهروا من الارتداد بعد ما كانوا على النفاق **اتريدون ان تهدوا من اضل**
**الله** هذا خطاب للفئة التي دافعت عن المنافقين والمعنى اتبغون ايها المومنون هداية
هولاء المنافقين الذين اضلهم الله عن الهدى **ومن يضلل الله** يعني عن الهدى
**فلن تجد له سبيلا** يعني فلن تجد له طريقا تهديه فيها الى الحق والهدى قوله
تعالى **ودوا** يعني تمنوا اولئك الذين رجعوا عن الايمان الى الارتداد والكفر **لو تكفرون**
يعني تكفرون انتم يا معشر المومنين **كما كفروا فتكونون سواء** في الكفر **فلا تتخذوا منهم**
**اولياء** يعني من الكفار ومنع المومنين من موالاتهم **حتى يهاجروا** يعني يسلموا ويهاجروا
**في سبيل الله** معكم وهي هجرة اخرى والهجرة على ثلاثة اوجه الاولى هجرة المومنين
في اول الاسلام من مكة الى المدينة الثاني هجرة المنافقين وهي الخروج مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سبيل الله مخلصين صابرين محتسبين كما حكى الله عنهم وفي هذه منع
المومنين من الموالاة للمنافقين حتى يهاجروا في سبيل الله والهجرة الثالثة هجرة المومنين
ما نهى الله عنهم بقوله **فان تولوا** يعني فان اعرضوا عن الاسلام والهجرة واختاروا
الاقامة على الكفر **فخذوهم** الخطاب للمومنين اي خذوهم ايها المومنون **واقتلوهم**
**حيث وجدتموهم** يعني اين وجدتموهم في الحل والحرم **ولا تتخذوا منهم وليا** يعني
في هذه الحالة **ولا نصيرا** يعني ينصركم على اعدائكم لانهم اعداكم ثم استثنى الله عز وجل
طايفة منهم فقال تعالى **الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق** هذا
الاستثناء يرجع الى القتل لا الى الموالاة لان الموالاة للكفار والمنافقين لا تجوز
بحال ومعنى يصلون ينتسبون اليهم ويتصلون اليهم او يدخلون معهم بالحلف والجوار
وقال ابن عباس يريد ويلجاون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد وهم الاسلميون
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الاسلمي عند خروجه الى
مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه وغيرهم ولجا اليه فلهم
الجوار مثل ما لهلال وفي رواية عن ابن عباس قال اراد بالقوم الذين بينكم وبينهم
ميثاق بني بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح والهدنة وقيل هم خزاعة والمعنى
ان من دخل في عهد من كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم **او جاوكم**

**حصرت صدورهم** يحتمل ان يكون عطفا على الذين وتقديره الا الذين يتصلون بالمعاهدين
او يتصلون بالذين حصرت صدورهم فلا تقتلوهم وقيل يحتمل ان يكون عطفا على
صفة قوم وتقديره الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم عهد ويصلون الى قوم
حصرت صدورهم فلا تقتلوهم ومعنى حصرت اي ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا
يريدون قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتالهم لانهم اقاربهم وهم بنو مدلج
وكانوا عاهدوا ان لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ان لا يقاتلوهم **ان
يقاتلوكم** يعني ضاقت صدورهم عن قتالكم للعهد الذي بينكم وبينهم **او يقاتلوا
قومهم** يعني من امن منهم وقيل معناه انهم لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون
قومهم معكم فقد ضاقت صدورهم لذلك عن قتالكم والقتال معكم وهم قوم هلال
الاسلميون وبنو بكر عن قتال هولاء المرتدين اذا اتصلوا باهل عهد لان من انضم
الى ذي عهد فله حكمهم في حقن الدم وذلك ان الله تعالى اوجب قتال الكفار الا من
كان معاهدا او لجا الى معاهد او ترك القتال لانه لا يجوز قتله ولا رجح على هذا القول
فالقول بالنسخ لازم لان الكافر وان ترك القتال فقتاله جائز وقال جماعة من
المفسرين معاهدة المشركين وموادعتهم في هذه الاية منسوخة باية السيف
وذلك لان الله لما اعز الاسلام واهله امر ان لا يقبل من مشركي العرب الا الاسلام
او القتل **ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم** يذكر الله تعالى منته على المسلمين
بكف باس المعاهدين وذلك لما القى الله الرعب في قلوبهم وكفهم عن قتالكم ومعنى
التسليط ههنا هو تقوية قلوبهم على قتال المسلمين ولكن قذف الرعب في قلوبهم
وكفهم عن المسلمين **فان اعتزلوكم** يعني فان اعتزلوكم عن قتالكم **فلم يقاتلوكم**
وقتال فلم يقاتلوكم يوم فتح مكة مع قومهم **والقوا اليكم السلم** يعني الانقياد
والصلح فانقادوا واستسلموا **فما جعل الله لكم عليهم سبيلا** يعني بالقتل
والقتال قال بعض المفسرين ان هذا منسوخ باية القتال وهو قوله اقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم وقال بعضهم هي غير منسوخة لانا اذا حملناه على المعاهد
فكيف يمكن ان يقال انها منسوخة قوله عز وجل **ستجدون اخرين** قال ابن
عباس هم اسد وغطفان كانوا من حاضري المدينة فتكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم
غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا امنت يقول امنت بهذا القرد
القرد والعقرب والخنفساء واذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
لهم انا على دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين وفي رواية اخرى عن ابن عباس
انها نزلت في بني عبد الدار وكانوا بهذه الصفة **يريدون ان يامنوكم** يعني يريدون
باظهار الايمان ان يامنوكم فلا تتعرضوا لهم **ويامنوا قومهم** يعني باظهار الكفر
لهم فلا يتعرضوا لهم **كلما ردوا الى الفتنة** يعني كلما دعوا الى الشرك **اركسوا
فيها** رجعوا الى الشرك وعادوا اليه منكسين على رؤوسهم فيه **فان لم يعتزلوكم**
يعني فان لم يكفوا عن قتالكم حتى تسيروا الى مكة **ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم**

اي



اي ولم يلقوا الصلح ولم يكفوا عن قتالكم **فخذوهم** يعني اسرا **واقتلوهم حيث ثقفتموهم**
اي حيث ادركتموهم **واولئكم** يعني اهل هذه الصفة **جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا**
يعني حجة ظاهرة بالقتل والقتال وقيل الحجة الواضحة هو ظهور عداوتهم وانكشاف
حالهم بالكفر والعداوة قوله تعالى **وما كان** [illegible] **مؤمنا الا خطا** الاية نزلت
في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل
الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة وتحصن في
اطم من اطامها والاطم الحصن فجزعت امه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنيها الحرث
وابي جهل ابني هشام وهما اخوا عياش بن ابي ربيعة لامه والله لا يظلني
سقف ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى تاتوني به فخرجا في طلبه وخرج معهم
الحرث بن زيد بن ابي انيسة حتى اتوا المدينة فاتوا عياشا وهو في الاطم فقالوا
انزل فان امك لم ياوها سقف بعدك وقد حلفت لا تاكل ولا تشرب حتى ترجع اليها
ولك عهد الله علينا ان لا نكرهك على شيء يحول بينك وبين دينك فلما ذكروا له جزع
امه واوثقوا له العهد بالله نزل اليهم فاخرجوه من المدينة واوثقوه بنسعة وجلده
كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به على امه فلما اتاها قالت لا احلك الله من وثاقك
حتى تكفر بالذي امنت به ثم تركوه موثقا في الشمس ما شاء الله فاعطاهم الله الذي
ارادوا فاتاه الحرث بن زيد فقال يا عياش اهذا الذي كنت عليه لان كان هدى لقد
تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله
لا القاك خاليا الا قتلتك ثم ان عياشا اسلم بعد ذلك وهاجر واسلم الحرث بن زيد
بعده وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه
فبينا عياش يسير بظهر قباء اذ لقي الحرث فقتله فقال له الناس ويحك يا عياش اي
شيء صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله
انه كان من امري وامر الحارث ما قد علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت
وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطا ومعنى الاية وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة
وما كان له سبب جواز قتله وقيل ما كان معناه ما كان له ذلك فيما اتاه من ربه وعهد
اليه ففيه تحريم قتل المؤمن من كل وجه وقوله تعالى الا خطا استثناء منقطع معناه
لكن ان وقع خطا فتحرير رقبة وقيل معناه ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة الا ان
يخطئ المؤمن فكفارة خطائه ما ذكر من بعد والخطا فعل الشيء من غير قصد وتعمد
**ومن قتل مؤمنا خطا فتحرير رقبة مؤمنة** يعني فعليه اعتاق رقبة مؤمنة
كفارة **ودية مسلمة الى اهله** اي ودية دية كاملة مسلمة الى اهل القتيل الذين يرثونه
**الا ان يصدقوا** يعني الا ان يتصدق اهل القتيل على القاتل بالدية ويعفوا عنه
**فان كان** يعني المقتول **من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة** اراد انه اذا كان
رجل مسلم في دار الحرب وهو منفرد مع قوم كفار فقتله ولم يعلم باسلامه فلا
دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه اذا كان المقتول مسلما في دار الاسلام وهو

من نسب قوم كفار واسلم الذين يرثونه في دار الحرب وهم حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا
دية لاهله وكان الحرث بن زيد من قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه الكفارة وتحرير
رقبة دون الدية لانه لم يكن بين قومه وبين المسلمين عهد **وان كان من قوم بينكم
وبينهم ميثاق** اي عهد **فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة** يعني انه اذا كان
المقتول كافرا معاهدا او ذميا فتجب فيه الدية والكفارة **فمن لم يجد** يعني الرقبة
**فصيام شهرين متتابعين** اي فعليه صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقبة **توبة
من الله** يعني جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطا **وكان الله عليما** يعني بمن قتل خطا
**حكيما** يعني فيما حكم به عليه من الدية والكفارة **فصل** في حكم متعلق بالاية وفيه
مسايل المسئلة الاولى في بيان صفة القتل قال الشافعي القتل على ثلاثة اقسام
عمد وشبه عمد وخطا اما العمد المحض فهو ان يقصد قتل الانسان بما يقتل به غالبا
فيقتله به ففيه القصاص عند وجود التكافي او دية حالة مغلظة في مال القاتل واما
شبه العمد فهو ان يقصد ضرب انسان بما لا يقتل مثله غالبا مثل ان ضربه بعصا خفيفة
او رماه بحجر صغير فمات فلا قصاص عليه ويجب عليه دية مغلظة على عاقلته موجلة الى
ثلاث سنين واما الخطا المحض فهو ان لا يقصد قتله بل يقصد شيئا اخر فاصابه فمات منه
فلا قصاص عليه ويجب فيه دية مخففة على عاقلته موجلة الى ثلاث سنين ومن صور
قتل الخطا ايضا ان يقصد عند رمي مشرك او كافر فيصيب مسلما او يقصد قتل
انسان يظنه مشركا فان كان عليه لباس المشركين او شعارهم فالصورة الاولى
خطا في الفعل والثانية خطا في القصد المسئلة الثانية في حكم الديات ودية
الحر المسلم مائة من الابل فاذا عدمت الابل فتجب قيمتها من الدراهم او الدنانير
في قول وفي قول بدل مقدر وهو الف دينار او اثنا عشر الف درهم ويدل على ذلك
ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثمانمائة دينار وثمانية الاف درهم قال وكانت دية اهل الكتاب يومئذ
على النصف من دية المسلم فكانت كذلك حتى استخلف عمر فقام خطيبا فقال ان الابل
قد غلت ففرضها عمر على اهل الذهب الف دينار وعلى اهل الورق اثني عشر الف درهم
وعلى اهل البقر مائتي بقرة وعلى اهل الشاة الفي شاة وعلى اهل الحلل مائتي حلة
قال وترك دية اهل الكتاب ولم يرفعها فيما رفع من الدية اخرجه ابو داود فذهب قوم
الى ان الواجب في الدية مائة من الابل او الف دينار او اثنا عشر الف درهم وهو قول عروة
ابن الزبير والحسن البصري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى انها مائة من الابل
او الف دينار او اثنا عشر الف درهم وهو قول سفيان الثوري واصحاب الراي ودية المرأة
نصف دية الرجل هذا ذكر الحر ودية اهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابيا وان كان
مجوسيا فخمس الثلث ثمانمائة درهم وهو قول سعيد بن المسيب وذهب قوم الى ان
دية الذمي والمعاهد مثل دية المسلم وهو قول عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك والاحد
والاصل في ذلك ما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم



صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر اخرجه ابو داود وعنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال عقل اهل الذمة نصف عقل المسلمين وهم اليهود والنصارى اخرجه
النسائي فمن ذهب الى ان دية اهل الذمة ثلث دية المسلم اجاب عن هذا الحديث
بان الاصل في ذلك كان النصف ثم رفع ذلك زمن عمر الى ثلث دية المسلم ولم يرفع
دية الذمي فبقي على اصلها وهو قدر الثلث من دية المسلمين والدية في قتل العمد
وشبه العمد مغلظة فتجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة في بطونها
اولادها وهذا قول عمر وزيد بن ثابت وبه قال عطا واليه ذهب الشافعي لما روي
عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا
دفع الى اولياء المقتول فان شاؤا قتلوا وان شاؤا اخذوا الدية وهي ثلاثون حقة
وثلاثون جذعة واربعون خلفة وما صولحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد
العقل اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عقبة بن اوس عن رجل
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال الا
وان قتيل العمد بالسوط والعصا والحجر مائة من الابل اربعون ثنية الى بازل عامها كلهن
خلفة وفي رواية اخرى الا ان كل قتيل خطا العمد او شبه العمد قتيل السوط
والعصا مائة من الابل فيها اربعون في بطونها اولادها اخرجه النسائي وذهب
قوم الى ان الدية المغلظة ارباع خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون
بنت لبون وخمس وعشرون حقة وخمس وعشرون جذعة وهذا قول الزهري
وربيعة واليه ذهب مالك واحمد واصحاب الراي واما دية الخطا فمخففة وهي اخماس
بالاتفاق غير انهم اختلفوا في تقسيمها فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض
وعشرون بنت لبون وعشرون ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة
وهذا قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن يسار والزهري وربيعة وبه قال مالك
والشافعي وابدل قوم بني اللبون بنات المخاض يروى ذلك عن ابن مسعود وبه
قال احمد واصحاب الراي والدية في قتيل الخطا وشبه العمد على العاقلة وهم العصبات
من الذكور ولا يجب على الجاني منها شيء لان النبي صلى الله عليه وسلم اوجبها على العاقلة
ودية الاعضاء والاطراف فحكمها مبين في كتب الفقه ودية اعضاء المرأة على النصف من
دية اعضاء الرجل والله اعلم المسئلة الثالثة في حكم الكفارة والكفارة
اعتاق رقبة مؤمنة وتجب في مال القاتل سواء كان المقتول مسلما او معاهدا
رجلا كان او امرأة حرا كان او عبدا فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين
فالقاتل ان كان واجدا للرقبة او قادرا على تحصيلها بوجود الثمن فاضلا عن نفقته
ونفقة عياله وحاجته من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز له ان ينتقل الى
الصوم فان عجز عن الرقبة او عن تحصيل ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين وان افطر
يوما متعمدا في خلال الشهرين او نسي النية او نوى صوما اخر وجب عليه استيناف
الشهرين وان افطر يوما بعذر مرض هل ينقطع التتابع اختلف العلما فمنهم من قال

ينقطع التتابع وعليها استيناف الشهرين وهو قول النخعي واظهر اقوال الشافعي
لانه افطر مختارا ومنهم من قال لا ينقطع التتابع وعليه ان يبني وهو قول سعيد
ابن المسيب والحسن والشعبي ولو حاضت المراة في خلال الشهرين افطرت ايام
الحيض ولا ينقطع تتابعها فاذا طهرت بنت لانه امر كتبه الله على النساء ولا يمكن
الاحتراز عنه فان عجز عن الصوم فهل ينتقل عنه الى الاطعام فيطعم ستين مسكينا
ففيه قولان لاحدهما انه ينتقل الى الاطعام كما في كفارة الظهار والثاني لا ينتقل
لان الله لم يذكر له بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة من الله فنص على
الصوم وجعل ذلك عقوبة لقاتل الخطا والله اعلم قوله عز وجل **ومن يقتل مومنا**
**متعمدا فجزاؤه جهنم** نزلت في مقيس بن صبابة الكناني وكان قد اسلم هو واخوه هشام
فوجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر
له ذلك فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني فهر الى بني النجار ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يامركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابة ان تدفعوه الى اخيه مقيس
فيقتص منه وان لم تعلموه فادفعوا اليه ديته فبلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعا
وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكنا نودي اليه ديته فاعطوه مائة من
الابل فانصرفوا راجعين نحو المدينة فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال
له تقبل دية اخيك فتكون عليك سبة اقتل الفهري الذي معك فتكون نفس
مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فقتله ثم ركب بعيرا
من الابل وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وقال في ذلك

قتلت به فهرا وحملت عقله • سراة بني النجار ارباب فارع •
وادركت ثاري واضطجعت موسدا • وكنت الى الاصنام اول راجع •

فنزلت فيه ومن يقتل مومنا متعمدا يعني قاصدا لقتله فجزاؤه جهنم **خالدا**
**فيها** يعني بكفره وارتداده وهو الذي استثناه النبي صلى الله عليه وسلم
يوم فتح مكة ممن امنه من اهلها فقتل وهو متعلق باستار الكعبة **وغضب الله**
**عليه** يعني لاجل كفره وقتله المومن متعمدا **ولعنه** يعني وطرده من رحمته **واعد له**
**عذابا عظيما** اختلف العلماء في حكم هذه الاية هل هي منسوخة ام لا وهل لمن قتل
مومنا متعمدا توبة ام لا فروي عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس المن قتل مومنا
متعمدا من توبة قال لا فتلوت عليه الاية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله
الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق الى اخر الاية قال هذه اية مكية
نسختها اية مدنية ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم وفي رواية قال اختلف
اهل الكوفة في قتل المومن فرحلت الى ابن عباس فقال نزلت في اخر ما نزل ولم ينسخها
شي وفي رواية اخرى قال ابن عباس نزلت هذه الاية بالمدينة والذين لا يدعون
مع الله الها اخر الى قوله مهانا فقال المشركون وما يغني عنا الاسلام وقد عدلنا
بالله وقد قتلنا النفس التي حرم الله واتينا الفواحش فانزل الله الا من تاب وامن وعمل

عملا



عملا صالحا الى اخر الاية زاد في رواية فاما من دخل في الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة
له اخرجاه في الصحيحين وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه ناظر ابن عباس في هذه
الاية فقال من اين لك انها محكمة فقال ابن عباس تكاثف الوعيد قال ابن مسعود انها
محكمة وما تزداد الا شدة وعن خارجة بن زيد قال سمعت زيد بن ثابت يقول نزلت
هذه الاية ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها بعد التي في الفرقان والذين
لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق بستة اشهر
اخرجه ابو داود والنسائي وزاد النسائي في رواية له بثمانية اشهر قال زيد بن
ثابت لما نزلت الاية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها اخر عجبنا من لينها
فلبثنا سبعة اشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة اراد بالغليظة هذه
الاية التي في سورة النساء وباللينة اية الفرقان وذهب الاكثرون من علماء السلف
والخلف الى ان هذه الاية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقال بعضهم نسختها التي في الفرقان
وليس هذا القول بالقوي لان اية الفرقان نزلت قبل اية النساء والمتقدم لا ينسخ
المتاخر وذهب جمهور من قال بالنسخ الى ان ناسخها الاية التي في النساء ايضا وهو قوله
تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولجامع من ذهب الى انها
منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج في الصحيحين بان هذه الاية خبر عن
وقوع العذاب بمن فعل ذلك الامر المذكور في الاية والنسخ لا يدخل الاخبار ولئن سلمنا
انه يدخله النسخ لكن الجمع بين الايتين ممكن بحيث لا يكون بينهما تعارض وذلك بان يحمل
مطلق اية النساء على تقييد اية الفرقان فيكون المعنى فجزاؤه جهنم الا من تاب وقال
بعضهم ما ورد عن ابن عباس انما هو على سبيل التشديد والمبالغة في الزجر عن القتل
فهو كما روي عن سفيان بن عيينة انه قال ان لم يقتل يقال له لا توبة لك وان قتل ثم
ندم وجاء تائبا يقال له لك توبة وقيل انه قد روي عن ابن عباس مثله وروي عنه ايضا
ان توبته تقبل وهو قول اهل السنة ويدل عليه الكتاب والسنة اما الكتاب فقوله
تعالى واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا
واما السنة فما روي عن جابر بن عبد الله قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن
مات يشرك به شيئا دخل النار ق عن عبادة بن الصامت قال كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مجلس فقال تبايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وفي رواية ولا تقتلوا اولادكم ولا تاتوا
ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فاجره على الله
ومن اصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فامره الى الله ان شاء عفا عنه وان شاء عذبه
فبايعناه على ذلك **فصل** وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الاية
لصحة مذهبهم على ان الفاسق يخلد في النار واجاب علماء السنة بان الاية نزلت
في كافر قتل مسلما وهو مقيس بن صبابة فتكون الاية على هذا مخصوصة وقيل هذا

الوعيد لمن قتل مسلما مستحلا لقتله مومنا كان او كافرا وهو مخلد في النار بسبب كفره
وعن ابي مجلز في قوله ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه فان شا الله ان
يتجاوز عن جزايه فعل اخرجه ابو داود وقيل ان الخلود لا يقتضي التابيد بل معناه دوام
لها الى ثان هو علمها ويدل عليه قول العرب للايام خوالد وذلك لطول مكثها لا لدوام
بقايها واذا ذكر الخلود بهذه اللفظة علم ان المراد منه في حق الكفار فرنه يذكر التابيد
كقوله خالدين فيها ابدا فاذا فرق الخلود بهذه اللفظة علم ان المراد منه الدوام الذي
لا ينقطع اذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور في الاية ان الله تعالى يعذب قاتل المومن
عمدا في جهنم الى حيث يشا الله ثم يخرجه منها بفضل رحمته وكرمه فانه قد ثبت في
الاحاديث الشفاعة الصحيحة اخراج جميع الموحدين من النار وقيل ان قاتل المومن عمدا
عدوانا اذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ولان الكفر
اعظم من هذا القتل واذا كانت توبة الكافر من كفره مقبولة بدليل قوله قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فاذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلان تقبل
من القاتل اولى والله اعلم قوله عز وجل يايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا
الاية قال ابن عباس نزلت في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان
من اهل فدك ولم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول صلى الله عليه وسلم تريدهم
وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي فهربوا منه واقام مرداس لكان الرجل
المسلم فلما راى الخيل خاف ان لا يكونوا مسلمين فالجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد
هو الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف انهم من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه
اسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم
الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلتموه ارادة ما معه ثم قرا رسول الله صلى
عليه وسلم على اسامة بن زيد هذه الاية فقال اسامة استغفر لي يا رسول الله فقال كيف انت
بلا اله الا الله يقولها ثلاث مرات قال اسامة فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكررها حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم قال اعتق رقبة وروى ابو ظبيان عن اسامة قال قلت يا رسول الله
انما قالها خوفا من السلاح فقال افلا شققت عن قلبه حتى تعلم قالها خوفا ام لا
وفي رواية عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومعه غنم فسلم عليهم فقالوا انما سلم عليكم ليتعوذ منكم فقاموا اليه فقتلوه
واخذوا غنمه فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل هذه الاية يايها
الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله يعني اذا سافرتم الى الجهاد فتبينوا من البيان
يقال بينت الامر اذا بينته وقيل لا تقدموا عليه وقرئ فتثبتوا من التثبت وهو
خلاف العجلة والمعنى فقفوا وتثبتوا حتى تعرفوا المومن من الكافر وتعرفوا حقيقة

الامر



الامر الذي تقدمون عليه ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام يعني التحية يعني لا تقولوا
لمن حياكم بهذه التحية انه انما قالها تعوذا فتقدموا عليه بالسيف لتاخذوا ماله
ولكن كفوا عنه واقبلوا منه ما اظهره لكم وقرئ السلم بفتح السين من غير الف ومعناه
الاستسلام والانقياد اي استسلم وانقاد لكم وسلم وقال لا اله الا الله
محمد رسول الله وقيل السلام والسلم بمعنى واحد اي لا تقولوا لمن القى اليكم لست
مومنا يعني لست من اهل الايمان فتقتلوه بذلك قال العلما اذا راى الغزاة في
بلد او قرية او حي من العرب شعار الاسلام يجب عليهم ان يكفوا عنهم ولا يغيروا
عليهم لما روي عن عصام المزني قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيشا
او سرية يقول لهم اذا رايتم مسجدا او سمعتم موذنا فلا تقتلوا احدا اخرجه ابو داود
والترمذي وقال اكثر الفقهاء لو قال اليهودي او النصراني انا مومن لم يحكم بايمانه لانه
يدعي ان الذي هو عليه ايمان ولو قال لا اله الا الله محمد رسول الله فعند بعض العلما
لا يحكم باسلامه حتى يتبرى من دينه الذي كان عليه ويعترف انه دين باطل لان بعض
اليهود يزعم ان محمدا رسول الى العرب خاصة لا انه رسول الى كافة الخلق فاذا
اعترف انه رسول الى كافة الخلق وان الذي كان عليه من اليهودية والنصرانية باطل صح
اسلامه وحكم بصحته وقوله تعالى تبتغون عرض الحياة الدنيا يعني تطلبون
الغنيمة التي هي حطام من حطام الدنيا سريعة النفاد والذهاب وعرض الدنيا
منافعها ومتاعها فعند الله مغانم كثيرة اي غني كثير من رزقه يغنيكم
بفضله بها عن قتل من يظهر الاسلام ويتعوذ به وقيل معناه فعند الله ثواب كثير
لمن اتقى قتل المومن كذلك كنتم من قبل يعني كما كنتم هذا الذي القى اليكم
السلام فقلتم له لست مومنا فقتلتموه كنتم انتم من قبل يعني من قبل ان يعزكم الله
بدينكم كنتم انتم تستخفون بدينكم كما استخفى هذا الذي قتلتموه بدينه من قومه حذرا
على نفسه منهم وقيل معناه كذلك كنتم تامنون في قومكم بهذه الكلمة فلا تخيفوا
من قالها ولا تقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من قبل مشركين فمن الله عليكم
يعني بالاسلام والهداية فلا تقتلوا من قال لا اله الا الله وقيل معناه من عليكم
باعلان الاسلام بعد الاختفا وقيل من عليكم بالتوبة فتبينوا اي لا تعجلوا
بقتل مومن وهو تاكيد للامر بالتبيين ان الله كان بما تعملون خبيرا يعني فلا
تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين من ذلك متاطين فيه قوله عز وجل لا يستوي
القاعدون من المومنين غير اولي الضرر منكم والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم
الاية خ عن زيد بن ثابت قال املى علي النبي صلى الله عليه وسلم لا يستوي القاعدون
من المومنين والمجاهدون في سبيل الله فجاءه ابن ام مكتوم وهو يمليها علي فقال
والله يا رسول الله لو استطيع الجهاد لجاهدت وكان اعمى فانزل الله عز وجل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت ان ترض
فخذي ثم سري عنه فانزل الله عز وجل غير اولي الضرر ق عن البرا بن عازب لما نزلت

لا يستوي القاعدون من المؤمنين دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدًا فجاء بكتف
فكتبها وشكى ابن ام مكتوم ضرارته فنزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين
غير اولي الضرر وفي رواية اخرى فلما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين
قال النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانًا فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف فقال
اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله وخلف النبي
صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم فقال يا رسول الله انا ضرير فنزلت مكانها لا يستوي
القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله هذه الرواية
الثانية اخرجها ابن الاثير في كتابه جامع الاصول واظنها لفظ البخاري ومسلم
ولم اجدها في كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي وفي هذه الاية فضل الجهاد في سبيل الله
والحث عليه فقوله لا يستوي القاعدون من المؤمنين يعني لا يعدل المتخلفون
عن الجهاد في سبيل الله من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله غير اولي الضرر يعني غير
اولي الزمانة والضعف في البدن والبصر فانهم يساوون المجاهدين لان العذر اقعدهم
عن الجهاد م عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة رجالًا ما سرتم مسيرًا ولا قطعتم واديًا الا كانوا معكم
حبسهم المرض خ عن انس قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ان اقوامًا خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبًا ولا واديًا الا وهم معنا حبسهم العذر
خ عن ابن عباس قال لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون اليها
وقوله تعالى **فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة** يعني
فضيلة في الاخرة قال ابن عباس اراد بالقاعدين هنا اولي الضرر فضل الله المجاهدين
على اولي الضرر درجة لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية واولوا الضرر
كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فنزلوا عن المجاهدين درجة **وكلا** يعني المجاهدين
والقاعدين **وعد الله الحسنى** يعني الجنة بايمانهم **وفضل الله المجاهدين**
يعني في سبيل الله **على القاعدين** يعني الذين لا عذر لهم ولا ضرر **اجرًا عظيمًا**
يعني ثوابًا جزيلًا ثم فسر ذلك الاجر العظيم فقال تعالى **درجات منه** قال
قتادة كان يقال للاسلام درجة والهجرة درجة في الاسلام درجة والجهاد في
الهجرة درجة والقتل في الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات هي سبع وهي التي
ذكرها الله تعالى في سورة براءة حين قال ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا
مخمصة الى قوله لا يقطعون واديًا الا كتب لهم وقال ابن محيريز الدرجات
سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس المضمر سبعون سنة م عن ابي
سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رضي بالله ربًا وبالاسلام
دينًا وبمحمد رسولًا وجبت له الجنة فتعجب لها ابو سعيد فقال اعدها علي يا رسول الله
فاعادها ثم قال واخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين
كما بين السماء والارض قالوا وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله خ عن ابي

هريرة

هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن بالله ورسوله واقام الصلاة
واتى الزكاة وصام رمضان وحج كان حقًا على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله
او جلس في ارضه التي ولد فيها قالوا او لا نبشر الناس بقولك فقال ان في الجنة
مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء
والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الاعلى فانه اوسط الجنة واعلى الجنة
وفوقه عرش الرحمن ومنه تتفجر انهار الجنة فان قلت قد ذكر الله عز وجل في الاية
الاولى درجة واحدة وذكر في الاية الثانية درجات فما وجه الحكمة في ذلك
قلت اما درجة الاولى فلتفضيل المجاهدين على القاعدين بوجود
الضرر والعذر واما الثانية فلتفضيل المجاهدين على القاعدين من غير ضرر
ولا عذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة وقيل يحتمل ان تكون الدرجة الاولى درجة
المدح والتعظيم والدرجات درجات الجنة ومنازلها كما في الحديث والله اعلم وقوله
تعالى **ومغفرة** يعني لذنوبهم يسترها ويصفح عنها **ورحمة** يعني رأفة بهم **وكان
الله غفورًا** يعني لذنوب عباده المؤمنين **رحيمًا** يعني بهم يتفضل عليهم برحمته
ومغفرته عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال ايما عبد
من عبادي خرج مجاهدًا في سبيل الله ابتغاء مرضاتي ضمنت له ان ارجعته ارجعته بما
اصاب من اجر او غنيمة وان قبضته غفرت له ورحمته اخرجه النسائي **فصل**
اعلم ان الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين ان يدخل العدو
دار قوم من المؤمنين وبلادهم فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له ولا ضرر
به من اهل تلك البلدة الخروج الى عدوهم دفعًا عن انفسهم وعن اهليهم وجيرانهم
وسواء في ذلك الحر والعبد والغني والفقير فيجب على الكافة وهو في حق من بعد عنهم
من المسلمين فرض كفاية فان لم تقع الكفاية بمن نزل بهم من العدو فيجب مساعدتهم
على من قرب منهم من المسلمين او بعد عنهم وان وقعت الكفاية بالنزول بهم فلا فرض
على الابعدين الا على طريق الاختيار ولا يدخل في هذا الفرض اعني فرض الكفاية
الفقراء والعبيد واذا كان الكفار قارين في بلادهم فعلى الامام ان يخلي كل سنة
من غزاة يغزوهم فيها اما بنفسه او بسراياه حتى لا يبطل الجهاد والاختيار للمطيق
الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره ان لا يقعد عنه ولكن لا يفرض عليه لان الله تعالى وعد
المجاهدين والقاعدين الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان فرضًا على الكفاية
لا يستحق القاعدون عن الجهاد العقاب لا الثواب والله اعلم قوله تعالى **ان الذين
توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم** الاية نزلت في اناس تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا
منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فلما خرج المشركون
الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فانزل الله هذه الاية ان الذين توفاهم الملائكة
يعني ملك الموت واعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يلون قبض ارواح المؤمنين وثلاثة
يلون قبض ارواح الكفار وقيل اراد به ملك الموت وحده وانما ذكر بلفظ الجمع على سبيل

التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع وفي المتوفي هنا قولان احدهما انه قبض ارواحهم
والثاني حشرهم الى النار فعلى هذا القول الثاني يكون المراد بالملائكة الزبانية
الذين يلون تعذيب الكفار ظالمي انفسهم يعني بالشرك وقيل بالمقام في دار الشرك
وذلك لان الله لم يقبل الاسلام من احد بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر
اليه ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد
ونية اخرجاه في الصحيحين وقيل ظالمي انفسهم بخروجهم مع المشركين يوم بدر
وتكثير سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم **قالوا فيم
كنتم** سؤال توبيخ وتقريع يعني قالت الملائكة لهؤلاء الذين قتلوا في اي الفريقين
كنتم في فريق المسلمين او فريق المشركين فاعتذروا بالضعف عن مقاومة المشركين
وهو قوله تعالى اخبارا عنهم **قالوا كنا مستضعفين** يعني عاجزين **في الارض**
يعني في ارض مكة **قالوا** يعني قال لهم الملائكة **الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها**
يعني الى المدينة وتخرجوا من بين اظهر المشركين فاكذبهم الله في قولهم كنا مستضعفين
واعلمنا بكذبهم **فاولئك** يعني من هذه صفتهم **مأواهم** يعني منزلهم **جهنم وساءت
مصيرا** يعني بئس المصير مصيرهم ثم استثنى اهل العذر ومن علم ضعفه منهم فقال
تعالى **الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة** يعني لا يقدرون
على حيلة ولا نفقة ولا قوة لهم على الخروج من مكة **ولا يهتدون سبيلا** يعني ولا
يعرفون طريقا يسلكونه من مكة الى المدينة **فاولئك** يعني المستضعفين واهل
الاعذار **عسى الله ان يعفو عنهم** حتى يتجاوز عنهم بفضله واحسانه وعسى
من الله واجب لانه اطماع وترج والله اذا اطمع عبدا وصله اليه **وكان الله عفوا
غفورا** قال ابن عباس كنت انا وامي ممن عذر الله يعني من المستضعفين وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة **ق** عن ابي هريرة قال لما رفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد
وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك
على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف قوله عز وجل **ومن يهاجر في سبيل الله
يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة** قال الزجاج معنى مراغما مهاجرا يعني يجد في الارض
مهاجرا يعني ان المهاجر لقومه والمراغم لهم بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان
وهو ماخوذ من الرغام وهو التراب يقال رغم انفه اذا التصق بالتراب وذلك لان
الانف عضو شريف والتراب ذليل حقير فجعلوا قوله رغم انفه كناية عن حصول الذل
له ويقال انفه ويقوي ذلك قول بعض اهل اللغة هو الخروج من بلاد العدو برغم
راغم فلانا يعني هجره وعاديته وما ابالي انه رغم انفه وقيل معناه اذا الرجل اذا
خرج عن قومه خرج مراغما لهم اي مغاضبا لهم ومقاطعا وقال الفراء المراغم المضطرب
والمذهب في الارض وانشد الزجاج في المعنى
الى بلد عير داني المحل • بعيد المراغم والمضطرب •



فعلى هذا يكون معنى الاية يجد مذهبا يذهب اليه اذا راى ما يكرهه هذا قول اهل
اللغة في معنى المراغمة وقال ابن عباس يجد متحولا يتحول اليه من ارض الى ارض
وقال مجاهد يجد متزحزحا عما يكره وقيل يجد منقلبا ينقلب اليه وقيل المراغمة
والمجانبة واحد يقال راغمت قومي اي جاهرتهم وسميت المهاجرة مراغمة لانه يهاجر
قومه برغمهم وقوله وسعة يعني في الرزق وقيل يجد سعة من الضلالة الى الهدى
وقيل يجد سعة في الارض التي يهاجر اليها قال ابن عباس لما نزلت الاية التي قبل
هذه سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير مريض يقال له جندب بن ضمرة فقال والله ما
انا ممن استثنى الله عز وجل فاني لاجد حيلة ولي من المال ما يبلغني الى المدينة وابعد
منها والله لا ابيت الليلة بمكة اخرجوني فخرجوا به يحملونه على سرير حتى اتوا به التنعيم
فادركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك
على ما بايعك رسولك ثم مات فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
لو وافى المدينة لكان اتم واوفى اجرا وضحك المشركون وقالوا ما ادرك ما طلب
فانزل الله عز وجل **ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت**
يعني قبل بلوغه الى مهاجره **فقد وقع اجره على الله** يعني فقد وجب اجر هجرته
على الله بايجابه على نفسه بحكم الوعد والتفضل والكرم لا وجوب استحقاق وتحتم
قال بعض العلماء ويدخل في حكم الاية من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز عن
اتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملا وقال بعضهم انما يكتب له اجر ذلك القدر
الذي عمله واتى به اما تمام الاجر فلا والقول الاول اصح لان الاية انما نزلت في معرض
الترغيب من الهجرة وان من قصدها ولم يبلغها بل مات دونها فقد حصل له ثواب
الهجرة كاملا فكذلك كل من قصد فعل طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب الله له ثوابها
كاملا **وكان الله غفورا رحيما** يعني ويغفر الله له ما كان منه من القعود وترك
الهجرة الى ان خرج مهاجرا قوله عز وجل **واذا ضربتم في الارض** اي سافرتم فيها
**فليس عليكم جناح** اي حرج واثم **ان تقصروا من الصلاة** يعني من اربع ركعات
الى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء واصل القصر في اللغة التضييق
وقيل هو ضم الشيء الى اصله وفسر ابن الجوزي القصر بالنقص ولم اره لاحد من اهل التفسير
واللغة وقيل معنى قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض ركعاتها او بعض اركانها
ترخيصا ولهذا السبب ذكروا في تفسير قصر الصلاة المذكورة في الاية قولين
احدهما انه في عدد الركعات وهو رد الصلاة الرباعية الى ركعتين والقول الثاني
ان المراد من القصر ادخال التخفيف في ادائها وهو ان يكتفى بالايماء والاشارة عن الركوع
والسجود والقول الاول اصح ويدل عليه لفظة من في قوله ان تقصروا من الصلاة ولفظة
من هنا للتبعيض وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض في الصلاة فثبت بهذا ان
تفسير القصر باسقاط بعض ركعات الصلاة اولى **ان خفتم ان يفتنكم** يعني
يغتالكم ويقتلكم في الصلاة **الذين كفروا** ذهب داود الظاهري الى جواز القصر

مخصوص بحال الخوف واستدل علي صحة مذهبه بقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
ولان عدم الشرط يقتضي عدم المشروط فعلى هذا لا يجوز القصر عند الامن ولا يجوز رفع
هذا الشرط بخبر الاحاد لانه يقتضي نسخ القران بخبر الواحد وذهب جمهور اهل العلم
الى ان القصر في حال الامن في السفر جائز ويدل عليه ما روي عن يعلى بن امية قال
قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين
كفروا فقد امن الناس فقال لي عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته اخرجه مسلم وعن
عبد الله بن خالد بن اسيد انه قال لابن عمر كيف تقصروا الصلاة وانما قال الله تعالى
ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقال ابن عمر يا ابن
اخي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتانا ونحن في ضلال فعلمنا فكان فيما علمنا ان رسول
صلى الله عليه وسلم امرنا ان نصلي ركعتين في السفر اخرجه النساي وعن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة الى مكة لا يخاف الا رب العالمين فصلى ركعتين اخرجه
الترمذي والنساي واجاب الجمهور عن قوله تعالى ان خفتم ان كلمة ان تفيد حصول
الشرط ولا يلزم عند عدم الشرط عدم المشروط فقوله تعالى ان خفتم يقتضي ان
عند عدم الخوف لا يحصل رخصة القصر واذا كان كذلك كانت الاية ساكتة عن
حال الامن فاثبات الرخصة حال الامن بخبر الواحد يكون اثباتا لحكم سكت عنه
القران وذلك غير ممتنع انما الممتنع اثبات الحكم بخبر الواحد على خلاف ما دل عليه
القران فان قلت اذا كان هذا الحكم ثابتا في حال الامن والخوف فما فايدة تقييده
بحال الخوف قلت انما نزلت الاية في بعض اسفار النبي صلى الله عليه وسلم واكثرها ولم
يخل عن خوف العدو فذكر الله عز وجل هذا الشرط من حيث انه الاغلب في الوقوع
وقوله تعالى **ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا** اي ظاهروا العداوة فلعلى بهذا
رخصت لكم في قصر الصلاة لئلا يجدوا الى قتلكم واغتيالكم سبيلا وانما قال عدوا
ولم يقل اعداء لانه يستوي فيه الواحد والجمع **فصل** في احكام تتعلق بالاية
وفيه مسايل المسالة الاولى في حكم القصر قصر الصلاة في حالة السفر جايز
باجماع الامة وانما اختلفوا في جواز الاتمام في حالة السفر فذهب اكثر العلما
على ان القصر واجب في السفر وهو قول عمر وعلي وابن عمر وجابر وابن عباس وبه
قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وابو حنيفة ويدل عليه
ما روي عن عايشة قالت فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ثم اتمها في الحضر واقرت
صلاة السفر على الفريضة الاولى وفي رواية اخرى قالت فرض الصلاة حين فرضها
ركعتين ركعتين في السفر والحضر فاقرت صلاة السفر ركعتين وزيد في صلاة
الحضر اخرجاه في الصحيحين وذهب قوم الى جواز الاتمام في السفر ولكن القصر
افضل يروى ذلك عن عثمان وسعد بن ابي وقاص واليه ذهب الشافعي واحمد وهو رواية
عن مالك ويدل على ذلك ما روي البغوي بسنده الشافعي عن عايشة قالت كل ذلك

قد فعل





قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر واتم وعن عايشة انها اعتمرت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قالت يا رسول الله بابي انت
وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت قال احسنت يا عايشة وما عاب علي اخرجه
النساي وظاهر القران يدل على ذلك لان الله تعالى قال فليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلاة ولفظ الجناح انما يستعمل في الرخصة لا فيما يكون حتما واجيب عن حديث
عايشة فرض الله الصلاة ركعتين بان معناه فرضت ركعتين اولا وزيد في صلاة
الحضر ركعتان على سبيل الحتم واقرت صلاة السفر على جواز الاقتصار عليها
وثبت جواز الاتمام بدليل اخر فوجب المصير اليه ليمكن الجمع بين الاحاديث ودلايل
الشرع المسالة الثانية اختلف العلما في صلاة المسافر اذا صلى ركعتين
ركعتين هل هي مقصورة ام غير مقصورة فذهب قوم الى انها غير مقصورة وانما
فرض صلاة المسافر ركعتان تمام غير قصر يروى ذلك عن ابن عباس وجابر بن عبد الله
واليه ذهب سعيد بن جبير والسدي وابو حنيفة فعلى هذا يكون معنى القصر
المذكور في الاية هو تخفيف ركوعها وسجودها وقد تقدم الجواب عنه وذهب
قوم الى انها مقصورة وليست باصل وهو قول مجاهد وطاوس واليه ذهب
الشافعي واحمد **المسالة الثالثة** مذهب الشافعي ومالك واحمد والجمهور
انه يجوز القصر في كل سفر مباح وشرط بعضهم كونه سفر حج او عمرة او جهاد او سفر
طاعة ولا يجوز القصر في سفر المعصية وقال ابو حنيفة والثوري يجوز ذلك
المسالة الرابعة اختلف العلما في مسافة القصر فقال داود واهل الظاهر
يجوز القصر في قصير السفر وطويله ويروى ذلك عن انس ايضا وقال عمرو بن دينار
قال لي جابر بن زيد اقصر بعرفة واما عامة اهل العلم فانهم لا يجوزون القصر
في السفر القصير واختلفوا في حد الطويل الذي يجوز فيه القصر فقال الاوزاعي
مسيرة يوم وكان ابن عمر وابن عباس يقصران ويفطران في مسيرة اربعة برد
وهي ستة عشر فرسخا واليه ذهب مالك واحمد واسحاق وقول الحسن والزهري
قريب من ذلك فانهما قالا مسيرة يومين واليه ذهب الشافعي فقال مسيرة
ليلتين قاصدتين ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة اميال فيكون ثمانية
واربعين ميلا بالهاشمي والميل ستة الاف ذراع والذراع اربعة وعشرون اصبعا
معترضة معتدلة والاصبع ست شعيرات معترضات معتدلات وقال الثوري
وابو حنيفة واهل الكوفة لا يقصر في اقل من ثلاثة ايام **فصل** وقيل
في قوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا كلام متصل بما بعده منفصل
عما قبله وتقديره وان خفتم وروي عن ابي ايوب الانصاري انه قال لما نزل
قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة هذا القدر ثم بعد حول
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فنزل ان خفتم ان يفتنكم
الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم الاية ومثل هذا

في القرآن كثير يجيء والخبر بتمامه ثم يستتر عليه خبر آخر وهو في الظاهر كالمتصل به وهو منفصل عنه قوله عز وجل **وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة** الآية روي عن ابن عباس وجابر أن المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قاموا إلى الصلاة يصلون جميعا ندموا أن لا كانوا أكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فإن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم يعني صلاة العصر فإذا قاموا إليها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إنها صلاة الخوف وإن الله عز وجل يقول وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فعلمه صلاة الخوف روي عن أبي عياش الزرقي في سبب نزول هذه الآية قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد فصلينا الظهر فقال المشركون لقد أصبنا غرة وفي رواية غفلة ولو حملنا عليهم وهم في الصلاة فنزلت الآية بين الظهر والعصر قوله تعالى وإذا كنت فيهم هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني إذا كنت يا محمد في أصحابك وشهدت معهم القتال فأقمت لهم الصلاة **فلتقم طائفة منهم معك** يعني إذا حانت وقت الصلاة وأقمتها لأصحابك فاجعلهم فرقتين فلتقف فرقة منهم معك فتصلي بهم **وليأخذوا أسلحتهم** اختلفوا في هؤلاء الذين أمرهم الله بأخذ السلاح فقيل أراد بهم الذين قاموا معك إلى الصلاة فإنهم يأخذون أسلحتهم في الصلاة فعلى هذا القول إنما يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلاة ولا يؤذي به من إلى جنبه كالسيف والخنجر وذلك لأنه أقرب إلى الاحتياط وأمنع للعدو من الإقدام عليهم فإن كان السلاح يشغل بحركته وثقله عن الصلاة كالترس الكبير أو يؤذي من إلى جنبه كالرمح فلا يأخذه وقيل أراد بهم الطائفة الذين بقوا في وجه العدو فإنهم يأخذون أسلحتهم للحراسة وقيل يحتمل أن يكون أمر الفريقين بحمل السلاح لأن ذلك أقرب إلى الاحتياط **فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم** يعني إذا صلوا الذين معك وفرغوا من الصلاة فليكونوا من ورائكم يعني فلينصرفوا إلى المكان الذي هم في وجه العدو للحراسة **ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا** يعني ولتأت الطائفة التي كانت في وجه العدو **فليصلوا معك** يعني يصلوا معك الركعة الثانية التي بقيت عليك ويتموا بقية صلاتهم **وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم** يعني أن الله تعالى جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي في دفع العدو فلذلك جعله مأخوذا مع السلاح فإن قلت لم ذكر في أول الآية الأسلحة فقط وذكر هنا الحذر والأسلحة قلت لأن العدو قل ما يتنبه للمسلمين في أول الصلاة بل يظنون كونهم قائمين في المحاربة والمقاتلة فإذا قاموا إلى الركعة الثانية ظهر للكفار أن المسلمين في الصلاة فحينئذ ينتهزون الفرصة في الإقدام على المسلمين فلا جرم أن الله تعالى أمرهم في هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع أخذ الأسلحة **ود الذين كفروا** يعني تمنى الكفار **لو تغفلون** يعني لو وجدوكم غافلين **عن أسلحتكم وأمتعتكم** يعني حوائجكم التي بها بلاغكم في أسفاركم فتسهون عنها **فيميلون عليكم ميلة**



**واحدة** يعني فيقصدونكم ويحملون عليكم حملة واحدة وأنتم مشغولون بصلاتكم عن أسلحتكم وأمتعتكم فيصيبون منكم غرة فيقتلونكم **فصل** في أحكام تتعلق بالآية وصفة صلاة الخوف وفيه مسائل **المسألة** الأولى قال أبو يوسف والحسن بن زياد من أصحاب أبي حنيفة صلاة الخوف كانت خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لغيره بعده فعلها وقال المزني من أصحاب الشافعي كانت ثابتة ثم نسخت واحتجوا لصحة هذا القول بأن الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بها فقال تعالى وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة وظاهر هذه الآية يدل على أن إقامة الصلاة مشروطة بكون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بها ولأن كلمة إذا تفيد الشرط وذهب جمهور العلماء والفقهاء أن هذا الحكم لما ثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم بحكم هذه الآية وجب أن يثبت في حق غيره من أمته لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتموني أصلي ولأن ذلك إجماع الصحابة على فعلها وقد روي عن علي بن أبي طالب أنه صلى صلاة الخوف وكذلك بأصحابه ليلة الهرير وكذلك أبو موسى صلى بأصحابه صلاة الخوف وكذلك حذيفة بن اليمان صلاها بأصحابه بطبرستان وليس لهؤلاء مخالف من الصحابة والجواب عن قوله تعالى وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة بأن هذا وإن كان قد خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فإن سائر أمته داخلون في هذا الحكم وهو كقوله يا أيها النبي إذا طلقتم النساء إلا أن يرد نص بتخصيصه صلى الله عليه وسلم بحكم دون أمته كقوله تعالى خالصة لك من دون المؤمنين ونظيره قوله وإذا كنت فيهم خذ من أموالهم صدقة فإذا كان هو المخاطب بها وقد ثبت حكم أخذ الزكاة لمن بعده من الأئمة كان كذلك قوله وإذا كنت فيهم وأجيب عن لفظة إذا بأن مقتضاه الثبوت عند الثبوت وأما العدم عند العدم فغير مسلم **المسألة** الثانية قال الخطابي صلاة الخوف أنواع صلاها النبي صلى الله عليه وسلم في أيام مختلفة وأشكال متباينة يتحرى في ذلك كله ما هو الأحوط للصلاة والأبلغ في الحراسة فهي مع اختلاف صورها متفقة المعنى فمن أنواع صلاة الخوف أما إذا كان العدو في غير جهة القبلة فرق الإمام أصحابه فرقتين فتقف طائفة وجاه العدو فتحرس ويصلي بالطائفة الأخرى ركعة فإذا قام إلى الثانية أتموا لأنفسهم وذهبوا إلى وجاه العدو فتحرس وتأتي الطائفة الثانية التي كانت تحرس فيصلي بهم الركعة الثانية ويثبت جالسا في التشهد حتى يتموا لأنفسهم الصلاة ثم يسلم بهم ويدل على ذلك ما روي عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف أن طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما وأتموا لأنفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا فأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم أخرجاه في الصحيحين الذي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم هو سهل بن أبي حثمة وقد أخرجاه من رواية أخرى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه وذكر نحوه وهذا هو مختار الشافعي لأنه أشد موافقة لظاهر القرآن

واحوط للصلاة وابلغ في حراسة العدو واما كونه اشد موافقة لظاهر القران فان
قوله ولتات طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك يدل على ان الطائفة الاولى
قد صلت وقوله فليصلوا معك ظاهره يدل على ان جميع صلاة الطائفة الثانية حصلت
مع الامام وكونها احوط لامر الصلاة من حيث انه لا يكثر فيها العمل من المجيء والذهاب
وكونها احوط لامر الحرب والحراسة من حيث انهم اذا لم يكونوا في الصلاة كان امكن للحراسة
والكر والفر والهرب ان احتاجوا اليه وذهب قوم الى ان الطائفة الاولى تصلي مع الامام
ركعة ثم تذهب الى وجه العدو فتحرس وهم في صلاتهم ثم تاتي الطائفة الثانية فتصلي
مع الامام الركعة الثانية ويسلم الامام ولا يسلمون بل يذهبون الى وجه العدو
وترجع الطائفة الاولى الى موضع الامام فتقضي بقية صلاتها ثم تذهب ثم تاتي الطائفة
الثانية الى موضع الامام فتقضي بقية صلاتها يروى ذلك عن ابن مسعود وهو مذهب
ابي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة
الخوف قال فكبر فصلى خلفه طائفة منا وطائفة مواجهة العدو فركع بهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا ولم يسلموا واقبلوا على العدو
فصفوا مكانهم وجاءت الطائفة الاخرى فصفوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى
بهم ركعة وسجدتين ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم ركعتين واربع سجدات
ثم قامت الطائفتان فصلى كل انسان منهم لنفسه ركعة وسجدتين اخرجه النسائي
قال ابو بكر النسائي سمع الزهري من ابن عمر ولم يسمع هذا منه والذي هذا منه اخرجاه
في الصحيحين عن ابن عمر قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف باحدى الطائفتين ركعة
والطائفة الاخرى مواجهة العدو ثم انصرفوا وقاموا في مقام اصحابهم مقبلين على
العدو وجاء اولئك فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هؤلاء
ركعة وهؤلاء ركعة وفي رواية اخرى قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف
في بعض ايامه فقامت طائفة معه وطائفة بازاء العدو فصلى بالذين معه ركعة وجاء الاخرون
فصلى بهم ركعة وقضت الطائفتان ركعة ركعة وبهذه الرواية المخرجة في الصحيحين اخذ
الاوزاعي واشهب المالكي وهو جائز عند الشافعي ايضا ثم قال ان الطائفتين قضوا ركعتهم
الباقية معا وقيل متفرقين وهو الصحيح والفرق بين الروايتين ان الطائفة الاولى ادركت
اول الصلاة وهم في حكم من خلف الامام واما الطائفة الثانية فلم تدرك اول الصلاة
والمسبوق فيما يقضي كالمنفرد في حكم صلاته المسئلة الثالثة فيما اذا كان العدو
في ناحية القبلة وصورة هذه الصلاة ما روي عن جابر بن عبد الله قال شهدت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصفنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو
بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم
رفع راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه وقام الصف
المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذي يليه انحدر
الصف المؤخر وتاخر الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع

راسه

راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه كان مؤخرا في الركعة
الاولى فقام الصف المؤخر في نحو العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف
الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود
فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هؤلاء
بامرائهم اخرجه مسلم بتمامه واخرج البخاري طرفا منه انه صلى صلاة الخوف مع
النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة السابعة غزوة ذات الرقاع وبهذا الحديث اخذ الشافعي
ومن وافقه فيما اذا كان العدو في جهة القبلة المسئلة الرابعة اذا اشتد الحرب
والتحم القتال صلوا رجالا او ركبانا يومؤون بالسجود والركوع الى اي جهة كانت
هذا مذهب الشافعي ومذهب ابي حنيفة انهم لا يصلون في هذه الحالة فاذا امنوا
قضوا ما فاتهم من الصلاة ولصلاة الخوف صور اخرى مذكورة في كتب الفقه وليس
هذا موضعها والله اعلم وقوله تعالى **ولا جناح عليكم** اي ولا اثم ولا حرج عليكم
**ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم** قال ابن عباس رخص الله لهم
في وضع السلاح في حال المطر وحال المرض لان السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين
**وخذوا حذركم** يعني راقبوا عدوكم ولا تغفلوا عنه امرهم الله بالتحفظ والتحرز
والاحتياط لئلا يتجرى العدو عليهم قال ابن عباس نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم
وذلك انه غزى بني محارب وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس
السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادي والسماء ترش المطر
فسال الوادي فحال السيل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اصحابه فجلس تحت
شجرة فبصر به غورث بن الحرث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتله ثم انحدر من الجبل
ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على راسه
وقد سل السيف من غمده وقال يا محمد من يمنعك مني الان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحرث بما شئت فاهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم به فاكب لوجهه من زلخة زلخها فندر السيف من يده فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخذ السيف ثم قال يا غورث من يمنعك مني الان فقال لا احد
فقال اتشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فقال لا ولكن اشهد ان لا
اقاتلك ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث
لانت خير مني فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انا احق بذلك منك فرجع غورث الى
اصحابه فقالوا له ويلك يا غورث ما منعك منه فقال والله لقد اهويت اليه بالسيف
لاضربه به فوالله لا ادري من زلخني بين كتفي فخررت لوجهي وذكر لهم حاله مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي الى اصحابه
واخبرهم الخبر وقرا هذه الاية ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى قال
ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف جريحا فنزلت فيه ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم
يعني من عدوكم **ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا** يعني يهانون به

قوله عز وجل **فاذا قضيتم الصلاة** يعني فاذا فرغتم من صلاة الخوف **فاذكروا الله**
يعني بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير واثنوا على الله في جميع احوالكم **قياما**
**وقعودا وعلى جنوبكم** فان ما انتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله عز وجل
والتضرع اليه **ق** عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله في كل احيانه
وقيل المراد بالذكر الصلاة يعني فصلوا لله قياما يعني في حال الصحة وقعودا
في حال المرض وعلى جنوبكم يعني في حال الزمانة والجراح **فاذا اطمأننتم** يعني فاذا
امنتم وسكنت قلوبكم واصل الطمانينة سكون القلب **فاقيموا الصلاة** يعني
فاتموها اربعا فعلى هذا يكون المراد بالطمانينة ترك السفر والمعنى فاذا صرتم
مقيمين في اوطانكم فاقيموا الصلاة باتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد
بالطمانينة سكون القلب عن الاضطراب والامن بعد الخوف **ان الصلاة كانت**
**على المومنين كتابا موقوتا** يعني فرضا موقتا والكتاب هنا بمعنى المكتوب بمعنى موقتة
في اوقات محدودة فلا يجوز اخراجها عن اوقاتها على اي حال كان من خوف او امن وقيل
معناه فرضا واجبا مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتين **ولا تهنوا في**
**ابتغاء القوم** سبب نزول هذه الاية ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا يوم احد
بعث النبي صلى الله عليه وسلم في اثارهم فشكوا من الم الجراحات فقال الله تعالى ولا تهنوا
يعني ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم يعني في ابي سفيان واصحابه ثم اورد
عليهم الحجة في ذلك والزمهم بها فقال تعالى **ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون**
يعني ان حصول الالم قدر مشترك بينكم وبينهم وليس ما تكابدون من الم الوجع
والم الجراح مختصا بكم بل بهم كذلك فاذا لم يكن الالم مانعا لهم عن قتالكم فكيف يكون
مانعا لكم عن قتالهم وكيف لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى بالصبر منهم لانكم
مقرون بالحشر والنشور والثواب والعقاب والمشركون لا يقرون بذلك كله فانتم
ايها المومنون اولى بالجهاد منهم وقوله تعالى **وترجون من الله ما لا يرجون**
يعني وتاملون من الله من الثواب في الاخرة ما لا يرجون وقيل ترجون النصر والظفر
في الدنيا واظهار دينكم على الاديان كلها **وكان الله عليما حكيما** يعني انه تعالى لا يامركم
بشيء الا وهو يعلم انه مصلحة لكم قوله عز وجل **انا انزلنا اليك الكتاب بالحق**
قال ابن عباس نزلت هذه الاية في رجل من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني
ظفر بن الحرث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب
فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى داره ثم خباها عند
رجل من اليهود يقال له زيد السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما اخذها
وما له بها من علم فقال اصحاب الدرع لقد رأينا اثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف
تركوه واتبعوا اثر الدقيق الى منزل اليهودي فاخذوه منه فقال اليهودي دفعها الي طعمة
بن ابيرق زاد في الكشاف وشهد له جماعة من اليهود قال البغوي وجاء بنو ظفر قوم
طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسالوه ان يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله



صلى الله عليه وسلم ان يعاقب اليهودي وان يقطع يده فانزل الله هذه الاية وقيل
ان زيد السمين اودع عند طعمة فجحده طعمة فانزل الله هذه الاية انا انزلنا اليك
يعني يا محمد الكتاب يعني القران بالحق يعني بالصدق وبالامر والنهي والفصل **لتحكم**
**بين الناس بما اراك الله** يعني بما علمك الله واوحى اليك وانما سمي العلم اليقيني
رؤية لانه جرى مجرى الرؤية في قوة الظهور روي عن عمر انه قال لا يقولن احدكم قضيت
بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجتهد رايه
لان الراي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله تعالى كان يريه اياه
وان راي احدنا يكون ظنا ولا يكون علما قال المحققون دلت هذه الاية على ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحكم الا بالوحي الالهي والنص المنزل عليه **ولا**
**تكن** يعني يا محمد **للخائنين خصيما** يعني ولا تكن لاجل الخائنين وهم قوم طعمة
مخاصما عنهم وتجادل عن طعمة مدافعا عنه ومعينا له **واستغفر الله** يعني مما هممت
به من معاقبة اليهودي وقيل من جدالك عن طعمة **ان الله كان غفورا** يعني لذنوب
عباده يسترها عليهم ويغفرها لهم **رحيما** يعني بعباده المومنين **فصل**
وقد تمسك بهذه الاية من يرى جواز صدور الذنب من الانبياء وقال لو لم يقع من
الرسول صلى الله عليه وسلم ذنب لما امر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا من وجوه
احدها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل المنهي عنه في قوله ولا تكن للخائنين
خصيما ولم يخاصم عن طعمة لما سأله قومه ان يذب عنه وان يلحق السرقة باليهودي
توقف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر ما يأتيه من الوحي السماوي والامر
الالهي فنزلت هذه الاية واعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان طعمة كذاب وان
اليهودي بريء من السرقة وانما مال صلى الله عليه وسلم الى نصرة طعمة وهم بذلك بسبب
انه في الظاهر من المسلمين فامره الله بالاستغفار لهذا القدر الوجه الثاني
ان قوم طعمة لما شهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة طعمة من السرقة ولم
يظهر في الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح في شهادتهم هم بان يقضي
على اليهودي بالسرقة فلما اطلعه الله على كذب قوم طعمة عرف انه لو وقع ذلك الامر
لكان خطا في نفس الامر فامره الله بالاستغفار منه وان كان معذورا الوجه الثالث
يحتمل ان الله تعالى امره بالاستغفار لقوم طعمة لذبهم عن طعمة فان استغفاره
صلى الله عليه وسلم يحتمل لذنب قد سبق قبل النبوة او ان يكون لذنوب امته الوجه
الرابع ان درجة النبي صلى الله عليه وسلم اعلى الدرجات ومنصبه اشرف المناصب فلعلو
درجته وشرف منصبه وكمال معرفته بالله عز وجل فما يقع منه على وجه التاويل او
السهو او امر من امور الدنيا فانه ذنب بالنسبة الى منصبه صلى الله عليه وسلم كما قيل
حسنات الابرار سيئات المقربين وذلك بالنسبة الى مقاماتهم ودرجاتهم والله
اعلم قوله تعالى **ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم** يعني ولا تجادل يا محمد عن الذين
يظلمون انفسهم بالخيانة وهم طعمة ومن عاونه وذب عنه من قومه وانما سماهم خائنين

لان من قدم على ذنب فقد خان نفسه لانه اوقعها في العذاب وحرمها من الثواب
ولهذا قيل لمن ظلم غيره انما ظلم نفسه وقيل المراد بهذا الجمع كل من خان خيانة فلا
تخاصم لخاين ولا تجادل عنه **ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما** يعني خوانا بسرقة
الدرع اثيما برميه لليهودي وهو بري وانما قال تعالى خوانا اثيما على المبالغة
لان الله تعالى علم من طعمة الافراط في الخيانة وركوب المآثم ويدل على ذلك انه
لما نزل فيه القران لحق بمكة مرتدا عن دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته
فسقط عليه حجر من الحايط فلما اصبحوا اخرجوه من مكة فلقي ركبا فتعرض لهم وقال
ابن سبيل ومنقطع به فحملوه حتى اذا جن عليه الليل عدا عليهم فسرقهم ثم انطلق
فركبوا في طلبه فادركوه فرموه بالحجارة حتى مات ومن كانت هذه حالته كان كثير الخيانة
والاثم فلذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة في الخيانة والاثم قال بعضهم اذا عثرت
من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات ويروى عن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت
امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه يا امير المومنين قال كذبت ان الله لا يواخذ
عبده اول مرة قوله عز وجل **يستخفون من الناس** يعني يستترون ويستحيون من الناس
ويريدون بذلك بني ظفر بن الحرث وهم قوم طعمة بن ابيرق **ولا يستخفون من الله**
يعني ولا يستترون من الله ولا يستحيون منه واصل الاستخفا الاستتار منهم
**وهو معهم** يعني والله معهم بالعلم والقدرة لا يخفى عليه شي من حالهم لانه تعالى
لا يخفى عليه خافية وكفى بذلك زجرا للانسان عن ارتكاب الذنوب **اذ يبيتون**
**ما لا يرضى من القول** يعني يضمرون ويقدرون ويزورون في اذهانهم
واصل التبييت تدبير الفعل بالليل وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما بينهم نرفع
الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قول طعمة ويقبل يمينه لانه مسلم ولا
يسمع قول اليهودي لانه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم فاطلع نبيه صلى الله
عليه وسلم على سرهم وما هموا به **وكان الله بما يعملون محيطا** يعني انه تعالى لا يخفى عليه
شي من اسرار عباده وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا يخفى عليه خافية **ها انتم هولا**
ها للتنبيه يعني يا هولا الذين هو خطاب لقوم من المومنين كانوا يذبون عن طعمة
وعن قومه **جادلتم عنهم** يعني خاصمتم عنهم بسبب انهم كانوا وهم في الظاهر مسلمين
واصل الجدال شدة الفتل لان كل واحد من الخصمين يريد ان يفتل صاحبه عما هو
عليه والمعنى هبوا انكم خاصمتم وجادلتم عن طعمة وقومه **في الحياة الدنيا** وقيل
هو خطاب لقوم طعمة في قراءة ابن مسعود جادلتم عنه والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن
طعمة في الحياة الدنيا **فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة** يعني اذا اخذه بعذابه فهو
استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع **امن يكون عليهم وكيلا** يعني محافظا
ومحاميا عنهم من باس الله اذا نزل بهم قوله تعالى **ومن يعمل سوا او يظلم نفسه** نزلت
هذه الاية في ترغيب طعمة في التوبة وعرضها عليه وقيل نزلت في قومه الذين جادلوا
عنه وقيل هي عامة في كل مذنب ومسي لان خصوص السبب لا يمنع من اطلاق الحكم

معنى



معنى الاية ومن يعمل سوا يسوء به غيره كما فعل طعمة بالسرقة هذا قول قتادة وانما خص ما يتعدى
الى الغير باسم السوء لان ذلك يكون في الاكثر ايضا لا للضرورة الى الغير او يظلم نفسه
يعني فيما يختص به من حلف الكاذب ونحو ذلك وقيل معناه ومن يعمل سوا اي قبيحا او يظلم
نفسه برميه البري وقيل السوء كل ما يا ثم به الانسان والظلم هو الشرك فما دونه **ثم**
**يستغفر الله** يعني من ذنوبه **يجد الله غفورا رحيما** ففي هذه الاية دليل
على حكمين احدهما ان التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكباير والصغاير لان قوله ومن
يعمل سوا او يظلم نفسه عم الكل والحكم الثاني ان ظاهر الاية يقتضي ان مجرد الاستغفار
كاف وقال بعضهم انه مقيد بالتوبة لانه لا ينفع الاستغفار مع الاصرار على الذنوب
**ومن يكسب اثما** يعني ومن يعمل ذنبا ياثم به **فانما يكسبه على نفسه** يعني انما يعود
وبال كسبه عليه والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة او دفع مضرة فكانه تعالى يقول
ايها الانسان ان الذنب الذي ارتكبته انما عادت مضرته عليك فاني منزه عن الضرر
والنفع فاكثر من الاستغفار ولا تياس من قبول التوبة فاني الغفار لمن تاب وهذه الاية
نزلت في طعمة ايضا **وكان الله عليما** يعني بسارق الدرع **حكيما** يعني اذ حكم
عليه بالقطع وقيل معناه عليما بما في قلب عبده عند اقدامه على التوبة تقتضي حكمته
ان يتجاوز عن التايب ويغفر له ويقبل توبته **ومن يكسب خطيئة او اثما** وانما قيل
ان الخطيئة هي الصغيرة من الذنوب والاثم هو الكبيرة وقيل الخطيئة هي الذنب
المختص بفاعله والاثم الذنب المتعدي الى الغير وقيل ان الخطيئة هي سرقة الدرع
والاثم هو يمينه الكاذبة **ثم يرم به بريئا** يعني ثم يقذف بما جناه بريا
منه وهو نسبة السرقة الى اليهودي ولم يسرق فان قلت الخطيئة والاثم اثنان
فكيف وحد الضمير في قوله ثم يرم به قلت معناه ثم يرم باحد هذين المذكورين بريا
وقيل معناه ثم يرم بهما فاكتفى باحدهما عن الاخر وقيل انه يعود الضمير الى الاثم وحده
لانه اقرب مذكور وقيل ان الضمير يعود الى الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب بريا
**فقد احتمل بهتانا** البهتان من البهت وهو الكذب الذي يتحير في عظمه **واثما**
**مبينا** يعني ذنبا بينا لانه بكسب الاثم اثم وبرميه البري باهت فقد جمع بين الامرين
قوله عز وجل **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** وهذه الاية متعلقة بقصة
طعمة بن ابيرق وقومه حيث لبسوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم امر صاحبهم فقوله
تعالى ولولا فضل الله عليك يعني يا محمد بالنبوة ورحمته يعني بالعصمة وما اوحى اليه
من الاطلاع على اسرارهم فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم **لهمت طايفة منهم** يعني
من بني ظفر وهم قوم طعمة **ان يضلوك** يعني عن القضا بالحق وتوخي طريق العدل
وقيل معناه يخطيوك في الحكم ويلبسوا عليك الامر حتى تدفع عن طعمة وذلك لان
قوم طعمة عرفوا انه سارق ثم سالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يدفع عنه وينزهه
عن السرقة ويرميها اليهودي **وما يضلون الا انفسهم** يعني ان وبال ذلك يرجع
عليهم بسبب تعاونهم على الاثم وبشهادتهم له انه بري فهم لما قدموا على ذلك رجع

وبالا عليهم **وما يضرونك من شيء** يعني وانهم وان سعوا في القاء الباطل فانت
ما وقعت فيه لانك بنيت الامر على ظاهر الحال وما خطر ببالك ان الامر على خلاف
ذلك وقيل معناه وما يضرونك من شيء في المستقبل فوعده الله ادامة العصمة
وانه لا يضره احد **وانزل الله عليك الكتاب** يعني القران **والحكمة** يعني القضاء بالوحي يعني
واوجب بهما بناء الحكم على الظاهر فكيف يضرونك بالقائهم في الشبهات **وعلمك ما لم
تكن تعلم** يعني من احكام الشرع وامور الدين وقيل علمك من علم الغيب ما لم تكن
تعلم وقيل معناه وعلمك من خفيات الامور واطلعك على ضمائر القلوب وعلمك احوال المنافقين
وكيدهم ما لم تكن تعلم **وكان فضل الله عليك عظيما** يعني ولم يزل فضل الله عليك يا محمد
عظيما فاشكره على ما اولاك من احسانه ومن عليك بنبوته وعلمك ما انزل عليك من
كتابه وحكمته وعصمك ممن حاول اضلالك فان الله هو الذي تولاك بفضله وشملك
باحسانه وكفاك غائلة من ارادك بسوء ففي هذه الاية تنبيه من الله عز وجل بواجب
حقه قوله تعالى **لا خير في كثير من نجواهم** يعني من نجوى قوم طعمة وقيل هي
عامة ما يتناجى الناس به والنجوى هو الاسرار في التدبير وقيل النجوى ما تفرد بتدبيره
قوم سرا كان في جميع ذلك او جهرا وناجيته ساررته واصله ان تخلو في نجوة من الارض
وقيل اصله من النجاة والمعنى لا خير في كثير مما يريدونه ويتناجون فيه **الا من امر بصدقة**
يعني الا في نجوى من امر بصدقة وقيل معناه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون
فيه من الحديث الا فيما كان من اعمال الخير وقيل هو استثناء منقطع تقديره لكن من
امر بصدقة وحث عليها **او معروف** يعني او امر بطاعة الله وما يجيزه الشرع
واعمال البر كلها معروف لان العقول تعرفها **او اصلاح بين الناس** يعني الاصلاح
بين المتباينين والمتخاصمين ليتراجعا الى ما كانا فيه من الالفة والاجتماع على ما اذن
الله فيه وامر به عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل
من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين
وان فساد ذات البين هي الحالقة اخرجه الترمذي وابو داود وقال الترمذي
ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي الحالقة لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق
الدين خ عن سهل بن سعد ان اهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فاخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم ق عن ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط
قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذي يصلح بين اثنين او قال
بين الناس فيقول خيرا او ينمي خيرا زاد مسلم في رواية له ولم اسمعه يرخص في شيء
مما يقول الناس الا في ثلاث يعني الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته
وحديث المراة زوجها **ومن يفعل ذلك** يعني هذه الاشياء التي ذكرها **ابتغاء
مرضات الله** يعني طلب رضاه لان الانسان اذا فعل ذلك خالصا لوجه الله نفعه
وان فعلها رياء وسمعة لم ينفعه ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات
الحديث **فسوف نؤتيه** يعني في الاخرة اذا فعل ذلك ابتغاء مرضات الله **اجرا عظيما**

لاحد له



لا حد له لان الله سماه عظيما واذا كان كذلك فلا يعلم قدره الا الله عز وجل قوله عز
وجل **ومن يشاقق الرسول** نزلت في طعمة ايضا وذلك انه لما سرق وظهرت عليه
السرقة خاف على نفسه القطع والفضيحة فهرب الى مكة كافرا مرتدا عن الدين فانزل
الله عز وجل فيه ومن يشاقق الرسول يعني يخالفه في التوحيد والايمان واصله
من المشاقة وهو كون كل واحد منهما في شق غير شق الاخر **من بعد ما تبين له الهدى**
اي وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الاسلام وذلك لان طعمة كان قد تبين
له بما انزل فيه واظهر من سرقته ما يدل على صحة دين الاسلام فعادى الرسول
صلى الله عليه وسلم واظهر الشقاق ورجع عن الاسلام **ويتبع غير سبيل المؤمنين**
يعني ويتبع غير طريق المومنين وما هم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان **نوله
ما تولى** اي نكله في الاخرة الى ما تولى في الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه **ونصله
جهنم** يعني ونلزمه جهنم واصله من الصلي وهو لزوم النار وقت الاستدفاء **وساءت
مصيرا** يعني وبئس المرجع الى النار روي ان الشافعي سئل عن اية من كتاب الله
تدل على ان الاجماع حجة فقرا القران ثلاثمائة مرة حتى استخرج هذه الاية وهي
قوله ويتبع غير سبيل المومنين وذلك لان اتباع غير سبيل المومنين هو مفارقة
الجماعة حرام فوجب ان يكون اتباع سبيل المومنين ولزوم جماعتهم واجبا وذلك
لان الله تعالى الحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المومنين فثبت
بهذا ان اجماع الامة حجة قوله عز وجل **ان الله لا يغفر ان يشرك به** نزلت في طعمة
ابن ابيرق لكونه مات مشركا وقال ابن عباس نزلت هذه الاية في شيخ من الاعراب
جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني شيخ منهمك في الذنوب غير
اني لم اشرك بالله منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي
جراة على الله عز وجل وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر
فما حالي عند الله فانزل الله هذه الاية ان الله لا يغفر ان يشرك به فهذا نص صريح
بان الشرك غير مغفور اذا مات صاحبه عليه لانه قد ثبت ان المشرك اذا تاب من شركه
وامن قبلت توبته وصح ايمانه وغفرت ذنوبه كلها التي عملها في حال الشرك **ويغفر ما دون
ذلك** يعني ما دون الشرك **لمن يشاء** يعني لمن يشاء من اهل التوحيد قال العلماء لما اخبر
الله انه يغفر الشرك بالايمان والتوبة علمنا انه يغفر ما دون الشرك بالتوبة
وهذه المسالة فيمن لم يتب من ذنوبه من اهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة
او الصغيرة من غير توبة فهو على خطر المشيئة ان شاء غفر له وادخله الجنة بفضله
ورحمته وان شاء عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك **ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا
بعيدا** يعني فقد ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه فان قلت
لم كررت هذه الاية بلفظ واحد في موضعين من هذه السورة وما فائدة ذلك قلت
فائدة ذلك التاكيد او لان الاية المتقدمة نزلت في سبب اخر وهو ان الايات المتقدمة
نزلت بسبب سرقة طعمة بن ابيرق ونزلت هذه الاية في سبب ارتداده وموته على الشرك

قوله عز وجل ﴿إن يدعون من دونه إلا إناثا﴾ نزلت في أهل مكة يعني ما يعبدون من دون الله إلا إناثا لأن كل من عبد شيئا فقد دعاه لحاجته وفي قوله إناثا أقوال أحدها أنهم كانوا يسمون أصنامهم بأسماء الإناث فيقولون اللات والعزى ومناة قال الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة أنثى بني فلان والقول الثاني إناثا يعني أمواتا قال الحسن كل شيء لا روح فيه كالحجر والخشبة هي إناث وقال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث تقول هذه الحجر تعجبني وهذه الدراهم تنفعني ولأن الأنثى أنزل درجة من الذكر والميت أنزل درجة من الحي كما أن الموات أرذل الحيوانات فأطلقوا اسم الأنثى على الجمادات والقول الثالث أن بعضهم كان يعبد الملائكة ويقول هم بنات الله ﴿وإن يدعون﴾ أي وما يعبدون ﴿إلا شيطانا مريدا﴾ قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل في جوفه ويتراءى للسدنة والكهنة ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى وإن يدعون إلا شيطانا مريدا وقيل هو إبليس لأنه هو أغواهم وأغراهم على عبادتها فأطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو المتمرد العاتي الخارج عن الطاعة ﴿لعنه الله﴾ أي أبعده الله وطرده عن رحمته ﴿وقال﴾ يعني إبليس ﴿لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا﴾ يعني حظا مقدرا معلوما فكل ما أطيع فيه إبليس فهو نصيبه ومفروضه وأصل الفرض القطع وهذا النصيب هم الذين يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه ﴿ولأضلنهم﴾ عن طريق الحق والمراد به التزيين والوسوسة وإلا فليس له من الإضلال شيء ﴿ولأمنينهم﴾ قال ابن عباس يريد تسويف التوبة وتأخيرها وقال الكلبي أمنيهم أنه لا جنة ولا نار ولا بعث وقيل أمنيهم إدراك الجنة مع عمل المعاصي وقيل أزين لهم ركوب الأهواء والأهوال الداعية إلى العصيان وقيل أمنيهم طول البقاء في الدنيا ونعيمها ليؤثروها على الآخرة ﴿ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام﴾ يعني يقطعونها ويشقونها وهي البحيرة وذلك أنهم كانوا يشقون أذن الناقة إذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على أنفسهم الانتفاع بها ولا يردونها عن ماء ولا مرعى وسول لهم إبليس أن هذا قربة ﴿ولآمرنهم فليغيرن خلق الله﴾ قال ابن عباس يعني دين الله وتغيير دين الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال وقيل تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة التي فطر الخلق عليها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه أو يمجسانه وقيل يحمل هذا التغيير على تغيير أحوال تتعلق بظاهر الخلق مثل الوشم ووصل الشعر ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله أخرجاه من رواية ابن مسعود ولهما عن أسماء قالت لعن النبي صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة وقيل تغيير خلق الله هو الإخصاء وقطع الآذان حتى أن بعض العلماء حرمه وكره أنس إخصاء الغنم وجوزه بعض العلماء لأن فيه غرضا ظاهرا (ق) عن سعد بن أبي وقاص قال لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن لاختصينا التبتل هو ترك النكاح والانقطاع





للعبادة عن نافع قال كان ابن عمر يكره الإخصاء ويقول إن في تركه نماء الخلق أخرجه مالك في الموطأ ومعناه في ترك الإخصاء نماء الخلق يعني زيادته قال ابن زيد هو التخنث وهو أن يتشبه الرجل بالنساء في حركاتهن وكلامهن ولباسهن ونحو ذلك وقيل تغيير خلق الله هو أن الله تعالى خلق البهائم والأنعام للركوب والأكل فحرموها على أنفسهم وخلق الشمس والقمر والنجوم والنار والأحجار لمنفعة الناس فعبدوها من دون الله ﴿ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله﴾ يعني يتخذه ربا يطيعه فيما يأمره به وقيل الولي من الموالاة وهو الناصر ﴿فقد خسر خسرانا مبينا﴾ لأن طاعة الشيطان توصله إلى نار جهنم وهو غاية الخسران بقي في الآية سؤالان السؤال الأول قال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا والنصيب المفروض هو الشيء المقدر القليل وقال في موضع آخر لأحتنكن ذريته إلا قليلا وقال لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين وهذا استثناء القليل من الكثير فكيف وجه الجمع فالجواب أن الكفار الذين هم حزب الشيطان وإن كانوا أكثر من المسلمين في العدد لكنهم أقل من المؤمنين في الفضل والشرف وعلو الدرجة عند الله والمؤمنون وإن كانوا أقل من الكفار لكنهم أكثر منهم لأن لهم الفضل والشرف والسودد والغلبة في الدنيا وعلو الدرجة في الآخرة وأنشد بعضهم في هذا المعنى فقال

• وهم الأقل إذا تعد عشيرة • والأكثرون إذا يعد السودد •

وقيل إن إبليس لما نال من آدم ما أراد ورأى الجنة والنار وعلم أن لهذه أهلا ولهذه أهلا فقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعني الذين هم أهل النار السؤال الثاني من أين لإبليس العلم بالعواقب حتى يقول ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم وقال في الأعراف ولا تجد أكثرهم شاكرين وقال في بني إسرائيل لأحتنكن ذريته إلا قليلا فالجواب من ثلاثة أوجه أحدها أن إبليس ظن أنه يفتح منهم هذه الأمور التي يريدها منهم فحصل له ما ظنه ويدل على ذلك قوله تعالى ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه الوجه الثاني قال الأنباري المعنى لأجتهدن ولأحرصن في ذلك لا أنه كان يعلم الغيب الوجه الثالث قال الماوردي من الجائز أن يكون قد علم ذلك من الملائكة بخبر من الله تعالى أن أكثر الخلائق لا يؤمنون وقوله تعالى ﴿يعدهم ويمنيهم﴾ يعني الشيطان يعد حزبه وأولياءه ويمنيهم فوعده وتمنيته إياهم ما يوقع في قلب الإنسان من طول العمر ونيل ما أراد من الدنيا ونعيمها ولذاتها وكل ذلك غرور فيجب على العاقل أن لا يلتفت إلى شيء منها فربما لم يطل عمره ومن لم يحصل له ما أراد منها ولئن طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه ينغص عليه ما هو فيه وقيل يعدهم ويمنيهم بأن لا جنة ولا نار ولا بعث فاجتهدوا في تحصيل اللذات الدنيوية ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾ يعني باطلا وضلالا ﴿أولئك﴾ يعني الذين اتخذوا الشيطان وليا ﴿مأواهم جهنم﴾ يعني مرجعهم ومستقرهم جهنم ﴿ولا يجدون عنها﴾ يعني عن جهنم ﴿محيصا﴾ يعني مفرا ومعدلا لا يعدلون عنها إلى غيرها ولا بد لهم من ورودها

والخلد فيها لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بوعد المومنين فقال تعالى والذين امنوا
وعملوا الصلحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار يعني من تحت المساكن
والغرف خالدين فيها يعني في الجنة ابدا بلا انتها ولا غاية والابد عبارة عن
مدة الزمان الممتد الذي لا انقطاع له ولا يتجزى كما يتجزى غيره من الازمنة لانه
لا يقال ابد كذا كما يقال زمن كذا وفي قوله خالدين فيها ابدا دليل على ان الخلود
لا يفيد التابيد والدوام لانه لو افاد ذلك لزم التكرار وهو خلاف الاصل فعلم
بذلك ان الخلود عبارة عن طول الزمان لا على الدوام فلما اتبع الخلود بالابد علم
انه يراد به الدوام الذي لا ينقطع وقوله تعالى وعد الله حقا يعني وعد الله ذلك
الذي ذكر وعدا حقا ومن اصدق من الله قيلا يعني ليس احد اصدق من الله
وهو توكيد بليغ لقوله وعد الله حقا قوله تعالى ليس بامانيكم ولا اماني اهل
الكتاب الامنية افعولة من التمنية والتمني تقدير شي في النفس وتصويره
فيها والامنية هي الصورة الحاصلة في النفس من تمني الشي اذا وقع في نفسه واراده
في المخاطب بقوله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب قولان احدهما انه خطاب
للمسلمين واهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال اهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا
خاتم الانبيا وكتابنا يقضي على الكتب وقد امنا بكتابكم ولم تومنوا بكتابنا فنحن
اولى بالله منكم والقول الثاني انه خطاب لمشركي مكة في قولهم لا نبعث ولا نحاسب
وخطاب لاهل الكتاب في قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة والمعنى ليس
الامر بالاماني انما الامر بالعمل الصالح من يعمل سوا يجز به قال الضحاك
يقول ليس لكم ما تمنيتم وليس لاهل الكتاب ما تمنوا ولكن من يعمل سوا يعني شركا
فمات عليه يجز به النار وقال الحسن هذا في حق الكفار خاصة لانهم يجازون بالعقاب
على الصغيرة والكبيرة ولا يجزي المومن بسيئ عمله يوم القيامة ولكن يجزى باحسن
عمله ويتجاوز عن سيئاته ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وهو قوله ولا
يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا وهذا هو الكافر فاما المومن فله ولي ونصير
وقال اخرون هذه الاية في حق كل من عمل سوا من مسلم ونصراني وكافر قال
ابن عباس هي عامة في حق كل من عمل سوا يجز به الا ان يتوب قبل ان يموت فيتوب الله
عليه وقال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه لما نزلت هذه الاية شقت على المسلمين
مشقة شديدة وقالوا يا رسول الله واينا من لم يعمل سوا غيرك فكيف الجزا به
قال منه ما يكون في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزي بالسيئة
نقصت واحدة من عشرة وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت احاده عشراته
واما ما كان جزاء في الاخرة فيقابل من حسناته وسيئاته فيلقى مكان كل سيئة حسنة
وينظر في الفضل فيعطي الجزا في الجنة فيوتي كل ذي فضل فضله ويدل على صحة هذا
القول ما روي عن ابي هريرة قال لما نزلت من يعمل سوا يجز به بلغت من المسلمين



مبلغا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب
به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها اخرجه مسلم وعن ابي بكر الصديق
قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت من يعمل سوا يجز به ولا يجد له من
دون الله وليا ولا نصيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر الا اقريك اية نزلت
علي قلت بلى يا رسول الله قال فاقرانيها فلا اعلم الا اني وجدت انقصاما في ظهري فتمطات
لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شانك يا ابا بكر قلت يا رسول الله بابي
انت وامي واينا لم يعمل سوا وانا لمجزيون باعمالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما انت يا ابا بكر والمومنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا الله وليس عليكم ذنوب
واما الاخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة اخرجه الترمذي وقال
هذا حديث غريب وفي اسناده مقال وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن ابي بكر
وليس له اسناد صحيح وقوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا قال ابن عباس
يريد وليا يمنعه ولا نصيرا ينصره فان قلنا ان هذه الاية خاصة في حق الكفار فالامر
ظاهر وان قلنا انها في حق كل عامل سوا من مسلم وكافر فانه لا ولي لاحد من دون الله
يوم القيامة ولا ناصر فالمومنون لا ولي لهم غير الله وشفاعة الشافعين تكون
باذن الله فليس ينبغي لاحد احدا غير الله وقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر
او انثى وهو مومن قال مسروق لما نزلت من يعمل سوا يجز به قال اهل الكتاب
نحن وانتم سوا فنزلت هذه الاية قال المفسرون بين الله تعالى بهذه الاية فضيلة
المومنين على غيرهم ولفظة من في قوله من الصالحات للتبعيض لان احدا لا يقدر ان
يستوعب جميع الصالحات بالعمل فاذا عمل بعضهم استحق الثواب فاولئك يدخلون
الجنة ولا يظلمون نقيرا النقير نقرة في ظهر النواة ومنها تنبت النخلة قال
ابن عباس يريد لا ينقصون قدر النواة وهذا على سبيل المبالغة في نفي الظلم ووعد
بتوفية جزا اعمالهم من غير نقصان قوله عز وجل ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله
وهو محسن لما بين الله تعالى ان الجنة لمن يعمل من الصالحات وهو مومن شرح الايمان
وبين فضله فقال تعالى ومن احسن دينا ومن احكم دينا والدين هو المشتمل على اظهار
كمال العبودية والخضوع والانقياد لله عز وجل وهو الدين الذي كان عليه ابراهيم
صلى الله عليه وسلم واعلم ان دين الاسلام مبني على امرين احدهما الاعتقاد واليه
الاشارة بقوله اسلم وجهه لله يعني انقاد لله وخضع له في سره وعلانيته وقيل معناه
اخلص طاعته لله وقيل فوض امره الى الله الامر الثاني من مباني الاسلام العمل واليه
الاشارة بقوله وهو محسن يعني في عمله لله فيدخل فيه فعل الحسنات والمفروضات
والطاعات وترك السيئات وقال ابن عباس في تفسير قوله وهو محسن يريد وهو موحد
لله عز وجل لانه اشرف الاعضا فاذا انقاد الوجه لله وخضع له فقد انقاد لله جميع
الاعضا لانها تابعة له واتبع ملة ابراهيم يعني دين ابراهيم عليه السلام حنيفا
يعني مسلما مخلصا والحنيف المائل ومعناه المائل عن الاديان كلها الى الاسلام لان كلها

سواء من الاديان باطل وحنيفا بان يكون حالا لابراهيم ويجوز ان يكون حالا للمتبع
كما نقول رايته راكبا قال ابن عباس ومن دين ابراهيم عليه السلام الصلاة الى الكعبة
والطواف بها ومناسك الحج والختان ونحو ذلك فان قلت ان ظاهر هذه الاية يقتضي
ان شرع محمد صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع ابراهيم عليه السلام ولهذا لم يكن لمحمد صلى الله
عليه وسلم شرع يستقل به وليس الامر كذلك فما الجواب قلت ان شرع ابراهيم
وملته داخلان في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة حسنة خص الله بها
محمدا صلى الله عليه وسلم فمن اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتبع ملة ابراهيم لانها داخلة
في ملة محمد صلى الله عليه وسلم وشرع داخل في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال تعالى
واتبع ملة ابراهيم لان ابراهيم صلى الله عليه وسلم كان يدعو الى توحيد الله وعبادته وانما
خصه بالذكر لانه كان مقبولا عند جميع الامم فان العرب كانوا يفتخرون بالانتساب اليه
وكذلك اليهود والنصارى فاذا ثبت هذا وان شرعه كان مقبولا عند الامم وان شرع
محمد صلى الله عليه وسلم وملته هو شرع ابراهيم وملته لزم الخلق الدخول في دين محمد
صلى الله عليه وسلم وقبول شرعه وملته وقوله تعالى **واتخذ الله ابراهيم خليلا** يعني صفيا
والخلة صفاء المودة وقيل الخلة الافتقار والانقطاع فخليل الله المنقطع اليه وسمي ابراهيم
خليلا لانه انقطع الى الله في كل حال وقيل الخلة الاختصاص والاصطفاء وسمي ابراهيم
خليلا لانه والى في الله وعادى في الله وقيل لانه تخلق باخلاق حسنة وخلال كريمة
وقيل الخليل المحب الذي ليس في محبته خلل وسمي ابراهيم خليل الله لانه احبه محبة
كاملة لانه فيها نقص ولا خلل وانشد في معنى الخلة التي هي بمعنى المحبة

قد تخللت في مسلك الروح مني • وبذا سمي الخليل خليلا •

وقيل الخليل من الخلة بفتح الخا وهي الحاجة سميت خلة للاختلال الذي يلحق الانسان
فيها وسمي ابراهيم خليلا لانه جعل فقره وفاقته وحاجته الى الله تعالى وخلة الله للعبد
هي تمكينه من طاعته وعصمته وتوفيقه وستر خلله وقصره والثنا عليه فقد اثنى الله
عز وجل على ابراهيم عليه السلام وجعله اماما للناس يقتدي به واختلفوا في السبب
الذي من اجله اتخذ الله ابراهيم خليلا فقال ابن عباس كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم
ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس فاصاب الناس
شدة قحط فقصد الناس باب ابراهيم يطلبون منه الطعام وكانت الميرة تاتيه من صديق
له بمصر فبعث ابراهيم غلمانه الى خليله الذي بمصر فقال خليله لغلمانه ابراهيم لو كان ابراهيم
انما يريد الطعام لنفسه احتملنا ذلك له وقد دخل علينا مثل ما دخل على الناس من الشدة
فرجع غلمان ابراهيم بغير طعام فمروا ببطحا من الرمل سهلة فقالوا لو حملنا من هذا
من هذه البطحا ليرى الناس انا قد جينا بالميرة فانا نستحي ان نمر بهم وابلنا فارغة
فملوا من ذلك الرمل الغرائر التي معهم ثم اتوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فاعلموه
وسارة نايمة فاهتم لذلك ولما كان الناس ببابه فغلبته عيناه فنام واستيقظت
سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ما جا الغلمان قالوا بلى قالت فجاوا بشي

قالوا



قالوا نعم فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هي ملئ باجود دقيق يكون حواري فامرت
الخبازين فخبزوا واطعموا الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة
من اين لكم هذا فقالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله قال
فيومئذ اتخذه الله خليلا وقيل لما اراه ملكوت السموات والارض وحاج قومه في
الله ودعاهم الى توحيده ومنعهم من عبادة النجوم والشمس والقمر والاوثان وبذل
نفسه للالقا في النيران وبذل ولده للقربان وماله للضيفان اتخذه الله خليلا
وجعله اماما للناس يقتدي به وجعل النبوة فيه وفي ذريته وقيل ان ابراهيم عليه
السلام لما كسر الاصنام وعادى قومه في الله عز وجل اتخذه الله خليلا وقيل لما
دخل عليه الملايكة فظنهم ضيفا فقرب اليهم عجلا مشويا وقال كلوا على شرط ان
تسموا الله في اوله وتحمدوه في اخره فقال جبريل انت خليل الله فمن يومئذ سمي
ابراهيم خليل الله م عن انس قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا خير البرية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ابراهيم خليل الله **فصل** وقد
اتخذ الله محمدا صلى الله عليه وسلم خليلا فقد ثبت في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر
خليلا ولكنه اخي وصاحبي وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا اخرجه مسلم فقد ثبت
بهذين الحديثين الخلة للنبي صلى الله عليه وسلم وزاد على ابراهيم عليه السلام
بالمحبة فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه فقد جا في حديث عن
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وانا حبيب الله ولا فخر اخرجه الترمذي
باطول منه قوله تعالى **ولله ما في السموات وما في الارض** قال اهل المعاني
لما دعى الله الخلق الى طاعته وعبادته والانقياد لامره بين سعة ملكه ليرغب
الخلق اليه بالطاعة له وانما قال ما في السموات وما في الارض ولم يقل من لانه ذهب
به مذهب الجنس والذي يعقل اذا ذكر واريد به الجنس ذكر بلفظ ما **وكان الله**
**بكل شي محيطا** يعني عالما علم احاطة وهو العلم بالشي من كل وجه حتى لا يشذ عنه
نوع الا علمه وقيل يجوز ان يكون معناه محيطا بالقدرة عليه قوله عز وجل **ويستفتونك**
**في النسا قل الله يفتيكم فيهن** الاية قال ابن عباس نزلت في بنات ام كجة
وقد تقدمت قصتهن في اول السورة وقالت عايشة هي اليتيمة تكون في حجر الرجل
وهو وليها فيرغب في نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال باقل من سنة صداقها
واذا كانت غير مرغوب فيها لقلة الجمال والمال تركها وفي رواية قالت هي اليتيمة
تكون في حجر الرجل وقد شركته في ماله فيحبسها حتى تموت فنهاهم الله عن ذلك
وانزل هذه الاية فقال ويستفتونك يعني ويستخبرونك يا محمد في شان النسا
وحالهن والاستفتا طلب الفتوى وهو اظهار ما اشكل من الاحكام الشرعية وكشفه
وتبيينه قال المفسرون والذي استفتوا فيه هو ميراث النسا وذلك انهم كانوا
لا يورثون النسا ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت اية الميراث قالوا يا رسول الله

كيف نرث المراة والصغير فجاءهم بهذه الاية قل الله يفتيكم فيهن يعني قل يا محمد الله
يفتيكم في شان النسا وحالهن وما يتلى عليكم في الكتاب يعني يفتيكم فيما يتلى عليكم
والمعنى ان الله يفتيكم في النسا بما انزل في كتابه عليكم وقيل المراد بالكتاب اللوح
المحفوظ والغرض منه تعظيم حال هذه الاية التي تتلى عليكم وانها في اللوح المحفوظ
وان العدل والانصاف في حقوق اليتامى من اعظم الامور عند الله تعالى التي يجب
مراعاتها وان المخل بها ظالم في يتامى النسا قيل معناه في النسا اليتامى وقيل
في اليتامى اولاد النسا لان الاية نزلت في يتامى ام كجة اللاتي لا تؤتونهن ما
كتب لهن يعني ما فرض لهن من الميراث وهذا على قول من يقول ان الاية نازلة
في ميراث اليتامى والصغار وعلى القول الاخر معناه ما كتب لهن من الصداق
وترغبون ان تنكحوهن يعني وترغبون في نكاحهن لمالهن وجمالهن باقل من صداق
وقيل معناه وترغبون عن نكاحهن لقبحهن وذمامتهن وتمسكوهن رغبة في
اموالهن ق عن عايشة قالت هذه اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها
ومالها ويريد ان ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان تقسطوا لهن في اكمال
الصداق وامروا بنكاح من سواهن قالت عايشة رضي الله عنها فاستفتى الناس
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عز وجل ويستفتونك في النسا
الى قوله وترغبون ان تنكحوهن فبين لهم ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال
رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في كمال الصداق واذا كانت مرغوبة
عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها قال فكما يتركونها حين يرغبون
عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى
من الصداق وقوله تعالى والمستضعفين من الولدان يعني ويفتيكم في المستضعفين
من الولدان وهم الصغار ان تعطوهم حقوقهم لان العرب في الجاهلية كانوا لا يورثون
الصغار ايضا فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بان يعطوهم حقوقهم من الميراث وان
تقوموا لليتامى بالقسط يعني بالعدل في مهورهن ومواريثهن وما تفعلوا من
خير فان الله كان به عليما يعني فيجازيكم عليه قوله تعالى وان امراة خافت من
بعلها نشوزا او اعراضا ق عن عايشة في قوله تعالى وان امراة خافت من بعلها
نشوزا او اعراضا قالت نزلت في المراة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد
طلاقها ويتزوج غيرها فتقول له امسكني لا تطلقني ثم تزوج غيري وانت في حل
من النفقة علي والقسمة لي قالت فذلك قوله تعالى فلا جناح عليهما ان يصالحا
بينهما صلحا والصلح خير وقيل نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة ويقال اسمها خولة
وفي زوجها سعد بن الربيع ويقال له رافع بن خديج تزوجها وهي شابة فلما كبرت
تزوج عليها امراة اخرى شابة واثرها عليها وجفا الاولى فاتت ابنة محمد بن سلمة
تشكو زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وقيل كان رجل له
امراة قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني





اقوم على اولادي واقسم لي كل شهرين ان شيت وان شيت فلا تقسم لي فقال ان كان
يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فانزل الله
هذه الاية وان امراة خافت من بعلها يعني علمت وقيل ظنت وقيل المراد نفس
الخوف لا يحصل الا عند ظهور الامارات الدالة على وقوعه من بعلها يعني من زوجها
والبعل هو السيد وسمي الزوج بعلا لانه سيد المراة نشوزا يعني بغضا وقيل هو
ترك مضاجعتها واصله من النشز وهو الترفع من الارض والنشوز تكون من
الزوجين وهو ان يكره كل واحد منهما صاحبه فنشوز الزوج هو ان يعرض عن المراة
وهو قوله تعالى او اعراضا يعني بوجهه عنها او يعبس في وجهها او يترك مضاجعتها
او يسيء عشرتها او يشتغل بغيرها وقيل المراد من النشوز اظهار الخشونة
في القول والفعل والمراد من الاعراض السكوت عن الخير والشر والايذاء بان يعرض
عنها بوجهه او يشتغل بغيرها فلا جناح عليهما يعني فلا جناح ولا اثم على الزوج
والمراة ان يصالحا من المصالحة وقرئ ان يصلحا بضم اليا وكسر اللام من الاصلاح
بينهما صلحا يعني في القسمة والنفقة وهو ان يقول الزوج للمراة انك
قد كبرت ودخلت في السن وانا اريد ان اتزوج امراة جميلة شابة او اثرها عليك
في القسمة ليلا ونهارا فان رضيت فاقيمي وان كرهت ذلك فارقتك وخليت سبيلك
فان رضيت بذلك كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان
على الزوج ان يوفيها حقها من القسم والنفقة او يسرحها باحسان وان امسكها
ووفاها حقها مع الكراهة لها كان هو المحسن قال ابن عباس فان صالحته على بعض
حقها من القسمة والنفقة جاز وان انكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها
والصلح خير يعني اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها
من القسم والنفقة خير من الفرقة عن ابن عباس قال خشيت سودة ان يطلقها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا تطلقني وامسكني واجعل يومي لعايشة
ففعل فنزلت فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير فما اصطلحا
عليه من شي فهو جايز اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقسم لعايشة يومين يومها ويوم سودة واحضرت الانفس
الشح الشح اقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وانما قال واحضرت الانفس
لانه كالامر اللازم للنفوس لانها مطبوعة عليه ومعنى الاية ان كل واحد من الزوجين
يشح بنصيبه من الاخر فالمراة تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح عليها بنفسه
اذا كان غيرها احب اليه منها وان تحسنوا وتتقوا هذا خطاب للازواج يعني
وان تحسنوا ايها الازواج الصحبة والعشرة وتتقوا الله في حق المراة فانها امانة عندكم
وان تحسنوا بالاقامة معها على الكراهية وتتقوا ظلمها والجور عليها فان الله كان
بما تعملون خبيرا يعني فيجازيكم بما عملكم قوله عز وجل ولن تستطيعوا ان
تعدلوا بين النسا يعني ولن تقدروا ان تسووا بين النسا في الحب والميل

القلب لان ذلك مما لا تقدرون عليه وليس من كسبكم **ولو حرصتم** يعني على
العدل والتسوية بينهن وقيل معناه ولو حرصتم على ذلك **فلا تميلوا كل الميل**
يعني الى التي تحبونها في القسم والنفقة والمعنى انكم لستم منتهون عن حصول التفاوت
في الميل القلبي لان ذلك خارج عن قدرتكم ووسعكم ولكنكم منهيون عن اظهار
في ذلك الميل في القول والفعل عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من كانت له امراتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط اخرجه
الترمذي وعن ابي داود من كانت له امراتان فمال الى احدهما جاء يوم القيامة
وشقه مايل عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل
ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك يعني القلب
اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وقوله تعالى **فتذروها كالمعلقة**
يعني فتدعوا الاخرى التي لا تميلون اليها كالمعلقة لا ايما ولا ذات زوج كالشي
المعلق لا هو في السما ولا على الارض وقيل معناه فتذروها كالمسجونة لا هي مخلصة
فتتزوج ولا هي ذات بعل فيحسن اليها **وان تصلحوا** يعني بالعدل في القسم
**وتتقوا** يعني في الجور في القسم **فان الله كان غفورا** يعني لما حصل من الميل
الى بعضهن دون بعض **رحيما** يعني بكم حيث لم يكلفكم ما لا تقدرون عليه **وان يتفرقا**
يعني ان لم يصطلحا واراد الفرقة **يغن الله كلا من سعته** يعني من فضله ورزقه
والمعنى يغني الزوج بامراة اخرى والمراة بزوج اخر وقيل معناه يعوض الزوج
بما يحب والمراة بما تحب ويوسع عليهما وفي هذه تسلية لكل واحد من الزوجين
بعد الطلاق **وكان الله واسعا** يعني الذي وسع جميع مخلوقاته غناه **حكيما**
يعني فيما امر به ونهى عنه **فصل** فيما يتعلق بحكم الاية وجملته ان الرجل
اذا كان تحته امراتان او اكثر يجب عليه التسوية بينهن في القسم فان ترك التسوية
بينهن في فعل القسم عصى الله عز وجل في ذلك وعليه القضا للمظلومة والتسوية
شرط في البيتوتة اما في الجماع فلا لان ذلك يدور على النشاط وميل القلب وليس
ذلك اليه ولو كان في نكاحه حرة وامة قسم للحرة ليلتين وللامة ليلة واحدة واذا
تزوج جديدة على قديمات كن عنده فانه يخص الجديدة بان يبيت عندها سبع ليال
ان كانت الجديدة بكرا وان كانت ثيبا خصها بثلاث ليال ثم انه يستانف القسم
ويسوي بينهن ولا يجب عليه قضا عوض هذه الليالي للقديمات ويدل على ذلك ما
روى ابو قلابة عن انس قال من السنة اذا تزوج البكر على الثيب اقام عندها سبعا
وقسم واذا تزوج الثيب اقام عندها ثلاثا وقسم قال ابو قلابة ولو شيت
لقلت ان انسا رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين واذا سافر الرجل
الى سفر حاجة جاز ان يحمل معه بعض نسايه بشرط ان يقرع بينهن ولا يجب عليه
ان يقضي للباقيات مدة سفره وان طالت اذا لم يزد مقامه في البلد على مدة
المسافرين ويدل على ذلك ما روي عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم





اذا اراد سفرا اقرع بين نسايه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه اخرجه البخاري مع
زيادة فيه واذا اراد الرجل سفر نقلة وجب عليه اخذ نسايه معه قوله تعالى **ولله**
**ما في السموات وما في الارض** يعني عبيدا وملكا قال اهل المعاني لما ذكر الله تعالى
انه يغني من سعته وفضله اشار الى ما يوجب الرغبة اليه في طلب الخير منه لان من له ملك
السموات والارض لا تفنى خزاينه **ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** يعني من
اليهود والنصارى واصحاب الكتب القديمة **واياكم** يعني ووصيناكم يا اهل القران
في كتابكم **ان اتقوا الله** اي بان تتقوا الله وهو ان توحدوه وتطيعوه وتحذروه
ولا تخالفوا امره والمعنى ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة اوصى الله بها جميع الامم
السالفة في كتبهم **وان تكفروا** يعني وان تجحدوا ما اوصاكم به **فان لله ما في السموات**
**وما في الارض** يعني فان لله ملايكة في السموات والارض هم اطوع له منكم وقيل معناه
ان الله تعالى خالق السموات والارض وما فيهن ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم
ومن كان كذلك فحق لكل احد ان يتقيه ويرجوه **وكان الله غنيا** يعني عن جميع خلقه
غير محتاج اليهم ولا الى طاعتهم **حميدا** يعني محمودا على نعمه عليهم **ولله ما في السموات**
**وما في الارض وكفى بالله وكيلا** قال ابن عباس يعني شهيدا على ان له فيهن
عبيدا وقيل معناه وكفى بالله دافعا ومجيرا فان قلت ما الفايدة في تكرير قوله تعالى
ولله ما في السموات وما في الارض قلت الفايدة في ذلك ان لكل اية معنى تختص به
اما الاية الاولى فمعناها فان لله ما في السموات وما في الارض وهو يوصيكم بتقوى
الله فاقبلوا وصيته وقيل لما قال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين ان له
ما في السموات وما في الارض وانه قادر على اغنا جميع الخلق وهو المستغني عنهم
واما الاية الثانية فانه تعالى قال وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض
والمراد انه تعالى منزه عن طاعات الطايعين وعن ذنوب المذنبين وانه لا يزداد
جلاله بالطاعات ولا ينقص بالمعاصي وقيل لما بين ان له ما في السموات وما في الارض
وقال بعد ذلك وكان الله غنيا حميدا فالمراد منه انه تعالى هو الغني وله الملك فاطلبوا
منه ما تطلبون فهو يعطيكم لان له ما في السموات وما في الارض واما الثالثة فقال
تعالى ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا اي فتوكلوا عليه ولا تتوكلوا
على غيره فانه المالك لما في السموات والارض وقيل تكريرها تقدير لما هو موجب تقواه
لتتقوه وتطيعوه ولا تعصوه لان التقوى والخشية اصل كل خير قوله عز وجل **ان**
**يشا يذهبكم ايها الناس** قال ابن عباس يريد المشركين والمنافقين **ويات**
**باخرين** يعني بغيركم هو خير منكم واطوع له ففيه تهديد للكفار والمعنى انه يهلككم ايها
الكفار كما اهلك من كان قبلكم اذا كفروا به وكذبوا رسله **وكان الله على ذلك قديرا**
يعني وكان الله على ذلك الاهلاك واعادة غيركم قادرا بليغا في القدرة لا يمتنع
عليه شي اراده لم يزل ولا يزال موصوفا بالقدرة على جميع الاشيا قوله تعالى **من**
**كان يريد ثواب الدنيا** يعني من كان يريد بعمله عرضا من الدنيا نزلت في مشركي

العرب وذلك انهم كانوا يقرون ان الله تعالى خالقهم ولا يقرون بالبعث يوم القيمة
فكانوا يتقربون الى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف عنهم شرها وقيل نزلت
في المنافقين لانهم كانوا لا يصدقون بيوم القيامة وانما كانوا يطلبون بجهادهم
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عاجل الدنيا وهو ما ينالون من الغنيمة مخطئون في
قصدهم لان الله عنده ثواب الدنيا وثواب الاخرة فلو كانوا عقلا لطلبوا ثواب الاخرة
حتى يحصل لهم ذلك ويحصل لهم ثواب الدنيا على سبيل التبعية والمعنى ان من اراد بعمله الدنيا
اتاه الله منها ما اراد وصرف عنه من شرها ما اراد وليس له ثواب في الاخرة يجزي
به ومن اراد بعمله وجه الله وثواب الاخرة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة يوتيه من
الدنيا ما قدر له ويجزيه في الاخرة خير الجزا **وكان الله سميعا** يعني لاقوالهم وما يسرونه
من طلب ثواب الدنيا **بصيرا** يعني بنياتهم وما في نفوسهم وقيل بصيرا بمن يطلب الدنيا
بعمله وبمن يطلب الاخرة بعمله قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط
شهدا لله** قال السدي ان فقيرا وغنيا اختصما الى النبي صلى الله عليه وسلم فكان
صغوه مع الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغني فانزل الله هذه الاية وامره بالقيام بالقسط
مع الغني والفقير وقيل ان هذه الاية متعلقة بقصة طعمة بن ابيرق في خطاب لقومه
الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل فامرهم الله تعالى ان يكونوا شاهدين بالقسط
قايمين لله عز وجل على كل حال ولو على انفسهم واقاربهم فقال تعالى كونوا قوامين
بالقسط القوام مبالغة في القيام بالعدل في جميع الشهادات واجتناب الجور فيها
قال ابن عباس كونوا قوامين بالعدل في الشهادات على من كانت شهدا لله يعني اقيموا
شهاداتكم لوجه الله كما امركم فيها فتقولوا الحق في شهادتكم **ولو على انفسكم** يعني ولو
كانت الشهادة على انفسكم امر الله العبد ان يشهد على نفسه بالحق وهو ان يقر على نفسه
وذلك الاقرار يسمى شهادة في كونه موجبا للحق عليه **او الوالدين والاقربين** يعني
ولو كانت الشهادة على الوالدين والاقربين من ذوي رحمه واقاربه والمعنى قولوا
الحق ولو على انفسكم او على الوالدين او على الاقارب فاقيموا الشهادة عليهم لله تعالى ولا
تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك قوله تعالى **ان يكن** يعني المشهود عليه
**غنيا او فقيرا فالله اولى بهما** يعني منكم والمعنى كلوا امرهم الى الله تعالى فهو اعلم
بهم وبحالهم وانما قال بهما على التثنية لانه رد الضمير الى المعنى دون اللفظ يعني فالله
اولى بالغني وبالفقير **فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا** يعني فلا تتبعوا الهوى
واتقوا الله ان تعدلوا عن الحق في اداء الشهادة وقيل معناه اتركوا متابعة الهوى
حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى **وان
تلووا** قرئ بواوين ومعناه ان يلوي الشاهد لسانه الى غير الحق قال ابن عباس
يلوي لسانه بغير الحق ولا يقيم الشهادة على وجهها **او تعرضوا** يعني او يعرض الشاهد
عن الشهادة فيكتمها ولا يقيمها يقال لويته حقه اذا دفعته عنه ومطلته به وقيل معناه
وان تلووا اعني القيام باداء الشهادة او تعرضوا عنها فتتركوها وقيل معناه التحريف



فعند الله ثواب الدنيا والاخرة يعني ان الذين يطلبون باعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وحده ... من الغنيمة



والتبديل في الشهادة من قولهم لويت الشيء اذا قلبته وقيل هو خطاب مع الحكام يقول
وان تلووا يعني وان تميلوا مع احد الخصمين دون الاخر او تعرضوا عنه بالكلية وقرئ تلوا
بواو واحدة من الولاية فهو خطاب للحكام ايضا ومعناه فلا تلوا امر المسلمين
وتضيعوهم او تعرضوا عنهم **فان الله كان بما تعملون خبيرا** يعني انه تعالى يجازي
المحسن باحسانه والمسيء باساءته فيجازيكم باعمالكم قوله عز وجل **يا ايها الذين
امنوا امنوا بالله ورسوله** قال ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام واسد واسيد
بني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن اخيه ويامين
ابن يامين فهولا مومنوا اهل الكتاب اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا
نومن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سوى ذلك من الكتب
والرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل امنوا بالله وبرسوله محمد والقران
وبكل كتاب كان قبله فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين امنوا يعني بمحمد والقران
وبموسى والتوراة امنوا بالله ورسوله اسم جنس يعني امنوا بجميع رسله وقيل هو
خطاب لاهل الكتاب جميعا والمعنى يا ايها الذين امنوا بموسى والتوراة وبعيسى
والانجيل امنوا بمحمد والقران وقيل هو خطاب للمنافقين والمعنى يا ايها الذين امنوا
بالسنتهم ولم تومن قلوبهم امنوا بقلوبكم حتى ينفعكم الايمان لان الايمان باللسان
لا ينفع من غير مواطية القلب وقيل هو خطاب للمومنين والمعنى يا ايها الذين امنوا
في الماضي والحال امنوا في المستقبل ودوموا واثبتوا على الايمان **والكتاب الذي
نزل على رسوله** يعني القران **والكتاب الذي انزل من قبل** يعني وامنوا بالقران
وبجميع الكتب الذي انزلها على انبيايه قبل القران فيكون الكتاب اسم جنس
لجميع الكتب **ومن يكفر بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل
ضلالا بعيدا** قوله عز وجل **ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم
كفروا ثم ازدادوا كفرا** قال ابن عباس نزلت في اليهود امنوا بموسى
ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم امنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا
كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران وقيل انهم امنوا بموسى ثم كفروا بعده ثم
امنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت
في المنافقين وذلك انهم امنوا ثم كفروا بعد الايمان ثم امنوا يعني بالسنتهم
واظهارهم الايمان لتجري عليهم احكام المومنين ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم
على الكفر وقيل هذا نوع احد نوعي الكفر وقيل هم قوم امنوا ثم ارتدوا الى الكفر
ثم امنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم عليه وذلك لان من تكرر
منه الايمان بعد الكفر والكفر بعد الايمان مرات كثيرة يدل على انه لا وقع للايمان
في قلبه ومن كان كذلك لا يكن مومنا بالله ايمانا صحيحا وازديادهم الكفر هو
استهزاوهم وتلاعبهم بالايمان ومثل هذا المتلاعب بالدين هل تقبل توبته ام لا
حكي عن علي بن ابي طالب انه قال لا تقبل توبته بل يقتل وذهب اكثر اهل العلم الى

ان توبته مقبولة وقوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم يعني ما اقاموا على الكفر وماتوا
عليه وذلك لان الله تعالى اخبر انه غافر الكفر اذا تاب منه بقوله قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف يعني من كفرهم ولا ليهديهم سبيلا يعني طريق هدى
وقيل لا يجعلهم بكفرهم مهتدين قوله تعالى بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما
يعني اخبرهم يا محمد وانما وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم وقيل البشارة كل خبر يتغير
به بشرة الوجه سارا كان ذلك الخبر او غير سار وقيل معناه اجعل موضع بشارتك
لهم العذاب لان العرب تقول تحيتك الضرب اي هذا بدل من تحيتك قال الشاعر

• وخيل قد دلفت لها بخيل • تحية بينهم ضرب وجيع •

ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من
دون المؤمنين يعني يتخذون اليهود اولياء وانصارا وبطانة من دون المؤمنين
وذلك ان المنافقين كانوا يقولون ان محمدا لا يتم امره فيتولون اليهود فقال الله
تعالى ردا على المنافقين ايبتغون عندهم العزة يعني يطلبون من عند اليهود القوة
والمعونة والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فان العزة لله جميعا يعني
فان القدرة والقوة والغلبة لله جميعا وهو الذي يعز اولياءه واهل طاعته كما قال
الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقد نزل عليكم يعني يا معشر المسلمين
في الكتاب يعني القرآن ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها قال
المفسرون الذي انزل عليهم في النهي عن مجالستهم هو قوله تعالى في سورة
الانعام واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث
غيره وهذا انزل بمكة لان المشركين كانوا يخوضون في القرآن ويستهزئون به
في مجالسهم ان احبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين وكان
المنافقون يجلسون اليهم ويخوضون معهم في الاستهزاء بالقرآن فنهى الله
المؤمنين عن القعود معهم بقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره
يعني تأخذون في حديث آخر غير الاستهزاء بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن
عباس دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع الى يوم القيامة انكم اذا
مثلهم يعني انكم ايها الجالسون مع المستهزئين بآيات الله ورضيتم بذلك فانتم
وهم في الكفر سواء قال العلماء وهذا يدل على ان من رضي بالكفر فهو كافر ومن رضي
بمنكر او خالط اهله كان في الاثم بمنزلتهم اذا رضي به وان لم يباشره فان جلس اليهم
ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له وانما جلس على سبيل التقية والخوف فالامر فيه
اهون من المجالسة مع الرضى وان جلس مع صاحب بدعة او منكر ولم يخض في بدعته
او منكره فيجوز الجلوس مع الكراهة وقيل لا يجوز بحال والاول اصح ان الله
جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا اي انهم لما اجتمعوا في الدنيا على
الاستهزاء بآيات الله وكذلك يجمعهم في عذاب جهنم يوم القيامة قوله عز وجل
الذين يتربصون بكم نزلت في المنافقين والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم من خير

اوشر

اوشر فان كان لكم فتح من الله اي ظفر على عدو وغنيمة تنالونها منهم قالوا يعني
المنافقين الم نكن معكم يعني في الوقعة والفتح فاعطونا من الغنيمة وقيل الم نكن
على دينكم وفي الجهاد كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة وان كان للكافرين
نصيب اي دولة وظهور على المسلمين قالوا يعني المنافقين للكفار الم نستحوذ
عليكم الاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة يقال استحوذ على فلان اي غلب عليه والمعنى
الم نغلبكم ونتمكن منكم ومن قتالكم واسركم ثم لم نفعل ذلك وقيل معناه الم
نغلبكم على رأيكم ونمنعكم من المؤمنين يعني من صلتهم والدخول في دينهم وقيل
معناه الم ندفع عنكم المؤمنين بتخذيلهم عنكم ومراسلتنا اياكم باخبارهم واسرارهم
فهاتوا نصيبا مما اصبتم منهم ومراد المنافقين اظهار المنة على الكفار فان قلت
لم سمي ظفر المؤمنين فتحا وسمي ظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشأن المؤمنين
وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المؤمنين امر عظيم تفتح له ابواب السماء
حتى ينزل النصر على المسلمين واما ظفر الكفار فما هو الا حظ دني ونصيب خسيس
لا يبقى معه الا ما نالوه في الدنيا ولهم في الآخرة العقوبة الشديدة على ذلك
النصيب الذي نالوه من المسلمين فالله يحكم بينكم يوم القيامة يعني الفريقين
فريق المؤمنين وفريق المنافقين والمعنى انما وضع السيف عن المنافقين في
الدنيا لاجل كونهم منكم بل اخر عذابهم الى يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلا وفيه قولان احدهما وهو قول علي بن ابي طالب وابن عباس
ان المراد به في القيامة بدليل انه عطف على قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة
روي ان رجلا سأل علي بن ابي طالب عن هذه الآية ولن يجعل الله للكافرين على
المؤمنين سبيلا وهم يقتلوننا فقال ولن يجعل الله للكافرين يوم القيامة على
المؤمنين سبيلا والقول الثاني ان هذا في الدنيا والمعنى ان حجة المؤمنين غالبة
في الدنيا على الكافرين وليس لاحد ان يغلبهم بالحجة وقيل معناه ان الله لم يجعل
للكافرين على المؤمنين سبيلا بان يمحو دولة المؤمنين بالكلية ويستبيحوا بيضتهم
فلا يبقى احد من المؤمنين وقيل معناه ان الله لا يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا
بالشرع فان شريعة الاسلام ظاهرة الى يوم القيامة وتتفرع على ذلك مسائل
من احكام الفقه منها ان الكافر لا يرث المسلم ومنها ان الكافر اذا استولى على مال
المسلم لم يملكه بدليل هذه الآية ومنها ان الكافر ليس له ان يشتري عبدا مسلما
ومنها ان المسلم لا يقتل بالذمي بدليل هذه الآية قوله تعالى ان المنافقين يخادعون
الله وهو خادعهم يعني يعاملون الله وهو يجازيهم على خداعهم وقيل معناه يخادعون
رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر وهو خادعهم
يعني والله مجازيهم بالعقاب وقيل انهم يعطون نورا يوم القيامة كما يعطى المؤمنون
فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور المنافقين واذا قاموا الى الصلاة
يعني هؤلاء المنافقين قاموا كسالى يعني متثاقلين وسبب هذا الكسل انهم يتبعونها

لانهم لا يريدون بفعلها ثوابا ولا يريدون بها وجه الله عز وجل ولا يخافون على تركها
عقابا لانه لا داعي الى فعلها خوف الناس فلذلك وقع فعلها على وجه الكسل والفتور
**يراءون الناس** يعني انهم لا يقومون الى الصلاة الا لاجل الرياء والسمعة لا لاجل
الدين ولا يرون انها واجبة عليهم قال قتادة والله لولا الناس ما صلى منافق **ولا
يذكرون الله الا قليلا** قال ابن عباس انما قيل ذلك لانهم يفعلونه رياء وسمعة ولو
ارادوا به ذلك القليل وجه الله لكان كثيرا وقيل لان الله لم يقبله ولو قبله لكان
كثيرا وقيل المراد بذكر الله الصلاة والمعنى انهم لا يصلون الا قليلا لانهم متى لم يكن
معهم احد من المؤمنين فانهم لا يصلون واذا كانوا مع المؤمنين يتكلفون فعلها **مذبذبين
بين ذلك** يعني متحيرين مترددين في الكفر والايمان لانهم ليسوا مع المؤمنين
المخلصين ولا مع المشركين المصرحين بالشرك وهو قوله تعالى **لا الى هؤلاء ولا الى
هؤلاء** يعني ليسوا من المؤمنين حتى يجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا من الكفار
فيؤخذ منهم ما يؤخذ من الكفار **ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا** يعني طريقا
الى الهدى ق عن ابن عمر عن النبي صلى الله قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين
الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة وقوله كمثل الشاة العائرة بالعين المهملة
ومعناه المترددة لا تدري لاي الغنمين تتبع ومعنى تعير تردد وتذهب
يمينا وشمالا مرة الى هذه ومرة الى هذه لا تدري الى اين تذهب وهذا مثل المنافق
مرة مع المؤمنين ومرة مع المنافقين او ظاهره مع المؤمنين وباطنه مع الكافرين
قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين**
لما ذم الله عز وجل الكافرين ولامهم من المنافقين وذم الله المنافقين بقوله مذبذبين
بين ذلك نهى الله المؤمنين ان يتخلقوا باخلاق المنافقين يقول لا تتخذوا الكفار
من دون اهل ملتكم ودينكم فتكونوا كمن اوجبت له النار من المنافقين والسبب
في هذا النهي ان الانصار بالمدينة كان لهم من يهود بني قريظة حلف ومودة ورضاع
فقالوا يا رسول الله من نتولى فقال المهاجرين **اتريدون ان تجعلوا لله عليكم
سلطانا مبينا** يعني اتريدون ايها المتخذون الكفار اولياء ان تجعلوا لله عليكم
حجة بينة باتخاذكم الكفار اولياء من دون المؤمنين فتستوجبوا بذلك النار ثم
بين مقر المنافقين من النار فقال تعالى **ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار**
يعني في الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات بعضها فوق بعض سميت
طبقات جهنم ودركات لانها متداركة متتابعة وقيل الدرك بيت مقفل عليهم
تتوقد فيه النار من فوقهم ومن تحتهم وقيل هي توابيت من حديد مقفلة عليهم في النار
فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت ان المنافق مثل الكافر
في الكفر وزيادة وهو انه ضم الى كفره نوعا اخر من الكفر واخبث منه وهو الاستهزاء بالاسلام
والمسلمين وافشاء اسرار المسلمين ونقلها الى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب
المنافقين اشد عذابا من الكفار والمنافق من اظهر الايمان وابطن الكفر وقيل هو

الذي

الذي يصف الاسلام بلسانه ولا يعمل بشرايعه ولا يتقيد بقيوده ولا يدخل تحت
احكامه واما تسميته من ارتكب ما يفسق به منافقا فللتغليظ ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث
كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان فان هذه الخصال صفات المنافقين فمن
فعلها فقد تشبه بالمنافقين وقوله تعالى **ولن تجد لهم نصيرا** يعني ولن تجد
يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم من عذاب الله اذا نزل بهم ثم استثنى الله عز
وجل من تاب من المنافقين فقال تعالى **الا الذين تابوا** يعني من النفاق **واصلحوا** يعني
واصلحوا الاعمال فعملوا بما امر الله به وادوا فرايضه وانتهوا عما نهاهم عنه **واعتصموا
بالله** يعني وتمسكوا بعهد الله ووثقوا به **واخلصوا دينهم لله** يعني واخلصوا
طاعتهم واعمالهم التي عملوها لله وارادوه بها ولم يريدوا رياء ولا سمعة فهذه الامور
الاربعة اذا حصلت فقد كمل الايمان فلذلك قال الله تعالى **فاولئك** يعني التائبين
من النفاق **مع المؤمنين** يعني في الجنة وقيل مع بمعنى من اي من المؤمنين **وسوف
يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما** يعني في الاخرة قوله تعالى **ما يفعل الله بعذابكم
ان شكرتم وامنتم** هذا استفهام تقرير معناه انه تعالى لا يعذب الشاكر المؤمن
فان تعذيبه لا يزيد في ملكه وتركه عقوبته لا ينقص من سلطانه لانه الغني الذي
لا يحتاج الى شيء من ذلك فان عاقب احدا فانما يعاقبه لامر اوجبه العدل والحكمة
فان قمتم بشكر نعمته وامنتم به فقد انقذتم انفسكم من عذابه قال اهل المعاني
فيه تقديم وتاخير تقديره ان امنتم وشكرتم لان الايمان مقدم على ساير الطاعات
ولان الشكر لا ينفع مع عدم الايمان ولان الواو لا توجب الترتيب وقيل هو على
اصله والمعنى ان العاقل ينظر بعين بصيرته اولا الى ما عليه من النعمة العظيمة
في ايجاده وخلقه فيشكر على ذلك شكرا مبهما ثم اذا تمم النظر انتهى
به النظر الى معرفة المنعم عليه امن به ثم شكره شكرا مفصلا فكان ذلك الشكر
المبهم مقدما على الايمان فلذلك قدم الشكر على الايمان في الذكر **وكان الله
شاكرا** يعني مثيبا عباده المؤمنين موافيا اجورهم والشكر من الله الرضى
بالقليل من اعمال العباد واضعاف الثواب عليه وقيل لما امر الله عباده بالشكر
سمى الجزاء شكرا على سبيل الاستعارة فالمراد من الشاكر في صفة الله تعالى
كونه مثيبا على الشكر **عليما** يعني بحق شكركم وايمانكم فيجازيكم على ذلك قوله
عز وجل **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم** قال اهل المعاني يعني انه تعالى
لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به ايضا يعني من القول القبيح الا من ظلم قيل هو
استثناء متصل والمعنى لا جهر من ظلم وقيل استثناء منقطع ومعناه لكن المظلوم
يجوز ان يجهر بظلم الظالم قال العلماء لا يجوز اظهار احوال الناس المستورة المكتومة
لان ذلك يصير سببا لوقوع الناس في الغيبة ووقوع ذلك الشخص في الريبة
لكن من ظلم فيجوز له اظهار ظلمه فيقول سرق مني او غصب ونحو ذلك وان شتم

جاز له ان يشتم بمثله ولا يزيد شيئا عن ذلك ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى الاول وفي رواية فعلى البادي
منهما حتى يتعدى المظلوم اخرجه مسلم قال ابن عباس لا يحب الله ان يدعو احد
على احد الا ان يكون مظلوما فانه قد رخص له ان يدعو على من ظلمه وذلك قوله
الا من ظلم وان صبر فهو خير له وقال الحسن البصري هو الرجل يظلم الرجل فلا يدع
عليه ولكن ليقل اللهم اعني عليه اللهم استخرج لي حقي اللهم حل بيني وبين ما يريد
ونحوه من الدعا وقيل نزلت الاية في الضيف اذا نزل بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا
ضيافته فله ان يشكو ما صنع به قال مجاهد هو الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن
ضيافته فيخرج من عنده فيقول اساء ضيافتي وقال مقاتل نزلت في ابي بكر الصديق
وذلك ان رجلا نال منه والنبي صلى الله عليه وسلم حاضر فسكت عنه ابو بكر مرارا ثم
رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله شتمني فلم تقل له
شيئا حتى اذا رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب
الملك وجاء الشيطان فقمت ونزلت هذه **وكان الله سميعا** يعني لدعا المظلوم
**عليما** بما في قلبه فليتق الله ولا يقول الا الحق قوله تعالى **ان تبدوا خيرا** قال
ابن عباس يريد من اعمال البر كالصيام والصدقة والضيافة والصلة وقيل معناه
ان تبدوا خيرا بدلا من السوء **او تخفوه** يعني تخفوا الخير فلم تظهروه وقيل معناه
ان تبدوا حسنة فتعملوا بها تكتب لكم عشرا وان هم بها وان لم يعملها كتبت واحدة
وقيل ان جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة في قسمين احدهما صدق النية
مع الحق والثاني التخلق مع الخلق فالذي يتعلق بالخلق ينحصر في قسمين ايضا وهما
ايصال النفع اليهم في السر والعلانية واليه الاشارة بقوله ان تبدوا خيرا او تخفوه
او دفع ضر عنهم واليه الاشارة بقوله **او تعفوا عن سوء** فيدخل في هاتين
الكلمتين جميع اعمال البر وجميع دفع الضر وقيل المراد بالخير المال والمعنى ان تبدوا
الصدقة فتعطوها الفقراء جهرا او تخفوها فتعطوها سرا او تعفوا عن مظلمة
**فان الله كان عفوا قديرا** يعني لم يزل ذا عفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا
انتم عمن ظلمكم واقتدوا بسنة الله عز وجل يعفو عنكم يوم القيامة لانه اهل
للتجاوز والعفو عنكم وقيل معناه ان الله كان عفوا لمن عفى قديرا على ايصال الثواب
اليه قوله عز وجل **ان الذين يكفرون بالله ورسله** نزلت في اليهود اجمعين وذلك
بانهم امنوا بموسى والتوراة وكفروا بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم اجمعين
والقران وقيل نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك ان اليهود امنوا بموسى وكفروا
بعيسى ومحمد والنصارى امنوا بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين **ويريدون
ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض** يعني ويريدون ان يفرقوا بين
الايمان بالله والايمان برسله ولا يصح الايمان بالله مع التكذيب ببعض رسله
**ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا** يعني بين الايمان بالبعض

دون



دون البعض يتخذون مذهبا يذهبون اليه ودينا يدينون به **اولئك** يعني
من هذه صفته **هم الكافرون حقا** يعني يقينا وانما قال ذلك توكيدا لكفرهم
لئلا يتوهم متوهم ان الايمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم ويعلم ان الكفر
ببعض الانبيا كالكفر بكلهم لان الدليل الذي يدل على نبوة البعض وهو المعجزة
لزم منه انه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوة وقد وجدت المعجزة لجميع الانبيا
فلزم الايمان بجميعهم **واعتدنا** يعني هيأنا **للكافرين عذابا مهينا** يعني
يهانون فيه **والذين امنوا بالله ورسله** يعني والذين صدقوا بوحدانية الله
وبنبوة جميع انبيائه وان جميع ما جاوا به من عند الله حق وصدق **ولم يفرقوا
بين احد منهم** يعني من الرسل بل امنوا بجميعهم وهم المؤمنون **اولئك** يعني من
هذه صفته **سوف نؤتيهم اجورهم** يعني جزا ايمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله
**وكان الله غفورا رحيما** يعني انه تعالى لما وعدهم بالثواب اخبرهم انه يتجاوز عن سيئاتهم
ويغفرها لهم ويرحمهم فهو كالترغيب لليهود والنصارى في الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم لانهم اذا امنوا غفر لهم ما كان منهم في حال الكفر قوله تعالى **يسئلك اهل
الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما** يعني يسالك يا محمد اهل الكتاب وهم اليهود
وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازورا من اليهود قالا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان كنت نبيا فاتنا بكتاب جملة واحدة من السما كما اتى موسى بالتوراة وقيل
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا مختصا بهم وقيل سالوه ان ينزل
عليهم كتابا الى فلان وكتابا الى فلان يشهد لك انك رسول الله وكان هذا السوال
من اليهود سوال تعنت واقتراح لا سوال استرشاد وانقياد والله تعالى لا ينزل
الايات على اقتراح العباد ولان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت
وظهرت فكان طلب الزيادة من باب التعنت وقوله تعالى **فقد سالوا موسى اكبر
من ذلك** يعني اعظم من الذي سالوك يا محمد ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
وتوبيخ وتقريع لليهود حيث سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سوال التعنت والمعنى
لا يعظمن عليك يا محمد مسئلتهم ذلك فانهم من افراط جهلهم واجترائهم على الله لو اتيتهم
بكتاب من السما لما امنوا بك وانما اسند السوال الى اليهود الذين كانوا في زمن
النبي صلى الله عليه وسلم وان وجد هذا السوال من ابائهم الذين كانوا في ايام موسى
عليه السلام لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسوالهم ومشاكلين لهم في التعنت
**فقالوا** يعني اسلاف هولاء اليهود **ارنا الله جهرة** يعني عيانا والمعنى ارنا نره
جهرة وذلك ان سبعين من بني اسرائيل خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام الى الجبل
فقالوا ذلك وقد تقدمت القصة في سورة البقرة **فاخذتهم الصاعقة بظلمهم**
يعني بسبب ظلمهم وسوالهم الروية **ثم اتخذوا العجل** يعني الها وهم الذين
خلفهم موسى مع اخيه هارون حين خرج الى ميقات ربه **من بعد ما جاءتهم البينات**
يعني الدلالات الواضحات الدالة على صدق موسى وهي العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك

من المعجزات الباهرة **فعفونا عن ذلك** يعني عن ذلك الذنب العظيم فلم نستأصل
عبدة العجل والمقصود من هذا تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان هولاء الذين
يطلبون منك يا محمد ان تنزل عليهم كتابا من السما انما يطلبونه عنادا ولجاجا
فاني قد انزلت التوراة جملة ولحة على موسى وآتيته من المعجزات الباهرات والايات
البينات ما فيه كفاية ثم انهم طلبوا الروية على سبيل العناد وعبدوا العجل وكل
ذلك يدل على جهلهم وانهم مجبولون على اللجاج والعناد وفي قوله فعفونا عن ذلك
استدعا الى التوبة والمعنى ان اوليك الذين اجرموا لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا
انتم نعفو عنكم **وآتينا موسى سلطانا مبينا** يعني حجة واضحة تدل على صدقه
وهي المعجزات الباهرات التي اعطاه الله عز وجل لموسى عليه السلام قوله عز وجل
**ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم** يعني ورفعنا فوقهم الجبل المسمى بالطور
بسبب اخذ ميثاقهم وذلك ان بني اسرايل امتنعوا من قبول التوراة والعمل بما فيها
فرفع الله فوقهم الطور حتى اظلهم ليخافوا فلا ينقضوا العهد والميثاق **وقلنا
لهم** يعني والطور يظلهم **ادخلوا الباب سجدا** فخالفوا ودخلوا وهم يزحفون
على استاههم **وقلنا لهم لا تعدوا في السبت** يعني وقلنا لهم لا تجاوزوا في يوم السبت
الى ما لا يحل لكم فيه وذلك انهم نهوا ان يصطادوا السمك في يوم السبت فتجاوزوا
فاعتدوا واصطادوا فيه وقيل المراد به النهي عن العمل والكسب في يوم السبت
**واخذنا منهم ميثاقا غليظا** يعني واخذنا منهم عهدا موكدا شديدا بانهم يعملون بما
امرهم الله به وان ينتهوا عما نهاهم الله عنه ثم انهم نقضوا ذلك الميثاق وهو قوله
تعالى **فبما نقضهم ميثاقهم** يعني فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والمعنى فبسبب
نقضهم ميثاقهم لعناهم وسخطنا عليهم وفعلنا بهم ما فعلنا **وكفرهم بايات الله**
يعني وبجحودهم بايات الله الدالة على صدق الانبيا **وقتلهم الانبيا** يعني
بعد قيام الحجة والدلالة على صحة نبوتهم **بغير حق** يعني بغير استحقاق لذلك
القتل **وقولهم قلوبنا غلف** يعني وبقولهم قلوبنا اغطية وغشاوة لا تفقه
ما تقول جمع اغلف وقيل هو جمع غلاف يعني قلوبنا اوعية للعلم فلا حاجة بنا الى ما تدعونا
اليه فرد الله عليهم بقوله **بل طبع الله عليها بكفرهم** يعني بل ختم الله على قلوبهم
بسبب كفرهم **فلا يؤمنون الا قليلا** يعني بما هم بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه
من الانبيا والكتب وقيل لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وقيل المراد بالقليل هو
عبد الله بن سلام واصحابه الذين امنوا من اليهود قوله تعالى وبكفرهم **وقولهم
على مريم بهتانا عظيما** يعني حين رموها بالزنا وذلك انهم انكروا قدرة الله تعالى
على خلق الولد من غير اب ومنكر قدرة الله تعالى كافر والمراد بقوله وبكفرهم
هو انكارهم قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على مريم بهتانا عظيما هو رميهم
اياها بالزنا وانما سماه بهتانا عظيما لانه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات
ما يدل على براتها من ذلك فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان

العظيم



العظيم قوله عز وجل **وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله** ادعت
اليهود انهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقهم النصارى على ذلك فكذبهم الله
عز وجل جميعا ورد عليهم بقوله **وما قتلوه وما صلبوه** وفي قوله رسول الله قولان
احدهما انه من قول اليهود فيكون المعنى انه رسول الله على زعمه والقول الثاني
انه من قول الله لا على وجه الحكاية عنهم وذلك ان الله ابدل ذكرهم في عيسى عليه السلام
القول القبيح بالقول الحسن رفعا لدرجته كما كانوا يذكرونه من القول القبيح وقوله
تعالى **ولكن شبه لهم** يعني القي شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب واختلف
العلما في صفة التشبيه الذي شبه على اليهود في امر عيسى عليه السلام فروى البطري
بسنده عن وهب بن منبه انه قال اتى اليهود عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين
في بيت فاحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله تعالى كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم
سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى او لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لاصحابه من يشتري نفسه
منكم اليوم بالجنة فقال رجل منهم انا فخرج اليهم وقال انا عيسى وقد صوره الله تعالى
على صورة عيسى فاخذوه فقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم فظنوا انهم قد قتلوا عيسى
وظنت النصارى مثل ذلك ورفع الله عز وجل عيسى عليه السلام من يومه ذلك وفي
رواية اخرى عن وهب ان عيسى عليه السلام قال لاصحابه ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح
الديك ثلاث مرات وليبيعني بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت
اليهود تطلبه فاخذوا شمعون احد الحواريين فقالوا هذا من اصحاب عيسى فجحد
وقال ما انا بصاحبه فتركوه ثم اخذوا اخر فجحد كذلك فلما اصبح اتى بعض الحواريين
الى اليهود وكان منافقا فقال ما تجعلون لي ان ادلكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين
درهما فدلهم عليه فالقى الله شبه عيسى على ذلك المنافق الذي دل عليه فاخذوه
فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى وقال قتادة ان اعدا الله اليهود زعموا انهم
قتلوا عيسى وصلبوه وذكر لنا ان نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لاصحابه
ايكم يقذف عليه شبهي وله الجنة فانه مقتول فقال رجل منهم انا يا نبي الله فاخذ ذلك
الرجل فقتل وصلب ورفع الله عز وجل عيسى الى السما وقيل ان اليهود حبسوا عيسى
في بيت وجعلوا عليه رقيبا يحفظه فالقى الله شبه عيسى على ذلك الرقيب فاخذ فقتل
وصلب ورفع الله عز وجل عيسى في ذلك الوقت قال الطبري واولى الاقوال بالصواب
ما ذكرنا عن وهب بن منبه من ان شبه عيسى القي على جميع من كان مع عيسى في البيت
حين احيط به وبهم من غير مسالة عيسى اياهم ذلك ولكن ليخزي الله بذلك اليهود وينقذ
به نبيه عيسى عليه السلام من كل مكروه ارادوه به من قتل وغيره ليبتلي الله من ابتلاه
من عباده ويحتمل ان يكون القي شبهه على بعض اصحابه بعد ما تفرق عنه اصحابه ورفع
الله عيسى عليه السلام وبقي ذلك فاخذ وقتل وصلب وظن اصحابه واليهود ان الذي
قتلوه وصلبوه هو عيسى لما راوا شبهه به وخفي امر عيسى عليه السلام عليهم وكان حقيقة
ذلك الامر عند الله تعالى فلذلك قال تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم

**وان الذين اختلفوا فيه** يعني في قتل عيسى وهم اليهود **لفي شك منه** يعني من
قتله وذلك ان اليهود لما قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد القي الشبه
على وجه ذلك الشخص دون جسده فلما قتلوه ونظروا الى جسده فوجدوه غير جسد
عيسى فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد جسد غيره فهذا هو اختلافهم فيه وقيل
ان اليهود لما حبسوا عيسى واصحابه في البيت دخل عليه رجل منهم ليخرجه اليهم فالقى
الله شبه عيسى على ذلك الرجل فاخذ وقتل ورفع الله عز وجل عيسى الى السماء وافتقدوا
صاحبهم فقالوا ان كنا قتلنا المسيح فاين صاحبنا وان كنا قتلنا صاحبنا فاين المسيح
عيسى فهذا هو اختلافهم فيه وقيل ان الذين اختلفوا فيه هم النصارى فبعضهم
يقول ان القتل وقع على ناسوت عيسى دون لاهوته وبعضهم يقول وقع القتل عليهما
جميعا وبعضهم يقول رايناه رفع الى السماء فهذا هو اختلافهم فيه قال الله تعالى
**ما لهم به من علم** يعني انهم قتلوا من قتلوا على شك منهم فيه ولم يعرفوا
حقيقة ذلك المقتول هل هو عيسى ام غيره **الا اتباع الظن** يعني لكن يتبعون
الظن في قتله ظنا منهم انه عيسى لا عن علم وحقيقة **وما قتلوه يقينا** قال
ابن عباس يعني لم يقتلوا ظنهم يقينا فعلى هذا القول تكون الهاء في قتلوه عائدة
الى الظن والمعنى ما قتلوا ذلك الظن يقينا ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ما وقع لهم
من الشبه في قتله فهو كقول العرب قتله علما وقتله يقينا يعني وعلمه علما تاما
واصل ذلك ان القتل للشيء يكون عن قهر واستيلاء وغلبة ومعنى الاية على هذا لم
يكن علمهم بقتل عيسى علما تاما كاملا انما كان ظنا منهم انهم قتلوه ولم يكن لذلك
حقيقة وقيل ان الهاء في قتلوه عائدة على عيسى والمعنى وما قتلوا المسيح يقينا
كما ادعوا انهم قتلوه وقيل ان قوله يقينا يرجع الى ما بعده تقديره وما قتلوه
**بل رفعه الله اليه** يقينا والمعنى انهم لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه ولكن الله
عز وجل رفعه اليه وطهره من الذين كفروا وخلصه ممن اراده بسوء وقد تقدم كيف
كان رفعه في سورة آل عمران بما فيه كفاية وقوله تعالى **وكان الله عزيزا** يعني
في اقتداره على ما يشاء من عباده **حكيما** يعني في انجاء عيسى عليه السلام وتخليصه من
اليهود وقيل عزيزا يعني منتقما من اليهود فسلط عليهم طيطوس بن اسبيانوس
الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة حكيما حكم باللعنة والغضب على اليهود حيث ادعوا
هذه الدعوة الكاذبة قوله تعالى **وان من اهل الكتاب** يعني وما من احد من اهل
الكتاب **الا ليؤمنن به** يعني بعيسى عليه السلام وانه عبد الله ورسوله وروحه
وكلمته هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وقال عكرمة في قوله ليؤمنن به يعني محمد
صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا وجه له لانه لم يجر للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه
الاية حتى يرجع الضمير اليه وقول الاكثرين اولى لانه تقدم ذكر عيسى عليه السلام
فكان عود الضمير اليه اولى **قبل موته** اختلف المفسرون في هذا الضمير الى من يرجع
فقال ابن عباس واكثر المفسرين ان الضمير يرجع الى الكتابي والمعنى وما من احد من اهل

الكتاب

الكتاب الا امن بعيسى قبل موت ذلك الكتابي ولكن يكون ذلك الايمان عند
الحشرجة حين لا ينفعه ايمانه قال ابن عباس معناه انه اذا وقع في الياس حين لا ينفعه
ايمانه سواء احترق او تردى من شاهق او سقط عليه جدار او اكله سبع او مات
فجاءة فقيل له ارايت من خر من فوق بيت قال يتكلم به في الهوى فقيل له ارايت
ان ضربت عنقه قال يتلجلج بها لسانه وعن شهر بن حوشب قال اليهودي اذا حضره
الموت ضربت الملائكة وجهه ودبره وقالوا يا عدو الله اتاك موسى نبيا فكذبت
به فيقول امنت انه عبد الله ورسوله ويقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت
انه الله او ابن الله فيقول امنت انه عبد الله فاهل الكتاب يؤمنون به ولكن
حيث لا ينفعهم ذلك الايمان وذهب جماعة من اهل التفسير الى ان الضمير يرجع
الى عيسى عليه السلام وهو رواية عن ابن عباس ايضا والمعنى وما من احد من اهل
الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء في اخر
الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا امن بعيسى حتى تكون الملة واحدة
وهي ملة الاسلام قال عطاء اذا نزل عيسى الى الارض لا يبقى يهودي ولا نصراني
ولا احد يعبد غير الله الا امن بعيسى وانه عبد الله وكلمته ويدل على صحة هذا
القول ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل
الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد زاد في رواية وحتى تكون
السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة اقرءوا ان شئتم
وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الاية وفي رواية قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن
الخنزير وليضعن الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء
والتباغض والتحاسد وليدعون الى المال فلا يقبله احد اخرجاه في الصحيحين
ففي هذا الحديث دليل على ان عيسى ينزل في اخر الزمان في هذه الامة ويحكم بشريعة
محمد صلى الله عليه وسلم وانه لا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل يكون
حاكما من حكام هذه الامة واماما من ائمتهم لقوله صلى الله عليه وسلم فيكسر الصليب
يعني يكسره حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه وكذلك قتل الخنزير
وقوله ويضع الجزية يعني لا يقبلها ممن بذلها من اليهود والنصارى ولا يقبل من احد
الا الاسلام او القتل وعلى هذا فقد يقال هذا خلاف ما هو حكم الشرع اليوم فان
الكتابي اذا بذل الجزية وجب قبولها منه ولم يجز قتله ولا اجباره على الاسلام
والجواب ان هذا الحكم ليس مستمرا الى يوم القيامة بل هو مقيد بما قبل نزول عيسى
عليه السلام وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس الناسخ هو عيسى عليه
السلام بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو المبين للنسخ وان
عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فدل على ان الامتناع من قبول

الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والله اعلم قال الزجاج
هذا القول بعيد يعني قول من قال ان ايمان اهل الكتاب بعيسى انما يكون عند
نزوله في اخر الزمان قال لعموم قوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قال
والذين يبقون يومئذ يعني عند نزوله شرذمة قليلة منهم واجاب اصحاب هذا
القول يعني الذين يقولون ان ايمان اهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله
في اخر الزمان ولا ينكر انه هنا على العموم ولكن المراد بهذا العموم الذين يشاهدون
ذلك الوقت ويدركون نزوله فيؤمنون به ويكون معنى الاية وما من احد من اهل
الكتاب ادرك ذلك الوقت الا امن بعيسى بعد نزوله من السماء وصحح الطبري
هذا القول وقال عكرمة في معنى الاية وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن بمحمد
صلى الله عليه وسلم قبل موت الكتابي فلا يموت يهودي ولا نصراني حتى يؤمن بمحمد
صلى الله عليه وسلم وذلك عند الحشرجة حتى لا ينفعه ايمانه وقوله تعالى **ويوم
القيامة يكون عليهم شهيدا** يعني يكون عيسى عليه السلام شاهدا على اليهود انهم
كذبوه وطعنوا فيه وعلى النصارى انهم اتخذوه ربا واشركوا به ويشهد على تصديق
من صدق منهم وامن به قال قتادة معناه انه يكون شهيدا يوم القيامة انه قد
بلغ رسالة ربه واقر على نفسه بالعبودية قوله عز وجل **فبظلم من الذين
هادوا** يعني فبسبب ظلم منهم **حرمنا عليهم طيبات احلت لهم** يعني ما حرمنا
عليهم الطيبات التي كانت حلالا لهم الا بظلم عظيم ارتكبوه وذلك الظلم هو ما ذكره
من نقضهم الميثاق وما عدد عليهم من انواع الكفر والكبائر العظيمة مثل قولهم اجعل
لنا الها كما لهم الهة وكقولهم ارنا الله جهرة ولعبادتهم العجل فبسبب هذه الامور
حرم الله عليهم الطيبات التي كانت حلالا لهم وهي ما ذكر في سورة الانعام في
قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية وقال الطبري في معنى الاية فحرمنا
على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا ربهم وكفروا بايات الله وقتلوا
انبياءهم وقالوا البهتان على مريم وفعلوا ما وصفهم الله به في كتابه من طيبات
الماكل وغيرها التي كانت لهم حلالا عقوبة لهم بظلمهم الذي اخبر الله عنهم في كتابه
وروي عن قتادة قال عوقب القوم بظلم ظلموه وبغي بغوه حرمت عليهم اشياء ببغيهم
وظلمهم ونقل الواحدي وابن الجوزي عن مقاتل قال كان الله حرم على اهل التوراة
ان ياكلوا الربا ونهاهم ان ياكلوا اموال الناس ظلما فاكلوا الربا واكلوا اموال
الناس ظلما بالباطل وصدوا عن دين الله وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فحرم الله
عليهم عقوبة لهم ما ذكر في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية
قال الواحدي فاما وجه تحريم الطيبات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم
عليهم فلم اجد فيه شيئا انتهى فتركته ولقد انصف الواحدي فيما قال فان هذه الاية
في غاية الاشكال وبيانه ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه وقد ذكر
المفسرون في معنى الظلم المذكور في الاية ما تقدم ذكره وكلها ذنوب في المستقبل



فان قلت علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم ما حرم من
الطيبات التي كانت لهم حلالا عقوبة لهم على ما سيقع منهم **قلت** جوابه ما تقدم
وهو ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه ولهذا لم يذكر الامام فخر الدين
في تفسير هذه الاية ما ذكره المفسرون بل ذكر تفسيرا اجماليا فقال اعلم ان
انواع الذنوب محصورة في نوعين الظلم للخلق والاعراض عن الدين الحق اما
ظلم الخلق فاليه الاشارة بقوله **وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربا
وقد نهوا عنه** ثم انهم مع ذلك في غاية الحرص على طلب المال فتارة يحصلونه بطريق
الربا مع انهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشا وهو المراد بقوله **واكلهم
اموال الناس بالباطل** فهذه الاربعة هي الذنوب التي شدد عليهم بسببها
في الدنيا والاخرة اما التشديد في الدنيا فهو ما تقدم من تحريم الطيبات
عليهم واما التشديد في الاخرة فهو المراد بقوله تعالى **واعتدنا للكافرين
منهم عذابا اليما** قال المفسرون انما قال منهم لان الله علم ان قوما
منهم سيؤمنون فيامنون من العذاب قوله تعالى **لكن الراسخون في العلم منهم**
يعني من اليهود فهذا استثناء استثنى الله عز وجل من امن من اهل الكتاب ممن
تقدم وصفهم وصفتهم في الايات التي تقدمت فبين فيما تقدم حال الكفار من اليهود
والجهال منهم وبين في هذه الاية حال من هداه لدينه منهم ومن ارشده للعمل بما علم
فقال لكن الراسخون في العلم ولكن هنا بمعنى الاستدراك والاستثناء والراسخون
في العلم الثابتون في العلم المبالغون فيه اولوا البصائر الثاقبة والعقول الصافية
وهم عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اهل الكتاب لانهم رسخوا في العلم وعرفوا
حقيقته فاوصلهم ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم **والمؤمنون** يعني بالله
ورسله **يؤمنون بما انزل اليك** يعني بالقران الذي انزل اليك **وما انزل من قبلك**
يعني ويؤمنون بسائر الكتب التي انزلها الله على انبيائه من قبلك يا محمد وفي المراد
بالمؤمنين هاهنا قولان احدهما انهم اهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون
في العلم منهم وهم المؤمنون والقول الثاني انهم المهاجرون والانصار من هذه
الامة فيكون قوله والمؤمنون ابتداء كلام مستانف يؤمنون بما انزل اليك يعني
انهم يصدقون بالقران الذي انزل اليك يا محمد وبما انزل من قبلك **والمقيمين
الصلاة** اختلف العلماء في وجه نصبه فحكي عن عايشة وابان بن عثمان انه غلط من
الكتاب ينبغي ان يكتب والمقيمون الصلاة قال عثمان بن عفان ان في المصحف لحنا
ستقيمه العرب بالسنتهم فقيل له افلا تغيره فقال دعوه فانه لا يحل حراما
ولا يحرم حلالا وذهب عامة الصحابة وسائر العلماء من بعدهم الى انه لفظ صحيح
ليس فيه خطا من كاتب ولا غيره واجيب عما روي عن عثمان بن عفان وعايشة
وابان بن عثمان بان هذا بعيد جدا لان الذين جمعوا القران هم اهل اللغة والفصاحة
ولهم القدرة على ذلك فكيف يتركون في كتاب الله لحنا يصلحه غيرهم فلا ينبغي ان ينسب هذا

اليهم قال ابن الانباري ما روي عن عثمان لا يصح لانه غير متصل ومحال ان يوخر عثمان شيا
فاسدا ليصلحه غيره ولان القران منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه وقال الزمخشري في الكشاف ولا يلتفت الى ما زعموا
من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب يعني كتاب
سيبويه ولم ينظر مذاهب العرب وما لهم من النصب في الاختصاص والمدح
من الافتنان وهو باب واسع قد ذكره سيبويه على امثلة وشواهد وربما غبي عليه
ان السابقين الاولين كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من
ان يتركوا في كتاب الله عز وجل ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم
ثم اختلف العلما في المقيمين الصلاة اهم الراسخون في العلم ام غيرهم على قولين احدها
انهم هم وانما نصب على المدح والمعنى اذكر المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة قالوا
والعرب تفعل ذلك في صفة الشي الواحد ونعته اذا تطاولت بمدح او ذم فربما
خالفوا بين اعراب اوله واوسطه احيانا ثم رجعوا باخره الى اعراب اوله وربما اجروا
اعراب اخره على اعراب اوسطه وربما اجروا ذلك على نوع واحد من الاعراب واستشهدوا
على معنى الاية

لا يبعدن قومي الذين هم ● سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك ● والطيبون معاقد الازر

وهذا على معنى اذكر النازلين ومن هذا المعنى تقول جاءني قومك المطعمين وهم
المغيثون والقول الثاني ان المقيمين الصلاة غير الراسخين في العلم وموضع المقيمين
الصلاة خفض بالعطف على قوله تعالى بما انزل اليك فعلى هذا القول يكون معنى
الاية والمومنون يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالمقيمين الصلاة
وهم الانبيا لانه لم يخل شرع احدهم عن اقامة الصلاة وقيل المراد بهم الملايكة
لانهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وصحح الزجاج القول الاول واختاره وصحح
الطبري القول الثاني واختاره وقوله تعالى **والمؤتون الزكاة** عطف على والمومنون
لانهم من صفتهم **والمؤمنون بالله واليوم الاخر** يعني والمصدقون بوحدانية
الله تعالى وبالبعث بعد الموت وبالثواب والعقاب **اولئك** يعني من هذه الاوصاف
صفته **سنؤتيهم اجرا عظيما** يعني سنعطيهم على ما كان منهم من طاعة الله واتباع
امره ثوابا عظيما وهو الجنة قوله عز وجل **انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح
والنبيين من بعده** قال ابن عباس قال سكين وعدي بن زيد يا محمد ما نعلم ان
الله انزل على بشر من شي من بعد موسى فانزل الله هذه الاية وقيل هو جواب لاهل
الكتاب عن سوالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السما جملة واحدة
فاجاب الله عز وجل عن سوالهم بهذه الاية فقال انا اوحينا اليك يا محمد كما اوحينا الى نوح
والنبيين من بعده والمعنى انكم يا معشر اليهود تقرون بنبوة نوح وبجميع الانبيا
المذكورين في هذه الاية وهم اثنا عشر نبيا والمعنى ان الله تعالى اوحى الى هولا الانبيا

وانتم

وانتم يا معشر اليهود معترفون بذلك وما انزل الله على احد من هولا المذكورين
كتابا جملة واحدة مثل ما انزل على موسى فلما لم يكن عدم الانزال للكتاب جملة
واحدة على احد هولا الانبيا قادحا في نبوته فلذلك لم يكن انزال القران على محمد
صلى الله عليه وسلم قادحا في نبوته بل قد انزل عليه كما انزل عليهم قال المفسرون
وانما بدا الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام لانه اول نبي بعث بشريعة واول نذير
على الشرك وانزل الله عز وجل عليه عشر صحايف وكان اول من عذبت امته لردهم
لردهم دعوته واهلك اهل الارض بدعايه وكان ابا البشر كادم عليهما السلام وكان
اطول الانبيا عمرا عاش الف سنة لم تنقص قوته ولم يشب ولم ينقص له سن وصبر
على اذى قومه طول عمره ثم ذكر الله الانبيا من بعده جملة بقوله تعالى والنبيين من
بعده ثم خص جماعة من الانبيا بالذكر لشرفهم وفضلهم فقال **واوحينا الى ابراهيم
واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط** وهم اولاد يعقوب وكانوا اثني
عشر **وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن واتينا داود زبورا** يعني
واتينا داود كتابا مزبورا يعني مكتوبا وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب
الذي انزل على داود وهو مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام
بل كلها تسبيح وتقديس وتحميد وثنا على الله عز وجل ومواعظ وكان داود عليه
السلام يخرج الى البرية فيقوم ويقرا الزبور وتقوم علما بني اسرايل خلفه ويقوم
الناس خلف العلما وتقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجي الدواب
التي في الجبال فيقمن بين يديه وترفرف الطير على راس الناس وهم يستمعون
لقراة داود ويتعجبون منها فلما قارف الذنب زال عنه ذلك فقيل كان له ذلك انس
الطاعة وهذا ذل المعصية (ق) عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لو رايتني البارحة وانا استمع لقراتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير ال
داود وقال الحميدي زاد البرقاني فقلت والله يا رسول الله لو علمت انك تسمع
لقراتي لحبرتها لك تحبيرا التحبير تحسين الصوت بالقراة قال بعض العلما انما لم
يذكر موسى في هذه الاية لان الله انزل عليه التوراة جملة واحدة وكان المقصود بذكر
من ذكر من الانبيا في الاية انه لم ينزل على احد منهم كتابا جملة واحدة فلهذا لم يذكر
موسى عليه السلام فقوله تعالى **ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل** لما نزلت هذه
الاية المتقدمة قالت اليهود ما لموسى لم يذكر فانزل الله هذه الاية وفيها
ذكر موسى عليه السلام والمعنى واوحينا الى رسل قد قصصناهم عليك من قبل
يعني سميناهم في القران وعرفناك اخبارهم والى من بعثوا وما رد عليهم من قومهم
**ورسلا لم نقصصهم عليك** اي لم نسمهم عليك ولم نعرفك اخبارهم قال اهل
المعاني الذين نوه الله بذكرهم من الانبيا فدل على تفضيلهم على من ذكر ولم يسم
قوله تعالى **وكلم الله موسى تكليما** يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطة لان تاكيد
كلم بالمصدر يدل على تحقيق الكلام لان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك

لان افعال المجاز لا تؤكد بالمصادر فلا يقال اراد الحايط ان يسقط ارادة ومذا رد
على من يقول ان الله خلق كلاما في محل فسمع موسى من ذلك الكلام وقال الفرا العرب
تسمي كل ما يوصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل لكن لا تحققه بالمصدر فاذا
حقق بالمصدر ولم يكن الا حقيقة الكلام فدل قوله تعالى تكليما على ان موسى قد
سمع كلام الله حقيقة من غير واسطة وروى الطبري بسنده عن عدة طرق عن
كعب الاحبار قال لما كلم الله موسى عليه السلام كلمه بالالسنة كلها قبل كلامه
يعني كلام موسى بلسانه فجعل موسى يقول يا رب لا افهم حتى كلمه بلسانه اخر الالسنة
فقال يا رب هذا كلامك قال لو سمعت كلامي يعني على وجهه لم تك شيا قال موسى
يا رب هل في خلقك شي يشبه كلامك قال لا واقرب خلقي شبها بكلامي واشد ما
يسمع الناس من الصواعق قال بعض العلما كما ان الله تعالى احض موسى عليه السلام
بالتكليم وشرفه به ولم يكن ذلك قادحا في نبوة غيره من الانبيا فكذلك انزال
التورية عليه جملة واحدة لم يكن قادحا في نبوة من انزل عليه كتابه متفرقا من
الانبيا قوله عز وجل **رسلا مبشرين ومنذرين** يعني انا اوحينا اليك كما
اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ومن اوليك النبيين رسلا الى الخلق مبشرين
من اطاعني واتبع امري وصدق رسلي بالثواب الجزيل في الجنة ومنذرين من عصاني
وخالف امري وكذب رسلي بالعذاب الاليم في النار وقيل هو خطاب عن سوال
اليهود انزال الكتاب جملة واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسل هو ارشاد
الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايمان به والاشتغال بعبادته وانذار من
خالف ذلك وهو المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله نجوما متفرقة
بل انزاله متفرقا اولى وذلك ان النفوس قبل بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم
لم تكن تعرف شيا من العبادات ولم تالفها فاذا انزل الكتاب جملة واحدة وفيه
جميع التكاليف ربما حصل في بعض نفوس العباد نفور من تلك التكاليف ويثقل
عليهم كما اخبر الله عن قوم موسى بقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا
انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فلم يقبلوا احكام التورية
الا بعد شدة فلهذا السبب كان انزال القران نجوما متفرقة اولى و قوله تعالى
**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** يعني بعد ارسال الرسل وانزال الكتب
والمعنى لئلا يحتج الناس على الله في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا
ما ارسلت الينا رسولا وما انزلت علينا كتابا ففيه دليل على انه لو لم يبعث
الرسل لكان للناس عليه حجة في ترك التوحيد والطاعة وفيه دليل على ان الله لا يعذب
الخلق قبل بعثة الرسل كما قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
وفيه دليل لمذهب اهل السنة على ان معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع
لان قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على ان قبل بعثة الرسل
تكون لهم الحجة في ترك الطاعات والعبادات فان قلت كيف يكون للناس على



الله حجة قبل الرسل والخلق محجوبون بما نصب من الادلة التي النظر فيها موصل الى
معرفته ووحدانيته كما قيل

وفي كل شي له اية ٭ تدل على انه واحد

قلت الرسل منبهون على رقاد الغفلة وللجهالة وباعثون الخلق الى النظر في تلك
الدلايل التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ومبينون لها وهم وسايط بين
الله وخلقه ومبينون لحكام الله تعالى التي افترضها على عباده ومبلغون رسالته
اليهم **ق** عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رايت رجلا مع امراتي
لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتعجبون
من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني من اجل غيرة الله حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث المنذرين
والمبشرين ولا احد احب اليه المدحة من الله ومن اجل ذلك وعد الجنة لفظ البخاري
وفي لفظ مسلم ولا شخص احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك بعث الله المرسلين
مبشرين ومنذرين وقوله تعالى **وكان الله عزيزا** يعني في انتقامه ممن خالف
امره وعصى رسله **حكيما** يعني في ارسال الرسل قوله تعالى **لكن الله يشهد
بما انزل اليك انزله بعلمه** قال ابن عباس دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
جماعة من اليهود فقال لهم اني والله اعلم انكم لتعلمون اني رسول الله فقالوا ما
نعلم ذلك فانزل الله هذه الاية وفي رواية عن ابن عباس قال ان روسا مكة اتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا سالنا عنك اليهود وعن صفتك في
كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك فانزل الله عز وجل لكن الله يشهد بما انزل اليك
يعني ان جحدك هولاء اليهود يا محمد وكفروا بما اوحينا اليك وقالوا ما انزل الله على بشر
من شي فقد كذبوا فيما ادعوا فان الله يشهد لك بالنبوة ويشهد بما انزل اليك
من كتابه ووحيه والمعنى ان اليهود وان شهدوا ان القران لم ينزل عليك يا محمد
لكن الله يشهد بانه انزله عليك وشهادة الله انما عرفت بسبب انه انزل هذا القران
البالغ في الفصاحة والبلاغة الى حيث عجز الاولون والاخرون عن معارضته
والاتيان بمثله فكان ذلك معجزا واظهار المعجزة شهادة بكون المدعي صادقا
لا جرم قال الله تعالى لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة بواسطة هذا القران الذي
انزل عليك **انزله** بعلمه يعني انه تعالى لما قال لكن الله يشهد بما انزل اليك بين
صفة ذلك الانزال وهو انه تعالى انزله بعلم تام وحكمة بالغة وقيل معناه انزله وهو
عالم بانك اهل لانزاله عليك وانك مبلغه الى عباده وقيل معناه انزله بما علم من صالح
عباده في انزاله عليك **والملايكة يشهدون** يعني يشهدون بان الله انزله عليك
ويشهدون بتصديقك انما عرفت شهادة الملايكة لان الله تعالى اذا شهد بشي
شهدت الملايكة بذلك الشي وقد ثبت ان الله يشهد بانه انزله بعلمه فكذلك
الملايكة يشهدون بذلك **وكفى بالله شهيدا** يعني وحسبك يا محمد ان الله

يشهد لك وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد معه احد غيره ففيه تسلية للنبي صلى الله
عليه وسلم عن شهادة اهل الكتاب له فان الله يشهد له وملائكته كذلك قوله عز وجل
**ان الذين كفروا** يعني جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود **وصدوا عن سبيل الله**
يعني منعوا غيرهم عن الايمان به بكتمان صفته والقاء الشبهات في قلوب الناس
وهو قولهم لو كان محمد صلى الله عليه وسلم رسولا لاتى بكتاب من السماء جملة واحدة كما اتى
موسى بالتوراة **قد ضلوا ضلالا بعيدا** يعني عن طريق الهدى **ان الذين كفروا وظلموا**
يعني كفروا بالله وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمان صفته وظلموا غيرهم بالقاء الشبهات
في قلوبهم **لم يكن الله ليغفر لهم** يعني لمن علم منهم انهم يموتون على الكفر وقيل معناه
لم يكن الله ليستر عليهم قبائح افعالهم بل يفضحهم في الدنيا ويعاقبهم عليها بالقتل
والسبي والجلاء وفي الآخرة بالنار وهو قوله تعالى **ولا ليهديهم طريقا** يعني ينجون فيها
من النار وقيل ولا ليهديهم طريقا الى الاسلام لانه قد سبق في علمه انهم لا يؤمنون
**الا طريق جهنم** يعني لكنه تعالى يهديهم الى طريق تؤدي الى جهنم وهي اليهودية بما
سبق في علمه انهم اهل لذلك **خالدين فيها** يعني في جهنم **ابدا وكان ذلك على الله**
**يسيرا** يعني هينا قوله عز وجل **يا ايها الناس** هذا خطاب عام يدخل فيه جميع
الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام وغيرهم وقيل هو خطاب لمشركي العرب
**قد جاءكم الرسول** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **بالحق** يعني بدين الاسلام الذي
ارتضاه الله لعباده وقيل جاءكم بالقرآن الذي هو الحق **من ربكم** يعني من عند ربكم **فآمنوا**
**خيرا لكم** يعني فآمنوا بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم يكن الايمان به خيرا لكم
يعني من الكفر الذي انتم عليه **وان تكفروا** يعني وان تجحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم
وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من ربكم **فان لله ما في السموات والارض** يعني فان الله
هو الغني عن ايمانكم لان له ما في السموات والارض ملكا وعبيدا ومن كان كذلك لم يكن
محتاجا الى شيء وانه قادر على ما يشاء **وكان الله عليما** يعني بما يكون منكم لا يخفى عليه شيء
من اعمال عباده فيجزي كل عامل بعمله **حكيما** يعني في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم
قوله عز وجل **يا اهل الكتاب** نزلت هذه الآية في النصارى وذلك ان الله تعالى
لما اجاب عن شبه اليهود فيما تقدم من الآيات اتبع ذلك بابطال ما تعتقده النصارى
واصناف النصارى اربعة اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقوسية فاما
اليعقوبية والملكانية فقالوا في عيسى انه الله وقالت النسطورية انه ابن الله وقالت
المرقوسية ثالث ثلاثة وقيل انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم
الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم
الابن عيسى وباقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه فتقدير عندهم الالهة ثلاثة
وقيل انهم يقولون في عيسى ناسوتية والوهية فناسوتيته من قبل الام والوهيته
من قبل الاب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ويقال ان الذي اظهر هذا للنصارى
رجل من اليهود يقال له بولص تنصر ودس هذا في دين النصارى ليضلهم بذلك وسنأتي

قصته





قصته في سورة المؤمنين ان شاء الله تعالى وقيل يحتمل ان يكون المراد باهل الكتاب
اليهود والنصارى جميعا فانهم غلوا في امر عيسى عليه السلام فاما اليهود فانهم بالغوا
في التقصير في امره حتى حطوه عن منزلته حيث جعلوه مولودا لغير رشده وغلت النصارى
في رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه الها فقال الله تعالى ردا عليهم جميعا
يا اهل الكتاب **لا تغلوا في دينكم** واصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين
حرام والمعنى لا تفرطوا في امر عيسى ولا تحطوه عن منزلته ولا ترفعوه فوق
قدره ومنزلته **ولا تقولوا على الله الا الحق** يعني لا تقولوا ان له شريكا وولدا
وقيل معناه لا تصفوا الحلول والاتحاد في بدن الانسان ونزهوا الله تعالى عن
ذلك ولما منعهم الله تعالى من الغلو في دينهم ارشدهم الى طريق الحق في امر عيسى
عليه السلام فقال تعالى **انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله** يقول انما
المسيح هو عيسى ابن مريم ليس له نسب غير هذا وانه رسول الله فمن زعم غير هذا
فقد كفر واشرك **وكلمته** هي قوله تعالى كن فكان بشرا من غير اب ولا واسطة
**القاها الى مريم** يعني اوصلها الى مريم **وروح منه** يعني انه كسائر الارواح
التي خلقها الله وانما اضافه الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كما يقال
بيت الله وناقة الله ومنه نعمة من الله يعني انه تفضل بها وقيل الروح هو
الذي نفخ فيه جبريل في جيب درع مريم فحملت باذن الله وانما اضافه الى نفسه
بقوله منه لانه وجد بامر الله قال بعضهم ان الله تعالى لما خلق ارواح البشر
جعلها في صلب آدم عليه السلام وامسك عنده روح عيسى عليه السلام فلما
اراد الله ان يخلقه ارسل بروحه مع جبريل الى مريم فنفخ في جيب درعها فحملت
بعيسى عليه السلام وقيل ان الروح والريح متقاربان في كلام العرب فالروح
عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام وقوله منه يعني ان ذلك النفخ كان بامره واذنه
وقيل ادخل التنكير في قوله وروح على سبيل التعظيم والمعنى روح واي روح
من الارواح الشريفة القدسية العالية المطهرة وقوله منه اضافة لتلك الروح
الى نفسه لاجل التشريف والتكريم **ق** عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
وان عيسى عبده ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق
ادخله الجنة على ما كان له من العمل وقوله تعالى **فآمنوا بالله ورسله** يعني
فصدقوا يا اهل الكتاب بوحدانية الله وانه لا ولد له وصدقوا رسله فيما جاءكم
به من عند الله وصدقوا بان عيسى عليه السلام من رسل الله فآمنوا به ولا تجعلوه
الها وقوله تعالى **ولا تقولوا ثلاثة** يعني ولا تقولوا الآلهة ثلاثة وذلك
ان النصارى يقولون اب وابن وروح القدس وقيل انهم يقولون ان الله بالجوهر
ثلاثة اقانيم وذلك انهم اثبتوا ذاتا موصوفا بصفات ثلاثة بدليل انهم يجوزون
على تلك الذات الحلول في عيسى وفي مريم فاثبتوا ذواتا متعددة ثلاثة وهذا

هو محض الكفر فلهذا قال الله تعالى ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم يعني يكن
الانتهاء عن القول خيرا لكم من القول بالتثليث ثم نزه الله تعالى نفسه عن قول
النصارى بالتثليث فقال تعالى انما الله اله واحد ثم نزه نفسه عن
الولد فقال تعالى سبحانه ان يكون له ولد يعني لا ينبغي ان يكون له ولد لان
الولد جزء من الاب وتعالى الله عن التجزية وعن صفات الحدوث له ما في السموات
وما في الارض يعني انه تعالى له ملك السموات والارض وما فيهما عبيده
وملكه وعيسى فاذا كانا عبيدين له فكيف يعقل مع هذا ان له ولدا او زوجة تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا بيان تنزيهه مما نسب اليه من الولد والمعنى ان جميع
ما في السموات والارض خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه لان التجزية
انما تصح في الاجسام والله تعالى منزه عن صفات الاجسام والاعراض وكفى
بالله وكيلا يعني انه تعالى كاف في تدبير جميع خلقه فلا حاجة له الى غيره وكل الخلق
محتاجون اليه وفقراء اليه وهو غني عنهم وقوله تعالى لن يستنكف المسيح ان
يكون عبدا لله وذلك ان وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار على عيسى ان يكون عبدا لله فنزلت لن يستنكف
المسيح يعني لن يأنف ولن يتعظم والاستنكاف الاستكبار مع الانفة يقال نكفت
من كذا واستنكفت منه اي انفت منه واصله من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك
من خدك والمعنى لن ينقبض ولن يمتنع ولن يأنف المسيح ان يكون عبدا لله ولا
الملائكة المقربون يعني ولن يستنكف الملائكة المقربون وهم حملة
العرش والكروبيون وافاضل الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وغيرهم
ان يكونوا عبيدا لله لانهم في ملكه ومن جملة خلقه وقيل لما ادعى النصارى في عيسى
انه ابن الله وذلك لما راوا منه خوارق العادات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
وغير ذلك من المعجزات اجاب الله تعالى عن هذه الشبهات التي وقعت للنصارى
بان عيسى من شرف قدره وكرامته لن يستنكف ان يكون عبدا لله وكذلك الملائكة
المقربون مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا ان يكونوا عبيدا لله وقد
يستدل بهذه الاية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر ووجه الدلالة ان الله
تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الا من الادنى الى الاعلى [illegible] فيه
والجواب عنه ان الله تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل قال ذلك ردا
على من يقول الملائكة بنات الله وانهم الهة كما رد على النصارى قولهم ان المسيح
ابن الله وقال ايضا ردا على النصارى فانهم يقولون بتفضيل الملائكة يعني كما ان
المسيح عبد الله فكذلك الملائكة عبيد الله وقوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته
ويستكبر يعني ومن يتعظم عن عبادة الله ويأنف من التذلل له والخضوع والطاعة
من جميع خلقه فسيحشرهم اليه جميعا يعني فسيبعثهم يوم القيامة للموعد
الذي وعدهم حيث لا يملكون لانفسهم شيئا فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات

فيوفيهم

فيوفيهم اجورهم يعني يوفيهم جزاء اعمالهم الصالحة ويزيدهم من فضله يعني
ويزيدهم على ما اعطاهم من الثواب على اعمالهم الصالحة من التضعيف الى ما لا
عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين استنكفوا واستكبروا
يعني الذين انفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون
لهم من دون الله يعني من سوى الله لانفسهم وليا يعني يلي امرهم وينجيهم من عذابه ولا
نصيرا يعني ولا ناصرا ينصرهم منه ويرفع عنهم عقوبته وفي الاية سؤال وهو
ان التفصيل غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على ذكر فريقين وهو قوله
فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم واما الذين استنكفوا
واستكبروا والمفصل يشتمل على ذكر فريق واحد وهو قوله ومن يستنكف عن
عبادته ويستكبر والجواب انه لا اشكال فيه وهو مثل قولك جمع الامام الخوارج
فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك بوجهين احدهما
انه حذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه لان ذكر احدهما يدل على ذكر
الثاني والوجه الثاني ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان ذلك داخلا في جملة التنكيل
بهم فكانه قال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذبهم بالحسرة والغم اذا
راوا اجور المطيعين في الجنة قوله عز وجل يا ايها الناس خطاب
للكافة قد جاءكم برهان من ربكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به من البينات
من ربه عز وجل وانما سماه برهانا لما معه من المعجزات الباهرات التي تشهد بصدقه
ولان البرهان دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك
ولان الله تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عذر جميع الخلائق وانزلنا اليكم نورا مبينا
يعني القران وانما سماه نورا لان فيه تبيين الاحكام كما تتبين الاشياء بالنور
بعد الظلام ولانه سبب لوقوع نور الايمان في القلب فسماه نورا لهذا المعنى
فاما الذين امنوا بالله يعني صدقوا بوحدانية الله وبما ارسل من
رسول وانزل من كتاب واعتصموا به يعني بالله ان يثبتهم على الايمان ويعصمهم
عن زيغ الشيطان وقيل في معنى واعتصموا به يعني بالقران وتمسكوا بالنور
وهو القران الذي انزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فسيدخلهم في رحمة
منه يعني فيدخلهم في رحمته التي ينجيهم بها من اليم عذابه قال ابن عباس الرحمة
الجنة وفضل يعني يتفضل به عليهم بعد ادخالهم الجنة مما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر ويهديهم اليه صراطا مستقيما يعني يوفقهم لهذا
فضله الذي تفضل به عليهم ويسددهم لسلوك منهج من انعم الله عليه من اهل
طاعته ويرشدهم لدينه الذي ارتضاه لعباده وهو دين الاسلام قوله تعالى
يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة نزلت في جابر بن عبد الله الانصاري
ق عن جابر بن عبد الله قال مرضت فاتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
يعوداني وهما ماشيان فاغمي علي فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ثم صب علي من وضوئه

فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف اصنع في مالي كيف اقضي في
مالي فلم يرد علي شيئا حتى نزلت اية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة
وفي رواية قلت يا رسول الله انما يرثني كلالة فنزلت اية الميراث قال شعبة فقلت
لمحمد بن المنكدر يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة قال هكذا نزلت وفي رواية
للترمذي وكان لي تسع اخوات حتى نزلت اية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم
في الكلالة ولابي داود قال اشتكيت وعندي سبع اخوات فدخل علي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنفخ في وجهي فافقت فقلت يا رسول الله الا اوصي لاخواتي بالثلثين
قال احسن قلت بالشطر قال احسن ثم خرج وتركني فقال يا جابر لا اراك ميتا
من وجعك هذا وان الله قد انزل فبين لاخواتك فجعل لهن الثلثين قال فكان جابر
يقول انزلت هذه الاية في يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وروى الطبري عن
قتادة ان الصحابة اهمهم شان الكلالة فسالوا عنها نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله هذه الاية وروى ابن سيرين قال نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة
والنبي صلى الله عليه وسلم في مسير له والى جنبه حذيفة بن اليمان فبلغها النبي صلى الله
عليه وسلم حذيفة وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر
سال حذيفة عنها ورجا ان يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله انك لعاجز ان
ظننت ان امارتك تحملني ان احدثك فيها ما لم احدثك يومئذ فقال عمر لم ارد هذا
رحمك الله واما تفسير قوله تعالى **يستفتونك** يعني يسالونك ويستخبرونك
عن معنى الكلالة يا محمد قل الله يفتيكم في الكلالة يعني ان الله يخبركم عما سالتم
عنه من امر الكلالة وقد تقدم في اول السورة الكلام على معنى الكلالة من حيث
الاشتقاق وغيره وان اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى الموروث فان وقع على الوارث
فهو من سوى الوالد والولد فان وقع على الموروث فهو من مات ولا يرثه احد الابوين
ولا احد الاولاد وقوله تعالى **ان امرؤ هلك** يعني مات سمي الموت هلاكا لانه
اعدام في الحقيقة **ليس له ولد** يعني ولا والد فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر
ويدل على المحذوف السؤال في الفتيا انما كان في الكلالة وقد تقدم ان الكلالة
من ليس له ولد ولا والد **وله اخت** يعني وللذي هلك الميت اخت واراد بالاخت
من ابيه وامه او من ابيه **فلها نصف ما ترك** يعني فلاخت الميت نصف تركته وهو
فرضها اذا انفردت والباقي في المال لبيت المال اذا لم يكن للميت عصبة وهذا مذهب
زيد بن ثابت وبه قال الشافعي وعند ابي حنيفة واهل العراق يرد الباقي عليهما فان
كان للميت بنت تاخذ النصف بالفرض وتاخذ الاخت النصف الثاني بالتعصيب لا
بالفرض لان الاخوات مع البنات عصبة وقوله تعالى **وهو يرثها ان لم يكن لها ولد**
يعني ان الاخت اذا ماتت وتركت اخا من الاب والام او من الاب فانه يستغرق
جميع ميراث الاخت اذا انفرد ولم يكن للاخت ولد وهذا اصل في جميع العصبات
واستغراقهم جميع المال فاما الاخ من الام فانه صاحب فرض لا يستغرق جميع

المال



المال وقد تقدم بيانه **فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك** اراد ابنتين
فصاعدا وهو ان مات وترك اختين او اخوات فلهن الثلثان مما ترك الميت **وان
كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين** يعني وان كان المتروكون
من الاخوة رجالا ونساء فللذكر منهم مثل نصيب الانثيين من اخواته الاناث
**يبين الله لكم ان تضلوا** يعني يبين الله لكم هذه الفرائض والاحكام لئلا تضلوا
وقيل معناه كراهية ان تضلوا وقد بين الله الضلالة لتجتنبوها **والله بكل شي
عليم** يعني من مصالح عباده التي حكم بها من قسمة المواريث وبيان الاحكام وغير
ذلك لان علمه محيط بكل شي **ق** عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال ان اخر سورة
نزلت سورة التوبة وان اخر اية نزلت اية الكلالة وفي رواية لمسلم قال اخر اية
نزلت يستفتونك وروي عن ابن عباس ان اخر اية نزلت اية الربا واخر سورة نزلت
اذا جاء نصر الله والفتح وروي عنه ان اخر اية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة ونزلت بعدها
سورة براءة وهي اخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها ستة اشهر هكذا ذكره البغوي
وفيه نظر لانه قد ثبت في الصحيحين من حديث ابي بكر الصديق ان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث في الحجة التي امره عليها قبل حجة الوداع في رهط يوذن في الناس يوم النحر لا
لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكانت حجة ابي بكر هذه سنة
تسع قبل حجة الوداع بسنة قال البغوي ثم نزلت في طريق حجة الوداع يستفتونك
قل الله يفتيكم في الكلالة فسميت اية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم
اكملت لكم دينكم فعاش بعدها احدا وثمانين يوما ثم نزلت اية الربا ثم نزلت واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما
اخر تفسير سورة النساء والله اعلم بمراده واسرار كتابه

## تفسير سورة المائدة

نزلت بالمدينة الا قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة حجة
الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقراها النبي صلى الله عليه وسلم في
خطبته وقال ايها الناس ان سورة المائدة من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها
وحرموا حرامها فان **قلت** لم خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور
القران بقوله فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وكل سور القران يجب ان يحل حلالها
وان يحرم حرامها **قلت** هو كذلك وانما خص هذه السورة لزيادة الاعتنا
بها فهو كقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم فلا تظلموا
فيهن انفسكم فاكد اجتناب الظلم في هذه الاربعة اشهر وان كان لا يجوز الظلم
في شي من جميع اشهر السنة وانما افرد هذه الاربعة اشهر بالذكر لزيادة الاعتنا
بها وقيل انما خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان فيها ثمانية عشر حكما لم ينزل
في غيرها من سور القران قال البغوي روي عن ميسرة قال ان الله تعالى انزل في

هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها في غيرها وهي قوله والمنخنقة والموقوذة
والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا
بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب وتمام بيان الطهر في قوله اذا قمتم الى الصلاة والسارق
والسارقة ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا
وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت •

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود** يعني العهود قاله الجماعة واختلفوا
في المراد بهذه العقود التي امر الله تعالى بوفائها فقال ابن جريج هذا خطاب لاهل
الكتاب والمعنى يا ايها الذين امنوا بالكتب المتقدمة اوفوا بالعقود التي عهدتها
اليكم في شان محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وقيل هو خطاب للمومنين امرهم
بالوفاء بالعقود قال ابن عباس هي عهود الايمان وما اخذه على عباده في القران فيما
احل وحرم وقيل هي العقود التي كانت في الجاهلية كان يعاقد بعضهم بعضا على النصر
والموازرة على من حاول ظلمه او بغاه بسوء وذلك هو معنى الحلف الذي كانوا
يتعاقدونه بينهم قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اوفوا
بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا في الاسلام وقيل هي العقود التي يتعاقدها
الناس بينهم وما يعقده الانسان على نفسه والعقود عقد اليمين وعقد النكاح
وعقدة العهد وعقدة البيع وعقدة الشركة زاد بعضهم وعقدة الحلف قال
الطبري واولى الاقوال عندنا بالصواب ما قاله ابن عباس ان معناه اوفوا ايها
المومنون بعقود الله التي اوجبها عليكم وعقدها فيما احل وحرم والزمكم فرضه
وبين لكم حدوده وانما قلنا ان هذا القول اولى بالصواب لان الله تعالى اتبعه
بالبيان عما احل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى **احلت لكم بهيمة الانعام**
وهذا خطاب للمومنين خاصة والبهيمة اسم لكل ذي اربع من الحيوان لكن خص في
التعارف لما عدا السبع والضواري والوحوش وانما سميت بهيمة لانها ابهمت عن
العقل والتمييز قال الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة والانعام جمع النعم وهي
الابل والبقر والغنم ولا يدخل فيها ذوات الحافر في قول جميع اهل اللغة واختلفوا
في معنى الاية فقال الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم والمعز
وعلى هذا القول انما اضاف البهيمة الى الانعام على جهة التوكيد وقال الكلبي بهيمة
الانعام وحشيها كالظباء وبقر الوحش وحمر الوحش وعلى هذا انما اضاف البهيمة
الى الانعام ليعرف جنس الانعام وما احل منها لانه لو افردها فقال البهيمة لدخل
فيها ما يحل وما يحرم من البهائم فلهذا قال احلت لكم بهيمة الانعام وقال ابن عباس
وهي الاجنة التي توجد ميتة في بطون امهاتها اذا ذبحت او نحرت ذهب اكثر
العلماء الى تحليلها وهو مذهب الشافعي ويدل عليه ما روي عن ابي سعيد عن النبي





صلى الله عليه وسلم انه قال في الجنين ذكاته ذكاة امه اخرجه الترمذي وابن ماجه وفي
رواية ابي داود قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة ونجد في بطنها
الجنين انلقيه ام ناكله قال كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة امه وروى الطبري عن
ابن عمر في قوله احلت لكم بهيمة الانعام قال ما في بطنها قال عطية العوفي قلت
ان خرج ميتا اكله قال نعم هو بمنزلة رئتها وكبدها وعن ابن عباس قال الجنين من
بهيمة الانعام وعنه ان بقرة نحرت فوجد في بطنها جنين فاخذ ابن عباس بذنب
الجنين وقال هذا من بهيمة الانعام وشرط بعضهم الاشعار وتمام الخلق قال ابن
عمر ذكاة ما في بطنها ذكاتها اذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن سعيد بن المسيب
وقال ابو حنيفة لا يحل اكل الجنين اذا خرج ميتا بعد ذكاة الام وقوله تعالى
**الا ما يتلى عليكم** يعني في القران تحريمه واراد به قوله تعالى حرمت عليكم الميتة
الى اخر الاية فهذا من المتلو علينا وهو ما استثنى الله عز وجل من بهيمة الانعام
**غير محلي الصيد وانتم حرم** يعني احلت لكم الانعام كلها والوحشية ايضا من
الظباء والبقر والحمر غير محل صيدها وانتم محرمون في حال الاحرام فلا يجوز
للمحرم ان يقتل صيدا في حال احرامه **ان الله يحكم ما يريد** يعني ان الله يقضي
في خلقه ما يشاء من تحليل ما اراد تحليله وتحريم ما اراد تحريمه وفرض ما يشاء
ان يفرضه عليهم من احكامه وفرائضه مما فيه مصلحة لعباده تعالى **يا ايها الذين
امنوا لا تحلوا شعائر الله** نزلت في الحطم واسمه شريح بن هند بن ضبيعة
البكري اتى المدينة وحده وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي
صلى الله عليه وسلم الى ما تدعو الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام
الصلاة وايتاء الزكاة فقال حسن الا ان لي امراء لا اقطع امرا دونهم ولعلي اسلم
واتي بهم فخرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يدخل
عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما خرج ابن شريح قال النبي
صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح
من سرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول •

| | |
|---|---|
| • قد لفها الليل بسواق حطم • | ليس براعي ابل ولا غنم • |
| • ولا بجزار على ظهر وضم • | باتوا نياما وابن هند لم ينم • |
| • بات يقاسيها غلام كالزلم • | خدلج الساقين ممسوح القدم • |

فتبعوه فلم يدركوه فلما كان في العام القابل خرج شريح حاجا مع حجاج بكر بن وائل
من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدي فقال المسلمون يا رسول الله هذا
هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه قد قلد
الهدي فقالوا يا رسول الله هذا شيء كنا في الجاهلية فابى النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله قال ابن عباس هي المناسك وكان
المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا عليهم فنهاهم الله عن ذلك

وقيل الشعاير الهدايا المشعرة واشعارها ان يطعن في صفحة سنام البعير بحديدة حتى
يسيل دمه فيكون ذلك علامة بانها هدي وهي سنة في الابل والبقر دون الغنم ويدل
عليه ما روي عن عايشة قالت فتلت قلايد هدي النبي صلى الله عليه وسلم ثم اشعرها
وقلدها ثم بعث بها الى البيت فما حرم عليه شي كان حلالا اخرجاه في الصحيحين م
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقة
فاشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين ثم ركب
راحلته فلما استوت به على البيدا اهل بالحج وعند ابي حنيفة لا يجوز اشعار الهدي
بل قال يكره ذلك وقال ابن عباس في معنى الاية لا تحلوا شعاير الله وهي ان تصيد
وانت محرم وقيل شعاير الله شرايع الله ومعالم دينه والمعنى لا تحلوا شيا من
فرايضه التي افترض عليكم واجتناب نواهيه التي نهى عنها **ولا الشهر الحرام**
اي ولا تحلوا الشهر الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذي كانت العرب
تعظمه وتحرم القتال في الجاهلية فيه فلما جا الاسلام لم ينقض هذا الحكم بل اكده
والمراد بالشهر الحرام هنا ذو القعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد
بالحلال الشهر الحرام النسيي قال مقاتل كان جنادة بن عوف يقوم في سوق عكاظ
فيقول اني قد احللت كذا وحرمت كذا يعني به الاشهر فنهى الله عن ذلك وسياتي
تفسير النسيي في سورة براءة **ولا الهدي ولا القلايد** الهدي ما يهدى الى
بيت الله من بعير او بقرة او شاة وغير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالى والقلايد
جمع قلادة وهي التي تشد في عنق البعير وغيره والمعنى ولا الهدي ذوات القلايد
قال الشاعر

حلفت برب مكة والمصلى • واعناق هدين مقلدات

فعلى هذا القول انما عطف القلايد على الهدي مبالغة في التوصية بها لانها
في اشرف البدن المهداة والمعنى ولا تستحلوا الهدي خصوصا المقلدات منها وقيل
اراد اصحاب القلايد وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا اذا ارادوا الخروج من الحرم
قلدوا انفسهم وابلهم من لحا شجر الحرم فكانوا يامنون بذلك ولا يتعرض لهم احد فنهى الله
المومنين عن ذلك الفعل ونهاهم عن استحلال نزع شي من شجر الحرم **ولا امين البيت
الحرام** يعني ولا تستحلوا القاصدين الى البيت الحرام وهو الكعبة شرفها الله
وعظمها **يبتغون** يعني يطلبون **فضلا من ربهم** يعني الرزق والارباح في التجارة
**ورضوانا** يعني ويطلبون رضى الله عنهم بزعمهم لان الكافر لا حظ له في الرضوان
لكن يظن ان فعله ذلك طلبا للرضوان فيجوز ان يوصف به بناء على ظنه وقيل
ان المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغا رضوان الله وان كانوا لا ينالونه فلا يبعد
ان يحصل لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الامن على انفسهم وقيل
كان المشركون يلتمسون في حجهم ما يصلح لهم دينهم ومعاشهم فيها وقيل ابتغا الفضل
هو للمومنين والمشركين عامة وابتغا الرضوان للمومنين خاصة وذلك انهم كانوا

يحجون



يحجون جميعا **فصل** اختلف علما الناسخ والمنسوخ في هذه الاية فقال قوم
هذه الاية منسوخة الى هنا لان قوله تعالى لا تحلوا شعاير الله ولا الشهر الحرام
يقتضي حرمة القتل في الشهر الحرام وفي الحرم وذلك منسوخ بقوله فلا يقربوا
المسجد الحرام تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا امين
البيت الحرام يقتضي حرمة منع المشركين عن البيت الحرام وذلك منسوخ بقوله
فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا يجوز ان يحج مشرك ولا يامن بالهدي
والقلايد كافر وهذا قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة واكثر المفسرين
قال الشعبي لم ينسخ من سورة المايدة الا هذه الاية وقيل المنسوخ منها قوله
ولا امين البيت الحرام نسختها اية براءة اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله
فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال ابن عباس كان المومنون والمشركون
يحجون البيت جميعا فنهى الله المومنين ان يمنعوا احدا ان يحج البيت او يتعرضوا
له من مومن او كافر ثم انزل بعد هذا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد
الحرام بعد عامهم هذا وقال اخرون لم ينسخ من ذلك شي سوى القلايد التي كانت
في الجاهلية يتقلدونها من لحا شجر الحرم قاله الواحدي وذهب جماعة الى انه لا منسوخ
في هذه السورة وان هذه الاية محكمة قال ما ندبنا الى ان نخيف من يقصد بيته
من اهل شريعتنا في الشهر الحرام ولا في غيره وفضل الشهر الحرام عن غيره في الذكر
تعظيما وتفضيلا وحرم علينا اخذ الهدي من المهتدين وصرفه عن بلوغ محله وحرم
علينا القلايد التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وهذا غير منقول والظاهر ما
عليه جمهور العلما على ان الله عز وجل قد احل قتال اهل الشرك في الاشهر الحرم
وغيرها وكذلك اجمعوا على ان المشرك لو قلد عنقه وذراعيه جميع لحا الشجر لم يكن
ذلك له امانا من القتل اذا لم يكن تقدم له عقد ذمة او امان وكذلك اجمعوا
على منع من قصد البيت بحج او عمرة من المشركين بقوله تعالى انما المشركون نجس
فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والله اعلم وقوله تعالى **واذا حللتم**
يعني من احرامكم **فاصطادوا** هذا امر اباحة لان الله حرم الصيد على المحرم
حالة الاحرام بقوله تعالى غير محلي الصيد وانتم حرم واباحه له اذا احل من احرامه
بقوله واذا حللتم فاصطادوا وانما قلنا انه امر اباحة لانه ليس بواجب على المحرم
اذا احل من احرامه ان يصطاد ومثله قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا
في الارض معناه انه قد ابيح لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة **ولا يجرمنكم** قال
ابن عباس لا يحملنكم وقيل معناه لا يكسبنكم ولا يدعونكم **شنان قوم** يعني بغض
قوم وعداوتهم **ان صدوكم** يعني لان صدوكم **عن المسجد الحرام** والمعنى لا يحملنكم
عداوة قوم على الاعتدا لان صدوكم عن المسجد الحرام لان هذه السورة نزلت بعد
قصة الحديبية فكان الصد قد تقدم **ان تعتدوا** عليهم يعني بالقتل واخذ
المال **وتعاونوا على البر والتقوى** يعني ليعن بعضكم بعضا على ما يكسب البر

والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة **ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**
يعني ولا يعن بعضكم بعضا على الاثم وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل الاثم
المعاصي والعدوان البدعة عن النواس بن سمعان قال سالت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت
ان يطلع عليه الناس **واتقوا الله** اي واحذروا الله ان تتعدوا ما امركم به او
تجاوزوا الى ما نهاكم عنه **ان الله شديد العقاب** يعني لمن خالف امره ففيه وعيد
وتهديد عظيم قوله عز وجل **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير** لما بين الله تعالى
في اول السورة ما احل لنا من بهيمة الانعام بقوله احلت لكم بهيمة الانعام ثم انه
تعالى استثنى من ذلك بقوله الا ما يتلى عليكم فذكر ذلك الاستثنا بقوله حرمت
عليكم الميتة فكل ما فارقته الروح مما يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم
الميتة ان الدم لطيف جدا فاذا مات الحيوان حتف انفه احتبس ذلك الدم وبقي
في العروق فيفسد ويحصل منه ضرر عظيم والدم فهو المسفوح الجاري وكانت
العرب في الجاهلية تجعل الدم في المصارين وتشويه وتاكله فحرم الله ذلك كله
ولحم الخنزير واراد به جميع اجزايه واعضايه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود
بالاكل وقد تقدم في سورة البقرة احكام هذه الثلاثة اشيا وما استثنى الشارع
من الميتة والدم وهو السمك والجراد والكبد والطحال وذكرنا الدليل على اباحة
ذلك واختلاف العلما في ذلك وقوله تعالى **وما اهل لغير الله به** يعني ما ذكر على
ذبحه غير اسم الله وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا يذكرون اسما اصنامهم عند
الذبح فحرم الله ذلك بهذه الاية وبقوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه **والمنخنقة**
قال ابن عباس كان اهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت اكلوها فحرم الله
ذلك والمنخنقة من جنس الميتة لانها لما ماتت لم يسل دمها والفرق بينهما ان الميتة
تموت بلا سبب احد والمنخنقة تموت بسبب الخنق **والموقوذة** يعني المقتولة بالخشب
وكانت العرب في الجاهلية يضربون الشاة بالعصا حتى تموت وياكلونها فحرم الله
ذلك **والمتردية** يعني التي تتردى من مكان عال فتموت او في بير فتموت والتردي
هو السقوط من سطح او من جبل ونحوه وهذه المتردية تلحق بالميتة فحرم اكلها ويدخل
في هذا الحكم اذا رمي بسهم صيدا فتردى ذلك الصيد من جبل او من مكان عال فمات
فانه يحرم اكله لانه لا يعلم هل مات بالتردي او بالسهم **والنطيحة** يعني التي تنطحها
شاة اخرى حتى تموت وكانت العرب في الجاهلية تاكل ذلك فحرمه الله تعالى لانها في حكم
الميتة فاما الهاء في هذه الكلمات التي تقدمت اعني المنخنقة والموقوذة والمتردية
والنطيحة فانما دخلت لانها صفات لموصوف مونث وهو الشاة كانه قال حرمت عليكم
الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية وخصت الشاة لانها من اعم ما ياكله الناس
والكلام انما يخرج على الاعم الاغلب ثم يلحق به غيره فان قلت لم اثبت الهاء في النطيحة
مع انها في الاصل منطوحة فعدلوا بها الى النطيحة وفي مثل هذا الموضع تكون الها

محذوفة



محذوفة تقول كف خضيب وعين كحيل يعني كف مخضوبة وعين مكحولة قلت انما
تحذف الها من الفعيلة اذا كانت صفة لموصوف يتقدمها فاذا لم يذكر الموصوف
وذكرت الصفة وضعتها موضع الموصوف تقول رايت قتيلة بني فلان بالها لانه
ان لم تدخل الها لم يعرف ارجل هو ام امراة فعلى هذا انما دخلت الها في النطيحة
لانها صفة لموصوف غير مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت قد تاتي فعيلة
بالها وهي في تاويل مفعول بها تخرج مخرج الاسما ولا يذهب بها مذهب النعوت
نحو النطيحة والذبيحة والفريسة واكيلة السبع ومررت بقتيلة بني فلان وقوله
تعالى **وما اكل السبع** قال قتادة كان اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيا فقتله
واكل منه اكلوا ما بقي منه فحرمه الله تعالى والسبع اسم لما يقع على كل حيوان له ناب
ويعدو على الناس والدواب فيفترس بنابه كالاسد والذيب والنمر والفهد
ونحوه وفي الاية محذوف تقديره وما اكل السبع منه لان ما اكله السبع فقد
نفد فلا حكم له انما الحكم للباقي منه **الا ما ذكيتم** يعني الا ما ادركتموه وقد
بقيت فيه حياة مستقرة من هذه الاشيا المذكورة والظاهر ان هذا الاستثنا
يرجع الى جميع المحرمات المذكورة في الاية من قوله تعالى والمنخنقة الى وما اكل السبع
وهذا قول علي بن ابي طالب وابن عباس والحسن وقتادة وقال ابن عباس يقول الله
تعالى ما ادركتم من هذا كله وفيه روح فاذبح فهو حلال وقال الكلبي هذا الاستثنا
مما اكل السبع خاصة والقول هو الاول واما كيفية ادراكها فقال اكثر اهل العلم
من المفسرين ان ادركت ذكاته بان يوجد له عين تطرف او ذنب يتحرك فاكله جايز
قال ابن عباس اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها او تحركت فاذبح فهو حلال وذهب
بعض اهل العلم الى ان السبع اذا جرح فاخرج الحشوة او قطع الجوف قطعا يوبس معه
الحياة فلا ذكاة لذلك وان كان به حركة ورمق لانه قد صار الى حالة لا يوثر فيها
الذبح وهو مذهب مالك واختاره الزجاج وابن الانباري لان معنى التذكية ان
يلحقها وفيها بقية تشخب معها الاوداج وتضطرب اضطراب المذبوح لوجود الحياة
فيه قبل ذلك والا فهو كالميتة واصل الذكاة في اللغة تمام الشي فالمراد من التذكية
تمام قطع الاوداج وانهار الدم ويدل عليه ما روي عن رافع بن خديج عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر وساحدثكم
عن ذلك اما السن فعظم واما الظفر فمدى الحبشة اخرجاه في الصحيحين واقل الذبح
في الحيوان المقدور عليه قطع المري والحلقوم واكمله قطع الودجين مع ذلك والحلقوم
بعد الفم وهو موضع النفس والمري مجرى الطعام والودجان عرقان يقطعان
عند الذبح واما الة الذبح فكل ما انهر الدم وفرى الاوداج من حديد وغيره
الا السن والظفر لما تقدم من نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقوله تعالى
**وما ذبح على النصب** يعني وحرمت ما ذبح على النصب والنصب يحتمل ان يكون
جمعا واحده نصاب وان يكون واحدا وجمعه انصاب وهي الشي المنصوب قيل كان

حول الكعبة ثلاثمائة وستون حجرًا منصوبة كان اهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها
ويذبحون لها وليست هي الحجارة باصنام انما الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن
عباس هي الاصنام المنصوبة والمعنى ما ذبح على اسم النصب ولاجل النصب فهو حرام
**وان تستقسموا بالازلام** يعني وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهو طلب القسم
والحكم من الازلام وهي القداح وكانت ازلامهم سبعة قداح مستوية مكتوبة على
واحد منها امرني ربي وعلى واحد منها نهاني ربي وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى
واحد ملصق وعلى واحد العقل وعلى واحد غفل اي ليس عليه شي وكانت العرب في
الجاهلية اذا ارادوا سفرا او تجارة او نكاحا او اختلفوا في النسب او امر قتيل او
تحمل عقل او غير ذلك من الامور العظام جاوا الى هبل وكانت اعظم صنم لقريش بمكة
وجاوا بمائة درهم واعطوها صاحب القداح حتى يجيلها لهم فان خرج امرني ربي فعلوا
ذلك الامر وان خرج نهاني ربي لم يفعلوه واذا جالوا على نسب فان خرج منكم كان
وسطًا فيهم وان خرج من غيركم كان حليفا فيهم وان خرج ملصق كان على حاله وان اختلفوا
في العقل وهو الدية فمن خرج عليه قدح العقل تحمله وان خرج الغفل جالوا ثانيا
حتى يخرج المكتوب عليهم فنهاهم الله عن ذلك وحرمه وسماه فسقا وقيل الازلام
كعاب فارس والروم التي كانوا يتقامرون بها وقيل كانت الازلام للعرب والكعاب
للعجم وهي النرد وكلها حرام لا يجوز اللعب بشي منها عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه
ابو داود وقال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة زجر الطير والطرق الضرب
بالحصى والجبت كل ما عبد من دون الله عز وجل وقيل الجبت الكاهن وروى البغوي بسنده
الثعلبي عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن واستقسم
بالازلام او تطير طيرة ترده عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى يوم القيامة وقوله
تعالى **ذلكم فسق** يعني ما ذكر من هذه المحرمات في الاية لان المعنى حرم عليكم
تناول كذا وكذا فانه فسق والفسق ما يخرج من الحلال الى الحرام وقيل الاشارة
عائدة على الاستقسام بالازلام والاول اصح **اليوم يئس الذين كفروا من دينكم**
يعني كما يئسوا ان ترجعوا عن دينكم الى دينهم كفارا وذلك ان الكفار كانوا يطمعون
في ان يعود المسلمون الى دينهم فلما قوي الاسلام ايسوا من ذلك وذلك هذا اليوم
الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام حجة الوداع فعند ذلك يئس
الكفار من بطلان دين الاسلام وقيل ان ذلك هو يوم عرفة فنزلت هذه الاية
والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقيل لم يرد يوما بعينه وانما المعنى الان
يئس الذين كفروا من دينكم وهو كما تقول اليوم قد كبرت تريد الان قد كبرت
وتقول فلان كان يزورنا وهو اليوم يجفونا لم يرد يوما بعينه يعني وهو الان
يجفونا ولم يقصد به اليوم قال الشاعر •
• فيوم علينا ويوم لنا • ويوم نساء ويوم نسر •

اراد



اراد فزمان علينا وزمان لنا ولم يقصد يوما واحدا بعينه **فلا تخشوهم** فلا
تخافوا الكفار ايها المؤمنون الذين امنوا ان يظهروا على دينكم فقد زال الخوف
عنكم باظهار دينكم **واخشوني** اي وخافوا مخالفة امري واخلصوا الخشية
لي قوله عز وجل **اليوم اكملت لكم دينكم** نزلت هذه الاية في يوم الجمعة
بعد العصر في يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء
فكادت عضد الناقة تندق وبركت لثقل الوحي وذلك في حجة الوداع سنة عشر
من الهجرة ق عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال يا امير
المومنين اية في كتابكم تقرؤونها لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك عيدا
قال فاي الاية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
دينا فقال عمر اني لاعلم اليوم الذي انزلت فيه والمكان الذي انزلت فيه نزلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات في يوم الجمعة اشار عمر الى ان ذلك اليوم
كان عيدا لنا وعن ابن عباس انه قرا اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الاسلام دينا وعنده يهودي فقال لو انزلت هذه الاية علينا لاتخذناها
عيدا قال ابن عباس فانها نزلت في يوم عيدين في جمعة ويوم عرفة اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب قال ابن عباس كان في ذلك اليوم خمسة اعياد يوم جمعة
ويوم عرفة وعيد اليهود وعيد للنصارى وعيد المجوس ولم يجتمع اعياد الملل
في يوم واحد قبله ولا بعده وروي انه لما نزلت هذه الاية بكى عمر بن الخطاب
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا كنا في زيادة من
ديننا فاما اذ اكمل فانه لم يكمل شي الا نقص قال صدقت فكانت هذه الاية نعي
رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش بعدها احدا وثمانين يوما ومات صلى الله عليه وسلم
يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الاول وقيل لاثنتي عشرة ليلة وهو الاصح
سنة احدى عشرة من الهجرة واما تفسير الاية فقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم
يعني بالفرايض فلم ينزل بعد هذه الاية حلال ولا حرام ولا شي من الفرايض هذا
معنى قول ابن عباس وقال سعيد بن جبير وقتادة معنى اكملت لكم دينكم حيث لم يحج
معكم مشرك وخلا الموسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وقيل معناه اني
اظهرت دينكم على الاديان وامنتكم من عدوكم بان كفيتكم ما كنتم تخافونه وقيل اكمال
الدين لهذه الامة انه لا يزول ولا ينسخ وان شريعتكم باقية الى يوم
القيامة وقيل اكمال الدين لهذه الامة انهم امنوا بكل نبي وكل كتاب ولم يكن هذا
لغيرهم من الامة وقال ابن الانباري اليوم اكملت شرايع الاسلام على غير نقصان
كان قبل هذا الوقت وذلك ان الله عز وجل كان يتعبد خلقه بالشي في وقت
اخر فيكون الوقت الاول تاما في وقته وكذلك الوقت الثاني تاما في وقته
فهو كما يقول القايل عندي عشرة كاملة ومعلوم ان العشرين اكمل منها والشرايع
التي تعبد الله عز وجل بها عباده في الاوقات المختلفة وكل شريعة منها كاملة في

وقت التعبد بها وكمل الله عز وجل الشرايع في اليوم الذي ذكره وهو يوم عرفة ولم
يجد في ذلك ان الدين كان ناقصا في وقت من الاوقات ونقل الامام فخر الدين
الرازي عن القفال واختاره ان الدين ما كان ناقصا البتة بل كان ابدا كاملا
كانت الشرايع النازلة من عند الله كافية في ذلك اليوم الا انه تعالى كان عالما
في اول وقت البعثة بان ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في اول البعثة فانزل الله
شريعة كاملة وحكم ببقايها الي يوم القيامة فالشرع ابدا كان كاملا الي ان الاول
كمال الي يوم مخصوص والثاني كمال الي يوم القيامة فلاجل هذا المعنى قال اليوم
اكملت لكم دينكم ثم قال تعالى **وأتممت عليكم نعمتي** يعني باكمال الدين والشريعة
لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل
معناه انه تعالى انجز لهم ما وعدهم في قوله ولاتم نعمتي عليكم فكان من تمام النعمة
ان دخلوا مكة امنين وحجوا مطمينين لم يخالطهم احد من المشركين **ورضيت
لكم الاسلام دينا** يعني واخترت لكم الاسلام دينا من بين الاديان وقيل معناه
ورضيت لكم الاستسلام لامري والانقياد لطاعتي فيما شرعت لكم من الفرايض
والاحكام والحدود ومعالم الدين اكملته لكم وانما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام
دينا بيوم نزول هذه الاية وان كان الله تعالى لم يزل راضيا بدين الاسلام فيما مضى قبل
نزول هذه الاية لانه لم يزل يصرف نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين عباده من حال
الي حال وينقلهم من مرتبة الي مرتبة اعلى منها حتى اكمل لهم شرايع الدين ومعالمه
وبلغ بهم اقصى درجاته ومراتبه ثم انزل عليهم هذه الاية ورضيت لكم الاسلام دينا
يعني بالصفة التي هم بها اليوم وهي نهاية الكمال والتمام الان عليه فالزموه ولا تفارقوه
روى البغوي بسنده عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال جبريل قال الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخا
وحسن الخلق فاكرموه بهما ما صحبتموه وروى الطبري عن قتادة قال ذكر لنا انه
يمثل لاهل كل دين دينهم يوم القيامة فاما الايمان فيبشر اصحابه واهله ويعدهم
في الخير حتى يجي الاسلام فيقول يا رب انت السلام وانا الاسلام فيقول اياك
اليوم اقبل وبك اليوم اجزي وقوله تعالى **فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم**
هذه الاية من تمام ما تقدم ذكره في المطاعم التي حرمها الله تعالى ومتصلة بها
والمعنى ان المحرمات التي كانت محرمة الا انها قد تحل في حالة الاضطرار اليها ومن قوله
تعالى ذلكم فسق الي هنا اعتراض وقع بين الكلامين والغرض منه تاكيد ما تقدم
ذكره في معنى التحريم لان تحريم هذه الخبايث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة
والاسلام الذي هو المرضي عند الله ومعنى الاية فمن اضطر اي اجهد واصيب بالضر
الذي لا يمكنه معه الامتناع من اكل الميتة وهو قوله تعالى في مخمصة يعني في مجاعة
والمخمصة خلو البطن من الغذاء عند الجوع غير متجانف لاثم يعني غير مايل
الي اثم او متعمد فابيه والمعنى فمن اضطر الي اكل الميتة او الي غيرها في المجاعة

فليأكل



فليأكل غير متجانف لاثم وهو ان ياكل فوق الشبع وهو قول فقهاء العراق وقيل معناه
غير متعرض لمعصية في مقصده وهو قول فقهاء الحجاز **فان الله غفور رحيم** يعني
لمن اكل من الميتة في حال الجوع والاضطرار قوله عز وجل **يسئلونك ماذا احل
لهم** روى الطبري بسنده عن ابي رافع قال جاء جبريل الي النبي صلى الله عليه وسلم
يستاذن عليه فاذن له فلم يدخل فقال قد اذنا لك يا رسول الله قال اجل ولكنا
لا ندخل بيتا فيه كلب قال ابو رافع فامرني ان اقتل كل كلب بالمدينة ففعلت حتى
انتهيت الي امراة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جيت الي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبرته فامرني بقتله فرجعت الي الكلب فقتلته فجاوا الي النبي
صلى الله عليه وسلم فانزل الله يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم
من الجوارح مكلبين وروى عن عكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا رافع في
قتل الكلاب فقتل حتى بلغ العوالي فدخل عاصم وسعد بن ابي خيثمة وعويمر بن
ساعدة على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ماذا احل لنا فنزلت قل احل لكم
الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين قال ابن الجوزي واخرج حديث ابي رافع
الحاكم في صحيحه قال البغوي فلما نزلت هذه الاية اذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها ونهى عن امساك ما لا نفع فيه منها و عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امسك كلبا فانه ينقص كل يوم
من عمله قيراط الا كلب حرث وماشية ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اقتنى كلبا ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا ارض فانه ينقص من اجره قيراطان
كل يوم وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الاية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل
الطائيين وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا
يا رسول الله انا قوم نصيد بالكلاب وبالبزاة فماذا يحل لنا فنزلت هذه الاية
قال البغوي وهذا القول اصح في سبب نزولها واما التفسير فقوله تعالى
يسئلونك يعني يسالك اصحابك يا محمد ما الذي احل لهم اكله من الماكل والمطاعم
كانهم لما تلي عليهم من خبايث الماكل ما تلي سالوا عما احل لهم **قل احل لكم الطيبات**
يعني قل لهم يا محمد احل لكم الطيبات يعني ما ذبح على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات
كل ما تستطيبه العرب وتستلذه من غير ان يرد بتحريمه نص من كتاب او سنة
واعلم ان العبرة في الاستطابة والاستلذاذ باهل المروة والاخلاق الجميلة من
العرب فان اهل البادية منهم يستطيبون اكل جميع الحيوانات فلا عبرة بهم
ولقوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبايث فان الخبيث غير مستطاب
فصارت هذه الاية الكريمة نص فيما يحل ويحرم من الاطعمة وقوله تعالى **وما
علمتم من الجوارح مكلبين** يعني واحل صيد ما علمتم من الجوارح فحذف ذكر
الصيد وهو مراد في الكلام لدلالة الباقي عليه ولانهم سالوا عن الصيد وقيل
ان قوله وما علمتم من الجوارح ابتداء كلام جزاؤه فكلوا مما امسكن عليكم وعلى هذا

المقول بجميع معاني الكلام من غير اضمار والجوارح جمع جارحة وهي الكواسب من السباع
والطير كالفهد والنمر والكلب والبازي والصقر والعقاب والشاهين والباشق
من الطير مما يقبل التعليم سميت جوارح من الجرح لانها تجرح الصيد عند امساكه
وقيل سميت جوارح لانها تكتسب والجوارح الكواسب من جرح واجترح اذا اكتسب
ومنه قوله تعالى والذين اجترحوا السيئات يعني اكتسبوا وقوله ويعلم ما جرحتم
بالنهار اي كسبتم وقوله مكلبين يعني معلمين والمكلب هو الذي يغري الكلاب على الصيد
وقيل هو مؤدب الجوارح ومعلمها وانما اشتق له هذا الاسم من الكلب لانه اكثر اقتناء
الى التعليم من غيرها من الجوارح **تعلمونهن** يعني تعلمون الجوارح الاصطياد **مما
علمكم الله** يعني من العلم الذي علمكم الله ففي الاية دليل على انه لا يجوز صيد جارحة
ما لم تكن معلمة وصفة التعليم هو ان الرجل يعلم جارحة الصيد وذلك بان يوجد
فيها امور منها انها اذا ارسلت على الصيد استرسلت واذا زجرت انزجرت واذا
اخذت الصيد امسكت ولم تاكل منه شيئا ومنها ان لا يفر منه اذا اراد ان يجيبه
اذا دعاه فهذا هو تعليم جميع الجوارح فاذا وجد ذلك منها مرارا كانت معلمة واقلها
ثلاث مرات فانها يحل قتلها اذا جرحت بارسال صاحبها **ق** عن عدي بن حاتم قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انا قوم نصيد بهذه الكلاب فقال اذا
ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل مما امسك عليك الا ان ياكل الكلب فلا
تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه وان خالط كلابا لم يذكر اسم الله عليها
فامسكن وقتلن فلا تاكل فانما سميت على كلبك ولم تسم على غيره وفي رواية
فانك لا تدري ايها قتل وسالته عن صيد المعراض فقال اذا اصبت بحده فكل واذا
اصبت بعرضه فقتل فانه وقيذ فلا تاكل واذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم
او يومين ليس به الا اثر سهمك فكل فان وقع في الما فلا تاكل واختلف العلما فيما
اذا اخذت الكلاب الصيد واكلت منه شيئا فذهب اكثر اهل العلم الى تحريمه يروى
ذلك عن ابن عباس وهو قول عطا وطاوس والشعبي وبه قال الثوري وابن المبارك
واصحاب الراي وهو اصح قولي الشافعي ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وان اكل
فلا تاكل فانما امسك على نفسه ورخص بعضهم في اكله يروى ذلك عن ابن عمر وسلمان
الفارسي وسعد بن ابي وقاص وبه قال مالك لما روي عن ابي ثعلبة الخشني قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد الكلب اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله
عليه فكل وان اكل منه اخرجه ابو داود اما غير المعلم من الجوارح اذا اخذ صيدا
او المعلم اذا خرج بغير ارسال صاحبه فاخذ وقتل فانه لا يحل الا ان يدركه حيا
فيذبحه فيحل **ق** عن ابي ثعلبة الخشني قال قلت يا رسول الله انا بارض قوم اهل
كتاب افناكل في انيتهم وبارض صيد اصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم وبكلبي
المعلم فما يصلح لي قال اما ما ذكرت من انية اهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تاكلوا
فيها وان لم تجدوا غيرها فاغسلوها وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله





عليه فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك غير المعلم
فادركت ذكاته فكل وقوله تعالى **فكلوا مما امسكن عليكم** دخلت في قوله مما
للتبعيض لانه انما احل اكل بعض الصيد وهو اللحم دون الفرث والدم وقيل انه من
زايدة كقوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر **واذكروا اسم الله عليه** قال ابن عباس
يعني اذا ارسلت جارحك فقل بسم الله وان نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم لعدي اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله عليه فكل فعلى هذا يكون الضمير
في عليه عايدا الى ما علمتم من الجوارح اي سموا الله عليه عند ارساله وقيل الضمير
عايد الى ما امسكن عليكم والمعنى سموا الله عليه اذا ادركتم ذكاته وقيل يحتمل ان يكون
الضمير عايدا الى الاكل يعني واذكروا اسم الله عليه عند الاكل فعلى هذا تكون التسمية
شرطا عند ارسال الجوارح وعند الذبيحة وعند الاكل وسياتي بيان هذه المسئلة
في سورة الانعام عند قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه **واتقوا الله** يعني
واحذروا وخافوا نقمة الله يعني فيما احل لكم وحرم عليكم **ان الله سريع الحساب**
يعني اذا حاسب عباده يوم القيامة ففيه تخويف لمن خالف امره وفعل ما نهاه
عنه قوله عز وجل **اليوم احل لكم الطيبات** انما كرر احلال الطيبات للتاكيد
لانه قال اليوم احل لكم الطيبات التي سالتم عنها ويحتمل ان يراد باليوم اليوم
الذي انزلت فيه هذه الاية او اليوم الذي تقدم ذكره في قوله اليوم يئس الذين
كفروا من دينكم او اليوم اكملت لكم دينكم ويكون الغرض من هذا ذكر الحكم انه تعالى
قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فبين انه كما اكمل الدين واتم النعمة
باحلال الطيبات وقيل ليس المراد باليوم يوم معين وقد تقدم الكلام في ذلك
اليوم وفي معنى الطيبات في الاية المتقدمة قوله تعالى **وطعام الذين اوتوا
الكتاب حل لكم** يعني وذبايح اهل الكتاب حل لكم وهم اليهود والنصارى ومن
دخل في دينهم من ساير الامم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهم من تنصر من العرب
من بني تغلب فلا تحل ذبيحته روي عن علي بن ابي طالب قال لا تاكلوا من ذبايح نصارى
العرب بني تغلب فانهم لا يتمسكوا بشي من النصرانية الا بشرب الخمر وبه قال ابن مسعود
وهو مذهب الشافعي ان من دخل في دين اهل الكتاب بعد نزول القران فانه لا تحل
ذبيحته وسئل ابن عباس عن ذبايح نصارى العرب فقال لا باس به ثم قرا ومن يتولهم
منكم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطا بن ابي رباح والشعبي وعكرمة وقتادة والزهري
والحكم وحماد وهو مذهب ابي حنيفة ومالك واحدى الروايتين عن احمد والرواية الاخرى
مثل مذهب الشافعي واجمعوا على تحريم ذبايح المجوس وساير اهل الشرك من مشركي
العرب وعبدة الاصنام ومن لا كتاب له واجمعوا على ان المراد بطعام الذين اوتوا
الكتاب ذبايحهم خاصة لان ما سوى الذبايح فهي محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب
وبعد ان صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فايدة ولان ما قبل هذه الاية في
بيان حكم الصيد والذبايح فحمل هذه الاية عليه اولى ولان ساير الطعام لا يختلف من

تولاه من كتابي او غيره وانما الخلاف في الذكاة فلما خص اهل الكتاب بالذكر دل على ان المراد بطعامهم ذبايحهم واختلف العلما فيما لو ذبح يهودي او نصراني على غير اسم الله فقال ابن عمر لا يحل ذلك وهو قول ربيعة وذهب اكثر اهل العلم الى انه يحل وسيل الشعبي وعطا عن النصراني يذبح باسم المسيح فقال لا يحل فان الله قد احل ذبايحهم وهو يعلم ما يقولون وقال الحسن اذا ذبح اليهودي والنصراني وذكر غير اسم الله وانت تسمع فلا تاكل واذا غاب عنك فكل فقد احله الله لك وقد زعم قوم ان هذه الاية اقتضت اباحة ذبايح اهل الكتاب مطلقا وان ذكروا غير اسم الله فيكون هذا ناسخا لقوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وليس الامر كذلك ولا نسخ لان الاصل انهم يذكرون الله عند الذبح فيحمل امرهم على هذا فان تيقنا انهم ذبحوا على غير اسم الله لم ناكله ولا وجه للنسخ وقوله تعالى **وطعامكم حل لهم** يعني اذ ذبايحنا لهم حلال وهذا يدل على انهم مخاطبون بشريعتنا وقال الزجاج معناه ويحل لكم ان تطعموهم من طعامكم فجعل الخطاب للمومنين على معنى ان التحليل يعود الى اطعامنا اياهم لا اليهم لانه لا يمتنع ان يحرم الله تعالى ان يطعمهم من ذبايحنا وقيل ان الفايدة في ذكر ذلك ان اباحة المناكحة غير حاصلة من الجانبين واباحة الذبايح كانت حاصلة في الجانبين لا جرم ذكر الله ذلك تنبيها على التمييز بين النوعين ثم قال تعالى **والمحصنات من المومنات** قال مجاهد من الحراير فعلى هذا القول لا تدخل الامة المومنة في هذا التحليل ومن اجاز نكاحهن اجازه بشرطين خوف العنت وعدم طول الحرة وقال ابن عباس المحصنات العفايف فعلى هذا القول لا يحل نكاح الزانية لانها لا تدخل في هذا التحليل واباح العلما نكاحها اذا تابت وحسنت توبتها روي عن طارق بن شهاب ان رجلا اراد ان يزوج اخته فقالت اني اخشى ان افضحك اني قد بغيت فاتى عمر فذكر له ذلك منها فقال اليس قد تابت قال بلى قال فزوجها وقيل انما خص المحصنات بالذكر وهن الحراير والعفايف بعث المومنين على تخيير النسا ليكون الولد كريم الاصل من الطرفين وقوله تعالى **والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** يعني واحل لكم المحصنات من اهل الكتاب اليهود والنصارى قال ابن عباس يعني الحراير من اهل الكتاب وقال الحسن والشعبي والنخعي والضحاك يريد العفايف من اهل الكتاب فعلى قول ابن عباس لا يجوز التزوج بالامة الكتابية وهو مذهب الشافعي قال لانه اجتمع في حقها نوعان من النقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز التزوج بالامة الكتابية وهو مذهب ابي حنيفة لعموم هذه الاية واختلف العلما في هذه المسيلة فذهب جمهور الفقها الى جواز التزوج بالذميات من اليهود والنصارى روي عن عثمان بن عفان تزوج نايلة بنت الفرافصة على نسايه وهي نصرانية وان طلحة بن عبيد الله تزوج يهودية وروي عن ابن عمر كراهية ذلك ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يومن وكان يقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى واجاب الجمهور عن قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يومن بانه عام خص بهذه الاية

فاباح



فاباح الله تعالى المحصنات من اهل الكتاب وحرم من سواهن من اهل الشرك وقال سعيد بن المسيب والحسن يجوز التزوج بالذميات والحربيات من اهل الكتاب لعموم قوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واجاب جمهور العلما بان ذلك مخصوص بالذميات دون الحربيات من اهل الكتاب قال ابن عباس من نسا اهل الكتاب من يحل لنا ومنهن من لا يحل لنا وقرا قاتلوا الذين لا يومنون بالله الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون والمراد بهم اهل الذمة دون اهل الحرب من اهل الكتاب وقوله **اذا اتيتموهن اجورهن** يعني مهورهن وهو العوض الذي يبذله الزوج للمراة **محصنين غير مسافحين** يعني متعففين بالتزوج غير زانيين **ولا متخذي اخدان** يعني ولا منفردين ببغية واحدة قد خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وحد حرم الله الجماع على جهة السفاح وهو الزنا واتخاذ الصديق وهو الاخدان واحله على جهة الاحصان وهو التزوج بعقد صحيح **ومن يكفر بالايمان** يعني ومن يجحد ما امر الله به من توحيده ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جا به من عند الله **فقد حبط عمله** يعني فقد بطل ثواب عمله الذي كان عمله في الدنيا وخاب وخسر في الدنيا والاخرة وقيل في معنى الاية ومن يكفر بشرايع الايمان وتكاليفه فقد خاب وخسر وقال قتادة ذكر لنا ان ناسا من المسلمين قالوا كيف نتزوج نساهم يعني نسا اهل الكتاب وهم على غير ديننا فانزل الله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله **وهو في الاخرة من الخاسرين** وقيل لما اباح الله نكاح الكتابيات قلن فيما بينهن لولا ان الله قد رضي اعمالنا لم يبح للمومنين تزويجنا فانزل الله هذه الاية والمعنى ان تزويج المسلمين اياهن ليس بالذي يخرجهن من الكفر وقيل ان اهل الكتاب وان حصلت لهم في الدنيا فضيلة باباحة ذبايحهم ونكاح نسايهن الا ان ذلك غير حاصل لهم في الاخرة لان كل من كفر بالله او جحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين وقيل ان من احل ما حرم الله وحرم ما احل الله او جحد شيا مما انزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم وهو في الاخرة من الخاسرين اذا مات على ذلك وهذا الشرط لا بد منه لانه اذا تاب من قبل الموت قبلت توبته وصح ايمانه قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة** يعني اذا اردتم القيام الى الصلاة ومثله قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله اي اذا اردت قراءة القران فاستعذ بالله ومثله من الكلام اذا اتجرت فاتجر في البر اي اذا اردت التجارة وعلى هذا القول يقتضي وجوب الوضوء عند كل صلاة وهو ظاهر الاية ومذهب داود الظاهري وذهب جمهور العلما من الصحابة فمن بعدهم الى انه يجزي عدة صلوات بوضوء واحد واجيب عن ظاهر الاية بان المعنى اذا قمتم الى الصلاة وانتم على غير طهر فحذف ذلك لدلالة المعنى عليه وهذا احد اختصارات القران وهو كثير جدا ولان النبي صلى الله عليه وسلم جمع يوم الخندق بين اربع صلوات بوضوء واحد ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة احدكم اذا احدث حتى يتوضا اخرجاه في الصحيحين وقيل في معنى الاية اذا قمتم الى الصلاة

من النوم وقيل هو امر ندب من قام الى الصلاة ان يجدد لها طهارة وان كان
على طهر ويدل عليه ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ
على طهر كتب الله له به عشر حسنات اخرجه الترمذي وقيل هذا اعلام من الله
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا وضوء عليه الا اذا قام الى الصلاة دون غيرها
من الاعمال ويدل عليه ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
يوما من الخلاء فقدم اليه طعام فقالوا الا نأتيك بوضوء فقال انما امرت بالوضوء
اذا قمت الى الصلاة اخرجه مسلم والقول الاول هو المختار في معنى الاية وفروض
الوضوء المذكورة في هذه الاية اربعة الاول وهو غسل الوجه وهو قوله تعالى
**فاغسلوا وجوهكم** واستدل الشافعي على وجوب النية عند غسل الوجه بهذه
الاية ووجهه ان الوضوء مامور به وكل ما هو مامور به يجب ان يكون منويا ولما روي في
الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الاعمال بالنيات
وانما لكل امرئ ما نوى والوضوء من الاعمال فيجب ان يكون منويا وانما قلنا ان
الوضوء مامور به وانه من اعمال الدين قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء والاخلاص عبارة عن النية الخالصة ومتى كانت النية الخالصة معتبرة
كان اصل النية جميع الاعمال التي يتقرب بها الى الله تعالى معتبرا واستدل ابو حنيفة
لعدم وجوب النية في الوضوء بهذه الاية قال ان النية ليست شرطا لصحة الوضوء
لان الله تعالى اوجب غسل الاعضاء الاربعة في هذه الاية ولم يوجب النية فيها فايجاب
النية زيادة على النص والزيادة على النص نسخ ونسخ القران بخبر الواحد وبالقياس
غير جائز والجواب عنه وبانا انما اوجبنا النية في الوضوء بدلالة القران وهو قوله
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين واما حد الوجه فمن منابت شعر الراس
الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا لانه ماخوذ من المواجهة فيجب غسل
جميع الوجه في الوضوء ويجب ايصال الماء الى ما تحت الحاجبين واهداب العينين والعذارين
والشارب والعنفقة وان كانت كثة واما اللحية فان كانت كثة لا ترى البشرة
من تحتها لا يجب غسل ما تحتها ويجب غسل ما تحت اللحية الخفيفة وهل يجب امرار
الماء على ظاهر ما نزل من اللحية عن الذقن فيه قولان احدهما وبه قال ابو حنيفة لا يجب
لان الشعر النازل عن حد الراس لا يكون حكمه حكم الراس في المسح وكذلك حكم
الشعر النازل عن حد الوجه والقول الثاني يجب امرار الماء على ظاهره لان الوجه
ماخوذ من المواجهة فيدخل فيه جميع اللحية في حكم الوجه والفرض الثاني قوله تعالى
**وايديكم الى المرافق** يعني واغسلوا ايديكم الى المرافق والمرفق بالكسر هو من الانسان
اعلى الذراع واسفل العضد وذهب جمهور العلماء الى وجوب ادخال المرفقين في الغسل
ونقل عن مالك والشافعي وزفر وابي بكر بن داود الظاهري انه لا يجب ادخال المرفقين
في الغسل واختاره ابن جرير الطبري ونقل عن مالك وقد سئل عن قول الله عز وجل
فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق فقال الذي امر به ان يبلغ المرفقين في

الغسل




الغسل لا يجاوزهما وحجة اصحاب هذا القول ان كلمة الى لانتهاء الغاية وما جعل غاية
للحكم يكون خارجا عنه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل ولان الحد لا يدخل
في المحدود فوجب ان لا يجب غسل المرفقين في الوضوء وحجة الجمهور ان حرف الى هنا
بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي مع اموالكم ويعضده من
السنة ما صح من حديث ابي هريرة انه توضأ فغسل وجهه فاسبغ الوضوء ثم غسل
يده اليمنى حتى شرع في العضد ثم يده اليسرى حتى شرع في العضد ثم قال هكذا
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ والجواب عن الحجة المتقدمة ان الحد اذا
كان من جنس المحدود دخل فيه كما في هذه الاية لان المرفق من جنس اليد واذا لم يكن
من جنس المحدود لم يدخل فيه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل لان النهار من
غير جنس الليل فلا يدخل فيه الفرض الثالث قوله تعالى **وامسحوا برؤوسكم**
اختلف العلماء في القدر الذي يجب مسحه من الراس فقال مالك يجب مسح جميعه
وهو احدى الروايتين عن احمد والرواية الاخرى عنه يجب مسح اكثره وقال ابو حنيفة
يجب ربعه وفي رواية اخرى يجب مسح الواجب مسح ما ينطلق عليه اسم المسح
[هامش: قدر ثلاث اصابع مضمومة وقال الشافعي]
والمراد الصاق المسح بالراس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح
بالراس فاخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب واخذ الشافعي باليقين فاوجب
مسح ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة ببيان السنة وهو ما روي عن المغيرة بن
شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح بناصيته وعلى العمامة والخفين متفق عليه
وقدر الناصية بربع الراس الفرض الرابع قوله تعالى **وارجلكم الى الكعبين** اختلف
العلماء في هذا الحكم وهل فرض الرجلين المسح او الغسل فروي عن ابن عباس انه قال
الوضوء غسلتان ومسحتان ويروى ذلك عن قتادة ايضا وروي عن انس انه قال
نزل القران بالمسح والسنة بالغسل وعن عكرمة قال ليس على الرجلين غسل انما
نزل فيهما المسح وعن الشعبي انه قال انما هو المسح على الرجلين الا ترى انه ما كان عليه
الغسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح اهمل وهو مذهب الامامية من الشيعة ان
الواجب في الرجلين المسح وقال جمهور العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم والائمة
الاربعة واصحابهم ان فرض الرجلين هو الغسل وقال داود الظاهري يجب الجمع بينهما
وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري المكلف مخير بين الغسل والمسح وسبب هذا
الاختلاف اختلاف القراء في هذا الحرف فقرا نافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم
وارجلكم بفتح اللام عطفا على الغسل فيكون من المؤخر الذي معناه التقديم ويكون
المعنى فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وارجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤوسكم
وقال اصحاب هذه القراءة انما امر الله عباده بغسل الارجل دون مسحها ويدل عليه ايضا
فعل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين فمن بعدهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة
وابو بكر عن عاصم وارجلكم بكسر اللام عطفا على المسح اما قراءة النصب فالمعنى فيها ظاهر
لانه عطف على المغسول لوجوب غسل الرجلين على مذهب الجمهور فلا يقدح فيه قول

من خالف وأما قراءة الكسر فقد اختلفوا في معناه والجواب عنه فقال أبو حاتم وابن الأنباري
وأبو علي الكسر عطف على الممسوح غير أن المراد بالمسح بالأرجل الغسل وقال أبو زيد المسح
خفيفا الغسل تقول العرب تمسحت للصلاة بمعنى توضأت لها وهات ما أتمسح به
للصلاة بمعنى أتوضأ قال أبو حاتم وذلك أن المتوضي لا يرضى بصب الماء على أعضائه حتى
يمسحها مع الغسل فسمي الغسل مسحا بهذا الاعتبار فعلى هذا الرأس والرجل ممسوحان
إلا أن مسح الرأس أخف والذي يدل على أن المراد بالمسح في الرجل ذكر التحديد وهو قوله
تعالى إلى الكعبين لأن التحديد إنما جاء في المغسول ولم يجي في الممسوح فلما وقع التحديد
مع المسح علم أنه في حكم الغسل وقال جماعة من العلماء أن الأرجل معطوفة على الرؤس
في الظاهر والمراد فيها الغسل لأنه قد ينسق بالشيء على غيره والحكم فيهما مختلف قال
الشاعر

يا ليت بعلك قد غدا • متقلدا سيفا ورمحا

والمعنى حاملا رمحا لأن الرمح لا يتقلد به وكذلك قول الآخر علفتها تبنا وماء باردا
يعني وسقيتها ماء باردا وكذلك المعنى في الآية وامسحوا برؤسكم واغسلوا أرجلكم
فلما لم يذكر الغسل وعطف الأرجل على الرؤس في الظاهر اكتفى بقيام الدليل على
أن الأرجل مغسولة من مفهوم الآية والأحاديث الصحيحة الواردة بغسل الرجلين
في الوضوء وأما من جعل كسر اللام في الأرجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم
جحر ضب خرب وقال الخرب نعت للجحر لا للضب وإنما أخذ إعراب الضب للمجاورة فليس بجيد
لأن الكسر على المجاورة إنما يحمل لأجل الضرورة في الشعر ويصار إليه حيث يحصل الأمن من
الالتباس لأن الخرب لا يكون نعتا للضب بل للجحر ولأن الكسر بالجوار إنما يكون بدون حرف
العطف أما مع حرف العطف فلم يتكلم به العرب وقوله تعالى إلى الكعبين فيه دليل قاطع
على وجوب غسل الرجلين كما في قوله تعالى وأيديكم إلى المرافق والمعنى واغسلوا أرجلكم
مع الكعبين وقد تقدم اختلاف العلماء في ذلك عند قوله إلى المرافق والكعبان هما
العظمان الناشزان عند مفصل الساق والقدم هذا قول جمهور العلماء من أهل الفقه
واللغة وشذ الشيعة ومن قال بمسح الرجلين فقالوا الكعب عبارة عن عظم مستدير
على ظهر القدم ويدل على بطلان هذا القول أن الكعب لو كان على ما ذكروه لكان في كل
رجل كعب واحد فكان ينبغي أن يقال وأرجلكم إلى الكعاب كما في قوله وأيديكم إلى المرافق
فلما قال إلى الكعبين علم أن لكل رجل كعبين فبطل ما قالوه وثبت قول الجمهور

## فصل

قد تقدم أن الفروض المذكورة في هذه الآية أربعة وهي غسل الوجه وغسل اليدين
إلى المرفقين ومسح الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين وقد تقدم استدلال الشافعي
بهذه الآية على وجوب النية في الوضوء فصارت فرضا خامسا وذهب الشافعي ومالك
وأحمد إلى وجوب الترتيب في الوضوء وهو أن يغسل الأعضاء في الوضوء على الولاء كما
ذكره الله في الآية فيغسل أولا وجهه ثم يديه ثم يمسح رأسه ثم يغسل رجليه
فصار الترتيب فرضا سادسا وذهب أبو حنيفة إلى أن الترتيب في الوضوء غير واجب

احتج

احتج الشافعي على وجوب الترتيب بهذه الآية وذلك أن الله تعالى أمر بغسل الوجه
ثم بغسل اليدين ثم بمسح الرأس ثم بغسل الرجلين فوجب أن يقع الفعل مرتبا
كما أمر الله تعالى ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث حجة الوداع ابدأوا بما بدأ الله به
وهذا الحديث وإن ورد في قصة السعي بين الصفا والمروة فإن العبرة بعموم اللفظ لا
بخصوص السبب ولأن أفعال النبي صلى الله عليه وسلم في الوضوء ما وردت إلا مرتبة
كما وردت في نص الآية ولم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة أنه توضأ منكسا أو غير مرتب
فثبت أن ترتيب أفعال الوضوء كما أمر الله ونص عليه في هذه الآية واجب واحتج أبو
حنيفة لمذهبه بهذه الآية أيضا وذلك أن الواو لا توجب الترتيب فإذا قلنا بوجوب
الترتيب صار ذلك زيادة على النص وذلك لا يجوز وأجيب عنه بأنه لم ينقل عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه توضأ إلا مرتبا كما ذكر وبيان الكتاب إنما يؤخذ من السنة

## فصل

في ذكر الأحاديث التي وردت في صفة الوضوء وفضله ق عن حمران مولى عثمان دعا بإناء
فأفرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم أدخل يمينه في الإناء فمضمض واستنشق
ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه إلى المرفقين ثلاث مرار ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه
ثلاث مرار إلى الكعبين ثم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ نحو وضوئي هذا
ثم قال من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم
من ذنبه ق عن عبد الله بن زيد بن عاصم الأنصاري قيل له توضأ لنا وضوء رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدعا بإناء فأفرغ منه على يديه ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فمضمض
واستنشق من كف واحد ففعل ذلك ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل وجهه
ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل يديه إلى المرفقين مرتين مرتين ثم أدخل
يده فاستخرجها فمسح برأسه فأقبل بيديه وأدبر ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثم
قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد في رواية بعد قوله فأقبل
بيديه وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان
الذي بدأ منه عن عبد خير قال أتانا علي كرم الله وجهه وقد صلى فدعا بطهور فقلنا
ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد إلا ليعلمنا فأتى بإناء فيه ماء وطست فأفرغ من
الإناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق ثلاثا فمضمض ونثر من الكف
يأخذ منه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل الشمال ثلاثا ثم جعل
يده في الإناء فمسح رأسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله الشمال ثلاثا
ثم قال من سره أن يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا أخرجه أبو داود
عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
كيف الطهور فدعا بماء في إناء فغسل كفيه ثلاثا ثم غسل وجهه ثلاثا ثم غسل
ذراعيه ثلاثا ثم مسح برأسه فأدخل إصبعيه السباحتين في أذنيه ومسح بإبهاميه
على ظاهر أذنيه ثم غسل رجليه ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا الوضوء فمن زاد على هذا
أو نقص فقد أساء وظلم أو قال ظلم وأساء أخرجه أبو داود وعن ابن عباس أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم مسح براسه واذنيه ظاهرهما وباطنهما اخرجه الترمذي وصححه ق
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم راي رجلا لم يغسل عقبه فقال له ويل للاعقاب
من النار م عن جابر قال اخبرني عمر بن الخطاب ان رجلا توضا فترك موضع ظفر على قدمه
فابصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارجع فاحسن وضوءك قال فرجع فتوضا ثم
صلى اخرجه مسلم عن خالد عن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم
راى رجلا يصلي وفي قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الما فامره النبي صلى الله عليه وسلم
ان يعيد الوضوء والصلاة اخرجه ابو داود ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
تخلف عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها فادركنا وقد ارهقتنا
الصلاة ونحن نتوضا فجعلنا نمسح على ارجلنا فنادى باعلى صوته ويل للاعقاب من
النار مرتين او ثلاثا وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا مرة مرة اخرجه
البخاري عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا مرتين مرتين اخرجه ابو داود
والترمذي وقال وقد روي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا ثلاثا ثلاثا اخرجه
البخاري م عن عقبة بن عامر قال كانت علينا رعاية الابل فجات نوبتي ارعاها فروحتها
بعشي فادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قايما يحدث الناس فادركت من قوله
ما من مسلم يتوضا فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين يقبل عليهما بوجهه
وقلبه الا وجبت له الجنة فقلت ما اجود هذا فاذا قايل بين يدي يقول التي قبلها
اجود فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال اني قد رايتك جيت انفا قال ما منكم من
احد يتوضا فيبلغ الوضوء او يسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية
يدخل من ايها شاء عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا توضا العبد
المسلم او المومن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الما او مع
اخر قطر الما فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الما او مع
اخر قطر الما فاذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الما او مع اخر
قطر الما حتى يخرج نقيا من الذنوب ق عن نعيم بن عبد الله المجمر عن ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان امتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من اثار الوضوء فمن
استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل وفي رواية قال رايت ابا هريرة يتوضا فغسل
وجهه فاسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى اشرع في العضد ثم غسل يده اليسرى
حتى اشرع في العضد ثم مسح راسه ثم غسل رجله اليمنى حتى اشرع في الساق ثم
غسل رجله اليسرى حتى اشرع في الساق ثم قال هكذا رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتوضا وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم الغر المحجلون يوم القيامة
من اسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله وفي رواية لمسلم قال
سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المومن حيث يبلغ الوضوء ق عن ابي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضا على طهر كتب الله له به عشر حسنات اخرجه الترمذي

ح



خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء
لمن لم يذكر اسم الله عليه اخرجه ابو داود وابن ماجه وقوله تعالى **وان كنتم**
**جنبا فاطهروا** اي اغتسلوا امر الله بالاغتسال من الجنابة وذلك يجب على الرجل
والمراة باحد شيين اما بخروج المني على اي صفة كان من الاحتلام او غيره او بالتقا
الختانين وان لم يكن معه انزال فاذا حصل وجب الغسل ق عن عايشة ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة بدا يغسل يديه ثم يفرغ بيمينه على
شماله فيغسل فرجه ثم يتوضا كما يتوضا للصلاة ثم يدخل اصابعه في الما فيخلل بهما
اصول شعره ثم يصب على راسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الما على ساير جسده
اما قوله تعالى **وان كنتم مرضى او على سفر او جا احد منكم من الغايط او**
**لامستم النسا فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه**
فقد تقدم تفسيره واحكامه في تفسير سورة النسا وفي قوله تعالى منه دليل
على انه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب وقوله تعالى **ما يريد**
**الله ليجعل عليكم من حرج** يعني من ضيق مما فرض عليكم من الوضوء والغسل
والتيمم عند عدم الما **ولكن يريد ليطهركم** يعني من الاحداث والذنوب
والخطايا لان الوضوء تكفير للذنوب **وليتم نعمته عليكم** يعني ببيان الشرايع
والاحكام وما تحتاجون اليه من امر دينكم **لعلكم تشكرون** يعني تشكرون
نعمته عليكم بان طهركم من الاحداث والذنوب وما جعل عليكم في الدين من حرج
قوله تعالى **واذكروا نعمة الله عليكم** يعني ما انعم به عليكم من النعم كلها لان كثرة
النعم وذكرها يوجب مزيد الشكر من المنعم عليه والاشتغال بطاعة المنعم بها والانقياد
لامره وهو الله تعالى **وميثاقه الذي واثقكم به** يعني واذكروا عهده الذي
عاهدكم به ايها المومنون **اذ قلتم سمعنا واطعنا** وذلك حين بايعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما احبوا وكرهوا وقيل الميثاق هو الذي
اخذه عليهم في يوم الست بربكم قالوا بلى **واتقوا الله** يعني فيما اخذه عليكم
من الميثاق فلا تنقضوه **ان الله عليم بذات الصدور** يعني انه تعالى عالم بما في
قلوب عباده من خير وشر قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله**
قال ابن عباس يريد انهم يقومون لله بحقه ومعنى ذلك هو ان يقوموا لله بالحق
في كل ما يلزمهم القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه **شهدا بالقسط**
يعني يشهدون بالعدل يقول لا تحاب في شهادتك اهل ودك وقرابتك
ولا يمنع شهادتك اهل بغضك واعدايك بل اقم شهادتك لهم وعليهم بالصدق والعدل
**ولا يجرمنكم شنان قوم** ولا يحملنكم بغض قوم **على الا تعدلوا** على ترك
العدل فيهم لعداوتهم **اعدلوا** امر الله بالعدل في كل احد القريب والبعيد
والصديق والعدو **هو اقرب للتقوى** اي العدل اقرب للتقوى **واتقوا**
**الله ان الله خبير بما تعملون** يعني انه تعالى خبير بجميع اعمالكم مطلع عليها خبير

بمن عدل ومن لم يعدل قوله تعالى **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات** يعني
عملوا بما أمرهم الله به ووفوا بالعهود التي عاهدهم عليها **لهم مغفرة وأجر عظيم**
هذا بيان للوعد كأنه لما قدم ذكر الوعد فقيل أي شيء هذا الوعد فقال لهم مغفرة وأجر
عظيم وإذا وعدهم أنجز لهم الوعد فإنه تعالى لا يخلف الميعاد **والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا** يعني والذين جحدوا وحدانية الله ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بما
جاءت به الرسل من عنده **أولئك** يعني من هذه صفتهم **أصحاب الجحيم** هذه الآية نص
قاطع في أن الخلود في النار ليس إلا للكفار لأن المصاحبة تقتضي الملازمة كما يقال
فلان صاحب فلان يعني لا يفارقه قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة
الله عليكم** يعني اذكروا نعمة الله عليكم بالدفع عنكم مع سائر نعمه التي أنعم بها عليكم
ثم وصف تلك النعمة التي ذكرهم بها وأمرهم بالشكر عليها فقال تعالى **إذ هم قوم
أن يبسطوا إليكم أيديهم** يعني بالقتل والبطش بكم وصرفهم عنكم وحال بينكم
وبين ما أرادوه بكم ثم اختلف أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية وفي صفة هذه
النعمة التي أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بذكرها والشكر عليها فقال قتادة
نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخل حين أراد بنو ثعلبة
وبنو محارب أن يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه إذا اشتغلوا بالصلاة
فأطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وأنزل صلاة الخوف وقال الحسن كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصرًا غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم أن أقتل
محمدًا قالوا وكيف تقتله قال أفتك به قالوا وددنا أنك فعلت ذلك فأتى النبي صلى الله
عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم متقلد بسيفه فقال يا محمد أرني سيفك فأعطاه إياه
فجعل الرجل يهز السيف وينظر إليه مرة وإلى النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال من
يمنعك مني يا محمد قال الله فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغمد السيف
ومضى فأنزل الله هذه الآية وقال مجاهد وعكرمة والكلبي بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم المنذر بن عمرو الساعدي وهو أحد النقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكبًا من
المهاجرين والأنصار إلى بني عامر بن صعصعة فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل على بئر
معونة وهي من مياه بني عامر فاقتتلوا فقتل المنذر وأصحابه إلا ثلاثة نفر كانوا
في طلب ضالة لهم أحدهم عمرو بن أمية الضمري فلم يرعهم إلا والطير تحوم في السماء
يسقط من بين مناقيرها علق الدم فقال أحد النفر الثلاثة قتل أصحابنا ثم تولى
يشتد حتى لقي رجلًا من المشركين فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع رأسه
إلى السماء وفتح عينيه وقال الله أكبر الجنة ورب العالمين ورجع صاحباه فلقيا رجلين
من بني سليم وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبينهما موادعة فانتسبا إلى بني عامر فقتلاهما
وقدم قومهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه
أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الأشرف
وبني النضير يستعينونهم في عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ترك



القتال وعلى أن يعينوه في الديات وقيل أرادوا أن يستقرض منهم دية رجلين فقالوا نعم
يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي
سألت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخلا بعض اليهود ببعض وقالوا إنكم
لن تجدوه أقرب منه الآن فمن يظهر منكم على هذا البيت ويطرح عليه صخرة فيريحنا
منه فقال عمرو بن جحاش أنا فجاء إلى رحى عظيمة ليطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم فأمسك
الله يده فنزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم
راجعًا إلى المدينة وقال لعلي لا تبرح مكانك حتى يخرج إليك أصحابي فمن خرج إليك منهم وسألك عني فقل
توجه إلى المدينة ففعل ذلك علي حتى تتاموا إليه ثم تبعوه إلى المدينة وأنزل الله
عز وجل الآية هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم يعني
اليهود أن يبسطوا إليكم أيديهم يقال بسط يده إليه إذا بطش به وهو إذا مد
إلى المبطوش به ليقتله **فكف أيديهم عنكم** يعني أنه تعالى منعهم مما أرادوه
بكم **واتقوا الله** يعني فيما أمركم به ونهاكم عنه **وعلى الله فليتوكل
المؤمنون** أمر الله تعالى المؤمنين بالتوكل عليه لأنه هو الكافي عباده جميع أمورهم
فإذا فعلوا ذلك وتوكلوا عليه حفظهم ورعاهم ممن أرادهم بسوء كما كف أيدي
اليهود عنهم لما أرادوا أن يفتكوا بهم وهذه القصة أولى بالصواب لأنه عقب الآية
بذم اليهود وذكر قبيح أفعالهم وخياناتهم وذلك قوله تعالى **ولقد أخذ الله ميثاق
بني إسرائيل** لما ذكر الله في الآية المتقدمة بعض غدرات اليهود وما أرادوا به
من كيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أتبعهم بذكر أسلافهم وما نقضوه من
المواثيق والعهود ومعنى الآية أن الله أخذ ميثاقهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا
وأن يعملوا بما في التوراة من الأحكام والتكاليف **وبعثنا منهم اثني عشر نقيبًا**
اختلف العلماء في معنى النقيب فقال ابن عباس النقيب الضمين وقال قتادة هو
الشهيد على قومه وقيل هو الأمين الكفيل وقيل هو الباحث عن القوم وعن أحوالهم
ذكر القصة في ذلك قال أصحاب الأخبار والسير إن الله عز وجل وعد موسى عليه السلام
أن يورثه وقومه الأرض المقدسة وكان سكنها الكنعانيون الجبارون فأمر الله
أن يسير بني إسرائيل إلى الأرض المقدسة فإني قد كتبتها لكم دارًا وقرارًا فاخرج
إليها وجاهد من فيها من العدو فإني ناصرك عليهم وخذ من قومك اثني عشر نقيبًا
من كل سبط نقيبًا يكون كفيلًا على قومه بالوفاء منهم على ما أمروا به فاختار موسى
النقباء وسار ببني إسرائيل حتى قربوا من أريحا وهي مدينة الجبارين فبعث هؤلاء
النقباء يتجسسون له الأخبار ويعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج
بن عناق وعناق هي أمه وهي إحدى بنات آدم عليه السلام وكان طوله ثلاثة
آلاف ذراع وثلاثمائة وثلاثة وثلاثون ذراعًا وثلث ذراع هكذا نقله البغوي
وفيه نظر لأن آدم عليه السلام كان طوله على ما ورد في الأحاديث الصحيحة ستون

ذراعا قال وكان عوج يحتجز بالسحاب ويشرب من مائه ويتناول الحوت من قعر البحر
ويشويه في عين الشمس ويروى ان الماء ما طبق على الارض من جبل وغيره ما بلغ ركبتي
عوج وقال لنوح عليه السلام احملني معك في سفينتك فقال له نوح اخرج عني يا عدو الله
فاني لم اؤمر بك وعاش عوج ثلاثة آلاف سنة حتى اهلكه الله على يد موسى عليه السلام
وذلك انه قد حمل صخرة من الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا في فرسخ وحملها على
راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فنقب الصخرة وقورها بمنقاره فوقعت
في عنقه فصرعته واقبل موسى عليه السلام عليه وهو مصروع فقتله قال فلما لقي
عوج النقباء فاخذهم وجعلهم في حجزته وكان على راسه حزمة حطب وانطلق بهم الى
امرأته وقال لها انظري الى هؤلاء الذين يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال
الا اطحنهم برجلي فقالت امرأته بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا وقيل انه جعلهم
في كمه واتى بهم الى الملك فنثرهم بين يديه فقال لهم الملك ارجعوا الى قومكم فاخبروهم
بما رأيتم وكان مما رأوا ان العنقود من العنب لا يحمله الا خمسة انفس بينهم في خشبة
ويدخل في شطر الرمانة اذا نزع منها حبها خمسة انفس فرجع النقباء وقال بعضهم
لبعض يا قوم انكم ان اخبرتم بني اسرائيل خبر القوم رجعوا عن نبي الله موسى ولا يقاتلونهم
معه اكتموا عن بني اسرائيل خبر القوم واخبروا موسى وهارون بما رأيتم فيريان رأيهما
فاخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك فلما رجعوا الى بني اسرائيل نكثوا العهد
والميثاق واخبر كل رجل سبطه بما رأى الا رجلان منهم وهم يوشع بن نون وكالب
ابن يوفنا فانهما وفيا بالعهد ولم ينكثا الميثاق فذلك قوله تعالى ولقد اخذ الله
ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا **وقال الله اني معكم** فيه حذف تقديره
وقال الله للنقباء اني معكم يعني بالنصر والمعونة وقيل هو خطاب لعامة بني اسرائيل والقول
الاول اولى لان الضمير يعود الى اقرب مذكور فكان عوده الى النقباء اولى ثم ابتدأ
الكلام فقال مخاطبا لبني اسرائيل **لئن اقمتم الصلاة** وهذه جملة شرطية
فالشرط مركب من خمسة امور وهي قوله تعالى لئن اقمتم الصلاة **وآتيتم الزكاة
وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا** وجزاء الشرط قوله تعالى
**لاكفرن عنكم سيئاتكم** فذلك اشارة الى ازالة العذاب وقوله تعالى
**ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار** واشارة الى ايصال الثواب ومعنى
الآية لئن اقمتم الصلاة المكتوبة وآتيتم الزكاة المفروضة وآمنتم برسلي يعني
بجميع رسلي وانما اخر ذكر الايمان بالرسل لان اليهود كانوا مقرين باقام الصلاة
وايتاء الزكاة والايمان ببعض الرسل فقال الله لهم انه لا يتم لكم ذلك ولا يحصل
المقصود الا بالايمان بجميع الرسل وقوله تعالى وعزرتموهم يعني نصرتموهم واصل
التعزير في اللغة الردع فمعنى وعزرتموهم نصرتموهم بان تردوا اعداءهم عنهم
وقيل معناه وقرتموهم وعظمتموهم والقول هو الاول واقرضتم الله قرضا حسنا
يعني به الصدقات المندوبة لان الزكاة تقدم ذكرها فلا فائدة في تفسير





هذا القرض بالزكاة فان قلت كيف قال واقرضتم الله قرضا حسنا ولم يقل اقراضا
حسنا لان مصدر اقرضتم الاقراض قلت ان قوله قرضا اخرج مصدرا من معناه
لا من لفظه وذلك ان اقرض بمعنى قرض فكان معنى الكلام واقرضتم الله فقرضتم
قرضا حسنا ونظير ذلك قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا اذ كان معناه
فنبتم نباتا وقوله تعالى لاكفرن عنكم سيئاتكم يعني اذا فعلتم ما امرتكم به
لامحون عنكم سيئاتكم واغفرها لكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار **فمن
كفر بعد ذلك منكم** يعني بعد اخذ العهد والميثاق **فقد ضل سواء السبيل**
يعني فقد اخطأ الطريق المستقيمة وهو طريق الدين الذي شرعه والهدى
الذي امر باتباعه قوله تعالى **فبما نقضهم ميثاقهم** اي بسبب نقضهم
الميثاق وذلك ان بني اسرائيل نقضوا ميثاق الله وعهده بان كذبوا الرسل الذين
جاؤا من بعد موسى وقتلوا انبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرائضه **لعناهم**
يعني جازيناهم على ذلك بان ابعدناهم وطردناهم عن رحمتنا واصل اللعنة الابعاد
عن الرحمة **وجعلنا قلوبهم قاسية** يعني غليظة يابسة لا تلين لان القسوة
خلاف اللين والرقة وقيل معناه ان قلوبهم ليست خالصة للايمان بل ايمانهم
مشوب بالكفر والنفاق **يحرفون الكلم عن مواضعه** يعني يغيرون حدود
التوراة واحكامها وقيل هو تبديلهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته من التوراة
وقيل هو تحريفهم معاني الالفاظ بسوء التأويل **ونسوا حظا مما ذكروا به**
يعني وتركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان
نعته وصفته **ولا تزال تطلع على خائنة منهم** قال ابن عباس يعني
على معصية منهم وكانت خيانتهم نقض العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسمه ونحوها من خياناتهم التي ظهرت **الا
قليلا منهم** يعني انهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم عبد الله بن سلام
واصحابه الذين اسلموا من اهل الكتاب **فاعف عنهم واصفح** اي فاعف عن زلاتهم
يا محمد واصفح عن جرمهم وعن مؤاخذتهم وهذا الامر بالعفو والصفح عن اهل الكتاب
منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية
التي في سورة براءة قاله قتادة وقيل انها غير منسوخة بل نزلت في قوم كان
بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فغدروا ونقضوا ذلك العهد فاظهر الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وانزل هذه الآية ولم تنسخ وذلك انه يجوز ان
يعفو عن غدرة فعلوها لم ينصبوا حربا ولم يمتنعوا من اداء الجزية والصغار
وعلى هذا القول بانها غير منسوخة يكون معنى الآية فاعف عن مؤمنهم ولا تؤاخذهم
بما سلف منهم قبل ذلك وقيل معناه فاعف عن صغاير زلاتهم ما داموا باقين
على العهد **ان الله يحب المحسنين** يعني اذا عفوت عنهم فانك محسن وان الله
يحب المحسنين قوله عز وجل **ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم**

لماذكر الله نقض اليهود الميثاق تابعه بذكر نقض النصارى الميثاق وان سبيل النصارى
مثل سبيل اليهود في نقض العهد والميثاق وانما قال تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى
ولم يقل من النصارى لانهم الذين ابتدعوا هذا الاسم وسموا به انفسهم لا ان الله تعالى
سماهم به اخذنا ميثاقهم يعني كتبنا عليهم في الانجيل ان يؤمنوا بمحمد صلى الله
عليه وسلم فنسوا حظا مما ذكروا به يعني تركوا ما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم فاغرينا يعني فالصقنا واوقعنا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة
قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرائضه وعطلوا
حدوده القى الله العداوة والبغضاء بينهم وبجعل العداوة والبغضاء بين الاهواء
المختلفة وفي الهاء والميم من قوله تعالى بينهم قولان احدهما ان المراد اليهود
دون النصارى فان العداوة والبغضاء حاصلة بينهم الى يوم القيامة والقول
الثاني ان المراد بهم فرق النصارى فان كل فرقة منهم تكفر بالاخرى وسوف
ينبئهم الله بما كانوا يصنعون يعني ان الله تعالى يخبرهم في الاخرة باعمالهم التي
عملوها في الدنيا ففيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى يا اهل الكتاب يعني اليهود
والنصارى قد جاءكم رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم كثيرا مما كنتم
تخفون من الكتاب يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر كثيرا مما اخفوا من احكام
التوراة والانجيل وذلك انهم اخفوا اية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذلك واظهره وهذه معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم
لانه لم يقرا كتابهم ولم يعلم ما فيه فكان اظهاره ذلك معجزة له ويعفو عن كثير
يعني مما يكتمونه فلا يتعرض له ولا يواخذهم به لانه لا حاجة الى اظهاره والفايدة
في ذكر ذلك انهم يعلمون كون النبي صلى الله عليه وسلم عالما بما يخفون وهو معجزة له ايضا
فيكون ذلك داعيا لهم الى الايمان قد جاءكم من الله نور يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
انما سماه الله نورا لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور في الظلام وقيل النور هو الاسلام
وكتاب مبين يعني القران يهدي به الله يعني يهدي الله بالكتاب المبين من
اتبع رضوانه اي اتبع ما رضيه الله لهم وهو دين الاسلام لانه مدحه واثنى عليه
سبل السلام قال ابن عباس يريد دين الاسلام وسبيله دينه الذي شرع
لعباده وبعث به رسوله وامر عباده باتباعه وقيل سبل السلام طرق السلامة
وقيل سبل السلام دار السلام فيكون من باب حذف المضاف ويخرجهم من
الظلمات الى النور يعني من ظلمات الكفر الى نور الايمان باذنه يعني بتوفيقه
وهدايته ويهديهم الى صراط مستقيم يعني دين الاسلام قوله عز وجل لقد كفر
الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قال ابن عباس هم نصارى نجران
فانهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم
يقولون في المسيح انه الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وانما لزمتهم هذه المقالة
الخبيثة لانهم يقولون بالحلول وان الله قد حل في بدن عيسى فلما كان اعتقادهم

ذلك



ذلك لا جرم حكم الله عليهم بالكفر ثم ذكر الله ما يدل على فساد مذهبهم فقال تعالى
قل يعني يا محمد لهؤلاء النصارى الذين يقولون هذه المقالة فمن يملك يعني فمن يقدر
ان يدفع من الله شيئا يعني من امر الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه
يعني يعدم المسيح وامه ومن في الارض جميعا ووجه الاحتجاج على النصارى
بهذا ان المسيح لو كان الها كما يقولون لقدر على دفع امر الله اذا اراد اهلاكه واهلاك
امه وغيرها ولله ملك السموات والارض وما بينهما انما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن
لانه اراد وما بين هذين النوعين او الصنفين من الاشياء فانها ملكه واهلها عبيده
وعيسى وامه من جملة عبيده يخلق ما يشاء يعني من غير اعتراض عليه فيما يخلق
لانه خلق ادم من غير اب وام وخلق عيسى من ام بلا اب وخلق ساير الخلق من اب وام
والله على كل شيء قدير يعني انه تعالى لا يعجزه شيء اراده فلا اعتراض لاحد من
خلقه عليه قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قال
ابن عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان وابن اصار وبحري بن عمرو وشاس
ابن عدي فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى الله وحذرهم
نقمته فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن والله ابناء الله واحباؤه كقول النصارى فانزل الله
عز وجل فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه الاية وسبب هذه
المقالة ما حكاه السدي قال اما اليهود فانهم قالوا ان الله اوحى الى بني اسرايل
ان ولدك بكري من الولد فادخلهم النار فيكونون فيها اربعين يوما حتى تطهرهم
وتاكل خطاياهم ثم ينادي مناد ان اخرجوا كل مختون من ولد اسرايل فاخرجهم
فذلك قوله تعالى لن تمسنا النار الا اياما معدودات واما النصارى فان فرقا
منهم يقولون المسيح ابن الله وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى فاما وجه قول اليهود
فانهم يعنون انه من حزبه وعطفه عليهم كالاب المشفق على الولد واما وجه قول
النصارى فانهم لما قالوا في المسيح انه ابن الله وادعوا انه منهم فكانهم قالوا نحن
ابناء الله لهذا السبب وقيل ان اليهود انما قالوا هذه المقالة من باب حذف
المضاف والمعنى نحن ابناء رسول الله واما النصارى فانهم تاولوا قول المسيح اذهب
الى ابي وابيكم وقوله اذا صليتم فقولوا يا ابانا الذي في السماء لتقدس اسمك فذهبوا
الى ظاهر هذه المقالة عنه فان تاويلها انه في بره ورحمته وعطفه على عباده الصالحين
كالاب الرحيم لولده وجملة الكلام في ذلك ان اليهود والنصارى كانوا يرون لانفسهم
فضلا على من سواهم بسبب اسلافهم الافاضل حتى انتهوا في تعظيم انفسهم الى ان
قالوا هذه المقالة نحن ابناء الله واحباؤه فابطل الله عز وجل دعواهم وكذبهم فيما
قالوا بقوله تعالى قل فلم يعذبكم معناه ان كان الامر كما تزعمون فلم يعذبكم
بذنوبكم وانتم قد اقررتم على انفسكم انه يعذبكم اربعين يوما ومثل ذا ان
الوالد لا يعذب ولده بالنار ولا تطيب نفس محب ان يعذب حبيبه بالنار بل انتم
بشر ممن خلق يعني بل انتم يا معشر اليهود والنصارى كساير بني ادم مجزيون بالاحسان

والاساءة وقوله تعالى **يغفر لمن يشا** يعني لمن تاب من اليهودية والنصرانية
**ويعذب من يشا** يعني من مات على اليهودية والنصرانية وقيل معناه يهدي من
يشا فيغفر له ويميت من يشا على كفره فيعذبه **ولله ملك السموات والارض**
**وما بينهما** يعني انه تعالى يملك ذلك لا شريك له في ذلك فيعارضه وهو الذي
يملك المغفرة لمن يشا والتعذيب لمن يشا وفيه دليل على انه تعالى لا ولد له لان من
يملك السموات والارض يستحيل ان يكون له شبيه من خلقه او شريك في ملكه
**واليه المصير** يعني واليه مرجع العباد في الاخرة فيجازيهم باعمالهم قوله تعالى
**يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل** قال ابن عباس
قال معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب لليهود اتقوا الله يا معشر
اليهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل
مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهودا ما قلنا هذا
لكم وما انزل الله من كتاب بعد موسى ولا ارسل بشيرا ولا نذيرا بعده فانزل الله
هذه الاية يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يبين لكم
يعني احكام الدين والشرايع فترة من الرسل قال ابن عباس يعني على انقطاع
من الرسل واختلف العلماء في قدر مدة الفترة فروي عن سلمان قال فترة ما
بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستماية سنة اخرجه البخاري وقال قتادة
كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستماية سنة وما شا الله من ذلك
وعنه انها خمسماية سنة وستون سنة وقال ابن السايب خمسماية واربعون
سنة وقال الضحاك اربعماية وبضع وثلاثون سنة ونقل ابن الجوزي عن ابن
عباس على فترة من الرسل قال على انقطاع منهم قال وكان بين ميلاد عيسى
ومولد محمد صلى الله عليه وسلم خمسماية سنة وتسعة وستون سنة وبين الفترة وكان
بعد عيسى اربعة من الرسل وذلك قوله عز وجل اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما
فعززنا بثالث والرابع لا ادري من هو فكان تلك السنين ماية واربع وثلاثون
والله اعلم خالد بن سنان الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي ضيعه
قومه قال الامام فخر الدين الرازي والفايدة في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند
فترة الرسل هي ان التحريف والتغيير قد تطرق الى الشرايع المتقدمة لتقادم عهدها
وطول ازمانها وسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق وصار ذلك
عذرا ظاهرا في اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا الهنا عرفنا انه لا بد
من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله عز وجل في هذا الوقت محمدا
صلى الله عليه وسلم ازالة لهذا العذر فذلك قوله عز وجل **ان تقولوا ما جاءنا من**
**بشير ولا نذير** يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا ما جاءنا من بشير
ولا نذير في هذا الوقت **فقد جاءكم بشير ونذير** يعني فقد ارسلت اليكم محمدا
صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر **والله على كل شي قدير** يعني انه تعالى قادر

على

على بعثة الرسل في وقت الحاجة اليهم قوله عز وجل **واذ قال موسى لقومه يا**
**قوم اذكروا نعمة الله عليكم** قال ابن عباس اذكروا عافية الله وقيل
معناه اذكروا ايادي الله عندكم وايامه التي انعم فيها عليكم قال الطبري وهذا
تعريف من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قديم تمادي هؤلاء اليهود في الغي وبعدهم عن
الحق وسوء اختيارهم لانفسهم وشدة مخالفتهم لانبيايهم مع كثرة نعم الله عليهم
وتتابع اياديه والايه لديهم ومسليا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما نزل به من
مقاساتهم ومعالجتهم في ذات الله عز وجل **اذ جعل فيكم انبيا** يعني ان موسى
عليه السلام ذكر قومه بني اسرايل بايام الله عندهم وبما انعم عليهم فقال اذكروا
نعمة الله عليكم اذ فضلكم بان جعل فيكم انبيا قال الكلبي هم السبعون الذين
اختارهم موسى من قومه وانطلق بهم الى الجبل وايضا فان بني اسرايل هم من اولاد
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام وهولا لا شك انهم من اكابر الانبيا
واولاد يعقوب وهم الاسباط انبيا على قول الاكثرين وموسى وهارون عليهما
السلام ايضا فان الله تعالى اعلم موسى انه يبعث من بعده في بني اسرايل انبيا فانه
لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرايل من الانبيا فكان هذا شرفا عظيما لهم ونعمة
ظاهرة عليهم **وجعلكم ملوكا** يعني وجعلكم احرارا تملكون انفسكم بعد ان كنتم
عبيدا في ايدي القبط قال ابن عباس يعني جعلكم اصحاب خدم وحشم قال قتادة
كانوا اول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروي عن ابي سعيد الخدري
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان بنوا اسرايل اذا كان لاحدهم خادم وامراة
ودابة يكتب ملكا ذكره البغوي بغير سند وسال رجل عبد الله بن عمرو بن العاص
فقال الست من فقرا المهاجرين فقال له عبد الله الك امراة تاوي اليها قال نعم
قال الك مسكن تسكنه قال نعم قال انت من الاغنيا قال فان لي خادما قال
فانت من الملوك وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن
كان مسكنه واسعا وفيه ماء جار فهو ملك **واتاكم ما لم يوت احدا من العالمين**
يعني من عالمي زمانكم يذكرهم ما انعم الله به عليهم من فلق البحر لهم واهلاك عدوهم
وانزال المن والسلوى عليهم واخراج الماء من الحجر لهم وتظليل الغمام فوقهم الى غير
ذلك من النعم التي انعم الله بها عليهم قوله تعالى **يا قوم ادخلوا الارض**
**المقدسة التي كتب الله لكم** لما ذكر موسى قومه ما انعم الله به عليهم امرهم
بالخروج الى جهاد عدوهم فقال يا قوم ادخلوا الارض المقدسة يعني المطهرة
سميت مقدسة لانها طهرت من الشرك وصارت مسكنا للانبيا والمومنين وقيل
المقدسة المباركة قال الكلبي صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان فقيل له
انظر فما ادرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك والارض هي الطور وما
حوله وقيل هي اريحا وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي دمشق وقيل هي الشام
كلها قال كعب الاحبار وجدت في كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله من ارضه وبها

اكثر عباده التي كتب الله لكم في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقيل فرض عليكم دخولها
وامركم بسكناها وقيل وهبها لكم فان قلت كيف قال الله تعالى ادخلوا الارض
المقدسة التي كتب الله لكم وقوله فانها محرمة وكيف الجمع بينهما قلت فيه وجوه
احدها انها كانت هبة من الله ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم الوجه الثاني
ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد منه الخصوص فصار كانه مكتوب لبعضهم وحرام
على بعضهم فان يوشع بن نون وكالب بن يوقنا دخلا وكانا ممن خوطب بهذا الخطاب
الوجه الثالث ان هذا الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم
يوجد المشروط الوجه الرابع انه قال انها محرمة عليهم اربعين سنة فلما مضت الاربعون
دخلوها وصارت مساكن لهم كما وعدهم الله وقوله تعالى **ولا ترتدوا على ادباركم**
يعني ولا ترجعوا القهقرى مرتدين على اعقابكم الى ورائكم ولكن امضوا لامر الله الذي
امركم به وان فعلتم خلاف ما امركم الله به **فتنقلبوا خاسرين** يعني فترجعوا
خائبين لانكم رددتم امر الله قوله عز وجل **قالوا** يعني قوم موسى **يا موسى ان فيها**
يعني في الارض المقدسة **قوما جبارين** يعني قوما عاتين لا طاقة لنا بهم ولا
قوة لنا بقتالهم وسموا اولئك القوم جبارين لشدة بطشهم وعظم خلقهم وكانوا
ذوي اجسام عظيمة واشكال هائلة وهم من العمالقة بقية قوم عاد واصل الجبار في صفة
الانسان فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على
ما يريد وقيل انه ماخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لا تصل الايدي
اليها ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها بالجبار من النخل **وانا لن ندخلها**
يعني ارض الجبارين التي امرهم الله بدخولها حتى يخرجوا منها حتى يخرج الجبارون من
الارض المقدسة وانما قالوا ذلك استبعادا لخروج الجبارين من ارضهم **فان يخرجوا
منها فانا داخلون** يعني اليها قال العلماء بالاخبار ان النقباء لما خرجوا يتجسسون
الاخبار لموسى عليه السلام وخبروا القوم وما عاينوه رجعوا الى موسى واخبروه خبر القوم
وما عاينوه منهم قال لهم موسى عليه السلام لا تخبروا بني اسرائيل بهذا فيجبنوا ويضعفوا
عن قتالهم وقيل ان النقباء الاثني عشر لما خرجوا من ارض الجبارين قال بعضهم لبعض
لا تخبروا بما رايتم فلما رجعوا اخبروا موسى امرهم ان لا يخبروا بني اسرائيل بذلك فخالفوا
امره ونقضوا العهد واخبر كل رجل من النقباء سبطه بما راى الا يوشع بن نون وكالب
فانهما كتما ووفيا بالعهد فلما علم ذلك بنو اسرائيل وفشا ذلك فيهم رفعوا اصواتهم
بالبكاء وقالوا ليتنا متنا في ارض مصر ولا يدخلنا الله ارضهم فتكون نساؤنا واولادنا
واموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل من بني اسرائيل يقول لصاحبه تعالوا نجعل لنا راسا
وننصرف الى مصر فلما قال بنو اسرائيل ذلك وهموا بالانصراف الى مصر خر موسى وهارون
ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان اخبر الله عنهما بقوله تعالى **قال
رجلان من الذين يخافون** يعني يخافون الله ويراقبونه **انعم الله عليهما**
يعني بالهداية والوفاء بالعهد **ادخلوا عليهم الباب** يعني قال الرجلان وهما

يوشع

يوشع بن نون وكالب بن يوقنا لبني اسرائيل ادخلوا على الجبارين باب مدينتهم **فاذا دخلتموه
فانكم غالبون** لان الله وعدكم بالنصر وان الله منجز لكم وعده **وعلى الله فتوكلوا
ان كنتم مؤمنين** يعني يقول الرجلان لقوم موسى ثقوا بالله فانه معكم وناصركم ان كنتم
مصدقين بان الله ناصركم ولا يهولنكم عظم اجسامهم فانا قد رايناهم فكانت اجسامهم عظيمة
وقلوبهم ضعيفة فلما قالا ذلك اراد بنو اسرائيل ان يرجموهما بالحجارة وعصوا امرهما وقالوا
ما اخبر الله عنهم بقوله تعالى **قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا** يعني قال قوم موسى
لموسى انا لن ندخل مدينة الجبارين ابدا يعني مدة حياتنا **ما داموا فيها** يعني مقيمين
فيها **فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون** قال العلماء قالوا هذه المقالة لان
مذهب اليهود التجسيم وكانوا يجوزون الذهاب والمجيء على الله تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا قال بعض العلماء ان كانوا قالوا هذا على وجه الذهاب من مكان الى مكان فهو
كفر وان كانوا قالوه على وجه الخلاف لامر الله وامر نبيه موسى فهو فسق وقال بعضهم
انما قالوه على وجه المجاز والمعنى اذهب انت وربك معين لك لكن قوله فقاتلا لا يفسد
هذا التاويل وقال بعضهم انهم ارادوا بقولهم وربك اخاه هارون لانه كان اكبر من
موسى والاصح انما قالوا ذلك جهلا منهم بالله تعالى وصفاته ومنه قوله تعالى وما
قدروا الله حق قدره خ عن ابن مسعود قال شهدت من المقداد بن الاسود مشهدا
لان اكون انا صاحبه احب الي مما عدل به اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين
يوم بدر فقال يا رسول الله انا لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت
وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن امض ونحن معك فكانه سري عن النبي
صلى الله عليه وسلم وفي رواية ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك
ومن خلفك فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشرق وجهه وسر قوله تعالى
**قال** يعني قال موسى عليه السلام **رب** اي يا رب **اني لا املك الا نفسي واخي** يعني
انا لا املك الا نفسي واخي لا يملك الا نفسه وقيل معناه لا املك الا نفسي ونفس
اخي لانه كان يطيعه واذا كان كذلك فقد ملكه وانما قال موسى لا املك الا نفسي
واخي وان كان معه في طاعته يوشع بن نون وكالب بن يوقنا لاختصاص هارون
به ولمزيد اعتنائه باخيه ويحتمل ان يكون معناه واخي في الدين ومن كان على دينه
وطاعته فهو اخوه في الدين فعلى هذا الاحتمال يدخل الرجلان في قوله واخي ثم قال
**فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين** اي افصل وقيل احكم بيننا وبين القوم
الفاسقين يعني الخارجين عن طاعتك وانما قال موسى ذلك لما راى من بني اسرائيل
وما فعلوه من مخالفة امر الله وهمهم بيوشع وكالب غضب لذلك ودعا عليهم فاجاب
الله دعاء موسى عليه السلام فقال الله عز وجل **قال فانها محرمة عليهم**
يعني الارض المقدسة محرمة عليهم ومعناه ان تلك البلدة محرمة عليهم ابدا ولم
يرد تحريم تعبد وانما اراد تحريم منع فاوحى الله تعالى الى موسى بي حلفت لاحرمن
عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب ولاتيهنهم في هذه البرية اربعين

سنة مكان كل يوم من الايام التي كانوا يتجسسون فيها سنة ولا تفنى جميعهم في مدة
القفار واما ابناوهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها فذلك قوله تعالى فانها يعني الارض
المقدسة محرمة عليهم قال اكثر اهل العلم هذا تحريم منع لا تحريم تعبد وقيل يحتمل
ان يكون تحريم تعبد فيجوز ان يكون الله تعالى امرهم بان يمكثوا في تلك المفازة في المشقة
والبلية عقابا لهم على سوء صنيعهم اربعين سنة فمن قال ان الكلام تم عند قوله فانها
محرمة عليهم قال اربعين سنة يتيهون في الارض اما المحرمة فانها مؤبدة حتى يموتوا
ويدخلها غيرهم وقيل معناه ان الارض المقدسة محرمة عليهم اربعين سنة ثم يدخلونها
وتفتح لهم وقوله تعالى يتيهون في الارض يعني يتحيرون فيها يقال تاه يتيه اذا تحير
واختلفوا في مقدار الارض التي تاهوا فيها فقيل مقدار ستة فراسخ وقيل ست
فراسخ في اثني عشر فرسخا وقيل تسع فراسخ في ثلاثين فرسخا وكان القوم ستمائة
الف مقاتل وكانوا يرحلون ويسيرون يومهم اجمع فاذا امسوا اذا هم في الموضع
الذي رحلوا منه وكان ذلك التيه عقوبة لبني اسرايل ما خلا موسى وهارون
ويوشع وكالب فان الله تعالى سهله عليهم واعانهم عليه كما سهل على ابراهيم النار
وجعلها بردا وسلاما فان قلت كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم في هذا المقدار
الصغير من الارض اربعين سنة بحيث لم يخرج منه احد قلت هذا من باب
خوارق العادات في زمان الانبيا غير مستبعد فان الله على كل شي قدير وقيل
ان فسرنا ذلك التحريم بتحريم التعبد زال الاشكال لاحتمال ان الله حرم عليهم
الخروج من تلك الارض بل امرهم بالمكث اربعين سنة في المشقة والمحنة جزاء لهم على سوء
صنيعهم ومخالفتهم امر الله ولما حصل بنوا اسرايل في التيه شكوا الى موسى عليه السلام
حالهم فانزل الله عليهم المن والسلوى واعطوا من الكسوة ما هي قايمة لهم فينشو
الناشي منهم فتكون معه على مقداره وسال موسى ربه ان يسقيهم فاتى
بحجر ابيض من جبل الطور فكان اذا نزل ضربه بعصا فيخرج منه اثنا عشر عينا
لكل سبط منهم عين وارسل الله عليهم الغمام يظلهم في التيه ومات في التيه كل
من دخله ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوقنا ولم يدخل
اريحا ممن قال انا لن ندخلها ابدا واختلفوا في ان موسى مات في التيه ام خرج منه
فقيل ان موسى وهارون ماتا في التيه جميعا قصة موسى وهارون عليهما
السلام فاما هارون فانه كان اكبر من موسى بسنة قال السدي اوحى الله عز وجل
الى موسى اني متوفي هارون فات به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهارون نحو
ذلك الجبل فاذا بشجرة لم ير مثلها واذا ببيت مبني وفيه سرير عليه فراش وفيه
رايحة طيبة فلما راى هارون ذلك البيت اعجبه وقال يا موسى اني احب ان انام على
هذا السرير فقال نم اني اخاف ان يارب هذا البيت يغضب علي قال لا تخف
انا اكفيك رب هذا البيت فنم قال يا موسى فنم انت معي فان جاء رب هذا البيت
غضب علي وعليك جميعا فلما ناما اخذ هارون الموت فلما وجد منيته قال يا موسى





خدعتني فلما قبض هارون رفع البيت والسرير الى السما وهارون عليه وذهبت الشجرة
فرجع موسى الى بني اسرايل وليس هارون معه فقال بنوا اسرايل حسد موسى هارون
فقتله لحبنا اياه قال موسى ويحكم ان هارون كان اخي افتروني اقتله فلما اكثروا عليه
قام موسى فصلى ركعتين ثم دعا الله عز وجل فنزل السرير وعليه هارون فنظروا
اليه وهو بين السما والارض فصدقوه ثم رفع وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
صعد موسى وهارون الى الجبل فمات هارون وبقي موسى فقالت بنوا اسرايل
لموسى انت قتلته واذوه فامر الله الملايكة فحملوه حتى مروا به على بني اسرايل
وتكلمت الملايكة بموته فصدقت بنوا اسرايل انه مات وبرا الله موسى مما قالوا
ثم ان الملايكة حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره احد الا الرخم فجعله الله اصم
ابكم واما وفاة موسى عليه السلام فقال ابن اسحاق كان صفي الله موسى عليه السلام
قد كره الموت واعظمه فاراد الله ان يحبب اليه الموت فنبي يوشع بن نون فكان موسى
يغدو ويروح اليه ويقول له يا نبي الله ما احدث الله اليك فيقول له يوشع يا نبي الله
الم اصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت اسالك عن شي مما احدث الله اليك حتى تكون
انت الذي تبتدي به وتذكره لي ولا يذكر له شيا فلما راى موسى ذلك كره الحياة واحب
الموت ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل ملك الموت الى
موسى فلما جاءه صكه صكة ففقا عينه فرجع الى ربه فقال ارسلتني الى عبد لا يريد
الموت فرد الله اليه عينه فقال ارجع اليه فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت
يده من شعره سنة قال اي رب ثم ماذا قال ثم الموت قال فالان ثم سال الله
ان يدنيه من الارض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت
ثم لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر وفي رواية لمسلم قال جاء ملك
الموت الى موسى فقال اجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت ففقاها ثم ذكر معنى
ما تقدم قال الشيخ محيي الدين النواوي قال المازري قد انكر بعض الملاحدة هذا
الحديث وانكر تصوره قالوا كيف يجوز على موسى فقا عين ملك الموت واجاب العلما عنه
باجوبة احدها انه لا يمتنع ان يكون الله قد اذن لموسى في هذه اللطمة ويكون ذلك
امتحانا للملطوم والله يفعل في خلقه ما يشا ويمتحنهم بما اراد الثاني ان موسى
لم يعلم انه ملك من عند الله وظن انه رجل قصده يريد نفسه فدافعه عنها فادت
المدافعة الى فقي عينه لا انه قصدها بالفقي قال الشيخ وهذا جواب الامام ابي بكر
ابن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره المازري والقاضي عياض قالوا وليس
في الحديث تصريح بانه قصد فقا عينه فان قيل كيف اعترف موسى حين جاءه ثانيا
بانه ملك الموت فالجواب انه اتاه في المرة الثانية بعلامة علم انه ملك الموت فاستسلم
له بخلاف المرة الاولى والله اعلم واما سوال موسى الادنا من الارض المقدسة فلشرفها
وفضلها وفضل من بها من المدفونين من الانبيا وغيرهم فيه دليل على استحباب الدفن
في المواضع الفاضلة والمواطن المباركة والقرب من مدافن الصالحين قال بعض العلما

وإنما سأل موسى أن يدنيه ولم يسأل نفس بيت المقدس لأنه خاف أن يكون قبره مشهورًا
عندهم فيفتتن الناس والله أعلم. قال وهب بن منبه خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط
من الملائكة يحفرون قبرًا لم ير شيئًا قط أحسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة
فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال إن هذا
العبد من الله بمنزلة ما رأيت كاليوم قط فقالت الملائكة يا صفي الله تحب أن يكون لك
قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك فنزل واضطجع وتوجه إلى ربه
عز وجل ثم تنفس أسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب
وقيل إن ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمر موسى عليه
السلام مائة سنة وعشرين فلما مات موسى عليه السلام وانقضت الأربعون سنة
وبعث الله يوشع نبيًا إلى بني إسرائيل فأخبرهم أن الله تعالى قد أمره بقتال الجبارين
فصدقوه وبايعوه فتوجه ببني إسرائيل إلى أريحا وهي مدينة الجبارين ومعه تابوت
الميثاق فأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر فلما كان في السابع نفخوا في القرون
وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين
وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم فكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق
الرجل من الجبابرة يضربونها حتى يقطعونها وكان القتال يوم الجمعة فبقيت
منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد علي
الشمس وقال للشمس إنك في طاعة الله وأنا في طاعة الله وسأل الشمس أن تقف
وسأل القمر أن يقف حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول السبت فرد الله عليه الشمس
وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم أجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم أحدًا
وثلاثين ملكًا حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت كلها لبني إسرائيل وفرق عماله
في نواحيها وجمع الغنائم فجاءت النار لتأكلها فلم تطعمها فقال إن فيكم غلولًا فليبايعني
من كل قبيلة رجل ففعلوا فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاؤوا برأس ثور
من ذهب مكلل بالياقوت والجواهر قد غله رجل منهم فجعله في القربان وجعل الرجل
معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان وفي الحديث الصحيح ما يدل على صحة هذا
وهو ما روي عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الأنبياء
فقال لقومه لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولم يبن بها
ولا أحد بنى بيوتًا ولم يرفع سقوفها ولا رجل اشترى غنمًا أو خلفات وهو ينتظر
ولادها فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريبًا من ذلك فقال للشمس إنك مأمورة
وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم فجاءت يعني النار
لتأكلها فلم تطعمها فقال إن فيكم غلولًا فليبايعني من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل
بيده فقال فيكم الغلول فجاؤوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعها فجاءت النار
فأكلتها زاد في رواية فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا ثم أحل الله لنا الغنائم لما رأى
ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا أخرجه البخاري ومسلم شرح غريب هذا الحديث

قوله

قوله لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة البضع بضم الباء كناية عن فرج المرأة ولم يبن
بها أي لم يدخل بها والخلفات النوق الحوامل وقوله للشمس إنك مأمورة وأنا مأمور
اللهم احبسها علي قال الشيخ محيي الدين قال القاضي عياض اختلف الناس في حبس
الشمس المذكور هنا فقيل ردت إلى ورائها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطء حركتها
وكل ذلك من معجزات النبوة قال ويقال إن الذي حبست عليه الشمس يوشع بن نون
قال القاضي وقد روي أن نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم حبست له الشمس مرتين
إحداهما يوم الخندق حين شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله
عليه حتى صلى العصر ذكر ذلك الطحاوي وقال رواته ثقات والثانية صبيحة ليلة
الإسراء حين انتظر العير حين أخبر بوصولها مع شروق الشمس ذكره يونس بن بكير
في زيادته على سيرة ابن إسحاق وقال وهب ثم مات يوشع بن نون ودفن في جبل
أفرايم وكان عمره مائة سنة وستًا وعشرين سنة وكان تدبيره أمر بني إسرائيل
بعد موسى سبعًا وعشرين وقيل إن الذي فتح أريحا هو موسى عليه السلام وكان
يوشع بن نون على مقدمته فسار إليهم بمن بقي من بني إسرائيل فدخلها يوشع وقاتل
الجبابرة ثم دخلها موسى وأقام بها ما شاء الله ثم قبضه الله إليه ولم يعلم أحد قبره وهذا
أصح الأقاويل لاتفاق العلماء أن موسى عليه السلام قتل عوج بن عناق
وهذا القول هو اختيار الطبري ونقل السدي قال غضب موسى على قومه فدعا عليهم
فقال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي الآية فقال الله عز وجل إنها محرمة عليهم أربعين
سنة يتيهون في الأرض فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى وأتاه قومه الذين كانوا
يطيعونه فقالوا له ما صنعت بنا يا موسى فمكثوا في التيه فلما خرجوا منه رفع
المن والسلوى وأكلوا البقول والتقى موسى وعوج فنزا موسى في السماء عشرة أذرع وكانت
عصاه عشرة أذرع وكان طوله عشرة أذرع فأصاب موسى كعب عوج فقتله قال
الطبري ولو قال قتل موسى إياه قبل مصيره في التيه لم يجزع بنو إسرائيل لأنه كان
من أعظم الجبارين وروي عن نوف قال كان سرير عوج ثمانمائة ذراع وقال وإن
أهل العلم بأخبار الأولين مجمعون على أن بلعم بن باعوراء كان ممن أعان الجبارين
بالدعاء على موسى لأنه كان يعلم اسم الله الأعظم فدعا على موسى وسنذكر قصته في
سورة الأعراف إن شاء الله تعالى وقوله تعالى **فلا تأس على القوم الفاسقين**
يعني لا تحزن عليهم لأنهم أهل مخالفة وخروج عن الطاعة وقيل لما ندم موسى على ما
دعا على قومه أوحى الله إليه فلا تأس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجائز
أن يكون خطابًا لمحمد صلى الله عليه وسلم أي لا تحزن يا محمد على قوم لم يزل شأنهم المعاصي
ومخالفة الرسل قوله عز وجل **واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق** يعني اذكر لقومك
وأخبرهم خبر ابني آدم وهما هابيل وقابيل في قول جمهور المفسرين ونقل عن الحسن
والضحاك أن ابني آدم اللذين قربا القربان ما كانا ابني آدم لصلبه وإنما كانا رجلين
من بني إسرائيل ويدل عليه قوله تعالى في آخر القصة من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل

ويدل عليه قوله تعالى في اخر القصة من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا
بغير نفس الاية والصحيح ما ذهب جمهور المفسرين لان الله تعالى قال في اخر
القصة فبعث الله غرابا يبحث في الارض لان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول
حتى تعلم من فعل الغراب بالحق اي اخبرهم خبرا ملتبسا بالحق والصدق لانه من
عند الله وموافقا لما في الكتب المتقدمة وهم يعلمون صحته ومقصود هذا الخبر
هو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كانوا يحسدون رسول الله
صلى الله عليه وسلم **اذ قربا قربانا** القربان ما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة
او ذبيحة او نسك او غير ذلك مما يتقرب به **ذكر** قصة القربان وقصة قتل
قابيل هابيل ذكر اهل العلم بالاخبار والسير ان حوا كانت تلد لادم في كل بطن
غلاما وجارية فكان جميع ما ولدته اربعين ولدا في عشرين بطنا اولهم قابيل
وتوامته اقليما واخرهم عبد المغيث وتوامته امة المغيث ثم بارك الله في نسل
ادم قال ابن عباس لم يمت ادم حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين الفا واختلفوا
في مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي ادم حوا بعد مهبطهما الى الارض بمائة
سنة فولدت له قابيل وتوامته اقليما في بطن ثم هابيل وتوامته ليوذا في بطن
وقال محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم بالكتاب الاول ان ادم كان يغشى حوا في الجنة
قبل ان يصيب الخطيئة فحملت بقابيل واخته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا
ولم تر دما وقت الولادة فلما هبطا الى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتوامته
فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان ادم اذا كبر اولاده زوج
غلام هذا البطن جارية بطن اخرى وكان الرجل منهم يتزوج اية اخواته شاء غير
توامته التي ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نساء الا اخواتهم فلما كبر قابيل
واخوه هابيل فكان بينهما سنتان فلما بلغوا امر الله ادم ان يزوج قابيل ليوذا
اخت هابيل ويزوج هابيل اقليما اخت قابيل وكانت اقليما احسن من ليوذا
اخت هابيل فذكر ادم ذلك لهما فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي اختي وانا
احق بها ونحن من اولاد الجنة وهما من اولاد الارض فقال له ابوه ادم انها لا تحل لك
فابى ان يقبل ذلك وقال ان الله لم يامرك بهذا وانما هو من رايك فقال لهما ادم
قربا لله قربانا فايكما تقبل قربانه فهو احق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة
نزلت من السما نار بيضا فاكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار بل تاكل الطير
والسباع فخرجا من عند ادم ليقربا القربان وكان قابيل صاحب زرع فقرب
صبرة من طعام ردي واضمر في نفسه ما ابالي ايتقبل مني ام لا لا يتزوج اختي احد
غيري وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى احسن كبش في غنمه فقربه واضمر في نفسه
رضا الله تعالى فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا ادم فنزلت نار من السما
فاكلت قربان هابيل ولم تاكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى **فتقبل من
احدهما** يعني هابيل **ولم يتقبل من الاخر** يعني قابيل فغضب قابيل اذ لم يتقبل





قربانه فاضمر الحسد لاخيه الى ان اتى ادم مكة لزيارة البيت وغاب عنهم فاتى قابيل
هابيل وهو في غنمه **قال لاقتلنك** قال هابيل ولم تقتلني قال قابيل لان الله
قبل قربانك ورد قرباني وتريد ان تنكح اختي الحسنا وانكح اختك الذميمة فيتحدث
الناس انك خير مني ويفخر ولدك على ولدي فقال هابيل وما ذنبي **انما يتقبل الله من
المتقين** يعني ان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال فلذلك كان احد القربانين
مقبولا دون الاخر ولان التقوى من اعمال القلوب وكان قد اضمر في قلبه الحسد
لاخيه على تقبل قربانه وتوعده بالقتل وقال انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها
من لباس التقوى وانما يتقبل الله من المتقين فاجابه بجواب مختصر وقيل يحتمل
ان يكون خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم فكان تعالى يبين للنبي صلى الله عليه وسلم
انما لم يتقبل قربانه لانه لم يكن متقيا وانما لم يتقبل الله من المتقين ثم قال
تعالى اخبارا عن هابيل **لئن بسطت الي يدك** يعني لئن مددت الي يدك
**لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك** يعني ما انا بمنتصر لنفسي يعني بل
استسلم لامر الله وقيل معناه ما كنت بمبتديك بالقتل وذلك ان الله
كان قد حرم عليهم قتل نفس بغير نفس ظلما وقال مجاهد كان قد كتب عليهم
اذا اراد الرجل ان يقتل رجلا تركه ولا يمتنع منه وقيل ان المقتول كان اقوى
من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه فاستسلم له خوفا من الله
فذلك قوله **اني اخاف الله رب العالمين** والمعنى اني اخاف الله في بسط يدي
اليك ان بسطتها لقتلك يعاقبني على ذلك فقوله عز وجل اخبارا عن هابيل
**اني اريد ان تبوء باثمي** يعني ترجع باثم قتلي **واثمك** حتى ترجع باثم
قتلي الى اثم معاصيك التي عملتها من قبل فان قلت كيف قال هابيل
اني اريد وارادة القتل والمعصية من الغير لا تجوز قلت اجاب ابن
الانباري عن هذا بان قال لاخيه هابيل لاقتلنك وعظه هابيل وذكره
الله واستعطفه وقال لئن بسطت الي يدك الاية فلم يرجع فلما راه [illegible]
قد صمم على القتل واخذ له الحجارة ليرميه بها قال له هابيل عند ذلك اني اريد
ان تبوء باثمي واثمك اي اذا قتلتني ولم يندفع قتلك اياي الا بقتلي اياك فحينئذ
يلزمك اثم قتلي اذا قتلتني فكان هذا عذرا لامر هابيل واليه اشار الزجاج فقال
معناه ان قتلتني فانا مريد ذلك فهذه الارادة منه بشرط ان يكون قاتلا
له والانسان اذا تمنى ان يكون اثم دمه على قاتله لم يلم على ذلك وعلى هذا التاويل
قال بعضهم معناه اني اريد ان تبوء بعقاب اثمي واثمك فحذف المضاف وما باثم
باثم بعقاب ذلك الاثم ذكره الواحدي وقال الزمخشري ليس ذلك بحقيقة
الارادة لكنه لما علم انه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل
طلبا للثواب فكانه صار مريدا لقتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة **فتكون
من اصحاب النار** يعني الملازمين لها **وذلك جزاء الظالمين** يعني جهنم

جزا من قتل اخاه ظلما قوله تعالى **فطوعت له نفسه قتل اخيه** يعني زينت له
وسهلت عليه القتل وذلك ان الانسان اذا تصور ان قتل النفس من
اكبر الكباير صار ذلك صارفا له عن القتل فلا يقدم عليه فاذا سهلت عليه
نفسه هذا الفعل فعله بغير كلفة فهذا هو المراد من قوله تعالى فطوعت
له نفسه قتل اخيه **فقتله فاصبح من الخاسرين** قال ابن جريج لما قصد قابيل
قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له ابليس وقد اخذ طيرا فوضع راسه
على حجر ثم رضخه بحجر اخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل راس هابيل
بين حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو نايم فقتله واختلف
في موضع قتله فقال ابن عباس على جبل ثور وقيل عند عقبة حرا وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم
فلما قتله تركه بالعرا ولم يدر ما يصنع به لانه اول ميت من بني ادم على وجه

---

وبقي بلا اخ واما اخرته فاسخط ربه وصار الى النار **ق** عن عبد الله بن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن
ادم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل قوله تعالى **فبعث الله غرابا
يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه** قال اصحاب الاخبار لما قتل قابيل
هابيل تركه بالعرا ولم يدر ما يصنع به لانه اول ميت من بني ادم على وجه
الارض فقصدته السباع لتاكله فحمله قابيل على ظهره في جراب اربعين يوما
وقال ابن عباس سنة حتى اروح وانتن فاراد الله ان يري قابيل سنته في موتى
بني ادم في الدفن فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له
بمنقاره ورجليه حفيرة ثم القاه فيها وواراه بالتراب وقابيل ينظر فذلك
قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث في الارض يعني يحفرها وينثر ترابها ليريه
كيف يواري سوءة اخيه يعني ليري الله او ليري الغراب قابيل كيف يواري
ويستر جيفة اخيه فلما راى ذلك قابيل من فعل الغراب **قال يا ويلتا**
اي لزمه الويل وحضر وهي كلمة تحسر وتلهف وتستعمل عند وقوع الداهية
وذلك انه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب
علم ان الغراب اكثر علما منه وعلم انه انما قدم على قتل اخيه بسبب جهله
وعدم معرفته فعند ذلك تلهف وتحسر على ما فعله فقال يا ويلتا وفيه
اعتراف على نفسه باستحقاق العذاب **اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب** يعني
مثل هذا الغراب الذي وارى الغراب الاخر **فاواري سوءة اخي** يعني فاستر
جيفته وعورته عن الاعين **فاصبح من النادمين** يعني على حمله على ظهره مدة
سنة لا على قتله وقيل انه ندم لاجل ذلك لا لاجل انه جنا جناية واقترف
ذنبا عظيما بقتله فلم يكن ندمه ندم توبة وخوف واشفاق من فعله
فلاجل ذلك لم ينفعه الندم قال المطلب بن عبد الله بن حطب لما قتل ابن ادم
اخاه رجفت الارض بمن عليها سبعة ايام وشربت الارض دم المقتول
كما تشرب الما فناداه الله تعالى اين اخوك هابيل فقال ما ادري ما كنت

عليه



عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم اخيك ليناديني من الارض فلم قتلت اخاك
قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ ان تشرب
دما بعده ابدا ويروى عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل كان ادم
بمكة فاشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه واغبرت الارض
فقال ادم قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فوجد قابيل قد قتل
هابيل وقيل لما رجع ادم سال قابيل عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا
فقال بل قتلته ولذلك اسود جلدك وقيل ان ادم مكث بعد قتل هابيل
مايه سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر فقال

• تغيرت البلاد ومن عليها •• فوجه الارض مغبر قبيح •
• تغير كل ذي طعم ولون •• وقل بشاشة الارض المليح •

ويروى عن ابن عباس انه قال من قال ان ادم قال شعرا فقد كذب وان محمدا
صلى الله عليه وسلم والانبيا كلهم في النهي سوا ولكن لما قتل هابيل رثاه
ادم وهو سرياني فلما قال ادم مرثيته قال لشيث يا بني انت وصيي احفظ
هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينتقل حتى وصل الى يعرب
ابن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو اول من حفظ العربية
وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم
فوزنه شعرا وزاد فيه ابياتا منها •

• وما لي لا اجود بسكب دمع •• وهابيل تضمنه الضريح •
• ارى طول الحياة علي غما •• فهل انا من حياتي مستريح •

قال الزمخشري ويروى انه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا
منحول ملحون وقد صح ان الانبيا عليهم السلام معصومون من الشعر قال
الامام فخر الدين الرازي ولقد صدق صاحب الكشاف فيما قال فان ذلك
الشعر في غاية الركاكة لا يليق الا بالحمقا من المعلمين فكيف ينسب
الى من جعل الله علمه حجة على الملايكة قال اصحاب الاخبار فلما مضى من عمر
ادم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت له
حوا شيثا وتفسيره هبة الله يعني انه خلف من هابيل وعلمه الله تعالى ساعات
الليل والنهار وعلمه عبادة الخلق في كل ساعة وانزل عليه خمسين صحيفة
وصار وصي ادم وولي عهده واما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا
مرعوبا لا تامن من تراه فاخذ بيد اخته اقليما وهرب بها الى عدن من ارض
اليمن فاتاه ابليس وقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبد النار
فانصب انت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو اول من عبد النار
وكان قابيل لا يمر به احد الا رماه بالحجارة فاقبل ابن لقابيل اعمى ومعه ابنه
فقال ابن الاعمى لابيه هذا ابوك قابيل فرماه بحجارة فقتله فقال ابن الاعمى

لابيه قتلت اباك قابيل فرفع الاعمى يده ولطم ابنه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت
ابني برميتي وقتلت ابني بلطمتي فلما مات قابيل عقلت احدى رجليه بفخذه
وعلق بها فهو معلق بها الى يوم القيامة ووجهه الى الشمس حيث دارت
عليه حظيرة من نار في الصيف وحظيرة من ثلج في الشتاء فهو معذب بذلك الى
يوم القيامة قالوا واتخذ اولاد قابيل الات اللهو من الطبول والزمور
والعيدان والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والفواحش
حتى اغرقهم الله تعالى جميعا بالطوفان في زمن نوح عليه السلام فلم يبق من
ذرية قابيل احد وابقى الله ذرية شيث ونسله الى يوم القيامة قوله تعالى
**من اجل ذلك** يعني بسبب ذلك القتل الذي حصل وقيل الاجل في اللغة
الجناية يقال اجل عليهم شرا اي جنى عليهم شرا **كتبنا** اي فرضنا واوجبنا
**على بني اسرائيل** فان قلت من اجل ذلك معناه من اجل ما مر من قصة
قابيل وهابيل كتبنا على بني اسرايل وهذا مشكل لانه لا مناسبة بين واقعة
قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على بني اسرايل قلت قال بعضهم
هو من تمام الكلام الذي قبله والمعنى فاصبح من النادمين من اجل ذلك يعني
من اجل انه قتل هابيل ولم يواره ويروى عن نافع انه كان يقف على قوله من اجل ذلك
ويجعله تمام الكلام الاول فعلى هذا يزول الاشكال لكن جمهور المفسرين واصحاب
المعاني على ان قوله من اجل ذلك ليس هو اشارة الى قصة قابيل وهابيل بل هو
اشارة الى ما مر ذكره في هذه القصة من انواع المفاسد الحاصلة بسبب هذا
القتل الحرام منها قوله فاصبح من الخاسرين وفيه اشارة الى انه حصلت
له خسارة في الدين والدنيا والاخرة ومنها قوله فاصبح من النادمين وفيه
اشارة الى انه حظر في انواع الندم والحسرة والحزن مع انه لا دافع لذلك
البتة فقوله من اجل ذلك كتبنا على بني اي من اجل ذلك الذي ذكرنا في اثناء
القصة من انواع المفاسد المتولدة من القتل العمد المحرم شرعنا القصاص على
القاتل فان قلت فعلى هذا يكون شريعة القصاص حكم ثابت في جميع الامم
فما الفائدة بتخصيصه بني اسرايل قلت ان وجوب القصاص وان كان
عاما في جميع الاديان والملل الا ان التشديد المذكور هنا في حق بني اسرايل
غير ثابت في جميع الاديان والملل لانه تعالى حكم في هذه الاية بان من قتل
نفسا فكانما قتل الناس جميعا ولا يشك ان المقصود منه المبالغة في عقاب
قاتل النفس عدوانا واما اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة فقدموا على قتل
الانبياء والرسل وذلك يدل على قساوة قلوبهم وبعدهم عن الله عز وجل ولما كان
الغرض من ذكر هذه القصة تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ما قدم عليه اليهود
بالفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم وباصحابه فتخصيص بني اسرايل في هذه القصة
بهذه المبالغة مناسب للكلام وتوكيد للمقصود والله اعلم بمراده قوله عز وجل

انه



**انه من قتل نفسا** يعني قتل نفسا ظلما **بغير نفس** يعني بغير قتل نفس لا على
وجه الاقتصاص فيقاد من قاتل النفس على وجه العدوان المحرم **او فساد
في الارض** هو عطف على بغير نفس ومنها الشرك والكفر بعد الايمان ومنها
قطع الطريق ونحو ذلك وهو المراد من قوله او فساد في الارض **فكانما
قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا** قال مجاهد
من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها بقتل الناس جميعا
ومن سلم من قتلها كمن سلم من قتل الناس جميعا وقال ابن عباس من قتل نبيا او
امام عدل فكانما قتل الناس جميعا وقيل معناه ان من قتل نفسا محرمة يجب
عليه من القصاص مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن احياها يعني من
حرق او غرق او وقوع في هلكة فكانما احيا الناس جميعا يعني ان له من الثواب
مثل ثواب من احيا الناس جميعا وقيل معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه
فكانما استحل قتل الناس جميعا لانهم لا يسلمون منه ومن تورع عن قتل مسلم
فكانما تورع عن قتل جميع الناس فقد سلموا منه قال اهل المعاني قوله ومن
احياها على المجاز لان المحيي هو الله تعالى في الحقيقة فيكون المعنى ومن نجاها
من الهلاك فكانما نجا جميع الناس منه سئل الحسن عن هذه الاية اهي لنا كما
كانت لبني اسرايل فقال اي والذي لا اله غيره ما كانت دماء بني اسرايل اكرم
على الله من دمائنا وقوله **ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات** يعني ولقد جاءت
بني اسرايل رسلنا بالبينات في الاحكام والشرايع والدلالات الواضحات
**ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك** يعني مجيء الرسل وبعد ما كتبنا عليهم تحريم
القتل **في الارض لمسرفون** يعني بالقتل لا ينتهون عنه وقيل معناه لمجاوزون
حد الحق وانما قال تعالى وان كثيرا منهم لانه تعالى علم ان منهم من يؤمن بالله
ورسوله وهم قليل من كثير قوله عز وجل **انما جزاء الذين يحاربون الله
ورسوله** قال ابن عباس نزلت في قوم من اهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق فنقضوا العهد وافسدوا في الارض فخير
الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان شاء يقتل وان شاء يصلب وان شاء ان
يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وهذا قول الضحاك ايضا وقال الكلبي نزلت
في قوم هلال بن عويمر وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن
عويمر وهو ابو بردة الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال
الى النبي صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون
الاسلام بقوم هلال ولم يكن هلال شاهدا فشدوا اليهم فقتلوهم واخذوا
اموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقضاء فيهم بهذه الاية قال سعيد بن
جبير نزلت هذه الاية في قوم من عرينة وعكل اتوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وهم كذبة فاستوخموا المدينة فبعثهم رسول الله

صلى الله عليه وسلم إلى إبل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل
ق عن أنس بن مالك أن ناسا من عكل وعرينة قدموا على النبي صلى الله
عليه وسلم وتكلموا بالإسلام فقالوا يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل
ريف واستوخموا المدينة فأمر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بذود وراع وأمرهم
أن يخرجوا فيه فيشربوا ألبانها وأبوالها فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة
كفروا بعد الإسلام وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في آثارهم فأمر بهم فسمروا
أعينهم وقطعوا أيديهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم قال قتادة
بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يحث على الصدقة
وينهى عن المثلة زاد في رواية قال قتادة فحدثني ابن سيرين أن ذلك قبل
أن تنزل الحدود وفي رواية للبخاري أن ناسا من عرينة اجتووا المدينة فرخص
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتوا إبل الصدقة فيشربوا من ألبانها
وأبوالها فقتلوا الراعي واستاقوا الذود فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمر أعينهم وتركهم في الحرة يعضون
الحجارة زاد في رواية قال أبو قلابة وأي شيء أشد مما صنع هؤلاء ارتدوا
عن الإسلام وقتلوا وسرقوا وفي رواية أبي داود أن قوما من عكل أو قال
من عرينة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة
فأمر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها
فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا
النعم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم من أول النهار فأرسل في
آثارهم فما ارتفع النهار حتى جيء بهم فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت
أعينهم وألقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون قال أبو قلابة فهؤلاء
قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم وحاربوا الله ورسوله زاد
في رواية له وأنزل الله عز وجل إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا الآية شرح غريب هذا الحديث
وحكمه قولهم إنا كنا أهل ضرع يعني أهل ماشية وبادية نعيش باللبن
ولسنا من أهل المدن والريف هي الأرض التي فيها زرع وخصب ومجمع أرياف
قوله استوخموا المدينة يعني أنها لم توافق مزاجهم وكذلك قوله فاجتووا
المدينة وهو معناه والذود من الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة والحرة هي
أرض ذات حجارة سود وهي هنا اسم الأرض بظاهر المدينة معروفة وقوله
فسمر أعينهم معناه أنه حمى مسامير الحديد وكحل بها أعينهم حتى ذهب بصرها
وقوله ونهى عن المثلة المثلة أن تقطع أطراف الحيوان وتشوه خلقته
ومثلة القتيل أن يقطع أنفه وأذنيه ومذاكيره ونحو ذلك واختلف العلماء

في حكم



في حكم هذا الحديث فقيل هو منسوخ بنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة
وقيل حكمه ثابت غير السمر والمثلة وقيل إن هذه الآية ناسخة لما فعل النبي
صلى الله عليه وسلم بهم وقيل كان ذلك قبل أن تنزل الحدود فلما نزلت الحدود
وجب الأخذ بها والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الآية معاتبة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وتعليما من الله تعالى إياه عقوبتهم وما يجب عليهم فقال
تعالى إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله واعلم أن المحاربة لله غير ممكنة
وفي معناها للعلماء قولان أحدهما أن المحاربين لله هم المخالفون أمره الخارجون
عن طاعته لأن كل من خالف أمر إنسان فهو حرب له فيكون المعنى يخالفون
الله ورسوله ويعصون أمرهما والقول الثاني معناه يحاربون أولياء الله
وأولياء رسوله فهو من باب حذف المضاف **ويسعون في الأرض فسادا** يعني
بحمل السلاح والخروج على الناس وقتل النفس وأخذ الأموال وقطع الطريق
واختلفوا في حكم هؤلاء المحاربين الذين يستحقون هذا الحد فقال قوم هم
الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون في البلد وهذا قول
الأوزاعي ومالك والليث بن سعد والشافعي وقال أبو حنيفة المكابرون في
الأمصار ليس لهم حكم المحاربين في استحقاق هذا الحد ثم ذكر الله تعالى
عقوبة هؤلاء المحاربين وما يستحقونه فقال تعالى **أن يقتلوا أو يصلبوا
أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض** وللعلماء في أو المذكورة في
هذه الآية قولان أحدهما أنه للتخيير وهو قول ابن عباس في رواية عنه
وبه قال الحسن وسعيد بن المسيب والنخعي ومجاهد وهو أن الإمام مخير
في أمر المحاربين فإن شاء قتل وإن شاء صلب وإن شاء نفى من الأرض
بحكم ظاهر الآية والقول الثاني أن لفظ أو للبيان وليست للتخيير وهو
الرواية الثانية عن ابن عباس وهو قول أكثر العلماء لأن الأحكام تختلف
فتترتب هذه العقوبات على ترتيب الجرائم وهذا كما روي عن ابن عباس في
قطاع الطريق قال إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا وإذا قتلوا
ولم يأخذوا المال قتلوا وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم
من خلاف وإذا أخافوا السبيل ولم يقتلوا ولا يأخذوا مالا نفوا من الأرض
وهذا قول قتادة والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي واختلفوا في كيفية
الصلب فقيل يصلب حيا ثم يطعن في بطنه برمح حتى يموت قال الشافعي
يقتل أولا ويصلى عليه ثم يصلب وإنما يجمع بين القتل والصلب إذا قتل
وأخذ المال ويصلب على الطريق في ممر الناس ليكون ذلك زجرا لغيره
عن الإقدام على مثل هذه المعصية واختلفوا في تفسير النفي من الأرض
المذكور في الآية فقيل إن الإمام يطلبهم ففي كل بلد وجدوا نفوا
عنه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون حتى

نقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث بن سعد والشافعي وقال
ابو حنيفة واهل الكوفة النفي هو الحبس لانه نفي من الارض لان المحبوس
لا يرى احدا من احبابه ولا ينتفع بلذات الدنيا وطيباتها فهو منفي من
الارض في الحقيقة الا من تلك البقعة الضيقة التي هو فيها قال مكحول
ان عمر بن الخطاب اول من حبس في السجون يعني من هذه الامة وقال احبسه
حتى اعلم منه التوبة ولا انفيه الى بلد اخر فيوذيهم ثم قال تعالى **ذلك**
يعني ما ذكر في هذه الاية من الحدود **لهم** يعني للمحاربين **خزي في الدنيا**
اي عذاب وهوان وفضيحة **ولهم في الاخرة عذاب عظيم** هذا الوعيد في
حق الكفار الذين نزلت الاية فيهم فاما من اجرى حكم الاية على المحاربين
من المسلمين فينفي العذاب العظيم عنهم في الاخرة لان المسلم اذا عوقب بجنايته
في الدنيا كانت عقوبته كفارة له وان لم يعاقب في الدنيا فهو في خطر المشية
ان شا عذبه بجنايته ثم يدخل الجنة وان شا عفى عنه وادخله الجنة هذا
مذهب اهل السنة وقوله تعالى **الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم**
يعني لكن الذين تابوا من شركهم وحربهم لله ورسوله ومن السعي في الارض
بالفساد من قبل ان تقدروا عليهم يعني فلا سبيل لكم بشي من العقوبات
المذكورة في الاية المتقدمة **فاعلموا ان الله غفور** يعني لمن تاب من الشرك
**رحيم** يعني به اذا رجع عما يسخط الله عز وجل وهذا قول معظم اهل
التفسير ان المراد بهذا الاستثنا المشرك المحارب اذا امن واصلح قبل
القدرة عليه سقطت عنه جميع الحدود التي ذكرها الله تعالى في هذه الاية
وانه لا يطالب بشي مما اصاب من مال او دم قال ابو اسحاق جعل الله التوبة
للكفار تدرا عنهم الحدود التي وجبت عليهم في كفرهم ليكون ذلك داعيا
لهم الى الدخول في الاسلام فهذا حكم المشرك والمحارب اذا امن واصلح وكذلك
لو امن بعد القدرة عليه فقال السدي هو كالكافر اذا امن لم يطالب بشي
الا اذا اصيب عنده مال بعينه فانه يرده على اهله وهذا مذهب مالك
والاوزاعي قال ان مالكا قال يوخذ بالدم اذا طالب به وليه فاما ما اصاب
من الدما والاموال ولم يطلبها اولياوها فلا يتبعه الامام بشي من
ذلك وهذا الحكم على بن ابي طالب في حارثة بن زيد وكان قد خرج محاربا
فتاب قبل ان يقدر عليه فامنه على نفسه وكذلك جاء رجل من مراد الى ابي
موسى الاشعري وهو على الكوفة في خلافة عثمان بعدما صلى المكتوبة
فقال يا ابا موسى هذا مقام العايذ بك انا فلان بن فلان المرادي كنت قد
حاربت الله ورسوله وسعيت في الارض بالفساد واني قد تبت من قبل
ان يقدر علي فقام ابو موسى فقال ان هذا فلان المرادي وانه كان حارب
وسعى في الارض فسادا وانه قد تاب من قبل ان يقدر عليه فلا يتعرض له





احد الا بخير وقال الشافعي تسقط عنه بتوبته قبل القدرة عليه حد الله
ولا يسقط عنه بها ما كان من حقوق بني ادم من قصاص او مظلمة في مال
او غيره واما اذا تاب فظاهر الاية ان التوبة لا تنفعه وتقام عليه الحدود
قال الشافعي ويحتمل ان يسقط كل حد لله عز وجل بالتوبة قوله تعالى
**يا ايها الذين امنوا اتقوا الله** اي خافوا الله بترك المنهيات **وابتغوا
اليه الوسيلة** يعني واطلبوا اليه القرب بطاعته والعمل بما يرضي وانما قلنا
ذلك لان مجامع التكاليف محصورة في نوعين لا ثالث لهما احد النوعين ترك
المنهيات واليه الاشارة بقوله اتقوا الله والثاني التقرب الى الله تعالى
بالطاعات واليه الاشارة بقوله وابتغوا اليه الوسيلة والوسيلة فعيلة
من وسل اليه اذا تقرب اليه ومنه قول الشاعر ان الرجال لهم اليك وسيلة
اي قربة وقيل في معنى الوسيلة المحبة اي تحببوا الى الله عز وجل **وجاهدوا
في سبيله** اي وجاهدوا العدو في طاعته وابتغا مرضاته **لعلكم
تفلحون** يعني لكي تسعدوا بالخلود في جنته لان الفلاح اسم جامع للخلاص
من كل مكروه والفوز بكل محبوب قوله عز وجل **ان الذين كفروا لو ان
لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم**
يعني ان الكافر لو ملك الدنيا ودنيا اخرى مثلها معها ثم فدى نفسه من
العذاب يوم القيامة لم يقبل منه ذلك الفدى **ولهم عذاب اليم** والمقصود
من هذا ان العذاب لازم للكفار وانهم لا سبيل لهم الى الخلاص منه بوجه
من الوجوه **ق** عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله
تبارك وتعالى لاهون اهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا كلها لك اكنت مفتديا
بها فيقول نعم فيقول قد اردت منك ايسر من هذا وانت في صلب ادم
الا تشرك بي ولا ادخلك النار وادخلك الجنة فابيت الا الشرك هذا
لفظ مسلم وفي رواية البخاري قال يجا بالكافر يوم القيامة فيقال له
ارايت لو كان ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له
لقد كنت سيلت ما هو ايسر من ذلك ان لا تشرك بي **يريدون ان يخرجوا من
النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم** فيه وجهان احدهما
انهم يقصدون الخروج من النار ويطلبونه ولكن لا يستطيعون ذلك
قيل اذا حملهم لهب النار الى فوق طلبوا الخروج منها فلا يقدرون عليه
والوجه الثاني انهم يتمنون الخروج من النار بقلوبهم ولهم عذاب مقيم
يعني ولهم عذاب دايم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل ابدا قوله عز وجل
**والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما** قال ابن السايب نزلت في طعمة
ابن ابيرق وقد مضت قصته في سورة النسا وانما سمي السارق سارقا
لانه ياخذ الشي الذي ليس له اخذه في خفا ومنه استرق السمع مستخفيا

والسارق مرفوع بالابتدا لانه لم يقصد واحدا بعينه انما هو كقولك من سرق فاقطع
يده والمراد باليد المذكورة هنا اليمنى قاله الحسن والشعبي والسدي وكذلك
هو في قراءة عبد الله بن مسعود فاقطعوا ايمانهما وانما قال ايديهما ولم يقل يديهما
لانه اراد يمينا من هذا ويمينا من هذه فجمع فانه ليس للانسان الا يمين واحدة وكل شي
موحد من اعضا الانسان اذا ذكر مضافا الى اثنين فصاعدا جمع والمراد باليد هنا
الجارحة وحدها عند جمهور اهل اللغة من روس الاصابع الى الكوع فيجب قطعها
في حد السرقة من الكوع وقوله تعالى **جزا بما كسبا** يعني ذلك القطع جزا على فعلهم
**نكالا من الله** يعني عقوبة من الله **والله عزيز** في انتقامه ممن عصاه **حكيم**
يعني فيما اوجبه من قطع يد السارق **فصل** في بيان حكم الاية وفيه
مسايل المسئلة الاولى اقتضت منه وجوب القطع على كل سارق وقطع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في السرقة **ق** عن عايشة ان قريشا اهمهم شان المخزومية
التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ومن يجتري
عليه الا اسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه اسامة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب
ثم قال انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا
سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت
لقطعت يدها وعن عايشة قالت اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسارق فقطعه
فقالوا ما كنا نراك تبلغ به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعتها اخرجه النسائي
**ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق
البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده قال الاعمش يرون انه بيض الحديد
وان من الحبال ما يساوي دراهم اخرجه البخاري ومسلم اما السارق الذي
يجب عليه القطع فهو البالغ العاقل العالم بتحريم السرقة فلو كان حديث عهد
بالاسلام ولا يعلم ان السرقة حرام فلا قطع عليه المسئلة الثانية اختلف العلما
في قدر النصاب الذي يقطع به فذهب اكثر العلما الى انه ربع دينار او متاعا قيمته
ربع دينار فيقطع وهذا قول ابي بكر وعثمان وعلي وبه قال عمر بن عبد العزيز والاوزاعي
والشافعي ويدل عليه ما روي عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا تقطع يد السارق الا في ربع دينار فصاعدا اخرجاه في الصحيحين وذهب مالك
واحمد واسحاق الى انه ثلاثة دراهم او قيمتها لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم اخرجه الجماعة المجن الترس
ويروى عن ابي هريرة ان قدر النصاب الذي تقطع به اليد خمسة دراهم وبه قال
ابن ابي ليلى لما روي عن انس قال قطع ابو بكر في مجن قيمته خمسة دراهم وفي
رواية قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه النسائي وقال الرواية
الاولى وذهب قوم الى انه لا قطع في اقل من دينار او عشرة دراهم يروى ذلك عن





ابن مسعود واليه ذهب سفيان الثوري وابو حنيفة لما روي عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اول من قطع في مجن قيمته دينار او عشرة
دراهم اخرجه ابو داود فاذا سرق نصابا من المال في حرز لا شبهة له فيه
قطعت يده اليمنى من الكوع ولا يجب القطع بسرقة ما دون النصاب وقال ابن
عباس وابن الزبير والحسن القدر غير معتبر فيجب القطع في القليل والكثير
وكذا الحرز غير معتبر ايضا عندهم واليه ذهب داود الظاهري واحتجوا بعموم
الاية فان قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما يتناول القليل
والكثير وسوا سرقه من حرز او غير حرز المسئلة الثالثة الحرز هو ما جعل
للسكنى وحفظ الاموال كالدور والمضارب والخيم التي يسكنها الناس ويحفظون
امتعتهم فيها فكل حرز وان لم يكن فيه حافظ ولا عنده وسوا سرق من ذلك وهو
مفتوح الباب او مغلق فاما ما كان في غير بنا ولا خيمة فانه ليس بحرز الا ان
يكون عنده من يحفظه اما نباش القبور فانه يقطع وهو قول مالك والشافعي
واحمد وقال ابن ابي ليلى والثوري والاوزاعي وابو حنيفة لا قطع عليه فان سرق
شيا من غير حرز كثمر من بستان لا حارس له او حيوان في برية ولا راعي لها
او متاع في بيت منقطع عن البيوت فلا قطع عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن الثمر المعلق فقال من اصاب بفيه
منه من ذي حاجة غير متخذ خبنة فلا شي عليه اخرجه الترمذي وابو داود
والنسائي وزاد فيه ومن خرج بشي منه فعليه غرامة مثله والعقوبة
ومن سرق منه شيا بعد ان يوويه الجرين فبلغ ثمن المجن فعليه القطع ومن
سرق دون ذلك فعليه غرامة مثله والعقوبة قوله غير متخذ خبنة الخبنة
بالخا المعجمة وبعدها با موحدة من تحتها ثم نون وهو ما يحمله الانسان في
حضنه وقيل هو ما ياخذه في خبنة ثوبه وهو ذيله واسفله والجرين موضع
التمر الذي يجفف فيه مثل البيدر للحنطة وروى مالك في الموطا عن ابي
حسين المكي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قطع في ثمر معلق ولا في
حريسة جبل فاذا اواه المراح والجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن هكذا
رواه مالك منقطعا وفي رواية من حديث عبد الله بن عمر المتقدم فان
هذه الرواية عن ابي حسين عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وجده هو
عبد الله بن عمرو بن العاص قوله ولا في حريسة الجبل من العلما من يجعل
الحريسة السرقة نفسها يقال حرس يحرس حرسا اذا سرق ومنهم من
يجعلها المحروسة ومعنى الحديث انه ليس فيما يحرس في الجبل اذا سرق قطع
لانه ليس بحرز وقيل حريسة الجبل هي الشاة التي يدركها الليل قبل ان
تصل الى المراح وماواها بضم الميم هو الموضع الذي تاوي اليه الماشية
بالليل عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على خاين ولا منتهب

ولا مختلس قطع اخرجه الترمذي والنسائي المسئلة الرابعة اذا سرق مالا له فيه شبهة كالولد يسرق من مال والده او الوالد يسرق من مال ابنه او العبد يسرق من مال سيده او الشريك يسرق من مال شريكه فلا قطع على واحد من هولاء فيه المسئلة الخامسة اذا سرق اول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع واذا سرق ثانية قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما اذا سرق مرة ثالثة فذهب اكثرهم الى انه تقطع يده اليسرى فان سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم اذا سرق بعد ذلك يعزر ويحبس حتى تظهر توبته يروى هذا عن ابي بكر وهو قول قتادة وبه قال مالك • والشافعي لما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السارق قال ان سرق فاقطعوا يده ثم ان سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوي بغير سند وذهب قوم الى ان من سرق بعد ما قطعت يده ورجله فلا قطع عليه بل يحبس وروي عن علي انه قال اني استحي ان لا ادع له يدا يستنجي بها ولا رجلا يمشي بها وهذا قول الشعبي والنخعي والاوزاعي وبه قال احمد واصحاب الراي قوله تعالى **فمن تاب من بعد ظلمه** يعني من بعد ما ظلم نفسه بالسرقة **واصلح** يعني واصلح العمل في المستقبل **فان الله يتوب عليه** يعني فان الله يغفر له ويتجاوز عنه **ان الله غفور** يعني لمن تاب **رحيم**

**فصل** وهذه التوبة مقبولة فيما بينه وبين الله فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند اكثر العلما لان الحد زجر عن الجناية ولا بد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل عن امية المخزومي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخالك سرقت فقال بلى فاعاد عليه مرتين او ثلاثا كل ذلك يعترف فامر به فقطع ثم جي به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب اليه فقال الرجل استغفر الله واتوب اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم تب عليه اخرجه ابو داود والنسائي بمعناه واذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند اكثر اهل العلم وقال الثوري واصحاب الراي لا غرم عليه فلو كان المسروق باقيا عنده يجب عليه ان يرده الى صاحبه ويقطع يده لان القطع حق الله والغرم حق الادمي فلا يمتنع احدهما بالاخر والله اعلم قوله عز وجل **الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وقيل معناه الم تعلم ايها الانسان فيكون الخطاب لكل فرد من الناس ان الله له ملك السموات والارض يعني ان الله مدبر امر ما في السموات والارض ومصرفه وخالق من فيهما ومالكه لا يمتنع عليه شي مما اراده فيهما لان ذلك كله في ملكه واليه امره **يعذب**

من يشا

**من يشا ويغفر لمن يشا** قال ابن عباس يعذب من يشا على الصغيرة ويغفر لمن يشا الكبيرة وقيل يعذب من يشا على معصيته وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك في الدنيا ويغفر لمن يشا بالتوبة عليه فينقذه من الهلكة والعذاب وانما قدم التعذيب على المغفرة لانه في مقابلة قطع السرقة على التوبة وهذه الاية فاضحة للقدرية والمعتزلة في قولهم بوجوب الرحمة للمطيع والعذاب للعاصي لان الاية دالة على ان التعذيب والرحمة مفوضة الى المشية والوجوب ينافي ذلك وجواب اخر وهو انه تعالى اخبر ان له ملك السموات والارض والمالك له ان يتصرف في ملكه كيف شا واراد لا اعتراض لاحد عليه في ملكه ويوكد ذلك قوله **والله على كل شي قدير** يعني انه تعالى قادر على تعذيب من اراد تعذيبه من خلقه وغفران ذنوب من اراد اسعاده وانقاذه من الهلكة من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه قوله تعالى **يا ايها الرسول** هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب تشريف وتكريم وتعظيم وقد خاطبه الله عز وجل بيا ايها النبي في مواضع كثيرة من كتابه وبيا ايها الرسول في موضعين هذا احدهما والاخر قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وقوله **لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر** يعني لا يهمنك موالاة الكفار ولا تبال بهم فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم **من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تومن قلوبهم** يعني المنافقين لانهم اظهروا الايمان بالقول وكتموا الكفر وهذه صفة المنافقين **ومن الذين هادوا** اي وطايفة من اليهود قال الزجاج وهذا يحتمل وجهين احدهما ان الكلام تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدا الكلام بقوله **سماعون للكذب** ويكون تقدير الكلام لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعون للكذب والوجه الثاني ان الكلام تم عند قوله ولم تومن قلوبهم ثم ابتدا فقال تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب اي ومن الذين هادوا قوم سماعون للكذب والمعنى انهم قايلون الكذب اي يسمعون الكذب من روسايهم ويقبلون منهم والسمع يستعمل والمراد منه القبول كما تقول لا تسمع من فلان اي لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لاجل ان يكذبوا عليك وذلك انهم كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون من عنده ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا ذلك منه بل كذبوا عليه وقوله تعالى **سماعون** يعني بني قريظة يعني هم جواسيس وعيون **لقوم اخرين** وهم اهل خيبر **لم ياتوك** يعني اهل خيبر لم ياتوك ولم يحضروا عندك يا محمد ذكر القصة في ذلك قال علما التفسير ان رجلا وامراة من اشراف يهود خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم عندهم في حكم التوراة فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا ان هذا الرجل بيثرب

يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وليس في كتابه الرجم ولكن الضرب فارسلوا
الى اخوانكم قريظة فانهم جيرانه وصلح معه فليسالوه عن ذلك فبعثوا
رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسالوا محمدا عن الزانيين اذا احصنا
ما حدهما فان امركم بالجلد فاقبلوا منه وان امركم بالرجم فاحذروه
ولا تقبلوا منه وارسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة
والنضير وقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث
فينا حدث وذلك ان فلانا وفلانة قد زنيا وقد احصنا فنحب ان تسالوه
عن قضائه في ذلك فقال لهم بنو قريظة والنضير اذا والله يامركم بما
تكرهون ثم انطلق قوم منهم فيهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وسعيد
ابن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن ابي الحقيق وغيرهم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية اذا احصنا
ما حدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضائي قالوا نعم فنزل جبريل
عليه السلام بالرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان ياخذوا به فقال جبريل
للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه لهم فقال
لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك
يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاي رجل هو فيكم فقالوا هو اعلم يهودي
بقي على وجه الارض بما انزل الله على موسى عليه السلام في التوراة قال
فارسلوا اليه ففعلوا فلما جاء قال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا
قال نعم قال انت اعلم يهودي قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهود
تجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن صوريا
انشدك بالله الذي لا اله الا هو الذي انزل التوراة على موسى واخرجكم
من مصر وفلق لكم البحر وانجاكم واغرق آل فرعون والذي ظلل عليكم
الغمام وانزل عليكم المن والسلوى وانزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه
هل تجدون في كتابكم الرجم على المحصن فقال ابن صوريا اللهم نعم والذي
ذكرتني به لولا خشيت ان ينزل علينا العذاب ان كذبت او غيرت ما اعترفت
لك ولكن كيف هي في كتابكم يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخله
فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذي
انزل التوراة على موسى هكذا انزله الله في التوراة على موسى فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم فما كان اول ما ترخصتم به في امر الله تعالى قال ابن صوريا
كنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد
فكثر الزنا في اشرافنا حتى زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنا رجل اخر
في اسرة من قومه فاراد الملك رجمه فقام قومه دونه وقالوا والله
لا نرجمه حتى ترجم فلانا لابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنضع شيئا

دون



دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد
اربعين جلدة بحبل مطلي بالقار ثم تسود وجوههما ثم يحملا على حمارين وجوههما
من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا ذلك مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا
ما اسرع ما اخبرته وما كنت لما اثنينا عليك باهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا
ان نغتابك فقال لهم ابن صوريا انه قد انشدني بالتوراة ولولا اني خشيت
ان ينزل علينا العذاب ما اخبرته فامر النبي صلى الله عليه وسلم بهما فرجما
عند باب المسجد وقال اللهم اني اول من احيا امرك اذ اماتوه فانزل الله هذه
الاية ق عن ابن عمر قال ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكروا له ان امراة منهم ورجلا زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما تجدون في التوراة في شان الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله
ابن سلام كذبتم ان فيها الرجم فاتوا بالتوراة فنشروها فوضع احدهم يده
على اية الرجم فقرا ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك
فرفع يده فاذا فيها اية الرجم فامر بهما النبي صلى الله عليه وسلم فرجما قال فرايت
الرجل يجنى على المراة يقيها الحجارة وفي رواية اخرى لما قال لهم النبي صلى الله
عليه وسلم برجل وامراة من اليهود قد زنيا فقال لليهود ما تصنعون بهما
قالوا نسخم وجوههما ونخزيهما قال فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين
فجاؤا بها فقالوا لرجل ممن يرضون اعور اقرا فقرا حتى انتهى الى موضع منها فوضع
يده عليها فقال ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها اية الرجم تلوح فقالوا يا محمد ان
فيها الرجم ولكنا كنا نتكاتمه بيننا فامر بهما فرجما فرايته يجنى زاد في رواية
اخرى فرجما قريبا من موضع الجنائز قرب المسجد م عن البراء بن عازب قال
مر على النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي محمم مجلود فدعاهم فقال هكذا تجدون
حد الزاني في كتابكم قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال انشدك بالله
الذي انزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال لا ولولا
انك نشدتني بهذا لم اخبرك نجده الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا اخذنا
الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فلنجتمع
على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اول من احيا امرك اذ اماتوه
فامر به فرجم فانزل الله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر الى قوله ان اوتيتم هذا فخذوه يقولون ائتوا محمدا فان امركم بالتحميم
والجلد فخذوه وان امركم بالرجم فاحذروا فانزل الله تبارك وتعالى ومن لم
يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون في الكفار كلها
التحميم هو تسويد الوجه بالحممة وهو الفحم وقوله ما تجدون في التوراة الخ

الزاني قال العلماء هذا السؤال من النبي صلى الله عليه وسلم ليس لتقليدهم
ولا لمعرفة الحكم منهم وانما هو لالزامهم بما يعتقدونه في كتابهم ولعله صلى الله
عليه وسلم كان اوحي اليه ان الرجم في التوراة الموجودة في ايديهم لم يغيروه
كما غيروا اشياء منها او اخبره بذلك من اسلم من اهل الكتاب وهو عبد الله بن سلام
كما في حديث عمر المتفق عليه وكذلك لم يخف عليه صلى الله عليه وسلم حين كتموه
وقوله تعالى **يحرفون الكلم** يعني يغيرون حدود الله التي اوجبها عليهم في
التوراة وذلك انهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم وقال الحسن انهم يغيرون
ما يسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وقال ابن جرير الطبري
يحرفون حكم الكلم فحذف ذكر الحكم لمعرفة السامعين به **من بعد مواضعه**
يعني من بعد ان وضعه الله مواضعه وفرض فروضه واحل حلاله وحرم حرامه
فان قلت قد قال الله عز وجل هنا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقال
في موضع اخر يحرفون الكلم عن مواضعه فهل من فرق بينهما قلت نعم
بينهما فرق وذلك انا اذا فسرنا يحرفون الكلم عن مواضعه بالتاويلات
الباطلة فيكون معنى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه بالتاويلات
الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان انهم يحرفون تلك اللفظة من
الكتاب واما قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه ففيه دلالة على انهم
جمعوا بين الامرين يعني انهم كانوا يذكرون التاويلات الفاسدة وكانوا
يحرفون اللفظ من الكتاب ففي بيان قوله يحرفون الكلم عن مواضعه اشارة
الى التاويل الباطل وفي قوله من بعد مواضعه اشارة الى اخراجه من الكتاب
بالكلية وقوله تعالى **يقولون** يعني اليهود **ان اوتيتم هذا فخذوه** يعني
ان افتاكم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوه **وان لم تؤتوه فاحذروا** يعني
وان لم يفتكم بذلك وافتاكم بالرجم فاحذروا ان تقبلوه **ومن يرد الله**
**فتنته** يعني كفره وضلالته **فلن تملك له من الله شيئا** يعني فلن تقدر
على دفع امر الله فيه **اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم** قال
ابن عباس معناه ان يخلص نياتهم وقيل معناه لم يرد الله ان يهديهم وفي هذه
الاية دلالة على ان الله تعالى لم يرد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك
والشرك ولو فعل ذلك لامن وهذه الاية من اشد الايات على القدرية **لهم**
**في الدنيا خزي** يعني للمنافقين واليهود اما خزي المنافقين فالفضيحة
وهتك استارهم باظهار نفاقهم وكفرهم واما خزي اليهود فباخذ الجزية
والقتل والسبي والاجلاء من ارض الحجاز الى غيرها **ولهم في الاخرة عذاب عظيم**
يعني الخلود في النار للمنافقين واليهود قوله عز وجل **سماعون للكذب**
**اكالون للسحت** نزلت في حكام اليهود مثل كعب بن الاشرف ونظرائه كانوا
يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم اذا اتاه احدهم برشوة

جعلها



جعلها في كمه ثم يريها اياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع
الكذب ويأكل الرشوة وهي السحت واصل السحت الاستئصال يقال سحته
اذا استأصله وسميت الرشوة في الحكم سحتا لانها تستأصل دين المرتشي والسحت
كله حرام يحمل عليه شدة الشره وهو يرجع الى الحرام الخسيس التي لا يكون له
بركة ولا لاخذه مروة ويكون في حصوله عار بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم
ان حال الرشوة كذلك فلذلك حرمت الرشوة على الحاكم عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعن الراشي والمرتشي في الحكم اخرجه الترمذي واخرجه
ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الحسن انما ذلك في الحكم اذا رشوته
ليحق لك باطلا او يبطل عنك حقا وقال ابن مسعود الرشوة في كل شيء
فمن شفع شفاعة ليرد بها حقا او يدفع بها ظلما فاهدي اليه فقبل فهو
سحت فقيل له يا ابا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم
فقال الاخذ على الحكم كفر قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الكافرون قوله عز وجل **فان جاءوك** يعني اليهود **فاحكم بينهم او اعرض**
**عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا** خير الله رسوله صلى الله عليه وسلم
في الحكم بينهم فان شاء حكم وان شاء ترك قال الحسن ومجاهد والسدي نزلت
في اليهوديين اللذين زنيا وقال قتادة نزلت في رجلين من قريظة والنضير
قتل احدهما الاخر قال ابن زيد كان حيي بن اخطب قد جعل للنضيري ديتين
وللقرظي دية واحدة لانه كان من بني النضير فقالت قريظة لا نرضى بحكم
حيي ونتحاكم الى محمد فانزل الله هذه الاية يخير نبيه صلى الله عليه وسلم
في الحكم بينهم **فصل** اختلف علماء التفسير في حكم هذه الاية على
قولين احدهما انها منسوخة وذلك ان اهل الكتاب كانوا اذا ترافعوا الى
النبي صلى الله عليه وسلم كان مخيرا فان شاء حكم بينهم وان شاء اعرض عنهم ثم
نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله فلزمه الحكم بينهم وهذا
التخيير مروي عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدي والقول
الثاني انها محكمة وحكام المسلمين بالخيار اذا ترافعوا اليهم فان شاءوا حكموا
بينهم وان شاءوا اعرضوا عنهم وهذا القول مروي عن الحسن والشعبي والنخعي
والزهري وبه قال احمد لانه لا منافاة بين الايتين اما قوله فاحكم بينهم
او اعرض عنهم ففيه التخيير بين الحكم والاعراض واما قوله وان احكم بينهم بما
انزل الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام فخر الدين الرازي
ومذهب الشافعي انه يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين اهل الكتاب اذا تحاكموا
اليه لان في امضاء حكم الاسلام صغارا لهم فاما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين
عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم ان يحكم بينهم بل يتخير في ذلك وهذا التخيير
المذكور في هذه الاية مخصوص بالمعاهدين واما اذا تحاكم مسلم وذمي وجب

على الحاكم الحكم بينهم لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم اهل
الذمة والله اعلم وقوله تعالى **وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط** يعني
بالعدل والاحتياط **ان الله يحب المقسطين** يعني العادلين فيما ولوا وحكموا
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه
يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا هذا من احاديث الصفات
فمن العلما من قال فيه وفي امثاله نؤمن بها ولا نتكلم في تاويلها ولا نعرف
معناها لكن نعتقد ان ظاهرها غير مراد وان لها معنى يليق بالله هذا
مذهب جماهير السلف وطوايف من المتكلمين ومنهم من قال انها تؤول بتاويل
يليق بها وهذا قول اكثر المتكلمين فعلى هذا قال القاضي عياض المراد
بكونهم عن اليمين الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة والعرب تنسب
الفعل المحمود والاحسان الى اليمين وضده الى اليسار قالوا واليمين ماخوذة
من اليمن وقوله كلتا يديه يمين على انه ليس المراد باليمين الجارحة تعالى
الله عن ذلك فانها مستحيلة في حقه تعالى وقوله وما ولوا بفتح الواو
وضم اللام المخففة هكذا ذكره الشيخ محيي الدين في شرح مسلم قال ومعناه
وما كانت لهم عليه ولاية وهذا الفضل لمن عدل فيما تقلده من الاحكام والله
اعلم قوله تعالى **وكيف يحكمونك وعندهم التوراة** هذا تعجب من الله تعالى
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تحكيمهم اياه مع علمهم بما في التوراة وتركهم
قبول ذلك الحكم مع اعتقادهم صحته وعدولهم الى حكم من يجحدون نبوته
طلبا للرخصة لاجرم ان الله تعالى اظهر جهلهم وعنادهم لانهم حكموا النبي
صلى الله عليه وسلم في امر الزانيين ثم اعرضوا عنه وفي هذه الاية تقريع
لليهود فكيف يجعلونك حكما بينهم فيرضون بحكمك وعندهم التوراة
**فيها حكم الله** يعني الرجم الذي تحاكموا اليك من اجله **ثم يتولون من
بعد ذلك** يعني ثم يعرضون عن حكمك الموافق لما في كتابهم **وما اولئك**
يعني اليهود **بالمومنين** يعني بكتابهم كما يزعمون وقيل معناه وما اولئك
بالمصدقين لك قوله عز وجل **انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور** سبب
نزول هذه الاية استفتاء اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر
الزانيين وقد سبق بيانه والهدى هو البيان لان التوراة مبينة صحة
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومبينة ما تحاكموا فيه والنور هو الكاشف
للشبهات والموضح للمشكلات والتوراة كذلك وقيل الفرق بين الهدى والنور
ان الهدى محمول على بيان الاحكام والشرايع والنور محمول على بيان احكام
التوحيد والنبوة والمعاد **يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا** اراد
بالنبيين الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام وذلك ان الله بعث في بني اسرايل

الوفا



الوفا من الانبيا ليس معهم كتاب انما بعثوا باقامة التوراة واحكامها ومعنى
اسلموا اي انقادوا لامر الله تعالى والعمل بكتابه وهذا على سبيل المدح لهم
وفيه تعريض باليهود لانهم بعدا عن الاسلام الذي هو دين الانبيا عليهم
السلام وقال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة والسدي يحتمل ان يكون
المراد بالنبيين الذين اسلموا هو محمد صلى الله عليه وسلم وانما ذكر بلفظ الجمع
تعظيما وتشريفا له صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم حكم
على اليهود بالرجم وكان هذا الحكم في التوراة قال ابن الانباري هذا رد
على اليهود والنصارى لان الانبيا عليهم السلام ما كانوا موصوفين باليهودية
والنصرانية بل كانوا مسلمين لله تعالى منقادين لامره ونهيه للذين هادوا
يعني اليهود يحكم بالتوراة فيما بينهم ويحملهم على احكامها كما فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم كما هو في التوراة ولم يوافقهم
على ما ارادوا من الجلد وقال الزجاج وجايز ان يكون المعنى على التقديم والتاخير
على معنى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون
الذين اسلموا **والربانيون والاحبار** اما الربانيون فتقدم تفسيره في سورة
آل عمران واما الاحبار فقال ابن عباس هم الفقها وقيل هم العلما الاحبار
واحدهم حبر بفتح الحا والحبر العالم لما يبقى من اثر علومه في قلوب الناس وافعاله
الحسنة التي يقتدى بها وجمعه احبار ومنه كعب الاحبار وقيل الحبر الاثر
المستحسن ومنه الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره اي جماله
وبهاوه وانما سمي العالم حبرا لما عليه من اثر جمال العلم وهل الفرق بين الربانيين
والاحبار ام فيه خلاف فقيل لا فرق والربانيون والاحبار بمعنى واحد
وهم العلما والفقها وقيل الربانيون اعلى درجة من الاحبار لان الله تعالى
قدمهم في الذكر على الاحبار وقيل الربانيون هم الولاة والحكام والاحبار
هم العلما وقيل الربانيون علما النصارى والاحبار علما اليهود ومعنى الاية
يحكم باحكام التوراة النبيون وكذلك يحكم بها الربانيون والاحبار وقوله
تعالى **بما استحفظوا من كتاب الله** يعني بما استودعوا من كتاب الله وقيل
ان يحفظوا كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو ان يحفظوا فلا يضيعوا احكامه
وشرايعه وقد اخذ الله على العلما حفظ كتابه من هذين الوجهين معا وذلك
بان يحفظوا كتاب الله في صدورهم ويدرسونه بالسنتهم لئلا ينسوه
وان لا يضيعوا احكامه ولا يهملوا شرايعه فاذا فعلوا ذلك كانوا قايمين بحفظه
**وكانوا عليه شهدا** يعني ان هولا النبيين والربانيين والاحبار كانوا
شهدا على كتاب الله تعالى ويعلمون انه حق وصدق وانه من عند الله **فلا تخشوا
الناس واخشوني** هذا خطاب لحكام اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني لا تخافوا احدا من الناس في اظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم

والعمل بالرجم والخشوع يعني في كتمان ذلك **ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا**
يعني ولا تستبدلوا بآيات الله واحكامه ثمنا قليلا يعني الرشوة في الاحكام
والجاه عند الناس ورضاهم والمعنى كما نهيتكم عن تغيير الاحكام لاجل خوف
الناس كذلك انهاكم عن التغيير والتبديل لاجل الطمع في المال والجاه
ولحذا الرشوة فان كل متاع الدنيا قليل **ومن لم يحكم بما انزل الله**
**فاولئك هم الكافرون** يعني اليهود لما انكروا حكم الله تعالى والمنصوص عليه
في التوراة وقالوا انه غير واجب عليهم فهم كافرون على الاطلاق بموسى
والتوراة وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واختلف العلماء فيمن نزلت
هذه الثلاث آيات وهي قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله
فاولئك هم الفاسقون فقال جماعة من المفسرين ان الآيات الثلاث
نزلت في الكفار ومن غير حكم الله من اليهود لان المسلم وان ارتكب كبيرة
لا يقال انه كافر وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا
القول ما روي عن البراء بن عازب قال انزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما
انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون في الكفار
كلها اخرجه مسلم وعن ابن عباس قال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الكافرون الى قوله الفاسقون هذه الآيات الثلاث من ترك الحكم بما انزل الله
ردا لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق وقال عكرمة ومن لم يحكم بما انزل الله
جاحدا به كفر ومن اقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق وهذا قول ابن عباس
ايضا واختاره الزجاج لانه قال من زعم ان حكما من احكام الله التي اتت بها
الانبياء باطل فهو كافر وقال طاوس قلت لابن عباس اكافر من لم يحكم بما انزل الله
فقال به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الآخر ونحو هذا روي عن عطاء قال هو كفر دون كفر وقال ابن مسعود
والحسن والنخعي هذه الآيات الثلاث عامة في اليهود وفي هذه الامة فكل
من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق واليه ذهب
السدي لانه ظاهر الخطاب وقيل هذا فيمن علم نص حكم الله ثم رده عيانا
عمدا وحكم بغيره واما من خفي عليه النص او اخطأ في التاويل فلا يدخل في
هذا الوعيد والله اعلم بمراده. قوله تعالى **وكتبنا عليهم فيها ان النفس**
**بالنفس** يعني وفرضنا على بني اسرائيل في التوراة ان نفس القاتل بنفس
المقتول وفاء فيقتل به وذلك ان الله تعالى حكم في التوراة ان على
الزاني المحصن الرجم واخبرنا ان اليهود بدلوه وغيروه واخبر ايضا ان في التوراة
ان النفس بالنفس وان هؤلاء اليهود غيروا هذا الحكم وبدلوه ففضلوا بني النضير

على بني قريظة



على بني قريظة فكان بنو النضير اذا قتلوا من قريظة ادوا اليهم نصف الدية واذا
قتل بنو قريظة من بني النضير ادوا اليهم الدية كاملة فغيروا حكم الله الذي
انزله في التوراة قال ابن عباس اخبر الله بحكمه في التوراة وهو ان النفس بالنفس
والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص
قال فما لهم يخالفون فيقتلون النفسين بالنفس ويفقؤن العينين بالعين ومعنى
الآية ان قاتل النفس يقتل به اذا تكافأ الدمان ومذهب الشافعي انه لا يقتل
مسلم بكافر لما صح من حديث علي بن ابي طالب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل
مسلم بكافر اخرجاه في الصحيحين وقوله تعالى **والعين بالعين** يعني تفقأ
بها **والانف بالانف** يعني يجدع به **والاذن بالاذن** تقطع بها **والسن**
**بالسن** يعني تقلع به واما سائر الاطراف والاعضاء فيجري فيها القصاص
كذلك وقوله تعالى **والجروح قصاص** يعني فيما يمكن ان يقتص منه وهذا
تعميم بعد التخصيص لان الله تعالى ذكر النفس والعين والانف والاذن
فخص هذه الاربعة بالذكر ثم قال تعالى والجروح قصاص على سبيل العموم
فيما يمكن ان يقتص منه كاليد والرجل والذكر والانثيين وغيرها واما ما لا
يمكن القصاص فيه كرض في لحم او كسر في عظم او جراحة في البطن يخاف منها
التلف فلا قصاص في ذلك وفيه الارش والحكومة واعلم ان هذه الآية دالة
على ان هذا الحكم كان شرعا في التوراة فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا الا ما
نسخ منه بالتفصيل قال هذه الآية حجة في شرعنا ومن انكره قال انها ليست
بحجة علينا واصل هذه المسئلة ان النبي صلى الله عليه وسلم وامته بعد البعثة
هل هم متعبدون بشرع من تقدم من الانبياء فنقل عن ابي حنيفة وبعض اصحاب
الشافعي وعن احمد في احدى الروايتين عنه انه كان متعبدا بما صح من شرائع من
قبله بطريق الوحي اليه لا من جهة كتبهم المبدلة ونقل اربابها واختاره ابن
الحاجب من المتاخرين هذا المذهب وهو انه صلى الله عليه وسلم كان بعد البعث
متعبدا بشرع من قبله فيما لم ينسخ من الاحكام الباقية قبل شريعته لكنه
لم يعتبر فيه الوحي وهو الحق والا لم يبق للنزاع معنى اذ لا ينكر احد كون النبي
صلى الله عليه وسلم بعد البعثة مما اوحي اليه سواء كان من شريعة من قبله ام لا
وذهب الاشاعرة والمعتزلة الى المنع من ذلك وهو اختيار السيف الآمدي
من المتاخرين واحتج الاولون بصحة مذهبهم ان الاجماع منعقد على صحة الاستدلال
بقوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس الآية مع انه من شريعة من تقدم
لانه مذكور في التوراة ومكتوب على بني اسرائيل ولولا انا متعبدون بشريعة
من قبلنا ما صح هذا الاستدلال وقوله تعالى **فمن تصدق به** يعني بالقصاص
فلم يقتص من الجاني **فهو كفارة له** في هاء له قولان احدهما في ان الهاء في له
كناية عن المجروح وولي المقتول وذلك ان المجروح وولي المقتول اذا تصدق

بالقصاص كان ذلك كفارة لذنوبه وهذا قول ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص
والحسن ويدل عليه ما روي عن ابي الدردا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من رجل يصاب بشي من جسده فيتصدق به الا رفعه الله به درجة وحط
عنه به خطيئة اخرجه الترمذي وعن انس قال ما رايت رسول الله صلى الله
عليه وسلم رفع اليه شي فيه قصاص الا امر فيه بالعفو اخرجه ابو داود والنسائي
والقول الثاني ان الضمير في قوله له يعود الى الجارح والقاتل يعني ان المجني
عليه اذا عفا عن الجاني كان ذلك العفو كفارة لذنب الجاني لا يؤاخذ به في الاخرة
وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل كما ان القصاص كفارة له فاما اجر العافي
فعلى الله وقوله تعالى **ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون** يعني لانفسهم
حيث لم يحكموا بما انزل الله عز وجل قوله عز وجل **وقفينا على اثارهم** يعني
وعقبنا على اثار النبيين الذين اسلموا **بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه
من التوراة** يعني ان عيسى عليه السلام كان مصدقا بان التوراة منزلة من عند الله
عز وجل وكان العمل بها واجبا قبل ورود النسخ عليها فان عيسى عليه السلام
نسخ بعض احكام التوراة وخالفها **واتيناه الانجيل فيه هدى ونور** يعني فيه
هدى من الجهالة وضيا من عمى البصيرة **ومصدقا لما بين يديه من التوراة** هذا
ليس بتكرير للاول لان في الاول الاخبار بان عيسى مصدق لما بين يديه من التوراة
وفي الثاني الاخبار بان الانجيل مصدق للتوراة فظهر الفرق بين اللفظين وانه
ليس بتكرار **وهدى وموعظة للمتقين** انما قال وهدى مرة اخرى لان الانجيل
يتضمن البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون سببا لاهتدا الناس الى نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم واما كون الانجيل موعظة لما فيه من المواعظ البليغة
والزواجر والامثال وانما خص المتقين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بالمواعظ
قوله تعالى **وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه** قال اهل المعاني قوله وليحكم
يحتمل وجهين احدهما ان يكون المعنى وقلنا ليحكم اهل الانجيل فيكون هذا اخبارا
عما فرض عليهم في وقت انزاله عليهم من الحكم بما تضمنه الانجيل ثم حذف القول
لان ما قبله من قوله وكتبنا وقفينا يدل عليه وحذف القول كثير والوجه
الثاني ان يكون قوله وليحكم ابتدا وفيه امر للنصارى بالحكم بما في كتابهم وهو
الانجيل **فان قلت** فعلى هذا الوجه كيف جاز ان يومروا بالحكم بما في الانجيل
بعد نزول القران **قلت** ان المراد بهذا الحكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
لان ذكره في الانجيل موجود ووجوب التصديق بنبوته فاذا امنوا بمحمد صلى الله
عليه وسلم فقد حكموا بما في الانجيل وقوله **ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك
هم الفاسقون** يعني فاولئك هم الخارجون عن طاعة الله عز وجل **وانزلنا اليك
الكتاب** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وانزلنا اليك يا محمد القران
**بالحق** يعني بالصدق الذي لا شك فيه انه من عند الله **مصدقا لما بين يديه**



**من الكتاب** يعني انه يصدق جميع الكتب التي انزلها الله على انبيائه **ومهيمنا
عليه** قال ابن عباس يعني شاهدا على الكتب التي هو قبله ومنه قول حسان

• ان الكتاب مهيمن لنبينا والحق يعرفه ذوو الالباب •

يريد انه شاهد ومصدق لنبينا صلى الله عليه وسلم وانما كان القران مهيمنا
على الكتب التي قبله لانه الكتاب الذي لا ينسخ فلا يغير ولا يبدل واذا
كان القران كذلك كانت شهادته على التوراة والانجيل والزبور وجميع الكتب
المنزلة حق وصدق وقيل المهيمن الامين وانما كان القران امينا على الكتب
التي قبله فيما اخبر اهل الكتب عن كتبهم فان قالوا ذلك في القران فقد صدقوا
والا فلا **فاحكم بينهم بما انزل الله** يعني اذا ترافع اهل الكتاب اليك يا محمد
فاحكم بينهم بالقران الذي انزله الله اليك **ولا تتبع اهواءهم** يعني ولا تتبع
اهوا هولا اليهود في الحكم وقال ابن عباس لا تاخذ باهوائهم في جلد المحصن
**عما جاءك من الحق** يعني ولا تنحرف عن الحق الذي جاءك من عند الله متبعا اهوائهم
وقوله تعالى **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا** الخطاب في قوله منكم للامم الثلاثة
امة موسى وامة عيسى وامة محمد صلى الله عليه وسلم اجمعين بدليل ان الله عز وجل
قال قبل هذه انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور ثم قال بعد ذلك وقفينا
على اثارهم بعيسى ابن مريم ثم قال وانزلنا اليك الكتاب ثم جمع فقال لكل جعلنا
منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة يعني لكل امة شريعة فللتوراة شريعة
وللانجيل شريعة وللقران شريعة والدين واحد وهو التوحيد واصل الشريعة
من الشرع وهو البيان والاظهار من شرع بين واوضح وقيل هو من الشروع في
الشي والشريعة في كلام العرب المشرعة التي يشرعها الناس فيشربون
ويستقون منها وقيل الشريعة الطريقة ثم استعير ذلك للطريقة الالهية
المودية الى الدين والمنهاج الطريق الواضح قال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارة
عن معنى واحد والتكرير للتاكيد والمراد بهما الدين وقال اخرون بينهما فرق
لطيف وهو ان الشريعة التي امر الله بها عباده والمنهاج الطريق الواضح المودي
الى الشريعة قال ابن عباس في قوله شرعة ومنهاجا سنة وسبيلا قال قتادة
سبيلا وسنة فالسنن مختلفة للتوراة شريعة وللانجيل شريعة وللقران
شريعة يحل الله عز وجل فيها ما يشا ويحرم ما يشا ليعلم من يطيعه ممن يعصيه
والدين الذي لا يقبل غيره هو التوحيد والاخلاص لله الذي جاءت به جميع الرسل
عليهم السلام وقال علي بن ابي طالب الايمان منذ بعث ادم عليه السلام شهادة
ان لا اله الا الله والاقرار بما جا من عند الله ولكل قوم شريعة يجعل الله عز وجل
ومنهاج قال العلما وردت ايات دالة على عدم التباين في طريقة الانبيا منها
قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى قوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه
ومنها قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ووردت ايات دالة على حصول

التباين بينهم منها هذه الآية وهي قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق
الجمع بين هذه الآيات ان كل آية دلت على عدم التباين فهي دالة على اصول الدين
من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وكل ذلك جاءت به الرسل
من عند الله ولم يختلفوا فيه واما الآية الدالة على حصول التباين بينهم فمحمولة
على الفروع وما يتعلق بظواهر العبادات فجائز ان يتعبد الله عباده في كل وقت
بما شاء فهذه طريق الجمع بين الآيات والله اعلم باسرار كتابه واحتج بهذه من
قال ان شرع من قبلنا لا يلزمنا لان قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
يدل على ان كل رسول جاء بشريعة خاصة فلا يلزم امة رسول الاقتداء بشريعة
رسول آخر قال تعالى ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة يعني جماعة متفقة
على شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه ولكن ليبلوكم يعني
ولكن اراد ان يختبركم فيما آتاكم يعني من الشرائع المختلفة هل تعملون بها ام لا
فيتبين بذلك المطيع من العاصي والموافق من المخالف فاستبقوا الخيرات
هذا خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم يعني فبادروا يا امة محمد بالاعمال الصالحة
التي تقربكم الى الله تعالى الى الله مرجعكم جميعا يعني المطيع والعاصي والموافق
والمخالف فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون يعني فيخبركم في الآخرة بما كنتم فيه تختلفون
من امر الدين والدنيا والمعنى فيخبركم في الآخرة بما لا تشكون معه فيفصل
بين المحق والمبطل والطائع والعاصي بالثواب والعقاب قوله تعالى وان احكم بينهم
بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم قال ابن عباس ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا
وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه
فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم وساداتهم وانا ان اتبعناك اتبعنا
اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فاقض لنا
عليهم ونؤمن بك ونصدقك فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية
وان احكم بينهم بما انزل الله يعني احكم بينهم يا محمد بالحكم الذي انزله الله في كتابه
ولا تتبع اهواءهم يعني فيما امروك به قال العلماء ليس في هذه الآية تكرار لما
تقدم وانما انزلت في حكمين مختلفين اما الآية الاولى فنزلت في شأن رجم
المحصن وان اليهود طلبوا منه ان يجلده وهذه الآية نزلت في الدماء والديات
حين تحاكموا اليه في امر قتيل كان بينهم قال بعض العلماء هذه الآية ناسخة للتخيير
في قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم وقوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما
انزل الله اليك يعني واحذر يا محمد هؤلاء اليهود الذين جاؤوا اليك ان يصرفوك
ويصدوك بمكرهم وكيدهم فيحملوك على ترك العمل بترك ما انزل اليك في كتابه
واتباع اهوائهم فان تولوا يعني فان اعرضوا عن الايمان بك والرضى بالحكم بما انزل الله
فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني فاعلم يا محمد ان الله يريد
ان يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم وانما خص بعض الذنوب لان الله

جازاهم



جازاهم في الدنيا على بعض ذنوبهم بالقتل والسبي والجلاء واخر مجازاتهم
على باقي ذنوبهم في الآخرة وان كثيرا من الناس لفاسقون يعني اليهود
لانهم تمردوا واحكم الله تعالى افحكم الجاهلية يبغون يعني افحكم الجاهلية يطلب
هؤلاء اليهود قال ابن عباس يعني بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلال
والجور في الاحكام وتحريفهم اياها عما امر الله بها وقال مقاتل كان بين بني
النضير وقريظة دماء وهما حيان من اليهود وذلك قبل ان يبعث الله محمدا
فلما بعث وهاجر الى المدينة تحاكموا اليه فقالت بنو قريظة بنو النضير
اخواننا ابونا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد فان قتل بنو النضير منا
قتيلا اعطونا سبعين وسقا من تمر وان قتلنا منهم قتيلا اخذوا منا مائة
واربعين وسقا وارش جراحاتنا على النصف من جراحاتهم فاقض بيننا وبينهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دم القرظي وفاء من دم النضري
ودم النضري وفاء من دم القرظي ليس لاحدهما فضل على الآخر في دم ولا عقل
ولا جراحة فغضب بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فانك لنا عدو وانك
لنا لو في وضعنا وتصغيرنا فانزل الله افحكم الجاهلية يبغون وقرئ بالتاء
على الخطاب والمعنى قل لهم يا محمد افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله
حكما لقوم يوقنون يعني اي حكم احسن من حكم الله ان كنتم موقنين ان
لكم ربا وانه عدل في احكامه قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى اولياء اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية وان كان حكمها
عاما لجميع المؤمنين لان خصوص السبب لا يمنع عموم الحكم فقال قوم نزلت
هذه الآية في عبادة بن الصامت رضي الله عنه وعبد الله بن ابي بن سلول
راس المنافقين وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لي اولياء من اليهود كثير
عددهم شديدة شوكتهم واني ابرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم ولا مولى لي
الا الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي لكني لا ابرأ من ولاية اليهود فاني اخاف
الدوائر ولا بد لي منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا الحباب ما نفست به
من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه فقال اذن اقبل فانزل الله
هذه الآية وقال السدي لما كانت وقعة احد اشتد الامر على طائفة من الناس
وتخوفوا ان يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين انا الحق بفلان اليهودي
واخذ منه امانا اني اخاف ان يدال علينا اليهود وقال رجل آخر انا الحق بفلان
النصراني من اهل الشام واخذ منه فانزل الله هذه الآية ينهاهما عن موالاة
اليهود والنصارى وقال عكرمة نزلت في ابي لبابة بن عبد المنذر لما بعثه النبي
صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة حين حاصرهم فاستشاروه في النزول وقالوا
ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل اصبعه في حلقه اشار انه الذبح وانه يقتلكم
فانزل الله يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فنهى الله المؤمنين

جميعا ان يتخذوا اليهود والنصارى انصارا واعوانا على اهل الايمان بالله
ورسوله واخبر انه من اتخذهم انصارا واعوانا وحلفاء من دون الله ورسوله
والمؤمنين فانه منهم وان الله ورسوله والمؤمنين منه براء **بعضهم اولياء
بعض** يعني ان بعض اليهود انصار لبعض على المؤمنين وان النصارى كذلك
يد واحدة على من خالفهم في دينهم وملتهم **ومن يتولهم منكم فانه منهم** يعني
ومن يتولى اليهود والنصارى دون المؤمنين فينصرهم على المؤمنين فهو من
اهل دينهم وملتهم لانه لا يتولى متول احدا الا وهو راض به وبدينه واذا رضيه
ورضي دينه صار منهم وهذا تغليظ من الله تعالى وتشديد عظيم في مجانبة اليهود
والنصارى وكل من خالف دين الاسلام **ان الله لا يهدي القوم الظالمين**
يعني ان الله لا يوفق من وضع الولاية في غير موضعها فيتولى اليهود والنصارى
مع علمه بعداوتهم لله ولرسوله وللمؤمنين روي ان ابا موسى الاشعري قال
قلت لعمر بن الخطاب ان لي كاتبا نصرانيا فقال ما لك قاتلك الله الا اتخذت
حنيفا يعني مسلما اما سمعت قول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض قلت له دينه ولي كتابته فقال
لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ ابعدهم الله
قلت انه لا يتم امر البصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه مات
فما تصنع بعده فما تعمله بعد موته فاعمله الان واستغن عنه بغيره من المسلمين
قوله تعالى **فترى الذين في قلوبهم مرض** يعني فترى يا محمد الذين في قلوبهم شك
ونفاق **يسارعون فيهم** يعني يسارعون في مودة اليهود وموالاتهم ومناصحتهم
لانهم كانوا اهل ثروة وكانوا يغشونهم ويخالطونهم لاجل ذلك نزلت
في عبد الله بن ابي المنافق وفي اصحابه من المنافقين **يقولون** يعني المنافقين
**نخشى ان تصيبنا دائرة** الدائرة من دوائر الدهر كالدولة تدول والمعنى يقول
المنافقون انما نخالط اليهود لانا نخشى ان يدور علينا الدهر بمكروه ويعنون
بذلك المكروه الهزيمة في الحرب والقحط والجدب والحوادث المخوفة قال ابن عباس
معناه نخشى ان لا يتم امر محمد فيدور علينا الامر كما كان قبل محمد **فعسى الله ان ياتي
بالفتح او امر من عنده** قال المفسرون عسى من الله واجب لان الكريم اذا اطمع في
خير فعله وهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به ورجائها له فعسى الله ان ياتي بالفتح
لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم على اعدائه واظهار دينه على الاديان كلها واظهار
المسلمين على اعدائهم من الكفار واليهود والنصارى وقد فعل الله ذلك بمنه
وكرمه فاظهر دينه ونصر عبده وقيل اراد بالفتح فتح مكة وقيل فتح قرى اليهود
مثل خيبر وفدك ونحوهما من بلادهم او امر من عنده يعني انه تعالى يقطع اصل
اليهود من الحجاز ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة وتعب ولا يكون للناس فيه فعل
البتة كما القى في قلوبهم الرعب فاخلوا ديارهم واخربوا بايديهم ورحلوا الى الشام

وقوله



وقوله تعالى **فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين** يعني فيصبح المنافقون
الذين كانوا يوالون اليهود نادمين على ما حدثوا به انفسهم ان امر محمد لا يتم وقيل
ندموا على دس الاخبار الى اليهود **ويقول الذين امنوا** يعني ويقول الذين امنوا
في وقت اظهار الله نفاق المنافقين **اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم
انهم لمعكم** وذلك ان المؤمنين كانوا يتعجبون من حال المنافقين عندما اظهروا
الميل الى موالاة اليهود والنصارى فقالوا ان المنافقين حلفوا بالله جهد
ايمانهم انهم لمعنا ومن انصارنا والان كيف صاروا موالين لاعدائنا من اليهود
محبين للاختلاط بهم فبان كذب المنافقين في ايمانهم الباطلة **حبطت اعمالهم**
اي بطل كل خير عملوه لاجل ما اظهروه من النفاق وموالاة اليهود **فاصبحوا
خاسرين** يعني انهم خسروا في الدنيا بافتضاحهم وخسروا في الاخرة باحباط
ثواب اعمالهم وحصلوا بالعذاب الدائم المقيم قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا
من يرتد منكم عن دينه** يعني يرجع منكم عن دينه الحق الذي عليه وهو دين الاسلام
فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر بعد الايمان فيختار اما اليهودية او النصرانية
او غير ذلك من اصناف الكفر فلن يضر الله شيئا وانما ضر نفسه برجوعه عن الدين
الصحيح الذي هو دين الاسلام قال الحسن علم الله تعالى ان قوما سيرجعون
عن الاسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فاخبر انه سياتي بقوم يحبهم
ويحبونه وذكر صاحب الكشاف ان احدى عشرة فرقة من العرب ارتدت ثلاث
في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو
الاسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى
سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي فبيته وقتله فاخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسلمين بقتله ليلة قتل فسر المسلمون بذلك وقبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الغد واتى خبر قتله في اخر ربيع الاول وبنو حنيفة وهم
قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة
رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فكتب اليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وستاتي قصة قتله فيما بعد وبنو اسد
وهم قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد
ابن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه
وارتد سبع فرق في خلافة ابي بكر الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن
الفزاري وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد
ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة اليربوعي وبعض تميم قوم سجاح بنت
المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس

الكندي وبنو بكر بن وائل قوم الحطيم بن يزيد فكفى الله امرهم على يد ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفرقة واحدة ارتدت على خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الايهم واختلف العلماء في المعني بقوله تعالى **فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه** فقال علي بن ابي طالب والحسن وقتادة هم ابو بكر واصحابه الذين قاتلوا اهل الردة ومانعي الزكاة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتدت عامة العرب كما تقدم تفصيله الا اهل المدينة واهل مكة واهل البحرين من بني عبد القيس فانهم ثبتوا على الاسلام ونصر الله بهم الدين ولما ارتد من ارتد من العرب ومنعوا الزكاة هم ابو بكر بقتالهم وكره ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ودمه الا بحقها وحسابه على الله فقال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال ولو منعوني عناقا وقال عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال انس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا هم اهل القبلة فتقلد ابو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره فقال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء وقال ابو بكر ابن عياش سمعت ابا حصين يقول ما ولد بعد النبيين افضل من ابي بكر الصديق لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال اهل الردة وقالت عائشة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بابي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وبعث ابو بكر الصديق خالد بن الوليد في جيش كثير الى بني حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فاهلك الله مسيلمة على يد وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة فكان وحشي يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد بذلك وحشي انه في حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس وفي حال اسلامه قتل مسيلمة الكذاب وهو شر الناس وقال قوم المراد بقوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الاشعريون قوم ابي موسى الاشعري روى عن عياض بن غنم الاشعري قال لما نزلت هذه الآية فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا يعني ابا موسى الاشعري اخرجه الحاكم في المستدرك وقيل هم اهل اليمن م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم ارق افئدة والين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وقال السدي نزلت في الانصار لانهم هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانوه على اظهار الدين وقيل هم احياء من اهل اليمن الفان من النخع وخمسة الاف من اهل كندة وبجيلة وثلاثة الاف من اخلاط الناس جاهدوا في سبيل الله يوم القادسية على خلافة عمر وعلى هذا التقدير تكون

هذه



هذه الآية اخبارا عن الغيب وقد وقع الخبر على وفقه بحمد الله تعالى فتكون هذه الآية معجزة واما معنى المحبة فيقال احببت فلانا بمعنى جعلت قلبي معرضا بان يحبه والمحبة ارادة ما تراه او تظنه خيرا فمحبة الله تعالى العبد انعامه عليه وتوفيقه وهدايته الى طاعته وان يثني عليه ويرضى عنه ومحبة العبد لله عز وجل ان يسارع الى طاعته وابتغاء مرضاته وان يفعل ما يوجب له الزلفى لديه جعلنا الله ممن يحبهم ويحبونه بمنه وكرمه وقوله تعالى **اذلة على المومنين اعزة على الكافرين** وهذه من صفات الذين اصطفاهم الله تعالى ووصفهم بقوله يحبهم ويحبونه يعني انهم ارقاء رحماء لاهل دينهم ولاخوانهم من المومنين ولم يرد ذل الهوان بل اراد لين جانبهم لاخوانهم المومنين وهم مع رقتهم ورحمتهم ولين جانبهم اشداء اقوياء غلظاء على اعدائهم الكافرين قال علي بن ابي طالب اذلة على المومنين يعني اهل رقة على اهل دينهم اعزة على الكافرين اهل غلظة على من خالفهم في دينهم قال ابن عباس تراهم كالولد لوالده وكالعبد لسيده وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته وقال ابن الانباري اثنى الله على المومنين بانهم يتواضعون للمومنين اذا لقوهم ويعزون بالكافرين اذا لقوهم وقيل ان الذلة هنا بمعنى الشفقة والرحمة لانه قال رحيمين للمومنين مشفقين عليهم على وجه التذلل والتواضع وانما اتى بلفظ على حتى يدل على علو منصبهم وفضيلة التواضع ويدل على صحة هذا سياق الآية وهو قوله اعزة على الكافرين يعني انهم اشداء اقوياء في انفسهم وعلى اعدائهم **يجاهدون في سبيل الله** يعني انهم ينصرون دين الله **ولا يخافون لومة لائم** يعني لا يخافون عذل عاذل في نصرهم الدين وذلك ان المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم فبين الله تعالى في هذه الآية ان من كان قويا في الدين فانه لا يخاف في نصرة دين الله بيده او بلسانه لومة لائم وهذه صفة المومنين المخلصين ايمانهم لله تعالى ق عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى ان لا ننازع الامر اهله وعلى ان نقول بالحق اينما كنا لا نخاف لومة لائم ثم قال تعالى **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء** ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من وصفهم بمحبة الله ولين جانبهم للمومنين وشدتهم على الكافرين وانهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم كل ذلك من فضل الله تعالى تفضل به عليهم ومن احسانه اليهم **والله واسع عليم** يعني انه تعالى واسع الفضل عليم بمن يستحقه قوله تعالى **انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا** قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عبادة بن الصامت حين تبرا من موالاة اليهود فقال اتولى الله ورسوله والمومنين يعني اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن سلام وذلك انه جاء الى محمد صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان قومنا قريظة والنضير

قد هجرونا وفارقونا واقسموا ان لا يجالسونا فنزلت هذه الاية فقراها عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن سلام رضينا بالله ربا
وبرسوله نبيا وبالمومنين اوليا وقيل الاية عامة في حق جميع المومنين لان
المومنين بعضهم اوليا بعض فعلى هذا يكون قوله تعالى **الذين يقيمون الصلاة**
**ويوتون الزكاة وهم راكعون** صفة لكل مومن ويكون المراد بذكر هذه الصفات
تمييز المومنين عن المنافقين لان المنافقين كانوا يدعون انهم مومنين الا انهم
لم يكونوا يداومون على فعل الصلاة والزكاة فوصف الله تعالى المومنين بانهم
يقيمون الصلاة يعني باتمام ركوعها وسجودها في مواقيتها ويوتون الزكاة
يعني ويودون زكاة اموالهم اذا وجبت عليهم اما قوله تعالى وهم راكعون فعلى
هذا التفسير فيه وجوه احدها ان المراد من الركوع هنا الخضوع والمعنى ان
المومنين يصلون ويزكون وهم منقادون خاضعون لاوامر الله ونواهيه
الوجه الثاني ان يكون المراد منه ان من شانهم اقامة الصلاة وايتا الزكاة
وانما خص الركوع بالذكر تشريفا له الوجه الثالث قيل ان هذه الاية نزلت
وهم ركوع وقيل نزلت في شخص معين وهو علي بن ابي طالب قال السدي مر
بعلي سايل وهو راكع في المسجد فاعطاه خاتمه فعلى هذا قال العلما القليل في
الصلاة لا يفسدها والقول بالعموم اولى وان كان قد وافق وقت نزولها
صدقة علي بن ابي طالب وهو راكع ويدل على ذلك ما روي عن عبد الملك بن سليمان
قال سالت ابا جعفر محمد بن علي الباقر عن هذه الاية انما وليكم الله ورسوله
والذين امنوا من هم فقال المومنون فقلت ان ناسا يقولون هو علي فقال علي
من الذين امنوا وقوله تعالى **ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا** يعني
ومن يتولى القيام بطاعة الله ونصر رسوله والمومنين قال ابن عباس يريد
المهاجرون والانصار ومن ياتي بعدهم **فان حزب الله** يعني انصار دين الله **هم**
**الغالبون** لان الله ناصرهم على عدوهم والحزب في اللغة اصحاب الرجل الذين يكونون
معه على رايه وهم القوم الذين يجتمعون لامر حزبهم يعني اهمهم قوله عز وجل
**يايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا** قال ابن عباس
كان رفاعة بن سويد بن التابوت وسويد بن الحرث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا
وكان رجال من المسلمين يوادونهما فانزل الله تعالى هذه الاية ومعنى اتخذوا دينكم
هزوا ولعبا اظهارهم الاسلام بالسنتهم قولا وهم مع ذلك يبطنون الكفر
ويسرونه **من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** يعني اليهود **والكفار** يعني عبدة
الاصنام وانما فصل بين اهل الكتاب والكفار وان كان اهل الكتاب من الكفار
لان كفر المشركين من عبدة الاصنام اغلظ وافحش من كفر اهل الكتاب **اوليا**
يعني لا تتخذوهم اوليا وانصارا **واتقوا الله ان كنتم مومنين** يعني
مومنين حقا لان المومن يابى موالاة اعدا الله عز وجل قوله تعالى **واذا ناديتم**



**الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا** قال الكلبي كان منادي رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا نادى الى الصلاة وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا
لا قاموا وصلوا لا صلوا ويضحكوا على طريق الاستهزا فانزل الله هذه الاية
وقال السدي نزلت هذه الاية في رجل من النصارى كان بالمدينة فكان اذا سمع
المؤذن يقول اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله يقول حرق الكاذب
فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو واهله نيام فطارت منها شرارة فاحترق البيت
واحترق هو واهله وقيل ان الكفار والمنافقين كانوا اذا سمعوا الاذان حسدوا
المسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد ابدعت
شيا لم يسمع بمثله فيما مضى من الامم قبلك فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت
الانبيا قبلك ولو كان فيه خير لكان اولى الناس به الانبيا فمن اين لك صياح كصياح
البعير فما اقبح هذا الصوت وهذا الامر فانزل الله عز وجل ومن احسن قولا
ممن دعا الى الله الاية وانزل واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا
**ذلك بانهم قوم لا يعقلون** يعني ان هزوهم ولعبهم من افعال السفها والجهال الذين
لا عقل لهم قوله تعالى **قل يا اهل الكتاب** الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم يعني قل يا محمد لهولا اليهود والنصارى الذين اتخذوا دينك هزوا
ولعبا **هل تنقمون منا** يعني هل تكرهون منا او تعيبون علينا **الا ان**
**امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل** وهذا على سبيل التعجب من فعل اهل
الكتاب والمعنى هل تجدون علينا في الدين الا الايمان بالله وما انزل الينا
وبما انزل على جميع الانبيا من قبل وهذا ليس مما ينكر او ينقم منه وهذا كما
قال بعضهم

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب

يعني انه ليس فيهم عيب الا ذلك وهذا ليس بعيب بل هو مدح عظيم لهم قال ابن
عباس اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم ابو ياسر بن اخطب
ورافع بن ابي رافع وعازر وزيد وخالد وازر بن ابي ازر واشيع فسالوه عمن
يومن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل
واسحاق ويعقوب والاسباط الى قوله ونحن له مسلمون الاية فلما ذكر عيسى
جحدوا وقالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا
شرا من دينكم فانزل الله هذه الاية قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا
ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وهذا هو ديننا الحق وطريقنا
المستقيم فلم تنقموه علينا **وان اكثركم فاسقون** يعني انكم انما كرهتم
ديننا وتنقمتموه علينا مع علمكم بانا على الحق بسبب فسقكم واقامتكم على الدين
الباطل لحب الرياسة ولاخذ الاموال بالباطل وانما قال اكثرهم لان الله عالم
ان من اهل الكتاب من يومن بالله وبرسوله قوله عز وجل **قل هل انبيكم بشر من ذلك**

هذا جواب اليهود لما قالوا ما نعرف دينا شرا من دينكم والمعنى قل يا محمد لهؤلاء
اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل أخبركم بشر من ذلك الذي ذكرتم ونقمتم
علينا من إيماننا بالله وبما أنزل علينا مثوبة عند الله يعني جزاء فإن قلت
المثوبة مختصة بالإحسان لأنها في معنى الثواب فكيف جاءت في الإساءة قلت
وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ومنه
قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم والمعنى قل هل أنبئكم بشر من أهل ذلك الدين هو
فإن قلت هذا يقتضي أن الموصوفين بذلك الدين محكوم عليهم بالشر لأنه
تعالى قال بشر من ذلك ومعلوم أن الأمر ليس كذلك فما جوابه قلت جوابه أن
الكلام خرج على حسب قولهم واعتقادهم فإن اليهود حكموا بأن اعتقاد ذلك الدين
شر فقال لهم هب أن الأمر كذلك لكن من لعنه الله وغضب عليه ومسخ صورته
شر من ذلك وقوله تعالى من لعنه الله معناه هل أنبئكم بمن لعنه الله وهو من
لعنه الله ومعنى لعنه الله أبعده وطرده من رحمته وغضب عليه يعني وانتقم
منه لأن الغضب إرادة الانتقام من العصاة وجعل منهم القردة والخنازير يعني
من اليهود من لعنه وغضب عليه ومنهم من جعلهم قردة وخنازير قال ابن عباس إن الممسوخين
كلاهما أصحاب السبت فشبابهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وقيل إن
مسخ القردة كان في أصحاب السبت من اليهود ومسخ الخنازير كان في الذين كفروا بعد
نزول المائدة في زمن عيسى عليه السلام ولما نزلت هذه الآية عير المسلمون اليهود
وقالوا لهم يا إخوان القردة والخنازير فافتضحوا بذلك وعبد الطاغوت
يعني وجعل منهم عبد الطاغوت يعني من أطاع الشيطان فيما سول له والطاغوت
هو الشيطان وقيل هو العجل وقيل هو الكهان والأحبار وجملته أن كل من أطاع
أحدا في معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت أولئك يعني الملعونين والمغضوب
عليهم والممسوخين شر مكانا يعني من غيرهم ونسبة الشر إلى المكان والمراد به
أهله وهو من باب الكناية وقيل أراد أن مكانهم سقر ولا مكان أشد شرا منه وأضل
عن سواء السبيل يعني وأخطأ عن قصد طريق الحق قوله تعالى وإذا جاؤكم قالوا
آمنا قال قتادة نزلت في أناس من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخبروه أنهم مؤمنون راضون بالذي جاء به وهم متمسكون بضلالتهم وكفرهم
فكانوا هم لا يظهرون الإيمان وهم في ذلك منافقون فأخبر الله نبيه صلى الله
عليه وسلم بحالهم وشأنهم وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به يعني أنهم
دخلوا كافرين وخرجوا كافرين لم يتعلق بقلوبهم شيء من الإيمان فهم كافرون
في حالتي الدخول والخروج والله أعلم بما كانوا يكتمون يعني من الكفر
الذي في قلوبهم قوله عز وجل وترى كثيرا منهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
يعني وترى يا محمد كثيرا منهم من اليهود وكلمة من يحتمل أن تكون للتبعيض ولعل
أن هذه الأفعال المذكورة في هذه الآية ما كان يفعلها كل اليهود فلهذا قال

تعالى

تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون والمسارعة في الشيء المبادرة إليه بسرعة
لكن لفظة المسارعة إنما تستعمل في الخير ومنه قوله تعالى يسارعون في
الخيرات وضدها العجلة ويقال في الشر في الأغلب وإنما ذكر لفظ المسارعة
في قوله يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لفائدة وهي أنهم كانوا
يقدمون على هذه المنكرات كأنهم محقون فيها والإثم اسم جامع لجميع المعاصي
والمنهيات فيدخل تحت العدوان وأكل السحت فلهذا ذكر الله العدوان
وأكل السحت بعد الإثم والمعاصي وقيل الإثم ما كتموه من التوراة والعدوان
ما زادوا فيها والسحت هو الرشى وما كانوا يأكلونه من غير وجهه لبئس
ما كانوا يعملون يعني لبئس العمل كان هؤلاء اليهود يعملون وهو مسارعتهم
إلى الإثم والعدوان وأكلهم السحت قوله تعالى لولا يعني هلا وهي هنا
بمعنى التحضيض والتوبيخ ينهاهم الربانيون والأحبار قال الحسن
الربانيون علماء أهل الإنجيل والأحبار علماء أهل التوراة وقال غيره كلهم من
اليهود لأنه متصل بذكرهم عن قولهم الإثم يعني الكذب وأكلهم السحت
والمعنى هلا نهى الأحبار والرهبان اليهود عن قولهم الإثم وأكلهم السحت
لبئس ما كانوا يصنعون يعني الأحبار والرهبان إذ لم ينهوا غيرهم
عن المعاصي وهذا يدل على أن تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه لأن الله تعالى
ذم الفريقين في هذه الآية قال ابن عباس ما في القرآن أشد توبيخا من هذه
الآية وقال الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي منها قوله عز وجل وقالت
اليهود يد الله مغلولة نزلت هذه الآية في فنحاص اليهودي قال ابن عباس
إن الله كان قد بسط على اليهود حتى كانوا أكثر الناس أموالا وأخصبهم ناحية
فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا به كف عنهم ما بسط عليهم من
السعة فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة يعني محبوسة مقبوضة عن
الرزق والبذل والعطاء فنسبوا الله تعالى إلى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم
علوا كبيرا ولما قال هذه المقالة الخبيثة فنحاص ولم ينهه بقية اليهود ورضوا
بقوله لا جرم أن الله تعالى أشركهم معه في هذه المقالة فقال تعالى إخبارا
عنهم وقالت اليهود يد الله مغلولة يعني نعمته مقبوضة عنا وقيل معناه
يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا إلا بقدر ما يبر به قسمه وذلك
قدر ما عبد آباؤنا العجل والقول الأول أصح لقوله تعالى ينفق كيف يشاء
واعلم أن غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود بدليل قوله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط والسبب
أن اليد آلة لكل الأعمال لا سيما لدفع المال وإنفاقه وإمساكه فأطلقوا اسم
السبب على المسبب وأسندوا الجود والبخل إلى اليد مجازا فقيل للجواد
الكريم فياض اليد ومبسوط اليد وقيل للبخيل مقبوض اليد وقوله تعالى

لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
والمسببات ان اليد آلة لكل الاعمال لاسيما لدفع المال وانفاقه وامساكه فاطلقوا
اسم المسبب على المسبب واسندوا الجود والبخل الى اليد مجازا فقيل للجواد
الكريم فياض اليد ومبسوط اليد وقيل للبخيل مقبوض اليد وقوله تعالى غلت
ايديهم ولعنوا بما قالوا يعني امسكت ايديهم عن كل خير وطردوا عن رحمة
الله وقال الزجاج فرد الله عليهم فقال انا الجواد الكريم وهم البخلاء وايديهم
هي المغلولة الممسوكة وقيل هذا دعاء على اليهود علمنا الله كيف ندعو عليهم وقال
غلت ايديهم في نار جهنم فعلى هذا هو من الغل حقيقة اي شدت ايديهم الى اعناقهم
وطرحوا في النار جزاء لهم على هذا القول ومعنى لعنوا بما قالوا عذبوا بسبب
ما قالوا فمن لعنتهم انهم مسخوا في الدنيا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة
والمسكنة والجزية وفي الاخرة لهم عذاب النار وقوله تعالى بل يداه مبسوطتان
يعني ان الله تعالى جواد كريم ينفق كيف يشاء وهو جواب لليهود ورد عليهم عما
افتروه واختلقوه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وانما اجيبوا بهذا الجواب
على قدر كلامهم واما الكلام في اليد فقد اختلف العلماء في معناها على قولين احدهما
وهو مذهب جمهور السلف وعلماء اهل السنة وبعض المتكلمين ان يد الله صفة
من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه فيجب علينا الايمان بها والتسليم ونمرها
كما جاءت في الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا تعطيل قال الله تعالى لما
خلقت بيدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين
والقول الثاني قول جمهور المتكلمين واهل التاويل فانهم قالوا اليد تذكر
في اللغة على وجوه احدها الجارحة وهي معلومة وثانيها النعمة يقال لفلان عندي
يد اشكره عليها وثالثها القدرة قال الله تعالى اولي الايدي والابصار فسروه
بذي القوة والعقول ويقال لا يدان لك بهذا الامر والمعنى سلب كمال
القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيعة في يد فلان اي في ملكه ومنه قوله
تعالى الذي بيده عقدة النكاح اي يملك ذلك اما الجارحة فمنتفية في صفة الله
عز وجل لان العقل دل على انه يمتنع ان تكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص
وعضو مركب من الاجزاء والابعاض تعالى الله عن الجسمية والكيفية والتشبيه
علوا كبيرا فامتنع بذلك ان تكون يد الله بمعنى الجارحة واما سائر المعاني التي
فسرت اليد بها فحاصلة لان اكثر العلماء من المتكلمين زعموا ان اليد في حق الله
عبارة عن القدرة وعن الملك وعن النعمة وههنا اشكالان احدهما ان اليد
اذا فسرت انها بمعنى القدرة فقدرة الله واحدة ونص القرآن ناطق باثبات
اليدين في قوله تعالى بل يداه مبسوطتان ولجيب عن هذا الاشكال بان اليهود
لما جعلوا قولهم يد الله مغلولة كناية عن البخل اجيبوا على وفق كلامهم فقال
بل يداه مبسوطتان اي ليس الامر على ما وصفتموه من البخل بل هو جواد كريم

على



على سبيل الكمال فان من اعطي بيديه فقد اعطي على الكمال لوجوه الاشكال الثاني
ان اليد اذا فسرت بالنعمة فنص القرآن ناطق باثبات النعمة ونعم الله غير
محصورة ولا معدودة ومنه قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واجيب
عن هذا الاشكال بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من
الجنسين انواع كثيرة لا نهاية لها مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر
ونعمة الباطن ونعمة النفع ونعمة الدفع فالمراد بالتثنية المبالغة في وصف
النعمة اجاب اصحاب القول الاول عن هذا بان قالوا ان الله تعالى اخبر عن آدم
انه خلقه بيده ولو كان معنى خلقته لآدم بقدرته او بنعمته او بملكه لم يكن لخصوصية
آدم بذلك وجه مفهوم لان جميع خلقه مخلوقون بقدرته وجميعهم في ملكه
ومتقلبون في نعمه فلما خص آدم عليه السلام بقوله تعالى لما خلقت بيدي دون
خلقه علم بذلك اختصاصه وتشريفه على غيره ونقل الامام فخر الدين
الرازي عن ابي الحسن الاشعري قولان لان اليد صفة قائمة بذات الله وهي
صفة سوى القدرة من شأنها التكوين على سبيل الاصطفاء قال والذي يدل عليه
انه تعالى جعل وقوع خلق آدم بيده على سبيل الكرامة لآدم واصطفائه فلو
كانت اليد عبارة عن القدرة امتنع عن كون آدم مصطفى بذلك لان ذلك حاصل
في جميع المخلوقات فلا بد من اثبات صفة اخرى وراء القدرة يقع بها الخلق والتكوين
على سبيل الاصطفاء هذا آخر كلامه واجيب عن قولهم بان التثنية بحسب الجنس
ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة لان الاسم اذا ثني لا يؤدي الى اثنين
باعيانهما دون الجمع ولا يؤدي عن الجنس ايضا قالوا وخطأ في كلام العرب ان يقال
ما اكثر الدراهم في ايدي الناس بمعنى ما اكثر الدراهم في ايديهم لان الدراهم
هذا اذا ثني في كلام العرب لا يعني اثنين باعيانهما ولكن الواحد يؤدي عن جنسه
كما تقول العرب ما اكثر الدراهم في ايدي الناس بمعنى ما اكثر الدراهم في ايديهم
لان الدرهم يؤدي عن الجمع فثبت بهذا البيان قول من قال ان اليد صفة لله
تعالى تليق بجلاله وانها ليست بجارحة كما تقول المجسمة تعالى الله عن قولهم علوا
كبيرا ينفق كيف يشاء يعني انه تعالى يرزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشاء
ويقتر على من يشاء لا اعتراض عليه في ملكه ولا فيما يفعله ق عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى انفق انفق عليك وقال يد الله ملأى لا تغيضها
نفقة سحاء الليل والنهار ارايتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص
ما بيده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يرفع ويخفض وهذا الحديث ايضا
احد احاديث الصفات فيجب الايمان به وامراره كما جاء من غير تشبيه ولا تكييف
وقوله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا
يعني كلما نزلت عليك آية من القرآن كفروا بها فازدادوا اشدة في كفرهم زيادة منهم
فيه والقينا بينهم العداوة والبغضاء يعني بين اليهود والنصارى وقيل

الى ذلك بين طوايف اليهود فجعلهم مختلفين في دينهم متضادين متباغضين
الى يوم القيامة فان بعض اليهود جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مشبهة وكذلك
النصارى فرقا كالملكية والنسطورية واليعقوبية والمارونية فان قلت
فهذا المعنى ايضا حاصل بين فرق المسلمين فكيف يكون ذلك عيبا على اليهود
والنصارى حتى يذموا به قلت هذه البدع التى حصلت في المسلمين انما حدثت
بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة والتابعين اما في الصدر الاول
فلم يكن شيء من ذلك حاصلا فحسن جعل ذلك عيبا على اليهود والنصارى في
ذلك العصر الذي نزل فيه القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم **كلما اوقدوا
نارا للحرب اطفاها الله** يعني كلما افسدوا اليهود وخالفوا حكم الله يبعث
الله عليهم من يهلكهم فافسدوا فبعث الله عليهم بختنصر البابلي ثم افسدوا
فبعث الله عليهم طيطوس الرومي ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم
الفرس ثم افسدوا وقالوا يد الله مغلولة فبعث الله المسلمين فلا تزال اليهود
في ذلة ابدا وقال مجاهد معنى الاية كلما مكروا مكرا في حرب محمد صلى الله عليه وسلم
اطفاه الله تعالى وقال السدي كلما اجمعوا امرهم على شيء ليفسدوا به امر
محمد صلى الله عليه وسلم فرقه الله تعالى وكلما اوقدوا نارا في حرب محمد صلى الله
عليه وسلم اطفاها الله واخمد نارهم وقذف في قلوبهم الرعب ونصرهم ونصر نبيه
ودينه **ويسعون في الارض فسادا** يعني ويجتهدون في دفع الاسلام ومحو
ذكر محمد صلى الله عليه وسلم من كتبهم وقيل انهم يسعون بالمكر والكيد والحيل ليس
يقدرون على ذلك **والله لا يحب المفسدين** يعني ان الله لا يحب من كانت هذه صفته
قال قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس فيها وهم ابغض خلق
الله اليه قوله تعالى **ولو ان اهل الكتاب امنوا** يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم
وصدقوه فيما جاء به **لكفرنا عنهم سيئاتهم** يعني محونا عنهم ذنوبهم التى عملوها قبل
الاسلام لان الاسلام يجب ما قبله **ولادخلناهم جنات النعيم** يعني مع المسلمين
يوم القيامة **ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل** يعني اقاموا احكامهما وحدودهما
وعملوا بما فيهما من الوفاء بالعهود والتصديق لمحمد صلى الله عليه وسلم لان نعته
وصفته موجودة فيهما فان قلت كيف يامر اهل الكتاب باقامة التوراة
والانجيل مع انهما نسخا وبدلا قلت انما امرهم الله تعالى باقامة ما فيهما
من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه غير منسوخ موافق لما في القران وقوله
تعالى **وما انزل اليهم من ربهم** فيه قولان احدهما ان المراد به كتب انبيائهم القديمة
مثل كتاب شعيا وكتاب ارميا وزبور داود وفي هذه الكتب ايضا ذكر محمد صلى الله
عليه وسلم والقول الثاني ان المراد بما انزل اليهم من ربهم هو القران لانهم مامورون
بالايمان به فكانه نزل اليهم من ربهم **لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم** يعني ان
اليهود لما اصروا على التكذيب بمحمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على كفرهم ويهوديتهم

اصابهم



اصابهم الله بالقحط والشدة حتى بلغوا الى حيث قالوا يد الله مغلولة فاخبر الله
انهم لو تركوا اليهودية والكفر الذي هم عليه لانقلبت تلك الشدة بالخصب والسعة
وهو قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم قال ابن عباس معناه لانزلت عليهم
المطر ولاخرجت لهم النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم **منهم امة
مقتصدة** اي عادلة والاقتصاد الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير واصله
من القصد لان من عرف مقصودا طلبه من غير اعوجاج منه والمراد بالامة
المقتصدة من امن من اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه والنجاشي
واصحابه الذين اسلموا **وكثير منهم** يعني من اهل الكتاب الذين اقاموا على كفرهم
مثل كعب بن الاشرف ورؤسا اليهود **ساء ما يعملون** يعني بيس ما يعملون من اقامتهم
على كفرهم قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم قوله
عز وجل **يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك** الاية روي عن الحسن ان الله
تعالى لما بعث رسوله صلى الله عليه وسلم ضاق ذرعا وعرف ان من الناس من يكذبه
فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في عيب اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم
الى الاسلام فقالوا اسلمنا قبلك وجعلوا يستهزؤون به ويقولون تريد ان نتخذك
حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منهم
سكت فانزل الله هذه الاية وامره ان يقول لهم يا اهل الكتاب لستم على شيء
الاية وقيل نزلت هذه الاية في امر الجهاد وذلك ان المنافقين كرهوه فكان النبي
صلى الله عليه وسلم يمسك في بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما علم كراهية بعضهم
له فانزل الله هذه الاية يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك مجاهرا ولا تراقبن
احدا ولا تترك شيئا مما انزل اليك من ربك وان اخفيت شيئا من ذلك في وقت من
الاوقات فما بلغت رسالته وقوله تعالى **وان لم تفعل فما بلغت رسالته**
وقرئ رسالاته قال ابن عباس يعني ان كتمت اية مما انزل اليك من ربك لم تبلغ
رسالتي يعني انه صلى الله عليه وسلم لو ترك ابلاغ البعض كان كمن لم يبلغ شيئا
مما انزل اليه وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكتم اية مما اوحي اليه روى
مسروق عن عائشة قالت من حدثك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا
مما اوحي اليه فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك
الاية اخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه وقوله تعالى **والله يعصمك من الناس** يعني يحفظك
ويمنعك منهم والمراد بالناس هنا الكفار فان قلت اليس قد شج راسه
وكسرت رباعيته يوم احد وقد اوذي بضروب من الاذى فكيف يجمع بين ذلك وبين
قوله والله يعصمك من الناس قلت المراد منه انه يعصمه من القتل فلا يقدر
عليه احد اراده بالقتل ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر انه غزا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معه
فادركتهم القايلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم

وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق
بها سيفه ثم نمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا واذا عنده
اعرابي فقال ان هذا اخترط علي سيفي وانا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا
فقال من يمنعك مني فقلت الله ثلاثا ولم يعاقبه وجلس وفي رواية اخرى
قال جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا اتينا على شجرة
ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله
صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال فمن
يمنعك مني قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه في
الصحيحين وزاد في رواية له ان اسم ذلك الرجل غورث بن الحرث ق عن عائشة
رضي الله عنها قالت سهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة ليلة
فقال ليت رجلا من اصحابي يحرسني الليلة قالت بينا نحن كذلك سمعنا خشخشة
السلاح فقال من هذا قال سعد بن ابي وقاص قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما جاء بك فقال وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت احرسه
فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام وعن عائشة قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم ايها الناس انصرفوا فقد عصمني
الله اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب وقيل في الجواب عن هذا ان هذه
الاية نزلت بعدما شج راسه في يوم احد لان سورة المائدة من اخر القران نزولا
وقوله تعالى **ان الله لا يهدي القوم الكافرين** قال ابن عباس معناه لا يرشد
من كذبك واعرض عنك وقال ابن جرير الطبري معناه ان الله لا يوفق للرشد
من حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجحد ما جئت به من عند الله
ولم ينته الى امر الله وطاعته فيما فرض عليه واوجبه قوله تعالى **قل يا اهل
الكتاب لستم على شيء** يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى لستم على شيء
مما تدعون انكم عليه مما جاءكم به موسى عليه السلام يا معشر اليهود ولا مما جاءكم
به عيسى يا معشر النصارى فانكم احدثتم وغيرتم قال ابن عباس جاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع
ابن حرملة وقالوا يا محمد الست تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا
من التوراة وتشهد انها حق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ولكنكم
احدثتم وجحدتم بما فيها مما اخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما امرتم ان تبينوه
للناس فانا بريء من احداثكم قالوا فانا ناخذ بما في ايدينا فانا على الحق والهدى
ولم نؤمن لك ولا نتبعك فانزل الله قل يا اهل الكتاب لستم على شيء **حتى تقيموا
التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم** الاية وقد تقدم معنى اقامة التوراة
والانجيل وانه يلزمهم العمل بما فيهما وهو الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وتقدم





تفسير ما انزل اليكم من ربكم **وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا
وكفرا** قوله تعالى **فلا تاس على القوم الكافرين** يعني ولا تحزن يا محمد على هؤلاء
اليهود الذين جحدوا نبوتك ولم يؤمنوا بك فانما يعود ضرر ذلك الكفر عليهم
قوله عز وجل **ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى** لما بين الله
عز وجل ان اهل الكتاب ليسوا على شيء ما لم يؤمنوا بين في هذه الاية ان الحكم عام
في كل اهل الملل وانه لا يحصل لاحد منهم فضيلة ولا منقبة الا اذا امن بالله
واليوم الاخر وعمل صالحا يرضاه ومن العمل الصالح الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
لانه لا يتم الايمان الا به وتقدم تفسير هذه الاية في سورة البقرة وقوله
تعالى والصابئون وظاهر الاعراب يقتضي ان يقال والصابئين وكذا قراءة
ابي بن كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة وقرا الجمهور بالرفع ومذهب الخليل
وسيبويه انه ارتفع الصابئون بالابتداء على نية التاخير كانه قيل ان الذين امنوا
والذين هادوا والنصارى من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون والصابئون كذلك فحذف خبره والحكمة في عطف الصابئين على
من قبلهم هي ان الصابئين اشد الفرق المذكورين في هذه الاية ضلالا فكانه
قال هؤلاء الفرق اذا امنوا واتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابئون
فانهم اذا امنوا كانوا ايضا كذلك وانما سموا صابئين لانهم صبوا الى الاديان
كلها بمعنى خرجوا لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا
ما جاءت به الرسل عند الله فان قلت قد قال الله تعالى اول الاية ان الذين
امنوا ثم قال في اخر الاية من امن فما فائدة هذا التكرار قلت فائدته
ان المنافقين كانوا يظهرون ويزعمون انهم مؤمنون ففي هذا التكرار اخراجهم
من قبيل المؤمنين فيكون معنى الاية ان الذين امنوا بالسنتهم لا بقلوبهم ثم
قال من امن يعني من ثبت على ايمانه ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه فائدة اخرى
وهي ان الايمان يدخل تحته اقسام كثيرة واشرفها الايمان بالله واليوم الاخر
ففائدة التكرير التنبيه على ان اشرف اقسام الايمان هذين القسمين وفي قوله
**من امن بالله** فيه حذف تقديره من امن بالله **واليوم الاخر** منهم وانما حسن
هذا الحذف لكونه معلوما عند السامعين **وعمل صالحا** يعني وضم الى ايمانه العمل
الصالح وهو الذي يراد به وجه الله تعالى **فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** يعني في
الاخرة قوله عز وجل **لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل** يعني اخذنا العهود عليهم
في التوراة بان يعملوا بما فيها من التوحيد والعمل بما امرناهم والانتهاء عما نهيناهم
عنه **وارسلنا اليهم رسلا** يعني ليبينوا الشرائع والاحكام **كلما جاءهم رسول بما
لا تهوى انفسهم** يعني بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل
بالشرائع **فريقا كذبوا** يعني من الرسل الذين جاءوهم **وفريقا يقتلون** يعني من الرسل
وكان فيمن كذبوا عيسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم وكان فيمن قتلوا زكريا ويحيى

عليهم السلام وانما فعلوا ذلك نقضا للميثاق وجراءة على الله عز وجل ومخالفة
لامره قوله تعالى **وحسبوا** يعني وظن هولاء الذين كذبوا الرسل وقتلوا الانبيا
**ان لا تكون فتنة** يعني ان لا يعذبهم الله ولا يبتليهم بذلك وذلك الظن الفاسد
انهم كانوا يعتقدون ان كل رسول جاءهم بشرع لم يجب عليهم تصديقه
وقتاله فلهذا السبب حسبوا ان لا يكون فعلهم ذلك فتنة يبتلوا بها وقيل انما
قدموا على ذلك لاعتقادهم ان اباهم واسلافهم يدفعون عنهم العذاب في الاخرة
**فعموا وصموا** يعني انهم عموا عن الحق فلم يبصروه وصموا عنه فلم يسمعوه وهذا العمى
هو كناية عن عمى البصيرة لا البصر وكذلك الصمم هو كناية عن منع نفوذ الحق
قال بعض المفسرين سبب هذا العمى والصمم عبادتهم العجل في زمن موسى عليه
السلام **ثم تاب الله عليهم** يعني انهم لما تابوا من عبادتهم العجل تاب الله عليهم
**ثم عموا وصموا** يعني بذلك في زمان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ثم عموا وصموا
يعني بسبب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم **كثير منهم** من اليهود لان بعضهم امن بمحمد
صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن سلام واصحابه **والله بصير بما يعملون**
يعني من قتل الانبيا وتكذيب الرسل قوله عز وجل **لقد كفر الذين قالوا ان
الله هو المسيح ابن مريم** لما حكى الله عن اليهود ما حكاه عن نقضهم الميثاق وقتلهم
الانبيا وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع في الاخبار عن كفر النصارى وما هم
عليه من فساد الاعتقاد فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح
ابن مريم وهذا قول اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم يقولون ان مريم
ولدت الها ولانهم يقولون ان الاله حل وعلا في ذات عيسى واتحد به فصار الها
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا **وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي
وربكم** يعني وقد كان المسيح قال هذا لبني اسرائيل عند مبعثه اليهم وهذا تنبيه
على ما هو الحجة القاطعة على فساد قول النصارى ذلك لانه عليه السلام لم يفرق
بينه وبين غيره في العبودية والاقرار لله بالربوبية وان لا اله الا هو ونظاهر
عليه **انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة** يعني انه من يجعل له شريكا
من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة يعني اذا مات على شركه **وماواه النار** يعني
انه يصير الى النار في الاخرة **وما للظالمين** يعني وما للمشركين الذين ظلموا انفسهم
بالشرك **من انصار** يعني ما لهم من انصار ينصرونهم ويمنعونهم من العذاب يوم القيامة
قوله تعالى **لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة** وهذا قول المرقوسية
والنسطورية من النصارى ولتفسير قول النصارى طريقان احدهما وهو قول
اكثر المفسرين انهم ارادوا بهذه المقالة ان الله ومريم وعيسى الهة ثلاثة وان
الالهية مشتركة بينهم وان كل واحد منهم اله ويبين ذلك قوله تعالى للمسيح أأنت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه اضمار
تقديره ان الله احد ثلاثة الهة لانه ما من اثنين الا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه







قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والطريق الثاني
ان المتكلمين حكوا عن النصارى انهم يقولون جوهر واحد ثلاثة اقانيم اب وابن
وروح القدس وهذه الثلاثة اله واحد كما ان الشمس اسم يتناول القرص والشعاع
والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة واثبتوا الذات والكلمة
والحياة وقالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الما باللبن
وزعموا ان الاب اله والابن اله والروح اله والكل اله واحد واعلم ان هذا الكلام
معلوم البطلان ببديهة العقل فان الثلاثة لا يكون واحدا والواحد لا يكون
ثلاثة ولا يرى في الدنيا مقالة اشد فسادا ولا اظهر بطلانا من مقالة النصارى
وعلى هذا فالذي اخبر الله عنهم في قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة
فهذا معنى مذهبهم وان لم يصرحوا بانه واحد من ثلاثة الهة فذلك لازم لهم وانما
يمتنعون من هذه العبارة لانهم اذا قالوا ان كل واحد من الاقانيم اله واحد فيه
مناقضة لما قالوا ولا فهذا بيان قول النصارى ثم رد الله عليهم فقال تعالى
**وما من اله الا اله واحد** يعني انه ليس في الوجود اله واحد موصوف بالوحدانية
لا ثاني له ولا شريك له ولا والد له ولا ولد له ولا صاحبة له الا الله تعالى **وان لم
ينتهوا عما يقولون** يعني وان لم ينته النصارى عن هذه المقالة الخبيثة
**ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم** يعني ليصيبن الذين اقاموا على هذا القول
الخبيث وهو الذي يمس بموصي عذاب وجيع في الاخرة وانما قال تعالى منهم لعلمه السابق
ان من النصارى من سيؤمن ويخلص ويترك هذا القول ويعلم انه فاسد ثم ندب
سائر النصارى الى التوبة من هذه المقالة الخبيثة فقال تعالى **افلا يتوبون
الى الله** يعني من قولهم بالتثليث **ويستغفرونه** وهذا استفهام بمعنى الامر
اي توبوا الى الله واستغفروه من هذا الذنب العظيم فانه تعالى يغفر الذنوب **والله
غفور** يعني لمن استغفره وتاب اليه **رحيم** به وبسائر خلقه قوله عز وجل **ما المسيح
ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل** يعني ان المسيح رسول من الله عز وجل ليس
باله كما ان الرسل الذين كانوا من قبله لم يكونوا الهة واتى عيسى عليه السلام
بالمعجزات الدالة على صدقه كما ان الذين قبله اتوا بالمعجزات الدالة على صدقهم
**وامه صديقة** يعني انها كثيرة الصدق وقيل سميت مريم صديقة لانها صدقت بايات
ربها وكتبه وقوله تعالى **كانا ياكلان الطعام** فيه احتجاج على فساد قول النصارى
بالهية المسيح يعني ان المسيح وامه مريم كانا بشرين ياكلان الطعام ويعيشان به
كسائر بني ادم فكيف يكون الها من يحتاج الى الطعام ولا يعيش الا به وقيل معناه
انه لو كان الها كما يزعمون لدفع عن نفسه الم الجوع وقيل هذا كناية عن الحدث
وذلك ان كل من اكل وشرب لا بد له من الغايط والبول ومن كانت هذه صفته فكيف
يكون الها وبالجملة فان فساد قول النصارى اظهر من ان يحتاج الى اقامة دليل عليه

ثم قال تعالى انظر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي انظر يا محمد كيف نبين
لهم الآيات يعني الدالة على بطلان قولهم ثم انظر انى يؤفكون
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم قل اتعبدون من دون الله اي قل يا محمد لهؤلاء
النصارى اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني لا يستطيع
ان يضركم بمثل ما يضركم الله به من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا يقدر
ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الابدان وسعة الارزاق فان الضار
والنافع هو الله تعالى لا من تعبدون من دونه ومن لا يقدر على النفع والضر لا يكون
الها والله هو السميع العليم يعني انه تعالى سميع لاقوالكم وكفركم عليم بما في
ضمائركم قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الغلو مجاوزة
الحد وذلك ان الحق بين طرفي الافراط والتفريط فمجاوزة الحد والتقصير مذمومة
في الدين غير الحق يعني لا تغلوا في دينكم غلوا باطلا غير الحق وذلك انهم خالفوا
الحق في دينهم ثم غلوا في الاصرار عليه وكلا الفريقين من اليهود والنصارى غلوا
في عيسى عليه السلام اما غلو اليهود فبالتقصير في حقه حتى نسبوه الى غير رشده
واما غلو النصارى فبمجاوزة الحد في حقه حتى جعلوه الها وكلا الغلوين مذموم
ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل الاهواء جمع هوى وهو ما تدعو شهوة النفس
اليه قال الشعبي ما ذكر الله تعالى الهوى في القرآن الا ذمه وقال ابو عبيدة لم نجد
الهوى يوضع الا موضع الشر لانه لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال فلان يحب
الخير ويريده والخطاب في قوله ولا تتبعوا اهواء قوم لليهود والنصارى الذين
كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهوا عن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه
من الضلالة باهوائهم وهو المراد بقوله اهواء قوم قد ضلوا فبين الله تعالى انهم كانوا
على ضلالة واضلوا كثيرا يعني من اتبعهم على ضلالتهم واهوائهم وضلوا عن
سواء السبيل يعني واخطأوا عن قصد طريق الحق قوله تعالى لعن الذين كفروا
من بني اسرائيل على لسان داود قال اكثر المفسرين هم اصحاب السبت لما
اعتدوا في السبت واصطادوا الحيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم
واجعلهم قردة فمسخوا قردة وستأتي قصتهم في سورة الاعراف وعيسى ابن مريم
يعني على لسان عيسى بن مريم وهم كفار اصحاب المائدة فلما اكلوا منها وادخروا ولم
يؤمنوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم خنازير فمسخوا خنازير وستأتي
قصتهم وقال بعض العلماء ان اليهود كانوا يفتخرون بآبائهم ويقولون نحن من
اولاد الانبياء عليهم السلام وقيل ان داود وعيسى بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعنا
من يكفر به ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون يعني ذلك اللعن بسبب اعتدائهم وعصيانهم
ثم فسر الاعتداء والمعصية فقال تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ولا
عن الاصرار عليه لبئس ما كانوا يفعلون اللام في لبئس لام القسم اي اقسم
لبئس ما كانوا يفعلون يعني من ارتكاب المعاصي والعدوان عن عبد الله بن مسعود

رضي الله عنه



رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما دخل النقص على بني
اسرائيل انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك
ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقعيده فلما
فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بني اسرائيل
على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما
قدمت لهم انفسهم الى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون
عن المنكر ثم لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق اطرا او لتقصرنه على الحق
قصرا زاد في رواية او ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم اخرجه
ابو داود واخرجه الترمذي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم
وواكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى
ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
متكئا فقال لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق اطرا قال الترمذي هذا
الحديث غريب قوله اكيله وشريبه هو المواكل والمشارب والمقاعد فعيل بمعنى
فاعل وقوله لتأطرنه الاطر العطف يعني لتعطفنه ولتردنه الى الحق الذي
خالفه والقصر القهر على الشيء قوله عز وجل ترى كثيرا منهم يعني من اليهود
مثل كعب بن الاشرف واصحابه يتولون الذين كفروا يعني يوالون المشركين
من اهل مكة وذلك حين خرجوا اليهم ليجيشوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ابن عباس معناه ترى كثيرا من المنافقين يتولون اليهود لبئس ما
قدمت لهم انفسهم اي بئس ما قدموا من العمل لمعادهم في الآخرة
ان سخط الله عليهم بما فعلوا من موالاة الكفار وفي العذاب هم خالدون
يعني في الآخرة ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي يعني ولو كان هؤلاء الذين
يتولون الكفار يؤمنون بالله ويصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم وانه نبي
مبعوث الى كافة الخلق وما انزل اليه يعني ويؤمنون بالقرآن الذي
انزل اليه من ربه ما اتخذوهم اولياء يعني ما اتخذوا الكفار انصارا واولياء
من دون المؤمنين ولكن كثيرا منهم فاسقون يعني ولكن اكثرهم خارجون
عن طاعة الله وامره وانما قال كثيرا لانه علم ان منهم من سيؤمن مثل عبد الله
ابن سلام واصحابه قوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود
والذين اشركوا اللام في قوله لتجدن لام القسم تقديره والله
يا محمد لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا بك وصدقوك اليهود والذين
اشركوا وصفهم الله بشدة عداوة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق وجعلهم قرناء
المشركين عبدة الاصنام في العداوة للمؤمنين وذلك حسدا منهم للمؤمنين

**ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى** ووصف لين عريكة
النصارى وسهولة قبولهم الحق فقال بعضهم مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال
الشرور الى من خالفهم في الدين باي طريق كان مثل القتل ونهب المال او بانواع
المكر والكيد والحيل ومذهب النصارى خلاف اليهود فان الايذاء في مذهبهم حرام
فحصل الفرق بين اليهود والنصارى وقيل ان اليهود مخصوصون بالحرص الشديد
وطلب المال ومن كان كذلك كان شديد العداوة لغيره واما النصارى فان فيهم
من هو معرض عن الدنيا ولذاتها وترك طلب الرياسة ومن كان كذلك فانه لا يحسد
احدا ولا يعاديه بل يكون لين العريكة في طلب الحق فلهذا قال تعالى **ذلك بان منهم**
يعني من النصارى **قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون** ولم يرد به كل
النصارى فان معظم النصارى في عداوة المسلمين كاليهود بل الاية نزلت فيمن
امن من النصارى مثل النجاشي واصحابه والقس والقسيس اسم رئيس النصارى
والجمع قسيسون وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما
وقع الوفاق به بين اللغتين يعني العربية والرومية واما الرهبان فهم جمع راهب
وقيل الرهبان واحد وجمعه رهابين وهم سكان الصوامع فان قلت كيف
مدحهم الله بذلك مع قوله ورهبانية ابتدعوها قلت انما مدحهم الله في مقابلة
ذم اليهود ووصفهم بشدة العداوة للمومنين ولا يلزم من هذا القدر ان يكون
مدحا على الاطلاق وقيل انما مدح من امن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فوصفهم
بالتمسك بدين عيسى الى ان بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنوا به واتبعوه
فان قلت كفر النصارى اشد واغلظ من كفر اليهود واقبح لان النصارى
ينازعون في الالهيات فيدعون ان لله ولدا واليهود انما ينازعون في النبوات
فينكرون بعضهم وينكرون بعضهم فلم ذم اليهود ومدح النصارى قلت انما هو
مدح في مقابلة ذم وليس هو بمدح على الاطلاق وقد تقدم الفرق بين شدة
عداوة اليهود ولين النصارى فلهذا ذم اليهود ومدح النصارى الذين امنوا
منهم واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الاية فقيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة
واسمه اصحمة واصحابه الذين اسلموا معه **ذكر** قصة الهجرة الاولى وسبب
نزول هذه الاية قال ابن عباس وغيره من المفسرين في قوله ولتجدن اقربهم مودة
للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى قالوا ان قريشا ايتمرت ان يفتنوا المومنين
عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من امن منهم فاذوهم وعذبوهم فافتتن من افتتن
منهم وعصم الله من شاء منهم ومنع الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعمه ابي طالب
فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل باصحابه ولم يقدر ان يمنعهم من
المشركين ولم يومر بعد بالجهاد امر اصحابه بالخروج الى ارض الحبشة وقال
ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين
فرجا فخرج اليها احد عشر رجلا واربع نسوة سرا وهم عثمان بن عفان وزوجته





رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود
وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عتبة وامراته سهلة بنت سهيل بن
عمرو ومصعب بن عمير وابو سلمة بن عبد الاسد وزوجته ام سلمة بنت امية
وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامراته ليلى بنت ابي حثمة وحاطب بن عمرو
وسهيل بن بيضا فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة بنصف دينار الى ارض الحبشة
وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة
الاولى ثم خرج بعدهم جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من هاجر
الى ارض الحبشة من المسلمين اثنان وثمانون رجلا سوى النسا والصبيان فلما
علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه بهدايا الى النجاشي وبطارقته
ليردوهم اليهم فدخل عمرو بن العاص وقال له ايها الملك انه قد خرج فينا رجل
سفه عقول واحلامها وزعم انه نبي وانه قد بعث اليك برهط من اصحابه ليفسدوا
عليك قومك فاحببنا ان ناتيك ونخبرك خبرهم وان قومك يسالونك ان تردهم
اليهم فقال حتى نسالهم فامر بهم فاحضروا فلما اتوا باب النجاشي قالوا يستاذن
اولياء الله فقال ايذنوا لهم فمرحبا باولياء الله فلما دخلوا عليه سلموا فقال الرهط
من المشركين ايها الملك الا ترى انا صدقناك انهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيا
بها فقال لهم الملك ما منعكم ان تحيوني بتحيتي قالوا انا حييناك بتحية اهل
الجنة وتحية الملايكة فقال لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى وامه فقال
جعفر بن ابي طالب يقول هو عبد الله ورسوله وكلمة الله وروح منه القاها الى
مريم العذرا ويقول في مريم انها العذرا البتول قال فاخذ النجاشي عودا من
الارض وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون
قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيا مما انزل على صاحبكم قالوا نعم
قال اقروا فقرا جعفر سورة مريم وهناك قسيسون ورهبان وساير
النصارى فعرفوا ما قرا فانحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق فانزل الله فيهم
ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون الى اخر الايتين فقال
النجاشي لجعفر واصحابه اذهبوا فانتم سيوم بارضي يعني انكم امنون فرجع عمرو
وصاحبه خايبين واقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار الى ان هاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلا امره وقهر اعداه وذلك في سنة
من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو بن امية الضمري
ان يزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات عنها
فارسل النجاشي جارية يقال لها ابرهة واذنت لخالد بن سعيد في نكاحها فانكحها
رسول الله صلى الله عليه وسلم على صداق مبلغه اربعماية دينار وكان الخاطب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي فارسل اليها بجميع الصداق على يد جاريته
ابرهة فلما جاءتها بالدنانير وهبتها منها خمسين دينارا فلم تاخذها وقالت

ان الملك امرني لا اخذ منك شيا وقالت انا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد صدقت
بمحمد صلى الله عليه وسلم وامنت به وحاجتي اليك ان تقرئه مني السلام فقالت
نعم وقد امر الملك نساءه ان يبعثن اليك بما عندهن من دهن وعود وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يراه عندها فلا ينكره قالت ام حبيبة فخرجنا الى المدينة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر خيبر فخرج من خرج اليه معه من قدم من
الحبشة واقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه
فكان يسائلني عن النجاشي فقرات عليه السلام من ابرهة جارية الملك فرد رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليها السلام وانزل الله عز وجل عسى الله ان يجعل بينكم وبين
الذين عاديتم منهم مودة يعني ابا سفيان وذلك بتزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ام حبيبة ولما بلغ ابا سفيان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ام حبيبة
قال ذلك الفحل لا يجدع انفه وبعث النجاشي بعد خروج جعفر واصحابه الى النبي
صلى الله عليه وسلم ابنه ازهى في ستين من اصحابه وكتب اليه يا رسول الله اني اشهد
انك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك جعفر واسلمت لله رب
العالمين وقد بعثت اليك ابني ازهى وان شئت اتيتك بنفسي فعلت والسلام عليك
يا رسول الله فركبوا في سفينة في اثر جعفر حتى اذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافى
جعفر واصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ووافى مع جعفر سبعون رجلا
عليهم الثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا من الحبشة وثمانية من الشام فقرا
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى اخرها فبكى القوم حين سمعوا
القران وامنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله
هذه الاية منهم ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى يعني
وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر وهم السبعون وكانوا اصحاب الصوامع وقيل
نزلت في ثمانين رجلا اربعين من نصارى نجران من بني الحرث بن كعب واثنين وثلاثين
من الحبشة وثمانية روميون قال قتادة نزلت في ناس من اهل الكتاب كانوا على
شريعة من الحق مما جاء بها عيسى عليه السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم امنوا به
وصدقوه فاثنى الله عليهم بقوله ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا
انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون يعني لا يتعظمون
عن الايمان والاذعان للحق قوله عز وجل وَاِذا سَمِعُوا مَا اُنْزِلَ اِلَى الرَّسُولِ
يعني واذا سمعوا القران الذي انزل الى الرسول يريد محمدا صلى الله عليه وسلم تَرَى
اَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ يقال فاض الانا اذا امتلا حتى يخرج منه ما فيه وصفهم
الله تعالى بسيل الدمع عند البكا ورقة القلب عند سماع القران قال ابن عباس
يريد النجاشي واصحابه لما قرا عليهم جعفر بن ابي طالب سورة مريم قال فما زالوا
يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يعني الذي نزل على محمد
صلى الله عليه وسلم وهو الحق يَقُولُونَ يعني القسيسين والرهبان الذين





سمعوا القران من جعفر عند النجاشي رَبَّنَا اٰمَنَّا يعني بالقران وشهدنا انه حق
وصدق فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ يعني مع امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون
بالحق وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ قال ابن عباس لما رجع الوفد من عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم لامهم قومهم على ترك دينهم فاجابهم بهذا الجواب
ومعنى الاية وما لنا لا نومن بوحدانية الله وما جاءنا من الحق من عنده على لسان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وَنَطْمَعُ يعني ونرجو بذلك الايمان اَنْ يُدْخِلَنَا
رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ يعني من امة محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فَاَثَابَهُمُ
اللهُ بِمَا قَالُوا يعني بالتوحيد الذي قالوه وانما علق الثواب وهو قوله تعالى
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ بمجرد القول المقرون بحقيقة الاخلاص
واستكانة القلب لان القول اذا اقترن بالمعرفة فهو الايمان الحقيقي الموعود
عليه بالثواب وقال ابن عباس بما قالوا يريد بما سالوا يعني قولهم فاكتبنا مع
الشاهدين خَالِدِينَ فِيهَا يعني في الجنات وَذٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ يعني المومنين
الموحدين المخلصين في ايمانهم وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا لما ذكر الله عز
وجل الوعد لمومني اهل الكتاب وما اعد لهم في الجنات ذكر الوعيد لمن اقام منهم
على كفره وتكذيبه واطلق القول بذلك ليكون هذا الوعيد لهم ولمن جرى مجراهم
في الكفر والتكذيب فقال والذين كفروا وكذبوا باياتنا اُولٰئِكَ اَصْحَابُ الْجَحِيمِ
قوله عز وجل يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا اَحَلَّ اللهُ لَكُمْ قال علماء التفسير
ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الناس يوما ووصف القيامة فرق الناس وبكوا
فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم ابو بكر وعلي بن ابي
طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وابو ذر الغفاري وسالم مولى ابي
حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن وتشاوروا
واتفقوا على انهم يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم ويصوموا الدهر
ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا
النسا ولا الطيب ولا يسيحوا في الارض فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامراته احق ما بلغني عن زوجك
واصحابه فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدي سر زوجها فقالت يا رسول الله
ان كان قد اخبرك عثمان فقد صدق فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء
عثمان اخبرته بذلك فاتى هو واصحابه العشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الم انبا انكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى
يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم اومر
بذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا
وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النسا فمن رغب
عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النسا

والطعام والطيب وشهوات الدنيا فاني لست امركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا
فانه ليس في ديني ترك اللحم والنسا ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي ورهبانيتهم
الجهاد واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة واتوا
الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد
شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الديار والصوامع
فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم يعني
الطيبات اللذيذات التي تشتهيها الانفس وتميل اليها القلوب من المطاعم
الطيبة والمشارب اللذيذة فاعلم الله عز وجل بهذه الاية ان شريعة نبيه
صلى الله عليه وسلم غير ما عزموا عليه من ترك الطيبات وانه لا ينبغي ان يجتنب الطيبات
المباحات فانه من اعتقد تحريم شي احله الله فقد كفر اما ترك لذة الدنيا وشهواتها
والانقطاع الى الله والتفرغ لعبادته من غير اضرار بالنفس ولا يفوت حق
الغير ففضيلة لا يمنع منها بل مامور بها وقوله تعالى **ولا تعتدوا** يعني ولا
تجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل معناه ولا تجبوا انفسكم فسمي جب المذاكير
اعتدا وقيل معناه ولا تعتدوا بالاسراف في الطيبات **ان الله لا يحب المعتدين**
يعني المجاوزين الحلال الى الحرام وقوله تعالى **وكلوا مما رزقكم الله** يعني وكلوا
ايها المومنون من رزق الله الذي رزقكم واحله لكم من المطاعم والمشارب قال
عبد الله بن المبارك الحلال ما اخذته من وجهه والطيب ما غذا ونما فاما الجامد
كالطين والتراب وما لا يغذي فمكروه الا على وجه التداوي عن ابن عباس ان
رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اذا اصبت اللحم انتشرت
للنسا واخذتني شهوتي فحرمت علي اللحم فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله
**حلالا طيبا** اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن غريب وله عن عايشة
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوا والعسل وله عن ابي هريرة
قال اوتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع وكان يعجبه فنهش
منها قالت عايشة وكان الذراع احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن كان
لا يجد اللحم الا غبا وكان يعجل اليه الذراع لانه اعجلها نضجا اخرجه الترمذي
وقوله تعالى **واتقوا الله الذي انتم به مومنون** هذا تاكيد للوصية بما
امر الله وزاد التوكيد بقوله الذي انتم به مومنون لان الايمان به يوجب التقوى
في الانتهاء الى ما امر به وعما نهى عنه وفي الاية دليل على ان الله عز وجل قد تكفل
برزق كل احد من عباده فانه تعالى لو لم يتكفل بذلك لما قال وكلوا مما رزقكم
الله واذا تكفل برزق العبد وجب ان لا يبالغ في الطلب والحرص على الدنيا
وانه يعول على ما وعده الله وتكفل به فانه تعالى اكرم من ان يخلف الوعد والله
اعلم قوله تعالى **لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم** قال ابن عباس لما نزلت يا ايها

الذين امنوا



الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع بايماننا
التي حلفنا عليها وكانوا قد حلفوا على ما اتفقوا عليه فانزل الله هذه الاية
لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم وقد تقدم تفسير اللغو في الايمان في سورة
البقرة وقوله تعالى **ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان** يعني ولكن يواخذكم
بما تعمدتم وقصدتم به اليمين ومنه قول الفرزدق

ولست بماخوذ بلغو تقوله • اذا لم تعمد عاقدات العزايم •

وفي الاية حذف تقديره ولكن يواخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف فهذه اللفظة
معلوم عند السامع **فكفارته** يعني فكفارة ايمانكم التي عقدتموها اذا حنثتم
**اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم** يعني من اقصد ذلك لان من
الناس من يسرف في اطعام اهله ومنهم من يقتر عليهم فامر الله بالعدل في ادا
الكفارة وقيل اراد بالاوسط في القيمة فلا يكون غاليا من اغلا الموجود ولا
من خسيس الثمن من اردي الموجود بل الوسط في القيمة وقيل اراد بالاوسط
الافضل قال ابن عباس كل شي في كتاب الله وسط فهو افضل فعلى هذا يكون
المعنى من خير ما تطعمون اهليكم وافضله **او كسوتهم** هو معطوف على محل
اوسط اي مما تطعمون المساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم فكذلك فاكسوهم
من اوسط الكسوة **او تحرير رقبة** يعني عتق رقبة والمراد جملة الشخص

**فصل** في حكم الاية وفيه مسايل المسئلة الاولى في بيان الكفارة
وهي اربعة انواع النوع الاول من الكفارات الاطعام فيجب اطعام عشرة مساكين
واختلفوا في قدر ما يطعم لكل مسكين فذهب قوم الى انه يطعم لكل مسكين مدا
من الطعام بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث بالبغدادي من غالب
قوت البلد وكذلك سائر الكفارات وهذا قول ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت
وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار وعطا والحسن
واليه ذهب مالك والشافعي وروي عن عمر وعلي وعايشة انه يطعم لكل مسكين
مدان من بر وهو نصف صاع وبه قال اهل العراق وقال ابو حنيفة ان اطعم من
الحنطة فنصف صاع وان اطعم من غيرها فصاع وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد
ابن جبير ومجاهد وقال احمد بن حنبل يطعم لكل مسكين مدا من البر ونصف صاع
من غيرها مثل التمر والشعير ومن شرط الاطعام تمليك الطعام للمساكين
فلو غداهم وعشاهم لم يجزه وقال ابو حنيفة يجزيه ذلك ولا اخراج
الدقيق والخبز في الكفارة بل اخراج الحب وجوزه ابو حنيفة ولا يجوز صرف
الكل الى مسكين واحد في عشرة ايام النوع الثاني من الكفارة الكسوة واختلف
العلماء في قدرها فذهب قوم الى انه يكسو لكل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه
اسم الكسوة او ازار او ردا او قميص او عمامة او سراويل او كسا او نحو ذلك وهذا
قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطا وطاوس واليه ذهب الشافعي وقال مالك

يجب ان يكسوا كل مسكين ما تجوز به الصلاة فيكسوا الرجل ثوبا والمراة
ثوبين درعا وخمارا وقال احمد للرجل ثوبا وللمراة ثوبين درعا وخمارا وهو
ادنى ما يجزي في الصلاة وقال ابن عمر يجب قميص ورداء وقال ابو موسى الاشعري
يجب ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين وقال ابراهيم النخعي
يجب ثوب جامع كالملحفة النوع الثالث من الكفارات العتق فيجب اعتاق
رقبة مومنة وكذلك يجب في جميع الكفارات ككفارة القتل فان الله قيد
الرقبة فيه بالايمان في كفارة القتل ومذهب الشافعي ان المطلق يحمل على المقيد
ولا يجوز اعتاق المرتد في الكفارة بالاجماع ويشترط ان تكون الرقبة سليمة
الرق حتى لو اعتق في الكفارة مكاتبا او ام ولد او عبدا اشتراه بشرط
العتق او اشترى قريبه الذي يعتق عليه فكل هولا لا يجزي في اعتاق الكفارة
وجوز اصحاب الراي عتق المكاتب في الكفارة اذا لم يود من نجوم الكتابة شيئا
وجوزوا عتق القريب في الكفارة ويشترط ان تكون الرقبة سليمة من كل عيب
يضر بالعمل فلا يجزي مقطوع اليد او الرجل ولا الاعمى ولا الزمن والمجنون
المطبق ويجوز عتق الاعور والاصم ومقطوع الاذنين والانف لان هذه
العيوب كلها لا تضر بالعمل وعند ابي حنيفة كل عيب يفوت جنسا من المنفعة
يمنع الجواز النوع الرابع من الكفارات الصوم وهو قوله تعالى فمن لم يجد
يعني الكفارة فصيام ثلاثة ايام يعني فاذا عجز لزمه كفارة اليمين عن الاطعام
والكسوة او العتق وجب صيام ثلاثة ايام قال الشافعي اذا كان عنده قوته وقوت
عياله يومه وليلته وفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام وان لم
يكن عنده هذا القدر جاز له الصيام وقال ابو حنيفة يجوز له الصيام اذا لم يكن
عنده من المال ما يجب فيه الزكاة فجعل من لا زكاة عليه عادما وقال ابو الحسن
اذا لم يجد درهمين صام وقال سعيد بن جبير ثلاثة دراهم واختلفوا في وجوب التتابع
في الصيام عن كفارة اليمين على قولين احدهما انه يجب التتابع فيه قياسا على كفارة
الظهار والقتل وهو قول ابن عباس ومجاهد وعطا وطاووس وقتادة ومذهب
ابي حنيفة واحمد واحد قولي الشافعي والقول الثاني لا يجب التتابع في كفارة اليمين
فان شا تابع وان شا فرق والتتابع افضل وبه قال الحسن ومالك وهذا القول
الثاني للشافعي المسئلة الثانية كلمة او للتخيير بين الاطعام والكسوة والعتق
وان شا اطعم وان شا كسى وان شا اعتق فبايهما اخذ المكفر فقد اصاب وخرج عن
العهدة المسئلة الثالثة لا يجوز صرف شي من الكفارات الا الى مسلم حر محتاج
فلو صرف الى ذمي او عبد او غني لا يجزيه وجوز ابو حنيفة صرفها الى اهل الذمة واتفقوا
على ان صرف الزكاة الى اهل الذمة لا يجوز المسئلة الرابعة اختلفوا في تقديم
الكفارة على الحنث فذهب قوم الى جوازه لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من حلف على يمين فراى خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير

اخرجه



اخرجه الترمذي ق عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا عبد الرحمن لا تسال الامارة فانك ان اتيتها عن مسئلة وكلت اليها وان
اتيتها من غير مسئلة اعنت عليها واذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها
فات الذي هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر وابن عباس وعامة الفقها
وبه قال الحسن وابن سيرين واليه ذهب مالك والاوزاعي والشافعي الا ان
الشافعي قال ان كفر بالصوم قبل الحنث فانه لا يجوز لانه بدني انما يجوز
بالطعام او الكسوة او العتق وقال ابو حنيفة لا يجوز تقديم الكفارة على
الحنث وقوله ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من الاطعام او الكسوة
او العتق او الصوم عند العجز عن الكفارة كفارة ايمانكم اذا حلفتم يعني
وحنثتم لان الكفارة لا تجب بمجرد اليمين وفيه اشارة الى ان تقديم الكفارة على
اليمين لا يجوز بل بعد اليمين وقبل الحنث كما تقدم واحفظوا ايمانكم يعني قللوا
ايمانكم ففيه النهي عن كثرة الحلف ومنه قول الشاعر قليل الالايا حافظ ليمينه
وصفه بانه لا يحلف وقيل في معنى الاية واحفظوا ايمانكم عن الحنث اذا حلفتم
لئلا تحتاجوا الى التكفير وهذا اذا لم يحلف على ترك مندوب او فعل مكروه
فان حلف على ذلك فالافضل بل الاولى ان يحنث نفسه ويكفر لما روي عن
ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني والله ان شا الله
لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يميني واتيت الذي هو خير
اخرجاه في الصحيح وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم اياته يعني كما بين لكم
كفارة ايمانكم اي اذا حنثتم كذلك يبين الله لكم جميع ما تحتاجون اليه في امر دينكم
لعلكم تشكرون يعني نعمة الله التي انعم بها عليكم اذ بين الله لكم اياته
ومعالم شريعته قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر
والانصاب والازلام رجس لما انزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم وقوله وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وكانت الخمر والميسر
مما يستطاب عندهم فبين الله في هذه الاية ان الخمر والميسر غير داخلين في
جملة الطيبات المحللات بل هما من جملة المحرمات والخمر كلما خامر العقل فغطاه
والميسر القمار وقد تقدم تفسيرهما في سورة البقرة والانصاب هي الحجارة
التي كانوا ينصبونها للعبادة ويذبحون عندها والازلام هي القداح التي كانوا
يستقسمون بها وتقدم تفسير ذلك رجس خبيث مستقذر من عمل الشيطان
يعني من تزيينه واغوائه ودعائه اياكم اليهما والمراد انهما من عمل يده فاجتنبوه
يعني كونوا جانبا منه والضمير في قوله فاجتنبوه عائد الى الرجس لانه اسم جامع
للكل كانه قال ان هذه الاشيا كلها رجس فاجتنبوه لعلكم تفلحون يعني
لكي تدركوا الفلاح اذا اجتنبتم هذه المحرمات التي هي رجس قوله تعالى انما يريد
الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر اختلفوا في سبب نزول هذه الاية

قد روى ابو ميسرة ان عمر بن الخطاب قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا فنزلت الاية التي في سورة البقرة يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير الاية فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر والميسر بيانا شفا فنزلت التي في سورة النسا يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فدعي عمر فقرئت عليه ثم قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شفا فنزلت الاية التي في سورة المايدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فدعي عمر فقرئت عليه فقال انتهينا انتهينا اخرجه الترمذي من طريقين وقال في رواية ابي ميسرة هذا اصح واخرجه ابو داود والنسائي وروى مصعب بن سعد عن ابيه قال صنع رجل من الانصار طعاما ودعانا وشربنا وذلك قبل ان تحرم حتى انتشينا فتفاخرت الانصار وقريش فقالت الانصار نحن افضل منكم فقال سعد بن ابي وقاص المهاجرون خير منكم فاخذ رجل من الانصار لحي جمل فضرب به انف سعد ففزره فاتى سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فنزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون وقال ابن عباس نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبايل الانصار شربوا حتى ثملوا عبث بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الاثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بي هذا اخي فلان وكانوا اخوة ليس في قلوبهم ضغاين فانزل الله تعالى تحريم الخمر في هذه الاية يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون واما تفسير الاية فقوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء يعني انما يزين لكم الشيطان شرب الخمر والقداح والقمار وهو الميسر ويحسن ذلك لكم ارادة ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء بسبب شرب الخمر لانها تزيل عقل شاربها فيتكلم بالفحش وربما افضى ذلك الى المقاتلة وذلك سبب ايقاع العداوة والبغضاء بين شاربيها واما الميسر فقال قتادة كان الرجل في الجاهلية يقامر على اهله وماله فيقمر فيقعد حزينا سليبا ينظر الى ماله في يد غيره فيورث ذلك العداوة والبغضاء فنهى الله عن ذلك وتقدم ما فيه والله اعلم بما يصلح خلقه فظهر بذلك ان الخمر والميسر سببان عظيمان في ايقاع العداوة والبغضاء بين الناس وهذا فيما يتعلق بامر الدنيا وفيهما فساد يتعلق بامر الدين وهو قوله تعالى **ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة** لان شرب الخمر يشغل عن ذكر الله وعن فعل الصلاة وكذلك القمار يشغل صاحبه عن ذكر الله وعن الصلاة فان قلت لم جمع قلت لان الخطاب مع المومنين بدليل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا والمقصود نهيهم عن شرب الخمر واللعب بالقمار وانما ضم الانصاب والازلام الى الخمر والميسر لاجل تاكيد تحريمهما في اول الاية والله اعلم وقوله تعالى **فهل انتم منتهون** لفظه استفهام ومعناه الامر اي انتهوا وهذا من ابلغ ما ينهى به لانه تعالى ذم الخمر والميسر واظهر قبحهما للمخاطب كانه قيل قد تلي عليكم فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم منتهون مع هذه الامور ام انتم على ما انتم عليه كانكم لم توعظوا ولم تنزجروا وفي هذه الاية دليل على

تحريم

تحريم شرب الخمر لان الله تعالى قرن الخمر والميسر بعبادة الاصنام وقال فهل انتم منتهون ومعناه الامر وقد صح من حديث عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شراب اسكر فهو حرام اخرجاه في الصحيحين وزاد الترمذي وابو داود ما اسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام الفرق بالتحريك ان يسع ستة عشر رطلا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل صلاته اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب لم يتب الله عليه وسقاه الله من نهر الخبال قالوا يا ابا عبد الرحمن وما نهر الخبال قال صديد اهل النار اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واخرجه النسائي وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه اخرجه ابو داود قوله عز وجل **واطيعوا الله واطيعوا الرسول** يعني فيما امركم به او نهاكم عنه **واحذروا** اي واحذروا مخالفة الله ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به او نهاكم عنه **فان توليتم** يعني فان اعرضتم عما امركم به ونهاكم عنه **فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين** وهذا وعيد وتهديد لمن اعرض عن امر الله ونهيه كانه قال فاعلموا انكم بسبب توليكم واعراضكم قد استحققتم العذاب والسخط قوله تعالى **ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا** الاية عن البرا بن عازب قال مات ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف باصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها قال فنزلت ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعنى الاية ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اي لا حرج ولا اثم عليهم فيما شربوا من الخمر واكلوا من مال القمار في وقت الاباحة قبل التحريم وقال ابن قتيبة لم اطعم خبزا ولا ماء ولا نوما قال الشاعر

• فان شيت حرمت النسا سواكم • وان شيت لم اطعم نقاخا ولا بردا •

النقاخ الماء والبرد والنوم **اذا ما اتقوا** يعني اذا ما اتقوا الشرك وقيل اتقوا ما حرم الله عليهم **وامنوا** يعني بالله ورسوله **وعملوا الصالحات** اي وازدادوا من عمل الصالحات **ثم اتقوا وامنوا** يعني اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم فعلى هذا تكون الاولى اخبارا عن حال من مات وهو يشربها قبل التحريم انه لا جناح عليه والثانية خطاب لمن بقي بعد التحريم ثم امروا باتقايها والايمان بتحريمها **ثم اتقوا** يعني ما حرم عليهم في المستقبل **واحسنوا** يعني العمل وقيل بالاتقا الاول فعل التقوى وبالثاني المداومة عليها وبالثالث اتقا الظلم مع ضم الاحسان اليه ثم قال تعالى **والله يحب المحسنين** يعني انه تعالى يحب المتقربين اليه بالايمان والاعمال الصالحة والتقوى والاحسان لان هذه المقامات من اشرف الدرجات واعلاها عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الاية ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الى اخر الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي انت منهم ومعناه ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم قيل له ان ابن مسعود منهم يعني من الذين امنوا وعملوا الصالحات والتقوى
والاحسان قال نعم قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشي من الصيد**
نزلت هذه الاية عام الحديبية وكانوا محرمين فابتلاهم الله بالصيد فكانت
الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهموا باخذها وصيدها فانزل الله هذه الاية
يا ايها الذين امنوا ليبلونكم اللام في ليبلونكم لام القسم اي ليختبر طاعتكم
من معصيتكم والمعنى يعاملكم معاملة المختبر بشي من الصيد يعني بصيد البر دون
البحر وقيل اراد الصيد في حالة الاحرام دون الاحلال ليس يفتنه من الفتن
العظام حتى تزل عنها اقدام الثابتين ويكون التكليف فيها صعبا شاقا كالابتلا
ببذل الاموال والارواح وانما هو ابتلا سهل كما ابتلى اصحاب السبت من صيد
السمك فيه لكن الله عز وجل بفضله وكرمه عصم الله امة محمد صلى الله عليه وسلم
فلم يصطادوا شيئا في حالة الابتلا ولم يعصم اصحاب السبت فمسخوا قردة وخنازير
وقوله تعالى **تناله ايديكم** يعني الفرخ والبيض وما لا يقدر ان يفر من صغار الصيد
**ورماحكم** يعني كبار الصيد مثل حمر الوحش ونحوها قال ابن عباس في قوله تناله
ايديكم ورماحكم هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلي الله به عباده في احرامهم حتى لو شاءوا
نالوه بايديهم فنهاهم الله ان يقربوه **ليعلم الله** اي ليرى فانه قد علمه فهو مجاز لانه تعالى
عالم لم يزل والمعنى يعاملكم معاملة المختبر وقيل معناه ليظهر المعلوم وهو خوف
الخايف وقيل هو من باب حذف المضاف والتقدير ليعلم اوليا الله **من يخافه بالغيب**
يعني من يخاف الله ولم يره فلا يصطاد في حالة الاحرام شيئا **فمن اعتدى بعد ذلك**
يعني فصاد في حالة الاحرام بعد النهي **فله عذاب اليم** يعني في الدنيا قال ابن عباس
هو ان يوسع ظهره وبطنه جلدا وتسلب ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين في معنى الاية
لانه قد يسمى الجلد عذابا وهو قوله وليشهد عذابهما طايفة من المومنين قوله عز وجل
**يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم** جمع حرام اي لا تقتلوا
الصيد وانتم محرمون بالحج او العمرة وقيل المراد منه دخول الحرم يقال احرم اذا
عقد الاحرام واحرم اذا دخل الحرم وقيل هما مرادان بالاية فلا يجوز قتل الصيد
للمحرم ولا في الحرم نزلت هذه الاية في ابي اليسر شد على حمار وحش فقتله وهو
محرم ثم صار هذا الحكم عاما فلا يجوز قتل الصيد ولا التعرض له ما دام محرما او
في الحرم والمراد بالصيد كل حيوان متوحش ماكول اللحم وهذا قول الشافعي وقال
ابو حنيفة كل حيوان متوحش سوا كان ماكولا او لم يكن فيجب عنده الضمان
على من قتل سبعا او نمرا او نحو ذلك واستثنى الشارع خمس فواسق فاجاز قتلهن ق
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب ليس على المحرم في
قتلهن جناح الغراب والحداة والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية
خمس لا جناح على من قتلهن في الحرم والاحرام ق عن عايشة رضي الله عنها ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم الغراب

والحداة

والحداة والعقرب والفارة والكلب العقور ولمسلم خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وذكر
نحوه وفي رواية للنسايي قال خمس يقتلهن المحرم الحية والعقرب والفارة والغراب الابقع
والكلب العقور قال ابن عيينة الكلب العقور كل سبع ضاري يعقر وقاس الشافعي عليها
جميع ما لا يوكل لحمه قال لان الحديث يشتمل على الحيوانات بعضها سباع ضارية وبعضها هوام
قاتلة وطير لا يدخل في معنى السباع ولا في معنى الهوام وانما هو حيوان مستخبث اللحم وتحريم
الاكل يجمع الكل فاعتبره ورتب عليه الحكم وذهب اصحاب الراي الى وجوب الجزا في كل ما لا يوكل لحمه
الا الاعيان المذكورة في الحديث وقاسوا عليها الذيب فلم يوجبوا فيه كفارة وقوله تعالى
**ومن قتله منكم متعمدا** قال مجاهد والحسن وابن زيد هو الذي يتعمد قتل الصيد
مع نسيان الاحرام فعليه الجزا اما اذا تعمد قتل الصيد ذاكرا لاحرامه فلا جزا عليه
لانه اعظم من ان يكون له كفارة وقال ابن عباس والجمهور يحكم عليه بالجزا وان تعمد القتل
مع ذكر الاحرام وهذا مذهب عامة الفقها اما اذا قتل الصيد خطا بان قصد غيره
بالرمي فاصابه فهو كالعمد في وجوب الجزا وهذا مذهب جمهور المفسرين والفقها قال
الزهري نزل القران بالعمد وجرت السنة في الخطا يعني الحقت المخطي بالمتعمد في وجوب
الجزا وقال سعيد بن جبير لا ارى في الخطا شيئا وهذا قول شاذ لا يوخذ به **فجزا مثل
ما قتل من النعم** يعني فعليه جزا من النعم مثل ما قتل والمثل والشبيه واحد
واختلفوا في هذه المماثلة اي بالخلقة ام بالقيمة والذي عليه جمهور العلما من الصحابة
فمن بعدهم ان المماثلة في الخلقة معتبرة لان ظاهر الاية يدل على ذلك وما لا مثل
له فالقيمة وقال ابو حنيفة المثل الواجب في قتل الصيد هو القيمة لان الصيد
المقتول اذا لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة وهذا لا نزاع فيه فكان المراد بالمثل
هو القيمة في هذه الصورة فوجب ان يكون في ساير الصور كذلك لانه لا يجوز حمل اللفظ الواحد
على معنيين مختلفين والجواب عنه بان حقيقة المماثلة امر معلوم فيجب
رعايتها باقصى الامكان وان لم يكن رعايتها الا بالقيمة وجب الاكتفا به للضرورة
وحجة الشافعي ومن وافقه في اعتبار المماثلة بالخلقة ان الصحابة حكموا في بلدان
شتى وازمان مختلفة بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وهي لا تساوي بدنة
وفي حمار الوحش ببقرة وهي لا تساوي وكذا في الضبع بكبش فدل ذلك على انهم انما نظروا
الى ما يقرب من الصيد شبها من حيث الخلقة فحكموا به ولم يعتبروا القيمة فيجب في الظبي
شاة وفي الارنب سخلة وفي الضب سخلة وفي اليربوع جفرة ويجب في الحمامة وكل ما عب وهدر
كالفواخت والقمري وذوات الاطواق شاة وما سواه من الطير ففيه القيمة في المكان
الذي اصيب فيه وروي عن عثمان وابن عباس انهما حكما في حمام الحرم بشاة وروي عن عمر
انه قضى في الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الارنب بعناق وفي اليربوع بجفرة وقوله
تعالى **يحكم به ذوا عدل منكم** يعني يحكم بالجزا في قتل الصيد رجلان صالحان عدلان
من اهل ملتكم ودينكم وينبغي ان يكونا فقيهين فينظران الى اشبه الاشيا به من النعم
فيحكمان به قال ميمون بن مهران جا اعرابي الى ابي بكر الصديق فقال اني اصبت من الصيد

كذا وكذا فسيل ابو بكر ابي بن كعب فقال الاعرابي اني اتيتك اسالك وانت تسيل غيرك
فقال ابو بكر وما انكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت
صاحبي فاذا اتفقنا على شي امرناك به وقوله تعالى **هديا بالغ الكعبة** يعني
ان الكفارة هديا يساق الى الكعبة وسميت الكعبة كعبة لارتفاعها والعرب تسمي كل
بيت مرتفع كعبة وانما اريد بالكعبة كل الحرم لان الذبح لا يقع في الكعبة وعندها
ملاقيها انما يقع في الحرم وهو المراد بالبلوغ فيذبح الهدي بمكة ويتصدق به على
مساكين الحرم هذا مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة له ان يتصدق به حيث شا
اذا وصل الهدي الى الكعبة **او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما**
ذهب الشافعي ومالك وابو حنيفة الى ان كل كلمة او في هذه الاية للتخيير وقال احمد
وزفر من اصحاب ابي حنيفة انها للترتيب وهما روايتان عن ابن عباس قال الشافعي اذا
قتل صيدا له مثل فهو مخير بين ثلثة اشيا ان شا ذبح المثل من النعم وتصدق به على
مساكين الحرم وان شا صام عن كل مد من الطعام يوما وقال ابو حنيفة يصوم عن
كل نصف صاع يوما وعن احمد روايتان كالقولين واصل هذه المسيلة ان الصوم
مقدر بطعام اليوم فعند الشافعي مقدر بالمد وعند ابي حنيفة مقدر بنصف
صاع وله ان يصوم حيث شا لانه لا نفع فيه للمساكين وذهب جمهور الفقها الى ان
الخيار في تعيين احد هذه الثلاثة اشيا الى قاتل الصيد الذي وجب عليه الكفارة
لان الله اوجب عليه احد هذه الثلاث على التخيير فوجب ان يكون هو المخير بينها
شا وقال محمد بن الحسن من اصحاب ابي حنيفة التخيير الى الحكمين لان الله تعالى قال
يحكم به ذوا عدل منكم ومن قال ان كلمة او للترتيب قال ان لم يجد الهدي اشترى طعاما
وتصدق به فان كان معسرا صام وقال مالك ان لم يخرج المثل من النعم يقوم الصيد
ثم يجعل القيمة طعاما فيتصدق به او يصوم قال ابو حنيفة لا يجب المثل من
النعم بل يقوم الصيد فان شا صرف تلك القيمة الى شي من النعم وان شا الى الطعام
فيتصدق به وان شا صام عن كل نصف صاع من بر او صاع من غيره يوما واختلفوا
في موضع التقويم فقال جمهور الفقها يقوم في المكان الذي قتل فيه الصيد وقال
الشعبي يقوم بمكة بثمن مكة لانه يصرف بها وقوله تعالى **ليذوق وبال امره**
يعني جزاء ذنبه والوبال في اللغة الشي الثقيل الذي يخاف ضرره يقال مرعى وبيل
اذا كان فيه وخامة وانما سمي الله ذلك وبالا لان اخراج الجزاء ثقيل على النفس
لان فيه تنقيص المال وهو ثقيل على النفس لان فيه اهانة البدن **عفا الله
عما سلف** يعني قبل التحريم **ومن عاد** يعني الى قتل الصيد مرة ثانية **فينتقم
الله منه** يعني في الاخرة والانتقام المبالغة في العقوبة وهذا الوعيد لا يمنع
ايجاب الجزاء وهذا قول جمهور العلما وقد روي عن ابن عباس والنخعي وداود الظاهري
انه اذا قتل المحرم صيدا متعمدا سيل هل قتلت قبله شيا من الصيد فان قال
نعم لم يحكم عليه ويقال له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل قبله شيا

حكم



حكم عليه فان عاد بعد ذلك لم يحكم عليه ولكن يملا ظهره وصدره ضربا وكذلك حكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد وج وهو واد بالطايف **والله عزيز ذو انتقام**
يعني ممن عصاه اذا اتلف المحرم شيا من الصيد الذي لا مثل له من النعم مثل البيض
وطاير صغير دون الحمام ففيه القيمة فيقوم ثم يشتري بقيمته طعاما ويتصدق
به على محاويج الحرم او يصوم عن كل مد يوما قوله تعالى **احل لكم صيد البحر وطعامه**
المراد بالصيد ما صيد من البحر والمراد بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة فاما
طعامه فاختلفوا فيه فقيل هو ما قذفه البحر ورمى به الى الساحل روي ذلك عن
ابي بكر وعمر وابن عمر وابي ايوب وقتادة وقيل صيده الطرية وطعامه مالحه يروي
ذلك عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والسدي ويروي عن ابن عباس ومجاهد
كالقولين وجملة حيوان الما على قسمين سمك وغير سمك فاما السمك فجميعه حلال
على اختلاف اجناسه وانواعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في البحر هو الطهور
ماوه الحل ميتته اخرجه ابو داود والترمذي والنسايي ولا فرق بين ان يموت
بسبب او بغير سبب فيحل اكله وقال ابو حنيفة لا يحل الا ان يموت بسبب وما
عدا السمك قسمان قسم يعيش في البر والبحر كالضفدع والسرطان فلا يحل اكلهما وقال
وقال سفيان ارجو ان لا يكون بالسرطان باس واختلفوا في الجراد فقيل هو من صيد البحر
فيحل اكله للمحرم وذهب جمهور العلما الى انه من صيد البر ايضا وقال احمد يوكل كل ما في البحر
الا الضفدع والتمساح قال لان التمساح يفترس وياكل الناس وقال ابن ابي ليلى ومالك
يباح كل ما في البحر وذهب جماعة الى ان ما له نظير من البر يوكل فيوكل نظيره من حيوان
البحر مثل بقر الما ونحوه ولا يوكل ما لا يوكل نظيره في البر مثل كلب الما وخنزير الما
فلا يحل اكله قوله تعالى **متاعا لكم وللسيارة** يعني ينتفع به المقيمون والمسافرون
فيتزودون منه وقوله تعالى **وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما** ذكر الله عز وجل
تحريم الصيد على المحرم في ثلاثة مواضع من هذه السورة احدها في اول السورة
وهو قوله غير محلي الصيد وانتم حرم والثاني قوله يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد
وانتم حرم والثالث هذه الاية وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما كل ذلك للتاكيد
تحريم قتل الصيد على المحرم واختلف العلما هل يجوز للمحرم ان ياكل من لحم صيد صاده
غيره فذهب قوم الى انه لا يحل ذلك بحال يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول طاوس واليه
ذهب الثوري واحتجوا على ذلك بما روي عن الصعب بن جثامة الليثي انه اهدى للنبي
صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابوا او بودان فرده عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما راى ما في وجهه من الكراهة قال انا لم نرده عليك الا انا حرم اخرجاه
في الصحيحين وذهب جمهور العلما الى انه يجوز للمحرم ان ياكل لحم الصيد اذا لم يصده
بنفسه ولا صيد له ولا باشارته ولا اعانة عليه وهذا قول عمر وعثمان وابي هريرة وبه
قال عطا ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك والشافعي واحمد واصحاب الراي
ويدل عليه ما روي عن ابي قتادة الانصاري قال كنت جالسا مع رجال من اصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم في منزل في طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم امامنا والقوم
محرمون وانا غير محرم عام الحديبية فابصروا حمارا وحشيا وانا مشغول اخصف
نعلا فلم يؤذنوني واحبوا لو ابصرته فالتفت فابصرته فقمت الى الفرس فاسرجته ثم ركبت
ونسيت السوط والرمح فقلت لهم ناولوني السوط والرمح فقالوا لا والله لا نعينك
عليه فغضبت فنزلت فاخذتهما ثم ركبت فشددت على الحمار فعقرته ثم جئت
به وقد مات فوقعوا فيه ياكلون ثم انهم شكوا في اكلهم اياه وهم حرم فرحنا وخبأت
العضد فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عن ذلك فقال هل معكم منه
شيء فقلت نعم فناولته العضد فاكلها وهو محرم زاد في رواية ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لهم انما هي طعمة اطعمكموها الله وفي رواية هو حلال فكلوه وفي رواية قال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل منكم احد امره ان يحمل عليه او اشار اليها قالوا لا
قال كلوا ما بقي من لحمها اخرجاه في الصحيحين واجاب صاحب هذا المذهب عن حديث الصعب
ابن جثامة بانه انما رده النبي صلى الله عليه وسلم لانه ظن انه انما صيد لاجله والمحرم لا ياكل
ما صيد لاجله واتقوا الله يعني فلا تستحلوا الصيد في حال الاحرام ولا في الحرم
ثم حذرهم بقوله الذي اليه تحشرون يعني في الاخرة فيجازيكم باعمالكم قوله عز
وجل جعل الله الكعبة البيت الحرام جعل بمعنى صير وقيل معناه بين وحكم وقال
مجاهد سمي البيت كعبة لتربيعه وقيل لارتفاعه عن الارض وسمي البيت الحرام
لان الله حرمه وعظمه وشرفه وعظم حرمته وحرم ان يصاد عنده وان يختلى خلاه
وان يعضد شجره واراد بالبيت الحرام جميع الحرم لما صح من حديث ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة فقال ان هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق
السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده
ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه وقوله تعالى قياما للناس اصله قواما
لانه سبب لقوام مصالح الناس في امر دينهم ودنياهم وآخرتهم اما في امر الدين فانه
به يقوم الحج وتتم المناسك واما في امر الدنيا فانه يجبى اليه ثمرات كل شيء ويامنون
فيه من النهب والغارة فلو لقي الرجل قاتل ابيه او ابنه في الحرم لم يهجه واما في امر الاخرة
فان البيت جعل لقيام المناسك عنده وجعلت تلك المناسك التي تقام عنده اسبابا
لعلو الدرجات وتكفير الخطيئات وزيادة الكرامات والمثوبات فلما كانت الكعبة
المشرفة سببا لحصول هذه الاشياء كانت سببا لقيام الناس والشهر الحرام يعني
وجعل الشهر الحرام وهو ذو القعدة والمحرم ورجب الفرد يعني وكذلك جعل الاشهر
الحرم يامنون فيها من القتال وذلك ان العرب كان يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم
على بعض وكانوا اذا دخلت الاشهر الحرم امسكوا عن القتال والغارة فيها فكانوا يامنون
في الاشهر الحرم فكانت سببا لقيام مصالح الناس والهدي والقلائد يعني وكذلك
جعل الهدي والقلائد سببا لقيام مصالح الناس وذلك انهم كانوا يامنون بسوق
الهدي الى البيت الحرام على انفسهم بذلك وكذلك كانوا يامنون اذا قلدوا انفسهم

من لحى



من لحى شجر الحرم فلا يتعرض لهم احد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في
الارض يعني انه تعالى علم في الازل بمصالح العباد وما يحتاجون اليه فجعل الكعبة
البيت الحرام والشهر الحرام والهدي والقلائد يامنون بها لانه يعلم مصالح العباد
وكما يعلم ما في السموات وما في الارض لانه تعالى عالم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات
وهو قوله تعالى والله بكل شيء عليم يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية اعلموا ان الله
شديد العقاب يعني لمن انتهك محارمه واستحلها وان الله غفور رحيم يعني تاب
وامن ولما ذكر الله انواع رحمته بعباده ذكر بعدها انه شديد العقاب لان الايمان
لا يتم الا بحصول الرجا والخوف ثم ذكر بعده ما يدل على سعة رحمته وانه غفور رحيم
قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ يعني ليس على رسولنا الذي ارسلناه اليكم
الا تبليغ ما ارسل به من الانذار بما فيه قطع الحجج ففي الاية تشديد عظيم في ايجاب
القيام بما امر الله وان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من
التبليغ وقامت الحجة عليكم بذلك ولزمتكم الطاعة فلا عذر في التفريط والله
يعلم ما تبدون وما تكتمون يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من احوالكم ظاهرا وباطنا
قل لا يستوي الخبيث والطيب يعني لا يستوي الحلال والحرام في الدرجة والرتبة
ولا يعتدل الردي والجيد ولا المسلم والكافر ولا الصالح ولا الطالح ولو اعجبك
كثرة الخبيث يعني ولو سرك كثرة لان عاقبته عاقبة سوء والمعنى ان اهل الدنيا يعجبهم
كثرة المال وزينة الدنيا وما عند الله خير وابقى لان زينة الدنيا ونعيمها يزول وما عند الله
يدوم وقال ابن الجوزي روى جابر بن عبد الله ان رجلا قال يا رسول الله ان الخمر كانت
تجارتي فهل ينفعني ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وقال مقاتل نزلت في شريح بن ضبيعة البكري وحجاج
بني بكر وقد تقدمت القصة في اول السورة فاتقوا الله يعني فيما امركم به او نهاكم
عنه ولا تتعدوه يا اولي الالباب يعني يا ذوي العقول السليمة لعلكم تفلحون
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم اختلفوا في
سبب نزول هذه الاية فروى عن انس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
قال فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين فقال رجل من ابي
فقال فلان فنزلت هذه الاية لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وفي رواية
اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فقام
على المنبر فذكر الساعة فذكر فيها امورا عظاما ثم قال من احب ان يسأل عن شيء
فليسأل فلا تسألوني عن شيء الا اخبرتكم به ما دمت في مقامي فاكثر الناس البكاء واكثر
ان يقول سلوا فقام عبد الله بن حذافة السهمي فقال من ابي فقال ابوك حذافة
ثم اكثر ان يقول سلوني فبرك عمر على ركبتيه فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت علي الجنة والنار انفا في عرض هذا الحائط فلم ار كاليوم

في الخير والشر قال ابن شهاب فأخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال قالت أم عبد الله
ابن حذافة لعبد الله بن حذافة ما سمعت قط أعق منك أمنت أن تكون أمك قارفت
بعض ما تقارف أهل الجاهلية فتفضحها على أعين الناس فقال عبد الله بن حذافة لو ألحقني
بعبد أسود للحقته زاد في رواية أخرى قال قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية
لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم أخرجاه في الصحيحين ق عن ابن عباس كان قوم
يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من أبي ويقول الرجل
تضل ناقته أين ناقتي فأنزل الله فيهم هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء
إن تبد لكم تسؤكم الآية كلها وقيل نزلت هذه الآية في شأن الحج عن علي بن أبي طالب
قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا قالوا يا رسول الله
في كل عام فسكت فقالوا يا رسول الله في كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت
فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم أخرجه
الترمذي وقال حديث غريب م عن أبي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل أفي كل عام فسكت حتى قالها ثلاثا
ثم قال ذروني ما تركتكم ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وإنما هلك من كان قبلكم
كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم
عن شيء فاجتنبوه وروى مجاهد عن ابن عباس لا تسألوا عن أشياء قال هي البحيرة والوصيلة
والسائبة والحام ألا ترى أنه يقول بعد ذلك ما جعل الله من بحيرة ولا كذا ولا كذا
وقال عكرمة إنهم كانوا يسألونه عن الآيات فنهوا عن ذلك ثم قال قد سألها قوم
من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ومعنى الآية لا تسألوا عن أشياء جمع شيء إن تبد لكم
أي تظهر لكم وتبين لكم تسؤكم يعني إن أمرتم بالعمل بها فإن من سأل عن الحج لم يأمن أن يؤمر
به فلا يقدر عليه فيسوؤه ذلك وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم معناه
إن صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم من فرض أو نهي أو حكم وليس في ظاهره شرح ما تحتاجون
إليه ومست حاجتكم إليه فإذا سألتم عنه فحينئذ يبد لكم ومثاله هذا أن الله عز وجل
لما بين عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها والحامل ولم يكن في عدة هؤلاء دليل على عدة
التي ليست ذات قروء ولا حامل فسألوا عنها فأنزل الله عز وجل جوابهم في قوله واللائي
يئسن من المحيض من نسائكم الآية عفا الله عنها يعني عن مسألتكم عن الأشياء التي سألتم
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كره الله لكم السؤال عنها فلم يؤاخذكم بها ولم
يعاقبكم عليها والله غفور يعني لمن تاب منكم حليم فلم يعجل بعقوبتكم وقال عطاء غفور
يعني لما كان في الجاهلية حليم يعني عن عقابكم منذ آمنتم وصدقتم وقال بعض العلماء الأشياء
التي يجوز السؤال عنها هي ما يترتب عليه أمر الدين والدنيا من مصالح العباد وما عدا ذلك
فلا يجوز السؤال عنه ق عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
إن أعظم المسلمين في المسلمين من سأل عن شيء لم يحرم على الناس فحرم من أجل مسألته
ق عن المغيرة بن شعبة أنه كتب إلى معاوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن

قيل وقال



قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال عن معاوية أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى
عن الأغلوطات أخرجه أبو داود الأغلوطات صعاب المسائل التي تزل فيها أقدام
العلماء ويؤيد ذلك قول أبي هريرة شرار الناس الذين يسألون عن شرار المسائل
الذين يغلطون بها العلماء عن سلمان قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن أشياء فقال الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرمه الله في كتابه
وما سكت عنه فهو مما قد عفي عنه فلا تتكلفوا وعن أبي ثعلبة الخشني أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها وحرم أشياء
فلا تقربوها وترك أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها هذان الحديثان أخرجهما
في جامع الأصول ولم يعزهما إلى أحد من الكتب الستة ثم قال تعالى قد سألها قوم من
قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين قال المفسرون يعني قوم صالح سألوا الناقة
ثم عقروها فأصبحوا بها كافرين وقوم موسى قالوا أرنا الله جهرة فكان هذا
السؤال وبالا عليهم وقوم عيسى سألوا نزول المائدة عليهم ثم كذبوا بها
فإنه تعالى يقول إن أولئك سألوا فلما أعطوا سؤلهم كفروا به فلا تسألوا
أنتم فلعلكم إن أعطيتم سؤالكم ساءكم ذلك قوله تعالى ما جعل الله أي ما أنزل
الله ولا أحكم به ولا شرعه من بحيرة البحيرة من البحر وهو الشق يقال بحر ناقته
إذا شق أذنها فهي فعيلة بمعنى مفعولة ولا سائبة يعني المسيبة المخلاة
ولا وصيلة الوصيلة هي الشاة وكانت العرب في الجاهلية إذا ولدت
لهم ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها ولا حام والحام هو الفحل من الإبل يحمي
ظهره فلا يركب ولا ينتفع به قال ابن عباس في بيان هذه الأوصاف البحيرة
هي الناقة إذا ولدت لم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها الماء والكلأ ثم
نظروا إلى خامس ولدها فإن كان ذكرا نحروه وأكله الرجال والنساء وإن كان
أنثى شقوا أذنها وتركوها وحرموا على النساء منافعها وكانت منافعها للرجال
خاصة فإذا ماتت حلت للرجال والنساء وقيل كانت الناقة إذا تابعت ثنتا عشرة
سنة إناثا سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف
فما نتجت بعد ذلك من أنثى شق أذنها ثم سيبت مع أمها ويفعل بها كما يفعل بأمها
وقيل السائبة البعير الذي يسيب لآلهتهم وذلك أن الرجل من أهل الجاهلية
كان إذا مرض أو غاب له قريب نذر فقال إن شفاني الله أو شفى الله مريضي
أو قدم غائبي فناقتي هذه سائبة ثم سيبها فلا تحبس عن مرعى ولا ماء ولا يركبها
أحد فهي بمنزلة البحيرة والوصيلة من الغنم كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن
نظروا فإن كان السابع ذكرا ذبحوه وأكل منه الرجال والنساء وإن كانت أنثى
تركوها في الغنم وإن كانت ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فاستحيوا
الذكر فلم يذبحوه من أجل الأنثى والحام هو الفحل إذا ركب ولد ولده وقيل هو
الفحل إذا أنتج من صلبه عشرة أبطن قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع

منها ولا مرعى فاذا ماتت اكله الرجال والنساء ق عن سعيد بن المسيب قال البحيرة
التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها احد من الناس والسايبة كانوا يسيبونها
لالهتهم لا يحمل عليها شي وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رايت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف اخا بني كعب يجر قصبه في النار خ عن عايشة
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت جهنم يحطم بعضها بعضا ورايت
عمرا يجر قصبه وهو اول من سيب السوايب القصب بضم القاف وسكون الصاد
المهملة الامعاء كان اهل الجاهلية تفعل هذا في جاهليتهم فلما بعث الله عز وجل
نبيه صلى الله عليه وسلم ابطل ذلك بقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سايبة ولا
وصيلة ولا حام يعني ما بحر الله من بحيرة ولا سيب من سايبة ولا وصل من وصيلة
ولا حمى من حام ولا اذن فيه ولا امر به ولكنكم انتم فعلتم ذلك من عند انفسكم
خ عن ابن مسعود ان اهل الاسلام لا يسيبون وان اهل الجاهلية كانوا يسيبون
وقوله تعالى ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب يعني بقولهم ان الله
امرنا بها واكثرهم لا يعقلون اراد بالاكثر الاتباع يعني الاتباع لا تعقل وان هذا
كذب وافترا من الروسا على الله عز وجل واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله
والى الرسول يعني واذا قيل لهولا الذين بحروا البحاير وفعلوا هذه الاشيا
ويضيفونها الى الله كذبا تعالوا الى ما انزل الله يعني في كتابه والى الرسول يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم الذي انزل عليه كتابه ليبين لكم كذب ما تضيفونه الى الله
ويبين لكم الشرايع والاحكام وان الذي تفعلونه ليس بشي قالوا حسبنا ما وجدنا
عليه اباءنا يعني قد اكتفينا بما اخذناه عنهم من الدين ونحن لهم تبع قال الله
ردا عليهم اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيا ولا يهتدون يعني انما يصح الاقتدا بالعالم
المهتدي الذي يبني قوله على الحجة والبرهان والدليل وان اباءهم كانوا كذلك
فيصح الاقتدا بهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم قال بعض العلما هذا امر من الله تعالى ومعناه احفظوا
انفسكم من ملابسة الذنوب والاصرار على المعاصي لانك اذا قلت عليك زيدا معناه
الزم زيدا وقيل معناه عليكم انفسكم فاصلحوها واعملوا في خلاصها من عذاب الله
عز وجل وانظروا لها فيما يقربها من الله عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يعني
لا يضركم كفر من كفر اذا كنتم مهتدين واطعتم الله عز وجل فيما امركم به ونهاكم عنه
قال سعيد بن جبير ومجاهد نزلت هذه الاية في اهل الكتاب اليهود والنصارى
يعني عليكم انفسكم لا يضركم من ضل من اهل الكتاب فخذوا منهم الجزية واتركوهم وقيل
لما قبل الجزية من اهل الكتاب قال بعض الكفار كيف تقبل الجزية من بعض دون بعض
فنزلت هذه الاية وقيل ان المومنين كان يشتد عليهم بقا الكفار على كفرهم فقيل لهم
عليكم انفسكم واجتهدوا في صلاحها لا يضركم ضلال الضالين ولا جهل الجاهلين
اذا كنتم مهتدين فان قلت هل يدل ظاهر هذه الاية على جواز ترك الامر بالمعروف

والنهي

والنهي عن المنكر قلت لا يدل على ذلك والذي عليه اكثر الناس ان المطيع
لربه عز وجل لا يكون مواخذا بذنوب اصحاب المعاصي فاما وجوب الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر فثابت بدليل الكتاب والسنة عن قيس بن ابي حازم عن ابي بكر
رضي الله عنه انه قال ايها الناس انكم تقرؤن هذه الاية يا ايها الذين امنوا عليكم
انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الناس اذا راوا الظالم فلم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب
منه وقال قوم في معنى الاية عليكم انفسكم اذا امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر
فلم يقبل منكم قال ابن مسعود مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان
رد عليكم فعليكم انفسكم ثم قال ان القران نزل منه اي قد مضى تاويلهن قبل
ان ينزلن ومنه اي وقع تاويلهن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه
اي يقع تاويلهن يوم القيامة وبما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم
واهواؤكم واحدة فلم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم باس بعض فامروا بالمعروف
وانهوا عن المنكر فاذا اختلفت قلوبكم واهواؤكم والبستم شيعا واذاق بعضكم
باس بعض فامرؤ ونفسه فعند ذلك جاء تاويل هذه الاية وقيل لابن عمر لو جلست
في هذه الايام فلم تامر ولم تنه فان الله يقول عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا
اهتديتم فقال ابن عمر انها ليست لي ولا لاصحابي لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الا ليبلغ الشاهد الغايب فكنا نحن الشهود وانتم الغيب ولكن هذه الاية
لاقوام يجيؤن من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم وعن ابي امية الشعباني قال اتيت
ابا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع بهذه الاية قال اية اية قلت يا ايها الذين
امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال اما والله لقد سالت عنها خبيرا
سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر
حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك
بخاصة نفسك ودع العوام فان من ورايكم ايام الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجمر
للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم وفي رواية قيل يا رسول الله
اجر خمسين رجلا منا او منهم قال لا بل اجر خمسين منكم اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب وقيل في معنى الاية ان العبد اذا عمل بطاعة الله واجتنب نواهيه
لا يضره من ضل او هلك قال ابن عباس في قوله عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
يقول اذا ما العبد اطاعني فيما امرته من الحلال والحرام فلا يضره من ضل بعده اذا عمل
ما امرته به وعن صفوان بن محرز قال دخل على شاب من اهل الاهوا فذكر شيا من امره
فقال له صفوان الا ادلك على خاصة الله التي خص بها اولياءه يا ايها الذين امنوا عليكم
انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال الحسن لم يكن مومن فيما مضى ولا مومن
فيما بقي الا والى جانبه منافق يكره عمله وقيل في معنى الاية لا يضركم من كفر بالله وحاد
عن قصد السبيل من اهل الكتاب اذا اهتديتم انتم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الاية

في اهل الكتاب وقال ابن زيد كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك وضللتهم
وفعلت وفعلت وكان ينبغي لك ان تنصرهم وتفعل وتفعل قال الله عز وجل يا ايها
الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال الطبري واولى هذه
الاقوال واصح الثنا ويلاف عندنا في هذه الاية ما روي عن ابي بكر الصديق وهو
العمل بطاعة الله واداء ما لزم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاخذ على يد
الظالم لان الله تعالى يقول وتعاونوا على البر والتقوى ومن التعاون على البر
والتقوى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاخذ على يد الظالم حتى يرجع عن ظلمه
وقال عبد الله بن المبارك هذه الاية اوكد اية في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر لان الله تعالى قال عليكم انفسكم يعني اهل دينكم بان يعظ بعضكم بعضا بان يرغبه
في الخيرات وينفره عن القبايح والمكروهات والذي يؤكد ذلك ان معنى قوله عليكم
انفسكم اي احفظوا انفسكم وهذا امر بان نحفظ انفسنا ولا يتم ذلك الا بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والله اعلم وقوله تعالى **الى الله مرجعكم جميعا** يعني في الاخرة
الطايع والعاصي والضال والمهتدي **فينبئكم بما كنتم تعملون** يعني فيخبركم
باعمالكم ويجزيكم عليها قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم** سبب نزول
هذه الاية ما روي ان تميم بن اوس الداري وعدي بن بدا خرجا من المدينة في تجارة الى
الشام وهما نصرانيان ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام
مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه من المتاع والقاه في متاعه ولم يخبر صاحبيه
بذلك فلما اشتد وجعه اوصى الى تميم وعدي وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله اذا
رجعا الى المدينة ومات بديل ففتشا متاعه فوجدا فيه اناء من فضة منقوشا بالذهب
فيه ثلثماية مثقال فغيباه ثم انهما قضيا حاجتهما وانصرفا الى المدينة فدفعا المتاع
الى اهل البيت ففتشوه فاصابوا الصحيفة وفيها تسمية ما كان معه فجاوا اهل البيت
الى تميم وعدي فقالوا هل باع صاحبنا شيا من متاعه قالا لا قالوا فهل طال مرضه
فانفق على نفسه شيا قالا لا قالوا فهل اتجر تجارة قالا لا قالوا انا وجدنا في
متاعه صحيفة فيها تسمية ما كان معه وانا فقدنا منها اناء من فضة مموها بالذهب
فيه ثلثماية مثقال فضة قالا لا ندري انما اوصى الينا بشي وامرنا ان ندفعه اليكم
فدفعناه وما لنا علم بالاناء فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاصرا على الانكار
وحلفا فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت قال
تميم بري الناس منها غيري وغير عدي بن بدا وكانا نصرانيين يختلفان الى الشام بتجارتهما
قبل الاسلام فاتيا الشام بتجارتهما وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن ابي مريم
بتجارة ومعه جام من فضة يريد به الملك وهو عظم تجارته فمرض فاوصى اليهما وامرهما
ان يبلغا ما ترك اهله قال تميم فلما مات اخذنا ذلك الجام فبعناه بالف درهم ثم اقتسمناه
انا وعدي فلما اتينا اهله دفعنا ما كان معنا وفقدوا الجام فسالونا عنه فقلنا ما ترك
غير هذا وما دفع الينا غيره قال تميم فلما اسلمت بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة

تاثمت

تاثمت من ذلك فاتيت اهله فاخبرتهم الخبر واديت اليهم خمسماية درهم واخبرتهم
ان عند صاحبي مثلها فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالهم البينة فلم
يجدوا فامرهم ان يستحلفوه بما يعظم به على اهل دينه فحلف فانزل الله يا ايها الذين
امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت الى قوله او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم
فقام عمرو بن العاص ورجل اخر فحلفا فنزعت الخمسماية درهم من عدي قال الترمذي
هذا حديث غريب وليس اسناده بصحيح قال الترمذي وقد روي عن ابن عباس
شي من ذلك على الاختصار من غير هذا الوجه قال ابن عباس خرج رجل من بني سهم
مع تميم الداري وعدي بن بدا فمات السهمي بارض ليس بها مسلم فلما قدما بتركته
فقدوا جاما من فضة مخوصا بالذهب فاحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم وجد الجام بمكة فقيل اشتريناه من تميم وعدي فقام رجلان من اولياء السهمي
فحلفا بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وان الجام لصاحبهم قال وفيهم نزلت هذه
الاية يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم يعني ليشهد ما بينكم لان الشهادة انما يحتاج
اليها عند وقوع التنازع والتشاجر **اذا حضر احدكم الموت** يعني اذا قارب
وقت حضور الموت **حين الوصية اثنان** لفظه خبر ومعناه الامر يعني ليشهد اثنان
عند حضور الموت واراد بالموت الوصية **ذوا عدل منكم** يعني من اهل دينكم وملتكم
يا معشر المومنين واختلفوا في هذين الاثنين فقيل هما الشاهدان اي اللذان
يشهدان على وصية الموصي وقيل هما الوصيان لان الاية نزلت فيهما ولانه قال
تعالى فيقسمان بالله والشاهد لا يلزمه يمين وجعل الموصي اثنين تاكيدا فعلى هذا
تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان يعني حضرت **او اخران**
**من غيركم** يعني من غير اهل دينكم وملتكم وهذا قول ابن عباس وابي موسى الاشعري
وسعيد بن المسيب وابن جبير والنخعي والشعبي وابن سيرين وشريح واكثر المفسرين
وقيل معناه من غير عشيرتكم وقبيلتكم وهم مسلمون واختلف العلماء في حكم هذه
الاية فقال ابراهيم النخعي وجماعة هي منسوخة كانت شهادة اهل الذمة مقبولة
في الابتداء ثم نسخت بقوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم لان الاجماع الامة
على ان شهادة الفاسق لا تجوز وشهادة الكفار والامة لا تجوز بطريق الاولى
وذهب قوم الى انها ثابتة لم تنسخ وهو قول ابن عباس وابي موسى الاشعري وسعيد
بن المسيب وابن جبير وابن سيرين وبه قال احمد بن حنبل قالوا اذا لم يجد مسلما
يشهده على وصيته وهو في ارض غربة فليشهد كافرين او ذميين او من اي دين كانا
لان هذا موضع ضرورة قال شريح من كان بارض غربة لم يجد مسلما يشهده على وصيته
فليشهد كافرين على اي دين كان من اهل الكتاب او من عبدة الاصنام فشهادتهم
جايزة في هذا الموضع ولا تجوز شهادة كافر على مسلم الا على وصية في سفر
ولا يجد فيه مسلما عن الشعبي ان رجلا من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا ولم
يجد احدا من المسلمين حضره يشهده على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب

فقدما الكوفة فاتيا ابا موسى فاخبراه وقدما بتركته ووصيته فقال ابو موسى هذا
امر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحلفهما بعد
العصر بالله ما خانا وما كذبا ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وانها لوصية الرجل
وتركته فامضى شهادتهما اخرجه ابو داود وقال قوم في قوله ذوا عدل منكم يعني
من عشيرتكم وحيكم او اخران من غيركم من غير عشيرتكم وحيكم وان الاية كلها في
المسلمين وهذا قول الحسن والزهري وعكرمة وقالوا لا يجوز شهادة كافر في شيء
من الاحكام وهذا مذهب الشافعي ومالك وابي حنيفة غير ان ابا حنيفة اجاز
اهل شهادة اهل الذمة فيما بينهم بعضهم على بعض واحتج من قال بان هذه الاية
محكمة بان سورة المائدة من اخر القران نزولا وليس فيها منسوخ واحتج من اجاز
شهادة غير المسلم في هذا الموضع بان الله تعالى قال في اول الاية يا ايها الذين
امنوا فعم بهذا الخطاب جميع المومنين ثم قال بعده ذوا عدل منكم او اخران
من غيركم فعلم بذلك انهما من غير المومنين ولان الاية دالة على وجوب اليمين
على الشاهدين واجمع المسلمون على ان الشاهد المسلم لا يجب عليه يمين
ولان الميت اذا كان في ارض غربة ولم يجد مسلما يشهده على وصيته ضاع ماله
وربما كان عليه ديون او عنده وديعة فيضيع ذلك كله واذا كان ذلك كذلك احتاج
الى شهادة من حضره من اهل الذمة وغيرهم من الكفار حتى لا يضيع ماله وتنفذ
وصيته فهذا كالمضطر الذي ابيح له اكل الميتة في حال الاضطرار والضرورات
قد تبيح شيئا من المحظورات واحتج من منع ذلك بان الله تعالى قال ممن ترضون من
الشهداء والكفار ليسوا مرضيين ولا عدول فشهادتهم غير مقبولة في حالة من
الاحوال وقوله تعالى **ان انتم ضربتم في الارض** يعني انتم سافرتم في الارض
**فاصابتكم مصيبة الموت** يعني نزل بكم اسباب الموت فاوصيتم اليهما ودفعتم مالكم
اليهما **تحبسونهما** يعني ان اتهمهما بعض الورثة وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه
ان يوقفوهما **من بعد الصلاة** يعني من بعد صلاة العصر لان جميع اهل الاديان
يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقيل من بعد صلاة اهل
دينهما لانهما اذا كانا كافرين لا يحترمان صلاة العصر **فيقسمان بالله** يعني
فيحلفان بالله قال الشافعي الايمان تغلظ في الدماء والطلاق والعتاق والمال
اذا بلغ مايتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد صلاة العصر ان كان بمكة بين الركن
والمقام وان كانت بالمدينة فعند المنبر وفي بيت المقدس فعند الصخرة وفي ساير
البلاد في اشرف المساجد وتغلظها **ان ارتبتم** يعني ان شككتم **ثمنا** يعني لا نبيع عهد الله بشيء
من الدنيا ولا نحلف بالله كاذبين لاجل عوض ناخذه او حق نجحده **ولو كان**
**ذا قربى** يعني ولو كان المشهود له ذا قرابة منا وانما خص القربى بالذكر لان
الميل اليهم اكثر من غيرهم **ولا نكتم شهادة الله** انما اضاف الشهادة اليه لانه
امر باقامتها ونهى عن كتمانها **انا اذا لمن الاثمين** يعني ان كتمنا الشهادة

اوخنافيها

[illegible]
وهذا اذا كانا غير مسلمين فلا يتوجه
لان تحليف الشاهد غير مشروع لانتسخه



او خنا فيها ولما نزلت هذه الاية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر
ودعى تميما وعديا وحلفهما عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يخونا شيئا
مما دفع اليهما فحلفا على ذلك فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ظهر الاناء
بعد ذلك قال ابن عباس وجد الاناء بمكة فقالوا اشتريناه من تميم وعدي وقيل لما
طالت المدة اظهروه فبلغ ذلك بني سهم فاتوهما في ذلك فقالا انا كنا اشتريناه
منه فقالوا لهما الم تزعما ان صاحبنا لم يبع شيئا من متاعه قالا لا لم يكن عندنا
بينة فكرهنا ان نقر لكم به فكتمناه لذلك فرفعوهما الى النبي صلى الله عليه وسلم
**فان عثر** يعني فان اطلع وظهر والعثور الهجوم على امر لم يهجم عليه غيره وكل من
اطلع على امر كان قد خفي عليه فقيل له قد عثر عليه **على انهما استحقا اثما** يعني
الوصيين ومعنى الاية فان حصل العثور والوقوف على ان الوصيين خانا استوجبا
الاثم بسبب خيانتهما وايمانهما الكاذبة **فاخران** يعني من اولياء الميت واقربايه
**يقومان مقامهما** يعني مقام الوصيين في اليمين **من الذين استحق عليهم** يعني
من الذين استحق عليهم الاثم وهم الورثة والمعنى اذا ظهرت خيانة الحالفين فيان
كذبهما يقوم اثنان اخران من الذين جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته **الاوليان**
يعني بامر الميت وهم اهله وعشيرته **فيقسمان بالله** يعني فيحلفان بالله **لشهادتنا**
**احق من شهادتهما** يعني ايماننا احق واصدق من ايمانهما **وما اعتدينا** يعني في
ايماننا وقولنا ان شهادتنا احق من شهادتهما **انا اذا لمن الظالمين** ولما نزلت هذه
الاية قام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان وهما من اهل الميت
وحلفا بالله بعد العصر ورفع الاناء اليهما وانما ردت اليمين على اولياء الميت لان
الوصيين ادعيا ان الميت باعهما فانكر ورثة الميت ذلك ومثل هذا ان الوصي اذا
اخذ شيئا من مال الميت وقال انه اوصى له به وانكر ذلك الورثة ردت اليمين عليهم
ولما اسلم تميم الداري بعد هذه القصة كان يقول صدق الله وصدق رسوله
انا اخذت الاناء فانا اتوب الى الله واستغفره وقوله تعالى **ذلك ادنى ان ياتوا**
**بالشهادة على وجهها** يعني ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين على اولياء الميت
بعد ايمانهم ادنى اي اجدر واحرى ان ياتوا بالشهادة على وجهها يعني ان ياتي
الوصيان وساير الناس بالشهادة على وجهها فلا يخونوا فيها **او يخافوا ان ترد**
**ايمان بعد ايمانهم** اي واقرب ان يخاف الوصيان ان ترد الايمان على اولياء الميت
فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فربما لا يحلفون كاذبين اذا
خافوا هذا الحكم **واتقوا الله** يعني وخافوا الله ان تحلفوا ايمانا كاذبة او تخونوا
امانة **واسمعوا** يعني المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا سمع اجابة **والله**
**لا يهدي القوم الفاسقين** يعني والله لا يرشد من كان على معصية وهذا تهديد
وتخويف ووعيد لمن خالف حكم الله تعالى او خان امانته او حلف ايمانا كاذبة
وهذه الاية الكريمة من اصعب ما في القران من الايات نظما واعرابا وحكما والله اعلم

باسرار كتابه قوله عز وجل **يوم يجمع الله الرسل** قال الزجاج هي متصلة بما قبلها
تقديره واتقوا الله يوم يجمع الله الرسل وقيل تقديره والله لا يهدي القوم
الفاسقين يوم يجمع الله الرسل اى لا يهديهم الى الجنة في ذلك اليوم وهو يوم
القيامة وقيل انها منقطعة عما قبلها وتقديره اذكر يا محمد يوم يجمع الله الرسل
وذلك يوم القيامة **فيقول ماذا اجبتم** يعني فيقول الله تبارك وتعالى
للرسل ماذا اجابكم اممكم وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم في دار الدنيا
الى توحيدي وطاعتي وفايدة هذا السؤال توبيخ امم الانبيا الذين كذبوهم
**قالوا** يعني الرسل **لا علم لنا** قال ابن عباس معناه لا علم لنا الا علمك فيهم لانك
تعلم ما اضمروا وما اظهروا ونحن لا نعلم الا ما اظهروا فعلمك فيهم انفذ من علمنا
وابلغ فعلى هذا القول انما نفوا العلم عن انفسهم وان كانوا علما لان علمهم صار
كلا علم عند علم الله وقال في رواية اخرى معناه لا علم لنا الا علما انت اعلم به منا
وهذا القول قريب من الاول وقيل معناه لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك
ايانا عن امر انت اعلم به منا وقيل معناه لا حقيقة لعلمنا بعاقبة امرهم لانا كنا
نعلم ما كان من افعالهم واقوالهم وقت حياتنا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا
ولا نعلم ما احدثوا بعدنا ومنه ما اخبر عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليهم
شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ومنه ما روي عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى
اذا رفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن اي رب اصحابي فيقال لي انك لا تدري ما
احدثوا بعدك زاد في رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدي اخرجاه في الصحيحين
وقال جمع من المفسرين ان للقيمة اهوالا وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها
فيفزعون من هول ذلك ويذهلون عن الجواب ثم اذا ثابت اليهم عقولهم يشهدون
على اممهم بالتبليغ وهذا فيه ضعف ونظر لان الله تعالى قال في حق الانبيا لا
يحزنهم الفزع الاكبر وذكر الامام فخر الدين وجها اخر وهو ان الرسل عليهم السلام
لما علموا ان قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع شرا فراوا ان الادب في السكوت وفي
تفويض الامر الى الله تعالى وعدله فقالوا لا علم لنا **انك انت علام الغيوب**
يعني انك تعلم ما غاب عنا من باطن الامور ونحن نعلم ما نشاهده ولا نعلم ما في البواطن
وقيل معناه انك لا يخفى عليك ما عندنا من العلوم وان الذي سالتنا عنه ليس
يخفى عليك لانك انت علام الغيوب ومعناه العالم باصناف المعلومات على تفاوتها
ليس يخفى عليه خافية وبنا فعلان بنا التكثير ودلت الاية على جواز اطلاق العلام
على الله تعالى كما يجوز اطلاق الخلاق عليه قوله عز وجل **اذ قال الله يا عيسى بن مريم**
**اذكر نعمتي عليك** قال بعضهم ان اذ قال الله تعالى يا عيسى صلة لماذا اجبتم
وان المراد بقوله للرسل ماذا اجبتم توبيخ للامم المكذبة ومن تمرد منهم
على الله وكان اشد الامم احتياجا وافتقارا الى التوبيخ والملامة النصارى الذين

يزعمون



يزعمون انهم اتباع عيسى عليه السلام ووجه ذلك ان جميع الامم انما كان طعنهم
في انبيايهم التكذيب بهم وطعن هولا النصارى تعدى الى جلال الله حيث وصفوه
بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الزوجة والولد فذكر الله في هذه الاية من انواع
نعمه على عيسى عليه السلام التي تدل على انه عبد وليس باله والفايدة في ذكر
هذه الحكاية تنبيه النصارى على قبح مقالتهم وفساد اعتقادهم وتوكيد الحجة عليهم
وقيل فايدة ذلك اسماع الامم يوم القيامة ما خص الله تعالى عيسى عليه السلام
به من الكرامة وقيل موضع اذ رفع بالابتدا على القطع ومعناه اذكر اذ قال الله
يا عيسى وانما خرج قوله اذ قال الله على لفظ الماضي دون المستقبل لانه ورد على
سبيل الحكاية للحال وقيل تقديره اذ يقول الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك
لفظ واحد والمراد به الجمع لان الله تعالى عدد نعمه عليه في هذه الاية والمراد
من ذكرها شكرها **وعلى والدتك** يعني بنعمته على مريم عليها السلام انه تعالى
انبتها نباتا حسنا وطهرها واصطفاها على نسا العالمين ثم ذكر نعمه على عيسى
عليه السلام فقال تعالى **اذ ايدتك بروح القدس** يعني بجبريل عليه السلام
لان القدس هو الله تعالى واضافه اليه على سبيل التشريف والتعظيم كما اضافة
بيت الله وناقة الله وقيل اراد بروح القدس الروح المطهرة لان الارواح
تختلف بالماهية فمنها روح طاهرة مقدسة ومنها روح خبيثة كدرة ظلمانية
فخص الله عيسى بالروح المقدسة الطاهرة والنورانية المشرقة **تكلم الناس**
**في المهد** يعني تكلمهم طفلا في حال الصغر **وكهلا** يعني وفي حالة الكهولة من
غير ان يتفاوت كلامك في هذين الوقتين وهذه معجزة عظيمة وخاصة شريفة
ليست لاحد قبله قال ابن عباس ارسل الله عيسى عليه السلام وهو ابن ثلاثين
سنة فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله اليه **واذ علمتك الكتاب**
**والحكمة** يعني الكتابة وهي الخط والحكمة الفهم والاطلاع على اسرار العلوم
**والتوراة والانجيل** يعني وعلمتك التورية التي انزلتها على موسى والانجيل الذي
انزلته عليك **واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني** يعني واذ تجعل وتصور
من الطين كصورة الطير باذني **فتنفخ فيها** ذكر هنا فيها وفي سورة آل
عمران فيه فالضمير في قوله فيها يعود الى الهيئة وجعلها مصدرا كما يقع اسم
الخلق على المخلوق وذلك لان النفخ لا يكون في الهيئة انما يكون في المهيا ذي
الهيئة ويجوز ان يعود الضمير الى الطير لانها مونثة قال الله تعالى اولم يروا
الى الطير فوقهم صافات واما الضمير المذكور في ال عمران في قوله فيه يعود
الى الكاف يعني في ذلك الشي المماثل لهيئة الطير **فتكون طيرا باذني** وانما
كرر قوله باذني تاكيدا ليكون ذلك الخلق واقعا بقدرة الله تعالى وتخليقه لا بقدرة
عيسى عليه السلام وتخليقه لان المخلوق لا يخلق شيئا انما خالق الاشيا
كلها هو الله تعالى لا خالق لها سواه وانما كان الخلق لهذا الطير معجزة لعيسى

عليه السلام اكرمه الله تعالى بها وكذا قوله تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني
يعني وتشفي الاكمه وهو الاعمى المطموس البصر والابرص معروف ظاهر واذ تخرج
الموتى يعني من قبورهم احيا باذني تفعل ذلك كله بدعايك والفاعل لهذه الاشيا
كلها في الحقيقة هو الله لانه هو المبري للاكمه والابرص وهو محيي الموتى وهو على
كل شي قدير وانما كانت هذه الاشيا معجزات لعيسى عليه السلام ووقعت باذن الله
تعالى وقدرته وقوله تعالى واذ كففت بني اسرايل عنك يعني واذكر نعمتي عليك اذ كففت
وصرفت عنك اليهود ومنعتك منهم حين ارادوا قتلك اذ جيتهم بالبينات يعني
بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي ذكرت في هذه الاية وذلك ان عيسى
عليه السلام لما اتى بهذه المعجزات العجيبة الباهرة قصد اليهود قتله فخلصه الله
منهم ورفعه الى السما فقال الذين كفروا منهم يعني فقال الذين استمروا
على كفرهم من اليهود ولم يومنوا بهذه المعجزات ان هذا الا سحر مبين يعني
ما جاءهم به عيسى من المعجزات قوله عز وجل واذ اوحيت الى الحواريين يعني الهمتهم
وقذفت في قلوبهم فهو وحي الهام كما اوحي الى ام موسى والى النحل والحواريون
هم اصحاب عيسى وخواصه ان امنوا بي وبرسولي يعني عيسى عليه السلام قالوا امنا
واشهد باننا مسلمون لما وفقهم الله للايمان قالوا امنا وانما قدم ذكر الايمان
على الاسلام لان الايمان من اعمال القلوب والاسلام هو الانقياد والخضوع
في الظاهر والمعنى انهم امنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم قوله تعالى اذ قال
الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مايدة من السما
قال المفسرون هذا على المجاز ولا يجوز لاحد ان يتوهم على الحواريين انهم شكوا
في قدرة الله تعالى لكنه كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع ان تقوم معي
مع علمه بانه يقدر على القيام وانما قصد بقوله هل تستطيع هل يسهل عليك وهل
يخف ان تقوم معي فكذلك معنى الاية لان الحواريين كانوا مومنين عارفين بالله
عز وجل ومعترفين بكمال قدرته وانما قالوا ذلك ليحصل لهم مزيد الطمانينة
كما قال ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمين قلبي ولا شك ان في مشاهدة هذه الاية
العظيمة تورث مزيدا لطمانينة في القلب ولهذا السبب قالوا وتطمين قلوبنا
وقال بعضهم هو على ظاهره وقال غلط القوم وقالوا ذلك قبل استحكام الايمان
والمعرفة في قلوبهم وكانوا بشرا فقالوا هذه المقالة فرد الله عليهم عند غلطهم
بقوله قال اتقوا الله ان كنتم مومنين يعني اتقوا الله ان كنتم مومنين لانه سوال تعنت
وقيل امرهم بالتقوى لما حصل لهم هذا السوال ومعنى ان كنتم مومنين مصدقين
فلا تشكوا في قدرة الله تعالى وقيل معناه اتقوا الله ان تسالوه شيا لم يساله
احد من الامم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الايات بعد الايمان قالوا نريد ان ناكل
منها يعني قال الحواريون مجيبين لعيسى عليه السلام انما نطلب نزول المايدة علينا
لان ناكل منها فان الجوع قد غلبنا وقيل معناه نريد ان ناكل للتبرك بها لا اكل حاجة

وتطمين



وتطمين قلوبنا يعني وتسكن قلوبنا وتستيقن قدرة الله تعالى لانا وان علمنا
قدرة الله بالدليل فاذا شاهدنا نزول المايدة ازددنا اليقين وقويت الطمانينة
ونعلم ان قد صدقتنا يعني فيزداد ايماننا ويقيننا بانك رسول الله ونكون عليها
من الشاهدين يعني بالوحدانية ولك بالرسالة والنبوة وقيل معناه ونكون لك
من الشاهدين عند بني اسرايل اذا رجعنا اليهم فلما قالوا ذلك امرهم عيسى ان يصوموا
ثلاثين يوما وقال لهم انكم اذا صمتم ذلك وافطرتم فلا تسالون الله شيا الا
اعطاكم ففعلوا ذلك وسالوا نزول المايدة فعند ذلك قال عيسى ابن مريم اللهم
قيل انه اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطاطا راسه وبكى ثم دعا فقال اللهم
ربنا انزل علينا مايدة من السما تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا يعني عايدة
من الله علينا وحجة وبرهانا والعيد يوم السرور واصله من عاد يعود اذا رجع
والمعنى نتخذ ذلك اليوم الذي تنزل فيه المايدة عيدا نعظمه ونصلي فيه نحن ومن يجي
من بعدنا فنزلت في يوم الاحد فاتخذه النصارى عيدا وقال ابن عباس معناه
ناكل منها اول الناس كما ياكل اخرهم واية منك اي وتكون المايدة دلالة على
قدرتك ووحدانيتك وحجة بصدق رسولك وارزقنا اي ارزقنا ذلك من
عندك وقيل ارزقنا الشكر على هذه النعمة وانت خير الرازقين يعني وانت خير
من تفضل ورزق قال الله مجيبا لعيسى اني منزلها عليكم يعني المايدة
فمن يكفر بعد منكم يعني بعد نزول المايدة فاني اعذبه عذابا يعني جنسا من العذاب
لا اعذبه احدا من العالمين يعني من عالمي زمانهم فجحدوا وكفروا بعد نزول المايدة
فمسخوا خنازير قال الزجاج ويجوز ان يكون هذا العذاب معجلا في الدنيا ويجوز
ان يكون موخرا الى الاخرة قال عبد الله بن عمر ان اشد الناس عذابا يوم القيمة
المنافقون ومن كفر من اصحاب المايدة وال فرعون واختلف العلما في نزول
المايدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المايدة لان الله لما اوعدهم على كفرهم بالعذاب
بعد نزول المايدة خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل
عليهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله تعالى اني منزلها ان سالتم نزولها والصحيح
الذي عليه جمهور العلما والمفسرين انها نزلت لان الله تعالى قال اني منزلها عليكم
وهذا وعد من الله بانزالها ولا خلف في خبره ووعده ولما روي عن عمار بن ياسر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت المايدة من السما خبزا ولحما
وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا
قردة وخنازير اخرجه الترمذي وقال قد روي عن عمار من طريق موقوفا وهو
اصح قال ابن عباس ان عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم اسالوا
الله ما شيتم يعطيكم فصاموا فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا لو عملنا عملا لاحد
فقضينا عمله لاطعمنا وسالوا المايدة فاقبلت الملايكة بمايدة يحملونها
عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعوها بين ايديهم فاكل منها اخر الناس

كما اكل اولهم وقال سلمان الفارسي لما سيل الحواريون المايدة لبس عيسى صوفا
وبكى وقال عيسى اللهم ربنا انزل علينا مايدة من السما الاية فنزلت سفرة
حمرا بين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي اليهم
منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من
الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون الى شي لم
يروا مثله ولم يجدوا ريحا اطيب من ريحه فقال عيسى عليه السلام ليقم احسنكم
عملا فيكشف عنها ويسم الله فقال شمعون الصفا راس الحواريين انت اولى بذلك
منا فقام عيسى عليه السلام فتوضا وصلى صلاة طويلة وبكى بكا كثيرا ثم كشف
المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس فيها شوك
ولا عليها فلوس تسيل من الدسم وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان
البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني
عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح
الله امن طعام الدنيا هذا ام من طعام الجنة فقال عيسى ليس شي مما ترون من طعام
الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شي افتعله الله بقدرته العالية كلوا مما سالتم
يمددكم ويزيدكم من فضله فقالوا يا روح الله كن اول من ياكل منها فقال عيسى معاذ
الله ان اكل منها ياكل منها من سالها فخافوا ان ياكلوا منها فدعى لها اهل الفاقة والمرضى
والبرص والجذام والمقعدين فقال لوا كلوا من رزق الله لكم المهنا ولغيركم البلا
فاكلوا منها وهم الف وثلاثمائة رجل وامراة من فقير ومريض وزمن ومبتلى وصدروا
عنها وهم شباعا واذا السمكة كحالها حين انزلت ثم طارت المايدة صعودا وهم
ينظرون اليها حتى توارت ولم ياكل منها مريض او زمن او مبتلى الا عوفي ولا فقير الا
استغنى وندم من لم ياكل منها فمكث اربعين صباحا تنزل ضحى فاذا نزلت اجتمع اليها
الاغنيا والفقرا والصغار والكبار والرجال والنسا ياكلون منها ولا تزال منصوبة
يوكل منها حتى يفي الفي فاذا فاء الفي طارت وهم ينظرون اليها حتى تتوارى عنهم وكانت
تنزل غبا يوما تنزل ويوما لا تنزل فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اجعل
مايدتي ورزقي للفقرا دون الاغنيا حتى شكوا وشكوا الناس فيها وقالوا ترون المايدة
حقا تنزل من السما فاوحى الله الى عيسى عليه السلام اني شرطت ان من كفر بعد نزولها
عذبته عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام عند ذلك ان
تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ الله منهم ثلاثمائة
وثلاثين رجلا باتوا ليلتهم مع نسايهم على فرشهم ثم اصبحوا خنازير يسعون في
الطرقات ياكلون العذرة من الكناسات والحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا
الى عيسى عليه السلام وبكوا ولما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت
تطوف به وجعل عيسى عليه السلام يدعوهم باسمايهم فيشيرون برؤوسهم ولا يقدرون
على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا قال كعب نزلت المايدة منكوسة تطير بها

الملايكة

الملايكة بين السما والارض عليها كل شي الا اللحم وقال ابن عباس انزل على المايدة كل شي
الا الخبز واللحم وقال الكلبي كان عليها خبز ورز وبقل وقال وهب بن منبه انزل الله
اقرصة من شعير وحيتانا فكان القوم ياكلون ويخرجون ثم يجي اخرون
فياكلون حتى اكلوا باجمعهم وفضل وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا
حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرايل وقال الكلبي ومقاتل انزل الله سمكا
وخمسة ارغفة فاكلوا منها ما شا الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم
ونشروا الحديث ضحك من لم يشهد منهم وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن
اراد الله به خيرا ثبته ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير ليس فيهم
صبي ولا امراة فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم
يشربوا وكذلك كل ممسوخ قوله عز وجل **واذ قال الله يا عيسى ابن مريم**
**ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله** اختلف المفسرون في
وقت هذا القول فقال السدي قال الله لعيسى هذا القول حين رفعه الى
السما بدليل ان حرف اذ للماضي وقال ساير المفسرين انما يقول الله له هذا
القول يوم القيامة بدليل قوله يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة
واجيب عن حرف اذ بانها قد تجي بمعنى اذا كقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت
وقال الزاجر

ثم جزاك الله عني اذ جزا • جنات عدن في السموات العلى

ولفظ الاية في قوله ءانت قلت للناس لفظ استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ
لمن ادعى ذلك على عيسى عليه السلام من النصارى لان عيسى عليه السلام لم يقل
فان قلت اذا كان عيسى عليه السلام لم يقل هذه المقالة فما وجه هذا السوال
له مع علم الله تعالى بانه لم يقله قلت وجه هذا السوال تثبيت الحجة على قومه
واكذاب لهم في ادعايهم ذلك عليه وان كفرهم به فهو كما يقول القايل لاخر
افعلت كذا وهو يعلم انه لم يفعله وانما اراد تعظيم ذلك الفعل فنفى عن نفسه
هذه المقالة وقال ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم فاعترف
بالعبودية وانه ليس باله كما يزعمون وادعت فيه النصارى فان قلت ان النصارى
لم يقولوا الهية مريم فكيف قال اتخذوني وامي الهين من دون الله قلت
ان النصارى لما ادعت في عيسى انه اله وراوا انه مريم ولدته لزمهم بهذه المقالة
على سبيل التبعية وقوله تعالى اخبارا عن عيسى عليه السلام **قال سبحانك**
يعني تنزيها لك عن النقايص وبراءة لك من العيوب قال ابو روق اذا سمع عيسى عليه
السلام هذا الخطاب وهو قوله ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
ارتعدت مفاصله وانفجرت من اصل كل شعرة من جسده عين من دم وقال مجيبا
لله تعالى سبحانك **ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق** اي كيف اقول هذا
الكلام ولست باله ولست استحق العبادة حتى ادعوا الناس اليها والمايين انه

ليس له أن يقول منه وهذا المقام مقام التواضع والخشوع لعظمة الله تعالى
شرع في بيان هل وقع ذلك منه أم لا فقال **إن كنت قلته فقد علمته** أسند
العلم إلى الله تعالى وهذا هو غاية الأدب وإظهار المسكنة لعظمة الله تعالى وتفويض
الأمر إلى علمه ثم قال **تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك** يعني تعلم ما أعلم
ولا أعلم ما تعلم وقال ابن عباس تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك وقيل
معناه تعلم ما أخفي ولا أعلم ما تخفي وقيل معناه تعلم ما أقول وأفعل ولا أعلم
ما تقول وتفعل والنفس عبارة عن ذات الشيء يقال نفس الشيء وذاته بمعنى واحد
وقال الزجاج النفس عبارة عن جملة الشيء وحقيقته تقول تعلم جميع ما أعلم
من حقيقة أمري ولا أعلم حقيقة أمرك وقيل معناه تعلم معلومي ولا أعلم
معلومك وإنما ذكر هذا الكلام على طريقة المشاكلة والمطابقة وهو من فصيح
الكلام ثم قال **إنك أنت علام الغيوب** يعني تعلم ما كان وما سيكون وهذا تأكيد
لما تقدم من قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام
الغيوب قوله تعالى إخبارا عن عيسى **ما قلت لهم إلا ما أمرتني به** يعني ما
قلت لهم إلا قولا أمرتني به **أن اعبدوا الله** يعني قلت لهم اعبدوا الله **ربي
وربكم** يعني وحدوه ولا تشركوا به شيئا **وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم**
يعني وكنت أشهد ما يفعلون وأحضره ما دمت مقيما فيهم **فلما توفيتني** يعني
فلما رفعتني إلى السماء فالمراد به وفاة الرفع لا الموت **كنت أنت الرقيب
عليهم** يعني الحفيظ عليهم المراقب لأعمالهم وأحوالهم والرقيب الحفيظ الذي
لا يغيب عنه شيء **وأنت على كل شيء شهيد** يعني أنت شهدت مقالتي التي
قلتها لهم وأنت الشهيد عليهم بعد ما رفعتني إليك لا يخفى عليه خافية فعلى
هذا الشهيد هنا بمعنى الشاهد لما كان وما يكون ويجوز أن يكون الشهيد
هنا بمعنى العليم يعني أنت العالم بكل شيء فلا يعزب عن علمه شيء قوله عز وجل
إخبارا عن عيسى عليه السلام **إن تعذبهم** يعني إن تعذب الذين قالوا
هذه المقالة بإماتتهم على كفرهم **فإنهم عبادك** لا يقدرون على دفع ضرك نزل
بهم ولا جلب نفع لأنفسهم وأنت العادل فيهم لأنك أوضحت لهم طريق الحق
فرجعوا عنه وكفروا **وإن تغفر لهم** يعني لمن تاب من كفره منهم بأن تهديه إلى الإيمان
فإن ذلك بفضلك ورحمتك **فإنك أنت العزيز** يعني في الانتقام ممن تريد
الانتقام منه لا يمتنع عليك ما تريده **الحكيم** في أفعالك كلها وهذا التفسير
إنما يصح على قول السدي لأنه قال كان سؤال الله عز وجل لعيسى عليه السلام
حين رفعه إلى السماء قبل يوم القيامة وأما على قول جمهور المفسرين أن هذا
السؤال إنما يقع يوم القيامة ففي قوله وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم
إشكال وهو أنه لا يليق بعيسى عليه السلام طلب المغفرة لهم مع علمه أن الله تعالى
لا يغفر لمن مات على الشرك والجواب عن هذا الإشكال من وجوه أحدها أنه

ليس

ليس هذا على طريق طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال فإنك أنت الغفور الرحيم ولكنه
على تسليم الأمر إلى الله وتفويضه إلى مراده فيهم لأنه العزيز في ملكه الحكيم في فعله
ويجوز في حكمته وسعة مغفرته ورحمته أن يغفر للكفار لكنه تعالى أخبر أنه لا
يفعل ذلك بقوله إن الله لا يغفر أن يشرك به الوجه الثاني قيل معناه إن تعذبهم
يعني بإقامتهم على كفرهم إلى الموت وإن تغفر لهم يعني لمن آمن منهم وتاب ورجع
عن كفره الوجه الثالث قال ابن الأنباري لما قال الله لعيسى أأنت قلت للناس
اتخذوني وأمي إلهين من دون الله لم يقع لعيسى إلا أن النصارى حكت عنه الكذب
لأنه لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب فيجوز أن يسأل له المغفرة والله أعلم بمراده
في أسرار كتابه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله
عز وجل في إبراهيم رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني الآية وقال
عيسى إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فرفع
يديه وقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب إلى محمد وربك
أعلم فسله ما يبكيك فأتاه جبريل عليه السلام فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما قال وهو أعلم فقال الله يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له إنا سنرضيك في أمتك
ولا نسوءك عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى أصبح بآية
والآية إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم أخرجه
النسائي قوله عز وجل **قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم** جمهور العلماء
على أن المراد بهذا اليوم يوم القيامة والمعنى أن صدقهم في الدنيا ينفعهم
في الآخرة لأنه يوم الإثابة والجزاء ولما تقدم من صدقهم في الدنيا ينفعهم
يوم القيامة والمراد بالصادقين النبيين والمؤمنين لأن الكفار لا ينفعهم صدقهم
يوم القيامة قال قتادة متكلمان يخطبان يوم القيامة عيسى عليه السلام
فإنه يقوم فيقول ما قص الله عنه ما قلت لهم إلا ما أمرتني به الآية فكان صادقا
في الدنيا والآخرة فنفعه صدقه وأما المتكلم الآخر فإبليس فإنه يقوم فيقول
ولما قضي الأمر الآية فصدق عدو الله فيما قال ولم ينفعه صدقه وقال عطاء
هذا يوم من أيام الدنيا لأن الآخرة دار جزاء لا دار عمل وذهب في هذا القول
إلى ظاهر الآية من أن الصدق النافع إنما يكون في الدنيا وهذا القول موافق لمذهب
السدي حيث يقول إن هذه المخاطبة جرت مع عيسى عليه السلام حين رفع
إلى السماء والوجه ما ذهب إليه الجمهور ثم ذكر الله تعالى ما لهم من الثواب على صدقهم
فقال تعالى **لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا**
فهذا إشارة إلى ما يحصل لهم من الثواب الدائم الذي لا انقطاع له ولا انتهاء
**رضي الله عنهم** يعني بطاعتهم له **ورضوا عنه** يعني بما أعطاهم من ثوابه وجزيل
كرامته **ذلك** إشارة إلى ما ذكر من ثوابهم **الفوز العظيم** يعني أنهم فازوا
بالجنة وبرضوانه عنهم ونجوا من النار **لله ملك السماوات والأرض وما فيهن**

عظم الله عز وجل نفسه عما قالت فيه النصارى يعني ان الذي له ملك السموات
والارض هو الذي يستحق الالهية لا ما قالت النصارى من الهية المسيح وامه
لانهما من جملة من في السموات والارض فهما عبيده وفي ملكه وقيل هو جواب
لسؤال مضمر كانه لما وعد الصادقين بالثواب العظيم فقيل من
يعطيهم ذلك فقال الذي له ملك السموات والارض وهو على كل شيء قدير والله
اعلم باسرار كتابه

## تفسير سورة الانعام

فصل في ذكر نزولها روى مجاهد عن ابن عباس ان سورة الانعام
مما نزل بمكة وهذا قول الحسن وقتادة وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران
عن ابن عباس قال نزلت سورة الانعام جملة ليلا بمكة وحولها سبعون الف
ملك وروى ابو صالح عن ابن عباس قال هي مكية نزلت جملة واحدة نزلت ليلا
وكتبوها من ليلتهم غير ست ايات منها فانها مدنيات وهي قوله تعالى قل تعالوا
اتل ما حرم ربكم عليكم الى اخر الثلاث ايات وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره
الاية وقوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وقال اوحي الي الى اخر الايتين
وذكر مقاتل نحو هذا وزاد ايتين وهما قوله تعالى والذين اتيناهم الكتاب
يعلمون انه منزل من ربك بالحق الاية وقوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا او قال اوحي الي الى اخر الايتين والذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما
يعرفون ابناءهم الاية وروى عن ابن عباس وقتادة انهما قالا هي مكية الا
ايتين نزلتا بالمدينة قوله وما قدروا الله حق قدره وقوله وهو الذي انشا
جنات معروشات وغير معروشات الاية ولما نزلت سورة الانعام ومعها سبعون
الف ملك قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد قال النبي
صلى الله عليه وسلم سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم وخر ساجدا قال البغوي
وروى عنه مرفوعا من قرا سورة الانعام صلى عليه اولئك السبعون الف ملك
ليله ونهاره وذكره بغير سند بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله
الذي خلق السموات والارض قال كعب الاحبار هذه الاية اول اية في التوراة
واخر اية في التوراة قوله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الاية وفي رواية
عنه ان اخر اية في التوراة اخر سورة هود قال ابن عباس افتتح الله الخلق بالحمد
فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختمهم بالحمد فقال تعالى وقضي بينهم
بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وفي قوله الحمد لله تعليم لعباده كيف يحمدونه
اي قالوا الحمد لله وقال اهل المعاني لفظه خبر ومعناه الامر اي احمدوا الله
وانما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه ابلغ في البيان من حيث انه يجمع
الامرين ولو قيل احمدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله ابلغ في البيان
من حيث انه جمع الامرين ولو قيل احمدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله





ابلغ في البيان من حيث انه جمع الامرين ولو قيل احمدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله
وقد تقدم معنى الحمد لله في تفسير فاتحة الكتاب بما فيه مقنع الذي خلق السموات
والارض اي احمدوا الله الذي خلق السموات والارض وانما خصهما بالذكر لانهما اعظم
المخلوقات فيما يرى العباد لان السما بغير عمد ترونها ومنها العبر والمنافع والارض
مسكن الخلق وفيها ايضا العبر والمنافع وجعل الظلمات والنور الجعل هنا
بمعنى الخلق وخلق الظلمات والنور قال السدي يريد بالظلمات ظلمات الليل وبالنور
نور النهار وقال الحسن يعني بالظلمات الكفر وبالنور الايمان وقيل يعني بالظلمات
الجهل وبالنور العلم وقيل الجنة والنار وقال قتادة خلق الله السموات قبل
الارض وخلق الظلمة قبل النور وخلق الجنة قبل النار روى عن عبد الله بن
عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم
القى عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل ذكره البغوي
بغير سند ثم الذين كفروا بربهم يعدلون يعني والذين كفروا بعد هذا البيان
بربهم يشركون واصل العدل مساواة الشيء بالشيء والمعنى انهم يعدلون
بالله غير الله ويجعلون له عديلا من خلقه فيعبدون الحجارة مع اقرارهم
بان الله خلق السموات والارض وقال النضر بن شميل الباء في قوله بربهم
يعني عن ربهم يميلون وينحرفون من العدول عن الشيء وقيل دخول ثم في
قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقيل على معنى لطيف وهو انه تعالى دل
به على انكاره على الكفار العدل به وعلى تعجيب المؤمنين من ذلك ومثال ذلك
ان تقول لرجل امرتك واحسنت اليك وانت تشكوني وتجحد احساني اليك
فتقول ذلك منكرا عليه ومتعجبا من فعله قوله تعالى هو الذي خلقكم من طين
يعني انه تعالى خلق ادم من طين وانما خاطب ذريته بذلك لانه اصلهم وهم
من نسله وذلك لما انكر المشركون البعث وقالوا من يحيي العظام وهي رميم
اعلمهم بهذه الاية انه خلقهم من طين وهو القادر على اعادة خلقهم وبعثهم بعد
الموت قال السدي لما اراد الله عز وجل ان يخلق ادم بعث جبريل الى الارض
لياتيه بقبضة منها فقالت الارض اني اعوذ بالله منك ان تنقص مني فرجع
ولم ياخذ منها شيئا فقال يا رب عاذت بك فبعث الله ميكائيل فاستعاذت
فرجع فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال وانا اعوذ به ان اخالف امره
واخذ من وجه الارض فخلط الحمرا والسودا والبيضا فلذلك اختلفت الوان بني ادم ثم عجنها بالماء العذب والملح ولذلك اختلفت اخلاقهم
ثم قال الله لملك الموت رحم جبريل وميكائيل الارض ولم ترحمها لا جرم اجعل
ارواح من اخلق من هذا الطين بيدك عن ابي موسى الاشعري قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى خلق ادم من قبضة قبضها من
جميع الارض فجا بنو ادم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين
ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب اخرجه ابو داود والترمذي واما قوله

قوله تعالى **ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده** فاختلف العلماء في معنى ذلك فقال
الحسن وقتادة والضحاك الاجل الاول من وقت الولادة الى وقت الموت والاجل
الثاني من وقت الموت الى البعث وهو البرزخ ويروى نحو ذلك عن ابن عباس قال
لكل احد اجلان اجل الى الموت واجل من الموت الى البعث فان كان الرجل برا تقيا
وصولا للرحم زيد له من اجل البعث الى اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم
نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من
عمره الا في كتاب وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاجل الاول اجل الدنيا والاجل
الثاني اجل الاخرة وقيل الاجل هو الوقت المقدر فاجل كل انسان مقدر معلوم
عند الله لا يزيد ولا ينقص والاجل الثاني هو يوم القيامة وهو ايضا معلوم
مقدر عند الله لا يعلمه وقال ابن عباس في رواية عطاء عنه ثم قضى اجلا يعني
النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع عند الانتباه واجل مسمى عنده هو اجل الموت
وقيل هما واحد ومعناه ثم قضى اجلا يعني قدر مدة الاعمار ولم تنتهون اليها
واجل مسمى عنده لا يعلمه الا هو والمراد بقوله عنده يعني في اللوح المحفوظ
الذي لا يطلع عليه غيره **ثم انتم تمترون** يعني ثم انتم تشكون في البعث قوله عز وجل
**وهو الله في السموات وفي الارض** يعني وهو اله السموات واله الارض وقيل
معناه وهو المعبود في السموات وفي الارض وقال محمد بن جرير الطبري معناه
وهو الله في السموات **يعلم سركم وجهركم** في الارض وقال الزجاج فيه
تقديم وتاخير وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات وفي الارض وقيل معناه
وهو المنفرد بالتدبير في السموات وفي الارض لا شريك له فيهما والمراد بالسر
ما يخفيه الانسان في ضميره فهو من اعمال القلوب وبالجهر ما يظهره الانسان
فهو من اعمال الجوارح والمعنى ان الله لا يخفى عليه خافية في السموات ولا في الارض
**ويعلم ما تكسبون** يعني من خير او شر بقي في الاية سوال وهو ان الكسب اما
ان يكون من اعمال القلوب وهو المسمى بالسر او من اعمال الجوارح وهو المسمى بالجهر
فالافعال لا تخرج عن هذين النوعين يعني السر والجهر فقوله ويعلم ما تكسبون
يقتضي عطف الشيء على نفسه وذلك غير جائز فما معنى ذلك واجيب عنه بانه
يجب حمل قوله ويعلم ما تكسبون على ما يستحقه الانسان على فعله وكسبه
والا لزم عطف الشيء على نفسه ذكره الامام فخر الدين **وما تاتيهم** يعني اهل
مكة **من اية من ايات ربهم** يعني من المعجزات الباهرات التي جاء بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك وقيل المراد بالايات ايات القران
**الا كانوا عنها معرضين** يعني الا كانوا لها تاركين وبها مكذبين **فقد كذبوا
بالحق** يعني بايات القران وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم وما اتى به من المعجزات
**لما جاءهم** يعني لما جاءهم الحق من عند ربهم كذبوا به **فسوف ياتيهم انباء ما كانوا
به يستهزءون** يعني فسوف ياتي اخبار استهزائهم اذا عذبوا في الاخرة قوله



**الم يروا** الخطاب لكفار مكة يعني الم ير هؤلاء المكذبين بايات **كم اهلكنا من
قبلهم من قرن** يعني مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الامم الماضية والقرون
الخالية والقرن الامة من الناس واهل كل زمان قرن سموا بذلك لاقترانهم
في الوجود في ذلك الزمان وقيل سمي قرنا لانه زمان يقرن زمان وامة بامة واختلفوا
في مقدار القرن فقيل ثمانون سنة وقيل مائة وعشرون سنة وقيل اربعون
سنة وقيل ثلاثون سنة وقيل مائة وعشرون سنة وقيل مائة سنة وهو الاصح
لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بسر المازني انك تعيش قرنا فعاش
مائة سنة فعلى هذا القول المراد بالقرن اهل الذين وجدوا فيه ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
يعني اصحابي وتابعيهم وتابعي التابعين **مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم** يعني
اعطيناهم ما لم نعطكم يا اهل مكة وقيل امددنا لهم في العمر والبسطة في الاجسام
والسعة في الارزاق مثل عطاء قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم **وارسلنا السماء
عليهم مدرارا** مفعالا من الدر يعني وارسلنا المطر متتابعا في اوقات الحاجة
اليه والمراد بالسماء المطر سمي بذلك لنزوله منها **وجعلنا الانهار تجري من تحتهم**
يعني وفجرنا لهم العيون تجري من تحتهم والمراد منه كثرة البساتين **فاهلكناهم
بذنوبهم** يعني بسبب ذنوبهم وكفرهم **وانشانا من بعدهم قرنا اخرين** يعني
وخلقنا من بعد هلاك اولئك القرون اهل قرن اخرين وفي هذه الاية ما يوجب
الاعتبار والموعظة بحال من مضى من الامم السابقة والقرون الخالية فانهم
مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة الاتباع اهلكناهم لما كفروا وطغوا
وظلموا فكيف حال من هو اضعف منهم واقل عددا وعددا وهذا يوجب الاعتبار
والانتباه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة قوله عز وجل **ولو نزلنا عليك كتابا
في قرطاس** الاية قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث وعبد الله
بن امية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نومن لك حتى تاتينا بكتاب من عند الله
ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله فانزل الله
هذه الاية ولو نزلنا عليك كتابا في يعني قرطاس من عندي يعني مكتوبا في قرطاس
وهو الكاغد والصحيفة التي يكتب فيها **فلمسوه بايديهم** يعني فعاينوه ومسوه
بايديهم وانما ذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لان ابلغ من ايقاع العلم بالشيء من
الروية **لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين** يعني لو انزلت عليهم كتابا
كما سالوا لما امنوا به ولقالوا هذا سحر مبين كما قالوا في انشقاق القمر وانه لا ينفع
معهم شيء لما سبق فيهم من علمي بهم **وقالوا** يعني مشركي مكة **لولا** يعني هلا **انزل
عليه** يعني على محمد **ملك** يعني نراه عيانا **ولو انزلنا ملكا لقضي الامر** يعني
لفرغ من الامر ولوجب العذاب وهذا سنة الله في الكفار انهم متى اقترحوا اية
ثم لم يومنوا استوجبوا العذاب واستوصلوا به **ثم لا ينظرون** يعني ثم انهم لا

يمهلون ولا يؤخرون طرفة عين بل يعجل لهم العذاب **ولو جعلناه ملكا لجعلناه**
**رجلا** يعني ولو ارسلنا اليهم ملكا لجعلناه في صورة رجل وذلك ان البشر
لا يستطيع ان ينظروا الى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها ولو نظر الى الملك
ناظر لصعق عند رؤيته ولذلك كانت الملائكة تاتي الانبياء في صورة الانس
كما جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وكما جاء الملكان
الى داود عليه السلام في صورة رجلين وكذلك اتى الملائكة الى ابراهيم ولوط
عليهما السلام ولما راى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التي خلق عليها
صعق لذلك وغشي عليه وقوله تعالى **وللبسنا عليهم ما يلبسون** يقال لبست
الامر على القوم اذا اشبهته عليهم وجعلته مشكلا وليست عليه الامر اذا خلطته
عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى الاية ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حتى
يشكوا فلا يدروا املك هو ام ادمي وقيل في معنى الاية انا اذا جعلنا الملك في
صورة البشر لظنوه بشرا فتفوت المسيلة على ما انا لا نرضى برسالة البشر
ولو فعل الله عز وجل ذلك صار فعل الله مثل فعلهم في التلبيس وانما كان تلبيسا
لانهم يظنون انه ملك وليس بملك او يظنون انه بشر وليس هو بشر وانما كان
فعلهم تلبيسا لانهم لبسوا على ضعفتهم في امر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انما
هو بشر مثلكم ولو راوا الملك رجلا لحقهم من اللبس مثل ما لحق لضعفائهم فيكون
اللبس نقمة من الله وعقوبة لهم على ما كان منهم من التخليط في السؤال واللبس
على الضعفا قوله عز وجل **ولقد استهزئ برسل من قبلك** يعني كما استهزؤا
بك يا محمد وفي هذه الاية تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له عما كان من
تكذيب المشركين اياه واستهزائهم به اذ جعل له اسوة في ذلك بالانبيا الذين
كانوا قبله **فحاق** اي فنزل وقيل احاط وقيل حل **بالذين سخروا منهم ما كانوا به**
**يستهزؤن** والمعنى فنزل العذاب بهم ووجب عليهم من النقمة جزاء استهزائهم
وفي هذه الاية تحذير للمشركين الذين فعلوا بنبيهم كما فعل من كان قبلهم
بانبيائهم فينزل بهم مثل ما نزل بهم **قل سيروا في الارض** اي قل يا محمد لهؤلا
المستهزئين سيروا في الارض معتبرين ومتفكرين وقيل هو سير الاقدام **ثم**
**انظروا** فعلى القول الاول يكون النظر نظر فكرة وعبرة وهو بالبصيرة لا بالبصر
وعلى القول الثاني يكون المراد بالنظر نظر العين والمعنى ثم انظروا عيانا كم
الى اثار الامم الخالية والقرون الماضية السالفة وهو قوله تعالى **كيف**
**كان عاقبة المكذبين** يعني كيف كان جزا المكذبين وكيف اورثهم
الكفر والتكذيب الهلاك فحذر كفار مكة عذاب الامم الخالية قوله عز
وجل **قل لمن ما في السموات والارض قل لله** هذا سؤال وجواب والمعنى
قل يا محمد لهؤلا المكذبين العادلين بربهم لمن ما في السموات والارض فان اجابوك
والا فاخبرهم ان ذلك لله الذي قهر كل شي وملك كل شي واستعبد كل شي لا

للاصنام

للاصنام التي تعبدونها انتم فانها موات لا تملك شيئا ولا تملك لانفسها
ضرا ولا نفعا وانما امره بالجواب عقب السؤال ليكون ابلغ في التاكيد واكد
في الحجة ولما بين الله تعالى كمال قدرته وتصرفه في سائر مخلوقاته اردفه بكمال
رحمته واحسانه اليهم فقال تعالى **كتب على نفسه الرحمة** يعني انه تعالى اوجب
وقضى على نفسه الرحمة وهذا استعطاف منه للمتولين عنه الى الاقبال
عليه واخبار بانه رحيم بعباده وانه لا يعجل بل يقبل التوبة والانابة ممن
تاب واناب **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله
الخلق وفي مسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي
تغلب غضبي وفي رواية للبخاري ان الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش
ان رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش وفي رواية لهما ان الله
لما خلق الخلق وعند مسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو
موضوع عنده زاد البخاري على العرش ثم اتفقا ان رحمتي تغلب غضبي **ق** عن ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فامسك
عنده تسعة وتسعين وانزل في الارض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تراحم الخلائق
حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية ان تصيبه زاد البخاري في رواية له
ولو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المومن
بكل الذي عند الله من العذاب لم يامن من العذاب ولمسلم ان لله مائة رحمة
انزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها
يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها واخر الله تسعة وتسعين رحمة يرحم بها
عباده يوم القيامة **م** عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله خلق يوم خلق السموات والارض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السما
والارض فجعل منها في الارض رحمة فبها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير
بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة اكملها بهذه الرحمة **ق** عن عمر قال قدم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي فاذا امراة من السبي تسعى قد تحلب
ثديها اذ وجدت صبيا في السبي فاخذته والصقته ببطنها فارضعته فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اترون هذه المراة طارحة ولدها في النار وهي تقدر ان لا تطرحه
فقلنا لا والله فقال الله ارحم بعباده من هذه المراة بولدها وقوله تعالى
**ليجمعنكم** لام القسم تقديره والله ليجمعنكم **الى يوم القيامة** يعني في يوم
القيامة وقيل معناه في قبوركم الى يوم القيامة **لا ريب فيه** اي لا شك فيه
انه ات **الذين خسروا انفسهم** يعني بالشرك بالله او بقوا انفسهم وغبنوها باتخاذهم
الاصنام فعرضوا انفسهم لسخط الله واليم عقابه فكانوا كمن خسر شيئا واصل
الخسار الغبن يقال خسر الرجل اذا غبن في بيعه **فهم لا يؤمنون** يعني لما سبق
عليهم القضا بالخسران فهو الذي حملهم على الامتناع من الايمان قوله تعالى

**وله ما سكن في الليل والنهار** يعني وله ما استقر وقيل وله ما سكن وما تحرك
فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر وقيل انما خص السكون بالذكر لان النعمة فيه اكثر
وقال ابن جرير كلما طلعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار فيكون
المراد منه جميع ما حصل في الارض من الدواب والحيوانات والطير ونحو ذلك مما
في البر والبحر وهذا يفيد الحصر والمعنى ان جميع الموجودات ملك لله تعالى لا لغيره
**وهو السميع** لاقوالهم واحوالهم **العليم** بسرائرهم واحوالهم قوله عز وجل
**قل اغير الله اتخذ وليا** قال مقاتل لما دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى دين ابائه فانزل الله هذه الاية فقال قل لهم يا محمد اغير الله اتخذ وليا يعني
ربا ومعبودا وناصرا وهو استفهام ومعناه الانكار اي لا اتخذ غير الله وليا
**فاطر السموات والارض** اي خالق السموات والارض ومبدعهما ومبديهما
**وهو يطعم ولا يطعم** يعني وهو يرزق ولا يرزق وصف الله عز وجل نفسه بالغنا
عن الخلق وباحتياج الخلق اليه لان من كان من صفته انه يطعم الخلق لاحتياجهم
اليه وهو لا يطعم لاستغنائه سبحانه وتعاليه عن الاطعام ومن ذلك وجب ان
يتخذ ربا وناصرا ووليا ومعبودا **قل اني امرت ان اكون اول من اسلم**
يعني من هذه الامة والاسلام بمعنى الاستسلام يعني امرت ان استسلم لامر الله
وانقاد الى طاعته **ولا تكونن من المشركين** يعني وقيل لي يا محمد لا تكونن من
المشركين **قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم** يعني قل يا محمد لهؤلاء
المشركين الذين دعوك الى عبادة غيري ان ربي امرني ان اكون اول من اسلم ونهاني
عن عبادة شيء سواه واني اخاف ان عصيت ربي فعبدت شيئا سواه عذاب يوم عظيم
وهو عذاب يوم القيامة **من يصرف عنه** يعني العذاب **يومئذ** يعني يوم القيامة
**فقد رحمه** يعني بالنجاة من العذاب ومن نجاه من العذاب فقد رحمه واناله
الثواب لا محالة وانما ذكر الرحمة مع صرف العذاب لئلا يتوهم انه صرف العذاب
فقط بل تحصل الرحمة مع صرف العذاب عنه **وذلك الفوز المبين** يعني ان صرف
العذاب وحصول الرحمة هو النجاة والفلاح المبين قوله تعالى **وان يمسسك الله**
**بضر** يعني بشدة وبلية والضر اسم جامع لما ينال الانسان من الم ومكروه
وغير ذلك مما هو في معناه **فلا كاشف له الا هو** يعني فلا يدفع ذلك الضر
الا الله عز وجل **وان يمسسك بخير** يعني بعافية ونعمة والخير اسم جامع لكل ما
ينال الانسان من لذة وفرح وسرور ونحو ذلك **فهو على كل شيء قدير**
يعني من دفع الضر وجلب الخير وهذه الاية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا
تتخذ وليا سوى الله لانه هو القادر على ان يمسسك بضر وهو القادر على
دفعه عنك وهو القادر على ايصال الخير اليك وانه لا يقدر على ذلك الا الله
فاتخذه وليا وناصرا ومعينا وهذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو عام
لكل احد والمعنى وان يمسسك الله بضر ايها الانسان فلا كاشف لذلك الضر





الا هو وان يمسسك بخير ايها الانسان فهو على كل شيء قدير من دفع الضر
وايصال الخير عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما فقال لي يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده
تجاهك اذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة
لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك بشيء الا قد كتبه الله لك وان اجتمعت
على ان يضروك بشيء لا يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت
الصحف اخرجه الترمذي زاد فيه رزين تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في
الشدة وفيه وان استطعت ان تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل فان لم
تستطع فان الصبر على ما تكره خير كثير واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع
الكرب وان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين وقال ابن الاثير وقد جاء نحو
هذا او مثله بطوله في مسند احمد بن حنبل قوله عز وجل **وهو القاهر فوق عباده**
يعني وهو الغالب لعباده القاهر لهم وهم مقهورون تحت قدرته وهو القاهر
والقهار ومعناه الذي يدبر خلقه بما يريد فيقع في ذلك ما يشق عليهم
ويثقل ويغم ويحزن ويفقر ويميت ويذل خلقه فلا يستطيع احد من خلقه
رد تدبيره والخروج من تحت قهره وتقديره وهذا المعنى القاهر في صفة الله
تعالى لانه القادر القاهر الذي لا يعجزه شيء اراده ومعنى فوق عباده هنا
ان قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت التسخير والتذليل بما علاهم به من الاقتدار
والقهر الذي لا يقدر احد على الخروج منه ولا ينفك عنه فكل من قهر شيئا فهو
مستعل عليه بالقهر والغلبة وقال ابن جرير الطبري معنى القاهر المتعبد
خلقه العالي عليهم وانما قال فوق عباده لانه تعالى وصف نفسه بقهره اياهم ومن
صفة كل قاهر شيئا ان يكون مستعليا عليه فمعنى الكلام اذا والله الغالب عباده
المذلل لهم العالي عليهم بتذليله اياهم فهو فوقهم بقهره اياهم وهم دونه وقيل
فوق عباده هو صفة الاستعلاء الذي تفرد به الله عز وجل **وهو الحكيم** يعني
في امره وتدبيره عباده **الخبير** يعني باعمالهم وما يصلحهم قوله عز وجل **قل**
**اي شيء اكبر شهادة** قال الكلبي ان اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا محمد ارنا من يشهد انك رسول الله فانا لا نرى احدا يصدقك ولقد سالنا
عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر فانزل الله عز وجل قل
يعني يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويجحدون نبوتك من قومك اي
شيء اكبر شهادة يعني اعظم شهادة فان هم اجابوك والا **قل** انت يا محمد **الله**
**شهيد بيني وبينكم** قال مجاهد امر محمد صلى الله عليه وسلم ان يسال قريشا اي شيء
اكبر شهادة ثم امره ان يخبرهم فيقول الله شهيد بيني وبينكم يعني يشهد لي بالحق
وعليكم بالباطل الذي تقولوا والحاصل انهم طلبوا شاهدا مقبول القول
يشهد له بالنبوة وهو المراد بقوله **واوحي الي هذا القران لانذركم به** يعني

ان الله عزوجل يشهد لي بالنبوة لانه اوحي الي هذا القران وهو معجزة لانكم انتم الفصحا البلغا واصحاب اللسان وقد عجزتم عن معارضته فكان معجزا واذا كان معجزا كان نزوله علي شهادة من الله باني رسوله وهو المراد بقوله لانذركم به يعني اوحي الي هذا القران لاخوفكم به فاحذركم مخالفة امر الله عزوجل **ومن بلغ** يعني وانذر من بلغه القران ممن ياتي بعدي الي يوم القيامة من العرب والعجم وغيرهم من ساير الامم وكل من بلغ اليه القران وسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم نذير له قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القران فكانما راي النبي صلى الله عليه وسلم وكلمه وقال انس بن مالك لما نزلت هذه الاية كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الي كسري وقيصر وكل جبار يدعوهم الي الله عزوجل **خ** عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو اية وحدثوا عن بني اسرايل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار **شرح** ما يتعلق بهذا الحديث فيه الامر بابلاغ ما جا به النبي صلى الله عليه وسلم الي من بعده من قران وسنة وقوله حدثوا عن بني اسرايل ولا حرج الحرج الضيق والاثم ومعني الحديث انه مهما قلتم عن بني اسرايل فانهم كانوا في حال اكثر مما قلتم واوسع وليس هذا فيه اباحة الكذب في الاخبار عن بني اسرايل لكن معناه الرخصة في الحديث عنهم علي بعض البلاغ وان لم يتحقق ذلك بنقل لانه امر قد تعذر لبعد المسافة وطول المدة عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرا سمع منا شيا فحفظه حتي يبلغه غيره فبلغه كما سمعه فرب مبلغ اوعي له من سامع اخرجه الترمذي وله عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرا سمع منا شيا فحفظه حتي يبلغه غيره فرب حامل فقه الي من هو افقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه عن ابن عباس قال تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم اخرجه ابو داود موقوفا وقوله تعالي **اينكم لتشهدون ان مع الله الهة اخري** يعني قل يا محمد لهولا المشركين الذين جحدوا نبوتك واتخذوا الهة غيري انكم ايها المشركون لتشهدون ان مع الله الهة اخري يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها وانما قال اخري لان الجمع يلحقه التانيث كما قال الله تعالي ولله الاسما الحسني فما بال القرون الاولي ولم يقل الاول ولا الاولين **قل لا اشهد** يعني قل يا محمد لهولا المشركين لا اشهد بما تشهدون به ان مع الله الهة اخري بل اجحد ذلك وانكره **قل انما هو اله واحد** يعني قل لهم انما الله اله واحد ومعبود واحد لا شريك له وبذلك اشهد **وانني بري مما تشركون** يعني وانا بري من كل شي تعبدونه سوي الله وفي هذه الاية دليل علي اثبات التوحيد لله عزوجل وابطال كل معبود سواه لان كلمة انما تفيد الحصر ولفظة الواحد صريح في التوحيد ونفي الشريك فثبت بذلك ايجاب التوحيد وسلب كل شريك والتبري من كل معبود سوي الله تعالي قال

العلما



العلما يستحب لمن اسلم ان ياتي بالشهادتين ويتبري من كل دين خالف الاسلام لقوله تعالي وانني بري مما تشركون قوله عزوجل **الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم** المراد بالذين اوتوا الكتاب علما اليهود والنصاري الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان كفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انا سالنا عنك اليهود والنصاري فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر وانكروا معرفته فبين الله عزوجل ان شهادتهم له كافية علي صحة نبوته وبين في هذه الاية انهم يعرفونه وانهم كذبوا في قولهم انهم لا يعرفونه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة واسلم عبد الله بن سلام قال له عمر بن الخطاب ان الله عزوجل انزل علي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بمكة الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة قال عبد الله بن سلام يا عمر لقد عرفته حين رايته كما اعرف ابني ولانا اشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم مني بابني فقال عمر وكيف ذاك قال اشهد انه رسول الله حقا ولا ادري ما يصنع النسا فقوله تعالي **الذين خسروا انفسهم** يعني اهلكوا انفسهم وغبنوها واوبقوها في نار جهنم بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الذين خسروا انفسهم قولان احدهما انه صفة للذين الاولي ويكون المقصود من ذلك وعيد المعاندين الذين يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم ويجحدون نبوته وهم كفار اهل الكتابين **فهم لا يومنون** يعني به والقول الثاني انه كلام مبتدا لا تعلق له بالاول وهم كفار مكة الذين لا يومنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكروا في معني الخسار وجهين احدهما انه الهلاك الدايم الذي حصل لهم بسبب كفرهم وانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والوجه الثاني انه جعل لكل واحد من بني ادم منزلا في الجنة ومنزلا في النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله للمومنين منازل الكفار التي في الجنة فذلك هو الخسران قوله تعالي **ومن اظلم ممن افتري علي الله كذبا** يعني ومن اشد عنادا واخطا فعلا واعظم كفرا ممن اختلق علي الله كذبا فزعم ان له شريكا من خلقه والها يعبد من دونه كما قالت المشركون من عبدة الاصنام وادعا ان له صاحبة وولدا كما قالت النصاري **او كذب باياته** يعني كذب بحججه واعلامه وادلته التي اعطاها رسله كما كذبت اليهود بمعجزات الانبيا وقيل معناه او كذب بايات القران الذي انزله علي محمد صلى الله عليه وسلم **انه لا يفلح الظالمون** يعني انه لا ينجح القايلون علي الله الكذب والمفترون علي الله الباطل **ويوم نحشرهم جميعا** اي اذكر يوم نحشر العابدين والمعبودين وهو يوم القيامة **ثم نقول للذين اشركوا اين شركاوكم الذين كنتم تزعمون** يعني انها تشفع لكم عند ربكم قوله عزوجل **ثم لم تكن فتنتهم** يعني قولهم وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سوالهم تجربة لاظهار ما في قلوبهم قيل له فتنة قال الزجاج في قوله ثم لم تكن فتنتهم معني لطيف وذلك ان الرجل يفتتن بمحبوب ثم يصيبه فيه محنة فيتبرا من محبوبه فيقال لم تكن فتنته

الابدلك المحبوب فكذلك الكفار فتنوا بمحبة الاصنام ثم لما راوا العذاب تبروا منها
بقول الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم ومحبتهم للاصنام الا ان تبروا منها وهو قوله تعالى
الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين وذلك اذا شاهدوا يوم
القيامة مغفرة الله تعالى لاهل التوحيد فيقول بعضهم لبعض تعالوا نكتتم
الشرك لعلنا نتجوا مع اهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم
على افواههم وتشهد جوارحهم عليهم بالشرك والكفر قال الله تعالى انظر كيف
كذبوا على انفسهم يعني انظر يا محمد بعين البصيرة والتامل الى حال هولا المشركين
كيف كذبوا على انفسهم يعني اعتذارهم بالباطل وتبريهم من الاصنام والشرك
الذين كانوا عليه واستعمالهم الكذب مثل ما كانوا عليه في دار الدنيا وذلك لا
ينفعهم وهو قوله وضل عنهم يعني زال عنهم وذهب ما كانوا يفترون يعني
ما كانوا يكذبون وهو قولهم ان الاصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك كله
في ذلك اليوم قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الاية قال الكلبي اجتمع ابو سفيان
صخر بن حرب وابو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة
وشيبة ابنا ربيعة وامية وابي ابنا خلف والحارث بن عامر يستمعون القران
فقالوا للنضر يا ابا قتيبة ما يقول محمد ما ادري ما يقول الا اني اراه يحرك لسانه
ويقول اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية واخبارها
فقال ابو سفيان اني لاري بعض ما يقول حقا فقال ابو جهل كلا لا تقر بشي من
هذا وفي رواية للموت اهون علينا من هذا فانزل الله تعالى ومنهم من يستمع اليك
يعني الى كلامك وقولك يا محمد وجعلنا على قلوبهم اكنة يعني اغطية جمع كنان
ان يفقهوه يعني لئلا يفقهوه ومكراهية ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا يعني وجعلنا
في اذانهم صمما وثقلا وفي هذا دليل على ان الله تعالى يقلب القلوب فيشرح
بعضها للهدى والايمان فيقبله ويجعل بعضها في اكنة فلا تفقه كلام الله ولا
تؤمن به وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها يعني كل معجزة من المعجزات الدالة على
صدقك لا يؤمنوا بها يعني لا يصدقوا بها ولا يقروا انها دالة على صدقك
حتى اذا جاؤك يجادلونك يعني انهم اذا راوا الايات واستمعوا القران انما
جاؤا ليجادلونك ويخاصمونك لا ليومنوا بها يقول الذين كفروا ان هذا
اي ما هذا القران الا اساطير الاولين يعني احاديث الاولين من الامم الماضية
واخبارهم واقاصيصهم وما سطروا يعني وما كتبوا والاساطير جمع اسطورة
واساطرة وقيل واحدها سطر واسطار جمعه واساطير جمع الجمع فعلى هذا لو قال
قايل لم عابوا القران وجعلوه اساطير الاولين وقد سطر الاولون في كتبهم
الحكمة والعلوم النافعة وما لا يعاب قايله واجيب عنه بانهم انما نسبوا القران
الى اساطير الاولين بمعنى انه ليس بوحي من الله تعالى وانما هو اخبار مجرد كما تزي
اخبار الاولين وقيل في معني اساطير الاولين انها الترهات وهي عند العرب طرق غامضة



ومسالك وعرة مشكلة يقول قايلهم اخذنا في الترهات يعني عدلنا عن الطريق
الواضح الى الطريق المشكل الذي لا يعرف فجعلت الترهات مثلا لما لا يعرف
ولا يتضح من الامور المشكلة الغامضة التي لا اصل لها قوله عز وجل وهم ينهون
عنه يعني ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وينأون عنه يعني
ويتباعدون عنه بانفسهم نزلت في كفار مكة كانوا يمنعون الناس عن الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن الاجتماع به وينهونهم عن استماع القران وكانوا هم كذلك
وقال ابن عباس نزلت في ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى المشركين عن
اذى النبي صلى الله عليه وسلم ويمنعه منهم وينأى هو بنفسه عن الايمان به يعني يبعد
حتى روي انه اجتمع اليه روس المشركين وقالوا له خذ شابا من اصبحنا وجها وادفع
الينا محمدا فقال ما انصفتموني ادفع اليكم ابني محمدا لتقتلوه واربي لكم ابنكم وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا ابا طالب الى الايمان فقال لولا تعيرني قريش لاقررت
بها عينك ولكني اذب عنك ما حييت وقال في ذلك ابياتا

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة * وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وعرفت انك ناصحي * ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا قد علمت بانه * من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وقوله تعالى وان يهلكون الا انفسهم يعني لا يرجع وبال كفرهم وفعلهم الا عليهم
وما يشعرون يعني بذلك قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار يعني في
النار فوضع على في موضع في كقوله على ملك سليمان وقيل معناه اذ عرضوا على
النار وجواب لو محذوف والمعنى ولو ترى الكفار الذين ينهون عنك وينأون عنك
يا محمد في تلك الحالة لرايت امرا عجيبا وموقفا قطيعا فقالوا يعني الكفار يا ليتنا
نرد يعني الى الدنيا ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المومنين تمنوا ان يردوا
الى الدنيا مرة اخرى حتى يومنوا ولا يكذبوا بايات ربهم فرد الله عليهم ذلك فقال
تعالى بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل يعني ليس الامر كما قالوا لو ردوا الى الدنيا
لامنوا بل ظهر لهم ما كانوا يسرون في الدنيا من الكفر والمعاصي وقيل ظهر لهم ما
كانوا يخفون من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين فما اخفوا شركهم وكتموه
فاظهر الله عليهم حين شهدت عليهم جوارحهم بما كتموا وستروا من شركهم وقيل
ظهر لهم ما اخفوا من الكفر فعلى هذا تكون الاية في المنافقين ولو ردوا لعادوا
لما نهوا عنه وانهم لكاذبون يعني في قولهم لو رددنا الى الدنيا لم نكذب بايات
ربنا ونكون من المومنين وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين
وهذا اخبار عن حال منكري البعث وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اخبر الكفار
عن احوال القيامة واهوالها وما اعد الله في الاخرة من الثواب للمومنين المطيعين

وما اعد الله من العقاب للكفار والعاصين **قالوا** يعني الكفار ان هي اي ما هي
الا حياتنا الدنيا اي ليس لنا غير هذه الدنيا التي نحن فيها وما نحن بمبعوثين
يعني بعد الموت وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هذا خبر من الله عن هولا الكفار
الذين وقفوا على النار انهم لو ردوا الى الدنيا لقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما
نحن بمبعوثين قوله عز وجل **ولو ترى اذ وقفوا على ربهم** يعني على حكم ربهم وقضايه
ومسيلته وقال مقاتل عرضوا على ربهم **قال اليس هذا بالحق** اي يقول
الله يوم القيامة اليس هذا البعث والنشر بعد الموت الذي كنتم تنكرونه
في الدنيا وتكذبون به وتقولون لا بعث ولا نشور حقا **قالوا بلى وربنا** يعني
انهم اعترفوا بما كانوا ينكرونه فاجابوا فقالوا بلى والله انه الحق وقيل تقول لهم
خزنة النار بامر الله اليس هذا بالحق يعني البعث حقا فاجابوا بقولهم بلى وربنا
قال ابن عباس للقيامة مواقف ففي موقف ينكرون ويقولون والله ربنا ما كنا
مشركين وفي موقف يعترفون بما كانوا ينكرونه في الدنيا **قال فذوقوا العذاب**
اي يقول الله لهم ذلك او الخزنة تقول لهم ذلك بامر الله تعالى وانما خص لفظ الذوق
لانهم في كل حال يجدون الم العذاب وجدان الذايق في شدة الاحساس **بما كنتم
تكفرون** يعني هذا العذاب بسبب كفرهم وجحودهم البعث بعد الموت قوله تعالى
**قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله** يعني خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم بالمصير
الى الله تعالى بالبعث بعد الموت وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم في دار النعيم
المقيم وحصول العذاب الاليم في دركات الجحيم **حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة**
يعني جاءتهم القيامة فجاءة سميت القيامة ساعة لانها تفجا الناس بغتة في ساعة
لا يعلمها احد الا الله تبارك وتعالى وقيل سميت ساعة لسرعة الحساب فيها لان
حساب الخلايق يوم القيامة يكون في ساعة او اقل من ذلك **قالوا** يعني منكري
البعث وهم كفار قريش ومن سلك سبيلهم في الكفر والاعتقاد **يا حسرتنا**
يعني يا ندامتنا والحسرة التلهف على الشي الفايت وذكرت على وجه النداء للمبالغة
والمراد تنبيه المخاطبين على ما وقع بهم من الحسرة **على ما فرطنا** يعني قصرنا **فيها**
يعني في الدنيا لانها موضع التفريط في الاعمال الصالحة والمعنى يا حسرتنا على الاعمال
الصالحة التي فرطنا فيها في دار الدنيا وقال محمد بن جرير الطبري الهاء والالف في قوله
فيها تعود الى الصفقة ولكن اكتفي بدلالة قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله
عليها من ذكرها اذ كان معلوما ان الخسران لا يكون الا في صفقة بيع قد جرى ومعنى
الاية قد وكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم الايمان الذي يستوجبون به رضوان
الله وجنته بالكفر الذي يستوجبون به سخط الله وعقوبته وهم لا يشعرون
بذلك حتى تقوم الساعة فاذا جاءتهم الساعة بغتة ورأوا ما لحقوا من الخسران
في بيعهم قالوا حينئذ يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وروى الطبري بسنده عن ابي
سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يا حسرتنا قال يرى اهل النار





منازلهم من الجنة فيقولون يا حسرتنا وقوله تعالى **وهم يحملون اوزارهم**
يعني اثقالهم **على ظهورهم** والاوزار الخطايا والذنوب واصل الوزر الثقل والحمل
يقال وزرته اذا حملته وانما قيل للذنوب اوزارا لانها تثقل ظهر من يحملها
قال قتادة والسدي ان المومن اذا خرج من قبره استقبله احسن شي صورة
واطيبه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الصالح فاركبني
فقد طالما ركبتك في الدنيا فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا
يعني ركبانا واما الكافر فيستقبله اقبح شي صورة وانتنه ريحا فيقول هل
تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا فانا اليوم
اركبك فذلك معنى قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال عمرو بن هاني يحشر
مع كل كافر عمله في صورة رجل قبيح كلما راى هول صورته وقبحه زاده خوفا فيقول
له بيس الجليس انت فيقول انا عملك طالما ركبتني فلاركبنك اليوم حتى اخزيك
على روس الخلايق فيركبه ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدي ربه تعالى فذلك
قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم وقال الزجاج الثقل كما يذكر في الوزن
فقد يذكر في الحال والصفة يقال وزر على كلام فلان بمعنى كرهته فالمعنى انهم
انهم يقاسون الم عقاب ذنوبهم مقاساة يثقل ذلك عليهم فعلى هذا القول
يكون قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم مجازا عما يقاسونه من شدة العذاب
وقيل في معنى الاية ان اوزارهم لا تزايلهم كما يقول شخصه نصب عيني اي ذكره ملازم
لي **الا سا ما يزرون** يعني بيس الشي شيا يحملونه وقال ابن عباس بيس الحمل حملوا
قوله عز وجل **وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو** اي باطل وغرور لا بقا لها وهذا فيه رد
على منكري البعث في قولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فقال الله
ردا عليهم ومكذبا لهم وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وهل المراد بهذه الحياة
حياة المومن او الكافر فيه قولان احدهما ان المراد بها حياة الكافر لان المومن لا
يزداد بحياته في الدنيا الا خيرا لانه يحصل في ايام حياته من الاعمال الصالحة
والطاعة وما يكون سببا لحصول السعادة في الاخرة واما الكافر فان كل
حياته في الدنيا وبال عليه قال ابن عباس يريد حياة اهل الشرك والنفاق والقول
الثاني ان هذا عام في حياة المومن والكافر لان الانسان يلتذ باللعب واللهو
ثم عند انقضايه يحصل له الحسرة والندامة لان الذي كان فيه من اللعب واللهو
سريع الزوال لا بقا له فعلى هذا التقدير ان المراد بهذه الحياة حياة المومن
والكافر وانه عام فيهما وانما شبه الحياة الدنيا باللعب واللهو لسرعة زوالها
وقصر عمرها كالشي الذي يلعب وقيل معناه ان امر الدنيا والعمل لها لعب ولهو
فاما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الاخرة وان كان وقوعه في الدنيا
وقيل معناه وما اهل الحياة الدنيا الا اهل لعب ولهو لانه لا تحدث والاشتغال
عما امروا به نسبوا الى اللعب واللهو وقوله تعالى **وللدار الاخرة** يعني

الجنة واللام فيه لام القسم تقديره والله الدار الآخرة خير يعني من الدنيا
وافضل لان الدنيا سريعة الزوال والانقطاع للذين يتقون يعني
الشرك وقيل يتقون اللعب واللهو افلا يعقلون ان الآخرة افضل من الدنيا
فيستعملون لها قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون يعني قد
نعلم يا محمد انه يحزنك الذي يقوله المشركون لك قال السدي التقى الاخنس
ابن شريف وابو جهل بن هشام فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني
عن محمد اصادق ام كاذب فانه ليس هنا احد يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله
ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية
والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فانزل الله هذه الآية
عن علي بن ابي طالب ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب
بما جئت به فانزل الله فيهم فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
اخرجه الترمذي من طريقين وقال في احدهما وهذا اصح ففي هذه الآية تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية عما يواجهه به قومه لانهم كانوا يعتقدون صدقه
وانه ليس بكذاب وانما حملهم على تكذيبه في الظاهر الحسد والظلم فانهم لا يكذبونك
يعني انهم لا يكذبونك في السر لانهم قد عرفوا انك صادق ولكن الظالمين
يعني الكافرين بآيات الله يجحدون يعني في العلانية وذلك انهم جحدوا القرآن
بعد معرفة صدق الذي عليه لعنادهم وكفرهم كما قال تعالى في حق غيرهم وجحدوا
بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقيل ظاهر الآية يدل على انهم لم يكذبوا
محمدا صلى الله عليه وسلم وانما جحدوا آيات الله وهي القرآن الدال على صدقه فعلى
هذا يكون المعنى فانهم لا يكذبونك فانهم قد عرفوا صدقك وانما جحدوا صحة نبوتك
ورسالتك قوله عز وجل ولقد كذبت رسل من قبلك يعني ولقد كذبت الامم
الخالية رسلهم كما كذبك قومك فصبروا على ما كذبوا واوذوا يعني ان
الرسل عليهم السلام صبروا على تكذيب قومهم اياهم وصبروا على اذاهم فاصبر
انت يا محمد على تكذيب قومك واذاهم لك كما صبر من كان قبلك من الرسل
وهذا فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وازالة حزنه على تكذيب قومه له
واذاهم اياه حتى اتاهم نصرنا يعني باهلاك من كذبهم ولا مبدل لكلمات الله
يعني ولا ناقض لما حكم الله به من اهلاك المكذبين ونصر المرسلين كما قال ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون
قوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي ولا خلف فيما وعد الله به وقوله تعالى
ولقد جاءك من نبأ المرسلين يعني ولقد انزلت عليك في القرآن من اخبار المرسلين
ما فيه تسلية لك وتسكين قلبك وقال الاخفش من ها صلة كما تقول اصابنا
من مطر وقال غيره بل هي للتبعيض لانه لم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قصص بعض الانبياء واخبارهم بما قال تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم

نقصص



نقصص عليك قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم ذكر ابن الجوزي في سبب
نزول هذه الآية ان الحرث بن عامر اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من
قريش فقالوا ائتنا بآية كما كانت الانبياء تاتي قومها بالآيات فان فعلت
امنا بك فنزلت هذه الآية رواه ابو صالح عن ابن عباس ومعنى الآية وان كان
عظم عليك يا محمد اعراض هؤلاء المشركين عنك وعن تصديقك والايمان بك
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على ايمان قومه اشد الحرص وكان
اذا سألوه آية احب ان يريهم الله ذلك طمعا في ايمانهم فقال الله عز وجل فان
استطعت ان تبتغي اي تطلب وتتخذ نفقا في الارض يعني سربا في الارض
ونفق سرب في الارض تخلص منه الى مكان آخر او سلما في السماء يعني او تتخذ
سلما الى السماء والسلم المصعد وهو مشتق من السلامة فتأتيهم بآية يعني
بالآية التي سألوها ومعنى الآية وان كان كبر وعظم عليك اعراض قومك
عن الايمان بك فان قدرت ان تذهب الى الارض وتصعد الى السماء فتأتيهم
بآية تدلهم على صدقك فافعل فلما حسن حذف جواب الشرط لانه معلوم عند
السامع والمقصود من هذا ان يقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعه عن
ايمانهم ولا يتأذى بسبب اعراضهم عنه وعن الايمان به ويدل عليه قوله تعالى
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم انهم لما تركوا
الايمان واعرضوا عنه واقبلوا على الكفر بمشيئة الله تعالى ونافذ قضائه
فيهم وانه لو شاء لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين يعني بان لو شاء الله
لجمعهم على الهدى وانه يؤمن بك بعضهم دون بعض وقيل معناه لا يشتد تحسرك
على تكذيبهم ولا تجزع عن اعراضهم عنك فتقارب حال الجاهلين الذين لا صبر
لهم وانما نهاه عن هذه الحالة وغلظ له الخطاب تبعيدا له عن هذه الحالة قوله
عز وجل انما يستجيب الذين يسمعون يعني المؤمنين الذين فتح الله اسماع قلوبهم
فهم يسمعون الحق ويستجيبون له ويتبعونه وينتفعون به دون من ختم الله
على سمع قلبه وهو قوله والموتى يعني الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون
يبعثهم الله يعني يوم القيامة ثم اليه يرجعون فيجزيهم باعمالهم وقالوا
يعني رؤساء كفار قريش لولا يعني هلا نزل عليه آية من ربه يعني الملك ليشهد
لمحمد بالنبوة وقيل الآية المعجزة الباهرة كمثل معجزات الانبياء قل يعني قل لهم
يا محمد ان الله قادر على ان ينزل آية يعني انه تعالى قادر على ايجاد ما طلبوه
وانزال ما اقترحوا من الآيات والمعجزات الباهرات ولكن اكثرهم لا يعلمون
يعني ما ذا عليهم في انزالها من العذاب ان لم يؤمنوا بها وقيل معناه انهم لا
يعلمون ان الله قادر على انزال الآيات وقيل انهم لا يعلمون وجه المصلحة
في انزالها قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم
امثالكم قال العلماء جميع ما خلق الله عز وجل لا يخرج عن هاتين الحالتين اما

ان يدب على الارض ويطير في الهوي حتى الحقوا حيوان الما بالطير لان الحيتان تسبح
في الما كما ان الطير تسبح في الهوا وانما خص ما في الارض بالذكر دون ما في السما
وان كان ما في السما مخلوقا له لان الاحتجاج بالمشاهد اظهر واولى مما لا يشاهد
وانما ذكر الجناح في قوله بجناحيه للتاكيد كقولك كتبت بيدي ونظرت بعيني
الا امم امثالكم قال مجاهد اي اصناف مصنفة تعرف باسمائها يريد ان كل جنس
من الحيوان امة فالطير امة والدواب امة والسباع امة تعرف باسمائها مثل
بني ادم يعرفون باسمائهم كما يقال الانس والناس ويدل على ان كل جنس من الدواب
امة ما روي عن عبد الله بن مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ان الكلاب
امة من الامم لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل اسود بهيم اخرجه ابو داود
والترمذي والنسائي فان قلت ثبت بالاية والحديث ان الدواب
والطير امم امثالنا وهذه المماثلة قلت اختلف العلماء في وجه هذه المماثلة
فقيل ان هذه الحيوانات تعرف الله وتوحده وتسبحه وتصلي له
كما انتم تعرفون الله وتوحدونه وتسبحونه وتصلون له وقيل انها مخلوقة
لله كما انتم مخلوقون لله عز وجل وقيل انها يفهم بعضها عن بعض ويالف بعضها
بعضا كما ان جنس الانسان يالف بعضهم بعضا ويفهم بعضهم عن بعض وقيل
امثالكم في طلب الرزق وتوقي المهالك ومعرفة الذكر والانثى وقيل امثالكم
في الخلق والموت والبعث بعد الموت للحساب حتى يقتص للجما من القرنا وهو
قوله تعالى **ما فرطنا في الكتاب من شيء** يعني في اللوح المحفوظ لانه يشتمل جميع
احوال المخلوقات وقيل ان المراد بالكتاب القران يعني ان القران مشتمل
على جميع الاحوال **ثم الى ربهم يحشرون** يعني الدواب والطير قال ابن عباس حشرها
موتها وقال ابو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب
والطير وكل شيء فيوخذ للجما من القرنا ثم يقول كوني ترابا عن ابي هريرة ان رسول
صلى الله عليه وسلم قال لتؤدون الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة
الجلحا من الشاة القرنا قوله عز وجل **والذين كذبوا باياتنا** يعني بالقران
وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين جحدوا ادلة الله وحججه الدالة على توحيده **صم** عن سماع الحق
**وبكم** يعني عن النطق به والمعنى انهم في حال كفرهم وتكذيبهم كمن لا يسمع ولا يتكلم
**في الظلمات** يعني في ظلمة الكفر حايرين مترددين فيها لا يهتدون سبيلا
**من يشا الله يضلله** يعني عن الايمان **ومن يشا يجعله على صراط مستقيم** يعني ومن
يشا جعله على دين الاسلام وفي هذا دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى
فمن احب هدايته وفقه بفضله واحسانه للايمان به ومن احب ضلالته تركه
على كفره وذلك عدل منه لانه تعالى هو الفاعل المختار لا يسئل عما يفعل وهم يسالون
قوله تعالى **قل ارايتكم** يعني قل يا محمد لهولا الكفار الذين تركوا عبادة الله عز
وجل وعبدوا غيره من الاصنام اخبروني تقول العرب ارايتك بمعنى اخبرني بحالك



واصله ارايتم والكاف فيه للتاكيد **ان اتاكم عذاب الله** يعني قبل الموت مثل
ما نزل بالامم الماضية الكافرة من الغرق والخسف والصواعق ونحو ذلك من
العذاب **او اتتكم الساعة** يعني القيامة **اغير الله تدعون** يعني في كشف العذاب
عنكم **ان كنتم صادقين** يعني في دعواكم ومعنى الاية ان الكفار كانوا اذا نزل بهم
شدة وبلا رجعوا الى الله بالتضرع والدعا وتركوا الاصنام فقيل لهم اترجعون
الى الله في حال الشدة والبلا ولا تعبدونه ولا تطيعونه في حال اليسر والرخا
**بل اياه تدعون** يعني بل تدعون الله ولا تدعون غيره في كشف ما نزل بكم
**فيكشف ما تدعون اليه ان شا** يعني فيكشف الضر الذي من اجله دعوتموه وانما
قيد الاجابة بالمشية رعاية للمصلحة وان كانت الامور كلها بمشية الله تعالى
**وتنسون ما تشركون** يعني وتتركون دعا الاصنام التي تعبدونها فلا تدعونها
لعلمكم انها لا تضر ولا تنفع وقيل معناه انكم في ترككم دعا الاصنام بمنزلة من
قد نسيها وهذا معنى قول الحسن لانه قال وتعرضون عنها اعراض الناسي لها
قوله تعالى **ولقد ارسلنا الى امم من قبلك** في الاية محذوف والتقدير ولقد
ارسلنا الى امم من قبلك يا محمد رسلا فخالفوهم وكفروا وحسن هذا الحذف
لكونه معلوما عند السامع **فاخذناهم بالباسا** يعني بالفقر الشديد واصله
من البوس وهو الشدة والمكروه وقيل الباسا شدة الجوع **والضرا** يعني الامراض
والاوجاع والزمانة **لعلهم يتضرعون** يعني يخضعون ويتوبون والتضرع التخشع
والتذلل والانقياد وترك التمرد واصله من الضراعة وهي الذلة ومقصود
الاية ان الله تعالى اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انه قد ارسل من قبله رسلا
الى اقوام بلغوا في القسوة الى ان اخذوا بالباسا والضرا وهي الشدة في النفس
والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم **فلولا**
يعني فهلا **اذ جاءهم باسنا تضرعوا** معناه نفي التضرع فلم يتضرعوا **ولكن
قست قلوبهم** يعني ولكن غلظت قلوبهم فلم تتضرع ولم تخشع بل قاموا على
كفرهم وتكذيبهم رسلهم **وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون** يعني من الكفر
والتكذيب وتزيين الشيطان اغواوه بما في المعصية من اللذة قال ابن عباس
يريد زين الشيطان الضلالة التي كانوا عليها فاصروا على معاصي الله عز وجل قوله
عز وجل **فلما نسوا ما ذكروا به** اي تركوا ما وعظوا به وقيل تركوا العمل بما
امرتهم به الرسل وانما كان النسيان بمعنى الترك لان التارك للشيء معرض عنه
كانه صيره بمنزلة ما قد نسي **فتحنا عليهم ابواب كل شيء** يعني بدلنا مكان
الباسا الرخا والسعة في الرزق والعيش ومكان الضرا الصحة والسلامة
في الابدان والاجسام وذلك استدراج منه لهم وقيل فتحنا عليهم ابواب
كل شيء من الخير كان مغلقا عنهم **حتى اذا فرحوا بما اوتوا** يعني فرحوا بما اوتوا
من السعة والرخا والصحة في الابدان والمعيشة فظنوا ان ما كان نزل بهم

من الشدة لم يكن انتقاما من الله تعالى وانهم لما فتح الله عليهم ما فتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا ان ذلك باستحقاقهم وهذا فرح بطر كما فرح قارون بما اوتي من الدنيا **اخذناهم بغتة** يعني جاءهم عذابنا فجاة من حيث لا يشعرون قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وفي الاثر المعاني انما اخذوا في حال الرخا والسلامة ليكون اشد لتحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية والتصرف في ضروب اللذة فاخذناهم في امن ما كانوا واعجب ما كانت الدنيا اليهم **فاذا هم مبلسون** اي ايسون من كل خير وقال الفرا المبلس اليايس المنقطع رجاؤه ولذلك يقال لمن يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون له جواب قد ابلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحزن والحسرة وقال ابو عبيدة اليايس النادم الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن والندم روى عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الله تعالى يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك استدراج ثم تلى فلما نسوا ما ذكروا به الاية ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري وقوله تعالى **فقطع دابر القوم الذين ظلموا** يعني اخرهم والمعنى انهم استوصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية **والحمد لله رب العالمين** قال الزجاج حمد الله نفسه على ان قطع دابرهم واستاصل شافتهم ومعنى هذا ان قطع دابرهم نعمة انعم الله بها على الرسل الذين ارسلوا اليهم فكذبوهم فذكر الحمد تعليما للرسل ولمن امن بهم ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ربهم اذا اهلك المشركين المكذبين وقيل معناه الثناء الكامل والشكر الدائم لله رب العالمين على انعامه على رسله واهل طاعته باظهار حجتهم على من خالفهم واهلاك اعدائهم واستاصلهم بالعذاب قوله تعالى **قل ارايتم** اي قل يا محمد لهولاء المشركين **ان اخذ الله سمعكم** يعني الذي تسمعون به فاصمكم حتى لا تسمعون شيئا **وابصاركم** يعني ولخذ ابصاركم التي تبصرون بها فاعماكم حتى لا تبصروا شيئا اصلا **وختم على قلوبكم** يعني حتى لا تفقهوا شيئا اصلا ولا تعرفوا شيئا مما تعرفون من امور الدنيا وانما ذكر هذه الاعضا الثلاثة لانها اشرف اعضا الانسان فاذا تعطلت هذه الاعضا اختل نظام الانسان وفسد امره وبطلت مصالحه في الدين والدنيا ومقصود هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقديره ان القادر على ايجاد هذه الاعضا واخذها هو الله تعالى المستحق للعبادة لا الاصنام التي تعبدونها وهو قوله تعالى **من اله غير الله ياتيكم به** يعني ياتيكم بما اخذ الله منكم لان الضمير في به يعود على معنى الفعل ويجوز ان يعود على السمع الذي ذكر اولا ويندرج تحته غيره **انظر** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره اي انظر يا محمد **كيف نصرف الايات** يعني كيف نبين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة **ثم هم يصدفون** يعني يعرضون عنها

مكذبين



مكذبين لها **قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة** يعني فجاة **او جهرة** يعني معاينة ترونه عند نزوله قال ابن عباس ليلا او نهارا **هل يهلك الا القوم الظالمون** يعني المشركون لانهم ظلموا انفسهم بالشرك قوله عز وجل **وما نرسل المرسلين الا مبشرين** يعني لمن امن بالثواب **ومنذرين** يعني لمن اقام على كفره بالعقاب والمعنى ليس في ارسالهم ان ياتوا الناس بما يقترحون عليهم من الايات انما ارسلوا بالبشارة والنذارة **فمن امن واصلح** يعني امن بهم واصلح العمل لله **فلا خوف عليهم** يعني حين يخاف اهل النار **ولا هم يحزنون** اذا حزن غيرهم **والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب** يعني يصيبهم العذاب **بما كانوا يفسقون** يعني بسبب ما كانوا يكفرون ويخرجون عن الطاعة قوله تعالى **قل لا اقول لكم** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد لهولاء المشركين لا اقول لكم **عندي خزائن الله** نزلت حين اقترحوا عليه الايات فامره الله تعالى ان يقول لهم انما بعثت بشيرا ونذيرا ولا اقول لكم عندي خزائن الله جمع خزانة وهو اسم للمكان الذي يخزن فيه الشي وخزن الشي احرازه بحيث لا تناله الايدي والمعنى ليس عندي خزائن رزق فاعطيكم منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من الله فاطلب منه ان يوسع علينا عيشنا ويغني فقرنا فاخبر ان ذلك بيد الله تعالى لا بيدي **ولا اعلم الغيب** يعني فاخبركم بما مضى وما سيقع في المستقبل وذلك انهم قالوا له اخبرنا بمصالحنا ومضارنا في المستقبل حتى نستعد لتحصيل المصالح ودفع المضار فاجابهم بقوله ولا اعلم الغيب فاخبركم بما تريدون **ولا اقول لكم اني ملك** وذلك انهم قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ويتزوج النسا فاجابهم بقوله ولا اقول لكم اني ملك لان الملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد ما لا يشاهدون فلست اقول شيئا من ذلك ولا ادعيه فتنكرون قولي وتجحدون امري وانما نفى عن نفسه الشريفة هذه الاشيا تواضعا لله تعالى واعترافا له بالعبودية وان لا تقترحوا عليه الايات العظام **ان اتبع الا ما يوحى الي** يعني ما اخبركم الا بوحي من الله انزله علي ومعنى الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم اعلمهم انه لا يملك خزائن الله التي منها يرزق ويعطي وانه لا يعلم الغيب فيخبر بما كان وبما سيكون وانه ليس بملك حتى يطلع على ما يطلع عليه البشر انما يتبع ما يوحي اليه من ربه عز وجل فما اخبر عنه من غيب يوحي الله اليه وظاهر الاية يدل على ان الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يجتهد في شي من الاحكام بل جميع اوامره ونواهيه انما كانت بوحي من الله اليه **قل هل يستوي الاعمى والبصير** يعني المومن والكافر والضال والمهتدي والعالم والجاهل **افلا تتفكرون** يعني انهما لا يستويان قوله عز وجل **وانذر به** يعني وخوف بالقران والانذار اعلام مع تخويف **الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم** قال ابن عباس يريد المومنين لانهم يخافون يوم القيامة

وما فيه من شدة الاهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابي وانما خص الذين يخافون الحشر بالذكر دون غيرهم وان كان انذاره صلى الله عليه وسلم لجميع الخلايق لان الحجة عليهم اوكد من غيرهم لاعترافهم بصحة المعاد والحشر وقيل المراد بهم الكفار لانهم لا يعتقدون صحته ولذلك قال يخافون ان يحشروا الى ربهم وقيل المراد بالانذار جميع الخلايق فيدخل فيه كل مومن معترف بالحشر وكل كافر منكر له لانه ليس احد الا وهو يخاف الحشر سوا اعتقد وقوعه او كان يشك فيه ولان دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وانذاره لجميع الخلق **ليس لهم من دونه** يعني من دون الله ولي اي قريب ينفعهم **ولا شفيع** يعني يشفع لهم وهذا فيه اشكال وهو ان فسرنا الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ان المراد بهم الكفار فلا اشكال فيه لقوله تعالى فما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وان فسرنا الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ان المراد بهم المومنين ففيه الاشكال لانه قد ثبت بصحيح النقل شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للمذنبين من امته وكذلك تشفع الملايكة والانبيا والمومنون بعضهم لبعض والجواب عن هذا الاشكال ان الشفاعة لا تكون الا باذن الله لقوله عز وجل من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه واذا كانت الشفاعة باذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع حتى ياذن الله لهم في الشفاعة فاذا اذن لهم فيها كان للمومنين ولي وشفيع **لعلهم يتقون** يعني ما نهيتهم عنه قوله تعالى **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** قال سلمان وخباب ابن الارت فينا نزلت هذه الاية جا الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وذووهما من المولفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع صهيب وبلال وعمار وخباب في نفر من ضعفا المومنين فلما راوه حوله حقروهم فاتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هولا وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب صوف لها رايحة ليس عليهم غيرها لجالسناك واخذنا عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما انا بطارد المومنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيك فنستحي ان ترانا العرب مع هولا الاعبد فاذا نحن جيناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعدهم ان شيت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا قال فاتى بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قال ونحن قعود في ناحية اذ نزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين فالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فاتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة وكنا نقعد معه واذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله تبارك وتعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الاية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ذلك وندنوا



منه حتى كادت ركبتنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التي يريد ان يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات روي عن سعيد بن ابي وقاص قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هولا لا يجترون علينا قال وكنت انا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست اسميهما فوقع في نفس رسول الله ما شا الله ان يقع فحدث نفسه فانزل الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه اخرجه مسلم وقال الكلبي قالوا له اشراف قريش اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لا افعل قالوا فاجعل المجلس واحدا واقبل علينا وولي ظهرك اليهم فانزل الله هذه الاية قال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن ام عبد يعني ابن مسعود لتابعناك فانزل الله هذه الاية وقال ابن مسعود مر الملا من قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفا المسلمين فقالوا يا محمد رضيت بهولا بدلا من قومك اهولا الذين من عليهم من بيننا انحن نكون تبعا لهولا اطردهم فلعلك ان طردتهم ان نتبعك فنزلت هذه الاية وقال عكرمة جا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحرث بن نوفل في اشراف من عبد مناف من اهل الكفر الى ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا طالب لو ان ابن اخيك محمدا يطرد عنا موالينا وحلفانا فانهم عبيدنا وعسفاونا كان اعظم في صدورنا واطوع له عندنا وادنى لاتباعنا اياه وتصديقنا له قال فاتى ابو طالب النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه به فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى تنظر ما يريدون والى ما يصيرون من قولهم فانزل الله هذه الاية وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم الى قوله اليس الله باعلم بالشاكرين فجا عمر فاعتذر من مقالته قلت بين هذه الروايات والرواية الاولى عن سلمان وخباب بن الارت فرق كبير وبعد عظيم وهو ان اسلام سلمان وهو بالمدينة وكان اسلام المولفة قلوبهم بعد الفتح وسورة الانعام مكية والصحيح ما روي عن ابن مسعود والكلبي وعكرمة في ذلك ويعضده حديث سعد بن ابي وقاص المخرج في صحيح مسلم والله اعلم واما معنى الاية فقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني لا تطرد هولا الضعفا عنك ولا تبعدهم عن مجلسك لاجل ضعفهم وفقرهم ثم وصفهم فقال تعالى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس يعبدون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس يعبدون ربهم بالغداة والعشي يعني صلاة الصبح وصلاة العصر ويروي عنه ان المراد منه الصلوات الخمس وانما ذكر هذين الوقتين تنبيها على شرفهما ولانهما مواظبين عليهما مع بقية الصلاة ولان الصلاة تشتمل على القراة والدعا والذكر فعبر بالدعا عن الصلاة بهذا المعنى قال مجاهد صليت الصبح مع

سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر الناس العاص فقال سعيد ما اسرع
الناس الى هذا المجلس قال مجاهد فقلت يتناولون قوله تعالى يدعون ربهم بالغداة
والعشي قال لا ولكن في هذا الامام فالذي في الصلاة التي انصرفنا عنها الان وقال ابن عباس ان
ناسا من الفقرا كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس من اشراف الناس نؤمن
لك واذا صلينا فاخر هولاء الذين معك فليصلوا خلفنا وقيل المراد منه حقيقة
الدعا والذكر والمعنى انهم كانوا يذكرون ربهم ويدعونه طرفي النهار يريدون وجهه
يعني يطلبون بعبادتهم وطاعتهم وجه الله مخلصين في عبادتهم له وقال ابن عباس
يطلبون ثواب الله تعالى **ما عليك من حسابهم من شي وما من حسابك عليهم من
شي** يعني لا تكلف امرهم ولا يتكلفون امرك وقيل ما عليك حساب رزقهم فتملهم
وتطردهم عنك ولا رزقك عليهم انما الرزاق لجميع الخلق هو الله تعالى فلا تطردهم
عنك **فتطردهم فتكون من الظالمين** يعني تطردهم عنك وعن مجلسك فقوله فتطردهم
جواب النفي وهو قوله ما عليك من حسابهم من شي وقوله فتكون من الظالمين
جواب النهي وهو قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم واحتج الطاعنون في عصمة
الانبيا عليهم الصلاة والسلام بهذه الاية فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما هم بطرد الفقرا عن مجلسه لاجل الاشراف عاتبه الله على ذلك ونهاه عن طردهم
وذلك يقدح في العصمة وقوله فتطردهم فتكون من الظالمين والجواب عن هذا
الاحتجاج ان النبي صلى الله عليه وسلم ما طردهم ولا هم بطردهم لاجل الاستخفاف
بهم والاستنكاف من فقرهم وانما كان هذا الهم لمصلحة وهي التلطف بهولاء الاشراف
في ادخالهم في الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب اولى وهو اجتهاد منه فاعلمه الله
تعالى ان ادناء هولاء الفقرا اولى من ان يطردهم فقربهم منه وادناهم واما قوله
فتطردهم فتكون من الظالمين ان الظلم في اللغة وضع الشي في غير موضعه فهو
من باب ترك الافضل والاولى لا من باب ترك الواجبات والله اعلم قوله عز وجل
**وكذلك فتنا بعضهم ببعض** يعني وكذلك ابتلينا الغني بالفقير والفقير بالغني
والشريف بالوضيع والوضيع بالشريف فكل احد مبتلى بضده فكان ابتلا الاغنيا
الشرفا حسدهم لفقرا الصحابة على كونهم سبقوهم الى الاسلام وتقدموا عليهم
فامتنعوا من الدخول في الاسلام لذلك فكان ذلك فتنة وابتلا لهم واما فتنة
الفقرا بالاغنيا فلما يرون من سعة رزقهم وخصب عيشهم فكان ذلك فتنة لهم
**ليقولوا** يعني الاغنيا والشرفا والرؤسا **اهولاء من الله عليهم من بيننا**
يعني من على الفقرا والضعفا بالاسلام ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم
وهذا اعتراض من الكفار على الله تعالى فاجابهم بقوله **اليس الله باعلم بالشاكرين**
يعني انه تعالى اعلم بخلقه وباحوالهم واعلم بالشاكرين من الكافرين **واذا جاءك
الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم** قال عكرمة نزلت في الذين
نهى الله نبيه عن طردهم فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا راهم بداهم بالسلام وقال

عطا



عطا نزلت في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم بن ابي عبيدة ومصعب
ابن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والارقم بن ابي الارقم
وابي سلمة بن عبد الاسد وقيل ان الاية على اطلاقها في كل مؤمن وقيل لما جاء
عمر بن الخطاب واعتذر من مقالته التي تقدمت في رواية عكرمة وقال ما
اردت الا الخير فنزلت واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم
**كتب ربكم** يعني فرض ربكم وقضى ربكم **على نفسه الرحمة** وهذا يفيد الخوف
وسبب هذا انه سبحانه وتعالى يتصرف في عباده كيف شا واراد فاوجب
على نفسه الرحمة على سبيل الفضل والكرم لانه اكرم الاكرمين وارحم الراحمين
**انه من عمل منكم سوءا بجهالة** قال مجاهد من عمل ذنبا او خطيئة فهو بها جاهل
واختلفوا في سبب هذا الجهل فقيل لانه جاهل بمقدار ما استحقه من العقاب
وما فاته من الثواب وقيل انه وان علم ان عاقبة ذلك السوء والفعل القبيح
مذمومة الا انه اثر اللذة العاجلة على الخير الكثير الاجل ومن اثر القليل على
الكثير فهو جاهل وقيل انه لما فعل فعل الجهال نسب الى الجهل وان لم يكن جاهلا
**ثم تاب من بعده** يعني من بعد ارتكابه ذلك السوء ورجع عنه **واصلح** يعني
اصلح العمل في المستقبل وقيل اخلص توبته في ندم على فعله **فانه غفور**
يعني لمن تاب من ذنوبه **رحيم** بعباده قال خالد بن دينار كنا اذا دخلنا على
ابي العالية قال واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم
على نفسه الرحمة الاية عن ابي سعيد الخدري قال جلست في عصابة من ضعفا
المهاجرين وان بعضهم ليستتر ببعض من العري وقاري يقرا علينا اذ جاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فلما قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
سكت القاري وسلم ثم قال ما كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان قاري لنا
يقرا علينا وكنا نستمع الى كتاب الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحمد لله الذي جعل من امتي من امرت ان اصبر نفسي معهم وجلس رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم
قال فما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم احدا غيري ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة
تدخلون الجنة قبل اغنيا الناس بنصف يوم وذلك خمسماية عام اخرجه ابو داود
قوله عز وجل **وكذلك نفصل الايات** يعني وكما فصلنا لك يا محمد في هذه السورة
دلايلنا على صحة التوحيد وابطال ما هم عليه من الشرك كذلك نميز ونبين لك ادلتنا
وحججنا وبراهيننا على تقرير كل حق ينكره اهل الباطل **ولتستبين** قري بالتا
على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وليظهر لك الحق يا محمد ويبين لك **سبيل
المجرمين** يعني طريق هولاء المجرمين وقري بالياء على الغيبة ومعناه وليظهر
ويتضح سبيل المجرمين يوم القيامة اذا صاروا الى النار قوله تعالى **قل** اي قل

يا محمد لهؤلاء المشركين **قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله**
أي نهيت أن أعبد الأصنام التي تعبدونها أنتم من دون الله وقيل تدعونها عند
شدائدكم من دون الله لأن الجمادات أخس من أن تعبد أو تدعى وإنما كانوا يعبدونها
على سبيل الهوى وهو قوله **قل لا أتبع أهواءكم** يعني في عبادة الأصنام وطرد
الفقراء **قد ضللت إذا** يعني إن عبدتها **وما أنا من المهتدين** يعني لو عبدتها
**قل** يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين **إني على بينة من ربي** قال ابن عباس يعني على
يقين من ربي وقيل البينة الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والمعنى إني
على بيان وبصيرة في عبادة ربي **وكذبتم به** يعني وكذبتم بالبيان الذي جئت
به من عند ربي وهو القرآن والمعجزات الباهرات والبراهين الواضحات التي
تدل على صحة التوحيد وفساد الشرك **ما عندي ما تستعجلون به** يعني هذا العذاب
وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم وكانوا يستعجلون
به استهزاء وكانوا يقولون يا محمد ائتنا بما تعدنا يعني من نزول العذاب فأمر
الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ما عندي ما تستعجلون به لأن إنزال
العذاب لا يقدر عليه إلا الله ولا يقدر أحد على تقديمه ولا تأخيره وقيل كانوا
يستعجلون بالآيات التي طلبوها واقترحوها فأعلم الله أن ذلك عنده ليس
عند أحد من خلقه وقيل كانوا يستعجلون بقيام الساعة ومنه قوله تعالى
يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها **إن الحكم إلا لله** يعني الحكم الذي يفصل به بين
الحق والباطل والثواب للطائع والعقاب للعاصي أي ما الحكم المطلق إلا الله ليس
معه حكم فهو يفصل بين المختلفين ويقضي بإنزال العذاب إذا شاء **يقص الحق**
قرئ بالصاد المهملة ومعناه يقول الحق لأن كل ما أخبر به فهو حق وقرئ يقضي
بالضاد المعجمة من القضاء يعني أنه تعالى يقضي القضاء الحق **وهو خير الفاصلين**
يعني وهو خير من بين وفصل وميز بين المحق والمبطل لأنه لا يقع في حكمه وقضائه
جور ولا حيف على أحد من خلقه **قل لو أن عندي ما تستعجلون به**
يعني من إنزال العذاب والاستعجال المطالبة بالشيء قبل وقته فلذلك كانت
العجلة مذمومة والإسراع تقديم الشيء في وقته فلذلك كانت السرعة محمودة
والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المستعجلين لنزول العذاب لو أن عندي ما
تستعجلون به لم أمهلكم ساعة ولكن الله حليم ذو أناة لا يعجل بالعقوبة وقوله
تعالى **لقضي الأمر بيني وبينكم** يعني لانفصل ما بيني وبينكم ولأتيتكم بما تستعجلون
به من العذاب **والله أعلم بالظالمين** يعني أنه أعلم بما تستحقونه من العذاب
والوقت الذي يستحقونه فيه وقيل علم أنه سيؤمن بعض من كان
يستعجل بالعذاب فلذلك أخره عنهم وقال والله أعلم بالظالمين وبأحوالهم
وقوله عز وجل **وعنده مفاتح الغيب** المفتاح الذي يفتح به المغلاق جمعه مفاتيح
ويقال فيه مفتح بكسر الميم وجمعه مفاتح والمفتح بفتح الميم الخزانة وكل خزانة

كانت



كانت لصنف من الأشياء فهي مفتح وجمعه مفاتح فقوله وعنده مفاتح الغيب يحتمل
أن يكون المراد منه المفاتيح التي يفتح بها ويحتمل أن يكون المراد منه الخزائن فعلى
هذا التفسير الأول فقد جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة لأن المفاتيح
هي التي يتوصل بها إلى ما في الخزائن المستوثق منها بالأغلاق فمن علم كيف يفتح بها ويتوصل
إلى ما فيها فهو عالم وكذلك هاهنا أن الله تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات
ما غاب منها وما لم يغب عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة وعلى التفسير الثاني
يكون المعنى وعنده خزائن الغيب والمراد منه القدرة الكاملة على كل الممكنات
ثم اختلف قول المفسرين في قوله وعنده مفاتح الغيب **لا يعلمها إلا هو** فقيل
مفاتح خمس وهي ما روي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله تعالى لا يعلم أحد ما يكون في غد إلا الله
تعالى ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام إلا الله تعالى ولا تعلم نفس ماذا تكسب
غدا ولا تدري نفس بأي أرض تموت ولا يدري أحد متى يجيء المطر وفي رواية أخرى
لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم متى الساعة
إلا الله أخرجه البخاري وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب خزائن الأرض
وعلم نزول العذاب وقال عطاء هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل هو
انقضاء الآجال وعلم أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم
وقيل هو علم ما لم يكن بعد أن يكون أم يكون كيف يكون وما لا يكون أن لو كان
كيف يكون وقال ابن مسعود أوتي نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء إلا مفاتح
الغيب وقال ابن عباس إنها خزائن غيب السموات والأرض من الأقدار والأرزاق
**ويعلم ما في البر والبحر** قال مجاهد البر المفاوز والقفار والبحر القرى والأمصار
لا يحدث فيهما شيء إلا وهو يعلمه وقال جمهور المفسرين هو البر والبحر المعروف لأن
جميع الأرض إما بر وإما بحر وفي كل واحد منهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته
ما يدل على عظم قدرته وسعة علمه **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها** يريد ساقطة
وثابتة والمعنى أنه يعلم عدد ما يسقط من الورق وما بقي على الشجر من ذلك ويعلم
كم انقلبت ظهرا لبطن إلى أن تسقط على الأرض **ولا حبة في ظلمات الأرض**
يعني قيل هو الحب المعروف يكون في بطن الأرض قبل أن ينبت وقيل هي الحبة
التي في الصخرة التي في أسفل الأرضين **ولا رطب ولا يابس** قال ابن عباس
الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد
بالرطب الحي واليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شيء لأن جميع الأشياء إما رطبة
وإما يابسة فإن قلت إن جميع هذه الأشياء داخلة تحت قوله وعنده مفاتح
الغيب فلم أفرد هذه الأشياء بالذكر وما فائدة ذلك قلت لما قال الله تعالى
وعنده مفاتح الغيب على سبيل الإجمال ذكر من بعض ذلك الإجمال ما يدل على
التفصيل فذكر هذه الأشياء المحسوسة ليدل بها على غيرها فقدم ذكر البر

والبحر لما فيهما من العجايب والغرايب من المدن والقرى والمفاوز والجبال وكثرة
ما فيها من المعادن والحيوانات واصناف المخلوقات ما يعجز الوصف عن ادراكها
ثم ذكر بعد ذلك ما هو اقل من ذلك وهو مشاهد لكل احد لان الورقة الساقطة
والثابتة يراها كل احد لكن لا يعلم عددها وكيفية خلقها الا الله تعالى ثم ذكر
بعد ذلك ما هو اقل من ذلك ما هو اضعف من الورقة وهي الحبة ثم ذكر بعد ذلك
مثلا لا يجمع الكل وهو الرطب واليابس فذكر هذه الاشيا وانه لا يخرج شي منها عن
علمه سبحانه وتعالى فصارت هذه الامثال حسية على عظمة عظيمة وقدرة عالية
وعلم واسع فسبحان العليم الخبير قوله تعالى **الا في كتاب مبين** فيه قولان احدهما
ان الكتاب المبين هو علم الله الذي لا يتغير ولا يبدل والثاني ان المراد بالكتاب
المبين هو اللوح المحفوظ لان الله كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل ان يخلق
السموات والارض وفايدة احصا الاشيا كلها في هذا الكتاب لتقف الملايكة
على انفاذ علمه وانه ينبه بذلك على تعظيم الحساب واعلم عباده انه لا يفوته شي
مما يصنعون لان من اثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب في كتاب فانه اثبات ما فيه
ثواب وعقاب اسرع قوله تعالى **وهو الذي يتوفاكم بالليل** يعني يقبض ارواحكم
اذا نمتم بالليل **ويعلم ما جرحتم** ما كسبتم **بالنهار ثم يبعثكم فيه** اي يوقظكم
فيه اي في النهار **ليقضى اجل مسمى** يعني اجل الحياة الى الممات يريد استيفا العمر
على التمام **ثم اليه مرجعكم** يعني في الاخرة **ثم ينبيكم** اي يخبركم **بما كنتم تعملون**
**وهو القاهر فوق عباده** يعني وهو العالي عليهم بقدرته لان كل من قهر شيا
وغلبه فهو مستعل عليه بالقهر والقدرة فهو كما يقال امر فلان فوق امر فلان
يعني انه اقدر منه واغلب هذا مذهب اهل التاويل في معنى لفظة فوق في قوله
وهو القاهر فوق عباده واما مذهب السلف فيها فامرارها كما جاءت من غير
تكييف ولا تاويل ولا اطلاق على جهة والقاهر هو الغالب لغيره المذلل له والله
تعالى هو القاهر لخلقه فقهر كل شي بضده فقهر الحياة بالموت والايجاد بالاعدام
والغنى بالفقر والنور بالظلمة وقوله تعالى **ويرسل عليكم حفظة** يعني ان منه
من جملة قهره لعباده ارسال الحفظة عليهم والمراد بالحفظة الملايكة الذين يحفظون
اعمال بني ادم من الخير والشر والطاعة والمعصية وغير ذلك من الاقوال والافعال
قيل ان مع كل انسان ملكين ملك عن يمينه وملك عن شماله فاذا عمل حسنة كتبها
صاحب اليمين واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر لعله يتوب
منها فان لم يتب منها كتبها عليه صاحب الشمال وفايدة جعل الملايكة موكلين
بالانسان انه اذا علم ان له حافظا من الملايكة موكلا به يحفظ عليه اقواله وافعاله
في صحايف تنشر له وتقرا عليه يوم القيامة على روس الاشهاد كان ذلك زاجرا له عن
فعل القبيح وترك المعاصي وقيل المراد بقوله ويرسل عليكم حفظة هم الملايكة الذين
يحفظون بني ادم ورزقه واجله وعمله **حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا**

يعني

---



يعني اعوان ملك الموت الموكلين بقبض ارواح البشر فان قلت قال الله تعالى
في اية اخرى الله يتوفى الانفس حين موتها وقال في اية اخرى قل يتوفاكم ملك
الموت الذي وكل بكم وقال هنا توفته رسلنا فكيف الجمع بين هذه الايات قلت
وجه الجمع بين هذه الايات ان المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى فاذا حضر اجل
العبد امر الله ملك الموت بقبض روحه ولملك الموت اعوان من الملايكة فيامرهم
بنزع روح ذلك العبد من جسده فاذا وصلت الى الحلقوم تولى قبضها ملك
الموت بنفسه فحصل الجمع بين الايات وقيل المراد من قوله توفته رسلنا ملك
الموت وحده وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيما له وقال مجاهد جعلت الارض لملك الموت
مثل الطشت يتناول من حيث شا وجعلت له اعوان ينتزعون الانفس ثم يقبضها
منهم وقال ايضا ما من اهل بيت شعر ولا مدر الا وملك الموت يطيف بهم كل يوم
مرتين وقيل ان الارواح اذا كثرت عليه يدعوها فتستجيب له وقوله **وهم
لا يفرطون** يعني الرسل لا يقصرون فيما امروا ولا يضيعون قوله عز وجل
**ثم ردوا الى الله مولاهم الحق** يعني ثم رد العباد بالموت الى الله في الاخرة
وانما قال مولاهم الحق لانهم كانوا في الدنيا تحت ايدي موالي باطل وهو الله
مولاهم وسيدهم ومالكهم بالحق **الا له الحكم** يعني لا حكم الا لله **وهو اسرع
الحاسبين** يعني انه تعالى اسرع من حسب لانه لا يحتاج الى فكر وروية وعقد
يد فيحاسب خلقه بنفسه لا يشغله حساب بعضهم عن بعض قوله تعالى **قل من
ينجيكم من ظلمات البر** يعني يا محمد قل لهولا الكفار الذين يعبدون الاصنام
من دون الله من الذي ينجيكم من ظلمات البر **والبحر** اذا اضللتم فيه وتحيرتم واظلمت
عليكم الطرق ومن الذي ينجيكم من ظلمات البحر اذا ركبتم فيه فاخطاتم الطريق
واظلمت عليكم السبل فلم تهتدوا وقيل ظلمات البر والبحر مجاز عما فيهما من
الشدايد والاهوال وقيل حمله على الحقيقة اولى فظلمة البر هي ما اجتمع فيه
من ظلمة الليل وظلمة السحاب فيحصل من ذلك الخوف الشديد لعدم الاهتدا
الى الطريق الصواب وظلمة البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة
الرياح العاصفة والامواج الهايلة فيحصل من ذلك ايضا الخوف الشديد من
الوقوع في الهلاك فالمقصود ان عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف الشديد
لا يرجع الانسان فيها الا الى الله سبحانه وتعالى لانه هو القادر على كشف الكروب
وازالة الشدايد وهو المراد من قوله **تدعونه تضرعا وخفية** يعني فاذا اشتد
بكم الامر تخلصون له الدعا تضرعا منكم اليه واستكانة جهرا وخفية يعني سرا
حالا وحالا **لين انجيتنا من هذه** يعني قايلين في حال الدعا والتضرع لين انجيتنا
من هذه الظلمات وخلصتنا من الهلاك **لنكونن من الشاكرين** يعني لك على هذه
النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام لمن انعم بها **قل الله ينجيكم منها** يعني
من الظلمات والشدايد التي انتم فيها **ومن كل كرب** يعني وهو الذي ينجيكم من كل كرب

ايضا والكرب هو الغم الشديد الذي ياخذ بالنفس **ثم انتم تشركون** يريد انهم يقرون
بان الذي انجاهم من هذه الشدايد هو الله تعالى ثم انتم بعد ذلك الاقرار تشركون
معه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع قوله عز وجل **قل هو القادر على ان يبعث**
**عليكم عذابا من فوقكم** اي قل يا محمد لقومك ان الله هو القادر على ان يبعث
عليكم عذابا من فوقكم يعني الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بقوم
نوح وعاد وثمود وقوم لوط **او من تحت ارجلكم** يعني الرجفة والخسف
كما فعل بقوم شعيب وقارون وقال ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم يعني
ايمة السوء والسلاطين الظلمة او من تحت ارجلكم يعني عبيد السوء وقال
الضحاك من فوقكم يعني من قبل كبارکم او من تحت ارجلكم يعني السفلة **او يلبسكم**
**شيعا** جمع شيعة وكل قوم اجتمعوا على امر فهم شيعة واشياع واصله من التشيع
ومعنى الشيعة الذي يتبع بعضهم بعضا وقيل الشيعة هم الذين يتقوى بهم
الانسان قال الزجاج في قوله او يلبسكم شيعا يعني يخلط امركم خلط اضطراب
لا خلط اتفاق فيجعلكم فرقا مختلفين يقاتل بعضكم بعضا وهو معنى قوله **ويذيق**
**بعضكم باس بعض** قال ابن عباس قوله او يلبسكم شيعا يعني الاهوا المختلفة
ويذيق بعضكم باس بعض وقال مجاهد يعني اهوا مختلفة وهو ما كان فيهم من الفتن
والاختلاف والاهوا وسفك بعضهم دماء بعض ثم اختلف المفسرون فيمن عني بهذه
الاية فقال قوم عني بها المسلمين من امة محمد صلى الله عليه وسلم وفيهم نزلت هذه الاية
قال ابو العالية في قوله قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم الاية
قال هن اربع وكلهن عذاب فجا اثنان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين
سنة ثم البسوا شيعا واذيق بعضهم باس بعض وبقيت ثنتان
وهما لا بد واقعتان يعني الخسف والمسخ وعن ابي بن كعب نحوه من اربع خلال وكلهن واقع
قبل يوم القيامة مضت ثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس
وعشرين سنة ثم البسوا شيعا واذيق بعضهم باس بعض وثنتان واقعتان لا محالة
الخسف والرجم وقال مجاهد في قوله من فوقكم او من تحت ارجلكم لامة محمد فاعفاهم
منه او يلبسكم شيعا ما كان فيهم من الفتن والاختلاف زاد غيره ويذيق بعضكم
باس بعض يعني ما كان فيهم من القتل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم **خ** عن
جابر قال لما نزلت هذه الاية قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك
او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض قال هذا اهون او هذا ايسر **م** عن سعد
ابن ابي وقاص انه اقبل مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم من العالية حتى اذا مر بمسجد
بني معوية دخل فركع ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف الينا فقال سالت
ربي ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة سالت ربي ان لا يهلك امتي بالسنة فاعطانيها
وسالت ربي ان لا يهلك امتي بالغرق فاعطانيها وسالت ربي ان لا يجعل باسهم بينهم

فتمنعنيها



فمنعنيها عن خباب بن الارت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فاطالها
فقالوا يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها قال اجل انها صلاة رغبة ورهبة
اني سالت الله فيها ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة سالته ان لا يهلك امتي
بسنة فاعطانيها وسالته ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فاعطانيها وسالته
ان لا يذيق بعضهم باس بعض فمنعنيها اخرجه الترمذي وقوله تعالى **انظر كيف**
**نصرف الايات** يعني انظر يا محمد كيف نبين دلايلنا وحججنا لهولا المكذبين
**لعلهم يفقهون** يعني يفهمون ويعتبرون فينزجروا ويرجعوا عما هم عليه
من الكفر والتكذيب قوله تعالى **وكذب به قومك** يعني بالقران **وهو الحق** يعني في
كونه كتابا منزلا من عند الله وقيل الضمير في به يرجع الى العذاب وهو الحق يعني
انه نازل بهم ان قاموا على كفرهم وتكذيبهم وقيل الضمير يرجع الى تصريف الايات وهو
الحق لانهم كذبوا كونها من عند الله **قل لست عليكم بوكيل** اي قل يا محمد
لهولا المكذبين لست عليكم بحافظ حتى اجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الحق
بل انما انا منذر والله هو المجازي لكم وقيل معناه انما ادعوكم الى الله والى الايمان
به ولم اومر بحربكم فعلى هذا القول تكون الاية منسوخة باية السيف وقيل
في معنى الاية قل لست عليكم بوكيل يعني حفيظا انما اطالبكم بالظاهر من الاقرار
والعمل لا بما تحويه الضماير والسراير فعلى هذا تكون الاية محكمة **لكل نبا**
**مستقر** اي لكل خبر من اخبار القران حقيقة ومنتهى تنتهي اليه اما في الدنيا واما
في الاخرة وقيل لكل خبر يخبر الله به وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تاخير
فكان ما وعدهم به من العذاب في الدنيا وقع يوم بدر **وسوف تعلمون** يعني صحة
ذلك الخبر اما في الدنيا واما في الاخرة قوله تعالى **واذا رايت الذين يخوضون**
**في اياتنا** الخطاب في اذا رايت للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى اذا رايت يا محمد
هولا المشركين الذين يخوضون في اياتنا يعني القران الذي انزلناه اليك
والخوض في اللغة هو الشروع في الما والعبور فيه ويستعار في الاخذ في الحديث
والشروع فيه يقال تخاوضوا في الحديث وتفاوضوا فيه لكن اكثر ما يستعمل
الخوض في الحديث على وجه اللعب والعبث وما يذم عليه ومنه قوله وكنا نخوض
مع الخايضين وقيل الخطاب في واذا رايت لكل فرد من الناس والمعنى واذا رايت ايها
الانسان الذين يخوضون في اياتنا وذلك ان المشركين كانوا اذا جالسوا المومنين
وقعوا في الاستهزا بالقران وبمن انزله وبمن انزل عليه فنهاهم الله ان يقعدوا
معهم في وقت الاستهزا بقوله **فاعرض عنهم** يعني فاتركهم ولا تجالسهم
**حتى يخوضوا في حديث غيره** يعني حتى يكون خوضهم في غير القران والاستهزا
به **واما ينسينك الشيطان** يعني فقعدت معهم **فلا تقعد بعد الذكرى** يعني
اذا ذكرت فلا تقعد وقم عنهم **مع القوم الظالمين** يعني مع المشركين قوله
تعالى **وما على الذين يتقون من حسابهم من شي** قال ابن عباس لما نزلت هذه الاية

واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم قال المسلمون كيف نقعد في المسجد
الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون ابدا وفي رواية قال المسلمون انا نخاف
الاثم حين نتركهم ولا ننهاهم فانزل الله هذه الاية وما على الذين يتقون
يعني يتقون الشرك والاستهزاء من حسابهم من حساب المشركين من شيء يعني
ليس عليهم من حسابهم والاثام ولكن ذكرى يعني ولكن ذكروهم ذكرى وقيل
معناه ولكن عليكم ان تذكروهم لعلهم يتقون يعني بعد ذلك الذكر يمنعهم
من الخوض والاستهزاء فصل قال سعيد بن جبير وابن جريج ومقاتل هذه
الاية منسوخة بالاية التي في سورة النساء وهي قوله تعالى وقد نزل عليكم في
الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزئ بها وذهب الجمهور الى انها محكمة
لا نسخ فيها لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ لانها انما دلت على ان كل انسان انما
يختص بحساب نفسه لا بحساب غيره وقيل انما اباح لهم القعود معهم بشرط التذكر
والموعظة فلا تكون منسوخة قوله عز وجل وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا
يعني اتخذوا دينهم الذي امروا به ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا وقيل
ان الكفار كانوا اذا سمعوا القران لعبوا ولهوا عند سماعه وقيل ان الله جعل
لكل قوم عيدا فاتخذ كل قوم دينهم يعني عيدهم لعبا ولهوا يلعبون ويلهون فيه
الا المسلمون فانهم اتخذوا عيدهم صلاة وتكبيرا وفعل الخير فيه مثل عيد الفطر
وعيد النحر ويوم الجمعة وغرتهم الحياة الدنيا يعني اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لاجل
انهم غرتهم الحياة الدنيا وغلب حبها على قلوبهم فاعرضوا عن دين الحق واتخذوا دينهم
لعبا ولهوا ومعنى الاية وذر يا محمد الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا واتركهم
ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم وهذا يقتضي الاعراض عنهم ثم نسخ ذلك الاعراض
باية السيف وهو قول قتادة والسدي وقيل انه خرج مخرج التهديد فهو
كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا وهذا قول مجاهد فعلى هذا تكون الاية محكمة
وقيل المراد بالاعراض عنهم ترك معاشرتهم ومخالطتهم لا ترك الانذار والتخويف
ويدل عليه قوله وذكر به يعني وذكر بالقران وعظ به هؤلاء المشركين ان تبسل
نفس بما كسبت اي لئلا تبسل نفس واصل البسل في اللغة التحريم وضم الشيء
ومنعه وهذا عليك بسل اي حرام ممنوع فمعنى تبسل نفس بما كسبت ترتهن
وتحبس في جهنم وتحرم من الثواب بسبب ما كسبت من الاثام وقيل تفضح
والمعنى وذكرهم بالقران ومواعظه وعرفهم الشرائع لكيلا تهلك نفس وترتهن
في جهنم بسبب الجنايات التي اكتسبت في الدنيا وتحرم الثواب في الاخرة
ليس لها يعني لتلك النفس التي هلكت من دون الله ولي اي قريب
يلي امرها ولا شفيع يعني يشفع لها في الاخرة وان تعدل كل عدل يعني
وان تفتدي بكل فداء والعدل الفداء لا يؤخذ منها يعني ذلك العدل وتلك
الفدية اولئك الذين اشارة الى الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم





الحياة الدنيا ابسلوا بما كسبوا يعني اسلموا الى الهلاك بسبب ما اكتسبوا
لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ذلك لهم بسبب كفرهم قوله
تعالى قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين
الذين دعوك الى دين ابائك اندعوا يعني انعبد من دون الله يعني الاصنام التي
لا تنفع من عبدها ولا تضر من ترك عبادتها ونرد على اعقابنا يعني ونرد
الى الشرك بعد اذ هدانا الله يعني الى دين الاسلام والتوحيد كالذي استهوته
الشياطين في الارض يعني كالذي ذهبت به الشياطين فالقته في هوية
من الارض واصله من الهوي وهو النزول من اعلى الى اسفل حيران يقال حار
فلان في الامر اذا تردد فيه فلم يهتد الى الصواب ولا المخرج منه له اصحاب
يدعونه الى الهدى يعني لهذا المتحير الذي استهوته الشياطين اصحاب على
الطريق المستقيم ائتنا يعني يقولون له ائتنا وهذا مثل ضربه الله لمن
لمن يدعوا الى عبادة الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولمن يدعوا الى عبادة الله
عز وجل الذي يضر وينفع يقول مثلهما كمثل رجل في رفقة ضل به الغول
والشيطان عن الطريق المستقيم وجعل الغيلان يدعونه اليهم فبقي حيران
لا يدري اين يذهب فان اجاب الغيلان ضل وهلك وان اجاب اصحابه اهتدى
وسلم قل ان هدى الله هو الهدى يعني ان طريق الله الذي اوضحه لعباده
ودينه الذي شرعه لهم هو الهدى والنور والاستقامة لا عبادة الاصنام
ففيه زجر عن عبادتها كانه يقول لا تفعل ذلك فان هدى الله هو الهدى
لا هدى غيره وامرنا لنسلم اي وامرنا ان نسلم ونخلص العبادة لرب
العالمين لانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره وان اقيموا الصلاة واتقوه
يعني وامرنا باقامة الصلاة والتقوى لان فيهما ما يقرب اليه وهو الذي اليه
تحشرون يعني في يوم القيامة فيجزيكم باعمالكم قوله عز وجل وهو الذي
خلق السموات والارض بالحق يعني اظهارا للحق فعلى هذا تكون الباء بمعنى اللام
لانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته وقيل خلقهما بكمال قدرته وشمول
علمه واتقان صنعه وكل ذلك حق وقيل خلقها بكلامه الحق وهو قوله كن وفيه
دليل على ان كلام الله تعالى ليس بمخلوق ولانه لا يخلق مخلوق بمخلوق ويوم
يقول كن فيكون وقيل انه راجع الى خلق السموات والمعنى اذكر يوم قال
للسموات والارض كن فيكون وقيل يرجع الى القيامة ويدل عليه سرعة البعث
والحساب كانه قال ويوم يقول للخلق موتوا فيموتون وقوموا للحساب فيقومون
احياء قوله الحق يعني ان قول الله تبارك وتعالى للشيء اذا اراده كن فيكون
حق وصدق وهو كائن لا محالة وله الملك يوم ينفخ في الصور انما اخبر عن ملكه يومئذ
وان كان الملك له سبحانه وتعالى خالصا في كل وقت في الدنيا والاخرة لانه لا منازع
له يومئذ يدعي الملك وانه المنفرد بالملك يومئذ وان من كان يدعي الملك بالباطل

من الجبابرة والفراعنة وسائر الملوك الذين كانوا في الدنيا قد زال ملكهم واعترفوا
بان الملك لله الواحد القهار وانه لا منازع له فيه وعلموا ان الذي كانوا يدعونه
من الملك في الدنيا باطل وغرور واختلف العلماء في الصور المذكور في الآية فقال
قوم هو قرن ينفخ فيه وهو لغة اهل اليمن قال مجاهد الصور قرن كهيئة البوق
ويدل على صحة هذا القول ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء اعرابي
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه اخرجه ابو داود
والترمذي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف
انعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته واصغى سمعه ينتظر ان يؤمر
فينفخ فكان ذلك ثقل على اصحابه فقالوا كيف نفعل يا رسول الله وكيف نقول
قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وربما قال توكلنا على الله
اخرجه الترمذي وقال ابو عبيدة الصور جمع صورة والنفخ فيها احياؤها بنفخ
الروح فيها وهذا قول الحسن ومقاتل والقول الاول اصح لما تقدم من الحديث
ولقوله تعالى في آية اخرى ثم نفخ فيه اخرى ولاجماع اهل السنة ان المراد بالصور
هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل نفختان نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب
وقوله تعالى **عالم الغيب والشهادة** يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن عباده
وما يشاهدونه فلا يغيب عن علمه شيء **وهو الحكيم** يعني في جميع افعاله
وتدبير خلقه **الخبير** يعني بكل ما يفعلونه من خير وشر قوله تعالى **واذ قال
ابراهيم لابيه آزر** اختلف العلماء في لفظ آزر فقال محمد بن اسحاق والضحاك والكلبي
آزر اسم ابي ابراهيم وهو تارح ضبطه بعضهم بالحاء وبعضهم بالخاء المعجمة فعلى هذا
يكون لابي ابراهيم اسمان آزر وتارح مثل يعقوب واسرائيل اسمان لرجل واحد
فيحتمل ان يكون اسمه الاصلي آزر وتارح لقب له وبالعكس فالله سماه آزر وان كان
عند النسابين والمورخين اسمه تارح ليعرف بذلك وكان آزر ابو ابراهيم من كوثى
وهي قرية من سواد الكوفة وقال سليمان التيمي آزر سب وعيب ومعناه في
كلامهم المعوج وقيل الشيخ الهرم وهو بالفارسية وهذا على مذهب من يجوز ان في
القرآن الفاظا فارسية وقيل هو المخطئ فكان ابراهيم عابه وذمه بسبب كفره
وزيغه عن الحق وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم كان والد ابراهيم
يعبده وانما سماه بهذا الاسم لان من عبد شيئا او احبه جعل اسم ذلك المعبود
او المحبوب اسما له فهو كقوله يوم ندعوا كل اناس بامامهم وقيل معناه واذ قال
ابراهيم لابيه يا عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والصحيح
هو الاول لان آزر اسم لابي ابراهيم لان الله تعالى سماه به وما نقل عن النسابين
والمورخين ان اسمه تارخ ففيه نظر انما نقلوه عن اصحاب الاخبار واهل
السير من اهل الكتاب ولا عبرة بنقلهم وقد اخرج البخاري في افراده من حديث
ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام اباه آزر يوم

القيامة



القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة الحديث فسماه النبي صلى الله عليه وسلم آزر
ايضا ولم يقل اباه تارح فثبت بهذا ان اسمه الاصلي آزر لا تارح والله اعلم
وقوله تعالى **أتتخذ اصناما آلهة** معناه اذكر يا محمد لقومك قول ابراهيم
لابيه آزر أتتخذ اصناما آلهة تعبدونها من دون الله الذي خلقك ورزقك
والاصنام جمع صنم وهو التمثال الذي يتخذ من خشب وحجارة او حديد او
ذهب او فضة على صورة الانسان وهو الوثن ايضا **اني اراك وقومك في
ضلال مبين** يعني يقول ابراهيم لابيه آزر يا آزر اني اراك وقومك الذين
يعبدون الاصنام معك ويتخذونها آلهة في ضلال مبين يعني بين لمن ابصر
ذلك فانه لا يشك ان هذه الاصنام لا تضر ولا تنفع وهذه الآية احتجاج على
مشركي العرب لانهم كانوا يعظمون ابراهيم
صلى الله عليه وسلم ويعترفون بفضله فلا جرم ذكر الله قصة ابراهيم عليه
السلام مع ابيه وقومه في معرض الاحتجاج على المشركين قوله عز وجل **وكذلك
نري ابراهيم ملكوت السموات والارض** معناه وكما ارينا ابراهيم البصيرة في دينه
والحق في خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الاصنام نريه
ملكوت السموات والارض فلهذا السبب عبر عن هذه الروية بلفظ المستقبل
في قوله وكذلك نري ابراهيم لانه تعالى كان اراه بعين البصيرة ان اباه وقومه
على غير الحق فخالفهم فجزاه الله بعد ان اراه بعد ذلك ملكوت السموات والارض
فحسنت هذه العبارة بهذا المعنى والملكوت الملك زيدت التاء للمبالغة كالرهبوت
والرغبوت والرحموت من الرهبة والرغبة والرحمة قال ابن عباس يعني خلق
السموات والارض وقال مجاهد وسعيد بن جبير يعني آيات السموات والارض
وذلك انه اقيم على صخرة وكشف له عن السموات والارض حتى رأى العرش والكرسي
وما في السموات من العجائب وحتى رأى مكانه في الجنة فذلك قوله وآتيناه
اجره في الدنيا يعني اريناه مكانه في الجنة وكشف له عن الارض حتى نظر الى
اسفل الارضين ورأى ما فيهما من العجائب قال البغوي روي عن سلمان ورفعه
بعضهم عن علي قال لما رأى ابراهيم ملكوت السموات والارض ابصر رجلا على
فاحشة فدعا عليه فهلك ثم ابصر آخر فدعا عليه فهلك ثم ابصر آخر فاراد ان
يدعو عليه فقال له تبارك وتعالى يا ابراهيم انك رجل مجاب الدعوة فلا تدعون
على عبادي فانما انا من عبدي على ثلاث خلال اما ان يتوب الي فاتوب عليه واما
ان اخرج منه نسمة تعبدني واما ان يبعث الي فان شئت عفوت وان شئت
عاقبت وفي رواية فان تولى فان جهنم من ورائه قال قتادة ملكوت السموات
الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار واختلف
في هذه الروية هل كانت بعين البصر او بعين البصيرة على قولين احدهما انها
كانت بعين البصر الظاهر فشق لابراهيم السموات حتى رأى العرش وشق له الارض

حتى رأى ما في بطنها والقول الثاني ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة لان ملكوت
السموات والارض عبارة عن الملك وذلك لا يعرف الا بالعقل فبان بهذا ان
هذه الرؤية كانت بعين البصيرة الا ان يقال المراد بملكوت السموات والارض
نفس السموات والارض وقوله تعالى **وليكون من الموقنين** عطف على المعنى
ومعناه وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض ليستدل به وليكون من
الموقنين واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال الشبهة
لان الانسان في اول الحال لا ينفك عن شبهة وشك فاذا كثرت الدلائل وتوافقت
صارت سببا لحصول اليقين والطمأنينة في القلب وزالت الشبهة عند ذلك
قال ابن عباس في وليكون من الموقنين جلالة الامر سره وعلانيته فلم يخف
عليه شيء من اعمال الخلائق فلما جعل يلعن اصحاب الذنوب قال الله تعالى انك
لا تستطيع هذا فرده الله كما كان قبل ذلك فمعنى الاية على هذا القول وكذلك
اريناه ملكوت السموات والارض ليكون ممن يوقن علم كل شيء حسا وخبرا
قوله تعالى **فلما جن عليه الليل** يقال جن الليل واجن اذا اظلم وغطى
كل شيء واجنه الليل وجن عليه اذا ستره بسواده **رأى كوكبا قال هذا ربي**
ذكروا القصة في ذلك قال اهل التفسير واصحاب الاخبار والسير ولد ابراهيم عليه السلام
في زمن نمرود بن كنعان الملك وكان نمرود اول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس
الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك في هذه السنة غلام
يغير دين اهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك
في كتب الانبياء وقال السدي رأى نمرود في منامه كأن كوكبا قد طلع فذهب بضوء
الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة
والكهان وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة
يكون هلاكك وزوال ملكك وهلاك اهل دينك على يديه فامر بذبح كل غلام يولد
في تلك السنة في ناحيته وامر بعزل النساء عن الرجال وجعل على كل عشرة رجلا يحفظهم
فاذا حاضت المرأة خلا بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون في الحيض فاذا
طهرت من الحيض حالوا بينهما قالوا فرجع آزر فوجد امرأته قد طهرت من الحيض
فواقعها فحملت بابراهيم وقال محمد بن اسحاق بعث نمرود الى كل امرأة حبلى بقرية فحبسها
عنده الا ما كان من ام ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانها كانت جارية صغيرة لم يعرف
الحبل في بطنها وقال السدي خرج نمرود بالرجال الى العسكر وعزلهم عن النساء
تخوفا من ذلك المولود فمكث بذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأمن
عليها احدا من قومه الا آزر فبعث اليه فاحضره الى عنده وقال له ان لي اليك حاجة
احب ان اوصيك بها ولم ابعثك فيها الا لثقتي بك فاقسمت عليك ان لا تدنو من
اهلك فقال آزر انا اشح على ديني من ذلك فاوصى بحاجته فدخل المدينة وقضى
حاجة الملك ثم قال لو دخلت على اهلي فنظرت اليهم فلما دخل على ام ابراهيم ونظر

إليها



اليها فلم يتمالك حتى واقعها فحملت من ساعتها بابراهيم قال ابن عباس لما حملت ام ابراهيم
قال الكهان لنمرود ان الغلام الذي اخبرناك به قد حملت به امه الليلة فامر نمرود
بذبح الغلمان فلما دنت ولادة ام ابراهيم واخذها المخاض خرجت هاربة مخافة ان يطلع
عليها فيقتل ولدها قالوا فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في
حلفاء ثم رجعت فاخبرت زوجها بانها ولدت وان الولد في موضع كذا فانطلق ابوه
فاخذه من ذلك المكان وحفر له سربا في النهر فواراه فيه وسد بابه بصخرة مخافة
السباع وكانت امه تختلف اليه فترضعه وقال محمد بن اسحاق لما وجدت ام ابراهيم
الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم واصلحت من
شأنه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه باب المغارة ثم رجعت الى بيتها وكانت تختلف
اليه لتنظر ما فعل فتجده حيا وهو يمص ابهامه قال ابو روق قالت ام ابراهيم
لانظرن الى اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع سمنا ومن
اصبع عسلا ومن اصبع تمرا وقال محمد بن اسحاق كان آزر قد سأل ام ابراهيم عن حملها
ما فعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان ابراهيم يشب في اليوم
كالشهر وفي الشهر كالسنة فلم يمكث في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال
لامه اخرجيني فاخرجته عشاء فنظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذي
خلقني ورزقني واطعمني وسقاني لربي الذي ما لي اله غيره ونظر في السماء فرأى كوكبا
قال هذا ربي ثم اتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب ثم طلعت الشمس قال هكذا الى ان ثم
رجع الى ابيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرئ من دين قومه الا انه
لم يبادهم بذلك وفرح فرحا شديدا وقيل انه مكث في السرب سبع سنين وقيل
ثلاث عشرة سنة قالوا فلما شب ابراهيم وهو في السرب قال لامه من ربي قالت
انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن رب ابي قالت اسكت ثم رجعت الى زوجها
فقالت ارأيت الغلام الذي كنا نحدث انه يغير دين اهل الارض فانه ابنك ثم اخبرته بما قال
فاتاه ابوه آزر فقال له ابراهيم يا ابتاه من ربي قال امك قال فمن رب امي قال انا
قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال اسكت فلما جن
عليه الليل دنا من باب السرب فنظر من خلال الصخرة فابصر كوكبا قال هذا ربي
ويقال انه قال لابويه اخرجاني فاخرجاه من السرب حين غابت الشمس فنظر ابراهيم
الى الابل والخيل والغنم فسأل اباه ما هذه قال ابل وخيل وغنم فقال ابراهيم
ما لهذه بد من ان يكون لها رب وخالق ثم نظر فاذا المشتري قد طلع ويقال
انها الزهرة وكانت تلك الليلة من آخر الشهر فتأخر طلوع القمر فرأى الكوكب قبل
القمر فذلك قوله عز وجل فلما جن عليه الليل يعني ستره بظلامه رأى كوكبا قال
هذا ربي ثم اختلف العلماء في وقت هذه الرؤية وفي وقت هذا القول هل كان قبل
البلوغ او بعده على قولين احدهما انه كان قبل البلوغ في حال طفوليته وذلك
قبل قيام الحجة عليه فلم يكن لهذا القول الذي صدر من ابراهيم في هذا الوقت

اغتبار ولا يترتب عليه حكم لان الاحكام انما تثبت بعد البلوغ وقيل ان ابراهيم لما
خرج من السرب في حال صغره ونظر الى السما وما فيها من العجايب ونظر الى الارض
وما فيها من العجايب وكان قد خصه الله بالعقل الكامل والفطرة السليمة تفكر في نفسه
وقال لابد لهذا الخلق من خالق مدبر وهو اله الخلق ثم نظر في حال تفكره فراى
الكوكب وقد ازهر فقال هذا ربي على ما سبق اليه وهمه وذلك في حال طفوليته وقبل
النظر في معرفته استحكام الرب سبحانه وتعالى واستدل اصحاب هذا القول على صحته
بقوله لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين قالوا وهذا يدل على نوع تحير
وذلك لا يكون الا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجة وهذا القول ليس
بسديد ولا مرضي لان الانبيا معصومون في كل حال من الاحوال وانه لا يجوز ان
يكون لله عز وجل رسول ياتي عليه وقت من الاوقات الا وهو بالله عارف وله
موحد وله من كل منقصة منزه ومن كل معبود سواه بري وكيف يتوهم هذا على
ابراهيم وقد عصمه وطهره واتاه رشده من قبل واراه ملكوت السموات وراى
الكوكب فقال معتقدا هذا ربي حاشا ابراهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك لان
منصبه اعلى واشرف من ذلك صلى الله عليه وسلم والقول الثاني الذي عليه جمهور
المحققين ان هذه الرواية وهذا القول كان بعد بلوغ ابراهيم وحين شرفه الله
بالنبوة واكرمه بالرسالة ثم اختلف اصحاب هذا القول في تاويل الاية ومعناها
فذكروا فيها وجوها الوجه الاول ان ابراهيم عليه السلام اراد ان يستدرج قومه
بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطاهم في تعظيم النجوم وعبادتها لانهم كانوا يرون
ان كل الامور اليها فاراهم ابراهيم انه معظم ما عظموه فلما افل الكوكب والقمر
والشمس اراهم النقص الداخل على النجوم بسبب الغيبوبة والافول ليثبت خطا
ما كانوا يعتقدون فيها من الالوهية ومثل هذا كمثل الحواري الذي ورد على
قوم كانوا يعبدون صنما فاظهر تعظيمه فاكرموه لذلك حتى صاروا يصدرون
عن رايه في كثير من امورهم الى ان دهمهم عدو لا قبل لهم به فشاوروه في امر هذا
العدو فقال الراي عندي ان تدعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما نزل بنا فاجتمعوا
حول الصنم يتضرعون اليه فلم يغن شيا فلما تبين انه لا ينفع ولا يضر ولا يدفع
دعاهم الحواري وامرهم ان يدعوا الله عز وجل ويسالوه ان يكشف عنهم ما نزل
بهم فدعوا الله مخلصين فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فاسلموا جميعا الوجه الثاني
ان ابراهيم عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام وهو استفهام
انكار وتوبيخ لقومه تقديره اهذا ربي الذي تزعمون واسقاط حرف الاستفهام
كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى افاين مت فهم الخالدون يعني افهم الخالدون
والمعنى ايكون هذا ربا ودلايل النقص فيه ظاهرة الوجه الثالث ان ابراهيم
عليه السلام قال ذلك على وجه الاحتجاج على قومه يقول هذا ربي بزعمكم فلما غاب
قال لو كان الها كما تزعمون لما غاب فهو كقوله ذق انك انت العزيز الكريم يعني

عند نفسك



عند نفسك وبزعمك وكما اخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى انظر الى الهك الذي
ظلت عليه عاكفا يريد الهك بزعمك الوجه الرابع ان في هذه الاية اضمارا تقديره يقولون هذا
ربي واضمار القول كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد
من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا الوجه الخامس ان الله تعالى قال في حقه وكذلك
نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال بعده فلما جن
عليه الليل والفا تقتضي التعقيب فدل هذا ان هذه الواقعة بعد ان اراه الله
ملكوت السموات والارض بعد الايقان ومن كانت همته هذه المنزلة العالية الرفيعة
لا يليق به ان يعبد الكواكب او يتخذها ربا فاما الجواب عن قوله لين لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضالين فان الانبيا عليهم السلام لم يزالوا يسالون الله
التثبيت ومنه قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام واما قوله تعالى **فلما افل** يعني
غاب والافول غيبوبة النيرات **قال** يعني ابراهيم **لا احب الافلين** يعني لا احب ربا
يغيب ويطلع لان امارات الحدث فيه ظاهرة قوله تعالى **فلما راى القمر بازغا**
يعني طالعا منتشر الضوء **قال هذا ربي** معناه ما تقدم من الكلام في الكواكب
**فلما افل** يعني غاب **قال لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين** يعني ان لم يثبتني
على الهدى وليس المراد انه لم يكن مهتديا لان الانبيا لم يزالوا على الهداية من اول الفطرة
وفي الاية دليل على ان الهداية من الله تعالى لان ابراهيم اضاف الهداية الى الله تعالى **فلما**
**راى الشمس بازغة** يعني طالعة **قال هذا ربي** يعني هذا الطالع او انه
اشار الى الضيا والنور لانه راى الشمس اضوا من الكوكب والقمر وقيل انما قال هذا
ولم يقل هذه لان تانيث الشمس غير حقيقي فلهذا اتى بلفظ التذكير **هذا اكبر**
يعني من الكواكب والقمر **فلما افلت** يعني فلما غابت الشمس **قال يا قوم اني بري**
**مما تشركون** يعني انه لما اثبت ابراهيم عليه السلام بالدليل القطعي ان هذه
النجوم ليست باله ولا تصلح للربوبية تبرا منها واظهر لقومه انه بري مما يشركون
ولما اظهر خلاف قومه وتبرا من شركهم اظهر ما هو عليه من الدين الحق فقال **اني**
**وجهت وجهي** يعني اني صرفت وجه عبادتي وقصدت بتوحيدي **للذي فطر**
**السموات والارض** يعني للذي خلقهما وابدعهما **حنيفا** يعني مايلا عن عبادة
كل شي سوى الله تعالى واصل الحنف الميل وهو ميل عن طريق الضلال الى طريق الاستقامة
وقيل الحنيف هو الذي يستقبل الكعبة في صلاته **وما انا من المشركين** تبرا
من الشرك الذي كان عليه قومه قوله عز وجل **وحاجه قومه** يعني وخاصمه قومه
وذلك لما اظهر ابراهيم عليه السلام عيب الهتهم التي كانوا يعبدونها واظهر التوحيد
لله عز وجل خاصمه قومه وجادلوه في ذلك فقال اتحاجوني في الله يعني اتجادلونني
في توحيدي لله عز وجل وقد هداني وقد تبين لي طريق الهداية الى توحيده ومعرفته
وقال البغوي ولما رجع ابراهيم الى الله وصار من الشباب بحالة سقط عنه طمع
الذابحين وضمه ازر الى نفسه جعل يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب

ابراهيم وينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها احد فاذا بارت عليه ذهب
بها الى نهر فصوب فيه رؤسها وقال اشربي استهزاء بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى
فشى استهزاؤه بها في قومه واهل قريته حاجه قومه يعني خاصمه وجادله قومه
في دينه **قال** يعني ابراهيم **اتحاجوني في الله وقد هدان** يعني الى توحيده
ومعرفته **ولا اخاف ما تشركون به** وذلك انهم قالوا احذر الاصنام فانا
نخاف ان تمسك بخبل او جنون بعيبك اياها فاجابهم بقوله ولا اخاف ما تشركون
به فانها جمادات لا تضر ولا تنفع وانما يكون الخوف ممن يقدر على النفع والضر وهو
قوله **الا ان يشاء ربي شيئا** يعني ان شاء ربي شيئا كان ما يشاء لانه قادر على
النفع والضر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان يكون الانسان قد يصيبه
في بعض حالاته وايام عمره ما يكرهه فلو اصابه مكروه نسبوه الى الاصنام فنفى هذه
الشبهة بقوله الا ان يشاء ربي شيئا وهذا استثناء منقطع وليس هو من الاول
في شيء والمعنى ولكن ان شاء ربي شيئا كان **وسع ربي كل شيء علما** يعني احاط علمه
بكل شيء فلا يخرج شيء عن علمه **افلا تتذكرون** يعني افلا تعتبرون ان هذه
الاصنام جماد لا تضر ولا تنفع وان النافع الضار هو الذي خلق السموات والارض
ومن فيهما **وكيف اخاف ما اشركتم** يعني وكيف اخاف الاصنام التي اشركتم بها
لانها جماد لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع **ولا تخافون انكم اشركتم بالله**
يعني وانتم لا تخافون وانتم اشركتم بالله وهو من اعظم الذنوب **ما لم ينزل به**
**عليكم سلطانا** يعني ما ليس لكم فيه حجة وبرهان **فاي الفريقين احق بالامن**
**ان كنتم تعلمون** يعني تقول من اولى بالامن من العذاب في يوم القيامة الموحد ام المشرك
**الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم** وهذا فصل قضاء الله بين ابراهيم وبين قومه
يعني ان الذي يستحق الامن يوم القيامة هم الذين امنوا يعني امنوا بالله وحده
ولم يشركوا به شيئا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين وقالوا
اينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك انما هو الشرك
الم تسمعوا قول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وفي رواية
ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمان لابنه ذكره قيل في معنى قوله ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشيء من معاني الظلم وذلك بان يفعل بعض ما نهى الله
عنه او يترك ما امر الله به فعلى هذا القول تكون الاية على العموم لان الله لم يخص
به معنى من معاني الظلم دون غيره والصحيح ان الظلم المذكور في هذه الاية هو الشرك
لما تقدم من حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الظلم هنا بالشرك رواه
الاية دليل على ان من مات لا يشرك بالله شيئا كان عاقبته الامن من النار كقوله
**اولئك** يعني الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم **لهم الامن** يوم القيامة من عذاب
النار **وهم مهتدون** يعني الى سبيل الرشاد قوله تعالى **وتلك حجتنا اتيناها**
**ابراهيم على قومه** يعني ما جرى بين ابراهيم وبين قومه واستدل على حدوث الكوكب

والقمر

والقمر والشمس بالافول وقيل لما قالوا لابراهيم انا نخاف عليك من الهتنا ان تمسك
اياها فقال لهم افلا تخافون انتم منها اذ سويتم بين الصغير والكبير في العبادة ان يغضب
الكبير عليكم وقيل انه خاصم قومه المشركين فقال اي الفريقين احق بالامن من
يعبد الها واحدا مخلصا له الدين والعبادة ام يعبد اربابا كثيرة فقضوا على
انفسهم فكانت هذه حجة ابراهيم عليهم **نرفع درجات من نشاء** يعني بالعلم والفهم
والعقل والفضيلة كما رفعنا درجات ابراهيم حتى اهتدى الى محاجة قومه وقيل
نرفع درجات من نشاء بالنبوة في الدنيا والعلم والحكمة وفي الاخرة بالثواب على
الاعمال الصالحة **ان ربك حكيم عليم** يعني انه تعالى حكيم في جميع افعاله عليم
بجميع احوال خلقه لا يفعل شيئا الا بحكمة وعلم قوله عز وجل **ووهبنا له اسحاق**
**ويعقوب** لما اظهر ابراهيم عليه السلام دينه وغلب خصمه بالحجج القاطعة والبراهين
القوية والدلائل الصحيحة التي فهمه الله تعالى اياها واهداها اليه عدد نعمه عليه
واحسانه اليه فان رفع درجته في عليين وابقى النبوة في ذريته الى يوم الدين فقال
تعالى ووهبنا له يعني لابراهيم اسحاق يعني ابنا لصلبه ويعقوب يعني ابن اسحاق
وهو ولد الولد **كلا هدينا** يعني هدينا جميعهم الى سبيل الرشاد ووفقناهم الى
طريق الحق والصواب **ونوحا هدينا من قبل** يعني من قبل ابراهيم ارشدنا نوحا
ووفقناه للحق والصواب ومننا عليه بالهداية **ومن ذريته** اختلفوا في هذا
الضمير الى من يرجع فقيل يرجع الى ابراهيم يعني ومن ذرية ابراهيم **داود وسليمان**
وقيل يرجع الى نوح وهو اختيار جمهور المفسرين لان الضمير يرجع الى اقرب مذكور
ولان الله ذكر في جملة هذه الذرية لوطا وهو ابن اخي ابراهيم ولم يكن من ذريته فثبت
بهذا ان هذه الكناية ترجع الى نوح وقال الزجاج كلا القولين جائز لان ذكرهما جميعا
قد جرى وداود هو ابن ايشا وكان ممن اتاه الله الملك والنبوة وكذا سليمان بن
داود **وايوب** هو ايوب بن موص بن رازح بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم **ويوسف** هو
ابن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم **وموسى** هو ابن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي
بن يعقوب **وهارون** هو اخو موسى وكان اكبر منه بسنة **وكذلك نجزي المحسنين**
يعني وكما جزينا ابراهيم على توحيده وصبره على اذى قومه كذلك نجزي المحسنين على
احسانهم **وزكريا** هو ابن اذن بن بركيا **ويحيى** هو ابن زكريا **وعيسى** هو ابن
مريم بنت عمران **والياس** قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب
واسرائل وقال محمد بن اسحاق هو الياس بن يسن بن فنحاص بن العيزار بن هارون
ابن عمران وهذا هو الصحيح لان اصحاب الانساب يقولون ان ادريس جد نوح لان
نوحا بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس ولان الله تعالى نسب الياس
في هذه الاية الى نوح وجعله من ذريته **كلا من الصالحين** يعني ان كل من ذكرنا
وسميناه من الصالحين **واسماعيل** هو ابن ابراهيم وانما اخر ذكره الى هنا لانه ذكر
اسحاق وذكر اولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب اخر ذكر اسماعيل

الي هنا **وليسع** هو ابن اخطوب بن العجوز **ويونس** هو ابن متى **ولوطا** هو ابن اخي
ابراهيم **وكلا فضلنا على العالمين** يعني على عالمي زمانهم ويستدل بهذه الاية من
يقول ان الانبيا افضل من الملايكة لان العالم اسم لكل موجود سوي الله تعالى
فيدخل فيه الملك فيقتضي ان الانبيا افضل من الملايكة واعلم ان الله تعالى ذكر ههنا
ثمانية عشر نبيا من الانبيا عليهم السلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا
بحسب الفضل لان الواو لا تقتضي الترتيب ولكن ههنا لطيفة اوجبت هذا الترتيب
وهي ان الله تعالى خص كل طايفة من طوايف الانبيا عليهم السلام بنوع من الكرامة
والفضل فذكر اولا نوحا وابراهيم واسحاق ويعقوب لانهم اصول الانبيا واليهم
يرجع انسابهم جميعا ثم من المراتب المعتبرة بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان
وقد اعطى الله داود وسليمان من ذلك حظا وافرا ومن المراتب الصبر عند نزول
البلا والمحن والشدايد وقد خص الله بهذه ايوب عليه السلام ثم عطف بهاتين
المرتبتين من جمع بينهما وهو يوسف عليه السلام فانه صبر على البلا والشدة
الى ان اعطاه الله ملك مصر مع النبوة ثم من المراتب المعتبرة في تفضيل الانبيا
عليهم السلام كثرة المعجزات وقوة البراهين وقد خص الله موسى وهارون من ذلك
بالحظ الوافر ثم من المراتب المعتبرة الزهد في الدنيا والاعراض عنها وقد خص الله
بذلك زكريا وعيسى والياس عليهم السلام ولهذا السبب وصفهم بانهم من الصالحين
ثم ذكر الله من بعد هولا الانبيا من لم يبق له اتباع ولا شريعة وهم اسماعيل
واليسع ولوط فاذا اعتبرنا هذه اللطيفة على هذا الوجه كان هذا الترتيب من
احسن شي يذكر والله اعلم بمراده واسرار كتابه قوله تعالى **ومن اباىهم** يعني
ومن ابا الذين سميناهم ومن ههنا للتبعيض لان من ابا بعضهم من لم يكن مسلما
**وذرياتهم** يعني ومن ذرياتهم اي بعضهم لان يحيى وعيسى لم يكن لهما ولد وكان
في ذرية بعضهم من هو كافر لابن نوح **واخوانهم** يعني ومن اخوانهم والمعنى ان الله
تعالى وفق اينا المذكورين ومن اخوانهم وذرياتهم للهداية وخالص الدين وهو قوله
تعالى **واجتبيناهم** يعني اخترناهم واصطفيناهم **وهديناهم** يعني وارشدناهم
**الى صراط مستقيم** اي الى دين الحق **ذلك هدي الله** قال ابن عباس ذلك دين الله
اي الذي كان عليه هولا الانبيا وقيل المراد بهدي الله معرفة الله وتنزيهه
عن الشركا والاضداد والانداد **يهدي به من يشا من عباده** يعني
يوفق من يشا من عباده ويرشده الى دينه وطاعته وخلع الاضداد والشركا
**ولو اشركوا** يعني هولا الذين سميناهم **لحبط** يعني لبطل وذهب **عنهم ما كانوا
يعملون** من الطاعات قبل ذلك لان الله تعالى لا يقبل مع الشرك من الاعمال
شيا قوله عز وجل **اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة** يعني اولئك
الذين سميناهم من الانبيا اعطيناهم الكتاب الذي انزلنا عليهم واتيناهم العلم
والفهم وشرفناهم بالنبوة وانما قدم ذكر الكتاب والحكمة على النبوة وان كانت





النبوة هي الاصل لان منصب النبوة اشرف المراتب والمناصب فذكر اولا الكتاب
والحكم لا نهاية لان على النبوة **فان يكفر بها هولا** يعني فان يجحد بهذه الايات
التوحيد والنبوة كفار قريش **فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين**
قال ابن عباس هم الانصار واهل المدينة وقيل هم المهاجرون والانصار وقال
الحسن وقتادة هم الانبيا الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج
قال والدليل عليه قوله اولئك الذين هدي الله فبهداهم اقتده وقال ابو رجا
العطاردي هم الملايكة وفيه بعد لان اسم القوم لا ينطلق الا على بني ادم وقيل
هم الفرس قال ابن زيد كل من لم يكفر فهو منهم سوا كان ملكا او نبيا او من الصحابة
او التابعين وفي الاية دليل على ان الله تعالى ينصر نبيه صلى الله عليه وسلم
ويقوي دينه ويجعله غالبا على الاديان كلها وقد حصل ذلك فهو اخبار عن الغيب
قوله تعالى **اولئك الذين هدي الله** يعني النبيين الذين تقدم ذكرهم لانهم هم
المخصوصون بالهداية **فبهداهم اقتده** اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم
يعني فبشرايعهم وسنتهم اعمل واصل الاقتدا في اللغة طلب موافقة الثاني
للاول في فعله وقيل امره ان يقتدي بهم في امر الدين الذي امرهم ان يجمعوا
عليه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن جميع النقايص التي لا تليق بجلاله
في الاسما والصفات والافعال المرضية والصفات الرفيعة الكاملة مثل الصبر
على اذى السفها والعفو عنهم وقيل امره ان يقتدي بشرايعهم الا ما خصه دليل
اخر فعلى هذا القول يكون في الاية دليل على ان شرع من قبلنا شرع لنا ••

**فصل** احتج العلما بهذه الاية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
افضل من جميع الانبيا عليهم السلام وبيانه ان جميع خصال الكمال وصفات الشرف
كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال على اذى قومه وكان ابراهيم صاحب
كرم وبذل مجاهدة في الله عز وجل وكان اسحاق ويعقوب من اصحاب الصبر على
البلا والمحن وكان داود وسليمان من اصحاب الشكر على النعمة قال الله فيهم اعملوا
ال داود شكرا وكان ايوب صاحب صبر على البلا قال الله فيه انا وجدناه صابرا
نعم العبد انه اواب وكان يوسف قد جمع بين الحالتين يعني الصبر والشكر وكان
موسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزة الباهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى
والياس من اصحاب الزهد في الدنيا وكان اسماعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب
تضرع واخبات ثم ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقتدي بهم وجمع له
جميع الخصال المحمودة المتفرقة فيهم فثبت بهذا البيان انه صلى الله عليه وسلم
كان افضل الانبيا لما اجتمع فيه من هذه الخصال التي كانت متفرقة في جميعهم
والله اعلم وقوله تعالى **قل لا اسالكم عليه اجرا** يعني قل يا محمد لا اطلب على تبليغ
الرسالة جعلا وقيل لما امره الله تعالى بالاقتدا بالنبيين وكان من جملة هداهم
عدم طلب الاجر على ايصال الدين وابلاغ الشريعة لا جرم اقتدى بهم فقال لا اسالكم

عليه اجرا **ان هو** يعني ما هو يعني القرآن **الا ذكرى للعالمين** يعني القرآن موعظة
وذكرى لجميع العالم من الجن والانس وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا
الى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته عمت الخلايق قوله عز وجل **وما
قدروا الله حق قدره** قال ابن عباس ما عظموا الله حق عظمته وعنه ان معناه
ما امنوا ان الله على كل شي قدير وقال ابو العالية ما وصفوا الله حق صفته
وقال الاخفش ما عرفوا الله حق معرفته يقال قدر الشي اذا احرزه وسبره
واراد ان يعلم مقداره يقال قدره يقدره بالضم قدرا ثم يقال لمن عرف شيئا
هو يقدر قدره واذا لم يعرفه بصفاته يقال فيه انه لا يقدر قدره فقوله
وما قدروا الله حق قدره يصح في جميع الوجوه المذكورة في معناه **اذ قالوا ما
انزل الله على بشر من شي** يعني من الذين قالوا ما انزل الله على بشر من شي ما قدروا
الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته اذ لو عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه
المقالة ثم اختلف العلما فيمن نزلت الاية على قولين احدهما انها نزلت في كفار قريش
وهذا على قول من يقول ان جميع هذه السورة مكية وهو قول السدي وروي ذلك
عن مجاهد وصححه الطبري لان من اول السورة الى هذا الموضع هو خبر عن المشركين
من عبدة الاصنام وكان قوله وما قدروا الله حق قدره موصولا بذلك غير
مفصول عنه فلا يكون قوله اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي خبرا عن غيرهم
واورد فخر الدين الرازي على هذا القول اشكالا وهو ان كفار قريش ينكرون نبوة
جميع الانبيا فكيف يمكن الزامهم نبوة موسى وايضا فما بعد هذه الاية
لا يليق بكفار قريش انما يليق بحال اليهود واجاب عنه بان كفار قريش
كانوا مختلطين باليهود وقد سمعوا منهم ان موسى جاءهم بالتوراة وبالمعجزات
الباهرات وانما انكر كفار قريش نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيمكن الزامهم
بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى واجاب عن كون سياق الاية لا يليق
بحال اليهود بان كفار قريش واليهود كانوا مشتركين في انكار نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم فلا يبعد ان بعض الاية يكون خطابا لكفار قريش وبعضها خطابا لليهود
القول الثاني في سبب نزول هذه الاية وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في
اليهود وهذا على قول من يقول ان هذه الاية نزلت بالمدينة وانها من الايات المدنيات
التي في السور المكية قال ابن عباس نزلت سورة الانعام بمكة الا ست ايات منها
قوله وما قدروا الله حق قدره فانها نزلت بالمدينة ثم اختلف القايلون بهذا
القول في اسم من نزلت هذه الاية فيه فقال سعيد بن جبير جاء رجل من اليهود يقال
له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
انشدك الله الذي انزل التوراة على موسى اما تجد في التوراة ان الله يبغض الحبر
السمين وكان حبرا سمينا فغضب وقال ما انزل الله على بشر من شي فقال له اصحابه
الذين معه ويحك ولا على موسى فقال والله ما انزل الله على بشر من شي فانزل الله وما

قدروا



وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي قل من انزل الكتاب
الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس الاية قال البغوي وفي القصة ان مالك بن
الصيف لما سمعت اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا اليس ان الله انزل على موسى
فلم قلت ما انزل الله على بشر من شي فقال لهم مالك بن الصيف اغضبني محمد فقلت
ذلك فقالوا له وانت اذا غضبت تقول على الله غير الحق فنزعوه من الحبرية وجعلوا
مكانه كعب بن الاشرف وقال السدي نزلت هذه الاية في فنحاص بن عازورا اليهودي
وهو القايل هذه المقالة وقال ابن عباس قالت اليهود يا محمد انزل الله عليك كتابا
قال نعم فقالوا والله ما انزل الله من السما كتابا فانزل الله وما قدروا الله حق
قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى
الاية قال محمد بن كعب القرظي جاء ناس من يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محتب
فقالوا يا ابا القاسم الا تاتينا بكتاب من السما كما جاء به موسى الواحا يحملها من عند الله
فانزل الله يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما الاية التي في سورة
النسا فلما حدثهم باعمالهم الخبيثة جثى رجل منهم وقال ما انزل الله عليك ولا على
موسى ولا عيسى ولا احد شيا فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل
الله على بشر من شي واورد الرازي على هذا القول اشكالا ايضا وهو انه قال ان
اليهود مقرون بانزال التوراة على موسى فكيف يقولون ما انزل الله على بشر من شي
مع اعترافهم بانزال التوراة ولم يجب عن هذا الاشكال بشي واجيب عنه بان مراد
اليهود انكار انزال القران على محمد صلى الله عليه وسلم فقط ولهذا الزموا بما لا بد لهم
من الاقرار من انزال التوراة على موسى فقال تعالى **قل من انزل الكتاب الذي جا به
موسى** اي قل يا محمد لهولا الذين انكروا انزال القران عليك بقولهم ما انزل الله
على بشر من شي من انزل التوراة على موسى وفي هذا الالزام توبيخ اليهود بسوء جهلهم
واقدامهم على انكار الحق الذي لا ينكر **نورا وهدى للناس** يعني التوراة ضياء من
ظلمة الضلالة وبيانا تفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل ان تبدل وتغير
**تجعلونه قراطيس** يكتبونه في قراطيس مقطعة **تبدونها** يعني القراطيس
المكتوبة **وتخفون كثيرا** يعني ويخفون كثيرا مما كتبوه في القراطيس وهو ما
عندهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في التوراة وما يخفونه ايضا اية الرجم
وكانت مكتوبة عندهم في التوراة **وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم**
اكثر المفسرين على ان هذا الخطاب لليهود ومعناه انكم علمتم على لسان محمد صلى الله
عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم من قبل قال الحسن جعل لهم علم ما جاء به محمد
صلى الله عليه وسلم فضيعوه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد هذا الخطاب للمسلمين
يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم **قل الله** هذا راجع
الى قوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى فان اجابوك يا محمد والا فقل انت
الله الذي انزله **ثم ذرهم في خوضهم يلعبون** يعني دعهم يا محمد فيما هم فيه يخوضون

من باطلهم وكفرهم بالله ومعنى يلعبون ويستهزئون ويسخرون وقيل معناه يا محمد انك
اذا اقمت الحجة عليهم وبلغت في الاعذار والانذار فهذا المبلغ العظيم فحينئذ لم يبق
عليك من امرهم شيء فذرهم فيما هم فيه من الخوض واللعب وفيه وعيد وتهديد
للمشركين وقال بعضهم هذا منسوخ باية السيف وفيه بعد لانه مذكور لاجل
التهديد والوعيد قوله تعالى **وهذا كتاب انزلناه مبارك** يعني وهذا القرآن
كتاب انزلناه من عندنا عليك يا محمد كثير الخير والبركة دائم النفع يبشر المؤمنين بالثواب
والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية واصل البركة النماء والزيادة وثبوت الخير
**مصدق الذي بين يديه** يعني من الكتب الالهية المنزلة من السماء على الانبياء يعني
انه موافق لما في التوراة والانجيل وسائر الكتب المنزلة لانها اشتملت جميعها على
التوحيد والتنزيه من كل عيب ونقيصة ويدل على البشارة والنذارة فثبت بذلك
كون القرآن مصدقا لجميع الكتب المنزلة **ولتنذر** وقرئ بالياء يعني ولتنذر يا محمد
وبالياء ومعناه ولينذر الكتاب **ام القرى** يعني مكة وفيه حذف تقديره ولتنذر
اهل ام القرى وسميت مكة ام القرى لان الارض دحيت من تحتها قاله ابن
عباس وقيل لانها اقدم القرى واعظمها بركة وقيل لانها قبلة اهل الارض **ومن
حولها** يعني جميع البلاد والقرى التي حولها شرقا وغربا **والذين يؤمنون
بالآخرة يؤمنون به** يعني والذين يصدقون بقيام الساعة وبالمعاد والبعث
بعد الموت يصدقون بهذا الكتاب وانه منزل من عند الله عز وجل وقيل يصدقون
ببعث الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك ان الذي يؤمن بالآخرة يؤمن بالوعد
والوعيد والثواب والعقاب ومن كان كذلك فانه يرغب في تحصيل الثواب ورد
العقاب عنه وذلك لا يحصل الا بالنظر التام فاذا نظر وتفكر علم بالضرورة
ان دين محمد اشرف الاديان وشريعته اعظم الشرائع **وهم على صلاتهم يحافظون**
يعني يداومون عليها في اوقاتها والمعنى ان الايمان بالآخرة يحمل على الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك يحمل على المحافظة على الصلوات وفائدة تخصيص الصلاة
بالذكر دون سائر العبادات التنبيه على انها اشرف العبادات بعد الايمان بالله
تعالى فاذا حافظ العبد عليها يكون محافظا على جميع العبادات والطاعات قوله
عز وجل **ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا** يعني ومن اعظم خطأ واجهل فعلا
ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا وهو في زعمه كذاب مبطل
**او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء** قال قتادة هذه الاية في مسيلمة
الكذاب وهو ابو ثمامة وقيل مسيلمة بن حبيب من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات
وكهانة وسجع ادعى النبوة باليمن وزعم ان الله اوحى اليه وكان قد ارسل الى النبي
صلى الله عليه وسلم رسولين فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اتشهدان
ان مسيلمة نبي قالا نعم فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان الرسل لا تقتل لضربت
اعناقكما **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم اذ اوتيت





خزاين الارض فوضع في يدي سواران من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان
انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة
وفي لفظ الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت في المنام كان في يدي
سوارين فاولتهما كذابين يخرجان من بعدي يقال لاحدهما مسيلمة صاحب اليمامة
والعنسي صاحب صنعاء قوله فاوحي الي ان انفخهما يروى بالحاء المهملة ومعناه الرمي
والدفع من نفحت الدابة برجلها اذا دفعت ورمحت برجلها ويروى بالخاء المعجمة من
النفخ يريد انه نفخهما فطارا عنه وهو قريب من الاول فاما مسيلمة الكذاب فانه
ادعى النبوة باليمامة من اليمن وتبعه قومه من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات
فاغتر قومه بذلك وقتل مسيلمة الكذاب في زمن خلافة ابي بكر الصديق قتله وحشي
قاتل حمزة بن عبد المطلب وكان وحشي يقول قتلت خير الناس يعني حمزة وقتلت
شر الناس يعني مسيلمة واما الاسود العنسي بالنون فهو عبهلة بن كعب وكان
يقال له ذو الحمار ادعى النبوة باليمن في اخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل
والنبي صلى الله عليه وسلم حي لم يمت وذلك قبل موته بيومين واخبر اصحابه بقتله
وقتل فيروز الديلمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاز فيروز يعني بقتله الاسود العنسي
فمن قال ان هذه الاية يعني قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي
الي ولم يوح اليه شيء نزلت في مسيلمة الكذاب والاسود العنسي يقول ان هذه الاية
مدنية وهو قول بعض علماء التفسير تقدم ذكره في اول السورة ومن قال ان هذه
السورة مكية وقال انها نزلت في شانهما يقول انها خبر عن غيب قد ظهر ذلك فيما بعد
والله اعلم وقوله تعالى **ومن قال ساانزل مثل ما انزل الله** اليك قال السدي
نزلت في عبد الله بن ابي سرح القرشي وكان قد اسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم
فكان اذا املى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا املى عليه عليما حكيما كتب غفورا
رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين املاها عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله
احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبها فهكذا نزلت فشك عبد الله
ابن ابي سرح وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي مثل ما اوحي اليه فارتد عن الاسلام
ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله الى الاسلام بعد ذلك فاسلم قبل فتح مكة والنبي
صلى الله عليه وسلم نازل بمر الظهران فقال ابن عباس نزل قوله ومن قال ساانزل
مثل ما انزل الله نزلت في المستهزئين وهو جواب لقولهم ولو نشاء لقلنا مثل هذا
قال العلماء وقد دخل في حكم هذه الاية كل من افترى على الله كذبا في ذلك الزمن وبعده
لانه لا يمنع خصوص السبب عموم الحكم **ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت**
يعني ولو ترى يا محمد هؤلاء الظالمين اذا نزل بهم الموت لرايت امرا عظيما وغمرات الموت شدائده
وسكراته وغمرة كل شيء معظمه واصلها الشيء الذي يغمر الاشياء فيغطيها ثم وضعت
في موضع الشدائد والمكاره **والملائكة باسطوا ايديهم** يعني بالعذاب يضربون

وجوههم وادبارهم وقيل باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم اخرجوا انفسكم يعني
يقولون لهم اخرجوا انفسكم فان قلت انه لا قدرة لاحد على اخراج روحه من
بدنه فما فايدة هذا الكلام قلت معناه يقولون لهم اخرجوا انفسكم كرها لان المومن
يحب لقا الله بخلاف الكافر وقيل معناه يقولون لهم خلصوا انفسكم من هذا العذاب
ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توبيخا لهم لانهم لا يقدرون على خلاص انفسهم
من هذا العذاب في ذلك الوقت اليوم تجزون عذاب الهون يعني الهوان بما كنتم
تقولون على الله غير الحق يعني ذلك العذاب الذي تجزونه بما كنتم تقولون على
الله غير الحق وكنتم عن اياته تستكبرون يعني وبسبب ما كنتم تتعظمون
عن الايمان بالقران ولا تصدقونه قوله تعالى ولقد جيتمونا فرادى يعني وحدانا
لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم هذا خبر من الله عز وجل عن حال الكفار يوم
القيامة وكيف يحشرون اليه وما ذا يقول لهم في ذلك اليوم وفي قوله للكفار ولقد
جيتمونا فرادى تقريع وتوبيخ لهم لانهم صرفوا هممهم في الدنيا الى تحصيل المال والولد
والجاه وافنوا اعمارهم في عبادة الاصنام فلم يغن عنهم كل ذلك شيا في يوم القيامة
فجيتموا فرادى من كل ما حصلوه في الدنيا كما خلقناكم اول مرة يعني جيتمونا
حفاة عراة غرلا كما ولدتكم امهاتكم في الدنيا لا شي عليهم ولا معهم ق عن ابن
عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم
تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا
فاعلين ق عن عايشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس
حفاة عراة غرلا قالت عايشة فقلت الرجال والنسا جميعا ينظر بعضهم الى بعض
قال الامر اشد من ان يهمهم ذلك روى الطبري بسنده عن عايشة انها قرات قول الله
عز وجل ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة فقالت يا رسول الله واسوأتاه
ان الرجال والنسا يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى سوأة بعض فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه لا ينظر الرجال الى النسا ولا
النسا الى الرجال شغل بعضهم عن بعض وقوله تعالى وتركتم ما خولناكم ورا
ظهوركم يعني وتركتم الذي اعطيناكم وملكناكم من الاموال والاولاد والخدم
والخول ما اعطى الله العبد وخوله فيه من المال والعبيد ورا ظهوركم يعني في الدنيا
وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء يعني زعموا
انهم انما عبدوا الاصنام لانها تشفع لهم عند الله يوم القيامة لانها شركاء
الله تعالى الله عن ذلك فاذا كان يوم القيامة وبخ الله المشركين وقرعهم بهذه
الاية ثم قال تعالى لقد تقطع بينكم قرئ بنصب النون من بينكم ومعناه
لقد تقطع ما بينكم من الوصل ويكون معناه لقد تقطع الامر بينكم وقرئ بينكم
برفع النون لقد تقطع وصلكم والبين من الاضداد يكون وصلا ويكون هجرا
وضل عنكم ما كنتم تزعمون يعني وبطل وذهب ما كنتم تكذبون في الدنيا

قوله



قوله عز وجل ان الله فالق الحب والنوى لما تقدم الكلام على تقرير التوحيد
وتقرير النبوة اردفه بذكر الدلايل الدالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته تنبيها
على ان المقصود الاعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته وافعاله وانه
مبدع الاشيا وخالقها ومن كان كذلك هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام
التي كانوا يعبدونها وتعريف منه خطا ما كانوا عليه من الاشراك الذي كانوا عليه
والمعنى ان الذي يستحق العبادة دون غيره هو الذي خلق الحب والنوى والنواة
عنصر النخلة وفي معنى فلق قولان احدهما انه بمعنى خلق ومعنى الاية على هذا القول
ان الله خالق الحب والنوى وهو قول ابن عباس في رواية العوفي عنه وبه قال الضحاك
ومقاتل قال الواحدي ذهبوا بفالق مذهب فاطر وانكر الطبري هذا القول وقال
لا يعرف في كلام العرب فلق الله الشي بمعنى خلق ونقل الازهري عن الزجاج جوازه
فقال وقيل الفلق الخلق واذا تاملت الخلق تبين لك ان اكثره عن انفلاق ومعنى
هذا الكلام ان جميع الاشيا كانت قبل الوجود في العدم فلما اوجدها الله تعالى
واخرجها من العدم الى الوجود فكانه فلقها واظهرها والقول الثاني وهو قول الاكثرين
ان الفلق هو الشق ثم اختلفوا في معناه على قولين احدهما وهو مروي عن ابن عباس
قال فالق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة وهو قول الحسن والسدي وابن
زيد قال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها ورقا اخضر
والقول الثاني وهو قول مجاهد انه الشقان اللذان في الحب والنوى والحب هو
الذي ليس له نوى كالحنطة والشعير والارز وما اشبه ذلك والنوى جمع نواة
وهي ما كان على ضد الحب كالرطب والخوخ والمشمش وما اشبه ذلك ومعنى قوله
فالق الحب والنوى وذلك اذا وقعت الحبة والنواة في الارض الرطبة ثم مر على ذلك
قدر من الزمان اظهر الله تبارك وتعالى من تلك الحبة ورقا اخضر ثم يخرج من ذلك
الورق سنبلة يكون فيها الحب ويظهر من النواة شجرة صاعدة في الهوى وعروقها
صاعدة في الارض فسبحان من اوجد جميع الاشيا بقدرته وابداعه وخلقه وقوله
يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي قال ابن عباس في رواية عنه يخرج
من النطفة بشرا حيا ويخرج النطفة الميتة من الحي وهذا قول الكلبي ومقاتل
قال الكلبي يخرج النطفة الحية من النطفة الميتة ويخرج الفرخ من البيضة
ويخرج النطفة الميتة والبيضة الميتة من الحي وقال ابن عباس في رواية اخرى
يخرج المومن من الكافر فجعل الايمان بمنزلة الحياة والكفر بمنزلة الموت وهذا
قول الحسن وقيل معناه يخرج الطايع من العاصي والعاصي من الطايع وقال
السدي يخرج النبات من الحب والحب من النبات وهذا اختيار الطبري لانه قال
عقيب قوله ان الله يخرج الحي من الميت وما السبب في عطف الاسم على الفعل قلت
قوله ومخرج الميت من الحي عطف على قوله فالق الحب والنوى وقوله يخرج الحي من
الميت كالبيان والتفسير لقوله فالق الحب والنوى اليابس واخراج النبات

والشجر منه من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي من النبات في حكم الحيوان وقوله **ذلكم**
**الله** يعني ذلكم الله المدبر الخالق الصانع لهذه الاشياء المحيي المميت لها **فانى**
**تؤفكون** يعني فانى تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذي خالق الاشياء كلها
وفيه دليل ايضا على صحة البعث بعد الموت لان القادر على اخراج البدن من النطفة
قادر على اخراجه من التراب للحساب قوله تعالى **فالق الاصباح** اي شاق عمود
الصبح يدل على انه تعالى فالق الصبح والظلمة التي تتعلق بالصبح فما معنى ذلك قلت
ذكر العلماء فيه وجوها الاول ان يكون المراد فالق ظلمة الصباح وذلك لان الصبح
صبحان الصبح الاول وهو البياض المستطيل الصاعد في الافق كذنب السرحان وهو
الذئب ثم يعقبه ظلمة بعد ذلك ويسمى هذا الصبح الفجر الكاذب لانه يبدو في
الافق الشرقي ثم يضمحل ويذهب ثم يطلع بعده الصبح الثاني وهو الضوء المستطير
في جميع الافق الشرقي ويسمى الفجر الصادق لانه ليس بعده ظلمة الصبح الاول ينور
الصبح الوجه الثاني انه تعالى كما شق ظلمة الليل بنور الصباح فكذلك يشق نور
الصبح بضياء النهار فيكون معنى قوله فالق الاصباح اي فالق الاصباح بنور
النهار الوجه الثالث ان يراد فالق ظلمة الاصباح الذي هو عمود الفجر وهي الغبش
في اخر النهار الذي يلي الصبح الوجه الرابع ان يكون المعنى فالق الاصباح الذي هو
عمود الفجر اذا انصدع الفجر وانفلق وسمي الفجر فلقا بمعنى مفلوق الوجه الخامس
الفالق بمعنى الخالق فالق الاصباح وعلى هذا القول يزول الاشكال فالصبح هو
الضوء الذي يبدو اول النهار والمعنى انه تعالى مبدي ضوء الصبح وخالقه ومنوره
وقوله تعالى **وجاعل الليل سكنا** السكن ما سكنت اليه واسترحت به يريد
ان الناس يسكنون في الليل سكون راحة لان الله جعل الليل لهم كذلك قال ابن
عباس ان كل ذي روح يسكن فيه لان الانسان قد اتعب نفسه في النهار فاحتاج
الى زمان يستريح فيه ويسكن عن الحركة وذلك هو الليل **والشمس والقمر حسبانا**
يعني انه تعالى قدر حركة الشمس والقمر في الفلك بحساب معين قال ابن عباس
يجريان الى اجل جعل لهما يعني عدد الايام والشهور والسنين وقال الكلبي منازلهما
بحساب لا يجاوزانه حتى ينتهيا الى اقصى منازلهما **ذلك** اشارة الى ما تقدم ذكره
في هذه الاية من الاشياء التي خلقها بقدرته وكمال علمه وهو المراد بقوله ذلك **تقدير**
**العزيز العليم** فالعزيز اشارة الى كمال قدرته والعليم اشارة الى كمال علمه قوله
عز وجل **وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر**
جعل هنا بمعنى خلق يعني والله الذي خلق لكم هذه النجوم ادلة لتهتدوا بها اذا ضللتم
الطريق وتحيرتم فيه فامتن بها على عباده بان جعل لهم النجوم يهتدوا بها الى المسالك
والطرق في البر والبحر الى حيث تريدون وتستدلون بالنجوم ايضا على القبلة فتستدلون
على ما تريدون في النهار بحركة الشمس وفي الليل بحركة الكواكب ومن منافعها ايضا
انه تعالى خلقها زينة للسماء كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما

للشياطين

للشياطين **قد فصلنا الايات** يعني قد بينا الايات الدالة على توحيدنا
وكمال قدرتنا **لقوم يعلمون** ان ذلك مما يستدل به على وجود الصانع المختار
وكمال علمه وقدرته قوله تعالى **وهو الذي انشاكم من نفس واحدة** يعني والله
الذي ابتدا خلقكم ايها الناس من ادم عليه السلام وهو ابو البشر كلهم وحوا
مخلوقة منه وعيسى ايضا لان ابتداء خلقه من مريم وهي من بنات ادم فثبت
ان جميع الخلق من ادم عليه السلام **فمستقر ومستودع** قرئ فمستقر بكسر
القاف وفتحها يقال قر في مكانه واستقر فمن كسر القاف قال المستقر بمعنى القار
فيكون المعنى لكم مستقر واما المستودع فهو مثل ودع فيجوز ان يكون اسما للانسان
الذي استودع ذلك المكان ويجوز ان يكون المكان نفسه فمن قرأ فمستقر بفتح
القاف جعل المستودع مكانا والمعنى فلكم مكان استقرار ومكان استيداع ومن
كسر القاف جعل المعنى منكم مستقر ومنكم مستودع يعني منكم من استقر ومنكم
من استودع والفرق بين المستقر والمستودع ان المستقر اقرب الى الثبات
من المستودع لان المستقر من القرار والمستودع معرض بان يرد ولهذا اختلفت
عبارات المفسرين في معنى هذين اللفظين فروي عن ابن عباس انه قال المستقر
في ارحام الامهات والمستودع في اصلاب الاباء قرأ ونقر في الارحام ما نشاء
ويؤيد هذا القول ان النطفة لا تبقى في صلب الاب زمانا طويلا والجنين يبقى
في بطن الام زمانا طويلا ولما كان المكث في بطن الام اكثر من صلب الاب حمل المستقر
في الرحم والمستودع في الصلب وروي عنه انه قال بالعكس يعني المستقر صلب الاب
والمستودع رحم الام ووجه هذا القول ان النطفة حصلت في صلب الاب قبل رحم
الام فوجب حمل المستقر على الصلب والمستودع في القبر الى ان يبعث وقال
مجاهد المستقر على ظهر الارض في الدنيا لقوله ولكم في الارض مستقر ومتاع الى
حين والمستودع عند الله في الاخرة وقال الحسن المستقر في القبر والمستودع
في الدنيا وكان يقول يا ابن ادم انت مستودع في اهلك الى ان تلحق بصاحبك
يعني القبر وقيل المستودع في القبر والمستقر اما في الجنة او النار لان المقام
فيهما يقتضي الخلود والتابيد **قد فصلنا الايات** يعني قد بينا الدلايل
على التوحيد بالبراهين الواضحة والحجج القاطعة **لقوم يفقهون**
يعني الذين يفهمون عن الله اياته ودلايله الدالة على توحيده لان الفقه هو الفهم
قوله عز وجل **وهو الذي انزل من السماء ماء** يعني المطر وقيل ان الله ينزل المطر
من السماء الى السحاب ومن السحاب الى الارض **فاخرجنا به** يعني بالماء الذي انزلناه
من السماء **نبات كل شيء** يعني من كل شيء ينبت وينمو من جميع اصناف النبات
وقيل معناه اخرجنا بالماء الذي انزلناه من السماء غذاء كل شيء من الانعام والبهايم
والطير والوحش وارزاق بني ادم واقواتهم مما يتغذون به فينبتون عليه وينمون
**فاخرجنا منه خضرا** يريد خضرا مثل عور واعور والاخضر هو جميع الزرع

والبقول الرطبة **نخرج منه حبا متراكبا** يعني نخرج من ذلك الاخضر سنابل فيها
الحب يركب بعضها فوق بعض مثل سنابل القمح والشعير والارز والذرة وساير
الحبوب وفي تقديم الزرع على النخل دليل على الافضلية ولان حاجة الناس اليه
اكثر لانه القوت المالوف **ومن النخل من طلعها قنوان دانية** يعني ومن ثمرها
يقال اطلعت النخلة اذا اخرجت طلعها وطلعها كفراها قبل ان ينشق عن الاغريض
والاغريض يسمى طلعا ايضا وهو ما يكون في قلب الطلع والطلع اول ما يبدو وا
من ثمر النخل كالكيزان يكون فيه العذق فاذا انشق عنه كيزانه يسمى عذقا وهو القنو
وجمعه قنوان مثل صنو وصنوان دانية اي قريبة التناول ينالها القايم والقاعد
وقال مجاهد متدلية وقال الضحاك قصار ملتصقة بالارض وفيه اختصار وحذف
تقديره من النخل ما قنوانها دانية قريبة ومنها ما هي بعيدة عالية فاكتفى بذكر
القريبة عن البعيدة لشدة الاهتمام بها ولانها اسهل منالا ولان من البعيدة
لان البعيدة تحتاج الى كلفة **وجنات من اعناب والزيتون والرمان** يعني شجر
الزيتون وشجر الرمان **مشتبها** قال قتادة مشتبها ورقها مختلفا ثمرها
لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان **وغير متشابه** يعني ومنها غير متشابه
في الورق والطعم واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الاية اربعة انواع من الشجر
بعد ذلك الزرع وانما قدم على ساير الاشجار لان الزرع غذاء وثمار الاشجار فواكه
والغذاء مقدم على الفواكه وانما قدم النخلة على غيرها لان ثمرها يجري مجرى
الغذاء وفيها من المنافع والخواص ما ليس في غيرها من الاشجار وانما ذكر العنب عقيب
النخلة لانه من اشرف انواع الفواكه ثم ذكر عقيبه الزيتون لما فيه من البركة
والمنافع الكثيرة في الاكل وساير وجوه الاستعمال ثم ذكر عقيبه الرمان لما فيه
من المنافع ايضا لانه فاكهة ودواء ثم قال تعالى **انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه**
يعني ونضجه وادراكه والمعنى انظروا نظر استدلال واعتبار كيف اخرج الله
تعالى هذه الثمرة الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة اليابسة وهو
قوله **ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون** يعني يصدقون ان الذي اخرج هذا
النبات وهذه الثمار قادر على ان يحيي الموتى ويبعثهم وانما احتج الله عليهم بتصريف
ما خلق ونقله من حال الى حال وهو ما يعلمونه قطعا ويشاهدونه من احياء الارض
بعد موتها واخراج ساير انواع النبات والثمار منها وانه لا يقدر على ذلك احد الا الله
تبارك وتعالى فانه تعالى كذلك قادر على ان يحييهم بعد موتهم ويبعثهم ليوم القيامة
وانما احتج عليهم بهذه الاشياء لانهم كانوا ينكرون البعث قوله تعالى **وجعلوا لله
شركاء الجن** قال الحسن معناه اطاعوا الجن في عبادة الاوثان وهو اختيار
الزجاج قال معناه انهم اطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله
وقال الكلبي نزلت في الزنادقة اثبتوا الشرك لابليس في الخلق فقالوا الله
خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس خالق الظلمة والسباع والحيات

والعقارب



والعقارب ونقل هذا القول ابن الجوزي عن ابي السايب ونقله الرازي عن ابن عباس
قال الامام فخر الدين وهذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان
المجوس يلقبون بالزنادقة لان الكتاب الذي زعم زردشت انه نزل من السماء سماه
بالزند والمنسوب اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق فاذا جمع قيل زنادقة ثم ان
المجوس قالوا كل ما في هذا العالم من الخير فهو من يزدان يعني العالم وجميع ما في العالم
من الشر فهو من الظلمة يعني ابليس ثم اختلف المجوس فالاكثرون منهم على ان ابليس
محدث ولهم في كيفية حدوثه اقوال عجيبة والاقلون منهم قالوا انه قديم وعلى
كلا القولين فقد اتفقوا على انه شريك الله في تدبير هذا العالم فما كان من خير فمن
الله وما كان من شر فمن ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فان قلت فعلى هذا
القول فانهم اثبتوا لله شريكا واحدا وهو ابليس فكيف حكى الله عنهم انهم جعلوا لله
شركاء قلت ان ابليس له اعوان من جنسه وحزبه وهم شياطين الجن يعملون
اعماله فصح ما حكاه الله عنهم من انهم جعلوا له شركاء ومعنى الاية وجعلوا الجن شركاء
لله واختلفوا في معنى هذه الشركة فمن قال ان الاية في كفار العرب قال انهم لما اطاعوا
الجن فيما امروهم به من عبادة الاصنام فقد جعلوهم شركاء لله ومن قال انها في المجوس
فقد اثبتوا الهين اثنين النور والظلمة وقيل ان كفار العرب قالوا الملايكة بنات
الله وهم شركاؤه فعلى هذا القول قد جعلوا الملايكة من الجن وذلك انهم مستورون
عن الاعين وقوله **وخلقهم** في معنى الكناية قولان احدهما انها تعود الى الجن
فيكون المعنى والله خلق الجن فكيف يكون شريك الله من هو محدث مخلوق والقول
الثاني ان الكناية تعود الى الجاعلين لله شركاء فيكون المعنى وجعلوا
لله الذي خلقهم شركاء لا يخلقون شيئا وهذا كالدليل القاطع بان المخلوق لا
يكون شريكا لله وكل ما في الكون محدث مخلوق والله تعالى هو الخالق لجميع ما
في الكون فامتنع ان يكون لله شريك في ملكه **وخرقوا له بنين وبنات بغير
علم** اي اختلقوا وكذبوا يقال اختلق واخترق على فلان اذا كذب عليه وذلك
ان النصارى وطايفة من اليهود ادعوا ان لله ابنا وكفار العرب ادعوا
ان الملايكة بنات الله وكذبوا على الله جميعا فيما ادعوه وقوله بغير علم كالدليل
على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول لان الولد جزء من الاب والله
سبحانه وتعالى لا يتجزى فثبت بهذا فساد قول من يدعي ان لله ولدا ثم نزه
الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن هذه الاقاويل الفاسدة فقال تعالى
**سبحانه وتعالى عما يصفون** فقوله سبحانه فيه تنزيه الله عن كل ما لا
يليق بجلاله وقوله تعالى يعني المتعالي عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد ويكون
المعنى المتعالي عن اتخاذ الولد والشريك وقوله عما يصفون يعني عما يصفونه به
من الكذب قوله عز وجل **بديع السموات والارض** الابداع عبارة عن تكوين
الشيء على غير مثال سبق والله تعالى خلق السموات والارض على غير مثال سبق

انى يكون له ولد يعنى من ان يكون له الولد ولم تكن له صاحبة لان الولد لا يكون
الا من صاحبة انثى وما ينبغى ان يكون لله صاحبة لانه ليس كمثله شيء وخلق كل شيء
يعنى ان الصاحبة والولد في جملة من خلق لانه خالق كل شيء وليس كمثله شيء فكيف
يكون الولد لمن لا مثل له واذا نسب الولد والصاحبة اليه فقد جعل له مثل والله
متعال عن المثلية وهذه الاية قاطعة على فساد قول النصارى وهو بكل شيء عليم
يعنى انه تعالى عالم بجميع خلقه لا يعزب عن علمه شيء وعلمه محيط بكل شيء عليم به
قوله تعالى ذلكم الله ربكم يعنى ذلكم الله من صنعته انه خلق السموات والارض
وابدعها على غير مثال سبق وانه بكل شيء عليم هو ربكم الذي يستحق العبادة
لا من تدعون من دونه من الاصنام لانها جماد لا تخلق ولا تضر ولا تنفع ولا تعلم
والله تعالى هو الخالق الضار النافع لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه
يعنى انه الذي يستحق العبادة فاعبدوه واطيعوه وهو على كل شيء وكيل يعنى
انه تعالى على كل شيء خلق رقيب حفيظ يقوم بارزاق جميع خلقه قوله عز وجل
لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قال جمهور المفسرين معنى الادراك
الاحاطة بكنه الشيء وحقيقته فالابصار ترى البارى جل جلاله ولا تحيط
به كما ان القلوب تعرفه ولا تحيط به وقال سعيد بن المسيب في تفسير قوله
لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار وقال ابن عباس كلت ابصار المخلوقين
عن الاحاطة فصل انما تمسك بظاهر الاية قوم من اهل البدع وهم الخوارج
والمعتزلة وبعض المرجية وقالوا ان الله تبارك وتعالى لا يراه احد من خلقه واذا
رويته مستحيلة عقلا لان الله اخبر ان الابصار لا تدركه وادراك البصر عبارة
عن الروية اذ لا فرق بين قوله ادركته ببصري ورايته ببصري فثبت بذلك ان
قوله لا تدركه الابصار بمعنى لا تراه الابصار وهذا يفيد العموم ومذهب اهل
السنة ان المومنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة وان رويته غير مستحيلة
عقلا واحتجوا لصحة مذهبهم بتظاهر ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن
بعدهم من سلف الامة على اثبات روية الله تبارك وتعالى للمومنين في الاخرة
قال الله تبارك وتعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ففي هذه الاية دليل
على ان المومنين يرون ربهم يوم القيامة وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون قال الشافعي رحمه الله حجب قوما بالمعصية وهي الكفر فثبت ان قوما
يرونه بالطاعة وهي الايمان وقال مالك لو لم ير المومنون ربهم يوم القيامة
لم يعير الكفار بالحجاب وقال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وفسروا
هذه الزيادة بالنظر الى وجه الله تبارك وتعالى يوم القيامة واما دلايل
السنة فما روي عن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنظر الى القمر ليلة القمر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر
لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل

غروبها



غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب اخرجه
البخاري ومسلم عن ابي هريرة ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضامون في القمر ليلة البدر قالوا لا
يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب عن ابي رزين العقيلي
قال قلت يا رسول الله اكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قلت وما
اية ذلك من خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت
بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله يعنى القمر فالله اجل واعظم اخرجه ابو داود
واما الدلايل العظيمة فقد احتج اهل السنة ايضا بهذه الاية على روية المومنين
ربهم يوم القيامة وتقديره انه تعالى تمدح بقوله لا تدركه الابصار فلو لم يكن
جايز الروية لما حصل هذا التمدح لان المعدوم لا تصح رويته فثبت ان قوله لا
تدركه الابصار يفيد المدح وهذا يدل على ان كونه تعالى جايز الروية وتحقيق
هذا ان الشيء اذا كان في نفسه بحيث يمتنع رويته فحينئذ لا يلزم من عدم رويته
مدح وتعظيم اما اذا كان في نفسه جايز الروية ثم انه قدر على حجب الابصار عنه
كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت ان هذه الاية دالة على انه تعالى
جايز الروية واذا ثبت هذا اوجب القطع بان المومنين يرونه يوم القيامة لان موسى
صلى الله عليه وسلم سال الروية بقوله ارني انظر اليك وذلك يدل على جواز الروية
اذ لا يسال نبي مثل موسى ما لا يجوز ويمتنع وقد علق الله الروية على استقرار
الجبل بقوله فان استقر مكانه فسوف تراني واستقرار الجبل جايز والمعلق على الجايز
جايز واما الجواب عن تمسك المعتزلة بظاهر هذه الاية على نفي الروية فاعلم ان الادراك
غير الروية لان الادراك هو الاحاطة بكنه الشيء وحقيقته والروية المعاينة للشيء
من غير احاطة وقد تكون الروية بلا ادراك كما قال تعالى في قصة موسى قال اصحاب
موسى انا لمدركون قال كلا وكان قوم فرعون قد راوا موسى ولم يدركوهم لكن
قاربوا ادراكهم اياهم فنفى موسى الادراك مع اثبات الروية يعنى له تعالى كلا فالله تعالى
يجوز ان يرى في الاخرة من غير ادراك وهو الاحاطة بالمرئي وهو انه من كان محدودا
بالجهات والله تعالى منزه عن الحد والجهة لانه القديم الذي لا نهاية لوجوده فعلى هذا
انه يرى ولا يدرك وقال قوم ان الاية مخصوصة بالدنيا قال ابن عباس في معنى الاية
لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الاخرة وعلى هذا القول فلا فرق بين الادراك
والروية قالوا ويدل على هذا التخصيص قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقوله
يومئذ ناضرة مقيد بيوم القيامة وعلى هذا يمكن الجمع بين الايتين وقال السدي
النظار دضار ان نضر معاينة ونضار علم فمعنى قوله لا تدركه الابصار لا يدركه علم
العلماء وتطرهم ولا يحيطون به علما وهذا وجه حسن ايضا والله اعلم وقوله تعالى
وهو يدرك الابصار يعنى انه تعالى يرى جميع المرئيات ويبصر جميع المبصرات لا يخفى
عليه شيء منها ويعلم حقيقتها ومطلع على ماهيتها فهو تعالى لا تدركه ابصار المبصرين

وهو يدركها **وهو اللطيف الخبير** قال ابن عباس اللطيف بأوليائه الخبير بهم وقال
الازهري معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل هو الموصل الشيء اليك برفق ولين وقيل
هو الذي ينسي عباده ذنوبهم لئلا يخجلوا واصل اللطف دقة النظر في الاشياء
وقال ابو سليمان الخطابي اللطيف هو البر بعباده يلطف بهم من حيث لا يعلمون
ويوصل اليهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون وقال الازهري ايضا اللطيف في اسماء
الله تعالى معناه الرفيق بعباده حيث يثني عليهم عند الطاعة ولم يقطع عنهم
بره واحسانه عند المعصية وقيل هو اللطيف بعباده ان تدركه الابصار وهو
يدركها قوله تعالى **قد جاءكم بصائر من ربكم** البصائر جمع بصيرة وهي الدلالة
التي توجب البصر بالشيء والعلم به والمعنى قد جاءكم القران الذي فيه البيان والحجج
التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل وقيل ان الايات والبراهين
ليست في نفسها بصائر الا انها لقوتها توجب البصائر لمن عرفها ووقف على حقائقها
فلما كانت هذه الايات والحجج والبراهين اسبابا لحصول البصائر سميت الايات
بصائر **فمن ابصر** يعني فمن عرف الايات واهتدى بها الى الحق **فلنفسه** يعني
فلنفسه ابصر وبها عمل لانه يعود نفع ذلك عليه **ومن عمي** يعني ومن جهل
ولم يعرف الايات ولم يهتد بها **فعليها** يعني فعلى نفسه عمي وإليها ضر وكان
وبال ذلك العمى عليه لان الله تعالى غني عن خلقه **وما انا عليكم بحفيظ** يعني
وما انا عليكم برقيب احصي عليكم اعمالكم واحفظها لكم انما انا رسول من ربكم
اليكم ابلغكم ما ارسلت به اليكم والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شيء من اعمالكم
واحوالكم وقيل معناه لا اقدر ان ادفع عنكم ما يريده الله بكم وقيل معناه لست آخذكم
بالايمان اخذ الحفيظ الوكيل وهذا كان قبل الامر بقتال المشركين فعلى هذا القول
تكون الاية منسوخة باية السيف وعلى القول الاول ليست منسوخة والله
اعلم **وكذلك نصرف الايات** يعني وكذلك نبين الايات ونفصلها في كل وجه كما
فصلناها وبيناها من قبل **وليقولوا دارست** يعني وكذلك نصرف الايات
لتلزمهم الحجة وليقولوا دارست وقيل اللام فيه لام العاقبة ومعناه عاقبة امرهم
ان يقولوا دارست يعني قرأت على غيرك يقال درس الكتاب يدرسه دراسة اذا كثر
قراءته وذلله للحفظ قال ابن عباس وليقولوا يعني اهل مكة حين تقرأ عليهم القران
يعني تعلمت من يسار وجبر وكانا عبدين من سبي الروم ثم قرأت علينا تزعم انه
من عند الله وقال الفراء معناه تعلمت من اليهود وقرئ دارست بالالف بمعنى
قارأت اهل الكتاب من المدارسة التي هي بين اثنين يعني يقولون قرأت على اهل الكتاب
وقرؤا عليك وقيل درست بفتح الدال والراء وسكون التاء ومعناه ان هذه
الاخبار التي تتلوها علينا قديمة قد درست وامحت من قولهم درس الاثر اذا امحى وذهب
اثره **ولنبينه لقوم يعلمون** يعني القران وقيل معناه نصرف الايات لقوم يعلمون
قال ابن عباس يريد اولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد وقيل معنى الاية وكذلك

نصرف

نصرف الايات ليسعد بها قوم ويشقى بها آخرون فمن اعرض عنها وقال للنبي صلى الله
عليه وسلم درست او دارست فهو شقي ومن تبين له الحق وفهم معناها وعمل بها فهو سعيد
وقال ابو اسحاق ان السبب الذي اداهم الى ان قالوا درست هو تلاوة الايات
عليهم وهذه اللام تسميها العرب لام الصيرورة يعني صار عاقبة امرهم ان قالوا
درست فصار ذلك سببا لشقاوتهم وفي هذا دليل على انه تعالى جعل تصريف
الايات سببا لضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهدايتهم قوله تعالى
**اتبع ما اوحي اليك من ربك** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني اتبع يا محمد
ما امرك به ربك في وحيه الذي اوحاه اليك وهو القران فاعمل به وبلغه الى عبادي
ولا تلتفت الى قول من يقول دارست او درست وفي قوله اتبع ما اوحي اليك من
ربك تقوية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن الذي حصل له بسبب قولهم
درست ونبه بقوله تعالى **لا اله الا هو** سبحانه وتعالى واحدا فردا صمدا
لا شريك له واذا كان كذلك فانه تجب طاعته ولا يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين
وزيغ الزائغين وقوله تعالى **واعرض عن المشركين** فقيل المراد منه في الحال
لا الدوام واذا كان كذلك لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقاتلتهم فعلى هذا يكون
الامر بالاعراض منسوخا باية القتال قوله عز وجل **ولو شاء الله ما اشركوا** قال
الزجاج ولو شاء الله لجعلهم مؤمنين وهذا نص صريح في ان شركهم كان بمشيئة
الله تعالى خلافا للمعتزلة في قولهم لم يرد من احد الكفر والشرك فالاية رد عليهم
**وما جعلناك عليهم حفيظا** يعني وما جعلناك يا محمد على هؤلاء المشركين
رقيبا ولا حافظا تحفظ عليهم اعمالهم وقال ابن عباس في رواية عطاء وما جعلناك
عليهم حفيظا تمنعهم مني ومعناه انك لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب
وانما بعثت مبلغا فلا تهتم بشركهم فان ذلك بمشيئة الله تعالى **وما انت
عليهم بوكيل** يعني وما انت عليهم بقيم تقوم بارزاقهم وما انت عليهم
بمسيطر فعلى التفسير الاول تكون الاية منسوخة باية السيف وعلى قول
ابن عباس لا تكون منسوخة قوله عز وجل **ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم** الاية قال ابن عباس انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون
ربك فنهاهم الله ان يسبوا اوثانهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال قتادة
كان المؤمنون يسبون اوثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا
يسبوا الله فانهم قوم جهلة لا علم لهم بالله عز وجل وقال السدي لما حضرت ابا طالب
الوفاة قالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل فلنأمره ان ينهى عنا ابن اخيه
فانا نستحي ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه فلما مات قتلوه فانطلق
ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحرث وامية وابي ابنا خلف وعقبة بن ابي معيط
وعمرو بن العاص والاسود بن ابي البختري الى ابي طالب فقالوا يا ابا طالب انت كبيرنا

وسبّ دينا وان محمدا فذا ذا نا والهتنا فنحب ان ندعوه فتنهاه عن ذكر الهتنا
ولندعه والهه فدعاه فجا النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ابو طالب ان هولا قومك
وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يريدون قالوا نريد ان تدعنا
والهتنا وندعك والهك فقال له ابو طالب قد انصفك قومك فاقبل منهم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ارايتم اذا اعطيتكم هذا فهل انتم معطيّ كلمة ان تكلمتم بها
ملكتم العرب ودانت لكم العجم وادت لكم الخراج فقال ابو جهل نعم وابيك لنعطينكها
وعشرة امثالها فما هي فقال قولوا لا اله الا الله فابوا ونفروا فقال ابو طالب
قل غيرها يا ابن اخي فقال يا عم ما انا بالذي اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها
في يدي ما قلت غيرها اراده ان يوئسهم فقالوا لتكفن عن شتمك الهتنا او لنشتمنك
او لنشتمن من يامرك فانزلت ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله يعني ولا
تسبوا ايها المومنون الاصنام التي يعبدها المشركون فيسبوا الله عدوا
بغير علم يعني فيسبوا الله ظلما بغير علم لانهم جهلة بالله عز وجل قال الزجاج نهوا
في ذلك الوقت قبل القتال ان يلعنوا الاصنام التي كانت يعبدها المشركون
وقال ابن الانباري هذه الاية منسوخة انزلها الله عز وجل والنبي صلى الله
عليه وسلم بمكة فلما قواه باصحابه نسخ هذه الاية ونظايرها بقوله اقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم وقيل انما نهوا عن سب الاصنام وان كانت في سبها
طاعة وهو مباح لما يترتب على ذلك من المفاسد التي هي اعظم من ذلك وهو سب
الله عز وجل وسب رسوله وذلك من اعظم المفاسد فلذلك نهوا عن سب الاصنام
وقيل لما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الهتهم فيسبوا ربكم
فامسك المسلمون عن سب الهتهم فظاهر الاية وان كان نهيا عن سب الاصنام
فحقيقته النهي عن سب الله تعالى لانه سبب لذلك وقوله تعالى **كذلك زينا**
**لكل امة عملهم** يعني كما زينا لهولا المشركين عبادة الاصنام وطاعة الشيطان
بالحرمان والخذلان كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية
وفي هذه الاية دليل على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن من الله
خلق الكفر وتزيينه وقوله تعالى **ثم الى ربهم مرجعهم** يعني المومن والكافر
والطايع والعاصي **فينبيهم بما كانوا يعملون** يعني في الدنيا ويجازيهم على ذلك
قوله عز وجل **واقسموا بالله جهد ايمانهم** قال محمد بن كعب القرظي والكلبي قالت قريش
يا محمد انك تخبرنا ان موسى كانت له عصى يضرب بها الحجر فتنفجر منها اثنتا عشرة عينا
وتخبرنا ان عيسى كان يحيي الموتى فاتنا باية حتى نصدقك ونومن بك فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اي شي تحبون قالوا تجعل الصفا لنا ذهبا وابعث لنا بعض
موتانا نسئله عنك احق ما تقول ام باطل وارنا الملايكة يشهدون لك فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني قالوا نعم والله
لين فعلت لنتبعنك اجمعين وسيل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزلها





عليهم حتى يومنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يدعو الله عز وجل ان يجعل
الصفا ذهبا فجاءه جبريل فقال ما شيت ان شيت اصبح ذهبا ولكن ان لم يصدقوك
فلنعذبنهم وان شيت تركتهم حتى يتوب تايبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بل يتوب تايبهم فانزل الله عز وجل واقسموا بالله جهد ايمانهم يعني وحلفوا بالله
جهد ايمانهم يعني اوكد ما قدروا عليه من الايمان واشدها قال الكلبي ومقاتل
اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه **لين جاءتهم اية** يعني كما جاءت من قبلهم من الامم
**ليومنن بها** يعني ليصدقن بها **قل** يعني يا محمد **انما الايات عند الله** يعني
ان الله تعالى قادر على انزالها **وما يشعركم** يعني وما يدريكم ثم اختلف العلما
في المخاطبين بقوله وما يشعركم فقيل هو خطاب للمشركين الذين اقسموا بالله وقيل
هو خطاب للمومنين واختلفوا في قوله **انها اذا جاءت لا يومنون** فقرا ابن كثير
واهل البصرة وابو بكر عن عاصم انها بكسر الالف على الابتدا وقالوا تم الكلام عند قوله
وما يشعركم على معنى وما يدريكم ما يكون منهم ثم ابتدا فقال انها اذا جاءت لا يومنون
فمن جعل الخطاب للمشركين قال معناه وما يشعركم ايها المومنون انها اذا جاءت
امنوا لان المومنين كانوا يسيلون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله
ان يريهم ما اقترحوا حتى يومنوا فخاطبهم الله تعالى بقوله وما يشعركم ثم ابتدا
فقال تعالى انها اذا جاءت لا يومنون وهذا في قوم مخصوصين حكم الله عليهم بانهم
لا يومنون وذلك لسابق علمه فيهم وقرا الباقون انها بفتح الالف وجعلوا الخطاب
في ذلك للمومنين لان المومنين هم الذين سيلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
انزال الايات حتى يومن المشركون بها اذا راوها لان المشركين كانوا حلفوا انهم
اذا جاءتهم اية امنوا وصدقوا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الايات لذلك فقال الله تعالى
وما يشعركم ايها المومنون ان الايات اذا جاءت هولا المشركين لا يومنون
فعلى هذا اختلفوا في لفظة قوله لا يومنون فقيل هي صلة والمعنى وما يشعركم
انها اذا جاءت يومنون وقيل هي على بابها وفيه حذف والمعنى انها اذا جاءت يومنون
او لا يومنون وقيل ان بمعنى لعل في قوله انها اذا جاءت وكذلك في قراءة ابي بن كعب
لعلها اذا جاءت وهذا سايغ في كلام العرب تقول العرب ايت السوق انك
تشتري لنا شيا بمعنى لعلك ومنه قول عدي بن زيد

اعاذل ما يدريك ان منيتي • الى ساعة في اليوم او في ضحى الغد

يعني لعل منيتي قوله تعالى **ونقلب افيدتهم وابصارهم** قال ابن عباس ونحول
بينهم وبين الايمان فلو جيناهم بالايات التي سيلوها لما امنوا بها فتقليب هو تحويل
الشي وتحريكه عن وجهه الى وجه اخر لان الله تعالى اذا صرف القلوب والابصار
عن الايمان بقيت على الكفر **كما لم يومنوا به اول مرة** يعني كما لم يومنوا بما
قبل ذلك من الايات التي جاءهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق

الهم وغير ذلك من المعجزات الباهرة وقيل اول مرة يعني الايات التي جاء بها موسى
وغيره من الانبيا وقال ابن عباس المرة الاولى دار الدنيا يعني لو ردوا من الاخرة
الى الدنيا نقلب افيدتهم وابصارهم عن الايمان فلا يومنوا كما لم يومنوا به اول مرة
قبل مماتهم وفي الاية دليل على ان الله تعالى يهدي من يشا ويضل من يشا وان
القلوب والابصار بيده وفي تصريفه فيقيم ما شا منها ويزيغ ما اراد منها ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك يعني وتقلب افيدتهم
فنزيغها عن الايمان ونقلب ابصارهم عن روية الحق ومعرفة الصواب وان جاءتهم
الاية التي سالوها فلا يومنون بها كما لم يومنوا بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله
فعلى هذا تكون الكناية في به عايدة على الايمان بالقران وبما جاء به رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل سوالهم الايات التي اقترحوها وقوله تعالى **ونذرهم في
طغيانهم يعمهون** يعني ونترك هولا المشركين الذين سبق في علم الله انهم لا
يومنون في تمردهم واعتدايهم عليه يترددون لا يهتدون الى الحق فقوله عز وجل
**ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة** قال ابن جريج نزلت في المستهزين وذلك انهم
اتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا يا محمد ابعث لنا بعض
موتانا حتى نسالهم عنك احق ما تقول ام باطل او ارنا الملايكة يشهدون لك
انك رسول الله او ايتنا بالله والملايكة قبيلا فنزلت هذه الاية جوابا لهم والمعنى
ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة حتى يشهدوا لك بالرسالة **وكلمهم الموتى** يعني
كما يسالوا **وحشرنا عليهم كل شي قبلا** يعني وجمعنا عليهم كل شي قبيلا قبيلا وقيل
القبيل الكفيل يعني الكفيل بصحة ما يقول ما امنوا به وهو قوله **ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله**
يعني الا ان يشا الله الايمان منهم وفيه دليل على ان جميع الاشيا بمشية الله
تعالى حتى الايمان والكفر وموضع المعجزة ان الاشيا المحشورة منها ناطق ومنها
ومنها صامت فاذا انطق الله الكل حتى يشهدون لك بصحة ما تقول كان ذلك
في غاية الاعجاز وقيل قبلا من المقابلة والمواجهة وحشرنا عليهم كل شي مواجهة
ومعاينة ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله اخبر الله ان الايمان بمشيته لا كما
ظنوا انهم متى شاوا امنوا ومتى شاوا لم يومنوا وقال ابن عباس ما كانوا ليومنوا
هم اهل الشقا الا ان يشا الله هم اهل السعادة الذين سبق لهم في علمه انهم يدخلون
يدخلون في الايمان وصحح الطبري قول ابن عباس قال لان الله عم بقوله ما كانوا
ليومنوا القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لين جاءتهم
اية ليومنن بها ثم استثنى منهم اهل السعادة وهم الذين شا لهم الايمان وقوله
تعالى **ولكن اكثرهم يجهلون** يعني يجهلون ان ذلك كذلك ويحسبون
ان الايمان اليهم متى شاوا امنوا ومتى شاوا كفروا وليس الامر كذلك بل الايمان
والكفر بمشية الله تعالى فمن شا له الايمان امن ومن شا له الكفر كفر وفي
هذا دليل لمذهب اهل السنة ان الاشيا كلها بمشية الله تعالى ورد على القدرية





والمعتزلة في قولهم ان الله اراد الايمان في جميع الكفار قوله تعالى **وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا** قيل هو منسوق على قوله تعالى وكذلك زينا لكل امة عملهم اي كما
فعلنا ذلك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا وقيل معناه كما جعلنا لمن قبلك من الانبيا اعدا
كذلك جعلنا لك اعدا وفيه تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له يقول الله تبارك
وتعالى كما ابتليناك بهولا القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك عدوا ليعظم ثوابه
على ما يكابده من اذا اعدايه وعدو واحد يراد به الجمع يعني جعلنا لكل نبي اعدا **شياطين
الانس والجن** اختلف العلما في معنى شياطين الانس والجن على قولين احدهما ان المراد
شياطين من الانس وشياطين من الجن والشياطين كل عات متمرد من الجن والانس وهذا
قول ابن عباس في رواية عطا وهو قول مجاهد وقتادة قالوا وشياطين الانس اشد
تمردا من شياطين الجن لان شيطان الجن اذا عجز عن اغوا المومن الصالح واعياه ذلك
استعان على اغوايه بشيطان الانس ليفتنه ويدل على صحة هذا القول ما روي عن
ابي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعوذت بالله من شيطان الجن
والانس قلت يا رسول الله وهل للانس من شيطان قال نعم هم شر من شياطين الجن
ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري وقال مالك بن دينار ان شيطان الانس
اشد علي من شيطان الجن وذلك اني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن وشيطان
الانس يجيني فيجرني الى المعاصي القول الثاني ان الجميع من ولد ابليس واضيف الشياطين
الى الانس على معنى انهم يغوونهم وهذا قول عكرمة والضحاك والكلبي والسدي
ورواية عن ابن عباس قالوا والمراد بشياطين الانس التي من الانس وشياطين
الجن التي مع الجن وذلك ان ابليس قسم جنده فريقين فبعث فريقا منهم الى الجن وفريقا
منهم الى الانس فالفريقان شياطين الجن والانس بمعنى انهم يغوونهم ويضلونهم
وكلا الفريقين اعدا للنبي صلى الله عليه وسلم ولاوليايه من المومنين والصالحين
ومن ذهب الى هذا القول قال يدل على صحته ان لفظ الاية يقتضي اضافة الشياطين
الى الجن والانس والاضافة تقتضي المغايرة فعلى هذا تكون الشياطين نوعا مغايرا
للانس والجن وهم اولاد ابليس وقوله تعالى **يوحي بعضهم الى بعض** يعني يلقي ويسر
بعضهم الى بعض ويناجي بعضهم بعضا وهو الوسوسة التي يلقيها لمن يريد اغواءه فعلى
القول الاول ان شياطين الانس والجن يسر بعضهم الى بعض بما يفتنون به المومنين
والصالحين وعلى القول الثاني ان اولاد ابليس يلقي بعضهم بعضا في كل حين فيقول
شيطان الانس لشيطان الجن اضللت صاحبي بكذا وكذا فاضلل انت صاحبك بمثله
ويقول شيطان الجن لشيطان الانس كذلك فذلك وحي بعضهم الى بعض وقوله
**زخرف القول** يعني باطل القول والزخرف هو الباطل من الكلام الذي قد زين ووشي
بالكذب وكل شي حسن مموه فهو زخرف **غرورا** يعني الشياطين يغرون بذلك
القول المكذب المزخرف غرورا وذلك ان الشياطين يزينون الاعمال القبيحة لبني ادم
ويغرونهم بها غرورا **ولو شا ربك ما فعلوه** يعني ما فعلوا الوسوسة التي يلقونها الى

في قلوب بني آدم والمعنى ان الله تعالى لو شاء لمنع الشياطين من القاء الوسوسة الى الانس
والجن ولكن الله يمتحن من يشاء من عباده بما يعلم انه الاجزل له في الثواب اذا صبر
على المحنة **فذرهم وما يفترون** اي فخلهم يا محمد وما زين لهم ابليس وغرهم به من الكفر
والمعاصي فاني من وراءهم قوله تعالى **ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة**
قال ابن عباس ولتميل اليه واصل الصغو في اللغة الميل يقال صغى الى كذا اذا مال اليه
ويقال صغوت اصغو وصغيت اصغى لغتان قال ابن الانباري اللام في ولتصغى
متعلقة بفعل مضمر معناه وفعلنا بهم كذا لكي تصغى الى الباطل افئدة الذين لا يؤمنون
بالآخرة وقال غيره اللام متعلقة بيوحي تقديره يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول
ليغروا بذلك ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة والضمير في اليه يرجع
الى زخرف القول والمعنى ان قلوب الكفار تميل الى زخرف القول وباطله وتحبه
وترضى به وهو قوله **وليرضوه** يعني يرضون بذلك القول المزخرف الباطل **وليقترفوا
ما هم مقترفون** يعني وليكتسبوا من الاعمال الخبيثة ما هم مكتسبون قوله عز
وجل **افغير الله ابتغي حكما** اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين افغير الله اطلب حكما
قاضيا يقضي بيني وبينكم وذلك انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا
وبينك حكما فامره الله تعالى ان يجيبهم بهذا الجواب والحكم والحاكم واحد عند اهل اللغة
غير ان بعض اهل المعاني قال الحكم اكمل من الحاكم لان الحاكم من شانه ان يحكم والحكم اهل
ان يتحاكم اليه وهو الذي لا يحكم الا بالحق فالله تعالى حكم لا يحكم الا بالحق فلما انزل الله على محمد
القرآن فقد حكم له بالنبوة وهو قوله تعالى **وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا**
يعني مبينا فيه امره ونهيه ووعده ووعيده وفيه الحكم بيني وبينكم **والذين آتيناهم
الكتاب** يعني علماء اليهود والنصارى **يعلمون انه منزل من ربك بالحق** يعني
يشهدون ان هذا القرآن منزل من عند الله وذلك لما ثبت عندهم من الدلائل الدالة
على ذلك وقيل المراد بهم علماء الصحابة ورؤساؤهم مثل ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ونظرائهم
يعلمون ان هذا القرآن منزل من ربك بالحق فآمنوا به وصدقوه **فلا تكونن من الممترين**
يعني فلا تكونن يا محمد من الشاكين ان علماء اهل الكتاب يعلمون ان هذا القرآن حق وانه
منزل من عند الله وقيل معناه فلا تكونن في شك مما قصصنا عليك انه حق وصدق
فهو من باب التهييج لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وان كان في الظاهر
للنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به غيره والمعنى فلا تكونن ايها الانسان السامع
لهذا القرآن في شك انه منزل من عند الله لما فيه من الاعجاز الذي لا يقدر على مثله
الا الله تبارك وتعالى قوله تعالى **وتمت كلمات ربك** وقرئ كلمات ربك على الجمع
فمن قرأ على التوحيد قال الكلمة قد يراد بها الكلمات الكثيرة اذا كانت مضبوطة بضابط
واحد كقولهم قال الشاعر في كلمته يعني في قصيدته وكذلك القرآن كلمة واحدة لانه
شيء واحد في اعجاز النظم وكونه حقا وصدقا ومعجزا ومن قرأ بالجمع قال لان الله تعالى
قال في سياق الآية لا تبديل لكلماته فوجب الجمع في اللفظ الاول اتباعا للثاني



**صدقا وعدلا** يعني صدقا فيما وعد وعدلا فيما حكم وقيل ان القرآن مشتمل
على الاخبار وعلى الاحكام فهو صادق فيما اخبر عن القرون الماضية والامم الخالية وعما
هو كائن الى قيام الساعة وفيما اخبر عن ثواب المطيع في الجنة وعقاب العاصي في النار
وهو عدل فيما حكم من الامر والنهي والحلال والحرام وسائر الاحكام **لا مبدل لكلماته**
يعني لا مغير لقضائه ولا راد لحكمه ولا خلف لمواعيده وقيل لما وصف كلماته بالتمام في
قوله وتمت كلمات ربك والتمام في كلام الله لا يقبل النقص والتغيير والتبديل قال
تعالى لا مبدل لكلماته لانها مصونة عن التحريف والتغيير باقية الى يوم القيامة وفي قوله
لا مبدل لكلماته دليل على ان السعيد لا ينقلب شقيا ولا الشقي ينقلب سعيدا فالسعيد
من سعد في الازل والشقي من شقي في الازل واورد على هذا ان الكافر يكون شقيا بكفره
فيسلم فينقلب سعيدا باسلامه واجيب عنه بان الاعتبار بالخاتمة فمن ختم له بالسعادة
كان قد كتب سعيدا في الازل ومن ختم له بالشقاوة كان شقيا في الازل والله اعلم
وقوله تعالى **وهو السميع** يعني لما يقوله العباد **العليم** يعني باحوالهم قوله عز
وجل **وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله** قال المفسرون ان
المشركين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في اكل الميتة وذلك
انهم قالوا للمسلمين كيف تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل ربكم فقال الله
تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان تطع اكثر من في الارض في اكل الميتة وكان
الكفار يومئذ اكثر اهل الارض يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن دين الله
الذي شرعه لك وبعثك به وقيل معناه لا تطيعهم في معتقدهم الباطل فانك
ان تطعهم يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن طريق الحق ومنهج الصدق ثم اخبر
عن حال الكفار وما هم عليه فقال تعالى **ان يتبعون الا الظن** يعني ان هؤلاء
الكفار الذين يجادلونك ما يتبعون في دينهم الذي هم عليه الا الظن وليسوا على
بصيرة وحق في دينهم وليسوا بقاطعين انهم على حق لانهم اتبعوا اهواءهم وتركوا
التماس الصواب والحق واقتصروا على اتباع الظن والجهل **وان هم الا يخرصون** يعني
يكذبون واصل الخرص الحزر والتخمين ومنه خرص النخلة اذا حزر كمية ثمرتها على الظن
من غير تعيين وسمي الكذب خرصا لما يدخله من الظنون الكاذبة وقيل ان كل قول مقول
عن ظن وتخمين يقال له خرص لان قائله لم يقله عن علم ويقين **ان ربك هو اعلم
من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين** يعني وهو اعلم ايضا بمن كان على هدى
واستقامة وسداد لا يخفى عليه شيء من خلقه فاخبر تعالى انه اعلم بالفريقين الضال
والمهتدي وانه يجازي كلا بما يستحق قوله تعالى **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه**
هذا جواب لقول المشركين حيث قالوا للمسلمين انكم تاكلون مما قتلتم ولا تاكلون
ما قتل ربكم فقال الله تعالى للمسلمين فكلوا انتم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح
**ان كنتم بآياته مؤمنين** وقيل كانوا يحرمون اصنافا من النعم ويحلون الميتة
فقيل احلوا ما احل الله وحرموا ما حرم الله فعلى هذا القول تكون الآية خطابا

للمسلمين وهو الاصح لقوله في اخر الاية ان كنتم باياته مومنين **وما لكم ان لا تاكلوا مما**
**ذكر اسم الله عليه** يعني واي شي لكم من ان لا تاكلوا وما يمنعكم من ان تاكلوا
مما ذكر اسم الله عليه وهذا تاكيد في اباحة ما ذكر عليه اسم الله **وقد فصل لكم ما**
**حرم عليكم** يعني وقد بينت لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون وقال جمهور
المفسرين المراد بقوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم المحرمات المذكورة في قوله
تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به واورد الامام
فخر الدين الرازي هاهنا اشكالا فقال في سورة الانعام مكية وسورة المايدة
من اخر ما انزل الله بالمدينة وقوله وقد فصل لكم يجب ان يكون ذلك المفصل متقدما
على هذا المحل والمدني متاخر عن المكي فيمتنع كونه متقدما ثم قال بل الاولى ان
يقال قوله تعالى في هذه الاية قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون
ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير وهذه الاية وان كانت مذكورة بعد هذه
الاية بقليل الا ان هذا القدر من التاخر لا يمنع ان يكون هو المراد قال كاتبه وقد
ذكر المفسرون وجها وهو ان الله علم ان سورة المايدة متقدمة على سورة الانعام
في الترتيب لا في النزول فحسن عود الضمير في قوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم
الى ما هو متقدم في الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة الاية والله اعلم بمراده
قوله تعالى **الا ما اضطررتم اليه** يعني الا ان تدعوكم الضرورة الى اكله بسبب
شدة المجاعة فيباح لكم ذلك عند الاضطرار **وان كثيرا ليضلون باهوايهم بغير علم**
يعني وان كثيرا من الذين يجادلونكم في اكل الميتة ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم
اتاكلون ما تذبحون ولا تاكلون ما يذبحه الله وانما قالوا هذه المقالة جهلا
منهم بغير علم منهم بصحة ما يقولون بل يتبعون اهواءهم ليضلوا انفسهم واتباعهم
بذلك وقيل المراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين لانه اول من بحر البحاير
وسيب السوايب واباح الميتة وغير دين ابراهيم عليه السلام **ان ربك هو اعلم**
**بالمعتدين** يعني ان ربك يا محمد هو اعلم بمن تعدى حدوده فاحل ما حرم الله
وحرم ما احل الله فهو يجازيهم على سوء صنيعهم قوله عز وجل **وذروا ظاهر الاثم**
**وباطنه** يعني وذروا ايها الناس ما يوجب الاثم وهي الذنوب والمعاصي كلها
سرها وعلانيتها قليلها وكثيرها قال الربيع بن انس نهى الله عن ظاهر الاثم وباطنه
ان يعمل به سرا وعلانية وقال سعيد بن جبير في هذه الاية الظاهر منه قوله
ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف ونكاح المحارم من الامهات والبنات
والاخوات والباطن الزنا وقال السدي اما الظاهر فالزواني في الحوانيت وهم
اصحاب الرايات واما الباطن فالمراة يتخذها الرجل صديقة فياتيها سرا وقال الضحاك
كان اهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون ان ذلك حلال ما كان سرا فحرم الله السر
منه والعلانية وقال ابن زيد ظاهر الاثم طواف الرجال بالبيت نهارا عراة وباطنه
طواف النساء بالليل عراة وكان اهل الجاهلية يفعلون ذلك الى ان جاء الاسلام فنهى الله





عن ذلك كله وقيل ان ذلك النهي عام في جميع المحرمات التي نهى الله عنها وهو الاصح
لان تخصيص العلم ونصوره بعينه من غير دليل لا يجوز فعلى هذا القول يكون معنى
الاية وذروا ما اعلنتم به وما اسررتم من الذنوب بخوف الله عز وجل لا لخوف الناس
وقيل المراد بظاهر الاثم افعال الجوارح وباطنه افعال القلوب فيدخل في ذلك
الحسد والكبر والعجب وارادة السوء للمسلمين ونحو ذلك وقوله تعالى **ان الذين**
**يكسبون الاثم** يعني ان الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ويرتكبون ما حرم عليهم
من المعاصي وغيرها **سيجزون** يعني في الاخرة **بما كانوا يقترفون** يعني بما كانوا
يكسبون في الدنيا من الاثام وظاهر هذا النص يدل على عقاب المذنب انه مخصوص
بمن لم يتب لان المسلمين اجمعوا على انه اذا تاب العبد من الذنب توبة صحيحة لم
يعاقب وزاد اهل السنة في ذلك فقالوا المذنب اذا لم يتب فهو في خطر المشية
ان شاء عاقبه وان شاء عفى عنه بفضله وكرمه قوله تعالى **ولا تاكلوا مما لم يذكر**
**اسم الله عليه** قال ابن عباس الاية في تحريم الميتات وما في معناها من المنخنقة
وغيرها وقال عطا الاية في تحريم الذبايح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام
**فصل** اختلف العلماء في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله عليها
فذهب قوم الى تحريمها سواء تركها عامدا او ناسيا وهو قول ابن سيرين والشعبي
ونقل الامام فخر الدين عن مالك ونقل عن عطا انه قال كل ما لم يذكر اسم الله
عليه من طعام او شراب فهو حرام واحتجوا في ذلك بظاهر هذه الاية وقال الثوري
وابو حنيفة ان ترك التسمية عامدا لا تحل وان تركها ناسيا حل وقال الشافعي
تحل الذبيحة سواء ترك التسمية عامدا او ناسيا ونقل البغوي عن ابن عباس
ومالك ونقل ابن الجوزي عن احمد روايتين فيما اذا ترك التسمية عامدا وان تركها
ناسيا حلت فمن اباح اكل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها قال المراد من
الاية الميتات وما ذبح على اسم الاصنام بدليل انه قال تعالى في سياق الاية
وانه لفسق واجمع العلماء ان اكل ذبيحة المسلم التي ترك التسمية عليها لا يفسق
واحتجوا ايضا في اباحتها بما روي البخاري في صحيحه رضي الله عنها قالت قالوا يا رسول الله
ان هنا اقواما حديثا عهدهم بشرك ياتونا باللحمان فلا ندري يذكرون اسم الله عليها
ام لا قال اذكروا انتم اسم الله وكلوا قالوا لو كانت التسمية شرطا للاباحة لكان
الشك في وجودها مانعا من اكلها كالشك في اصل الذبح وقول الشافعي في اول الاية
وان كان عاما بحسب الصيغة الا ان اخرها لما حصلت فيه هذه القيود الثلاثة وهي
قوله وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم وان اطعتموهم انكم لمشركون
علمنا ان المراد من هذا العموم هو الخصوص والفسق ذكر اسم غير الله في الذبح كما
قال في اخر السورة قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الى قوله او فسقا
اهل لغير الله به فصار هذا الفسق الذي اهل لغير الله به مفسرا لقوله وانه لفسق
واذا كان كذلك كان قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه **وانه لفسق** مخصوص

بما الميل لغير اسم الله والله اعلم وقوله تعالى **وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم**
**ليجادلوكم** يعني ان الشياطين يوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم
ويخاصموا محمدا صلى الله عليه وسلم وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة
اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا فتزعم ان ما قتلت انت واصحابك حلال
وما قتله الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله عز وجل هذه الآية
وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية في تحريم الميتة كتبت فارس وهم المجوس الى مشركي
قريش ان خاصموا محمدا وقالوا له ان ما ذبحت فهو حلال وما ذبحه الله فهو حرام
فانزل الله وان الشياطين يعني مردة الانس وهم المجوس ليوحون الى اوليائهم يعني
مشركي قريش وكان بين فارس والعرب موالاة ومكاتبة على الروم فعلى هذا
يكون المراد بالوحي المكاتبة خفية **وان اطعتموهم** يعني في اكل الميتة وما حرم
الله عليكم **انكم لمشركون** يعني انكم مثلهم في الشرك قال الزجاج فيه دليل على ان كل
من احل شيئا مما حرم الله او حرم شيئا مما احل الله فهو مشرك وانما سمي مشركا لانه اثبت
حاكما غير الله عز وجل ومن كان كذلك فهو مشرك قوله عز وجل **أومن كان ميتا فاحييناه**
يعني او من كان ميتا بالكفر فاحييناه بالايمان وانما جعل الكفر موتا لانه جعل الايمان
حياة لان الحي بصير يهتدي الى رشده ولما كان الايمان يهدي الى الفوز العظيم والحياة
الابدية شبهه بالحياة **وجعلنا له نورا يمشي به في الناس** يعني وجعلنا له نورا يستضيء
به في الناس ويهتدي به الى قصد السبيل قيل النور هو الاسلام لانه يخلص من
ظلمات الكفر لقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقال قتادة هو كتاب الله القرآن
لانه بينة من الله مع المؤمنين **كمن مثله في الظلمات** يعني كمن هو في ظلمة الكفر
وظلمة الجهالة وظلمة عمى البصيرة **ليس بخارج منها** يعني من تلك الظلمات وهذا
مثل ضربه الله تعالى لحال المؤمن والكافر فبين ان المؤمن المهتدي بمنزلة من كان
ميتا فاحياه واعطاه نورا يهتدي به في مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو في ظلمات
منغمس فيها ليس بخارج منها فيكون متحيرا على الدوام ثم اختلف المفسرون في هذين
المثالين هل هما مخصوصان بانسانين معينين او هما عامان في كل مؤمن وكافر فذكروا
في ذلك قولين احدهما ان الآية في رجلين معينين ثم اختلفوا فيهما فقال ابن عباس
في قوله وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يريد حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه
وسلم كمن مثله في الظلمات يريد ابا جهل بن هشام وذلك ان ابا جهل رمى النبي صلى الله
عليه وسلم بفرث فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وكان حمزة قد رجع من صيده وبيده قوس
وحمزة لم يؤمن بعد فاقبل حمزة غضبانا حتى علا ابا جهل وجعل يضربه بالقوس وجعل
ابو جهل يتضرع الى حمزة ويقول يا ابا يعلى اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب
آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم عقولا تعبدون الحجارة من دون الله
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاسلم حمزة يومئذ فانزل الله
هذه الآية وقال الضحاك نزلت في عمر بن الخطاب وابي جهل وقال عكرمة والكلبي نزلت

في عمار



في عمار بن ياسر وابي جهل وقال مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل
وذلك ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صاروا نحن وهم كفرسي
رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن حتى يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت هذه
الآية والقول الثاني وهو قول الحسن ان هذه الآية عامة في حق كل مؤمن
وكافر وهذا هو الصحيح لان المعنى اذا كان حاصلا في الكل دخل فيه كل احد وقوله
تعالى **كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون** قال اهل السنة المزين
هو الله تعالى ويدل عليه قوله زينا لهم اعمالهم ولان حصول الفعل يتوقف على حصول
الدواعي وحصوله لا يكون الا بخلق الله تعالى فدل ذلك على ان المزين هو الله
تعالى وقالت المعتزلة المزين هو الشيطان ويرده ما تقدم وقوله تعالى **وكذلك
جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها** يعني وكما جعلنا في مكة اكابر وعظماء جعلنا في كل قرية
اكابر وعظماء وقيل هو معطوف على ما قبله ومعناه كما زينا للكافرين ما كانوا يعملون
كذلك جعلنا في كل قرية اكابر جمع الاكبر ولا يجوز ان يكون مضافا لانه لا يتم
المعنى بل في الآية تقديم وتأخير تقديره وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها اكابر
وانما جعل المجرمين لانهم اقدر على المكر والغدر وترويج الباطل بين الناس
من غيرهم وانما حصل ذلك لاجل رياستهم وذلك سنة الله انه جعل في كل قرية اتباع
الرسل ضعفاؤهم وجعل فساقهم اكابرهم **ليمكروا فيها** قال ابو عبيدة المكر
الخديعة والحيلة والغدر والفجور زاد بعضهم والغيبة والنميمة والايمان الكاذبة
وترويج الباطل قال ابن عباس معناه ليقولوا فيها الكذب وقال مجاهد جلس
على كل طريق من طرق مكة اربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
ويقولون هو كذاب ساحر كاهن فكان هذا مكرهم **وما يمكرون الا بانفسهم**
يعني ما يحيق هذا المكر الا بهم لان وبال مكرهم يعود عليهم **وما يشعرون** يعني
ان وبال ذلك المكر يعود عليهم ويضرهم قوله عز وجل **واذا جاءتهم آية قالوا لن
نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله** يعني من النبوة وذلك ان الوليد
ابن المغيرة قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت انا اولى بها منك لاني
اكبر منك سنا واكثر منك مالا فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت في
ابي جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان
قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فانزل الله
هذه الآية واذا جاءتهم آية يعني حجة بينة ودلالة واضحة على صدق محمد صلى الله
عليه وسلم قالوا يعني الوليد بن المغيرة وابا جهل بن هشام او كل واحد من رؤساء
الكفر ويدل عليه الآية التي قبلها وهي قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها
ليمكروا فيها فكان من مكر كفار قريش ان قالوا لن نؤمن لك حتى نؤتى مثل ما اوتي
رسل الله يعني من النبوة وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة حسدا منهم للنبي صلى الله
وفي قولهم لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قولان احدهما وهو المشهور ان القوم

ارادوا ان تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وان يكونوا
متبوعين لا تابعين وهذا القول الثاني وهو قول الحسن ومنقول عن ابن عباس
ان المعنى واذا جاءتهم اية من القران تامرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم قالوا
لن نؤمن لك يعني لن نصدقك حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني حتى يوحى الينا
ويأتينا جبريل يصدقك بانك رسول الله فعلى هذا القول لم يطلبوا النبوة وانما طلبوا
ان تخبرهم الملائكة بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وانه رسول من الله تعالى وعلى القول
الاول انهم طلبوا ان يكونوا انبياء ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وهو قوله
تعالى **الله اعلم حيث يجعل رسالاته** يعني انه تعالى يعلم من يستحق الرسالة
فيشرفه بها ويعلم من لا يستحقها ومن ليس باهل لها وانتم لستم لها باهل وان النبوة
لا تحصل لمن يطلبها خصوصا لمن عنده حسد ومكر وغدر وقال اهل المعاني
الابلغ في تصديق الرسل ان يكونوا قبل البعثة مطاعين في قومهم لان الطعن
كان يتوجه عليهم فيقال انما كانوا رؤساء مطاعين فاتبعهم قومهم لاجل ذلك فكان
الله تعالى اعلم بمن يستحق الرسالة فجعلها ليتيم ابي طالب دون ابي جهل والوليد
وغيرهما من اكابر قريش ورؤسائها وقوله تعالى **سيصيب الذين اجرموا صغار**
اي ذلة وهوان وقيل الصغار هو الذل الذي يصغر الى المرء نفسه فيه **عند الله**
يعني هذا من عند الله وقيل ان هذا الصغار ثابت لهم عند الله فعلى هذا القول
انما يحصل لهم الصغار في الاخرة وقيل معناه سيصيبهم صغار بحكم الله حكم به عليهم
في الدنيا **وعذاب شديد** يعني في الاخرة **بما كانوا يمكرون** يعني انما
حصل لهم هذا الصغار والعذاب بسبب مكرهم وحسدهم وطلبهم ما لا يستحقون
قوله تعالى **فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام** والايمان يقال شرح
الله صدره فانشرح اي وسعه لقبول الايمان والخير فتوسع وذلك ان
الانسان اذا اعتقد في عمل من الاعمال ان نفعه زائد وخيره راجح وربحه ظاهر
مال بطبعه اليه وقويت رغبته فيه فتسمى هذه الحالة سعة النفس وانشراح
الصدر وقيل الشرح الفتح والبيان يقال شرح فلان امره اذا اوضحه واظهره
وشرح المسالة اذا كانت مشكلة فاوضحها وبينها فقد ثبت ان للشرح معنيين
احدهما الفتح ومنه يقال شرح الكافر بالكفر صدرا اي فتحه بقبوله ومنه قوله
تعالى ومن شرح بالكفر صدرا وقوله افمن شرح الله صدره للاسلام يعني فتحه
ووسعه لقبوله والثاني ان الشرح نور يقذفه الله في قلب العبد فيعرف بذلك
النور الحق فيقبله وينشرح صدره له ومعنى الاية فمن يرد الله ان يهديه للايمان
بالله وبرسوله وبما جاء به من عند الله يوفقه له ويشرح صدره لقبوله ويهون
عليه ويسهله له بفضله وكرمه ولطفه به واحسانه اليه فعند ذلك يستنير الاسلام
في قلبه فيضيء به ويتسع له صدره ولما نزلت هذه الاية سئل النبي صلى الله عليه وسلم
عن شرح الصدر فقال النور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح قيل فهل

لذلك



لذلك امارة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل نزول الموت واسنده الطبري عن ابن مسعود قال قيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حين نزلت عليه هذه الاية فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
قال اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا فهل لذلك من اية يعرف بها قال
الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت
وقوله تعالى **ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا** يعني يجعل صدره ضيقا
حتى لا يدخله الايمان وقال الكلبي ليس للخير فيه منفذ وقال ابن عباس اذا سمع
ذكر الله اشماز قلبه واذا سمع ذكر الاصنام ارتاح الى ذلك وقرا عمر بن الخطاب
هذه الاية وعنده اعرابي من كنانة فقال له ما الحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة
تكون بين الاشجار التي لا تصل اليها راعية ولا وحشية ولا شيء فقال عمر كذلك
قلب المنافق لا يصل اليه شيء من الخير واصل الحرج الضيق وهو ماخوذ من الحرجة
وهي الاشجار الملتف بعضها على بعض حتى لا يصل اليها شيء وقرا ابن عباس هذه الاية
فقال هل هنا احد من بني بكر فقال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير
الشجر المستمسك الذي لا طريق فيه فقال ابن عباس كذلك قلب الكافر قال
اهل المعاني لما كان القلب محلا للعلوم والاعتقادات وصف الله تعالى قلب
من يريد هدايته بالانشراح والانفساح ونوره فقبل ما اودعه من الايمان
بالله ورسوله ووصف قلب من يريد ضلالته بالضيق الذي هو خلاف الشرح والانفساح
فدل ذلك على ان الله صير قلب الكافر بحيث لا يعي علما ولا استدلالا على توحيد الله
تعالى والايمان به وفي الاية دليل على ان جميع الاشياء بمشيئة الله وارادته
حتى ايمان المؤمن وكفر الكافر وقوله تعالى **كانما يصعد في السماء** يعني
ان الكافر اذا دعي الى الاسلام كانه قد كلف ان يصعد الى السماء ولا يقدر على ذلك
وقيل يجوز ان يكون المعنى كان قلب الكافر يصعد الى السماء نبوا عن الاسلام
وتكبرا وقيل ضاق عليه المذهب فلم يجد الا ان يصعد الى السماء وليس يقدر
على ذلك وقيل هو من المشقة وصعوبة الامر فيكون المعنى ان الكافر اذا دعي
الى الاسلام فانه يتكلف مشقة وصعوبة في ذلك كمن يتكلف الصعود الى السماء
وليس يقدر على ذلك **كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون**
الكاف في ذلك تفيد التشبيه وفيه وجهان الاول معناه ان جعله الرجس عليهم
الوجه الثاني قال الزجاج اي مثل ما قصصنا عليك كذلك يجعل الله الرجس
قال ابن عباس الرجس الشيطان اي سلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا
خير فيه وفي رواية عن ابن عباس ان الرجس العذاب وقال الزجاج الرجس في الدنيا
اللعنة وفي الاخرة العذاب قوله عز وجل **وهذا صراط ربك مستقيما**
يعني وهذا الذي بيناه لك يا محمد في هذه السورة وغيرها من سور القران هو
صراط ربك يعني دينه الذي شرعه لعباده ورضيه وجعله مستقيما لا اعوجاج فيه

قال ابن عباس في قوله وهذا صراط ربك مستقيما يعني الاسلام وقال ابن مسعود يعني القران
لانه يودي من تبعه وعمل به الى طريق الاستقامة والسداد **قد فصلنا الايات**
يعني قد فصلنا ايات القران بالوعد والوعيد والثواب والعقاب والحلال والحرام والامر
والنهي وغير ذلك من احكام القران **لقوم يذكرون** يعني لمن يتذكرها ويتعظ بما فيها
من المواعظ والعبر قال عطا يعني اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان **لهم**
**دار السلام عند ربهم** يعني الجنة في قول جميع المفسرين قال الحسن والسدي السلام
هو الله تعالى وداره الجنة ومعنى السلام في اسما الله تعالى ذي السلام وهو جميع سلامة
لانه تعالى ذو السلامة من جميع الافات والنقايص فعلى هذا القول اضيفت الدار الى
السلام الذي هو اسم الله تعالى اضافة تشريف وتعظيم كما قيل الكعبة بيت الله وللنبي
صلى الله عليه وسلم عبد الله في قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه والحجة لصحة هذا ان اضافة
الدار الى الله تعالى في نهاية تشريفها وتعظيمها فكان ذكر الاضافة مبالغة في تعظيم امرها
وقيل ان السلام صفة للدار لانها دار السلامة الدايمة التي لا تنقطع فعلى هذا يكون
السلام بمعنى السلامة كانه قال لهم دار السلامة التي لا يلقون فيها شيئا يكرهونه
وقيل سميت بذلك لان جميع حالاتها مقرونة بالسلامة كما قال تعالى في وصفها ادخلوها
بسلام امنين والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال تحيتهم فيها سلام
وقال سلام قولا من رب رحيم لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما وقوله عند ربهم يعني
ان الجنة معدة مهيئة لهم عند ربهم حتى يوصلهم اليها **وهو وليهم بما كانوا يعملون**
يعني انه تعالى يتولى امرهم وايصال المنافع اليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناه انه
يتولاهم في الدنيا بالتوفيق والهداية وفي الاخرة بالجزا والجنة وقيل الولي هو الناصر
والقريب وقيل انه تعالى ينصرهم في الدنيا ويقربهم في الاخرة بسبب اعمالهم الصالحة
التي كانوا يتقربون بها اليه في الدنيا قوله تعالى **ويوم يحشرهم جميعا** اي اذكر
يا محمد يوم نحشر العادلين بالله الاصنام مع اوليايهم من الشياطين يعني نحشر المشركين
والشياطين جميعا يوم القيامة **يا معشر الجن** فيه حذف تقديره يقول لهم
يا معشر الجن والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين **قد استكثرتم من الانس**
يعني من اضلالهم واغوايهم وقال ابن عباس معناه اضللتم كثيرا من الانس وهذا التفسير
لا بد له من تاويل اخر لان الجن لا يقدرون على اضلال الانس واغوايهم بانفسهم لانه لا يقدر
على الاشيا احد الا الله لانه المنفرد في خلقه بما شا فوجب ان يكون المعنى قد استكثرتم
من الدعا الى الاضلال مع مصادفة القبول من الانس **وقال اولياوهم من الانس**
**ربنا استمتع بعضنا ببعض** يعني استمتع الجن بالانس والانس بالجن فاما استمتاع الانس
بالجن فقال الكلبي كان الرجل في الجاهلية اذا سافر فنزل بارض قفر وخاف على نفسه
من الجن قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في جوارهم واما
استمتاع الجن بالانس فهو انهم قالوا قد سدنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون
بذلك شرفا في قومهم وعظما في انفسهم وقيل استمتاع الانس بالجن هو ما كانوا يلقون

اليهم

اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم الامور التي كانوا يهوونها وتسهيل
سبيلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة
والمعاصي وقيل استمتاع الانس بالجن هي طاعة الانس للجن فيما يامرونهم وينقادون
لحكمهم فصاروا كالروسا للانس والانس كالاتباع وقيل ان قوله ربنا استمتع بعضنا
ببعض هو من كلام الانس خاصة لان استمتاع الجن بالانس وبالعكس امر نادر لا يكاد
يظهر اما استمتاع الانس بعضهم ببعض ظاهر فوجب حمل الكلام عليه **وبلغنا اجلنا**
**الذي اجلت لنا** يعني ذلك الاستمتاع كان الى اجل معين ووقت محدود ثم ذهب
وبقيت الحسرة والندامة قال الحسن والسدي الاجل الموت وقيل هو وقت البعث
للحساب في يوم القيامة **قال** يعني قال الله لهولا الذين استمتع بعضهم ببعض
من الجن والانس **النار مثواكم** يعني النار مقامكم ومقركم فيها ومصيركم اليها
**خالدين فيها** يعني مقيمين في نار جهنم ابدا **الا ما شا الله** اختلفوا في معنى
هذا الاستثنا فقيل معناه خالدين فيها الا قدر مدة بعثهم ومقامهم للحساب
الى حين دخولهم الى النار فالى هذا الوقت ليسوا بخالدين فيه في النار وقيل المراد
من هذا الاستثنا هو اوقات نقلتهم من عذاب الى عذاب اخر وذلك انهم يستغيثون
من النار فينقلون الى الزمهرير ثم يستغيثون منه فينقلون الى النار فكانت
مدة نقلتهم هو المراد من هذا الاستثنا ونقل جمهور المفسرين عن ابن عباس انه قال
ان هذا الاستثنا يرجع الى قوم سبق فيهم علم الله انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله
عليه وسلم فيخرجون من النار قالوا فعلى هذا التاويل تكون ما في قوله الا ما شا الله
بمعنى من يعني الا من شا الله ونقل الطبري عن ابن عباس انه كان يتاول هذا الاستثنا
ان الله عز وجل جعل امر هولا القوم في مبلغ عذابهم الى مشيئته وقال في هذه الاية
انه لا ينبغي لاحد ان يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا نارا قال الزجاج والقول
الاول اولى لان معنى الاستثنا انما هو من يوم القيامة ثم قال خالدين فيها منذ يبعثون
الا ما شا الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة محاسبتهم **ان ربك حكيم**
يعني في تدبير خلقه وتصريفه اياهم في مشيئته من حال الى حال وغير ذلك من افعاله
وقيل حكيم فيما يفعله من ثواب الطايع وعقاب العاصي وفي ساير وجوه المجازاة
**عليم** يعني بعواقب امور خلقه وما هم اليه صايرون كما قال انما حكمت لهولا الكفار
بالخلود في النار لعلمي بانهم يستحقون ذلك قوله عز وجل **وكذلك نولي بعض الظالمين**
**بعضا** الكاف في ذلك كاف التشبيه تقتضي شيا تقدم ذكره فالتقدير كما انزلت
العذاب بالجن والانس الذين استمتع بعضهم ببعض كذلك نولي بعض الظالمين اي نسلط
بعضهم على بعض فناخذ من الظالم بالظالم كما جاء في الاثر من اعان ظالما سلطه الله
عليه وقال قتادة يجعل بعض اولياء بعض فالمومن ولي المومن حيث كان واين كان والكافر
ولي الكافر حيث كان واين كان وفي رواية اخرى عن قتادة قال يتبع بعضهم بعضا في
النار من الموالاة وقيل معناه نولي ظلمة الانس ظلمة الجن وظلمة الجن ظلمة الانس

يعني بكل بعضهم الى بعض وقال ابن عباس في تفسير هذه الاية هو ان الله تعالى اذا اراد بقوم
خيرا ولى عليهم خيارهم واذا اراد بقوم شرا ولى عليهم شرارهم فعلى هذا القول ان
الرعية متى كانوا ظالمين سلط الله عليهم ظالما مثلهم فان ارادوا ان يخرجوا من ظلم
ذلك الظالم فليتركوا الظلم وقوله تعالى **بما كانوا يكسبون** يعني نسلط عليهم
من يظلمهم بسبب اعمالهم الخبيثة الذي اكتسبوها قوله تعالى **يا معشر الجن
والانس** المعشر كل جماعة امرهم واحد والجمع معاشر **الم ياتكم رسل منكم** اختلف
العلماء في معنى هذه الاية وهل كان من الجن رسول ام لا فذهب اكثر العلما الى انه
لم يكن من الجن رسول وانما كانت الرسل من الانس واجابوا عن قوله رسل منكم
يعني من احدكم يعني الانس فحذف المضاف فهو كقوله يخرج منهما اللولو والمرجان
وانما يخرج من احدهما وهو الملح دون العذب وانما جاز ذكرهما فقد جمع في قوله مرج
البحرين وهو جائز في كل ما اتفق في اصله فكذلك لما اتفق ذكر الجن مع الانس جاز مخاطبتهما
الى ما ينصرف الى احد الفريقين وهم الانس وهذا قول الفرا والزجاج وهذا مذهب جمهور
اهل العلم قال الواحدي وعليه دل كلام ابن عباس لانه قال يريد انبيا من جنسهم ولم
يكن من جنس الجن نبيا وذهب قوم الى انه ارسل من الجن رسلا كما ارسل من الانس
رسلا منهم قال الضحاك من الجن رسل كما من الانس رسل قال ظاهر الاية يدل على ذلك
لانه تعالى قال الم ياتكم رسل منكم فخاطب الفريقين جميعا واجيب عن ذلك بان الله
تعالى قال يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم وهذا يقتضي كون الرسل من الانس
لا من الجن ويحتمل ايضا ان يقال ان كافة الرسل كانوا من الانس لان الله تعالى يلقي الداعية
في قلوب قوم من الجن حتى يسمعوا كلام الرسل من الانس ثم ياتوا قومهم من الجن فيخبروهم
بما سمعوا من الرسل وينذرونهم به كما قال الله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون
القران فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين وهذا مذهب مجاهد فانه قال الرسل من الانس
والنذر من الجن ونحو ذلك قال ابن جريج وابو عبيدة وقيل كان الرسل يبعثون
الى الجن من الجن ولكن بواسطة رسل الانس والله اعلم بمراده واسرار كتابه وقوله
تعالى **يقصون عليكم اياتي** يعني يخبرونكم بما اوحي اليهم من اياتي الدالة على
توحيدي وتصديق رسلي **وينذرونكم لقاء يومكم هذا** يعني ويحذرونكم
ويخوفونكم لقاء عذابي في يومكم هذا وهو يوم القيامة وذلك ان الله تعالى يقول
يوم القيامة لكفار الجن والانس على سبيل التقريع والتوبيخ ما اخبر في كتابه
وهو قوله يا معشر الجن والانس الاية فيجيبون بما اخبر عنهم في قوله تعالى **قالوا**
يعني كفار الجن والانس **شهدنا على انفسنا** اعترفوا بان الرسل قد اتتهم وبلغتهم
رسالات ربهم وانذرتهم لقاء يومهم هذا وانهم كذبوا الرسل ولم يومنوا بهم وذلك
حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك قال الله تعالى **وغرتهم الحياة الدنيا** يعني
انما كان ذلك بسبب انهم غرتهم الحياة الدنيا وما لوا اليها **وشهدوا على انفسهم
انهم كانوا كافرين** يعني في الدنيا فان قلت كيف اقروا على انفسهم بالكفر في هذه

الاية



الاية وجحدوا الشرك والكفر في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت يوم القيمة
يوم طويل والاحوال فيه مختلفة فاذا راوا ما حصل للمومنين من الخير والفضل
والكرامة انكروا الشرك لعل ذلك الانكار ينفعهم وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين
فحينئذ يختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر فذلك قوله
تعالى وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين فان قلت لم كرر شهادتهم على انفسهم
قلت شهادتهم الاولى اعتراف منهم بما كانوا عليه في الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب
الرسل وفي قوله شهدوا على انفسهم ذم لهم وتخطية لرايهم ووصف لقلة نظرهم
لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحياة الدنيا ولذاتها فكان عاقبة امرهم اضطروا الى
الشهادة على انفسهم بالكفر والمقصود من شرح حالهم تحذيرا للسامعين وزجرلهم
عن الكفر والمعاصي قوله عز وجل **ذلك** اشارة الى ما تقدم ذكره من بعثة الرسل
اليهم وانذارهم سوء العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذي قصصنا عليك يعني
امر الرسل وامر عذاب من كذبهم **ان لم يكن ربك** يعني لانه لم يكن ربك **مهلك
القرى بظلم** قال الكلبي معناه لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل ان ياتيهم الرسل
فتنهاهم فان رجعوا والا اتاهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفرا يجوز
ان يكون المعنى لم يكن ليهلكهم بظلم منه **واهلها وهم غافلون** فعلى قول الجمهور يكون
الظلم فعلا للكفار وهو شركهم وذنوبهم التي عملوها وعلى قول الفرا انه لو اهلكهم
قبل بعثة الرسل لكان ظالما والله عز وجل يتعالى على الظلم والقول الاول اصح
لانه تعالى يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه في شي من افعاله غير
انه اخبر انه لا يعذب قبل بعثة الرسل ولو فعل ذلك لم يكن ظلما منه قوله تعالى
**ولكل درجات مما عملوا** يعني ولكل عامل بطاعة الله او بمعصيته درجات يعني
منازل يبلغها بعمله ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر وانما سميت درجات لتفاضلها
في الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج وهذا انما يكون في الثواب والعقاب على
قدر اعمالهم في الدنيا فمنهم من هو اعظم ثوابا ومنهم من هو اشد عقابا وهو قول جمهور
المفسرين وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا يختص باهل الطاعة لان لفظ
الدرجة لا يليق الا بهم وقوله تعالى **وما ربك بغافل عما يعملون** يختص باهل
الكفر والمعاصي ففيه وعيد وتهديد لهم والقول الاول اصح لان علمه تعالى شامل
لكل المعلومات فيدخل فيه المومن والكافر والطايع والعاصي وانه عالم باعمالهم
على التفصيل التام فيجزي كل عامل على قدر عمله وما يليق به من ثواب او عقاب
قوله عز وجل **وربك الغني** يعني عن خلقه وذلك انه تعالى لما بين ان لكل عامل
بطاعة او معصية درجة على قدر عمله بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والعاصين
بالعقاب ليس لانه محتاج الى طاعة المطيع او ينتقص بمعصية العاصي بل هو الغني
على الاطلاق وان جميع الخلق فقرا اليه **ذو الرحمة** قال ابن عباس باوليايه واهل
طاعته وقال الكلبي بخلقه ذو التجاوز عنهم فمن رحمته تاخير العذاب عن المذنبين

لعلهم يتوبون ويرجعون **ان يشأ يذهبكم** يعني يهلككم الخطاب لاهل مكة ففيه
وعيد وتهديد لهم **ويستخلف** يعني وينشئ ويخلف **من بعدكم** يعني من بعد
اهلاككم **ما يشاء** يعني من خلقا غيركم امثل واطوع منكم **كما انشأكم من ذرية**
**قوم آخرين** اختلفت عبارات المفسرين في هذه اللفظة فقال البغوي ابائهم الماضين
قرنا بعد قرن وهم اهل سفينة نوح عليه السلام وقال الامام فخر الدين الرازي
في قوله تعالى ويستخلف من بعدكم يعني من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون
الا على طريق البدل من فايت واما قوله ما يشاء فالمراد منه خلق ثالث او رابع
واختلفوا فيه فقال بعضهم خلقا اخر من امثال الجن والانس قال القاضي وهو
الوجه الاقرب لان القوم يعلمون بالعادة انه تعالى قادر على انشاء امثال هذا
الخلق فمتى حمل خلق ثالث ورابع يكونا اولى في دلالة القدرة فكانه تعالى نبه
على ان قدرته ليست مقصورة على جنس دون جنس من الخلق الذين يصلحون لرحمته
العظيمة التي هي الثواب فبين بهذا الطريق انه تعالى لرحمته يمهل هؤلاء الاقوام
الحاضرين انعامهم وامهالهم ولو شاء لاماتهم وافناهم وابدل منهم سواهم ثم بين الله
تعالى قوة قدرته على ذلك فقال كما انشأكم من ذرية قوم اخرين لان المرء اذا
تفكر علم انه تعالى خلق الانسان من نطفة ليس فيها من صورته قليل ولا كثير
فوجب ان يكون ذلك بمحض القدرة والحكمة واذا كان كذلك فكما قدر على تصوير
هذه الاجسام بهذه الخاصة فكذلك يقدر على تصويرهم خلقا اخر مخالفا لهذا
هذا اخر كلامه وقال الطبري كما انشأكم من ذرية قوم اخرين نقول كما احدثكم
وابتدعكم من بعد خلق اخرين كانوا قبلكم ومعنى من في هذا الموضع التعقيب كما يقال
في الكلام اعطيتك من دينارك ثوبا يعني مكان الدينار ثوبا لان الثوب من الدينار
بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله كما انشأكم لم يرد باخبارهم هذا الخبر انهم انشئوا
من اصلاب قوم اخرين ولكن معنى ذلك ما ذكرنا انهم انشئوا مكان قوم اخرين قد
اهلكوا قبلهم قوله تعالى **ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين** يعني ما توعدون
به من مجيء الساعة والبعث بعد الموت والحشر للحساب يوم القيامة يدرككم بعد
الموت **قل** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد **يا قوم** اي قل لقومك من كفار
قريش **اعملوا على مكانتكم** وقرئ مكاناتكم على الجمع والمكانة تكون مصدرا يقال
مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة كما يقال مقام
ومقامة فقوله اعملوا على مكانتكم فيكون معناه اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى
استطاعتكم وامكانكم ويحتمل ان يكون معناه اعملوا على حالتكم التي انتم عليها كما يقال
للرجل اذا امر ان يثبت على حالة مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تتغير
عنه وقال ابن عباس معناه اعملوا على ناحيتكم **اني عامل** يعني اني عامل على مكانتي
التي انا عليها وما امرني به ربي والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والعداوة
فاني ثابت على الاسلام والمصابرة فان قلت ظاهر الاية يدل على امر الكفار بالاقامة



على ما هم عليه من الكفر وذلك لا يجوز قلت معنى الامر الوعيد والتهديد والمبالغة
في الزجر عما هم عليه من الكفر فكانه قال اقيموا على ما انتم عليه من الكفر ان رضيتم لانفسكم
بالعذاب الدائم فهو كقوله تعالى اعملوا ما شئتم ففيه تفويض امر العمال اليهم على
سبيل الزجر والتهديد وليس فيه اطلاق لهم في عمل ما ارادوه من الكفر والمعاصي
وقوله تعالى **فسوف تعلمون** يعني لمن تكون العاقبة المحمودة لنا او لكم وقيل
معناه فسوف تعلمون عند نزول العذاب بكم اينا كان على الحق في عمله نحن ام انتم
**من تكون له عاقبة الدار** يعني فسوف تعلمون غدا في يوم القيامة لمن تكون له
عاقبة الدار وهي الجنة **انه لا يفلح الظالمون** قال ابن عباس معناه انه لا يسعد
من كفر بي واشرك بي في هذه الاية قولان احدهما انها محكمة وهذا على قول من يقول
ان المراد بها ترك القتال قوله تعالى **وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا**
الاية لما بين الله عز وجل قبح طريقة الكفار وما كانوا عليه من انكار البعث وغير
ذلك عقبه بذكر انواع من جهالاتهم واحكامهم الفاسدة تنبيها على ضعف عقولهم
وفساد ما كانوا عليه في الجاهلية فقال تعالى وجعلوا لله مما ذرأ يعني مما خلق
من الحرث يعني الزرع والثمر والانعام يعني ومن الانعام وهي الابل والبقر والغنم
نصيبا يعني قسما وجزا قال المفسرون كان المشركون في الجاهلية يجعلون لله
من حروثهم وثمارهم وانعامهم وساير اموالهم نصيبا فما جعلوه من ذلك لله صرفوه
الى الضيفان والمساكين وما جعلوه للاصنام انفقوه عليها او على خدمتها فان
سقط منه شيء مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غني عن هذا
وان سقط شيء من نصيب الاوثان فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها محتاجة
اليه وكانوا اذا هلك شيء مما جعلوه لله لم يبالوا به واذا انتقص شيء مما جعلوه
للاوثان جبروه بما جعلوه لله فذلك قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام
نصيبا **فقالوا هذا لله بزعمهم** يعني قولهم الذي هو غير حقيقة لانه محض زعم
حكاية قول يكون مظنة الكذب وكذلك لا يجيء الا في موضع ذم القايل به وانما نسبوا
الى الكذب في قولهم هذا لله بزعمهم وان كانت الاشياء كلها لله لان اضافتهم لنصيب
الاصنام مع نصيب الله وهو قولهم **وهذا لشركائنا** يعني الاصنام وانما
سموا الاصنام شركا لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونه عليها **فما كان**
**لشركائهم** يعني ما جعلوه لها من الحرث والانعام فلا يصل الى الله يعني فلا يعطونه
لمساكين ولا ينفقونه على الضيفان **وما كان لله فهو يصل الى شركائهم**
والمعنى انهم كانوا يفردون ما جعلوه للاصنام مما جعلوه لله ولا يفردون ما جعلوه
لله مما جعلوه للاصنام وقال قتادة كانوا اذا اصابتهم سنة اي قحط وشدة
استعانوا بما جعلوه لله واكلوا منه ووفروا ما جعلوه لشركائهم ولم ياكلوا منه
شيئا وقال الحسن والسدي كانوا اذا هلك ما جعلوه لشركائهم اخذوا بدله مما
جعلوه لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لشركائهم فلذلك ذمهم الله تعالى فقال

**ساء ما يحكمون** يعني بئس ما يحكمون ويقضون وذلك انهم رجحوا جانب الاصنام
على جانب الله تعالى في الرعاية والحفظ وهذا سفه منهم وقيل ان الاشيا كلها لله عز وجل
وهو خلقها فلما جعلوا للاصنام جزا من المال وهي لا تملك ولا تخلق ولا تنصر ولا تنفع نسبوا
الى الاساءة في الحكم والمقصود من ذلك بيان ما كانوا عليه في الجاهلية من هذه الاحكام
الفاسدة التي لم يرد بها شرع ولا نص ولا يحسنها عقل قوله عز وجل **وكذلك** عطف
على قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا يعني كما فعلوا جهلا منهم كذلك
زين لكثير منهم قتل اولادهم شركاوهم والمعنى ان جعلهم لله نصيبا من اموالهم ولشركائهم
نصيبا وذلك في غاية الجهل بمعرفة الخالق المنعم لانهم جعلوا الاصنام مثله في استحقاق
النصيب وكذلك اقدامهم على قتل اولادهم في غاية الجهالة ايضا فكانه قال ومثل ذلك
الذي فعلوه في القسم جهلا وخطا وضلالا كذلك **زين** يعني حسن **لكثير من**
**المشركين قتل اولادهم** يعني به واد البنات احيا مخافة الفقر والعيلة
**شركاؤهم** يعني شياطينهم امروا ان يقتلوا اولادهم خشية الفقر وسميت الشياطين
شركاء لانهم اطاعوهم فيما امروهم به من معصية الله وقتل الاولاد فاشركوهم مع
الله في وجوب طاعتهم واضيف الشركا الى المشركين لانهم اطاعوهم واتخذوهم اربابا
وقال الكلبي شركاوهم سدنة الهتهم يعني خدامها وهم الذين كانوا يزينون ويحسنون
للكفار قتل الاولاد وكان الرجل في الجاهلية يقوم فيحلف لئن ولد له ولدا وكذا
غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله فعلى هذا القول الشركا
هم السدنة وخدام الاصنام سموا شركاء لانهم اشركوهم في الطاعة **ليردوهم**
يعني ليهلكوهم بذلك الفعل الذي امروهم به والارداء في اللغة الاهلاك قال
ابن عباس ليردوهم في النار **وليلبسوا عليهم دينهم** يعني وليخلطوا عليهم دينهم
قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين اسماعيل عليه السلام
فرجعوا عنه بتلبيس الشياطين وانما فعلوا ذلك ليزيلوهم عن الدين الحق الذي
كان عليه اسماعيل وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فوضعوا لهم هذه الاوضاع
الفاسدة وزينوها لهم **ولو شاء الله ما فعلوه** ولو شاء الله لعصمهم من ذلك
الفعل القبيح الذي زين لهم من تحريم الحرث والانعام وقتل الاولاد اخبر الله
عز وجل ان جميع الاشيا بمشيئته وارادته اذ لو لم يشا ما فعلوا ذلك **فذرهم**
يعني فاتركهم يا محمد **وما يفترون** يعني وما يختلقون من الكذب على الله فان الله
لهم بالمرصاد قوله تعالى **وقالوا** يعني المشركين **هذه انعام وحرث حجر** اي حرام
واصله المنع من الانتفاع منه بتحريمه وقيل هو من التضييق والحبس لانهم كانوا
يحبسون اشيا من انعامهم وحروثهم لالهتهم قال مجاهد يعني بالانعام البحيرة
والسائبة والوصيلة والحام **لا يطعمها الا من نشا بزعمهم وانعام حرمت ظهورها**
يعني الحوامي وهي التي حموا ظهورها عن الركوب فكانوا لا يركبونها يعني ياكلها خدام
الاصنام والرجال دون النسا **وانعام لا يذكرون اسم الله عليها** يعني لا

يذكرون

يذكرون اسم الله عليها عند الذبح وانما كانوا يذكرون عليها اسما الاصنام وقيل معناه
لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير لانه لما جرت العادة بذكر الله على فعل كل خير
ذم هؤلا على فعل ترك الخير **افترا عليه** يعني انهم كانوا يفعلون هذه الافعال ويزعمون
ان الله امرهم بها وذلك اختلاق وكذب على الله عز وجل **سيجزيهم بما كانوا يفترون**
فيه وعيد وتهديد لهم على افترايهم على الله الكذب قوله عز وجل **وقالوا ما في**
**بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا** يعني نساءنا قال
ابن عباس وقتادة والشعبي اراد اجنة البحاير والسوايب فما ولد منها حيا فهو
خالص للرجال دون النسا وما ولد منها ميتا اكله الرجال والنسا جميعا وهو قوله
تعالى **وان يكن ميتة فهم فيه شركاء** وادخلت الهاء في خالصة للتاكيد
والمبالغة كقولهم رجل علامة ونسابة وقال الفرا ادخلت الهاء لتانيث الانعام
لان ما في بطونها مثلها فانث لتانيثها وقال الكسائي خالص وخالصة واحد مثل
وعظ وموعظة وقيل اذا كان اللفظ عبارة عن مونث جاز تانيثه على المعنى وتذكيره
على اللفظ كما في هذه الاية فانه انث خالصة على المعنى وذكر محرم على اللفظ **سيجزيهم**
**وصفهم** يعني سيكافيهم بسبب وصفهم على الله الكذب **انه حكيم عليم** فيه
وعيد وتهديد يعني انه تعالى حكيم فيما يفعله عليم بقدر استحقاقهم قوله تعالى
**قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم** قال عكرمة نزلت فيمن يئد البنات
من ربيعة ومضر وكان الرجل يشارط الرجل ان يستحيي جاريته ويئد اخرى فاذا كانت
الجارية التي توءد غدا الرجل وراح من عند امراته وقال لها انت علي
كظهر امي ان رجعت اليك ولم تئديها فتخد لها في الارض خدا وترسل الى نسايها
فيجتمعون عندها ثم يتداولونها بينهم حتى اذا ابصرنه راجعا دستها في حفرتها
ثم سوت عليها التراب وقال قتادة هذا من صنيع اهل الجاهلية كان احدهم يقتل
ابنته مخافة السبي والفاقة ويغذو كلبه واما سبب الخسران المذكور في قوله قد
خسر الذين قتلوا اولادهم ان الولد نعمة عظيمة انعم الله بها على الوالد فاذا سعى
الرجل في ازالة هذه النعمة عنه وابطالها فقد استوجب الذم وخسر في الدنيا
والاخرة اما خسارته في الدنيا فقد سعى في نقص عدده وازالة ما انعم الله به
عليه واما خسارته في الاخرة فقد استحق بذلك العذاب العظيم وقوله سفها
بغير علم يعني فعلوا ذلك للسفاهة وهي الخفة والجهالة المذمومة وسبب حصول
هذه السفاهة هو قلة العلم بل عدمه لان الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا سموا جاهلية وقوله تعالى **وحرموا ما رزقهم الله**
يعني البحاير والسوايب والحامي وبعض الحروث وبعض ما في بطون الانعام وهذا ايضا
من اعظم الجهالة **افترا على الله** يعني انهم فعلوا هذه الافعال المذمومة وزعموا ان الله
امرهم بذلك وهذا افترا على الله وكذب وهذا من اعظم الجهالة لان الجراة على الله والكذب
عليه من اعظم الذنوب واكبر الكباير ولهذا قال تعالى **قد ضلوا** يعني في فعلهم عن طريق

الحق والرشاد **وما كانوا مهتدين** يعني الى طريق الحق والصواب في فعلهم خ عن ابن
عباس قال اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقرا ما بين الثلاثين والماية من سورة الانعام
قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم الى قوله قد ضلوا وما كانوا مهتدين قوله
عز وجل **وهو الذي انشا جنات معروشات وغير معروشات** يعني والله الذي
ابتدع وخلق جنات يعني بساتين معروشات وغير معروشات يعني مسموكات مرتفعات
وغير مرتفعات واصل العرش في اللغة شي مسقف يجعل عليه الكرم وجمعه عروش
يقال عرشت الكرم اعرشه عرشا وعرشته تعريشا اذا جعلته كهيئة السقف واعترش
العنب العريش اذا علاه وركبه واختلفوا في معنى قوله معروشات فقال ابن عباس
المعروشات ما انبسط على الارض وانتشر مما يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو
ذلك وغير معروشات ما قام على ساق ونسق كالنخل والزرع وساير الشجر وقال
الضحاك كلاهما في الكرم خاصة لان منه ما يعرش ومنه ما لم يعرش بل يبقى على وجه
الارض منبسطا وقيل المعروشات ما عرشه الناس في البساتين واهتموا به من شجر
من كرم وغيره وغير معروشات هو ما انبته الله في البراري والجبال من كرم او شجر
**والنخل والزرع** يعني وانشا النخل والزرع وهو جميع الحبوب التي تقتات
وتدخر **مختلفا اكله** يعني به اختلاف الطعوم في الثمار كالحلو والحامض والجيد
والردي ونحو ذلك **والزيتون والرمان متشابها** يعني في المنظر **وغير متشابه**
يعني في المطعم كالرمانتين لونهما واحد وطعمهما مختلف وقيل ان ورق الزيتون
يشبه ورق الرمان ولكن ثمرتهما مختلفة في الجنس والطعم **كلوا من ثمره اذا اثمر**
لما ذكر ما انعم الله به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على انواع من الثمار
ذكر ما هو المقصود الاصلي وهو الانتفاع بها فقال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر
وهذا امر اباحة وتمسك به بعضهم فقال الامر قد يرد لغير الوجوب لان
هذه الصيغة مفيدة لدفع الحرج وقال بعضهم المقصود منه اباحة الاكل قبل
اخراج الحق لانه تعالى لما اوجب الزكاة في الحبوب والثمار كان يحتمل ان يحرم
على المالك ان ياكل منها شيا لمكان شركة الفقرا والمساكين معه فاباح الله ان ياكل
قبل اخراج الحق الواجب عليه فيه لان رعاية حق النفس مقدمة على رعاية حق
الغير وقيل انما قال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر بصيغة الامر ليعلم ان المقصود
من خلق هذه الاشيا التي انعم الله بها على عباده هو الاكل **واتوا حقه يوم حصاده**
يعني يوم جذاذه وقطعه واختلفوا في هذا الحق المامور باخراجه فقال ابن عباس
وانس بن مالك هو الزكاة المفروضة وهذا قول طاوس والحسن وجابر بن زيد
وسعيد بن المسيب ومحمد بن الحنفية وقتادة قال قتادة في قوله واتوا حقه
يوم حصاده الصدقة المفروضة ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم سن فيما سقت
السما والعين السايحة وسقاه الغيل والنيل الندا او كان بعلا العشور كاملا وان سقي
بنضح او ساقية فنصف العشور وهذا فيما كان من الثمرة او الزرع او بلغ خمسة اوسق

وذلك



وذلك ثلاثماية صاع وجب فيها حق الزكاة وفي رواية عن ابن عباس في قوله تعالى
واتوا حقه يوم حصاده قال هو العشر ونصف العشر فان قلت على هذا التفسير
اشكال وهو ان فرض الزكاة كان بالمدينة وهذه السورة مكية فكيف يمكن حمل
قوله واتوا حقه يوم حصاده على الزكاة المفروضة قلت ذكر ابن الجوزي في تفسيره
عن ابن عباس وقتادة ان هذه الاية نزلت بالمدينة فعلى هذا القول تكون الاية
محكمة نزلت في حكم الزكاة وان قلنا ان هذه الاية مكية تكون منسوخة باية
الزكاة لانه قد روي عن ابن عباس انه قال نسخت اية الزكاة كل صدقة في القران
وقيل في قوله واتوا حقه يوم حصاده انه حق سوى الزكاة فرض يوم الحصاد وهو
اطعام من حضر وترك ما سقط من الزرع والتمر وهذا قول علي بن الحسين وعطا
ومجاهد وحماد قال ابراهيم هو الضغث وقال الربيع هو لقط السنبل وقال
مجاهد كانوا يعلقون العذق عند الصرام فياكل منه من مر وقال يزيد بن الاصم كان اهل
المدينة اذا صرموا النخل يجيبون بالعذق فيعلقونه في جانب المسجد فيجي المسكين
فيضربه بعصاه فما سقط منه اكله فعلى هذا القول هل هذا الامر امر وجوب
او استحباب وندب فيه قولان احدهما انه امر وجوب فيكون منسوخا باية الزكاة
ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع والقول
الثاني انه امر ندب واستحباب فتكون الاية محكمة وقال سعيد بن جبير كان هذا حقا
يومر باخراجه في ابتدا الاسلام ثم صار منسوخا بايجاب العشر ولقول ابن عباس
نسخت اية الزكاة كل صدقة في القران واختار هذا القول الطبري وصححه والقاضي
الواحدي والرازي القول الاول وصححه فان قلت فعلى هذا القول الاول كيف
تودى الزكاة يوم الحصاد والحب في السنبل وانما يجب الاخراج بعد التصفية
والجفاف قلت معناه فقدروا اخراج الواجب منه يوم الحصاد فانه قريب من زمان
التصفية والجفاف ولان النخل يجب اخراج الحق منه يوم حصاده وهو الصرام والزرع
محمول عليه الا انه لا يمكن اخراج الحق منه الا بعد التصفية وقيل معناه واتوا
حقه الذي وجب يوم حصاده بعد التصفية وقيل ان فايدة ذكر الحصاد ان الحق
لا يجب بنفس الزرع وبلوغه انما يجب يوم حصاده وحصوله في يد مالكه لا فيما
يتلف من الزرع قبل حصوله في يد مالكه وقوله تعالى **ولا تسرفوا** الاسراف
تجاوز الحد فيما يفعله الانسان وان كان في الانفاق اشهر وقيل السرف تجاوز
ما حد لك وسرف المال انفاقه في غير منفعة ولهذا قال سفيان ما انفقت في
غير طاعة الله فهو سرف وان كان قليلا قال ابن عباس في رواية عنه عمد ثابت بن
قيس بن شماس وصرم خمسماية نخلة فقسمها في يوم واحد ولم يترك لاهله شيا
فانزل الله هذه الاية ولا تسرفوا قال السدي معناه لا تعطوا اموالكم وتقعدوا فقرا
قال الزجاج فعلى هذا لو اعطى الانسان كل ماله ولم يوصل الى عياله شيا فقد اسرف
لانه قد صح في الحديث ابدا بمن تعول وقال سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا

الصدقة فتأويل الآية على هذا القول لا تجاوزوا الحد في البخل والإمساك حتى
تمنعوا الواجب من الصدقة وهذان القولان يشتركان في أن المراد من الإسراف
مجاوزة الحد إلا أن الأول في البذل والإعطاء والثاني في الإمساك والبخل وقال
مقاتل معناه لا تشركوا الأصنام في الحرث والأنعام وهذا القول أيضا يرجع إلى مجاوزة
الحد لأن من أشرك الأصنام في الحرث والأنعام فقد جاوز ما حد له وقال الزهري
معناه لا تنفقوا في معصية الله عز وجل وقال مجاهد الإسراف ما قصرت به في حق
الله تعالى وقال لو كان أبو قبيس ذهبا فأنفقته في طاعة الله لم تكن مسرفا ولو أنفقت
درهما أو مدا في معصية الله كنت مسرفا وقال ابن زيد إنما خوطب بهذا السلاطين
نهوا أن يأخذوا من رب المال فوق الذي ألزمه الله ماله يقول الله عز وجل للسلاطين
لا تسرفوا أن لا تأخذوا بغير حق فكانت الآية بين السلطان وبين الناس وقوله
تعالى **إنه لا يحب المسرفين** فيه وعيد وزجر عن الإسراف في كل شيء لأن من لا يحبه
الله فهو من أهل النار قوله تعالى **ومن الأنعام** يعني وأنشأ من الأنعام **حمولة**
وهي كل ما يحمل عليها من الإبل **وفرشا** يعني صغار الإبل التي لا تحمل قال ابن عباس
الحمولة هي الكبار من الإبل والفرش هي الصغار من الإبل وقال في رواية أخرى عنه
ذكرها الطبري أما الحمولة فالإبل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه وأما
الفرش فالغنم وقال الربيع بن أنس الحمولة الإبل والبقر والفرش المعز والضأن
فالحمولة كل ما يحمل عليها من الأنعام والفرش ما لا يصلح للحمل سمي فرشا لأنه يفرش
للذبح ولأنه قريب من الأرض لصغره **كلوا مما رزقكم الله** يعني كلوا مما أحله
الله لكم من هذه الأنعام والحرث **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** يعني لا تسلكوا
طريقه وآثاره في تحريم الحرث والأنعام كما فعله أهل الجاهلية **إنه** يعني الشيطان
**لكم عدو مبين** يعني أنه مبين العداوة لكم ثم بين الحمولة والفرش فقال عز وجل
**ثمانية أزواج** يعني وأنشأ من الأنعام ثمانية أزواج يعني ثمانية أصناف والزوج
في اللغة الفرد إذا كان معه آخر من جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على
الواحد كما يطلق على الاثنين فيقال للذكر زوج وللأنثى زوج **من الضأن اثنين**
يعني الذكر والأنثى والضأن ذوات الصوف من الغنم والواحد ضائن والأنثى ضائنة
والجمع ضوائن **ومن المعز اثنين** يعني الذكر والأنثى والمعز ذوات الشعر من الغنم
والواحد ماعز والجمع معزى **قل آلذكرين حرم أم الأنثيين** استفهام إنكار
أي قل يا محمد لهؤلاء الجهلة الذكرين من الضأن والمعز حرم عليكم أم الأنثيين منهما
فإن كان حرم الأنثيين من الغنم فكل ذكورها حرام وإن كان حرم الأنثيين منهما فكل
إناثهما حرام **أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين** يعني أم حرم ما اشتملت عليه أرحام
الأنثيين من الضأن والمعز فإنها لا تشتمل إلا على ذكر وأنثى **نبئوني** أي أخبروني
وفسروا لي ما حرمتم **بعلم إن كنتم صادقين** يعني أن الله حرم ذلك عليكم **ومن
الإبل اثنين ومن البقر اثنين** وهذه أربعة أزواج أخر بقية الثمانية **قل آلذكرين**

حرم

**حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين** وتفسير هذه الآية نحو ما
تقدم وفي هذه الآية تقريع وتوبيخ من الله تعالى لأهل الجاهلية بتحريمهم ما لم
يحرمه الله وذلك أنهم كانوا يقولون هذه أنعام وحرث حجر وقالوا ما في بطون هذه
الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة
والحام وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال
كما أخبر الله عنهم في كتابه فلما جاء الإسلام وثبتت الأحكام جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم
وكان خطيبهم مالك بن عوف الجشمي فقال يا محمد بلغنا أنك تحرم أشياء مما كان آباؤنا
يفعلونه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمتم أصنافا من النعم على غير أصل
وإنما خلق هذه الأزواج الثمانية للأكل والانتفاع بها فمن أين جاء هذا التحريم من قبل
الذكر أم من قبل الأنثى فسكت مالك بن عوف وتحير ولم يتكلم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ما لك لا تتكلم فقال بل أنت تكلم وأسمع منك قال المفسرون
فلو قال جاء التحريم من قبل الذكر بسبب الذكورة وجب أن يحرم جميع الذكور
ولو قال بسبب الأنوثة وجب أن يحرم جميع الإناث وإن كان باشتمال الرحم عليه
فينبغي أن يحرم الكل لأن الرحم لا يشتمل إلا على ذكر أو أنثى وأما تخصيص التحريم
بالولد الخامس أو السابع أو البعض دون البعض فمن أين ذلك التحريم فاحتج الله
على بطلان دعواهم بهذين الآيتين وأعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن كل ما قالوه من
ذلك وأضافوه إلى الله فهو كذب على الله وأنه لم يحرم شيئا من ذلك وأنهم اتبعوا في
ذلك أهواءهم وخالفوا أمر ربهم وذكر الإمام فخر الدين في معنى الآية وجهين آخرين
ونسبهما إلى نفسه فقال إن الكلام ما ورد على سبيل الاستدلال على بطلان
قولهم بل هو استدلال على سبيل الإنكار يعني أنكم لا تقرون بنبوة نبي ولا تعرفون
شريعة شارع فكيف تحكمون بأن هذا يحل وهذا يحرم والوجه الثاني أنكم حكمتم
بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام مخصوصا بالإبل فالله تعالى بين أن النعم
عبارة عن هذه الأنواع الأربعة وهي الضأن والمعز والبقر فكيف خصصتم الإبل بهذا
الحكم دون هذه الأنواع الثلاثة قوله تعالى **أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا**
يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين يزعمون أن الله
حرم عليهم ما حرموا على أنفسهم من الأنعام والحرث هل شاهدتم الله حرم هذا عليكم
ووصاكم به فإنكم لا تقرون بنبوة أحد من الأنبياء فكيف تثبتون هذه الأحكام وتنسبونها
إلى الله عز وجل ولما احتج الله عليهم بهذه الحجة وبين أنه لا مستند لهم في ذلك قال تعالى
**فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم** يعني فمن أشد ظلما
وأبعد عن الحق ممن يكذب على الله ويضيف تحريم ما لم يحرمه الله إلى الله ليضل
الناس بذلك ويصدهم عن سبيل الله جهلا منه لأنه ليس هو على بصيرة وعلم في ذلك الذي
ابتدعه ونسبه إلى الله ويقول إن الله أمرنا بهذا قيل أراد به عمرو بن لحي لأنه أول
من بحر البحائر وسيب السوائب وغير دين إبراهيم عليه السلام ويدخل في هذا الوعيد

من كان على طريقته او ابتدع شيا لم يامر الله به ولا رسوله ونسب ذلك الى الله
تعالى لان اللفظ عام فلا وجه للتخصيص فكل من ادخل في دين الله ما ليس فيه فهو
داخل في هذا الوعيد ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني ان الله لا يرشد
ولا يوفق من كذب على الله واضاف اليه ما لم يشرعه لعباده قوله عز وجل قل لا
اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه اعلم ان الله لما بين الله تعالى فساد طريقة
اهل الجاهلية وما كانوا عليه من التحريم والتحليل من عند انفسهم واتباع اهوايهم
فيما احلوه وحرموه من المطعومات اتبعه بالبيان الصحيح في ذلك وبين ان التحريم
والتحليل لا يكون الا بوحي سماوي وشرع نبوي فقال تعالى قل اي قل يا محمد
لهولا المشركين الجاهلين الذين يحللون ويحرمون من عند انفسهم لا اجد فيما اوحي
وقيل انهم قالوا فما المحرم اذا فنزل قل لا اجد فيما اوحي الي محرما يعني شيا محرما
على طاعم يطعمه يعني على اكل اكله الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا يعني سايلا
مصبوبا او لحم خنزير فانه رجس اي نجس او فسقا اهل لغير الله به يعني ما
ذبح على غير اسم الله تعالى فبين الله تعالى في هذه الاية ان التحريم والتحليل لا يكون
الا بوحي به وان المحرمات محصورة في الاربعة اشيا المذكورة في هذه الاية وهي
الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على غير اسم الله وهذا مبالغة في ان
التحريم لا يخرج عن هذه الاربعة وذلك انه ثبت ان لا طريق الى معرفة المحرمات الا
بوحي وثبت ان الله تعالى نص في هذه الاية على هذه الاربعة اشيا ولهذا اختلف العلما
في حكم هذه الاية فذهب بعضهم الى ظاهرها وانه لا يحرم شي من ساير المطعومات والحيوان
الا ما ذكر في هذه الاية يروى ذلك عن ابن عباس وعايشة وسعيد بن جبير وهو ظاهر
مذهب مالك واحتجوا على ذلك بان هذه الاية محكمة لانها خبر والخبر لا يدخل النسخ
واحتجوا بان هذه الاية وان كانت مكية لكن يعضدها اية مدنية وهي قوله تعالى
في سورة البقرة انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله
وكلمة انما تفيد الحصر فصارت هذه الاية المدنية مطابقة للاية المكية في الحكم وذهب
جمهور العلما الى ان هذا التحريم لا يختص بهذه الاشيا المنصوص عليها في هذه الاية
فان المحرم بنص الكتاب هو ما ذكر في هذه الاية وقد حرمت السنة اشيا فوجب
القول بها منها تحريم الحمر الاهلية وكل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير عن المقدام
ابن معدي كرب قال قال رسول الله صلى الله الا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو
متكي على اريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه
وما وجدنا فيه حراما حرمناه وانما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله
تعالى اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ولابي داود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا اني اوتيت الكتاب ومثله معه الا يوشك رجل شبعان
على اريكته يقول عليكم بهذا القران فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم
فيه من حرام فحرموه الا لا يحل لكم الحمار الاهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا

لقطة



لقطة معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم ان يقروه فان لم
يقروه فله ان يعقبهم بمثل قراه عن ابن عباس قال كان اهل الجاهلية ياكلون اشيا
ويتركون اشيا تقذرا فبعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل كتابه واحل حلاله
وحرم حرامه فما احل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو معفو
وتلى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الاية اخرجه
ابو داود م عن ابن عباس قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ذي ناب من السباع
وكل ذي مخلب من الطير م عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن
اكل لحوم الحمر الاهلية ق عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية
واذن في الخيل وفي رواية اكلنا من خيبر الخيل وحمر الوحش ونهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الحمار الاهلي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن اكل الهر
واكل ثمنه وقد استثنى الشارع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال
واباح اكل ذلك وقد تقدم دليله والاصل في ذلك عند الشافعي ان كل ما لم يرد
فيه نص بتحليل ولا بتحريم فما كان امر الشرع بقتله كما ورد في الصحيح خمس
فواسق يقتلن في الحل والحرم الحية والعقرب والفارة والحداة والكلب العقور
وروي عن سعيد بن ابي وقاص ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل الوزغ اخرجه
البخاري ومسلم وسمي فويسقا وعن ابن عباس قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن قتل اربع من الدواب النملة والنحلة والهدهد والصرد اخرجه ابو داود فهذا
كله حرام لا يحل اكله وما سوى ذلك فالمرجع فيه الى الاغلب من عادة العرب فما
يستطيبه الاغلب منهم فهو حلال وما يستخبثه الاغلب منهم ولا ياكلونه فهو حرام
لان الله خاطبهم بقوله احل لكم الطيبات فما استطابوه فهو حلال فهذا تقدير ما يحل
ويحرم من المطعومات واما الجواب عن هذه الاية الكريمة فمن وجوه احدها ان يكون
المعنى لا اجد محرما مما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحاير والسوايب وغيرها
الا ما اوحي الي في هذه الاية الوجه الثاني ان يكون المراد وقت نزول هذه الاية
لم يكن محرما غير ما ذكر ونص عليه في هذه الاية ثم حرم بعد نزولها اشيا اخر
الوجه الثالث يحتمل ان هذا اللفظ العام خصص بدليل اخر وهو ما ورد في السنة
الوجه الرابع انما ذكر في هذه الاية محرم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو ما ورد في السنة من المحرمات والله اعلم بقي في الاية احكام في قوله تعالى او دما
مسفوحا وهو ما سال من الحيوان في حال الحياة او عند الذبح فان ذلك الدم
حرام نجس وما سوى ذلك كالكبد والطحال فانهما حلال لانهما دما ن جامدات
وقد ورد الحديث باباحتهما ولا ما اختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيها حمرة
الدم فقال لا باس هذا انما نهى عن الدم المسفوح وقال ابراهيم النخعي لا باس بالدم
في عرق او مخ الا المسفوح وقال عكرمة لولا هذه الاية لتتبع المسلمون الدم من
العروق كما تتبع اليهود وقوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد لما بين الله

المحرمات في هذه الآية ثم اباح اكلها عند الاضطرار من غير بغي ولا عدوان وفي قوله
**فان ربك غفور رحيم** دليل على الرخصة والاباحة عند الاضطرار قوله تعالى **وعلى
الذين هادوا** يعني اليهود **حرمنا كل ذي ظفر** قال ابن عباس هو البعير والنعامة
ونحو ذلك من الدواب وقيل هو ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهايم والطير مثل
البعير والنعامة والاوز والبط قال القتيبي هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر
من الدواب وسمي الحافر ظفرا على الاستعارة **ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما**
يعني شحم الجوف وهي الثروب وشحم الكليتين **الا ما حملت ظهورهما** يعني الا ما علق بالظهر
والجنب من داخل بطونهما من الشحم فانه غير محرم عليهم وقال السدي وابو صالح
الالية مما حملت ظهورهما وهذا القول مختص بالغنم لان البقر ليس لها الية
**او الحوايا** وهي المباعر في قول ابن عباس وجمهور المفسرين واحدتها حاوية
وحويه وقيل الحوايا المباعر والمصارين غير محرم على اليهود **او ما اختلط بعظم**
يعني من شحم الالية لانه اختلط بالعصعوص وكذا الشحم المختلط بالعظام التي تكون
في الجنب والراس والعين فكل هذا حلال على اليهود فحاصل هذا ان الذي حرم عليهم
شحم الثرب وشحم الكلية وما عداه لك فهو حلال عليهم **ق** عن جابر بن عبد الله قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر
والميتة والخنزير والاصنام فقال يا رسول الله ارايت شحوم الميتة فانه يطلى
به السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله لما حرم عليهم شحومها
جملوه ثم باعوه فاكلوا ثمنه فقوله جملوه يعني اذابوه يقال للجملت الشحم وجملته اذا اذبته
وجملته اكثر وافصح وقوله تعالى **ذلك جزيناهم** اي ذلك التحريم جزيناهم عقوبة
**ببغيهم** يعني بسبب بغيهم وظلمهم وهو قتل الانبيا واخذ الربا واستحلالهم
اموال الناس بالباطل **وانا لصادقون** يعني في الاخبار عن بغيهم وفي الاخبار عن
تخصيصهم بهذا التحريم **فان كذبوك** يعني فان كذبوك اليهود يا محمد فيما اخبرناك
انا حرمنا عليهم واحللنا لهم مما بيناه في هذه الاية المتقدمة **فقل ربكم ذو رحمة
واسعة** يعني بتاخير العقوبة عنكم فان رحمته تسع المسيء والمحسن فلا يعجل بالعقوبة
على من كفر به او عصاه **ولا يرد باسه** يعني ولا يرد عذابه ونقمته اذا جاء وقتها **عن
القوم المجرمين** يعني الذين كذبوا الانبيا وهم الكفار واليهود وقوله عز وجل
**سيقول الذين اشركوا** لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من
الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله اخبر الله تعالى عنهم بما سيقولونه فقال تعالى
سيقول الذين اشركوا يعني مشركي قريش والعرب **لو شاء الله ما اشركنا ولا اباونا**
يعني من قبل قال المفسرون جعلوا قولهم لو شاء الله ما اشركنا حجة على اقامتهم
على الكفر والشرك وقالوا ان الله قادر على ان يحول بيننا وبين ذلك **ولا حرمنا
من شيء** يعني ما حرموه من البحاير والسوايب وغير ذلك فقال الله عز وجل ردا

وتكذيبا

وتكذيبا لهم **كذلك كذب الذين من قبلهم** يعني من كفار الامم الخالية الذين كانوا قبل قومك
كذبوا انبياءهم وقالوا مثل قول هولاء **حتى ذاقوا باسنا** يعني عذابنا **فصل**
استدل القدرية والمعتزلة بهذه الاية فقالوا ان القوم لما قالوا لو شاء الله ما
اشركنا كذبهم الله ورد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وايضا فان الله تعالى
حكى عن هولاء الكفار صريح مذهب الجبرية وهو قولهم لو شاء الله منا ان لا نشرك لم نشرك
ولمنعنا عن هذا الكفر وحيث لم يمنعنا عنه ثبت انه مريد له واذا اراده منا امتنع تركه
منا والجواب عن هذا بان الله تعالى حكى عن هولاء الكفار انهم قالوا لو شاء الله ما اشركنا
ثم ذكر عقيبه كذلك كذب الذين من قبلهم وهذا التكذيب ليس هو في قولهم لو شاء
الله ما اشركنا لان ذلك القول حق وصدق ولكن الكذب في قولهم ان الله امرنا به
ورضي ما نحن عليه كما اخبر عنهم في سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا
عليها اباءنا والله امرنا بها فرد الله تعالى عليهم بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشا
والدليل ان التكذيب في قولهم ان الله امرنا بهذا ورضيه منا لا في قولهم لو شاء الله
ما اشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان خبرا من الله عن كذبهم
في قولهم لو شاء الله ما اشركنا لقال كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان
ينسبهم الى الكذب لا الى التكذيب وقال الحسين بن الفضل لو قالوا هذه المقالة
تعظيما لله واجلالا له ومعرفة بحقه وبما يقولون لما عابهم بذلك ولكنهم قالوا
هذه المقالة تكذيبا وجدلا من غير معرفة بالله وبما يقولون وقيل في معنى الاية
انهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة وهو قوله لو شاء الله ما اشركنا الا انهم كانوا يعدونه
عذرا لانفسهم ويجعلونه حجة لهم في ترك الايمان والرد عليهم في ذلك ان الله امر بمعزل
عن مشيئته وارادته فانه تعالى مريد لجميع الكاينات غير امر لجميع ما يريد فعلى العبد
ان يتبع امره وليس له ان يتعلق بمشيئته فان مشيئته لا تكون عذرا لاحد عليه
في فعله فهو تعالى يشاء الكفر من الكافر ولا يرضى به ولا يامر به ومع هذا فيبعث الرسل
الى العبد ويامره بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع فالحاصل
انه تعالى حكى عن الكفار انهم يتمسكون بمشيئة الله تعالى في شركهم وكفرهم
فاخبر الله تعالى ان هذا التمسك فاسد باطل فانه لا يلزم من ثبوت المشيئة
لله تعالى في كل الامور دفع دعوة الانبيا عليهم السلام والله اعلم وقوله تعالى **قل
هل عندكم من علم** اي قل يا محمد لهولاء المشركين القايلين لو شاء الله
ما اشركنا ولكنه رضي الله ما نحن عليه من الشرك هل عندكم من علم يعني بدعواكم ما
تدعون من علم يعني من حجة وكتاب يوجب اليقين من العلم **فتخرجوه لنا** يعني
فتظهروا ذلك العلم لنا وتبينوه كما بينا لكم خطا قولكم وفعلكم وتناقض ذلك لو تحانة
في العقول **ان تتبعون الا الظن** يعني فيما انتم عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرمه
الله عليكم وتحسبون انكم على حق وانما هو باطل **وان انتم الا تخرصون** يعني
وما انتم في ذلك كله الا تكذبون ويقولون على الله الباطل قوله تعالى **قل فلله**

**الحجة البالغة** يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين حين عجزوا عن اظهار علم او حجة
لهم فلله الحجة البالغة يعني التامة على خلقه بانزال الكتاب وارسال الرسل
قال الربيع بن انس لا حجة لاحد عصى الله او اشرك به على الله ولكن لله الحجة البالغة
على عباده **فلو شاء لهداكم اجمعين** يعني ولو شاء الله لوفقكم اجمعين للهداية
ولكنه لم يشأ ذلك وفيه دليل على انه تعالى لم يشأ ايمان الكافر ولو شاء لهداه
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون **قل هلم شهداءكم الذين يشهدون** يعني هاتوا
وادعوا شهداءكم وهلم كلمة دعوة الى الشيء يستوي فيه الواحد والاثنين والجمع
والذكر والانثى وفيه لغة اخرى يقال للواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع هلموا
وللانثى هلمي واللغة الاولى افصح **ان الله حرم هذا** وهذا تنبيه من الله باستدعا
الشهود من الكافرين على تحريم ما حرموه على انفسهم وقالوا ان الله امرنا به
ليظهروا ان لا شاهد لهم على ذلك وانما اختلقوه من عند انفسهم **فان شهدوا**
**فلا تشهد معهم** وهذا تنبيه ايضا على كونهم كاذبين في شهادتهم فلا تشهد انت
يا محمد معهم لانهم في شهادتهم كاذبين **ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا** يعني
ان وقع منهم شهادة فانما هي باتباع الهوى فلا تتبع انت يا محمد اهواءهم ولكن
اتبع ما اوحي اليك من كتابي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
**والذين لا يؤمنون بالاخرة** اي ولا تتبع اهواء الذين لا يؤمنون بالاخرة **وهم**
**بربهم يعدلون** يعني يشركون قوله عز وجل **قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم**
لما بين الله تعالى فساد مقالة الكفار فيما زعموا ان الله امرهم بتحريم ما حرموه
على انفسهم فكانهم سالوا وقالوا اي شيء حرم الله فامر الله عز وجل نبيه محمدا
صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم تعالوا لان المخاطب الذي صار عاما واصله
ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وقيل
اصله ان تدعو الانسان الى مكان مرتفع وهو من العلو وهو ارتفاع المنزلة فكانه
دعا الى ما فيه رفعة وشرف ثم كثر في الاستعمال والمعنى تعالوا وهلموا ايها القوم
اتل عليكم يعني اقرأ ما حرم ربكم عليكم يعني الذي حرم ربكم عليكم حقا يقينا لا شك
فيه ولا ظنا ولا كذبا كما تزعمون انتم بل هو وحي اوحاه الله الي **ان لا تشركوا به**
**شيئا** فان قلت ترك الاشراك واجب فما معنى قوله ان لا تشركوا به شيئا لانه
كالتفصيل لما اجمله في قوله حرم ربكم عليكم وذلك لا يجوز قلت الجواب عنه من وجوه الوجه
الاول ان يكون موضع ان رفع معناه هو ان لا تشركوا الوجه الثاني ان يكون محله
النصب واختلفوا في وجه انتصابه فقيل معناه حرم عليكم ان تشركوا وتكون لا صلة
وقيل ان حرف لا على اصلها ويكون المعنى اتل عليكم تحريم الشرك لا تشركوا ويكون
المعنى اوصيكم ان لا تشركوا لان قوله وبالوالدين احسانا محمول على اوصيكم بالوالدين
احسانا الوجه الثالث ان يكون الكلام قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم الا
تشركوا على الاغراء وبمعنى فرض عليكم ان لا تشركوا به شيئا ومعنى هذا الاشراك الذي





حرمه الله ونهى عنه هو ان يجعل لله شريكا من خلقه او يطيع مخلوقا في معصية الخالق
او يريد بعبادته رياء وسمعة ومنه قوله ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقوله عز
وجل **وبالوالدين احسانا** اي وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين احسانا وانما
ثنى بالوصية بالاحسان الى الوالدين لان اعظم النعم على الانسان نعمة الله
لانه هو الذي اخرجه من العدم الى الوجود وخلقه واوجده بعد ان لم يكن شيئا ثم بعد
نعمة الله نعمة الوالدين لانهما السبب في وجود الانسان ثم ما لهما عليه من حق
التربية والشفقة والحفظ من المهالك في حال صغره **ولا تقتلوا اولادكم من املاق**
يعني من خوف الفقر والاملاق الافتقار والمراد بالقتل وأد البنات وهن احياء وكانت
العرب تفعل ذلك في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن ذلك وحرمه عليهم **نحن نرزقكم**
**واياهم** يعني لا تئدوا ابناءكم خوف العيلة والفقر فاني رازقكم واياهم لان الله تعالى
اذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وتربيته والاتكال
في امر الرزق على الله عز وجل **ولا تقربوا الفواحش** يعني الزنا **ما ظهر منها وما بطن**
يعني علانيته وسره وكان اهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به
باسا في السر فحرم الله تعالى الزنا في السر والعلانية وقيل ان الاولى حمل لفظ
الفواحش على العموم في جميع الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل فيها الزنا وغيره
لان المعنى الموجب لهذا النهي هو كونه فاحشة فحمل اللفظ على العموم اولى من تخصيصه
بنوع من الفواحش وايضا فان السبب اذا احترز عن المعاصي في الظاهر ولم يحترز منها
في الباطن دل ذلك على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله وطاعته فيما امر به او نهى
عنه ولكن لاجل الخوف من رؤية الناس وذمهم ومن كان كذلك استحق العقاب
ومن ترك المعصية ظاهرا وباطنا لاجل خوف الله وتعظيما لامره استوجب رضوان
الله وثوابه **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق** حرم الله تعالى قتل النفس
الا بالحق وقتلها من جملة الفواحش المتقدم ذكرها في قوله تعالى ولا تقربوا الفواحش
وانما افرد قتل النفس بالذكر تعظيما لامر القتل وانه من اعظم الفواحش والكبائر
وقيل انما افرده بالذكر لانه تعالى اراد ان يستثني منه ولا يمكن ذلك الاستثناء
من جملة الفواحش الا بالاخراج فلذلك قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها
الا بالحق وهو الذي ابيح قتلها من ردة او قصاص او زنا بعد احصان وهو الذي يوجب
الرجم **ق** عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم
يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس
بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة وقوله تعالى **ذلكم** يعني ما ذكر من
الاوامر والنواهي المحرمات **وصاكم به** يعني امركم به واوجبه عليكم **لعلكم**
**تعقلون** يعني لكي تفهموا ما في هذه التكاليف من الفوائد والمنافع فتعملوا بها
قوله تعالى **ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن** يعني ولا تقربوا مال اليتيم
الا بما فيه صلاحه وتثميره وتحصيل الربح له قال مجاهد هو التجارة فيه وقال

الضحاك هو ان يسعى له فيه ولا يأخذ من ربحه شيئا هذا اذا كان القيم بالمال غنيا غير محتاج فلو كان الوصي فقيرا فله ان يأكل بالمعروف **حتى يبلغ أشده** يعني احفظوا مال اليتيم الى ان يبلغ اشده فاذا بلغ اشده فادفعوا اليه ماله فاما الاشد فهو استحكام قوة الشباب والسن حتى يتناهى في الشباب الى حد الرجال قال الشعبي ومالك الاشد الحلم حتى تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات وقال ابو العالية حتى يعقل وتجتمع قوته وقال الكلبي الاشد عشرون سنة وقال السدي الاشد ثلاثون سنة وقال مجاهد الاشد ثلاث وثلاثون سنة وهذه الاقوال التي نقلت عن المفسرين في هذه الاية انما هي نهاية الاشد ابتداؤه والمراد بالاشد في هذه الاية هو ابتداؤه بلوغ الحلم مع ايناس الرشد وهذا هو المختار في تفسير هذه الاية وقوله تعالى **واوفوا الكيل والميزان بالقسط** يعني بالعدل من غير زيادة ولا نقصان **لا نكلف نفسا الا وسعها** يعني طاقتها وما يسعها في ايفاء الكيل والميزان واتمامه لم يكلف المعطي ان يعطي اكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضى باقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل امر كل واحد بما يسعه مما لا حرج عليه فيه **واذا قلتم فاعدلوا** يعني في الحكم والشهادة **ولو كان ذا قربى** يعني المحكوم عليه والمشهود عليه وقيل ان الامر بالعدل في القول هو اعم من الحكم والشهادة بل يدخل فيه كل قول حتى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير زيادة فيه ولا نقصان كاداء الامانة وغير ذلك في جميع الاقوال التي يعتمد فيها العدل والصدق **وبعهد الله اوفوا** يعني ما عهد الى عباده ووصاهم به واوجبه عليهم وما اوجبه الانسان على نفسه كنذر ونحوه فيجب الوفاء به **ذلكم** يعني الذي ذكر في هذه الايات **وصاكم به** يعني العمل به **لعلكم تذكرون** يعني لعلكم تتعظون وتتذكرون فتأخذون ما امرتكم به قوله عز وجل **وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه** يعني وان هذا الذي وصيتكم به وامرتكم به في هذين الايتين هو صراطي يعني طريقي وديني الذي ارتضيته لعبادي مستقيما يعني قويما لا اعوجاج فيه فاتبعوه يعني فاعملوا به وقيل ان الله تعالى لما بين في الايتين المتقدمتين ما اوصى به مفصلا اجمله في هذه الاية اجمالا يقتضي دخول جميع ما تقدم ذكره فيه ويدخل فيه ايضا جميع احكام الشريعة وكلما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام هو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الذي ارتضاه لعباده المؤمنين وامرهم باتباع جملته وتفصيله **ولا تتبعوا السبل** يعني الطرق المختلفة والاهواء المضلة والبدع الردية وقيل السبل المختلفة مثل اليهودية والنصرانية وساير الملل والاديان المخالفة لدين الاسلام **فتفرق بكم عن سبيله** يعني فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه وطريقه الذي ارتضاه لعباده روى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا

ثم قال





ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرأ وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الاية **ذلكم وصاكم به** يعني باتباع دينه وصراطه الذي لا اعوجاج فيه **لعلكم تتقون** يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة قال ابن عباس هذه الايات محكمات في جميع الكتب لم ينسخهن شيء وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن ابن مسعود قال من سره ان ينظر الى الصحيفة التي عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم فليقرأ هؤلاء الايات قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الايات الى قوله لعلكم تتقون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى **ثم آتينا موسى الكتاب** يعني التوراة فان قلت ايتاء موسى الكتاب كان قبل نزول القرآن وحرف ثم للتعقيب فما معنى ذلك قلت دخلت ثم لتأخير الخبر لا لتأخير النزول والمعنى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم وهو كذا وكذا الى قوله لعلكم تتقون ثم اخبركم انا آتينا موسى الكتاب وقيل ان المحرمات المذكورة في قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم محرمات على جميع الامم وجميع الشرائع فتقديره الكلام ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم بعد ذلك آتينا موسى الكتاب يعني بعد ايجاب هذه المحرمات وقيل معناه قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم قل بعد ذلك يا محمد انا آتينا موسى الكتاب فحذف لفظة قل لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى **تماما على الذي احسن** اختلف اهل التفسير فيه فقيل معناه تماما على المحسنين من قومه فيكون الذي بمعنى من اي تماما على من احسن من قومه لانه كان منهم محسن ومسيء ويدل عليه قراءة ابن مسعود تماما على الذين احسنوا وقيل معناه تماما على كل من احسن اي اتممنا فضيلة موسى على المحسنين وهم الانبياء والمؤمنون اي اتممنا فضله عليهم بالكتاب وقيل الذي احسن هو موسى فيكون الذي بمعنى ما اي على ما احسن وتقديره وآتينا موسى الكتاب تماما للنعمة عليه لاحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة واداء الامر وقيل الاحسان بمعنى العلم وتقديره وآتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن موسى من العلم والحكمة زيادة له على ذلك وقيل معناه تماما مني على احساني الى موسى **وتفصيلا لكل شيء** يعني وفيه بيان لكل شيء يحتاج اليه من شرائع الدين واحكامه **وهدى** يعني فيه هدى من الضلالة **ورحمة** يعني اثر الله عليهم رحمة مني عليهم **لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون** قال ابن عباس لكي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب قوله عز وجل **وهذا كتاب انزلناه مبارك** يعني القرآن لانه كثير الخير والنفع والبركة ولا يتطرق اليه نسخ **فاتبعوه** يعني فاعملوا بما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام **واتقوا** يعني مخالفته **لعلكم ترحمون** يعني لتكون الغرض بالتقوى رحمة الله وقيل معناه لكي ترحموا على جزاء التقوى **ان تقولوا** يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية ان تقولوا يعني انزلنا اليكم الكتاب كراهية

ان تقولوا انما انزل الكتاب وقيل يجوز ان تكون متعلقة بما قبلها فيكون المعنى
واتقوا ان تقولوا ومن الخطاب لاهل مكة والمعنى واتقوا يا اهل مكة ان تقولوا انما
انزل الكتاب اسم جنس لان المراد به التوراة والانجيل على طائفتين من قبلنا
يعني اليهود والنصارى وان كنا اي وقد كنا وقيل وان كنا عن دراستهم يعني قراءتهم
لغافلين يعني لا علم لنا بما فيها لانه ليس بلغتنا والمراد بهذه الاية اثبات الحجة
على اهل مكة وقطع عذرهم بانزال القران على محمد صلى الله عليه وسلم بلغتهم لئلا يقولوا
يوم القيامة ان التوراة والانجيل انزلا على طائفتين من قبلنا بلسانهم ولغتهم
فلم نعرف ما فيها فقطع الله عذرهم بانزال القران عليهم بلغتهم او تقولوا لو انا انزل علينا
الكتاب لكنا اهدى منهم وذلك ان جماعة من الكفار قالوا لو انزل علينا ما انزل على اليهود
والنصارى لكنا خيرا منهم واهدى وانما قالوا ذلك لاعتمادهم على صحة عقولهم وجودة
فطنتهم وذهنهم قال الله عز وجل فقد جاءكم بينة من ربكم يعني هذا القران فيه
بيان وحجة واضحة تعرفونها وهدى يعني من الضلالة ورحمة يعني وهو رحمة ونعمة
انعم الله بها عليكم فمن اظلم اي لا احد اظلم واكفر ممن كذب بايات الله وصدف عنها
يعني واعرض عنها سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب يعني سوء العذاب
واشده بما كانوا يصدفون اي ذلك العذاب جزاؤهم بسبب اعراضهم وتكذيبهم
بايات الله قوله تعالى هل ينظرون هؤلاء بعد تكذيبهم الرسل وانكارهم القران وصدهم
عن ايات الله ومعنى استفهام ومعناه النفي وتقديره لا اية انهم لا يؤمنون بك الا اذا جاءتهم
احدى هذه الامور الثلاثة فاذا جاءتهم احدها امنوا وذلك حين لا ينفعهم ايمانهم الا
ان تاتيهم الملائكة يعني لقبض ارواحهم وقيل ان تاتيهم بالعذاب او ياتي ربك يعني
للحكم وفصل القضاء بين الخلق يوم القيامة وقد تقدم الكلام في معنى الاية في سورة
البقرة عند قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام بما فيه كفاية وان المجيء
والذهاب على الله محال فيجب امرارها بلا تكييف او ياتي بعض ايات ربك قال جمهور
المفسرين هو طلوع الشمس من مغربها ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل
طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض اخرجه مسلم عن ابي سعيد عن
النبي صلى الله عليه وسلم في قوله او ياتي بعض ايات ربك قال طلوع الشمس من مغربها
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه عن صفوان
ابن عسال المرادي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب من قبل المغرب مسيرة
عرضه او قال يسير الراكب في عرضه اربعين او سبعين سنة خلقه الله تعالى يوم
خلق السموات والارض مفتوحا للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا راها الناس امن من عليها

وفي



وفي رواية فاذا طلعت وراها الناس امنوا اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها
لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا م عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال
اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قلنا
الساعة فقال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات فذكر الدخان والدجال والدابة
وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وثلاث خسوف خسف بالمشرق
وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار تطرد الناس الى محشرهم م
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال قبل ست
طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة احدكم وامر العامة
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم انسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الايات خروجا طلوع
الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى
على اثرها قريبا وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود في تفسير هذه الاية
قال تصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين زاد
في رواية عنه فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في
ايمانها خيرا وبسنده عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اتدرون
اين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله اعلم قال انها تذهب الى مستقرها
تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي من حيث جئت
فتصبح طالعة من مطلعها لا ينكر الناس منها شيئا حتى تنتهي فتخر ساجدة في مستقرها
تحت العرش فيقال لها اطلعي من مغربك فتصبح طالعة من مغربها قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتدرون اي يوم ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم
لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وبسنده عن ابي
ذر قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار فنظر الى الشمس حين غربت
فقال انها تغرب في عين حمئة تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش حتى ياذن
لها فاذا اراد ان يطلعها من مغربها حبسها فتقول يا رب ان مسيري بعيد فيقول
لها اطلعي من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل وروى
بسنده عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات
فقال لهم عباد الله توبوا الى الله قبل ان ياتيكم بعض اياته توشكون ان تروا الشمس
من قبل المغرب فاذا فعلت حبست التوبة وطوي العمل فقال الناس هل لذلك من اية
يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اية تلك الليلة ان تطول كقدر
ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون له ثم يقضون صلاتهم والليل
مكانه لم ينقض ثم ياتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه فاذا
رأوا ذلك خافوا ان يكون ذلك بين يدي امر عظيم فاذا اصبحوا وطال عليهم راقبوا
اعينهم طلوع الشمس فبينما هم ينتظرونها اذ طلعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك

لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل قال ابن عباس لا ينفع مشركا ايمانه عند
الايات وينفع اهل الايمان عند الايات ان كانوا اكتسبوا خيرا قبل ذلك وقال ابن الجوزي
قيل ان الحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان الملحدة والمنجمين زعموا ان ذلك لا يكون
فيريهم الله قدرته فيطلعها من المغرب كما اطلعها من المشرق فيتحقق عجزهم وقيل
بل ذلك بعض الايات الثلاث الدابة او ياجوج وماجوج او طلوع الشمس من مغربها
يروى عن ابن مسعود انه قال التوبة معروضة على ابن ادم ان قبلها ما لم تخرج احدى
ثلاث الدابة او طلوع الشمس من مغربها او ياجوج وماجوج ويروى عن عايشة اذا
خرج اول الايات طرحت التوبة وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال
ويروى عن ابي هريرة في قوله تعالى او ياتي بعض ايات ربك قال هي مجموع الايات الثلاث
طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض واصح الاقوال في ذلك ما تظاهرت
عليه الاحاديث الصحيحة وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه طلوع الشمس من مغربها
وقوله تعالى **يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل**
يعني لا ينفع من كان مشركا ايمانه ولا تقبل توبة فاسق عند ظهور هذه الاية خيرا من
عمل صالح وتصديق قال الضحاك من ادركه بعض الايات وهو على عمل صالح مع ايمانه
قبل الله منه العمل بعد نزول الاية كما قبل منه قبل ذلك فاما من امن من شرك او تاب
من معصية عند ظهور هذه الاية فلا يقبل منه لانها حالة اضطرار كما لو ارسل الله
عذابا على امة فامنوا وصدقوا فانهم لا ينفعهم ايمانهم ذلك لمعاينتهم الاهوال والشدايد
التي لا تضطرهم الى الايمان والتوبة وقوله **قل انتظروا** يعني ما وعدتم به من مجيء الاية
ففيه وعيد وتهديد **انا منتظرون** يعني ما وعدكم ربكم من العذاب يوم القيامة او
قبلها في الدنيا قال بعض المفسرين وهذا انما ينتظره من تاخر في الوجود من المشركين
والمكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم الى ذلك الوقت والمراد بهذا ان المشركين انما
يمهلون قدر مدة الدنيا فاذا ماتوا وظهرت الايات لم ينفعهم الايمان وحلت بهم
العقوبة اللازمة ابدا وقيل ان قوله قل انتظروا انا منتظرون المراد منه الكف عن
قتال الكفار فتكون الاية منسوخة باية القتال وعلى القول الاول تكون الاية محكمة
قوله عز وجل **ان الذين فرقوا** وقرئ فارقوا **دينهم وكانوا شيعا** يعني
احزابا متفرقة في الضلالة ومعنى فرقوا دينهم انهم لم يجتمعوا عليه وهو دين ابراهيم
الحنيفية السمحة اديانا مختلفة كاليهودية والنصرانية وعبدة الاصنام ونحو ذلك
من الاديان المختلفة ومن قرا فارقوا دينهم قال معناه باينوه وتركوه من المفارقة للشيء
وقيل ان معنى القراتين يرجع الى شيء واحد في الحقيقة وهو ان من فرق دينه فامن ببعض
وانكر بعضا فقد فارق دينه في الحقيقة ثم اختلفوا في المعني بهذه الاية فقال الحسن
هم جميع المشركين لان بعضهم عبد الاصنام وقالوا هذه شفعاونا عند الله
وبعضهم عبد الملايكة وقالوا انهم بنات الله وبعضهم عبد الكواكب فكان هذا
تفريق دينهم وقال ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك هم اليهود والنصارى

لانهم تفرقوا فكانوا فرقا مختلفة وقال ابو هريرة في هذه الاية هم اهل الضلالة
من هذه الامة وروي ذلك مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وليسوا منك هم اهل البدع
واهل الشبهات واهل الضلالة من هذه الامة اسنده الطبري فعلى هذا يكون
المراد من هذه الاية الحث على ان تكون كلمة المسلمين واحدة وان لا يتفرقوا في
الدين ولا يبتدعوا البدع المضلة وروي عن عمر بن الخطاب ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لعايشة ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم اصحاب البدع
والاهواء من هذه الامة ذكره البغوي بغير سند عن العرباض بن سارية قال صلى بنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل بوجهه علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها
العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كان هذه موعظة مودع
فما تعهد الينا فقال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تامر عليكم
عبد حبشي فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم
ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة اخرجه ابو داود والترمذي
عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم
من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على
ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة زاد في
رواية وانه سيخرج في امتي اقوام تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه
لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله اخرجه ابو داود وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرايل تفرقت على اثنين وسبعين
ملة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار الا ملة واحدة قالوا
من هي يا رسول الله قال من كان على ما انا عليه واصحابي اخرجه الترمذي قال
الخطابي في هذا الحديث دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ
جعلهم من امته وقوله تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه التجاري تفاعل
من الجري وهو الوقوع في الاهواء الفاسدة والبدع المضلة تشبيها بجري الفرس
والكلب قال ابن مسعود ان احسن الحديث كتاب الله واحسن الهدي هدي الله
محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها ورواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم
مرفوعا وقوله تعالى **لست منهم في شيء** يعني في قتال الكفار فعلى هذا
تكون الاية منسوخة باية القتال وهذا على قول من يقول ان المراد من الاية
اليهود والنصارى والكفار ومن قال المراد من الاية اهل الاهواء والبدع من
هذه الامة قال معناه لست منهم في شيء اي انت منهم بريء وهم منك براء تقول
العرب ان فعلت كذا فلست منك ولست مني اي كل واحد منا بريء من صاحبه **انما
امرهم الى الله** يعني في الجزاء والمكافاة **ثم ينبيهم بما كانوا يفعلون** يعني اذا وافوا

القيامة قوله تعالى **من جاء بالحسنة فله عشر امثالها** يعني عشر حسنات مثلها **ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها** يعني مثلها في مقابلتها واختلفوا في هذه الحسنة والسيئة على قولين احدهما ان الحسنة قول لا اله الا الله والسيئة هي الشرك بالله واورد على هذا القول ان كلمة التوحيد لا مثل لها حتى يجعل جزاؤها عشر امثالها واجيب عنه بان جزاء الحسنة قدر معلوم عند الله فهو يجازي على قدر ايمان المومن بما شاء من الجزاء وانما قال عشر امثالها للترغيب في الايمان لا للتوحيد وكذا جزاء السيئة بمثلها من جنسها والقول الثاني ان اللفظ عام في كل حسنة يعملها العبد او سيئة وهذا اولى لان حمل اللفظ على العموم اولى قال بعضهم التقدير بالعشرة ليس للتحديد لان الله يضاعف لمن يشاء في حسناته الى سبعمائة ويعطي من يشاء بغير حساب واعطاء الثواب لعامل الحسنة فضل من الله تعالى هذا مذهب اهل السنة وجزاء السيئة بمثلها عدل منه سبحانه وتعالى او يغفر وهو قوله تعالى **وهم لا يظلمون** يعني لا ينقص من ثواب الطايع ولا يزاد على عذاب العاصي **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احسن احدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله تعالى **م** عن ابي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وازيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها او اغفر ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة ومن لقيني بقراب الارض خطيئة بعد ان لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة **ق** عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى واذا اراد عبدي سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملوها فاكتبوها بمثلها وان تركها من اجلي فاكتبوها له حسنة واذا اراد ان يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فان عملها فاكتبوها له بعشر امثالها الى سبعمائة لفظ البخاري وفي لفظ مسلم عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى اذا تحدث عبدي بان يعمل حسنة فانا اكتبها له حسنة ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها بعشر امثالها واذا تحدث عبدي بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بمثلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنة فانما تركها من جراي زاد الترمذي من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قوله عز وجل **قل** يعني قل يا محمد لهولاء المشركين من قومك **انني هداني ربي الى صراط مستقيم** يعني قل لهم ارشدني ربي الى الطريق القويم وهو دين الاسلام الذي ارتضاه الله لعباده المومنين **دينا قيما** يعني هداني الى صراط مستقيم دينا قيما وقيل يحتمل ان يكون محمولا

على



على المعنى تقديره وعرفني دينا قيما يعني دينا مستقيما لا اعوجاج فيه ولا زيغ وقيل قيما ثابتا مقوما لامور معاشي ومعادي وقيل هو من قام وهو ابلغ من القايم **ملة ابراهيم** والملة بالكسر الدين والشريعة يعني هداني وعرفني دين ابراهيم وشريعته **حنيفا** الاصل في الحنيف الميل وهو ميل عن الضلالة الى الاستقامة والعرب تسمي كل من اختتن او حج حنيفا تنبيها على انه على دين ابراهيم عليه السلام **وما كان من المشركين** يعني ابراهيم صلى الله عليه وسلم وفيه رد على كفار قريش لانهم يزعمون انهم على دين ابراهيم فاخبر الله تعالى ان ابراهيم لم يكن من المشركين وممن يعبد الاصنام **قل ان صلاتي** اي قل يا محمد ان صلاتي **ونسكي** قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والسدي اراد بالنسك في هذا الموضع الذبيحة في الحج والعمرة وقيل النسك العبادة والناسك العابد وقيل المناسك اعمال الحج وقيل النسك كلما يتقرب به الى الله تعالى من صلاة وحج وذبح وعبادة ونقل الواحدي عن ابن الاعرابي قال النسك سبايك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل للمتعبد ناسك لانه يخلص نفسه من دنس الاثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث وفي قوله ان صلاتي ونسكي دليل على ان جميع العبادات يوديها العبد على الاخلاص لله ويوكد هذا في اخر قوله لله رب العالمين لا شريك له وفيه دليل على ان جميع العبادات لا تودي الا على وجه التمام والكمال لان ما كان لله لا ينبغي ان يكون الا كاملا تاما على اخلاص العبادة له فما كانت بهذه الصفة من العبادات كانت مقبولة **ومحياي ومماتي** اي حياتي وموتي بخلق الله وقضايه وقدره اي هو يحييني ويميتني وقيل معناه ان محياي بالعمل الصالح ومماتي اذا مت على الايمان وقيل معناه ان طاعتي في حياتي لله وجزاي بعد مماتي من الله وحاصل هذا الكلام ان الله امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبين ان صلاته ونسكه وساير عباداته وحياته وموته كلها واقعة بخلق الله وقضايه وقدره وهو المراد بقوله **لله رب العالمين لا شريك له** يعني في العبادة والخلق والقضاء والقدر وساير افعاله لا يشاركه فيها احد من خلقه **وبذلك امرت** يعني قل يا محمد وبهذا التوحيد امرت **وانا اول المسلمين** قال قتادة يعني من هذه الامة وقيل معناه وانا اول المستسلمين لقضايه وقدره قوله عز وجل **قل اغير الله ابغي ربا** اي قل يا محمد لهولاء الكفار من قومك قل اغير الله اطلب سيدا او الها **وهو رب كل شيء** يعني وهو سيد كل شيء ومالكه لا يشاركه فيه احد وذلك ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى ديننا قال ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا سبيلي احمل عنكم اوزاركم فقال الله عز وجل ردا عليه **ولا تكسب كل نفس الا عليها** يعني ان اثم الجاني عليه لا على غيره **ولا تزر وازرة وزر اخرى** يعني لا تواخذ نفس اثمة باثم اخرى ولا تحمل نفس حاملة حمل اخرى ولا يواخذ احد بذنب اخر **ثم الى ربكم مرجعكم** يعني يوم القيامة **فينبيكم بما كنتم فيه تختلفون**

يعني في الدنيا من الاديان والملل قوله تعالى **وهو الذي جعلكم خلايف الارض**
يعني وانه الذي جعلكم يا امة محمد خلايف في الارض فان الله اهلك من كان قبلكم
من الامم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلايف منهم في الارض تخلفونهم فيها وتعمرونها
بعدهم وذلك لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبيا وهو اخرهم وامته اخر الامم
**ورفع بعضكم فوق بعض درجات** يعني انه تعالى خالف بين احوال عباده
فجعل بعضهم فوق بعض في الخلق والرزق والشرف والعقل والقوة والفضل فجعل
منهم الحسن والقبيح والغني والفقير والشريف والوضيع والعالم والجاهل والقوي
والضعيف وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات ليس لاجل العجز او الجهل او
البخل فان الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص وانما هو لاجل الابتلا والامتحان
وهو قوله تعالى **ليبلوكم فيما اتاكم** يعني يعاملكم معاملة المبتلي والمختبر وهو اعلم
باحوال عباده والمعنى يبتلي الغني بغناه والفقير بفقره والشريف بشرفه والوضيع
بدناءته والعبد والحر وغيرهم من جميع اصناف خلقه ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب
والعقاب لان العبد اما ان يكون مقصرا فيما كلف به واما ان يكون موفيا ما امر به
فان كان مقصرا كان نصيبه التخويف والترغيب وهو قوله تعالى **ان ربك**
**سريع العقاب** يعني لاعدايه واهلاكهم في الدنيا وانما وصف العقاب بالسرعة
لان كل ما هو ات فهو قريب وان كان العبد موفيا حقوق الله تعالى فيما امره به
او نهاه عنه كان نصيبه الترغيب والتشريف والتكريم وهو قوله تعالى **وانه**
**لغفور** يعني لذنوب اوليايه واهل طاعته **رحيم** يعني بجميع خلقه والله اعلم
بمراده واسرار كتابه

تم الجزو الاول من الخازن بحمد وعونه وحسن توفيقه غفر الله تعالى
لمفسره ولمن هو على يده ولكاتبه ولكل
المسلمين اجمعين وصلى الله
على من لا نبي بعده
واله وصحبه
وسلم
تسليما
دايما
ابدا
الى
يوم
الدين